

آية الله العظمى
الإمام علي بن أبي طالب

نماذج اللغة

طبعة بمطبعة مطبوعات مطبوعة "الطبعة الأولى"

مطبعة المطبعة المطبعة

الطبعة المطبعة المطبعة

شرح وضبط نصه

الإمام محمد عبده

١٠٠

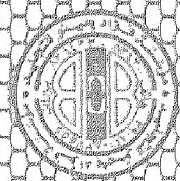
موسسة المطبعة
بيروت

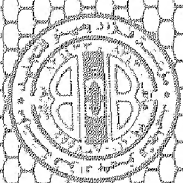


Bibliotheca Alexandrina



0008438





جميع الحقوق محفوظة للنسابة

مؤسسة
المعارف
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
الْأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

نَهْجُ الْبَلَاغَةِ

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ مُنَقَّحَةٌ بِمَخْطُوطَةِ الْإِسْكُورْيَالِ

شَرَحَهُ وَصَبَّطَ نُصُوبُهُ
الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ

جَمَعَهُ وَنَسَقَ أَبْوَابَهُ
الْعَلَّامَةُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ

أَعَدَّ هَذِهِ الطَّبْعَةَ وَزَادَ مَا كَانَ مُغْفَلًا مِنْ الشَّرْحِ
كَثَرًا قَدَّمَ لَهَا بِدِرَاسَةٍ مُسْتَفِيزَةٍ وَوَضَعَ فَهَا رِيسَهَا الْجَامِعَةُ
الْمَرْكَزَ اللَّبَنِيَّانِي لِلْفَهْرِ وَالْعِلْمِ وَالْإِسْلَامِ

بِإِشْرَافِ الدُّكْتُورَيْنِ

عُمَرَ أُنَيْسَ الطَّبَّاعِ

عَبْدَ اللَّهِ أُنَيْسَ الطَّبَّاعِ

النَّاشِرُ

مُؤَسَّسَةُ الْمَعَارِفِ سَاعَةَ وَنَشْرٍ

بَبِيرُوتَ

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
بيروت

يطلب من مكتبة المعارف ص ب ١١/١٧٦١ بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

من واجب الناشرين العرب ، أن يدركوا - والأمتان العربية والإسلامية تواجهان ضرباً جديداً من الخطر الاستعماري ، متجسداً بالأخطبوط الصهيوني الرابض فوق قطعة غالية من الوطن العربي . . . أن أعظم إسهام منهم في صدّ هذا العدوان المتنامي ، واستئصال شأفة هذا الدرن الخبيث الآخذ في الامتداد داخل كياناتنا القومي ، إنما يكمن بخلق جيل مؤمن بترائه العريق ، مقدّس لرجالات هذا التراث ، بما في سيرتهم وأدبهم من ينابيع الفضيلة والخلق الأمثل والبطولة الصادقة التي لا تعدّها في تاريخ الأمم إلا نماذج قليلة من الفضائل والمبادئ العليا وعظمة الاستبسال . كل هذا في سبيل الذود عن حياض الشرف والمروءة بالحفاظ على أركان الدين الحنيف ، وأصول القومية التي اغتذت طويلاً بعباء العقائد السماوية الكبرى :

إنّ مؤسسة المعارف في بيروت - إذ تعي جميع هذه الحقائق ، وترى أنّ الحضارة الإسلامية - العربية هي وحدها الكفيلة بإعداد الشباب الخلق بأن يقدم قرابين التضحية لخلاص شعوبه وإعلاء كلمة أمته - قد أخذت على نفسها منذ ربع قرن من الزمن ، عهداً - تجلّه وتعمل في سبيله - ألا وهو الدأب على مزيد من تكريس الجهد

لا لإحياء موارث الإسلام وآثار العربية وحسب ، بل لدرس هذه الموارث وإخراجها إلى حيّز الوجود ، بأبهى حلّة وأنصع صورة ، إخراجاً يتفق وطبيعة هذا التراث بما فيه من أصالة ، وبما في أصالته من مقومات الإلهام وعطاءات الوحي ، التي تتجاوز في أغراضها ومراميها البعيدة ، حدود العقل ومنطق الفكر الباحث المجرب .

وانطلاقاً من هذه المسلّمات الجديرة بأن تصان وبأن يعزّز عليها بالنواجذ ، والحقيقة بالحفظ والذود ، فقد أقدمت مؤسستنا على إعداد طبعة حديثة للسفر الخالد الجامع لأدب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ، لأن طبعاتها العديدة السابقة التي نفذت ، لم تعد تستجيب لطبيعة العصر ، وتقنيات هذه الحقبة المعاصرة . ومن أجل الارتفاع بهذا الأثر العظيم إلى مدارج الإتقان ضبطاً وتحقيقاً وفهرسة وتقديماً فقد عهدت بهذه المهمة الدقيقة والشائكة إلى الذين تميزوا بطول باعهم في هذا التراث الذي نهلوا من كثره وتعمقوا في درس كلمه رديحاً طويلاً من الزمن ، فكانوا جديرين بأن يتعهدوا هذا العمل المتميّز وأن ينهضوا بأسبابه وشروطه .

هذا ، وقد تبين لنا من مقدّمة العلامة الشريف الرضي ، الجامع لأدب الإمام علي ، وصاحب الفضل في حفظه بالخط والتدوين . . أنه بان له بالنظر والتأمل أن هذا التراث - كما قال

« يدور على أقطاب ثلاثة : أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ » وهكذا ، ولأول مرة في تاريخ نهج البلاغة ، أزمعنا أن يكون الكتاب في طبعته هذه الأكثر حداثة ، في ثلاثة أبواب ، تبعاً لنظرة الشريف الرضي ورأيه السديد ، وهي كما أشار ، وعلى التوالي :

(١) - باب الخطب والأوامر .

(٢) - باب الكتب والرسائل .

(٣) - باب الحكم والمواعظ .

أما الفهارس المعدة ، فباستثناء فهرسي الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة فقد آثرنا المنهج العلمي الحديث في الفهرسة القاضي بفهرس واحد جامع شامل لكل أبواب العلم والأعلام ، دونما تخصيص أو تمييز . ففهرس هذه الطبعة يتضمن سائر القضايا الفقهية والكلامية ، ومختلف أسماء الأعلام بين إنسان وحيوان ونبات ، وكل ما يتصل بالأماكن والبلدان والأمم والقبائل . . في ترتيب هجائي ، وفق صفحات الكتاب وكما هو واضح للقارئ والباحث .

إننا نسأل الله أن يهدينا إلى أقوم السبل وأكثرها خيراً ورداً لخدمة أمتنا وتراثها الخالد ، « وقيل أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

مؤسسة المعارف
محمد منيب محيو

تصدير الطبعة الأولى

التعريف بكتاب « نهج البلاغة » و « شرحه » و « مواقف »
الإمام عليّ وسياسته

✱

من الثابت أن كتاب « نهج البلاغة » جوهرًا وفكرًا للإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، في حين أنه تسمية وتنسيقاً : الخطب والأوامر والكتب والرسائل ، والحكم والمواعظ ، فصولاً وأبواباً للشريف الرضي^(١) ، بينا شرحه أكثر من عالم نابّه ، ولغوي متمكن ، وإمام مؤمن في طليعتهم : البحراني كمال الدين محمد ميثم ، والبيهقي ، أبي الحسن ، والرازي ، فخر الدين

(١) الشريف الرضيّ : هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين . . وينتهي نسبه إلى محمد الباقر بن علي زين العابدين ، الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي . وينتهي نسبه من والدته أيضاً إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولد سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٠ م) واشتغل بالعلم وتفوّق في الفقه والفرائض وبداً أهل عصره . كان من سادات العراق يتحلّى بمحتده الشريف ، وتولّى نقابة الطالبين بعد أبيه وفي حياته سنة ٣٨٨ (٩٤٩ م) ضمّ إليه النظر في المظالم والحج بالناس . وكان يعتزّ بحسبه حتى انه فاخر الخليفة القادر . وكان شاعراً متفوّقاً ، وأديباً بارعاً ومترسلاً بارزاً ، سعى إلى وضع كتاب خصائص الأئمة ثم اكتفى بوضع خطب ومواعظ ورسائل الإمام عليّ كرم الله وجهه وعلى نحو متّسق بين دفتي كتاب سمّاه « نهج البلاغة » وهو موضوع هذه المقدمة الدراسة .

(الإمام) والراوندي القطب ، ومحمد عبده (الإمام) ،
والمدائني ، عزّ الدين المشهور بابن أبي حديد^(١) ، وأكثر هؤلاء
الشراح والدارسين اعتمدوا أصوله = المخطوطة والمنسوخة =
المحفوظة اليوم في مكتبات العالم الإسلامي وفي بعض المكتبات
الأخرى العامة كمكتبة الفاتيكان ، ومكتبة الاسكوريال ، ودور
الكتب الوطنيّة ، كمكتبة المتحف البريطاني وغيرها .

شاء جامع النهج - كما يبدو - بعد أن عزم على وضع كتاب
« خصائص الأئمة »^(٢) يعرض فيه محاسن أخبارهم ، وجواهر
كلامهم ، أن يصنّف في كلام الإمام علي رضي الله عنه مرجعاً
بذاته ، ما دام أمير المؤمنين ، إمام الأئمة ، وسيّد الكلام ،
وصاحب الخبر ، ومثال البيان ، ومنهج البلاغة ، وعنوان الأدب ،
وغاية الأرب ، ويقول ، وأدبه ، وفكره ، سيّداً كتابه وهو فيه
المرجع والمآل ، لا سيّما بعد أن صرفته عنه محاجزات الزمان ،
ومماطلات الأيام ، فاكتفى بخبره كرم الله وجهه عن أخبارهم ،

(١) عزّ الدين المعروف بابن أبي حديد كان من كبار علماء المسلمين مع تعمّقه بالدين
وحسن سيره . ويعتبر في عصره من كبار الأدباء . تسلم الديوان في المملكة
المستنصرية وكان كاتباً بارعاً وعالمياً لغوياً ، ولد في المدائن سنة ٥٨٦ هـ
(١١٩٠ م) وتوفي في بغداد ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) . وكان من أبرز شراح كتاب
نهج البلاغة (طهران) (١٨٥٣ م) فضلاً عن كتاب « والفلك الدائر على المثل
السائر » طبع في الهند .

(٢) راجع مقدّمة الشريف الرضيّ في كتاب نهج البلاغة في آية طبعة متيسّرة لديك .

وبكلامه رضي الله عنه عن كلامهم ، لأنه قطب الرّحى ، وشيخ
الحضرة ، وموئل الأمة ، وخاتمة المطاف فيهم .

كان الإمام عليّ - وللأئمة خاصّة وهم جهاذة الأمة ، وقادة
الفكر فيها والقدوة الصالحة كما يقول الشريف الرضي « مشرع
الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، منه عليه السلام
ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حدا كلّ قائل
خطيب ، وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ ، ومع ذلك سبق
وقصّروا ، وتقدّم وتأخروا ، لأنّ كلامه عليه السلام ، الكلام الذي
عليه مسحة من العلم الإلهي ، وفيه عبقة^(١) من الكلام النبوي »
حتّى ليس في أهل اللغة إلّا قائل بأنّ كلام الإمام عليّ بن أبي
طالب وهو أشرف الكلام ، وأبلغه ، وأنّ أدبه كرّم الله وجهه
وبلاغته يليان ، بلا منازع أدب سيد الأنام محمد رسول الله
(ﷺ) وبلاغته .

إنّ الكتاب الذي وسمه الشريف الرضي « بنهج البلاغة »
عن علم ، ليس هو في رأي منسّقه ونظره وحسب « يفتح للناظر
أبوابها ويقربّ عليه طلابها » بل فيه وبصدق وكما أكّد « حاجة
العالم والمتعلم ، وبغية البليغ والزاهد » حتّى انه أضحي في نظر
النقد العلمي اليوم - وكما كان في كل عصر ومصر منهجاً للبلاغة

(١) عبقة : عباءة وعباقية الطيب به : لزق به ، والمكان بالطيب ، انتشرت رائحة
الطيب فيه .

ومثالاً لأصولها يحتذى ، لأن الإمام مستنبط أصول علم النحو ومحدّد أبوابه في ثلاثة : اسم ، وفعل ، وحرف ، لرهافة ذوقه ، وعجائب إبداعه ، ودقائق تصوّره ، ليحفظ كتاب الله تعالى وحديث رسول الله (ﷺ) من اللحن والتحريف ، ولما فتح الله عليه وعلمه من العلوم الدنية ، وكان قد أكرمه بحفظ القرآن الكريم ، وحفظ حديث سيّد المرسلين (ﷺ) .

وكتاب « نهج البلاغة » لو لم يكن - وبحق - صورة صادقة للسان العربي المبين الذي أعزّه الله بالقرآن الكريم وحفظه ، لفقدت آثاره ، وضاعت معالمه ، وبليت صفحاته ، كغيره من الكتب ، التي لم يبق من أسمائها إلا عناوين باهتة - في المراجع الأمهات - أو - وفي أحسن الحالات - مجموعة أوراق على رفوف المكتبات ، في حين والحق يقال أنّه « نهج البلاغة » في المعنى الجامع المانع للعربية وعلومها .

ويذهب أحمد حسن الزيّات^(١) إلى أن أكثر كتاب « نهج البلاغة » « من صنع الشريف ، لما فيه من التعرض للصحابة بالأذى والهجر ، ولأن ما فيه من فلسفة الأخلاق وقواعد الاجتماع ، ودقة الوصف ، وتكلف الصنعة ، ليس في إمكان ذلك العصر ولا في طبعه . والظاهر أن الشريف جمع كلّ ما نسب إلى الإمام وفيه الصحيح والمشوب »^(١) .

(١) انظر كتاب الزيّات : « تاريخ الأدب العربي » : ط ١٤ مكتبة الانجلو المصرية :

إن هذا الحكم العام بالنسبة لنهج البلاغة قد سبق إلى مثله الدكتور طه حسين بالنسبة للشعر الجاهلي ، وطبيعي أن يلقي قول أحمد حسن الزيات في « نهج البلاغة » - خطباً وأوامر ، وكتباً ورسائل ، وحكماً ومواعظ - ما لقي قول طه حسين في الشعر الجاهلي ، الكثير من النقد والتجريح ، وغير القليل من التعليل ، وإن كنا نستدرك لنقول بضرورة أن تخضع نصوص « نهج البلاغة » إلى القوانين النقدية ، على نحو ما خضع لها الحديث النبوي الشريف ، فنذود عنه بذلك شوائب الأقوال ، ونحفظه من فتن الزمان ، وأغراض العابثين وأهوائهم .

*

من المؤكد أن الحديث النبوي الشريف ، وهو في مقدمة الأقوال المروية أهمية دينية وعلمية ، وتاريخية بالنسبة للإسلام - هو أول ما دَوّن وجمع بعد القرآن الكريم في الإسلام - وكان أن أمر بجمعه الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ (٧١٠ م) . . . هذا الحديث الشريف لم يثبت منه - وبإسناد صحيح - عند الإمام أحمد بن حنبل إلا أحاديث قلّة - في حين جمع مع الأئمة الكبار ، ابن ماجه ، وأبي داود - والبخاري - والبيهقي - والترمذي - والدارمي - ومالك - ومسلم - والنسائي - سنناً تميّز كلّ منها باسم جامعها وشارحها . وهي لا زالت موضع ثقة السواد الأعظم من المسلمين ، أئمة ، وعامة ، لا سيّما أولئك

الذين يأخذون بعلم الحديث بسبب ، وليس بين انتقال الرسول الأعظم (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى وبين جمع الحديث وتدوينه من الزمن ما كان بين مقتل الإمام عليّ كرم الله وجهه وتصنيف الشريف الرضي « نهج البلاغة » .

✱

كان مقتل الإمام عليّ سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) حدثاً بالغ الخطورة في الإسلام ، ليس للظرف السياسي الذي كان يعيش فيه ويعالج آثاره ، بل لما كان يمثل من رمز في آل محمد ، الذي لمشية إلهية كان رأس سبطه ، وعليه وعلى سبطه عقدت آمال المسلمين ، وبه وبأولاده هام المحبون المتيّمون بمحمد وآله ، فيما الشريف الرضي توفي في العام ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م) أي بعد نحو أكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن على مقتل الإمام ، زخرت بالأحداث الجسام ونهضت دولة إثر دولة ، وانتقلت فيها العاصمة الإسلامية إلى أكثر من مدينة ، وتمّت الفتوح ودخل في الإسلام كثير من شعوب العالم الوسيط يومذاك أو جلّهم . هؤلاء - وفي الشرق الإسلامي بخاصّة - هم الذين علقت قلوبهم بمحمد وآله ، فوجدوا في الإمام وسبطه صورة إيمان صادق وعقيدة راسخة انعكست بآلام نفوسهم ، وإحساسهم ، ويقينهم ، وشعورهم وحبّهم ، ما جمعه الشريف الرضي في « نهج البلاغة » على انه الصورة الصادقة لسيرة الإمام وأحداث عصره .

في ضوء رأي أحمد حسن الزيات ، وتعليقنا له ، يبقى الإمام عليّ - كرم الله وجهه - في منزلته من أدب العربية وفنونها ومقدرته المتميزة في الوصف الحسي الدقيق ، حتى لجزئيات المخلوقات التي ما أتى على وصفها وبرع في تشابيهه ومجازاته فيها ، وكلامه في إبداع مكنوناتها ، إلا تأكيداً على قدرة الله وعظمته - المنهج الاستقرائي الذي اعتمده من بعد الجاحظ وجاراه فيه^(١) ، وأبو عثمان ، وفي كتابه البيان والتبيين كان ناقداً لأدب الإمام بصيراً في لسنه ، ومعولاً عليه في بلاغته^(٢) .

في ضوء هذه المعطيات ، وبانتظار أن ينهض نقادنا بمسؤوليتهم ، في دراسة نصوص « نهج البلاغة » ، على أسس مستمدة من طرائق علم الحديث ، سنداً . . لا يسعنا الارتباب كما فعل بعض النقاد بعزو تلك الأوصاف الحسية لأmir المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، إذ لا شيء يحول - أيّاً كانت ظروف الإمام الخاصة - دون أن يهتمّ رضي الله عنه بمثل هذه الموضوعات أو ينصرف إلى دقائق الوصف ونمنمات التشابيه ، كتصويره الدقيق ووصفه البارع المتكامل للنملة ، ومقدرته الخارقة الفائقة في وصف الجرادة وملاحح خصائصها الثانوية العلمية ، ودورة نظامها الحياتي ، وأثر ذلك في حياة الإنسان ، إلى جانب تفوّقه في

(١) راجع مقدّمة كتاب الحيوان للجاحظ .

(٢) راجع هذه الطبعة من نهج البلاغة

عرضه للطاوس وتصويره إيّاه وكأنه رسام طُلعة بارع في مزج الألوان ، يستعِض عنها بالعبارات القشبية الحلوة التي تتفق وزهو الطائر نفسه ، وما في طبيعته من خيلاء ، فضلاً عن وصف النحلة والبراعة الفائقة في استحضر المحسنات اللفظية والمزيّنات . . . ذاك أن من كانت البلاغة في طبعه وكانت الفصاحة ركناً صميماً من أركان شخصيته - المتأثرة ببيان الرسول وما أودع الله في هذا البيان من عظيم صنيعه ، وجود عطائه . . - لا ينال ما يحتاجه مثل هذا الوصف من عناء، من كوامن القدرة في ذاته الخيرة الوثيقة الشائج بينابيع الإلهام العظمى .

هذه التصاوير ، والتشابه - وما فيهما من وصف حسي كانت مشاغل ومسؤوليات أمير المؤمنين - في نظر ذاك الفريق من النقاد - تنوء دونها وتقصر عن جادتها . فقد ذهبوا - ومذهبهم في هذا ضعيف الحجة بل واهي البينة - إلى أن هذه التصاوير تحتاج إلى تأمل طويل ولا تتأتى إلا لإبداع خيال عبقرى قد لا يكون إلا وليد الاستقرار ، والنفسي منه بخاصة ، بينما حياة أمير المؤمنين كرم الله وجهه - كما يرون - دأب متّصل ، بالدعوة ، وبالعلم ، وبالجهاد ، وبالعائلة وبالخلافة ، وبالمنازعات ، وبالأحداث ، والمعارك ، والصالح العام ، والمصلحة العليا للأمة ، والحق والباطل ، والدنيا والآخرة . بلى أنّى لعلّي بن أبي طالب مثل هذا الاستقرار ! . . وإن كان هو مدخلاً لمدينة العلم^(١) ، وإن تأثر

(١) جاء في حديث الرسول (ﷺ) : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» .

بأسلوب القرآن التصويري ذي الإعجاز الجامع ، فهو كما يعتقدون لم يسعه التفرغ لصياغة خطبه ورسائله كما يفعل الكتاب والأدباء ، أو كما أتيح من بعد عصره للشعراء والمترسلين أن يفرقوا الأدب بالمحسنات اللفظية . . .

هذا المنطق القاصر في نظرنا عن إدراك حقائق الإبداع المتصل بجوهر الإيحاء والإلهام هو الذي دفع مثل هؤلاء النقاد إلى أن ينسبوا ما في نهج البلاغة من كد الصنعة ، والأناة ، وإجالة الفكرة وإحكام الصورة . . . إلى الأدباء المترسلين في العصر التالي لعصر الإمام علي ، حتى انتهت آثار الإمام إلى الصورة التي رأيناها في الكتاب الجامع لها ، عينا « نهج البلاغة » كما زفه العلامة الشريف الرضي إلى العالمين العربي والإسلامي .

*

إذا كان عليّ بن أبي طالب لم يعرف طوال حياته الاستقرار النفسي ولم يتفرغ ليدع وصفاً حسيّاً لا ينهض إلاّ بالخيال العبقري المشبع بالتأمل الطويل ، كما زعم ذاك الفريق من الأدباء ، فلا يعني ذلك - كما خيل للشيخ الدكتور صبحي الصالح أن خطبة الإمام والتي تعرف بـ « الشقشقية » قد تصوّر إلى حد بعيد نفس الإمام الشاكية التي خاضت على لسانه هادرة لأنه جاء فيها قوله : « شقشقة هدرت ثم قرت » مؤكداً بأن هذه الخطبة قد

امتألت بألفاظ التأوّه والتوجّع والأنين^(١) .

امام هكذا رأى ، فكتاب « نهج البلاغة » بالحقيقة الموضوعية ليس صورة لنفس الإمام بالنسبة لذاته ، أو بالنسبة للخلافة كمسؤولية دينية دنيوية تمثل الإسلام ، الدين والدولة ، بل صورة لما حلّ بالأمة الإسلامية التي راحت أهواء السياسة الأموية تعصف بها مع خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والتي استطاعت أن تعيد إلى الساحة الإسلامية الروح القبلية التي دحرها الإسلام ، ردياً من الزمن ، إلى جانب ما خلقت من نحل ، وأوجدت من بدع .

في ضوء هذه الحقيقة فثمة رأي قد لا يجوز تجاهله حول « نهج البلاغة » جوهرأً وصيغة . وهو رأي أحمد حسن الزيات القائل « إن الذين قرأوا حياة الإمام وألمّوا بسيرته ، وتدارسوا أحداث عصره كانوا قادرين على تصوير شعور نفسه نحو الأمة وما نزل بها ، في حين دفعتهم محبّته إلى تلوين هذا الشعور بآلام نفوسهم » . والإمام هو القائل : « هلك فيّ رجلان : محبّ غال ، ومبغض قال »^(٢) أو كما جاء في حديث الرسول الأعظم (ﷺ) « يهلك فيك رجلان محبّ مفرط ، وكذّاب مفتر »^(٣) فضلاً عما

(١) انظر مقدمة الشيخ صبحي الصالح من طبعة نهج البلاغة ، دار الكتاب اللبناني ص ١٠

(٢) انظر مقدمة الشيخ صبحي الصالح الأنفة الذكر ص ٣١ .

(٣) انظر رسالة في مناقب الإمام عليّ كرم الله وجهه « كفاية الطالب لمناقب عليّ بن

قاله له (ﷺ) : « تفرق فيك أمي كما افترقت بنو إسرائيل في عيسى » (١) .

✱

إن عهد الإمام عليّ كرم الله وجهه لم يكن بحاجة كما رأى الشيخ صبحي الصالح إلى اصلاح يستدعي اهتمام الخليفة الجديد لأنه لولا الفتنة التي أثارها الأمويّون للاستيلاء على السلطة منذ قيام مروان بن الحكم (٢) - شيخ بني أمية فيما بعد - بإدارة خلافة عثمان ، ودفعت بالبلاد إلى حافة الهاوية بإثارة المنازعات والأحقاد ، وبالناس إلى اليأس حتى استباح الناقمون دم الخليفة وكان قد أعلن لهم وقبل معركة صفين ، وقبل أن يقوم في الدولة أمران : «إنما هما اثنتان ، أمّا أن تقيموا رجلين من المسلمين ، أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو انه كان ينقش الخاتم على الخاتم» (٣) ، الأمر الذي يؤكّد تسلّط الأمويين على الدولة وتصرفهم بشؤونها دون الرجوع إلى الخليفة ورأيه ! وفي قول الخليفة عثمان هذا تكمن حقيقة الواقع المؤلم ! .

= أبي طالب « لمحمد حبيب الله الشنيطي ، مطبعة الإستقامة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م شارع أم العلام رقم ١٤ بالحسين (القاهرة) .

(١) انظر مقدمة الشيخ صبحي الصالح الأنفة الذكر ص ١٠٥ أيضاً .

(٢) انظر : العقد الفريد ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٢ هـ -

١٩٥٣ م ، ج ١ ص ٣٢ ، ج ٤ ص ١٨ ، ج ٤ ص ٤٤ .

(٣) عثمان بن عفان انظر : العقد الفريد المصدر السابق ج ١ ص ٢٢ ، ٤٩ ، ٧١ ،

٢٢٣ ج ٢ ص ١١٠ ج ٢ ص ١١٨ ، ٣٩١ .

... كانت السياسة الأموية ترمي إلى واحد من أمرين ، إما الاستيلاء على السلطة ، وإما تقسيم الدولة . فعندما عجزت عن تحقيق غايتها في عهد الأموي الخليفة عثمان بن عفان هيأت الظروف لمقتله لتبرّر المسعى ، وكان تقسيم الدولة ، ثم كانت لهم السلطة من بعد نحواً من قرن .

إذاً لولا الفتنة فليس ما يعكّر الحياة الإسلامية ولا ما يستدعي إصلاحاً كما يرى الدكتور الشيخ صبحي الصالح^(١) لأن الفتوح المرتقب والذي بدأ في إفريقيا كان قادراً على امتصاص نقمة الذين حرّكتهم السياسة الأموية المرسومة ، عندما خصّت الأمويين ببعض مناصب المسؤولية في الدولة الفتية ، لإثارة النفوس والإيقاع بين المسلمين ، وتحقيق أهداف السياسة الأموية .

لئن تذمّر الإمام من تفرّق أصحابه عنه - على حقّهم - وإجتماع أصحاب معاوية^(٢) معه - على باطلهم - وكما يقول الدكتور الشيخ صبحي الصالح ، وفي ضوء الكلام الثابت والمعروف عن الإمام كرم الله وجهه ، كان حريّاً بالشيخ الصالح كناقذ ودارس ، أن يستجلي ما وراء هذا القول ليضع الأمور في

(١) انظر مقدمة الشيخ الدكتور صبحي الصالح لكتاب نهج البلاغة : ط (٣ - ١٩٨٣)

ص ١٠ سطر ١١ « وخابت آماله في تحقيق الإصلاح » .

(٢) انظر المقدمة السابقة ص ١٠ سطر ١٧ .

نصابها ويقرب بين وجهات نظر المسلمين ليأتي نداؤه لأمة^(١)
الإسلام عقلاً لا عاطفياً ، وإن كان مخلصاً صادقاً في ندائه .

*

إن نقد بعض النصوص ، هو من حق التاريخ لأنه علم
بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، وإلا فعل المؤرخ لا يخرج عن
النقل والإملاء مع تكرار الدرس والبحث فيزاد اللبس غموضاً ،
والرتق اتساعاً ، والأفكار الشائعة ثبوتاً ، وهي قد لا تكون في
الصورة التي يراد لها أن تكون . .

لا شك أن عدم استجلاء ما وراء بعض العبارات المعروفة
والشائعة وبعد أربعة عشر قرناً ، لا يسيء إلى أصحاب الإمام عليّ
كرم الله وجهه وحدهم ، وهم أنصاره وأحباؤه ويضعهم في غير
مكانتهم من الإمام وسبطه ، بل يسيء إلى الأمة كلّها التي ما من
مؤمن فيها إلا مشايخ لعليّ وآل بيته على حد تعريف الشهرستاني
للعبارة ، ومعترفاً بحقهم في خلافة رسول الله (ﷺ) وفي نظام البيعة
والشورى .

الحقيقة التي لا تقبل الردّ أن خطة الأمويين في الانقلاب
على الخلافة كانت على جانب كبير من الدهاء والدقة ، والتماسك

(١) انظر مقدمة الشيخ صبحي الصالح طبعة دار الكتاب اللبناني المصدر السابق
ص ٢٩ .

والتحطيط ، منذ اسلام أبي سفيان الذي مرّ ذات يوم بقبر حمزة عمّ النبي (ﷺ) فقال له : « لقد قاتلنا على أمر صار لنا »^(١) ثم في السياسة الأمويّة وبخاصّة في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفي ضوء ما أشرنا إليه باقتضاب ، هذه السياسة التي أثارت الفتن ، وحرّضت الناس على واحد منهم ، وبالتالي دفعت بالأوضاع إلى الأزمة ، حتى أقدم من أقدم من الناس على قتل الخليفة عثمان ، بعد أن تجرّأ محمد بن أبي بكر على أن يقبض على لحيته رضي الله عنه . . .

إن معاوية بن أبي سفيان كان عقل بني أميّة وفكرهم المخطّط والمدبّر ، كما كان - وبحق - أحد دهاة العرب الأربع^(٢) وإن بذّهم جميعاً باللين والصبر والأناة .

كيف لا يكون معاوية بن أبي سفيان في هذه المنزلة العالية من الدهاء والسياسة التي هي « فن حكم الشعب » ؟ - وهل هناك أعظم في نظر العامّة من المسلمين ، من أنصاره في الشام ، ومن أصحاب الإمام عليّ كرم الله وجهه في العراق من رجل فدّ ، والـ وليس بخليفة يطالب علناً بدم الخليفة الشهيد الذي قتل وهو في محرابه يقرأ القرآن الكريم ، وإن بعضاً من أصابعه قطعت ، وإن

(١) انظر العقد الفريد المصدر السابق ج ٢ : ص ١٦٤ وما يليها .

(٢) دهاة العرب الأربع : معاوية بن أبي سفيان ، عمرو بن العاص ، زياد بن أبيه ، المغيرة بن شعبة .

صفحات القرآن تلطّخت بالدم الزكيّ الطاهر ، وإنه كاد يقطع جسده ، ويجتز رأسه لو لم تتلق امرأته نائلة بنت الفرافصة ضربة السيف القاتلة عنه . .

قلت كيف لا يكون معاوية في نظر العامة من المسلمين . . . هذا الرجل الفذ الذي ساقه الله للحق فيما الخليفة وفي نظر العامة من المسلمين أيضاً قد أخذ معركة الجمل التي كانت تقودها أم المؤمنين السيدة عائشة ، زوج النبي ﷺ وابنة أبي بكر ، وبين رجالها طلحة بن عبيدالله^(١) والزبير بن العوام^(٢) من مجلس الشورى الستة الذين سمّاهم عمر بن الخطاب ، لتكون الخلافة في واحد منهم ، لأن السيدة عائشة أعلنت انتصارها لدم عثمان كما فهمها السواد الأعظم من الناس دون أن يستجلوا ما كان من خلاف عائلي وشخصي بين أم المؤمنين رضي الله عنها والإمام عليّ كرم الله وجهه اثر حادثة الإفك^(٣) ، ودون أن يدركوا كوامن التطاحن على الخلافة نفسها بين بعض أعضاء مجلس الشورى . بالطبع كان من الصعب ، بل من المستحيل على الغالبية المطلقة من المسلمين في أنحاء الدنيا الإسلامية يومذاك أن يتبيّنوا الحقيقة ، وهي أن الخليفة الشهيد قدم

(١) كان طلحة بن عبيدالله كبير بني تميم .

(٢) أمّا الزبير بن العوام فصهر أبي بكر الصديق زوج ابنته أسماء ذات النطاقين وزعيم بني أسد .

(٣) انظر مقدمة كتابنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . المصدر السابق ص ٦ .

فداء للخلافة الأموية المرتقبة ، وانتقال السلطة من يد آل هاشم إلى الأمويين أصحاب التجارة والنفوذ في الجاهلية ، « الذين وكما قال أبو سفيان قاتلوا المسلمين الأولين حتى يعود لهم نفوذهم » ، « لقد قاتلنا على أمر صار لنا » .

كان كل شيء عند معاوية بن أبي سفيان بحسبان وقدر وتخطيط : فهو بعد أن عبّأ الرأي العام الإسلامي وشحنه لمناصرتة وتأييده ، في موقفه من المطالبة بدم الخليفة الشهيد - تمكن من أن يبث سموم الفرقة والخلافة بين أصحاب الإمام عليّ ، وأن يتبلد الناس من حوله حتى يتخاذلوا ، ويستكينوا ، وإلا كيف نفسر قول الإمام كرم الله وجهه في خاصته : « يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال » أو كما سمّاهم « الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم » ؟

ألا يؤكّد هذا أن والي الشام تقدّم - ان لم يكن قد انتصر - في الحرب النفسية التي شنّها على الشرعيّة الإسلامية بعد أن خرج عن حدود الولاية وتجاوز مقتضيات المسؤولية ؟ ومن حقّنا أن نتساءل : هل كان دم عثمان يعنيه أكثر مما يعني الخليفة نفسه وهو الذي دفع بالخليفة إلى ما دفعه إليه تحقيقاً لمطامحه وسعيّاً وراء أهدافه المرسومة ؟

لقد رأينا معاوية من بعد - وفي المعركة الفاصلة ، والتي كاد فيها الضحّاك بن يوسف الفهري قائد الإمام كرم الله وجهه أن ينزل

الهزيمة العسكرية بأهل الشام ومن والاهم - يعرض وبإحكام ودقة الفصل الثاني من الخطة الأكثر إثارة ، والأقوى تأثيراً على الموقف حين أهاب بجنده أن يرفعوا المصاحف ليكون كتاب الله المرجع الذي يفصل في الخلاف ويقيم الحق ويثبت القسطاس . . . بمثل هذه البراعة في التدبير رفع معاوية مكانته من وال للشام ، يأتى بأمر الخليفة إلى مساو له في المنزلة والنفوذ ، وان لم يسم نفسه بعد خليفة^(١) .

هذا ، حتى إذا أحكمت الخطة فصولاً وأعلنت نتائج التحكيم - على ما هو مشهور في التاريخ الإسلامي - كان معاوية بن أبي سفيان قد فاز بإعلان شرعي كان بمثابة تمهيد لتحقيق مطمعه ، وقد انتزع ذلك من ممثل الإمام عينه ، فيما أضاع الإمام - بسبب هذا الدهاء الخطير - الحق الشرعي الأصيل . . . الذي لا مزية فيه ولا شبهة . . .

كثرة هم الكتاب والدارسون الذين كتبوا في خلافة رسول الله (ﷺ) ، منهم من أصاب ، ومنهم من لم يصب - وان لم يخطئ - ومنهم من وقع في وهم وتعليقات المفسرين والمستشرقين بخاصة ، فحملوا هذه القضية فوق ما تحمل من

(١) بوسع القارئ أن يعود إلى المراجع التاريخية للوقوف على طبيعة هذا الموقف الذي أحكم معاوية أمر تمثيله بدعم من عمرو بن العاص ، والذي أدى إلى قبول الإمام عليّ مبدأ التحكيم .

الدراسات والبحوث والاجتهاد ، والتعليق : كل في ضوء فهمه ،
أو غايته التي يسعى إليها .

الحقيقة أن أمر الإسلام « شورى » ، فلا نص ولا تعيين ولا
خلافة كملك عضود ، وهذا لا يطعن في الوصاية والوصية وهو
الأمر الملحوظ زمن النبي والراشدين . حقيق بالمسلمين أن يتعظوا
ويعتبروا من حياة الرسول (ﷺ) ، ومن الحكمة الإلهية في
وفاة ولديه (ﷺ) ، القاسم وإبراهيم في حياته ، وحزنه وأسفه
عليهما كأب . . . وإلا لكان أحدهما بعد الآخر هو خليفة أبيه في
أمر الإسلام ، ولتحول الإسلام إلى أسرة حاكمة ، وإلى ملك ،
وعرش ، ودولة عائلية .

الدارسون لحقبة ما بعد انتقال الرسول الأعظم إلى الرفيق
الأعلى (ﷺ) يرون أن الإشكال الذي وقع بين المهاجرين
والأنصار لم يلبث أن حلّ وبكلمة واحدة : « منا الأمراء ومنكم
الوزراء » . وكان إجماع على بيعة الصديق ، ربّما لا لشيء مع
كثرة الأشياء التي تعنيه في أمر الخلافة ، وفي هذا كلّ يظهر أمر
الشورى ، وتتجلّى بالتالي الحكمة الإلهية من وفاة القاسم
وإبراهيم في حياة النبي ، ومحمد هو هو القريب من ربّه ، ومن
رحمته .

كان من حقّ الإمام عليّ كرم الله وجهه - وقد علم أن الأمة
قد بايعت أبا بكر ، أن يداخله شعور الممتعض المغبون ، لا لأنه

ينكر على أبي بكر أن يبايع ، بل لأن المبايعة تَمَّت وهو منشغل
بمراسم دفن النبي الكريم ، وكان في قرارته - وهو على حق -
يرى واجباً أن يكون في قلب الأزمة التي نشأت بانتهاء عهد النبوة
وبدء عهد الخلافة نظراً لأمرين : لمكانته من رسول الله (ﷺ)
أولاً ، ومنزلته في الإسلام ثانياً . إلا أن العديد من المؤرخين
كانوا يرون للمبايعين ظروفهم وعذرهم ، ولا سيما في حرصهم
على الإسلام ورسالته ، وهو ما يوضحه ترديد عمر بن الخطاب
﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً
وسيجزي الله الشاكرين ﴾ (١) .

وربما كانت الردة التي حصلت في عدد من القبائل العربية
خير دليل على سلامة موقف المبايعين من مكانة الإمام ومنزلته
ويقينهم بأنه لو استشير لما ابطأ في الموافقة . أو أن المبايعين
جميعاً كانوا على علم بموقف الإمام من كبار صحابة الرسول
الأعظم (ﷺ) فعلي رضي الله عنه ألم يسم ثلاثة من أبنائه
الذكور باسم ، أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، فكيف لا يبايع ؟

ثمة فريق يأخذ برأي غير ما تقدم وهؤلاء - كما يبدو -
حرصوا على إثارة هذه الناحية وعولوا على قول المستشرق كارل
بروكلمن ولم يمعنوا في دراسة النصوص الإسلامية ويحيطوا

(١) آل عمران ١٤٤ .

بظروف الوقائع يومئذ . فقول عمر ، وحرب الردّة التي اطفأها الخليفة يكشفان عن حقيقة ظروف الدولة الإسلامية ، فلولا وجود خليفة على رأس السلطة يعلن الموقف الحازم لما توالى على الخلافة رجال حفظوا الإسلام ، وأقاموا له الدولة بعد أن نشروا تعاليمه كدين ، وأرسوا قواعد الرسالة في كلّ مكان وصقع .

✱

في الخلافة ليس المهم - كما يقول الشيخ الصالح - أنه « بدا للناس يومذاك أن بني هاشم كانوا يريدون الخلافة فيهم ، ويرون عليّاً أحقّ الصحابة بها لمكانته العظمى من الرسول الكريم ، وسعة علمه ومواقفه الخالدة في نصرة الإسلام » ، أو كما كان يريد غير بني هاشم . . فهذه قضية أضحّت في ذمة التاريخ ويجب أن لا نتوقف عندها إلا في حدود الموضوعية التاريخية ، ولا سيما ونحن حريصون في غمرة المشاغل الإسلامية على عدم إثارة تباؤل بين الصحابة ، ولا سيّما بعد أن شدّدنا على الحكمة الإلهية ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ولأن الإسلام دين قبل أن يكون دولة ، وإن كان ديناً ودولة في آن .

لا بد لدارس « نهج البلاغة » من أن يلمّ بهذه الحقائق التي عرضنا ، ليدرك نفسيّة أولئك الذين تألموا لأحداث تلك الحقبة وشعروا بمعاناة الإمام عليّ كرم الله وجهه ، وهو يواجه بدء الفتنة

التي أحكمت عرضاً وإثارة وتخطيطاً وتنفيذاً . وأنه كرم الله وجهه - مع رجولته ، وشجاعته ، وعلمه ، وإخلاصه - لم يقو على الوقوف في وجه التيار الزاحف هذا ، لأن مثله العليا حالت بينه وبين الإنزلاق في متاهات السلطة فيما كان خصمه على نقیض في ذلك ، الأمر الذي دفع قريش إلى القول : « ان ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب » . . . لأن الحرب التي تعنيهم إنما هي تلك التي تحملهم إلى مراتب السلطة وترفعهم إلى سؤدد الدنيا وأمجادها ، وليست في أي حال محاربة الأهواء ومجاهدتها التي كان الإمام يضحّي بحقه الشرعي في الخلافة ، لينادي بها ، وكان قبوله بالتحكيم - رغم علمه بخديعة معاوية وبطانته - أعظم دليل على إشار شأن الأمة على أي عرض من أعراض المجد الزائل . .

وهكذا فالحرب التي كانت تعنيها قريش هي « الحرب الخدعة » ، السياسة ، الحرب النفسية ، تأليب الناس بكل الوسائل ، وكل المعطيات دون الحق ، هذه الحرب التي فهمها الإمام عليّ كرم الله وجهه ، رجولة وعزة وإقداماً ودعماً للحق وتخطيطاً حيث قال : « فقيّموا الدّارع ، وأخروا الحاسر ، وعضّوا على الأضراس ، فانه أنبى للسيوف عن الهام . . . » ، أو تمرساً ، وشجاعة ونزلاً وطعناً وهو من شهد مع الرسول الأعظم (ﷺ) جميع مغازيه إلا تبوك إذ خلفه النبي عند أهله وعوضه عن أجرها

وثوابها بقوله (ﷺ) : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي » (١) .

لقد كان الإمام يدرك طبيعة الحرب التي عنتها قريش لذلك ردّ قائلاً : « الله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وهأنذا قد ذرفت على الستين .. ولكن لا رأي لمن لا يطاع .. »

ربّما حكمة الإمام في قوله : « ولكن لا رأي لمن لا يطاع » تسفر عن جوهر الصراع بين المعسكرين وتجسّد شعور العامة في هذه الحرب بخاصّة ، في معسكر الإمام عليّ كرّم الله وجهه بعد أن انتصر معاوية في الحرب النفسية وفي المطالبة بدم الخليفة الشهيد ، عثمان ذي النورين قريب رسول الله (ﷺ) مرتين .

✱

فإذا انتقلنا من إطار النبذة التاريخية الوجيزة المتّصلة بـ « نهج البلاغة » من ناحية ، وعدد من مواقف الإمام عليّ في سيرته ، وتاريخه المتألق في المثاليّة والترفع ونبيل المقصد في الذود عن العقيدة ، من ناحية ثانية .. إذا انتقلنا من ذلك إلى هذه الطبعة الجديدة من طبعات هذا السفر المتربّع فوق سدة البلاغة خلال الحقب المتوالية أمكن القول بانها صورة أدق وأوفى

(١) انظر : مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب المصدر السابق ص ٤٥ .

وأبعد عن الخلل والخطل وأنأى عن التحريف والتشويه ، من أية طبعة أخرى من طبعات « نهج البلاغة » بشرح الإمام عبده ، الذي لا يضاهيه في القديم إلا شرح ابن أبي حديد ، الذي بات اليوم مُسْتَعْصِياً على رغبة عصرنا فيما هو أيسر تناولاً وأقرب منهلاً .

وليس شيء ادلّ على استمرار الضياع المشع من شرح الإمام الشيخ محمد عبده لأدب الإمام الذي يضمّه الكتاب - النهج الذي جمعه الشريف الرضي وبوّبه على نحو ما تقدم في مطلع هذه المقدمة . . من اعتراف الدكتور الشيخ صبحي الصالح ، رحمه الله ، بتفوّقه وتقدّمه ، على العديد من الشروح في تاريخ « نهج البلاغة » إذ إليه « يرتدّ الفضل في انتشار هذا الكتاب العظيم الذي بات لا يجهله أحد من الأدباء والمتأدّبين » . واضح أن الدكتور الصالح في هذا الرأي إنّما ينوّه باستناد مئآت الطبعات التي نشرت بنهج البلاغة في الشرق والغرب ، و « إلى عهد قريب » إلى النصّ الذي أثبتّه الإمام محمد عبده وقام بشرحه .

أمّا ما يلاحظ في المقابلة ، التي عقدها الشيخ صبحي الصالح بين شرح الإمام محمد عبده وشرحه هو لنهج البلاغة ، من إضطراب في الأحكام إلى درجة التناقض ، وما يستنتج من هذه المماثلة من حملة سافرة حيناً وخفية حيناً آخر على الأستاذ محمد عبده ، ممّا لا يسعنا الخوض فيه ، لما يحيط به من الأسباب الآنية والمآرب العاجلة العابرة ، التي تبقى واهية عاجزة

عن النيل من مقام محمد عبده العريق في تاريخ الإسلام الحديث . . . إن ما يلاحظ ليس في اعتقادنا قناعة الدكتور الصالح بعلو صرحه الفكري فوق صرح الإمام محمد عبده ، ولكنه من فعل العرض الدنيوي الذي يستولي في بعض الحالات على الروح البشري ، فيوقعه في مزالق الإنفعال ويدفعه إلى الشطط في الأحكام ، وأحياناً إلى الإعجاب بنشوة الشموخ والكبر .

ولئن كنا لا ننكر على المغفور له الأستاذ صبحي الصالح التفاته إلى قيمة الفهارس ، في أي أثر من آثار السلف لأنها تضيء الطريق أمام المتأدبين والباحثين ، فمأخذنا من هذه الناحية عدم أخذه بالفهرسة العلمية الجامعة التي لا تضاهيها في أي حال من الأحوال أساليب الفهرسة التقليدية التي عفا عليها التطور التقني المعاصر .

فمن أجل كنوز « نهج البلاغة » وتعريفاً بمفردات حملت من البلاغة قطوفاً يانعة ومن الفصاحة جلاءً ووضوحاً ، ومن البيان رونقاً وتبييناً ، إلى جانب ما ذخره هذا الأثر الباقي المتطاوّل على عاديّات الزمان من علوم ، ومعارف ، ووقائع ، وأيام وأحداث ، تثبتها آيات بيّنات ، وتشرحها وتؤولها أحاديث نبوية كريمة ، وفي ضوء علم الفهارس ومناهجها وطرائقها ، أعدنا لهذه الطبعة فهرساً علمياً متطوراً متميّزاً لم يسبق إليه نرجو أن

يكون جامعاً مانعاً ، وفاتحة طيبة في التراث ، وخدمة نسديها لمحبي العربية وآدابها ، وتشجيعاً للمهتمين بالتراث وإحيائه . فقد شدد صاحب مؤسسة المعارف في بيروت على أن يكون الأول في بابهِ ، والأحدث في نوعه ومنواله تعزيزاً لهذه الطبعة من « نهج البلاغة » ، التي قوبل منها على مخطوط مكتبة الإسكوريال ، في حين روجع الشرح ، على عدة طبعات تميّزت بدقتها وفخرت بالإمام الكبير محمد عبده وعلمه شارحاً ودارساً ، واعتزت بأدبه المستساغ لأن خير الكلام ما قلّ ودلّ ولأن محمداً سيّدنا رسول الله (ﷺ) تقدم موكب الأنبياء يوم « أوتي جوامع الكلم واختصر له العلم اختصاراً » ، والله نسأل أن يجعل عملنا خالصاً له وأن يعرفنا قيمة أنفسنا ومنزلتها بالتواضع ولين الجانب ، وهو يهدي السبيل .

بيروت في ٢٧ شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق ١٤ نيسان «ابريل» ١٩٨٨

المركز اللبناني للفهرسة العلمية
والدراسات العربية والإسلامية

مقدمة

بقلم الدكتور عمر فاروق الطباع

(١)

في سيرة الإمام عليّ بن أبي طالب وشخصيّته وأدبه

*

عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب ، هاشمي من قريش ،
وكنيته أبو الحسن ، وهو ابن عم النبيّ ، وأول من أسلم على يده
من الفتيان في رأي أكثر المؤرخين .

كانت ولادته ، رضي الله عنه وعلى آله ، قبل الدعوة
الإسلامية بسنوات ، في نحو السنة ٦٠٤ م ، وأصابه اليتيم وهو في
السادسة ، فنشأ في رعاية الرسول وكنفه ، يخلص له الحب ،
ويصدقه الموّدة ويتفانى في سبيل العقيدة . يدافع عنها بسيفه ،
ويذود بلسانه ، وظلّ كذلك طوال حياته ، إلى أن قتل على يد
عبد الرحمن بن ملجم الخارجي في ١٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة ،
(٦٦١ م) وله من العمر ثمان وخمسون سنة .

ومهما تضاربت الآراء حول موقفه من الخلافة ، فقد كان

زاهداً فيها ، مع أنه من أحقّ الناس بها ، لمكانته من النبيّ ،
ومنزله في الإسلام ، وجدارته بقيادة المسلمين ، والحفاظ على
مقدّرات العقيدة وتعاليمها ، وقد ظلّ هذا شأنه ، يلتزم الحكمة ،
ويؤثر اجتماع الكلمة أثناء خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان
رضي الله عنهم ، حتى اضطرّ إلى النهوض بأعبائها ، بعد مقتل
عثمان الخليفة الراشدي الثالث ، رضي الله عنه ، وبعد مبايعة
الصحابه له سنة ٣٥ هـ - ٦٥٦ م .

*

استلم الإمام عليّ شؤون الخلافة ، في أكثر الظروف
حرجاً ، وأحلك الأوقات ظلاماً ، والمسلمون قد انقسمت
صفوفهم ، والاثرة قد خلبت قلوب بعضهم ، فلم ينكص ، ولم
يتراجع عن إقامة الحق ، وتسديد الخطى نحو الجادة . ورام أن
يصلح ما وقع فيه الخليفة عثمان من خطأ في السياسة والإدارة ،
ليقضي على المعارضة ويعود بالمسلمين إلى الجامعة الواحدة ،
فكان حازماً في عدل ، وشديداً في رفق ، وقاسياً في حق ، لا
يهادن الباطل ، ولا يتوانى عن أمر فيه الصلاح والخير ، وخنق
الفتنة وقطع دابر الخلفة . ولكن الأحداث جاءت سريعة متتالية ،
حتى تفاقم خطرهما ، وطما موجهها ، وداهم الأمة مدّها ، والمطامع
أبدت نواجذها ، والشهوات أفلت زمامها ، واسترخى عنانها ،
فكانت « معركة الجمل » ، وجاءت في أعقابها « معركة صفين » ،

فخاضهما الإمام على هدى الدين وقرآنه الكريم بقوة إيمان ، وثبات جنان ، وقد نذر نفسه لإزهاق الباطل ، وكاد النصر النهائي يعقد له اللواء ، لولا الحيلة التي تجلّت عند معاوية في حمل المصاحف يوم صفين ، حين رأى الهزيمة محدقة به ، وما تلا ذلك من أمر التحكيم على ما هو مشهور . وقد انتقل الإمام عليّ من حرب معاوية إلى حرب الخوارج - الذين نشأ حزبهم بسبب اقرار الإمام عليّ بمبدأ التحكيم - وظلّ الإمام أميناً لرسالته حتى استشهاده من أجل مثل الإسلام العليا .

شخصيته :

الإمام علي بن أبي طالب من أعظم الشخصيات الملهمة في الإسلام ، فقد جمع إلى صباغة الخلق جمال الأخلاق والآداب ، وصفات العلماء والبلغاء ، ومزايا الخطباء والحكماء . حدّث الجاحظ فقال : سئل الحارث بن أبي ربيعة عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقال : كم كان له ما شئت من خرس قاطع في العلم بكتاب الله والفقه بالسنة .. والبسطة في العشيرة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون^(١) .

وكان تقياً ورعاً يحب التواضع ، ويكره الادعاء وكان يقول : « أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج »^(٢) . وحدّث

(١) البيان والتبيين : ج ١ ص ١٤٥ .

(٢) البيان والتبيين : ج ١ ص ١٦٨ .

بعضهم فقال : « دعا رجل علي بن أبي طالب إلى طعام فقال :
« نأتيك علي أن لا تتكلف لنا ما ليس عندك » .

وسئل الحسن البصري عن علي فقال : « كان والله سهماً
صائباً من مرامي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة - لم يكن
بالنعامة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة
لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مؤنقة » .

ومن عظيم خصاله ، الدعوة للعمل ، والإجتهاد في
السعي ، ومواجهة الدنيا بالصبر على مكارهها . وقد سمع رجلاً
يذم الدنيا فقال يصفها : « الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار
نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ، ومهبط وحي الله
ومصلى ملائكته ومسجد أنبيائه وحجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة ،
واكتسبوا فيها الجنة » (١) .

ومع ذلك لم يكن لزخرف الدنيا أثر في نفسه ، وحين كان
عائداً من صفين مرّ على بعض المقابر فقال في خطابه لها : لو
نطق الموتى في هذه القبور لقاتل : « خير الزاد التقوى » (٢) .
وكان لا يأنف من كلمة الصدق أنى وجدها وفي هذا قوله : « خذ
الحكمة أنى اتتك » (٣) ، فان الحكمة تكون في صدر المنافق

(١) البيان والتبيين : ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٢) البيان والتبيين : ج ٣ ص ١٣٩ .

(٣) البيان والتبيين : ج ٢ ص ٢٩٣ .

تتلجلج في صدره ، حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها . وكان يقيس قدر الناس على قدر أخلاقهم ومروءتهم ويقول : « اعرف الحق تعرف أهله » (١) .

وكان خبيراً بنفوس من حوله ، يكره التملق والرياء ، حدث الأصمعي فقال : أثنى رجل على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، فأفرط ، فقال علي : « أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك » وقال : « قيمة كل إنسان ما يحسن » (٢) .

ولا تتجلى عظمة هذه الشخصية في شيء كما تتجلى في وصيته لقومه حين قال : « أوصيكم بخمس : لا يرجون أحدكم إلا ربّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحي أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم . وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه . وأعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد ، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان » .

ولا نعجب بعد ذلك ان لا يفوز علي بن أبي طالب في معركة السياسة لأن مثالية هذه الشخصية كانت أرفع من أن تنزل إلى حمائها .

(١) البيان والتبيين : ج ٣ ص ١٨٧ .

(٢) البيان والتبيين : ج ٢ ص ٧٢ .

أدب الإمام علي

وإذا تجاوزنا الجانب الأخلاقي من شخصيته إلى الجانب الأدبي ، طالعنا من آثاره كنوز دفيئة لا تنفد ، أفنى النقاد والأدباء حيزاً كبيراً من حياتهم ، في توضيح معالمها ، وجلاء روائعها وإبراز قيمتها ، ولا نخالهم وفقوا في الإحاطة بكل طاقات العطاء فيها . فهو في الأدب على نواحيه خطابة ، وحكماً ، وأمثالاً ، وفي البلاغة وأساليبها ، وفي علم الكلام وجوهره ، ينبوع لا ينضب ، دافق لا يتوقف جريه وزاخر لا يحده انصبابه . وكل هذا يبين اعتزاز العربية بهذه الآثار الجليلة ، واهتمامها بسبر اغوارها ، وشموخها بنيان الكلم الراسخ الأركان فيها ، والذي لا يطاله الزمن مهما تألبت أحداث التاريخ ، أو تقلبت الأيام :

(١) - حكمه وأمثاله :

الحكمة والأمثال في تراث الإمام عليّ ، ميدان واسع الجنبات ، فسيح الأرجاء يزخر يفيض عقله ، ويجيش بموار شعوره ، جمع فيه فأوعى ، وجال فصال ، وخاض ساحته فأبلى ، ونثر فيه كنائنه فإذا هي كجعبة الدهر ، كل سهم منها يصيب من حياتنا مرمى ، ويبلغ هدفاً : بعضها أخلاقي ، وبعضها اجتماعي وفي هذا وذاك ، طابع من سياسة المرء نفسه ، يدبر بها شؤونه وينظم أحواله ، ينهج عليها فيفلح ، ويترسمها فلا يضل . تعلمه أين يضع قدمه من مسالك الحياة ، وكيف يتغي الصلاح ،

ويتجنب الشرّ ، ويحيد عن الباطل . والحكمة منذ وجدت هذه سنتها وتلك غاياتها الأخذ بناصر الإنسان للوصول به إلى محجة الأمن ، ليحقق رغائبه في الوجود على أساس الفضيلة ، فيسعد ولا يشقى ويعزّ نفسه فلا يذلّ ، ويقطف جنى الخير فلا يعرف إثم الضغينة ولا سموم الفتنة والنميمة .

وعليّ عليه السلام ، في هذا كلّ غارس نشيط تربته القلب وبذوره مكارم الأخلاق يتعهدا برعايته ، لا يبخل عليها بجهد ، ولا يضمن بسقاية ، وجدها أولاً في نفسه قد آتت أكلها التي طالعتنا خيراتها في حياته الجليلة المهيبة ، فأراد أن ينفعنا بما وهب فحصدها ، فصاغها حجارة كريمة من معدن العقل وجوهر الضمير وذوب الإنسانية في قوالب من لغة تتجلى فيها سمة البلاغة ، وطابع البيان ، وقد نثرها في تضاعيف خطبه ، وبين طيّات كلمه ، فغاص عليها ذوو الفضل ، فجمعوها في كتب ورسائل ، ونقدوها في أبواب وفصول فإذا لنا فيها مرجع ، وعليها المعول .

نجد بعض هذه الحكم في نهج البلاغة ، وقد صنفها الباحثون في مجموعات عديدة منها « نثر اللآلى » و « بعض الأمثال »^(١) ، و « طفاقة بعض الأمثال » و « بعض الحكم »^(٢) .

(١) جمعها النيسابوري .

(٢) نشرها الأب لويس شيخو .

(٢) - رسائله :

وتشكّل الرسائل الجانب الثاني من تراث الإمام علي ، وهي الكتب التي كان يرسلها إلى عماله وولاته في الأمصار ، أو يتبادلها مع صحبه ، أو يبعث بها إلى أهل الكوفة والبصرة ، ومنها كتبه إلى معاوية ، وجميع هذه الكتب تتصل بتلك الشخصية التي حددنا بعض عناصرها ، وتتناول شؤون الإدارة والسياسة وهي وثيقة العلاقة بالأحداث التي نشأت بعد مقتل عثمان ، وتوليه مقاليد الخلافة وشؤونها .

(٣) - الخطابة في أدب الامام :

وهي القسم الثالث من آثاره ، وأكثرها اتساعاً ، تحدّث عنها المسعودي فذكر أنها نحو أربعمئة ونيّف وثمانين خطبة « يوردها - الامام - على البديهة »^(١) وقد ظلت هذه الخطب متداولة بين الناس حتى نهض الشريف الرضي أو المرتضي (٣٥٩ - ٤٠٤ م) بجمعها في كتاب « نهج البلاغة » الذي ضم بالإضافة إليها وصايا الإمام وكتبه .

وقد شك بعض المؤرخين في نسبة صحة « نهج البلاغة » إلى الإمام علي ، وكان ابن خلكان أول من اثار هذه المسألة بين الأقدمين ، واعتبر نهج البلاغة من تأليف جامع .

(١) المسعودي : مروج الذهب ، الجزء الرابع ص ٤٤١ .

وذهب المستشرق كليمان هيوار إلى انه من تأليف علي بن طاهر المرتضى^(١) . أما أسباب الشك في نظر النقاد فكثيرة من أهمها ، أسلوب الكتاب المنمّق ، وما فيه من ضروب الصناعة - ولا سيما السجع - التي لا تتفق مع طبيعة النشر في صدر الإسلام ، واحتواء بعض الخطب والرسائل على ألوان من التعريض بالصحابة والتهجّم عليهم واستبعاد هذا الخلق عن الإمام لما عهد فيه من الصفات الحميدة ونبل الخلال . ومن أبرز دواعي الشك ظاهرة التقسيم العددي في الكلام^(٢) ، التي لم تعرف إلا في مطلع العصر العباسي بعد بدء حركة الترجمة ، وهي من خصائص الفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية المحدثّة ، وقد استبعد النقاد صدورها عن الإمام علي لأنها غريبة عن طوابع الأدب في الحقبة التي عاش فيها .

على أن هذه الأسباب لا تحتم الشك بكل ما جاء في هذا الكتاب ، ولكنها تؤكد أن غير قليل من محتوياته قد تعرض لطرق شتّى من التحريف ، بعضها من قبيل السهو والخطأ ، وبعضه من قبيل القصد ، لأغراض مختلفة وغايات متباينة . يقول صاحب الروائع في معرض الكلام على الكتاب : « ويمكن أن يكون الشريف الرضي نفسه أتم بعض تراكيبه ، أو زاد في بعض

(١) وهو أخو الشريف الرضي .

(٢) الروائع : الحلقة ١ ص ٢٣ .

شروحه لا إفساداً لكلام جدّه ، أو دسّاً في أقواله . . بل لتوسيع
فكر غامض ، أو شرح حكمة كثيرة الإيجاز وهناك النساخ وأيّ
كتاب يأمن عثراتهم ، وكل هذه الأمور لا يتجاوز ضررها على
الغالب ، بعض الجمل والتعابير مما لا يؤبه له . إلا أن بعض
الدارسين يُخالف هذا الرأي لأن إدخال طريقة التقسيم الرياضي
الفيثاغورية ، وأصول المنطق ، ومباحث علم الكلام على الكتاب
ليس مجرد توسيع لفكر غامض ومن شأنه أن يدفع إلى الشك
بقسم لا يستهان به . وصاحب الروائع نفسه يقول بعد إظهاره عدم
المبالاة بما وقع في الكتاب من تحريف : « وإذا علمنا أن إدخال
الأعداد في الحكمة الأخلاقية ، وفي ترتيب المجردات
والمعقولات ، له الدور المهم في المذاهب المتشعبة عن الطريقة
الفيثاغورية . . . وإذا علمنا أن العرب لم يعرفوا هذه الفلسفة إلا
بترجمة كتب اليونان في العصر العباسي الأول ، وإذا علمنا أن
الشريف الرضي كان من الحكماء الاجلاء والعلماء المعروفين وانه
عاش في العصر العباسي الثالث ، ساغ لنا هذا الشك » .

على أن فريقاً آخر من الدارسين ، لم يوسع نطاق الشك
بحيث يشمل كل محتويات الكتاب ، بل حصروه في الخطب ذات
الطابع الماورائي ، وفي تلك التي تبدو شديدة التكلف ، وقالوا :
« وأكثر ما صحّ من خطبه متصل بالسياسة »^(١) .

(١) طه حسين ، وأحمد أمين . . في كتاب المعجم في تاريخ الأدب العربي ص ٨٦ -

اتجاهات الخطابة عند علي :

للخطابة عند الإمام نفس الإتجاهات التي يتضمنها تراثه الأدبي عامة . ولعلّ أصدق تصوير لهذا التراث ما قاله الشيخ محمد عبده في مقدمة شرحه لنهج البلاغة : « كنت كلّما انتقلت من موضع إلى موضع - من الكتاب - أحسّ بتغير المشاهد وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحى إليها رشادها ، وتقوّم منها مرادها وتنفر بها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال . وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة وأرواح في أشباح النمرور ، ومخالب النسور ، قد تحفّزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب ، فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماسها ، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء . وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الإنساني ، فخلعه عن غاشيات الطبع وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجلّ ، وآتات كأني اسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصرهم مواضع الإرتياب ، ويحذرهم مزالق الإضطراب ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصات

الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن
المصير» .

وكأنني بالشيخ لم يصف الكتاب بمجمله وحسب بل وصف
أيضاً ناحية الخطب فيه على ضروبها وطوابعها . والدارس لهذه
الخطب يجدها قسمين متميزين : دينية ، وسياسية .
(١) - الخطب الدينية :

وهي ضربان : أخلاقية ، وكلامية ، مصدرها آداب الإسلام
وتعاليمه ، ومنبتها القرآن وسنة الرسول .

فالأخلاقية دعوة صادقة إلى العمل الصالح ، وحث على
الفضائل ، والسمو بالنفس عن الصفائر ، والأخذ بها إلى دروب
وضروب من عظمة الذات وصفاء الأعماق . ومن خلالها تبرز
شخصية الإمام في خلقها المثالي ، وتبدو متشحة باثواب الورعين
الأتقياء الذين يعرفون الخير في جوانحهم فيريدونه للناس ،
يهدونهم إليه ، ويدفعونهم نحوه ، ويغرونهم به ، ويصورون ما فيه
من سعادة الروح ، وهناء القلب ، وطمأنينة الضمير ، وهدأة
الجوارح ، واستكانة الغرائز ، في عالم يسوده الأمل ، ويكتنفه
الرجاء ، ويغنيه الزهد ، ويعمره الإيمان وتزينه العبادة الخالصة
للبارئ الكريم ، لا يعرف المؤمن فيه شوك المطامع ، أو ثورة
الأنانية ، أو وطأة الندم .

وقد يصل الإمام إلى هذه المعاني في إطار التنديد والردع ،

والتبكيّ والزجر ، فيثير مشاعر الخوف من الزلزل ، فيهلّ على سامعيه ، ويحيطهم بأجواء من الرهبة ويصوّر لهم الدنيا حقيرة فانية ، وتافهة زائلة كقوله من خطبة : « أيها الناس انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها ، الصارفين عنها ، فانها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن ، وتفجع المترف الآمن ، لا يرجع ما تولى منها فادبر ، ولا يدري ما هو آت منها فينتظر ، سرورها مشوب بالحزن ، وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن » .

وتراه يذكر باستمرار بالآخرة ، ويعظّم يوم الحساب ، حين ينساق الناس بين يدي الباري ينالون جزاء أعمالهم ، يلبس الضالون من ضلالتهم أثواب الذلة والاستكانة ، كقوله من خطبة : « حتى إذا تصرمت الأمور ونقضت الدهور وأزف النشور أخرجهم من ضرائح القبور وأوکار الطيور .. سراعاً إلى أمره مهطعين إلى معاده رعيلاً صموتاً ، قياماً صفوفاً .. عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة » .

ويلاحظ أن هذه الخطب الدينية الأخلاقية ذات نسق ونظام ، يتشابه سياق أجزائها ، وتتقارب معانيها وصفاتها ، وغالباً ما تشتمل على الأفكار الرئيسة الآتية :

١ - ذكر صفات الله وتعظيمه .

٢ - الدعوة إلى التقوى والعمل الصالح ، والترغيب بالآخرة

ونعيمها . .

٣ - ذم الدنيا وتحقيرها ، والتذكير بالحساب ، والتحذير من

العاقبة والمنقلب السيء .

وأما الكلامية ، فقد قصدنا بها تلك الخطب التي تظهر فيها طوابع علم الكلام ، لأنها تدور حول موضوع الإلهيات ، وتمجيد الله وذكر صفاته الكمالية ، على نحو ما نجد في تاريخ الفرق الإسلامية وخاصة المعتزلة .

وهذه الخطب ذات الصبغة الماورائية التجريدية ليست موضع يقين الباحثين كما أشرنا لأن أسلوبه بما فيه من خصائص الجدل والمنطق وروح الفلسفة والكلام عن الأئمة يجعلها أقرب ، في نظرهم إلى طبيعة العصر العباسي ، الذي تبلورت فيه فلسفة الفرق الشيعية حول الإمامة . ومن هذه الخطب قوله : « الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ، وبمحدث خلقه على أزليته ، وباشتباههم على أن لا شبه له ولا تحجبه السواتر ، لافتراق الصانع والمصنوع ، والحاد والمحدود ، والرب والمربوب الأحد لا بتأويل عدد ، والخالق لا بمعنى حركة ونصب ، والسميع لا بأداة ، والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسّة ، والبائن لا بتراخي مسافة ، والظاهر لا برؤية ، والباطن لا بلطافة . بان من الأشياء بالقهر لها ، والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منه بالخضوع له ، والرجوع إليه . من وصفه فقد حدّه ، ومن حدّه ، فقد عدّه ، ومن حدّه فقد أبطل أزلّه ، ومن قال : كيف ، استوصفه ، ومن قال : أين : فقد حيّزه . . . وإنما الأئمة قوّام الله على خلقه ،

وعرفاؤه على عباده ، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا من أنكره وانكروه . . . » . فالتأمل لهذا الكلام يلاحظ فيه أثر العقيدة الإسلامية المتفلسفة ، والإشارات الواضحة إلى بعض الفرق كالمشبهة ، وملامح البعض الآخر كالصوفية ، ومعاني التوحيد ، وتنزيه الله عن التجسيم ، والحكمة من خلق العالم التي أفاضت فرق المعتزلة والشيعة فيها .

(٢) - الخطب السياسية :

وهذه تتصل بالظروف التي رافقت مبايعته بالخلافة والفترة التي امتدت فيها هذه الخلافة . وهذه الخطب منها ما يتعلق بالسياسة الدينية ، وهي لذلك تتسم بسمة الوعظ والإرشاد إلى سبل الخير والصالح المستمدة من تعاليم العقيدة . ومنها ما يتصل بالأحداث والفتن التي قامت . وهذه الأخيرة تشتمل على معان رئيسة ، من أهمها : ملابسات مقتل عثمان ، وموقفه من معاوية ، وتفنيد أقوال مناوئيه ومنافسيه وحث أصحابه على القتال وتبيان حقه في الخلافة . وقد نجد فيها دلالات كثيرة على تاريخ تلك الحقبة الأخيرة من صدر الإسلام منذ خلافة الإمام ، ومعركة الجمل ، وموقعة صفين وذيولهما . وتتخلل الخطب السياسية خطوط واضحة تنصّ على مثالية الحكم ، في نصرة الحق ، وتدعيم مبادئ العدل ، وتحديد واجبات الحاكم ومسؤولياته تجاه الأمة ، وما ينبغي على الأمة تجاه حكامها . وكان لا بدّ أن تتجلى

في هذه الخطب روح الجدل والحجاج ودحض الأقاويل ، وردّ الافتراءات ، وإبطال الذرائع المغلوطة والآراء السقيمة . وهي على الجملة انعكاس صادق لتلك الفترة الخطيرة في تاريخ الإسلام .

شخصية الامام السياسية :

تجمع هذه الشخصية بين صفتين : الرفق والحزم ، وتمزج بين اللين والعنف ، بين ما في الدين من تسامح ونبل وسمو ، وبين ما تتطلبه الإدارة والمصلحة العامة للمسلمين من ضرب على يد المفسدين والمغرضين الذين يدسون سموم التفرقة بين الصفوف لتحقيق مآربهم ونيل مغانم السيادة . وهي لذلك عودة إلى سياسة الخليفة الراشدي الثاني ، عمر بن الخطاب ، بعد أن أفضت سياسة عثمان إلى بلبلة الخواطر وإثارة النقمة وقيام المعارضة القوية التي أدت إلى مقتل عثمان بالذات ، لما كان فيها من المحاباة والاستعانة بالأقرباء والتهاون في تطبيق مبادئ الشريعة .

ولعلّ خطبة الإمام عليّ الأولى التي قالها في المدينة بعد مبايعته ، تكاد تكون صورة واضحة لتلك السياسة . ومن أبرز ما جاء فيها :

١ - التحذير من عواقب الضلال :

« فلا يدّعين مدّع إلا على نفسه . هلك من ادعى ، وردي من اقتحم » .

٢ - النصح بالتوسط في أمور الدين : اقراراً لمبادئ الكتاب
والسنة :

« اليمين والشمال مضلة والوسطى الجادة ، منهج عليه أم
الكتاب والسنة وآثار النبوة » .

٣ - اظهار التشدد في أمور الدين :

« إن الله يداوي هذه الأمة بدواعين : السوط والسيف . . .
من أبدى صفحته للحق هلك » .

٤ - اصلاح ذات الين بالتغافل عما مضى والسعي لما هو
أجدى :

« عفا الله عما سلف . . . وما علينا إلا الاجتهاد » .

✱

خصائص خطابة الإمام :

لعل ما ذكره الشريف الرضي ، في مقدمة « نهج البلاغة » ،
خير ما وصف به أدب الإمام عليّ في جليل معانيه وروعة مبانيه ،
وما تضمنت « من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر
العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية . . . إذ كان أمير المؤمنين
عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومتشأ البلاغة ومولدها
ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى
أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ » .
وقد عبّر بعضهم عن هذه المزايا الكثيرة في عبارة جامعة وصفت

أدبه بأنه : « دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق » . ولا بد أن
نكشف عن جوانب هذه البلاغة على ضوء خطبه ، تفصيلاً لما
أجمله المتقدمون ، وتفنيداً لما أوجزوه وتعداداً لما اكتفوا معه
بالإشارة والقول الجامع .

ترتكز بلاغة الإمام في خطبه على عناصر مختلفة ، في
مقدمتها تفقهه بالدين ، ورسوخ قدمه في تعاليمه ، وطول باعه في
معرفة أوامره ونواهيه ، وغوامضه وخفائيه ، وأسرار حكمته ، ورائع
معانيه ، وفصيح تعابيره . وهو لذلك لا يفتأ يستوحيه في كل ما
يقول ، واعظاً منبهاً ، أو زاجراً رادعاً ، أو محذراً مخوفاً ، أو
معوّفاً متشدّداً ، بحيث تظهر غيرته على العقيدة وإخلاصه في
الدود عن حياضها ودفع الأخطار المحدقة بالإسلام ، فتتعانق عنده
السماحة بالشدة ، والرفق بالصلابة واللين بقوة المراس .

وتتكشف التعاليم الإسلامية في خطب الإمام عن عاطفة
دينية عميقة ، تهون إزاءها كل مطامع السياسة ، وشهوات الدنيا
وزخرف الحياة ، فإذا هو يأسر سامعه بخوارج قلبه المؤمن ،
وعظمة ذاته الورعة ، ويزين كلامه بجلال التقوى ويلبس معانيه
ثوب الزهد ، في صدق بالغ ، يمتلك به مشاعر جمهوره ، فتقع
عباراته في النفوس وقعاً رقيقاً هادئاً . وقد يلجأ إلى العنف والشدة
بدوافع هذه العاطفة نفسها ، وهو في هذا الأسلوب وذاك لا يكتفي
بمنطق الشعور ، وإنما له من منطق العقل ردف وعون ، فهو

يهيء بالأول وجدان السامع ويغزو بالثاني عقله . فيصل إلى
مرامي بعيدة من الاقناع بحيث لا يجد أحد عليه مأخذاً ، فتخشع
القلوب أمام لمسات قلبه الكبير ، وتنصاع العقول أمام مدّ عقله
النافذ . وإذا الكلمة في خطبه سحر يمتلك الجوانح وحكمة
تستكين لها الأفئدة ، وحجة بالغة تغلّ كيد الخصوم وتقارع أقاويل
الأعداء وتدحض أباطيل المنافسين . ولئن لم تعط هذه البلاغة
ثمارها العملية في ردّ الحق إلى نصابه وإرجاع الأمور إلى يانابيعها
الأصيلة فلأن الأحداث جاءت متلاحقة ، ولأن النفوس ضلّت في
مناهات الدنيا ، وأعمتها زخارف الحياة . وقد أثر الإمام أن يظلّ
منهج العمل عنده متفقاً مع منهج النظر ، والشكل مؤتلفاً مع
الجوهر ، وسياسة الدين مقدّمة على سياسة الدنيا ، وقد كان ذلك
في تاريخ تلك الحقبة من صدر الإسلام عودة إلى البدء من
انطلاقة الشعلة في الإسلام وإشراقة جديدة في حدثه العظيم تلك
الاشراقة التي غابت أنوارها قليلاً في عتمة الظروف ولكنها عادت
فيما بعد لتبقى خالدة العطاء .

وقيم التعبير في تراث الإمام الخطابي خير اداء معجز للقيم
المعنوية شعورية وجدانية ومنطقية عقلية ، في هذا التراث
بالذات ، حتى الحرف في عبارته له مركزه في هذا البناء ،
الشامخ في صلابة وقوة على أعمدة البيان ، وأسس الإفصاح .
فهو يتعانق مع اللفظة ، فينسجمان في العبارة اللينة حتى كأنها

همس ، والصاخبة حتى كأنها جلجلة وهدير ، المناسبة حيناً في إحياءات علوية ، والدافقة حيناً كسيل جارف لا يصدمه شيء ولا تعوقه حواجز . انه الكلام الذي قد ينتقص الوصف من روعته ، لأن البليغ من القول قد يصعب تحديده . ومن أبرز مظاهر العبارة عند الإمام ، الكيفية المتنوعة ، والنوعية المتكيفة ، الخالقة لأجواء من التناغم ، البعيد عن الرتابة والتزويق والصناعة ، المليء بالالتفاتات الرائعة ، في وضوح وتأکید وجزم تارة ، وفي إشارة وتلميح ورمز ثانية ، وفي انتقال دائم بين الصيغ ، من الإنشاء إلى الإخبار ، فتراه يأمر وينهى ، ويثبت وينفي ، وهو دائماً يحسن الانتقاء ، في المعاني والبيان ، ولا يلح على ثمار البديع إلا ما دان له من قطوف رياضها ، ينساق له في طواعية لا تنفر ، وعفوية لا تؤذي الذوق ، حتى يخرج الكلام من بين يديه مرسلأ في نظام بديع ، ويبدو لك جامعاً ، ويغدو على الألسنة أمثالاً وحكمأ ، تبصر وتوقظ ضمائر الهجّع ، وتلدّع لتقرّع وتندّد ، استنهاضاً للعزائم الفاترة والهمم المتقاعسة ، فإذا هي تجرح لتشفى ، وما أبلغ الكلمة إذا كانت مبضعأ لا يقسو إلا ليرحم .

*

وبعد فهذا غيض من فيض في الكشف عن بلاغة الإمام علي وسحر بيانه وعميق فكره ونبيل ما في وجدانه وشعوره من قيم الحق والخير . وفي بعض ما ذكرنا من روائع كلمه أقباس من

الهداية لمن رام جادة الحق والصواب ، وأعلام مشعة بالنور لمن
تطلع إلى ثمرات الهدى والإيمان وعطاء الأفئدة النضاحة بالبديع
البهي الذي لا يبلوه كرّ الجديدين .

(٢)

أضواء على سيرة الإمام محمد عبده

*

يحتل الإمام محمد عبده، في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث، منزلة مرموقة لا يضاهيه في شموخها ورفعتها بين أعلام عصر الإنبعث ، سوى نفر قليل من أقطاب الحركة الإصلاحية ، الذين رأوا بشاقب نظرهم وعميق فكرهم وواسع ثقافتهم ، أن النهوض بالأمة الإسلامية ، بل الخروج بالشرق العربي من ديجور التخلف والانحطاط إلى معارج الرقي والتقدم . . لا يكون إلا بالثورة على التقليد والجمود ، وتحطيم أثر القرون الطويلة من الخمول الذهني وتوقف البحث العقلي والاجتهاد .

فهو في هذا المضمار الصعب الذي سقط دون بلوغ محجته كثير من فرسان النهضة ، لا يجاريه إلا كوكبة من العلماء الذين لا تكتمل في أعينهم فضيلة العلم إلا إذا كانت مقرونة بفضيلة العمل والجهاد وجهه معاقل الانحلال ، ومحاربة الطغيان والاستبداد . . وبين هؤلاء محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني ، وعبد الرحمن الكواكبي ، وخير الدين التونسي ، والشيخ حسين الجسر ومن سار على خطاهم وعمل بهديهم ، وعلى رأسهم رشيد رضا ، والأمير شكيب ارسلان ، ومحمد بيرم التونسي ، وطاهر الجزائري ، وعبد القادر المغربي ، ومحمد كرد علي .

إن العديد من هؤلاء العلماء الأجلاء ، الذين تزعموا النهضة الثقافية في العواصم الإسلامية والعربية ، في القاهرة ودمشق وبغداد وطرابلس ، وفي بيروت ودمشق ، لم يعاصروا الإمام محمد عبده وحسب ، بل كانت تشدهم إليه أواصر دقيقة فكريّة وأدبيّة ، لا سيّما وجلّهم من تلامذته ومريديه ، الذين رأوا فيه المثل الأعلى في الإيمان بالحق والقدوة الصالحة نحو منابت العزّة ، والدرب الصاعدة إلى منبج الوعي ، والمنهج القويم إلى مبادئ الحياة الكريمة وأسباب اليقظة الوطنية والقومية . كما تمثّلوا فيه القيادة الحكيمة التي تأخذ بيدهم للتغلّب على أسباب الضعف في ربوع أوطانهم ، والقضاء على الرجعية المقيتة التي تتحكّم في نفوس مواطنيهم ، لتجعلها مسرحاً للأباطيل والضلالات ، وميداناً للغواية والجهالة ، وفريسة سائغة لدعايات المستعمرين ، وأهدافاً سهلة للمغرضين المتحاملين على العقيدة السمحة ، المفتّنين في بثّ سموم الفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، بإثارة الفتن السياسيّة ، أو إذكاء العصبية الدينيّة . فقد كان الإمام محمد عبده في حياته وتعاليمه الخصم العنيد للأفئدة المتهافتة ، والعقول القاصرة المحدودة آفاقها ، العاجزة عن النهوض من حالة الهجوع والانكفاء ، إلى واقع أمثل ومستقبل أفضل .

*

كانت ولادة محمد عبده بن عبده بن حسن خير الله عام

١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) بناحية من نواحي إقليم البحيرة في مصر
تعرف بـ « محلة نصر » . أمّا نشأته الأولى فكانت في بيئة ريفيّة
من تلك البيئات التي تحتضنها منطقة الدلتا المصريّة . ولئن كان
الواقع الماديّ في كنفه العائليّ وسطاً بين اليسر والحاجة ، فانه
من حيث المكانة الاجتماعيّة يتنسب إلى أسرة مشهورة بمكانتها
العلميّة وسيرتها الخلقيّة . وفي جذوره عراقية تركيّة من ناحية الأب
وأصالة دينيّة إسلاميّة من ناحية الأم . فالنسّابون يربطون أصل أمه
بعدد من رجالات الإسلام القدامى الذين سجّل لهم التاريخ مآثر
في الذود عن حياض الدين ، وبطولة في ساحات الجهاد . إلّا أن
النسب الأعظم الذي تطلّع إليه محمد عبده منذ طفولته وحدثته
كان شرف العلم والسيرة الحميدة . وقد دأب لذلك على حفظ
القرآن الكريم ، في مدرسة القرية الصغيرة صبيّاً ، وتحمّل صعب
الأسلوب التعليمي الديني في الجامع الأحمدي في مدينة طنطا
يافعاً ، وفي رحاب الأزهر الشريف فتى وشاباً . وذكر الزيّات انه
« مني في أول دراسته بمعلمين غير أكفاء » فكاد أن يصاب بالسأم
لولا رعاية صالحة ونصح دؤوب من خاله الشيخ درويش ، ولولا
جدّ ضاحك أعانه على وصل خطاه بخطى أستاذ الجيل الأكبر
آنذاك عنيّا جمال الدين الأفغاني . فقد اتّصل به محمد عبده اثناء
زيارته الأولى إلى القاهرة قبل أن يستأنف الأفغاني سفره إلى
الآستانة . ثم انقطع إليه بعد عودته إلى الديار المصريّة في العام

١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) . وظلّ يرشّف من مناهله السخّية ، ويتزوّد من علمه الجَمّ وأدبه العالي وخلقّه الكريم حتى علا كعبه في علوم الأوائل وزاد شغفه بالثقافة الحديثة ولا سيّما تاريخ الحضارة الأوروبيّة . ويجمع الذين عنوا بالترجمة لحياة الأفغاني وسيرته على أن محمد عبده كان أثر تلامذة الأفغاني إلى نفسه وأعظمهم حظوة عنده ، وحين غادر مصر قرّظ الأستاذ تلميذه قائلاً « إني خلّفت في مصر خيراً كثيراً في علم الشيخ محمد عبده » .

*

حين بلغ محمد عبده الثامنة والعشرين (عام ١٢٩٤ هـ) فاز بالدرجة العالمية بعد أن أضنته رحلة الطّلب في سعي حثيث وراء مختلف العلوم من دينيّة ولغوويّة وعقليّة . واستحقّ بنجاحه في طور الأستاذيّة لقب الأستاذ الإمام . فقد أظهر براعة وتفوّقاً في تدريس الآداب والتاريخ ومختلف العلوم اللسانية بدار العلوم وهي إحدى الكليّات الحديثة التي انتدب محمد عبده للتدريس فيها . وكانت محاضراته في إعداد طلّابه من المؤهّلين للتدريس والقضاء ، تتناول فيما تتناول من الثقافة النيرة ، فلسفة التاريخ والإجتماع عند ابن خلدون وتاريخ الحضارة الغربية للمؤرخ « غيزو » ، وفلسفة النفس والأخلاق لابن مسكويه . وكان هذا ايذاناً بعهد جديد في التعليم الأزهري وبداية سياسة جديدة في التربية العقلية ؛ إيماناً مبكراً من الإمام الأستاذ بضرورة تطوير

مناهج التعليم الديني ونفحها بنفحة من العصريّة والحداثة . ولم يقتصر محمد عبده على مناوأة الرجعيّة الفكرية ، فقد كان ضالماً في مناوأة الرجعيّة السياسيّة « وكان - في مقدّمة - من شايع وبائع وأفتى بخلع الخديوي توفيق » ، مؤثراً في هذا الإتجاه بقيام الثورة العربية ، ومتأثراً بنتائج فشلها ، فقد أفاد محمد عبده عندما عين رئيساً لتحرير صحيفة « الوقائع » ، من مركزه النافذ ، فمزج كلمته ، بالإضافة إلى الأصالة العربيّة بالفكر السياسي الذي رضعه على يد الأفغاني . ونفح النفوس بعدد من المقالات الاجتماعيّة والتربويّة الناقدة حتى غدا في طليعة الزعماء القوميّين ، المؤسسين لحركة « المقاومة الشعبيّة » . وعندما استتبّ للانكليز احتلال مصر وأنهار النضال القومي بعودة الخديوي توفيق إلى الحكم « سجن - محمد عبده - وعومل معاملة سيّئة . . . ثم حكم عليه بالنفي لمدة ثلاث سنوات » ، فقدم إلى سورية وأقام مدة في بيروت قبل أن يوافي الأفغاني في باريس ، ليكون ساعده في تنظيم حركته النضالية وبث روح الثورة على الأنظمة البالية ومعاقلة الطغيان ، فأصدرها معاً مجلة « العروة الوثقى » التي شغلت بمنبرها الحرّ الداوي أذهان الناس في سائر الأقطار الإسلاميّة الناطقة بالضاد .

وقد قنص الإمام محمد عبده السانحة ، بوجوده في العاصمة الفرنسيّة فقبس طويلاً وعميقاً ، من روافد اللغة الفرنسيّة وآدابها ، وأضفى من هذا الرداء الحضاري على آدابه العربيّة روحاً ظليّة

بقيت على الدوام حافزاً له على الجدة في الرأي ، والانطلاق في العقيدة إلى معارج الإجهاد وحومة الإرتقاء . يسعفه في ذلك عقل نير وطموح متوثب ، وبيان واضح . فلما عاد إلى ربوع الوطن تألق نجمه في القضاء والتدريس على السواء فكان المعياً كمستشار في محكمة الإستئناف ، كما كان ناصح الحجة في عضوية المجلس التشريعي ، وفي منصب الافتاء وكرسي الأستاذية حتى بات « درسه مجمعاً لرجال القانون والأدب والصحافة والتعليم » .

*

وأبرز ما في فلسفته الإصلاحية أنه كان من ألد أعداء الإنحطاط الإجتماعي والعقلية التقليدية في شتى مجالاتها ، فقد هاله تقدّم الغرب ورسوف الشرق - في المقابل - مغلولاً بالأوهام والأباطيل . فقد أراد أن تكون معاهد التعليم في مصر والعالم الإسلامي هي التي تحتضن الثورة على التخلف فدعا إلى التفاعل بين الأصالة والحداثة ، وبين جوهر القديم وروح العلم الحديث وكان شعاره في ثورته الفكرية ضرورة تغيير الشرائع والأحكام بمعيار تغير الأمم والشعوب . ولم يكن محمد عبده بهذا الشعار من دعاة تغريب الشرق ، أو جعل المجتمع المصري على غرار المجتمع الغربي الحديث ، لأن إيمانه بالتطور كان من الناحية العملية رهناً بقاعدة طردية ، فأحوال الأمم حين تبدل تستتبع تبدلاً

أو تغيّراً في الشرائع ، وليس العكس . وعلى نحو آخر ، كان محمد عبده يقول أن الشرائع لا تكون ذات فاعليّة ما لم تتّصل بالأوضاع والأحوال والقيم الخاصة ببلد من البلدان أو مجتمع من المجتمعات . يقول البَحّاثَة ألبرت حوراني في دراسته للفكر الإصلاحي في أدب محمد عبده « كان هدف محمد عبده في جميع أعماله وكتاباتهِ . . سدّ الثغرة القائمة في المجتمع الإسلامي بغية تقوية جذوره الخلقيّة . ولبلوغ هذا الهدف رسم طريقاً واحدة هي عدم الرجوع إلى الماضي وتوقيف مجرى التطوّر الذي بدأه محمد علي ، بل الإعتراف بالحاجة إلى التغيّر وربط هذا التغيّر بمبادئ الإسلام ، وذلك بإثبات أن هذا التغير الحاصل ليس مما يجيزه الإسلام وحسب ، بل إنّما هو من مستلزماته الضروريّة إذا فهم على حقيقته ، وأن الإسلام يمكنه أن يشكّل في الوقت نفسه ، المبدأ الصالح للتغيّر والرقابة السليمة عليه » . ويلخص الأستاذ أحمد حسن الزيات أثر محمد عبده في اللغة والأدب والعلم والدين بقوله : « كانت اللغة في عهده فريسة العجمة رهينة البلى فجاهد في إنقاذها وإحيائها حق جهاده . . . ورأى أفق الدين - غائماً - بسحب البدع والأضاليل ، فأطلع الأستاذ من فكره وعلمه نوراً بدّد غيوم الباطل ، وجدّد رسوم الحق . . ورأى العلم قد أخذ ينغّض إلى الدين رأسه^(١) ، فوقف بينهما موقف المؤلّف

(١) نغض : بتشديد الغين : حرّك ، والعبارة كناية عن محاولة افساد الدين والعقيدة .

الموفق كما فعل ابن سينا وابن رشد من قبل . . . وجملة القول أن الإمام . . . كان من أولئك الأعلام المجتهدين والعلماء المحققين الذين يصطفاهم الله من خلقه لنصرة حقه ، فيجدّدون حبل الدين ، ويشيدون أركان العلم ، ويدفعون عن الأرض الفساد . وقد أسهب الدكتور أحمد أمين في تعداد مناقب الإمام في الوطنية والتعليم والإصلاح فأعجب بمواقفه في ميدان العلم والعمل ونوّه بآثاره وأبرزها « شرح نهج البلاغة ، ومقامات بدیع الزمان . . . وتفسير القرآن الكريم » ، ونضيف إليها كتابه في « الإسلام والردّ على منتقديه » و « رسالة التوحيد » .

ولم يغفل أحمد أمين أثر محمد عبده في الحركة العلميّة ببيروت ، فقال : « ودعي للتدريس في المدرسة السلطانية ببيروت فأصلح برامجها ونقلها إلى درجة أرقى بكثير ممّا كانت ، نقلها من شبه مدرسة أوليّة إلى شبه مدرسة عالية ، وشغل نفسه في التدريس فيها . . . فكان يدرّس التوحيد والمنطق والبلاغة والتاريخ الإسلامي والفقه . . . واتخذ بيته ندوة للحديث العلمي والأدبي . . . وكان لبقاً في دروسه وأحاديثه ، يشتاّق إليها المسلم والنصراني » .

❖

تلك نبذة - إن لم تكن مستفيضة - عن شخصيّة الإمام ودوره في الإحياء والتجديد ، فهي كافية ذات دلالة ناصعة على وزنه الراجح في مختلف ميادين الحياة ومرافق العلم والإجتماع ، في

اللغة والدين والتشريع والافتاء ، والصحافة والنقد ، والسياسة والأدب . إنّ هذه الذخيرة الحيّة من المعرفة والإخلاص ، والأصالة في العقيدة ، والبعد عن الدجل والمختل والمكر ، والتشبث بالحق والصراحة ، والصدق والأمانة - مهما كانت العواقب ، وأيّاً كانت المخاطر - أعظم شاهد على جدارته بخوض بحر البلاغة الزاخر وعبابه الغامر ، وهو يقبل على شرح كتاب « نهج البلاغة » الممثل لتراث أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب وهو من هو في دوحة البيت النبوي ، وهو من هو في بنيان الإسلام جهاداً واجتهاداً ، فقد كان محمد عبده على غرار الإمام عليّ ذاباً عن حمى الدين وذائداً ، وفي ترسيخ أصوله منافحاً وناجحاً ، وفي الخروج به إلى معترك التعامل والتمرس قدوة ومثالاً .

✱

فلا يداخلنّ أحداً العجب ، ولا ينالنّ من إنسان الدهول أو الغربية ، حين نؤكد بأن شرح الإمام عبده لتراث الإمام عليّ الفكري في العصر الحاضر ، ظلّ المنارة المشعّة التي تسعى إلى ضوئها سفائن المبحرين في محيط البلاغة الطالبية خلال نحو من نصف قرن ، وسيظلّ هذا الشرح إلى جوار شروحات الأوائل وعلى رأسهم ابن أبي حديد واليبنوع الدافق والكوثر العذب الذي لا يدانيه في دقته وسموّه وفصاحته وإصابته الحقيقة ، شرح

الشارحين المتطفلين على موائد الإبداع ، الذين ليسوا عائلة على
البلغاء وحسب بل أولئك الذين ، بصلفهم وأدعائهم ، عائلة على
القيم ، كل القيم^(١) .

بيروت الأول من ربيع الأول ١٤٠٩
الموافق ١١ تشرين الأول ١٩٨٨
عمر. ف. الطباع

(١) لمزيد من الالمام بشخصية الإمام محمد عبده وآثاره وفلسفته الإصلاحية انظر :
- زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين .
- تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات .
- الفكر العربي في عصر النهضة لألبرت حوراني .
- الإمام محمد عبده (من ديوان النهضة) - دار العلم للملايين .

مقدمة الأستاذ الإمام محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدُ الله سياج النعم ، والصلاة على النبي وفاء الدم ، واستمطار الرحمة على آله الأولياء ، وأصحابه الأصفياء ، عرفان الجميل ، وتذكّار الدليل .

وبعد ، فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب « نهج البلاغة » مصادفة بلا تعمل : أصبته على تغير حال ، وتبلبل بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال ، فحسبته تسلية ، وحيلة للتخلية ، فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملا من عباراته ، من مواضع مختلفات ، ومواضيع متفرقات ، فكان يخيل لي في كل مقام أن حروباً شبت ، وغارات شنت ، وأن للبلاغة دولة ، ولل فصاحة صولة ، وأن للأوهام عرامة^(١) وللريب دعارة ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام ، وصفوف الانتظام ، تنافح بالصفيح الأبلج^(٢) والقويم الأملج ، وتمتلج المهج برواضع الحجج ، فتفل من دعارة الوسوس^(٣) وتصيب مقاتل الخوانس . فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ، ومرج الشك في خمود^(٤) وهرج الريب في ركود .

(١) العرامة : الشراسة . والدعارة : سوء الخلق . والجحافل : الجيوش ، والكتائب : الفرق منها . والذرابة : حدة اللسان في فصاحة . والكلام تخييل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والأوهام .

(٢) تنافح : تضارب أشد المضاربة ، والصفيح : السيف ، والأبلج : اللامع البياض ، والقويم : الرمح ، والأملج الأسمر . وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القويمة المبعدة للوهم وإن خفي مدركها . وتمتلج : أي تمتص ، والمهج : دماء القلوب ، والمراد لا تبقى للأوهام شيئاً من مادة البقاء .

(٣) قل الشيء : ثلمه ، والقوم هزمهم . والخوانس : خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء .

(٤) المرج : الاضطراب ، والهرج : هيجان الفتنة .

وإن مدبر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد ، فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية ، في حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية : توحى إليها رشادها ، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزال ، إلى جواد الفضل والكمال .

وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح في أشباح النمر ، ومخالب النسر ، قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب . فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الإلهي واتصل بالروح الانساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، وسما به إلى الملكوت الأعلى ، وثما به إلى مشهد النور الأجل . وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبس .

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويبصّرهم مواضع الارتباب ، ويحذّرهم مزالق الاضطراب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة . ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير .

ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي ، رحمه الله ، من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم « نهج البلاغة » ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه ، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار كما

ستراه في مقدمة الكتاب . ولولا أن غرائز الجبلة ، وقواضي الذمة تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه ، وشكر المحسن على إحسانه ، لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة ، من فنون الفصاحة ، وما خص به من وجوه البلاغة . خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصابه ، ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه .

إلا أن عبارات الكتاب لبعد عهدنا منا ، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا ، قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية ، وجزالة تركيب في غير تعقيد ، وربما وقف فهم المطالع دون الوصول إلى مفهومات بعض المفردات أو مضمونات بعض الجمل ، وليس ذلك ضعفاً في اللفظ ، أو وهناً في المعنى ، وإنما هو قصور في ذهن المتناول .

ومن ثم همت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة ، والمشارفة بالمكاشفة ، وأعلق على بعض مفرداته شرحاً ، وبعض جملة تفسيراً ، وشيء من إشارات تعييناً ، واقفاً عند حد الحاجة مما قصدت ، موجزاً في البيان ما استطعت ، معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة ، والمعروف من صحيح الأخبار . ولم أتعرض لتعديل ما روي عن الامام في مسألة الامامة أو تجريجه ، بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات إلى أصول المذاهب المعلومة فيها ، والأخبار الماثورة الشاهدة عليها . غير أنني لم أتجاسر تفسير العبارة وتوضيح الإشارة . لا أريد في وجهي هذا إلا حفظ ما أذكر ، وذكر ما أحفظ تصوناً من النسيان ، وتحرزاً من الحيدان ، ولم أتطلب من وجه الكتاب إلا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام . وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولن يطلع عليه من أهل اللسان العربي .

وقد عني جماعة من جلة العلماء بشرح الكتاب ، وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الأسرار . وكل يقصد تأييد مذهب ، وتعزيد مشرب . غير أنه لم يتيسر لي ولا واحد على شروحهم ، إلا شذرات وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب . فان وافقت أحدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق ، وإن كنت

خالفتهم فإلى صواب فيما أظن ، على اني لا أعد تعليقي هذا شرحاً في عداد الشروح ، ولا أذكره كتاباً بين الكتب ، وإنما هو طراز لنهج البلاغة ، وعلم توشى به أطرافه .

وأرجو أن يكون فيما وضعت من وجيز البيان ، فائدة للشبان من أهل هذا الزمان . فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب ، يتدافعون الى نيل الأرب من لسان العرب . يبتغون لأنفسهم سلائق عربية ، وملكات لغوية . وكل يطلب لساناً خاطباً ، وقلماً كاتباً . لكنهم يتوخون وسائل ما يطلبون في مطالعة المقامات وكتب المراسلات مما كتبه المولدون ، أو قلدهم فيه المتأخرون . ولم يراعوا في تحريره إلا رقة الكلمات ، وتوافق الجناسات ، وانسجام السجعات ، وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظية ، التي وسموها بالفنون البديعة . وإن كانت العبارات خلواً من المعاني الجليلة ، أو فاقدة الأساليب الرفيعة .

على أن هذا النوع من الكلام بعض ما في اللسان العربي ، وليس كل ما فيه ، بل هذا النوع إذا انفرد يعد من أدنى طبقات القول ، وليس في حلاه المنوطة بأواخر ألفاظه ما يرفعه الى درجة الوسط . فلو أنهم عدلوا الى مدارس ما جاء عن أهل اللسان ، خصوصاً أهل الطبقة العليا منهم ، لأحرزوا من بغيتهم ما امتدت إليه أعناقهم ، واستعدت لقبوله أعراقهم . وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأن كلام الامام علي بن ابي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه - بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم - وأغزره مادة ، وأرفعه اسلوباً ، وأجمعه لجلال المعاني .

فأجدر بالطالبيين لنفائس اللغة ، والطامعين في التدرج لمراقبيها ، ان يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم ، وأفضل ماثورهم . مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لأجلها . وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها ، ليصيبوا بذلك أفضل غاية ، وينتهوا الى خير نهاية . وأسأل الله نجاح عملي وأعمالهم ، وتحقيق أملي وآمالهم .

ولنقدم للمطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب
وطرفاً من خبره .

فهو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن
إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن
الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم بن علي بن
الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وكرم الله وجهه .

ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، واشتغل بالعلم
ففاق في الفقه والفرائض وبذل أهل زمانه في العلم والأدب .

قال صاحب اليتيمة : هو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادات
العراق ، يتحلّى - مع محنته الشريف ، ومفخره المنيف - بأدب طاهر ، وفضل
باهر ، وحظ من جميع المحامد وافر . تولى نقابة نقباء الطالبين بعد أبيه في
حياته سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، وضمت إليه ، مع النقابة ، سائر الأعمال التي
كان يليها أبوه : وهي النظر في المظالم ، والحج بالناس . وكان من سمو المقام
بحيث يكتب إلى الخليفة القادر بالله العباسي أحمد بن المقتدر من قصيدة
طويلة : -

عطفاً أمير المؤمنين فإننا	في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت	أبدأ ، كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فاني	أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويروى أن القادر قال له عند سماع هذا البيت : على رغم أنفك
الشريف . ومن غرر شعره فيما يقرب من هذا قوله -

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل	أبدأ ينازع عاشقاً معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل	ضجراً : دواء الفارك التطلق

وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل .
قال صاحب اليتيمة : وهو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غير ، على
كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت إنه أشعر قریش لم أبعد عن الصدق .
وقال بعض واصفيه رحمه الله : كان شاعراً مفلحاً ، فصيح النظم ،
ضخم الألفاظ ، قادراً على القريض ، متصرفاً في فنونه : إن قصد الرقة في
النسيب أتى بالعجب العجائب ، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح
وغيره أتى بما لا يشق له فيه غبار ، وإن قصد المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعة
الأنفاس . وكان مع هذا مترسلاً ، كاتباً ، بليغاً ، متين العبارات ، سامي
المعاني .

وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة . وأجود ما جمع منه مجموع أبي
حكيم الحيري وهو ديوان كبير يدخل في أربعة مجلدات ، كما ذكره صاحب
اليتيمة . وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم ، قالوا : يتعذر وجود مثله ،
وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة وأصول الدين . وله كتاب في
مجازات القرآن . وكان عليّ الهمة ، تسموبه عزيمته إلى أمور عظام ، لم يجد من
الأيام عليها معيناً ، فوقفت به دونها حتى قضى وكان عفيفاً متشدداً في العفة
بالغاً فيها إلى النهاية : لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة ، حتى إنه رد صلوات
أبيه . وقد اجتهد بنو بويه في قبوله صلواتهم فلم يقبل ، وكان يرضى بالاكرام ،
وصيانة الجانب ، وإعزاز الأتباع والأصحاب . حكى أبو حامد محمد بن محمد
الاسفرائيني الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف
وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضي (صاحب كلامنا
الآن) أبو الحسن فأعظمه وأجلّ مكانه ورفع من منزلته وخلّى ما كان بيده من
القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف ، ثم دخل بعد ذلك المرتضى
أبو قاسم (أخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك
الاكرام . وتشاغل عنه برقاع يقرأها فجلس قليلاً ، ثم سأله أمراً فقضاه ثم
انصرف ، قال أبو حامد : فقلت : أصلح الله الوزير ، هذا المرتضى هو الفقيه
المتكلم صاحب الفنون ، وهو الأمثل والأفضل منها ، وإنما أبو الحسن شاعر ؟

قال : فقال لي : إذا انصرف الناس وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة .
قال : وكنت مجمعاً على الانصراف فعرض من الأمر ما لم يكن في الحساب ،
فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس حتى تقوِّض الناس . وبعد أن انصرف عنه
أكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري . قال لخدام له : هات الكتابين اللذين دفعتهما
إليك منذ أيام وأمرتك بوضعهما في السفت الفلاني . فأحضرهما ، فقال : هذا
كتاب الرضي اتصل بي أنه قد ولد له ولد فأنفذت إليه ألف دينار ، وقلت :
هذا للقبلة ، فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء إلى ذوي مودتهم مثل هذا في
مثل هذه الحال . فردها ، وكتب إليّ هذا الكتاب فاقراه . فقرأته فاذا هو
اعتذار عن الرد ، وفي جملته : « إننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قبلة
غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نساءنا ، ولسن ممن يأخذون أجرة ،
ولا يقبلن صلة » قال : فهذا هذا ، وأما المرتضى فانا كنا وزعنا وقسطننا على
الأملاك ، ببعض النواحي ، تقسيطاً نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر
عيسى ، فأصاب ملكاً للشریف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط
عشرون درهماً ثمناً دينار واحد . وقد كتب منذ أيام في هذا المعنى من هذا الكتاب
فاقراه ، وهو أكثر من مائة سطر ، يتضمن من الخشوع والخضوع والاستمالة
والهزء والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم المذكورة ما يطول شرحه . قال
فخر الملك فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل ؟ هذا العالم المتكلم الفقيه
الأوحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشهر إلا بالشعر خاصة ونفسه
تلك النفس ؟ فقلت : وفق الله سيدنا الوزير ، والله ما وضع الأمر إلا في
موضعه ، ولا أحله إلا في محله .

وتوفي الرضي في المحرم سنة أربع وأربعمئة ، ودفن في داره بمسجد
الأنباريين بالكرخ ، ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن
جعفر عليه السلام ، لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه ، وصلى عليه .
الوزير فخر الملك أبو غالب ومضى بنفسه آخر النهار إلى المشهد الشريف
الكاظمي فألزمه بالعود إلى داره .

وبما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جملتها : -

يا للرجال لفجعة جذمت يدي ووددت لو ذهبت علي براسي
ما زلت أحذر وردها حتى أنت فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمناً ، فلما صممت لم يثنها مطلي وطول مكاسي
لله عمرك من قصير طاهر ولرب عُمر طال بالأدناس

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء انه رأى في مجموع أن بعض
الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لا
يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان ، وذهبت بهجتها ، وأخلقت ديباجتها ، وبقايا
رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف
الزمان وطوارق الحداث ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

ولقد بكيت على ربوعهم وطلوها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب نضوى ، ولج بعذلي الركب
وتلفت عيني ، فمد خفيت عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص ، وهو ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار
لمن هي ؟ فقال : لا ، فقال : هذه الدار لصاحب الأبيات الشريف الرضي !
فعجب كلاهما من حسن الاتفاق .

وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي ما لو تَقَصَّيناه لَطال
الكلام ، وإنما غرضنا أن يلم القارئ بسيرته بعض الامام ، والله أعلم .

تنبيه لمديري المدارس

قد اعتنينا عند تصحيح الكتاب بضبط ألفاظه اللغوية ضبطاً صحيحاً ،
ونعيد ما ذكرناه في المقدمة زيادة في التنبيه من ان الكتاب حاو جميع ما يمكن ان
يعرض للكاتب والمخاطب من أغراض الكلام : فقد تعرض للمدح ، وللعذل
الأدبي ، وللتغيب في الفضائل وللتنفير من الرذائل ، وللمحاورات السياسية ،
والمخاصمات الجدلية ، ولبيان حقوق الراعي على الرعية ، وحقوق الرعية على
الراعي ، وأتى على الكلام في أصول المدنية وقواعد العدالة ، وفي النصائح
الشخصية ، والمواعظ العمومية ، وعلى الجملة فلا يطلب الطالب طلباً إلا
ويرى فيه أفضلها ، ولا تخالج فكره رغبة إلا وجد فيه أكملها . والله الموفق
للصواب .

مقدمة العلامة الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمدُ الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه، ومعاذاً من بلائه، وسبيلاً^(١) إلى جنانه، وسبباً لزيادة إحسانه. والصلاة على رسوله نبي الرحمة، وإمام الأئمة، وسراج الأمة. المنتخب من طينة الكرم^(٢) وسلالة المجد الأقدم. ومَغْرِس الفخار المَغْرَق^(٣) وفرع العلاء المثمر المورق. وعلى أهل بيته مصابيح الظُّلَم، وَعِصَمُ الأُمَم^(٤) ومنار الدين الواضحة، ومثاقيل الفضل الراجحة. صلى الله عليهم أجمعين، صلاة تكون إزاء لفضلهم^(٥) ومكافأة لعملهم، وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم، ما أنار فجر ساطع، وخَوَى نجم طالع^(٦). فإني كنت في عنفوان السن^(٧) وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلام: يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وعاشت عن إتمام بقية

(١) في بعض النسخ ووسيلة وهو جمع وسيلة، وهي ما يتقرب، ورواية سبيلا أحسن.

(٢) طينة الكرم: أصله، وسلالة المجد: فرعه.

(٣) الفخار: قال بعضهم بالكسر، ويغلط من يقرأ بالفتح لأنه مصدر فاخر، والمصدر من فاعل الفاعل بكسر أوله، غير أنه لا يبعد أن يكون مصدر فخر، والثلاثي إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمح سماحاً.

(٤) العصم جمع عصمة: وهو ما يعتصم به، والمنار: الاعلام واحدها منارة، والمثاقيل جمع مثقال وهو: مقدار وزن الشيء، تقول: مثقال حبة، ومثقال دينار، فمثاقيل الفضل: زناته، أي: أن الفضل يعرف بهم مقداره.

(٥) إزاء لفضلهم: أي مقابلة له.

(٦) خوى النجم: سقط، وخوت النجوم: أمحلت فلم تظطر كأخوت وخوت بالتشديد.

(٧) عنفوان السن: أولها.

الكتاب محاجزات الزمان^(١) ومماطلات الأيام ، وكنت قد بويت ما خرج من ذلك أبواباً ، وفصلته فصولاً ، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في الحكم والأمثال والآداب ، دون الخطب الطويلة ، والكتب المبسطة . فاستحسن جماعة من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ، ومتعجبين من نواصحه^(٢) وسألوني عن ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غرضونه : من خطب ، وكتب ، ومواعظ ، وآداب . علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواب الكلم الدينية والدنيوية ، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام^(٣) ولا مجموع الأطراف في كتاب ، إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مَشْرَع الفصاحة وموردها^(٤) ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب^(٥) ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ . ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وتقدم وتأخروا ، ولأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مَسْحَة من العلم الإلهي^(٦) وفيه عِبْقَة من الكلام النبوي ، فأجبتهم إلى الابتداء بذلك علماً بما فيه من عظيم النفع ، ومَنْشُور الذكر ، ومذخور الأجر . واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة ، مُضَافَة إلى المحاسن الدَّثْرَة ، والفضائل الجمّة^(٧) . وأنه ، عليه السلام ، انفرد ببلوغ غايتها عن

(١) محاجزات الزمان : ممانعته . ومماطلات الأيام : مدافعتها .

(٢) النواصع : الخالصة ، وناصع كل شيء خالصه .

(٣) الثواب : المضيئة ، ومنه الشهاب الثاقب . ومن الكلم ما يضيء لسامعها طريق الوصول إلى ما دلت عليه فيهدي بها إليه .

(٤) المشرع ؛ تذكير المشرعة : مورد الشاربة كالشرعية .

(٥) حذا كل قائل : اقتفى واتبع .

(٦) عليه مسحة من جمال ، أي : علامة أو أثر . وكأنه يريد بهاء منه وضياء ، والعبة : الرائحة .

(٧) اعتمدت : قصدت ، والدثرة بفتح فسكون : الكثيرة .

جميع السلف الأولين الذين إنما يُؤثر عنهم منها القليل النادر، والشاذ الشارد^(١).
وأما كلامه فهو من البحر الذي لا يُساجل^(٢) والجم الذي لا يحافل^(٣).

وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام ، بقول
الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جَعَعْنَا ، يا جرير ، المجمع
ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : أولها : الخطب
والأوامر ، وثانيها : الكتب والرسائل ، وثالثها : الحكم والمواعظ ، فأجمعت
بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ،^(٤) ثم محاسن الكتب ،
ثم محاسن الحكم والأدب . مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ، ومفصلاً فيه
أوراقاً ، لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً ، ويقع إليّ آجلاً ،
وإذا جاء شيء من كلامه ، عليه السلام ، الخارج في أثناء حوار^(٥) أو جواب
سؤال ، أو غرض آخر من الأغراض - في غير الأنحاء التي ذكرتها ، وقررت
القاعدة عليها - نسبته إلى أليق الأبواب به ، وأشدها ملاءمة لغرضه^(٦) . وربما
جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير مُتسقة ، ومحاسن كلم غير منتظمة ، لأنني
أورد النكت واللّمع ، ولا أقصد التتالي والنسق .

ومن عجائبه ، عليه السلام ، التي انفرد بها ، وأمن المشاركة فيها ، أن
كلامه عليه السلام ، الوارد في الزهد والمواعظ ، والتذكير والزواجر ، إذا تأمله
المتأمل ، وفكر فيه المتفكر ، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ، ونفذ
أمره ، وأحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لاحظ له

(١) يؤثر : أي ينقل عنهم ويحكي .

(٢) لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء .

(٣) لا يغالب في الكثرة ، من قولهم : ضرع حافل ، أي : ممتلئ كثير اللبن .

(٤) أجمع عليه : عزم ، والمحاسن : جمع حسن على غير قياس .

(٥) بالفتح وبالكسر : المحاورة .

(٦) الملاحظة : الأبصار والنظر ، والمراد هنا المناسبة ، لأن من ينظر إلى شيء وبصره كان
كأنه يميل إليه ويلاتمه .

في غير الزَّهَادَةِ ، ولا شغل له بغير العبادة ، قد قَبَعَ في كسر بيت (١) أو انقطع في سفح جبل ، لا يسمع إلا حَسَّهُ ، ولا يرى إلا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مُصَلِّتاً سيفه (٢) فيقط الرقاب ، ويجدل الأبطال (٣) ويعود به يَنْطِفُ دماً ، ويقطر مُهْجاً . وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد ، وبدل الأبدال (٤) . وهذه من فضائله العجيبة ، وخصائصه اللطيفة ، التي جمع بها بين الأضداد وألَّف بين الأشتات (٥) . وكثيراً ما أذاكر الإخوان بها ، وأستخرج عجبهم منها ، وهي موضع للعبرة بها ، والفكرة فيها .

وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المرَّد ، والمعنى المكرر . والعذر في ذلك ان روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً : فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأول : إما بزيادة مختارة ، أو بلفظ أحسن عبارة ، فتقتضي الحال أن يعاد ،

(١) قبح القنفذ ، كمنع : أدخل رأسه في جلده ، والرجل أدخل رأسه في قميصه أراد منه : انزوى . وكسر البيت : جانب الخباء ، وسفح الجبل : أسفله .

(٢) أصلت سيفه : جرده من غمده ، ويقط الرقاب : يقطعها عرضاً . فان كان القطع طويلاً ، قيل : يقدر . قال ابن عائشة : كانت ضربات علي أبكاراً إن اعتلى قد وإن اعترض قط . ومنه قط القلم .

(٣) يجدل الأبطال : يلقيهم على الجدالة كسحابة : وهي وجه الأرض وينطف من نطف كنصر وضرب ، نطفاً وتناطفاً : سال ، والمهج : جمع مهجة ، وهي دم القلب .

(٤) الأبدال : قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم ، إذا مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر .

(٥) موضع العجب أن أهل الشجاعة والاقدام والمغامرة والجرأة يكونون في العادة قساة فتاكين متمردين جبارين : والغالب على أهل الزهد وأعداء الدنيا وهاجري ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع ، وهاتان حالتان متضادتان فاجتماعهما في أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه مما يوجب العجب : فكان كرم الله وجهه أشجع الناس وأعظمهم إرافة للدم ، وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا ، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً وأشدهم اجتهاداً في العبادة ، وكان أكرم الناس أخلاقاً وأسفرهم وجهاً وأوفاهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة .

استظهاراً للاختيار ، وغيره على عقائل الكلام^(١) ، وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً ، لا قصداً واعتقاداً .

ولا أدعي - مع ذلك - اني أحيط باقطار جميع كلامه عليه السلام^(٢) حتى لا يشذ عني منه شاذ ، ولا يند ناد . بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إليّ ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي^(٣) وما عليّ إلا بذل الجهد ، وبلاغ الوسع ، وعلى الله سبحانه وتعالى نهج السبيل^(٤) ورشاد الدليل ، إن شاء الله .

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بـ « نهج البلاغة » إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها ، ويقرب عليه طلابها ، فيه حاجة العالم والمتعلم ، وبغية البليغ والزاهد . ويمضي في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل ، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ، ما هو بلال كل غلة^(٥) وجلاء كل شبهه .

ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة ، وأتنجز التسديد والمعونة ، وأستعيذه من خطأ الجنان ، قبل خطأ اللسان ، ومن زلة الكلام ، قبل زلة القدم . وهو حسبي ونعم الوكيل .

(١) عقائل الكلام : كرائمه . وعقيلة الحي . كريمته .

(٢) أقطار الكلام : جوانبه . والناد : النافر .

(٣) الربقة : عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة .

(٤) نهج السبيل : إباتته وإيضاحه .

(٥) الغلة : العطش ، وبلاها : ما تبل به وتروي .

البَابُ الْأَوَّلُ

المختار من خطب أمير المؤمنين
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

من خطبة له عليه السلام

يُذَكِّرُ فِيهَا ابْتِدَاءَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَخَلْقِ آدَمَ ، وَفِيهَا ذِكْرُ الْحَجِّ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءُهُ الْعَادُونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُذَكِّرُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ^(١) وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ^(٢) الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ^(٣) وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ : فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ ، وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ^(٤) أَوَّلَ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ^(٥) وَكَمَالَ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالَ

(١) أي : أن هم النظر وأصحاب الفكر ، وإن علت وبعدت ، فانها لا تدركه تعالى ولا تحيط به علماً .

(٢) والفتن : جمع فطنة ، وغوصها : استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط دور الحقيقة وهي وإن بعدت في الغوص لا تنال حقيقة الذات الاقدس .

(٣) فرغ من الكلام في الذات وامتناعها عن العقول إدراكاً ، ثم هو الآن في تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة ، فكل صفات الممكن لها في أثرها حد تنقطع إليه ، كما نجده في قدرتنا وعلمنا مثلاً ، فان لكل طوراً لا يتعداه . أما قدرة الله وعلمه فلا حد لشمولها ، وكذا يقال في باقي الصفات الكمالية . والنعت يقال لما يتغير ، وصفاتنا لها نعوت ، فحياتنا مثلاً لها أطوار : من طفولة ، وصبا ، وما بعدهما ، وقوة ، وضعف ، وتوسط ، وقدرتنا كذلك . وعلمنا له أدوار نقص وكمال ، وغموض ووضوح . أما صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت وأشباهها . ثم هي أزلية أبدية ، لا تعدد الأوقات لوجودها واتصاف ذاته بها ، ولا تضرب لها الآجال .

(٤) الميدان : الحركة ، ووتد بالتخفيف والتشديد ، أي : ثبت ، أي : سكن الأرض بعد اضطرابها بما رسخ من الصخور الجامدة في أديمها ، وهو يشير إلى أن الأرض كانت ماثرة مضطربة قبل جمودها .

(٥) أساس الدين معرفة الله ، وهو يعرف بانه صانع العالم ، وليس منه ، بدون تنزيه ، =

التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ. وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مُوصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ: فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهِلَهُ^(١)، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ^(٢)، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ «فِيمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ «عَلَامَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنٌ لَا عَنْ حَدِّ^(٣) مَوْجُودٍ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ

= وهي معرفة ناقصة، وكما لها التصديق به ذاته : لصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره، وهي وجوب الوجود، ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد، لأن الواجب لا يتعدد كما عرف في فن الإنهيات والكلام ولا يكمل التوحيد إلا بتمحيض السر له دون ملاحظة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه إليه واستشراق نوره. ولا يكون هذا الإخلاص كاملاً حتى يكون معه نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في الشخصيات، لأن معرفة الذات الأقدس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها، فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحداً، فالصفات المنفية بالإخلاص صفات المصنوعين، وإلا فللامام علي كلام قد ملئ بصفاته سبحانه، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف.

(١) جهلة : أي : جهل أنه منزّه عن مشابهة الماديات، مقدس عن مضارعة المركبات، وهذا الجهل يستلزم القول بالشخص الجسماني، وهو يستلزم صحة الإشارة إليه، تعالى الله عن ذلك.

(٢) إنما تشير إلى شيء إذا كان منك في جهة، فأنت تتوجه إليها بإشارتك وما كان في جهة فهو منقطع عن غيرها، فيكون محدوداً - أي : له طرف ينتهي إليه - فمن أشار إليه فقد حده، ومن حد فقد عد - أي : أحصى وأحاط بذلك المحدود - لأن الحد حاصر لمحدوده. وإذا قلت لشيء «فيم هو» فقد جعلته في ضمن شيء، ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه. وإذا قلت «على أي شيء» فأنت ترى أنه مستعمل على شيء بعينه وما عداه خال منه.

(٣) الحدث : الإبداء، أي : هو موجود لكن لا عن إبداء وإيجاد موجد. والفقرة الثانية =

شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ^(١) فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ
وَالْأَلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ^(٢) مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ
بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ^(٣) أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَأَبْتَدَاهُ آبِتْدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ
أَجَالَهَا^(٤) وَلَا تَجْرِبَةَ اسْتَفَادَهَا، وَلَا حَرَكَةً أَحْدَثَهَا، وَلَا هَمَامَةً
نَفْسٍ أَضْطَرَبَ فِيهَا^(٥) أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا^(٦) وَلَآمَ بَيْنَ
مُخْتَلَفَاتِهَا^(٧) وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا^(٨) وَالزَمَهَا أَشْبَاحَهَا^(٩) عَالِمًا بِهَا قَبْلَ
آبِتْدَائِهَا، مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَأَنْتَهَائِهَا عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا^(١٠) ثُمَّ

= لازمة لهذه ، لأنه إن لم يكن وجوده عن إيجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود بالعدم .
(١) المزايلة : المفارقة والمباينة .

(٢) أي : بصير بخلقه قبل وجودهم .

(٣) العادة والعرف على أنه لا يقال « متوحد » إلا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش
لبعده ، فانفرد عنه . والله متوحد مع التنزه عن السكن .

(٤) الروية : الفكر ، وأجالها : أدارها ورددتها . وفي نسخة : أحالها - بالمهملة - أي :
صرفها .

(٥) همامة النفس - بفتح الهاء - اهتمامها بالأمر ، وقصدها إليه .

(٦) حوطها من العدم إلى الوجود في أوقاتها ، أو هو من « حال في متن فرسه » أي : وثب .
وأحاله غيره : أوثبه . ومن أقر الأشياء في أحيائها صار كمن أحال غيره على فرسه .

(٧) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادي .

(٨) الغرائز : جمع غريزة ، وهي : الطبيعة وغرز الغرائز كضوء الأضواء ، أي : جعلها
غرائز ، والمراد أودع فيها طبائعها .

(٩) الضمير في « أشباحها » للغرائز ، أي : ألزم الغرائز أشباحها ، أي : أشخاصها لأن
كل مطبوع على غريزة فانها تلازمه : فالشجاع لا يكون خواراً مثلاً .

(١٠) جمع حنو بالكسر ، أي : الجانب . أو ما اعوج من الشيء بدنًا كان أو غيره كناية عما
خفي . أو من قولهم أحناء الأمور ، أي : مشتبهاتها ، وقرائنها ما يقترن بها من الأحوال
المتعلقة بها والصادرة عنها .

أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَّ الْأَجْوَاءُ^(١) وَشَقَّ الْأَرْجَاءُ ، وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ^(٢) فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا تَيَّارُهُ^(٣) مُتَرَاكِمًا زَخَّارُهُ . حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ ، وَالزُّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ . فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ^(٤) وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ . الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتَيَّقُ^(٥) وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقُ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا آعْتَقَمَ مَهَبَهَا^(٦) وَأَدَامَ مُرَبَّهَا ،

(١) ثم أنشأ الخ الترتيب والتراخي في قول الامام لا في الصنع الإلهي كما لا يخفى . والأجواء : جمع جو ، وهو هذا الفضاء العالي بين السماء والأرض . واستفيد من كلامه أن الفضاء مخلوق ، وهو مذهب قوم ، كما استفيد منه أن الله خلق في الفضاء ماء حمله على متن ريح فاستقل عليها حتى صارت مكاناً له ، ثم خلق فوق ذلك الماء ريحاً أخرى سلطها عليه فموجته تموجاً شديداً حتى ارتفع فخلق منه الاجرام العليا وإلى هذا يذهب قوم من الفلاسفة منهم تالسين الاسكندري ، يقولون : إن الماء - أي : الجوهر السائل - أصل كل الأجسام كثيفها من متكاثفة ولطيفها من شفائفه . والأرجاء : الجوانب واحداً رجاء .

(٢) السكائك : جمع سكاكة - بالضم - وهي : الهواء الملاقي عنان السماء وبابها نحو ذؤابة وذوائب .

(٣) التيار : الموج ، والمتراكم : ما يكون بعضه فوق بعض ، والزخار : الشديد الزخرف - أي : الامتداد والارتفاع - والريح العاصفة الشديدة الهبوب ، كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها ، وكذلك الزعزع ، كأنها تزعزع كل ثابت ، وتقصف - أي : تحطم كل قائم .

(٤) أمرها برده ، أي : منعه من الهبوط ، لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوي والسقوط ، وسلطها على شدة ، أي : وثاقه ، كأنه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة إلى السفلى التي هي من لوازم طبعه ، وقرنها إلى حده ، أي : جعلها مكاناً له أي : جعل حد الماء المذكور ، وهو سطحه الأسفل ، مماساً لسطح الريح التي تحمله أو أراد من الحد المنع ، أي : جعل من لوازمها ذلك .

(٥) الفتيق : المفتوق ، والدفيق : المدفوق .

(٦) اعتقم مهبتها : جعل هبوبها عقيماً ، والريح العقيم التي لا تلحق سحاباً ولا شجراً وكذلك كانت هذه ، لأنها انشئت لتحريك الماء ليس غير ، والمرب مصدر ميمي من « أرب بالمكان » مثل الب به ، أي : لازمه ، فأدام مربها ، أي : ملازمها أو أن أدام =

وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا ، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيْقِ الْمَاءِ الرَّخَّارِ (١)
وَأَثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ
عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ . تَرَدُّ أَوَّلُهُ إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ (٢) .
حَتَّى عَبَّ عَبَابُهُ . وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامَهُ ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ
وَجَوٍّ مُنْفَتِقٍ (٣) فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً
مَكْفُوفاً (٤) وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً ، وَسَمَكاً مَرْفُوعاً ، بِغَيْرِ عَمَدٍ
يَدْعُمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا (٥) ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ
الثَّوَابِقِ (٦) وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً (٧) وَقَمَراً مُنِيراً : فِي فَلَكَ
دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ (٨) ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ

= من أدمت الدلو ملأتهما ، والمرب ، بكسر أوله : المكان والمحل .

(١) تصفيقه : تحريكه وتقليبه ، ومخضته : حركته بشدة كما يمحض السقاء بما فيه من اللبن
ليستخرج زبده ، والسقاء : جلد السخلة يجذع فيكون وعاء لللبن والماء جمعه أسقية
وأسقيات وآساق . و « عصفت به الخ » الريح إذا عصفت بالفضاء الذي لا أجسام فيه
كانت شديدة لعدم المانع . وهذه الريح عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذي يكون لها
لولا لم يكن مانع .

(٢) الساجي : الساكن ، والمائر : الذي يذهب ويحيى ، أو المتحرك مطلقاً . وعب
عبابه : ارتفع علاه . وركامه : أثبجه ، وهضبته ، وما تراكم منه بعضه على بعض .

(٣) المنفتق : المفتوح الواسع .

(٤) المكفوف : الممنوع من السيول ، ويدعمها : يسندها ويحفظها من السقوط .

(٥) الدسار : واحد الدسر ، وهي المسامير ، أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف
ونحوه .

(٦) الثوابق : المنيرة المشرقة .

(٧) مستطيراً : منتشر الضياء ، وهو الشمس .

(٨) الرقيم : اسم من أسماء الفلك : سمي به لأنه مرقوم بالكواكب ، ومائر : متحرك ،
ويفسر الرقيم باللوح ، وشبه الفلك باللوح لأنه مسطح فيما يبدو للنظر .

الْعَلَا ، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مِلَاثِكْتِهٖ ^(١) مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَضِبُونَ ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ . لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمٌ الْعَيْنِ ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ ، وَلَا فَتْرَةٌ الْأَبْدَانِ ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَاللَّسَنَةُ إِلَى رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ ؛ وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ . وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضَيْنِ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ . وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ . نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ ^(٢) مُتَلَفَعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ ،

(١) جعل الملائكة أربعة أقسام : الأول : أرباب العبادة ، ومنهم الراكع ، والساجد ، والصف ، والمسبح . وقوله « صافون » أي : قائمون صفوفاً . لا يتزايلون أي : لا يتفارقون . والقسم الثاني : الأمانة على وحي الله لانييائه ، والألسنة الناطقة في أفواه رسله ، والمختلفون بالأقضية إلى العباد : بهم يقضي الله على من شاء بما شاء . والقسم الثالث : حفظة العباد ، كأنهم قوة مودعة في أبدان البشر ونفوسهم ، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب ، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالإنسان من السلامة ، ومنهم سدة الجنان ، جمع سادن : وهو الخادم ، والخادم يحفظ ما عهد إليه وأقيم على خدمته . والقسم الرابع : حلة العرش ، كأنهم القوة العامة التي أفاضها الله في العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه : مركزه حدود مسيره في مداره ، فهي المخترقة له ، النافذة فيه ، الآخذة من أعلاه إلى أسفله ، ومن أسفله إلى أعلاه . وقوله « المارقة من السماء » المروق : الخروج ، وقوله « الخارجة من الأقطار أركانهم » : الأركان الأعضاء والجوارح ، والتمثيل في الكلام لا يخفى على أهل البصائر .

(٢) الضمير في « دونه » للعرش كالضمير في « تحته » ومتلفعون : من تلفعت بالشوب إذا التحفت به .

وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ . لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ
صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ ، وَلَا يُحَدِّثُونَهُ بِالْأَمَاكِينِ ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ
بِالنَّظَائِرِ .

صِفَةُ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذِبِهَا
وَسَبْخِهَا (١) تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، وَلَا طَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى
لَزُبَتْ (٢) فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُضُولٍ (٣) وَأَعْضَاءٍ
وَفُضُولٍ : أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ (٤)

(١) الحزن - بفتح فسكون - : الغليظ الخشن ، والسهل ما يخالفه ، والسيخ : ما ملح من
الأرض . وأشار باختلاف الأجزاء التي جبل منها الإنسان إلى أنه مركب من طباع
مختلفة ، وفيه استعداد للخير والشر ، والحسن والقيبح .

(٢) سن الماء : صبه . والمراد صب عليها ، أو « سنها » هنا بمعنى مسلها كما قال : -

ثم خاصرتها إلى القبة الخضر - راء تمشي في مرمر مسنون .

وقوله « حتى خلصت » أي : صارت طينة خالصة ، وفي بعض النسخ « حتى خضلت »
بتقديم الضاد المعجمة على اللام ، أي : ابتلت ولعلها أظهر . لاطها : خلطها
وعجنها ، أو هو من لاط الحوض بالطين : ملطه وطينه به ، والبللة بالفتح : من
البلل . ولزب - ككرم - : تداخل بعضه في بعض وصلب ، ومن باب نصر بمعنى
التصق وثبت واشتد .

(٣) الأحناء : جمع حنو وهو - بالكسر والفتح - : كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم
الحجاج ، واللحي ، والضلح ، أو هي الجوانب مطلقاً . وجبل : أي خلق .

(٤) أصلدها : جعلها صلبة ملساء متينة ، وصلصلت : يبست حتى كانت تسمع لها
صلصلة إذا هبت عليها رياح ، وذلك هو الصلصال ، واللام في قوله « لوقت » متعلقة
بمحذوف ، كأنه قال : حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم . ويمكن أن تكون متعلقة
بجبل ، أي : جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهي بيوم
القيامة .

لَوْقَتِ مَعْدُودٍ ، وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ ؛ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا
 ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا^(١) ، وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا^(٢) ،
 وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ، وَمَعْرِفَةٍ يَفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ
 وَالْمَشَامِ ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ^(٣)
 وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ ، مِنْ
 الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ ؛ وَاسْتَادَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ
 وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ^(٤) وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ ، فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ ،
 وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ فَسَجَدُوا
 إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ^(٥) وَتَعَزَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ

(١) مثل ، ككرم : قام متصباً . والأذهان : قوى التعقل ، ويجيلها : يحركها في
 المعقولات .

(٢) يخدمها : يجعلها في مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم في خدمتك وتستعملهم في
 شؤونك كلها ، والأدوات : جمع أداة ، وهي الآلة ، وتقليبها : تحريكها في العمل بها
 فيما خلقت له .

(٣) معجوناً صفة « إنساناً » ، والألوان المختلفة : الضروب والفنون ، وتلك الألوان هي
 التي ذكره من الحر والبرد والبلة والجمود .

(٤) استأدى الملائكة وديعته : طلب منهم أداءها ، والوديعة هي عهده إليهم بقوله ﴿ إني
 خالق بشرأ من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ويروى
 الخنوع بالنون بدل الخشوع وهو بمعنى الخضوع . وقوله « فقال اسجدوا الخ » عطف
 على استأدى .

(٥) الشقوة - بكسر الشين وفتحها - ما حتم عليه من الشقاء . والشقاء : ضد السعادة ،
 وهو النصب الدائم والألم الملازم ، وتعززه بخلقه النار : استكباره مقدار نفسه بسبب
 انه خلق من جوهر لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال ، والصلصال : الطين الحر
 خلط بالرمل أو الطين ما لم يجعل خزفاً . والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التي
 خلق آدم عليه السلام منها ، وجوهر ما خلق منه الجن - وهم من الجواهر اللطيفة - =

وَأَسْتَهْوَنَ خَلَقَ الصَّلْصَالِ ؛ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظْرَةَ أَسْتَحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ ،
وَأَسْتَيْتَمَامًا لِلْبَلِيَّةِ ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ ؛ فَقَالَ ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى
يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أُرْغَدَ فِيهَا
عَيْشُهُ ، وَأَمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ ، فَأَغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ
نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ (١) فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ ،
وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ ، وَأَسْتَبَدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًّا (٢) ، وَبِالْإِغْتِرَارِ نَدَمًا . ثُمَّ
بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ
إِلَى جَنَّتِهِ . وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ (٣) ، وَتَنَاسَلَ الذُّرِّيَّةُ (٤) ،

= أعلى من جوهر ما خلق منه الإنسان ، وهو مجبول من عناصر الأرض ، والنظرة - بفتح
فكسر - : الانتظار به حياً ، ما دام الإنسان عامراً للأرض متمتعاً بالوجود ، فيكون من
الشیطان في هذا الامد ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ، ويكون
الله جل شأنه قد أنجز وعده في قوله : ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ .

(١) اغتر آدم عدوه الشيطان ، أي : انتهب منه غرة فأغواه ، وكان الحامل للشيطان على
غواية آدم حسده على الخلود في دار المقام ، ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار .

(٢) أدخل الشيطان عليه الشك في أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان في نهي الله له
عن تناوله ما يوجب له اليقين بحظره عليه ، وكانت العزيمة في الوقوف عندما أمر الله
فاستبد بها الوهن الذي أفضى إلى المخالفة ، والجذل - بالتحريك - الفرج ، وقد كان في
راحة الأمن بالأخبار إلى الله وامتنال الأمر ، فلما سقط في المخالفة تبدل ذلك بالوجل
والخوف من خلول العقوبة ، وقد ذهب عنه الغرة ، وانتبه إلى عاقبة ما اقترف ،
فاستشعر الندم بعد الاغترار .

(٣) - أهبطه من مقام مرشده فيه الإلهام الإلهي الخالص من الشوائب لانسياق قواه إلى
مقتضى الفطرة السليمة الأولى ، إلى مقر قد خلط له فيه الخير والشر ، واختلط له فيه
الطريقان ، ووكل إلى نظره العقلي ، وابتلي بالتمييز بين النجدين . واختيار أي
الطريقين ، وهو العناد الذي تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين .

(٤) تناسل الذرية من خصائص تلك المنزلة الثانية التي أنزل الله فيها آدم ، وهو بما ابتلي به =

وَأَصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ^(١) ،
وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ
إِلَيْهِمْ^(٢) ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ^(٣) وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ
عَنْ مَعْرِفَتِهِ^(٤) وَأَقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ ، وَوَاتَرَ
إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ^(٥) لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ^(٦) وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ
نِعْمَتِهِ ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ^(٧)

= الإنسان امتحاناً لقوته على التربية ، واقتداره على سياسة من يعولهم ، والقيام
بحقوقهم ، وإلزامهم بتأدية ما يحق عليهم .

(١) أخذ عليهم الميثاق ان يبلغوا ما أوحى إليهم ، ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له . وأخذ
عليهم ألا يشرعوا للناس إلا ما يوحى إليهم .

(٢) عهد الله إلى الناس هو ما سيأتي يعبر عنه بميثاق الفطرة .

(٣) الأنداد : الأمثال ، وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى .

(٤) اجتالتهم - بالجيم - صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المغروزة في
فطرتهم ، وأصله من الدوران ، كأن الذي يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا
وأخرى هكذا ، تقول : اجتال فلان فلانا ، واجتاله عن كذا ، واجتاله على كذا ،
أي : أداره عليه ، يحسن له فعله ، ويغيره به ، ويزينه له .

(٥) واتر إليهم أنبياءه : أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة ، لا بمعنى أرسلهم تباعاً
بعضهم يعقب بعضاً .

(٦) كأن الله تعالى - بما أودع في الإنسان من الغرائز والقوى ، وبما أقام له من الشواهد
وأدلة الهدى - قد أخذ عليه ميثاقاً بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له ، وقد كان
يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه ، لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات ، فبعث إليه
النبين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق ، أي : ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم ، وما
ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم .

(٧) دفائن العقول : أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات وترتفع به إلى
الايقان بصانع الموجودات ، وقد تحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام ، وحجب من
الخيال ، فيأتي النبيون لاثارة تلك المعارف الكامنة ، وإبراز تلك الأسرار الباطنة .

وَيُرَوُّهُمْ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ : مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ
 مَوْضُوعٍ ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ^(١) ،
 وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ ؛ وَلَمْ يُخَلِّ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ ،
 أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ^(٢) : رُسُلٌ لَا
 تُقْصَرُ بِهِمْ قِلَّةٌ عَدَدِهِمْ ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ : مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ
 لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ^(٣) . عَلَى ذَلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ^(٤) ،
 وَمَضَتِ الدُّهُورُ ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ
 سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ^(٥)
 وَتَمَامِ نُبُوتِهِ ، مَأْخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ^(٦) كَرِيمًا
 مِيلَادُهُ . وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْوَاءٌ مُتَشَتِّرَةٌ وَطَوَائِفُ
 مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّهِهِ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي آسَمِهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى

(١) السقف المرفوع : السماء ، والمهاد الموضوع : الأرض ، والأوصاب : المتاعب .

(٢) المحجة : الطريق القوية الواضحة .

(٣) من سابق : بيان للرسل ، وكثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون
 بعدهم فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة ، وفي القرآن الكريم ان عيسى عليه السلام
 بشر بخاتم الرسل ﷺ والغابر : الذي يأتي بعد أن يبشر به السابق ، جاء معروفًا
 بتعريف من قبله .

(٤) نسلت - بالبناء للمجهول - ولدت ، وبالبناء للفاعل : مضت متتابعة .

(٥) الضمير في « عدته » الله تعالى ، لأن الله وعد بارسال محمد ﷺ على لسان أنبيائه
 السابقين ، وكذلك الضمير في « نبوته » لأن الله تعالى أنبأ به وأنه سيبعث وحياً
 لأنبيائه ، فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة : ولما كان الله هو المخبر به أضيفت
 النبوة إليه ، هكذا نسب للامام ، ولكن الأظهر أن الضمير في « نبوته » عائد إلى
 النبي ﷺ .

(٦) سماته : علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا به .

غَيْرِهِ^(١) ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ .
ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِقَاءَهُ ، وَرَضِيَ لَهُ
مَا عِنْدَهُ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا ، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى ،
فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَخَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتْ
الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا : بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ، وَلَا
عِلْمٍ قَائِمٍ^(٢) كِتَابِ رَبِّكُمْ : مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ^(٣) وَفَرَائِضَهُ

(١) الملحد في اسم الله الذي يميل به عن حقيقة مسماه ، فيعتقد في الله صفات يجب تنزيهه عنها ، والمشير إلى غيره : الذي يشرك معه في التصرف إلهاً آخر فيعبده ويستعينه .

(٢) العلم - بفتح الحاء - ما يوضع ليهتدى به ، أي : أن الأنبياء لم يهملوا أمهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم ، وقد كان من محمد ﷺ مثل ما كان منهم ، فانه خلف في أمته كتاب الله تعالى حاوياً لجميع ما يحتاجون إليه في دينهم .

(٣) حلاله كالأكل من الطيبات ، وحرامه كأكل أموال الناس بالباطل ، وفرائضه كالزكاة أخت الصلاة ، وفضائله كنوافل الصدقات التي يعظم الأجر فيها ولا حرج على من لا يؤديها ، وناسخه : ما جاء قاضياً بمحو ما كان عليه الضالون من العقائد ، أو إزالة السابق من الأحكام لحكمة إلهية اقتضت تغييره وإن خفيت على بعض العقول كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ إِلَى عِزٍّ عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ ﴾ الآية ، ومنسوخه ما كان حكاية عن تلك الأحكام كقوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ الآية ، وخصه كقول : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ﴾ وعزائمه كقوله : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وخصه كقوله : ﴿ وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا ﴾ الآية ، وكقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ وعامه ، كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ . والعبر كالأيات التي تخبر عما أصاب الأمم الماضية من النكال ، وعما نزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا طرق الظلم والعدوان . والأمثال كقوله ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾ الآية ، وقوله ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ وأشبه ذلك كثيرة ، والمرسل : المطلق ، والمحدود : المقيد ، والمحكم كآيات الأحكام والأخبار الصريحة في معانيها ، والمتشابه كقوله ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ والموسع على العباد في جهله كالحروف المفتحة بها السور نحو آلم والر ، والمثبت في الكتاب فرضه مع بيان السنة لنسخه نحو قوله تعالى : ﴿ فَاْمَسْكُوهُمْ فِي =

وَفَضَائِلُهُ ، وَنَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ ، وَرُخْصَتُهُ وَعَزَائِمُهُ ، وَخَاصَّةُ وَعَامَّةُ ، وَعَبْرَةُ وَأَمْثَالُهُ ، وَمُرْسَلُهُ وَمَحْدُودُهُ ، وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ ، مُفَسَّرًا مُجْمَلُهُ ، وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ ، بَيْنَ مَاخُودِ مِثَاقٍ فِي عِلْمِهِ ، وَمُوسِعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ ، وَبَيِّنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضَهُ ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخَهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذَهُ ، وَمُرْخَصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ ، وَبَيِّنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ ، وَذَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ ، وَمُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ^(١) : مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ ، أَوْ صَغِيرٍ أُرْصَدَ لَهُ غُفْرَانُهُ . وَبَيِّنَ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ ، مُوسِعٍ فِي أَقْصَاهُ^(٢) .

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ الْحَجِّ

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ ،

= البيوت حتى يتوفاهن الموت ﴿ فانه نسخ بما سنه عليه السلام من رجم الزاني المحصن . وكالصلاة ، فانها فرضت على الذين من قبلنا ، غير أن السنة بينت لنا الهيئة التي اختصنا الله بها ، وكلفنا أن نؤدي الصلاة عليها فالفرض في الكتاب ، وتبيين نسخه لما كان قبله في السنة ، والمرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوباً على عينه ، بل ذكر في الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله : ﴿ فافرقوا ما تيسر منه ﴾ ، وقد عينته السنة بسورة مخصوصة في كل ركعة فوجب الأخذ بما عينته السنة ، ولو بقينا عند مجمل الكتاب لكان لنا أن نقرأ في الصلاة غير الفاتحة جوازاً لا مؤاخذه معه ، والواجب بوقته الزائل في مستقبله كصوم رمضان يجب في جزء من السنة ولا يجب في غيره .

(١) و « مباین بین محارمه » ، بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وليس مجروراً بالعطف على الأقسام التي سبق تفصيلها ، أي : والكتاب قد فرق بين المحارم التي حظرها : فمنها كبير أوعد عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس ، ومنها صغير أُرصد له غفرانه كالنظرة بشهوة ونحوها ، ومنهم من رواه « مبایناً » منصوباً على أنه صفة من صفات الكتاب .

(٢) رجوع إلى تقسيم الكتاب ، والمقبول في أذناه الموسع في أقصاه كما في كفارة اليمين يقبل فيها إطعام عشرة مساكين وموسع في كسوتهم وعتق الرقبة .

يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهَ الْحَمَامِ (١) جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ
 عِلَامَةً لِّتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ ، وَآخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ
 سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ ،
 وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ : يُحَرِّزُونَ الْأَرْبَابَ فِي مَتَجَرِّ
 عِبَادَتِهِ ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا ، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَمًا ، فَرَضَ حَجَّهُ ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ ،
 وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ (٢) فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ
 الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
 الْعَالَمِينَ ﴾ .

٦ ومن خطبة له بعد الصرافه من صفين

أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَامًا لِنِعْمَتِهِ ، وَاسْتِيسْلَامًا لِعِزَّتِهِ ، وَاسْتِعْصَامًا مِنْ
 مَعْصِيَتِهِ . وَاسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ ، وَلَا
 يِثْلُ مَنْ عَادَاهُ (٤) ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ . فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وَزَنَ (٥) ،

(١) يألهون إليه : أي يفزعون إليه أو يلوذون به ، ويعكفون عليه ، وروي « يولهن » بفتح
 اللام ، من الوله ، وهو شدة الوجد حتى يكاد العقل يذهب .

(٢) الوفادة : الزيارة .

(٣) صفين كسجين : محلة عدها الجغرافيون من بلاد الجزيرة (ما بين الفرات والدجلة)
 والمؤرخون من العرب عدوها من أرض سوريا ، وهي اليوم في ولاية حلب الشهباء .
 وهذه الولاية كانت من أعمال سوريا .

(٤) وأل يثل : خلص .

(٥) الضمير في « فإنه » للحمد المفهوم من « أحمده » .

وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ . وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
 شَهَادَةً مُّمْتَحِنًا إِخْلَاصُهَا ، مُعْتَقِدًا مُصَاصُهَا (١) نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا
 أَبْقَانَا ، وَنَدْخِرُهَا لِأَهَاوِيلَ مَا يَلْقَانَا (٢) ، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ ،
 وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ ، وَمَذْهَبَةُ الشَّيْطَانِ (٣) .
 وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالَّذِينَ الْمَشْهُورِ ، وَالْعَلَمِ
 الْمَأْثُورِ (٤) وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ ،
 وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ ، وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ ، وَتَحْذِيرًا
 بِالْآيَاتِ ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ ، وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ
 الدِّينِ (٥) وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ (٦) وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ (٧) وَتَشَتَّتَ
 الْأَمْرُ ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ ، وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ (٨) فَالْهُدَى خَامِلٌ ،
 وَالْعَمَى شَامِلٌ : عُصِي الرَّحْمَنُ ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ ، وَخُذِلَ

(١) مصاص كل شيء خالصة .

(٢) الأهويل : جمع أهوال ، وأهوال جمع هول ، فهي جمع الجمع .

(٣) مذخرة الشيطان أي تبعده وتطرده .

(٤) العلم - بالتحريك - ما يهتدي به ، وهو هنا الشريعة الحقة ، والمأثور : المنقول عنه .

(٥) أنجذم : إنقطع .

(٦) السواري : جمع سارية ، وهي العمود والدعامة .

(٧) النجر - بفتح النون وسكون الجيم : الأصل ، أي : اختلفت الأصول فكل يرجع

إلى أصل يظنه مرجع حق ، وما هو من الحق في شيء .

(٨) مصادرهم في أوهامهم وأهوائهم مجهولة غير معلومة ، خفية غير ظاهرة : فلا عن بينة

يعتقدون ، ولا إلى غاية صالحة ينزعون .

الْإِيمَانُ ، فَأَنهَارَتْ دَعَائِمُهُ^(١) ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ^(٢) وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ^(٣) وَعَفَتْ شُرُكُهُ . أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ^(٤) ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَقَامَ لِوَاؤُهُ ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ، وَوَطَّئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا^(٥) وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا ، فَهَمَّ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ ، فِي خَيْرِ دَارٍ ، وَشَرِّ جِيرَانٍ^(٦) . نَوْمُهُمْ سُهَادٌ ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ .

(١) إنهارت : هوت وسقطت ، والدعائم : جمع دعامة ، وهي : ما يستند إليه الشيء ويقوم عليه . ودعامة السقف ، مثلاً : ما يرتفع عليه من الأعمدة .
(٢) التَنَكَّر : التغير من حال تسر إلى حال تكره ، أي : تبدلت علامته وآثاره ، بما أعقب السوء وجلب المكروه .

(٣) درست ، كاندريست ، أي : انطمست . والشرك قال بعضهم : جمع شرك ككتاب ، وهي الطريق . والذي يفهم من القاموس أنها بفتحات جواد الطريق أو ما لا يخفي عليك ولا يستجمع لك من الطرق اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، وعفت بمعنى درست .

(٤) المناهل : جمع منهل ، وهو : مورد الشاربة من النهر .
(٥) الأظلاف : جمع ظلف - بالكسر - للبقر والشاة ، وشبههما ، كالحف للبعير والقدم للإنسان . السنابك : جمع سنبك كقنفذ ، وهو : طرف الحافر .

(٦) خير دار : هي مكة المكرمة ، وشَر الجيران : عبدة الأوثان من قريش . وقوله « نومهم سهاد الخ » كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة ، فهم في أحداث أبلدتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع . والعالم ملجم لأنه لو قال حقاً والجمهور على الباطل لانتاشوه ونهشوه ، والجاهل مكرم لأنه على شاكلة العامة مشايخ لهم في أهوائهم : فمزلته عندهم منزلة أوهامهم وعاداتهم ، وهي في المقام الأعلى من نفوسهم ، وهذه الأوصاف كلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ .

وَمِنْهَا يَعْنِي آلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

مَوْضِعُ سِرِّهِ ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ^(١) ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ^(٢) ، وَمَوْثُلُ
حِكْمِهِ ، وَكُھُوفُ كُتُبِهِ ، وَجِبَالُ دِينِهِ ، بِهِمْ أَقَامَ أَنْحِنَاءَ ظَهْرِهِ ،
وَأَذْهَبَ آرْتِعَادَ فَرَائِصِهِ^(٣) .

ومنها يعني قوماً آخرين :

زَرَعُوا الْفُجُورَ ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ ، وَحَصَّدُوا الثُّبُورَ^(٤) ، لَا
يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مِنْ الْأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلَا يُسَوَّى
بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا . هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ ، وَعِمَادُ
الْيَقِينِ ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي ، وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي^(٥) وَلَهُمْ

(١) اللجأ - محركة - : الملاذ وما تلتجىء اليه كالوزر - محركة - ما تعتصم به .

(٢) العيبة - بالفتح - : الوعاء . والموئل : المرجع أي : أن حكمه وشرعه يرجع إليهم
وهم حفاظ كتبه - يحوونها كما تحوي الكهوف والغيران ما يكون فيها . والكتب
القرآن ، وجمعه لأنه فيها حواه كجملة ما تقدمه من الكتب ، ويزيد عليها ما خص الله
بهذه الأمة .

(٣) كنى بانحناء الظهر عن الضعف ، وباقامته عن القوة . وبهم آمنه من الخوف ترتعد منه
الفرائص .

(٤) جعل ما فعلوا من القبائح كزراع زرعوه ، وما سكنت إليه نفوسهم من الإمهال
واغترارهم بذلك بمنزلة السقي ، فإن الغرور يبعث على مداومة القبيح والزيادة فيه ، ثم
كانت عاقبة أمرهم هذا الثبور ، وهو الهلاك .

(٥) يريد أن سيرتهم صراط الدين المستقيم : فمن غلا في دينه وتجاوز بالافراط حدود
الجادة فانما نجاته بالرجوع إلى سيرة آل النبي وتفيؤ ظلال أعلامهم . وقوله « وبهم
يلحق التالي » يقصد به أن المقصر في عمله المتباطيء في سيره الذي أصبح وقد
سبقه السابقون إنما يتسنى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبي ويحذو حذوهم .

خَصَائِصُ حَقِّ أَلْوَايَةِ ، وَفِيهِمُ الْبُوصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ . الْآنَ إِذْ رَجَعَ
الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ^(١) وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّقِيقِيَّةِ^٢

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ^(٣) وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا
مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى : يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ^(٤) وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ
الطَّيْرُ ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثُوباً^(٥) ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً . وَطَفِقتُ
أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَاءً^(٦) أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ^(٧)

(١) «الآن» ظرف متعلق بـرجع ، و«إذ» زائدة للتوكيد ، سوغ ذلك ابن هشام في نقله
عن أبي عبيدة . أو أن «إذ» للتحقيق بمعنى قد ، كما نقله بعض النحاة .

(٢) لقوله : فيها : «انها شقيقة هدرت ثم قرت» كما يأتي .

(٣) الضمير يرجع إلى الخلافة ، وفلان كناية عن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه .

(٤) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي ، وأن ما يصل إلى غيره من
فيض الفضل فانما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء
الله . وعلى ذلك قوله «ولا يرقى الخ» ، غير أن الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على
الرفعة .

(٥) فسدت الخ : كناية عن غص نظره عنها ، وسدل الثوب : أرخاه . وطوى عنها
كشحاً : مال عنها ، وهو مثل ، لأن من جاع فقد طوى كشحه ، ومن شبع فقد ملأه .
فهو قد جاع عن الخلافة ، أي : لم يلتقمها .

(٦) وطفقت الخ : بيان لعله الإغضاء ، والجذاء بالجيـم والذال المعجمة وبالحاء المهملة
والذال المهملة أيضاً بدلاً من الجيم والذال المعجمتين : بمعنى المقطوعة . ويقولون :
رحم جذاء ، أي : لم توصل ، وسن جذاء أي متهتمة . والمراد هنا ليس ما يؤيدها .
كأنه قال : تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدت دونها ثوباً وطويت عنها
كشحاً .

(٧) طخية - بطاء فحاء بعدها ياء ، ويثلاث أولها - أي : ظلمة ، ونسبة العمى إليها مجاز
عقلي ، وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق ، وهو تأكيد لظلام الحال
واسودادها .

بَهْرَمَ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْذَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى
يَلْقَى رَبَّهُ^(١) فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى^(٢) فَصَبَرْتُ وَفِي
الْعَيْنِ قَذَى ، وَفِي الْحَلْقِ شَجَاً^(٣) أَرَى تُرَاثِي نَهْباً ، حَتَّى مَضَى
الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَذَلَّى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ^(٤) (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ
الْأَعَشَى) :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ^(٥)

(١) يكذح : يسعى سعي المجهود .

(٢) أحجى : ألزم ، من حجي به كرضي : أولع به ولزمه . ومنه هو حجي بكذا أي :
جدير ، وما أحجاء وأحج به ، أي : أخلق به ، وأصله من الحجا بمعنى العقل فهي
أحجى أي أقرب إلى العقل ، وهاتا بمعنى هذه ، أي : رأى الصبر على هذه الحالة التي
وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير .

(٣) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه . والتراث : الميراث .

(٤) أدلى بها : ألقى بها إليه .

(٥) الكور بالضم : الرحل أو هو مع أدواته ، والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في
الآيات قبل في قوله :

وقد أسلي المهم إذ يعترني بجسرة دوسرة عاقر

والجسرة : العظيم من الابل ، والدوسرة : الناقة الضخمة . وحيان : كان سيداً في بني
حنيفة مطاعاً فيهم ، وكان ذا حظوة عند ملوك فارس ، وله نعمة واسعة ورفاهية
وافرة ، وكان الأعشى ينادمه ، والأعشى هذا : هو الأعشى الكبير أعشى قيس ، وهو أبو
بصير ميمون بن قيس بن جندل وأول القصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

وجابر : أخو حيان أصغر منه ، ومعنى البيت أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره وهو على
كور ناقته وبين يوم حيان في رفايته ، فإن الأول كثير العناء شديد الشقاء ، والثاني وافر
النعم وفي الراحة . ويتلو هذا البيت أبيات منها :

=

فَيَا عَجَبًا !! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ (١) إِذْ عَقَدَهَا لِآخِرِ
بَعْدَ وَفَاتِهِ ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعِيَّهَا (٢) فَصَيَّرَهَا فِي حَوِزَةٍ خَشْنَاءَ
يَغْلُظُ كَلَامُهَا (٣) ، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا ، وَيَكْثُرُ أَلْعَاشُ فِيهَا ، وَالْأَعْتِذَارُ
مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ (٤) إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ ، وَإِنْ أَسْلَسَ

= في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر
ما يجعل الجدد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر
(المجدل ، كمنبر : القصر ، والجدد بضم أوله : البئر القليلة الماء ، والظنون : البئر لا
يدرري أفيه ماء أم لا . واللجب : المراد منه السحاب لاضطرابه به وتحركه ، والفراتي :
الفرات . وزيادة الباء للمبالغة . والبوصي : ضرب من السفن معرب بوزي . والماهر
الساحب المجيد) ووجه مثل الإمام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل .

(١) رَوَوْا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ بَعْدَ الْبَيْعَةِ « أَقِيلُونِي فَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » وَأَنْكَرَ الْجُمْهُورُ هَذِهِ الرَّوَايَةَ
عَنْهُ ، وَالْمَعْرُوفُ عَنْهُ : « وَلَيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » .

(٢) لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعِيَّهَا : جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين فالفاء في فصيرها
عطف على عقدها . وتشطر مسند إلى ضمير التثنية . وضرعها تثنية ضرع وهو
للحيوانات مثل الثدي للمرأة . وقالوا إن للناقة في ضرعها شطرين كل خلفين شطر .
ويقال : شطر بناقته تشطيراً ، صر خلفيها وترك خلفين . والشطر أيضاً : أن تحلب
شطراً وتترك شطراً ، فتشطرأي : أخذ كل منهما شطراً . وسمي شطري الضرع
ضرعين مجازاً : وهو ههنا من أبلغ أنواعه حيث إن من ولي لخلافة لا ينال الأمر إلا
تاماً ، ويجوز أن يترك منه لغيره سهماً ، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم
التشطر والاققسام ، كأن أحدهما ترك منه شيئاً للآخر ، وأطلق على كل شطر اسم
الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل .

(٣) الكلام - بالضم - الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها . وإنما هو بمعنى الجرح كأنه
يقول : خشونتها تجرح جرحاً غليظاً .

(٤) الصعبة من الإبل : ما ليست بذلول ، وأشنع البعير ، وشنقه : كفه بزمامه حتى
ألصق ذفره (العظم الناقء خلف الاذن) بقادمة الرجل ، أو رفع رأسه وهو راكبه ،
واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس . وأسلس : أرخى ، وتقحم : رمى بنفسه

لَهَا تَقَحَّم ، فَمُنِّيَ النَّاسُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ ^(١) وَتَلَوْنِ
وَأَعْتَرَضَ ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ ، حَتَّى إِذَا
مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ، فَيَا اللَّهَ
وَلِلشُّورَى ^(٢) مَتَى أَعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ

في القحمة ، أي الهلكة ، وسيأتي معنى هذه العبارة في الكتاب ، وراكب الصعوبة : إما
أن يشنقها فيخرم انفها ، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته .
(١) مني الناس : إبتلوا وأصيبوا ، والشماس - بالكسر - إباء ظهر الفرس عن الركوب ،
والنفار والخبط : السير : على غير جادة . والتلون : التبديل والاعتراض : السير على
غير خط مستقيم ، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولاً يقال : بعير عرضي ، يعترض
في سيره لأنه لم يتم رياضته ، وفي فلان عرضية ، أي : عجرفة وصعوبة .
(٢) إجمال القصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره إلى ربه
إستشار فيمن يوليه الخلافة من بعده فأشير عليه بابنه عبدالله فقال : لا يليها (أي
الخلافة) إثنان من ولد الخطاب ، حسب عمر ما حل ! ثم رأى أن يكل الأمر إلى رأي
سته قال : إن النبي ﷺ مات وهو راض عنهم واليه بعد التشاور أن يعينوا واحداً
منهم يقوم بأمر المسلمين والسته رجال الشورى هم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن
عفان وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي
وقاص ، رضي الله عنهم . وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة ،
وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه حنة بنت سفيان بن
أمية بن عبد شمس ، ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور . وعبد الرحمن
كان صهراً لعثمان ، لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من
أمه ، وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلات بينهما ، على ما ذكره بعض رواة الأثر . وقد
يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي وقد كان بين بني هاشم وبني تيم
مواجهد لمكان الخلافة في أبي بكر ، وبعد موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتمعوا
وتشاوروا فاختلفوا ، وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان ، والزبير إلى علي ، وسعد إلى
عبد الرحمن . وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشوري فوق ثلاثة أيام ، وأن لا
يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال : إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه
عبد الرحمن . فأقبل عبد الرحمن على علي وقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب =

إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ (١) !! لِكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُؤُا (٢) وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا ،
فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ (٣) وَمَالَ الْآخِرُ لِصَهْرِهِ (٤) مَعَ هَنٍ
وَهَنٍ (٥) إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حُضْنِيهِ (٦) بَيْنَ نَثِيلِهِ
وَمُعْتَلِفِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبْلِ

= الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده . فقال علي : أرجو أن أفعل وأعمل على
مبلغ علمي وطاقتي ، ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك ، فأجابه بنعم . فرفع
عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال : اللهم اسمع واشهد .
اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان ، وصفق بيده في يد عثمان .
وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين وبإيعه . قالوا : وخرج الإمام واجداً ، فقال
المقداد بن الأسود لعبد الرحمن : والله لقد تركت علياً وإنه من الذين يقضون بالحق وبه
يعدلون . فقال : يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين . فقال المقداد : والله إني
لأعجب من قريش ، إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضي بالحق ولا أعلم
به منه . فقال عبد الرحمن : يا مقداد ، إني أخشى عليك الفتنة فاتق الله . ثم لما حدث
في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه
كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن : هذا عمل يدريك ، فقال : ما كنت أظن هذا
به ! ولكن الله علي أن لا أكلمه أبداً ، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، حتى
قيل : إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلمه ! والله أعلم ،
والحكم لله يفعل ما يشاء .

- (١) المشابه بعضهم بعضاً دونه .
- (٢) أسف الطائر : دنا من الأرض ، يريد أنه لم يخالفهم في شيء .
- (٣) صغى صغياً وصغاً صغواً : مال ، والضغن : الضغينة يشير إلى سعد .
- (٤) يشير إلى عبد الرحمن .
- (٥) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها .
- (٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه
في خبر القضية . ونافجاً حضنيه : رافعاً لها ، والحضن : ما بين الابط والكشح . يقال
للمتكبر : جاء نافجاً حضنيه . ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً . والنثيل : الروث .
والمعتلف : من مادة علف وهو معروف ، أي : لا هم له إلا ما ذكر .

نَبْتَةَ الرَّبِيعِ (١) إِلَى أَنْ أَنْتَكْتَ فَتْلَهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ (٢) وَكَبَتْ بِهِ
بِطْنَتَهُ (٣) فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُورِ الضُّبُعِ إِلَيَّ (٤) يَنْشَالُونَ عَلَيَّ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عِطْفَايَ ،
مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ (٥) فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَّثْتُ
طَائِفَةً ، وَمَرَقْتُ أُخْرَى ، وَقَسَطَ آخَرُونَ (٦) كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ
اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ بَلَى ! وَاللَّهِ لَقَدْ
سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ (٧) ، وَرَاقَهُمْ

(١) الخضم ، على ما في القاموس : الأكل مطلقاً ، أو باقصى الأضراس ، أو ملء الفم
بالمأكول ، أو خاص بالشيء الرطب . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان أخف من
الخضم . والنبتة - بكسر النون - كالنبات في معناه .

(٢) إنتكث فتله : إنتقض . وأجهز عليه عمله : تم قتله ، تقول : أجهزت على
الجريح ، وذفت عليه .

(٣) البطنة - بالكسر - البطر والأشر والكظة (أي : التخمة والاسراف في الشبع) ،
وكبت به : من كبا الجواد إذا سقط لوجهه .

(٤) عرف الضبع : ما كثر على عنقها من الشعر ، وهو ثخين ، يضرب به المثل في الكثرة
والازدحام . وينالون : يتابعون مزدحمين ، والحسنان : ولداه الحسن والحسين ، وشق
عطفاه : خدش جانبيه من الاصطكاك . وفي رواية « شق عطافي » والعطاف : الرداء .
وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة .

(٥) ربيعة الغنم : الطائفة الرابضة من الغنم ، يصف ازدحامهم حوله وجشومهم بين
يديه .

(٦) الناكثة : أصحاب الجمل ، والمارقة : أصحاب النهروان . والقاسطون - أي
الجاثرون - أصحاب صفين .

(٧) حليت الدنيا : من حليت المرأة إذا تزينت بحليها . والزبرج : الزينة من وشى
أو جوهر :

زُبْرُجُهَا ، أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ^(١) لَوْلَا حُضُورُ
الْحَاضِرِ^(٢) وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى
الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبٍ مَظْلُومٍ^(٣) ،
لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا^(٤) ، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوَّلَهَا ،
وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدُ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَنَزٍ^(٥) .

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد^(٦) عند بلوغه الى هذا
الموضع من خطبته فناوله كتاباً ، فأقبل ينظر فيه ، قال له ابن
عباس رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ، لو أَطْرَدْتَ خطبتك من
حيث أفضيت .

فَقَالَ : هَيْهَاتِ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ^(٧) هَدَرْتُ ثُمَّ

قَرَّتْ

(١) النسمة - محرقة - الروح ، وبرأها : خلقها .

(٢) من حضر لبيعته ، ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره .

(٣) والناصر : الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة
الصحيحة ، والكظة : ما يعترى الأكل من امتلاء البطن بالطعام ، والمراد : استئثار
الظالم بالحقوق . والسغب : شدة الجوع ، والمراد منه : هضم حقوقه .

(٤) الغارب : الكاهل ، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر .

(٥) عقطة العنز : ما تنثره من أنفها ، تقول : عفطت تعفط من باب ضرب ، غير أن
أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة . والأشهر في العنز النفضة بالنون ، يقال : ما له عافط
ولا نافط ، أي : نعجة ولا عنز . كما يقال : ما له ثاغية ولا راغية . والعقطة الحبة
أيضاً ، لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم .

(٦) السواد : العراق ، وسمي سواداً لخضرته بالزرع والأشجار ، والعرب تسمي
الأخضر أسود . قال الله تعالى ﴿مدهامتان﴾ يريد الخضرة ، كما هو ظاهر .

(٧) الشقشقة - بكسر فسكون فكسر - شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج ، =

قال ابن عباس : فوالله ما أسفتُ على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .

(قوله « كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم » يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها . يقال : أشنق الناقة ، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه ، وشنقها ايضاً ، ذكر ذلك ابن السكيت في « إصلاح المنطق » . وانما قال : « أشنق لها » ولم يقل « أشنقها » لأنه جعله في مقابل قوله « أسلس لها » فكأنه عليه السلام قال : ان رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها) .

ومن خطبة له عليه السلام

بِنا أَهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُمْ أَعْلِيَاءَ^(١) وَبِنا أَنْفَجَرْتُمْ

= وصوت البعير بها عند إخراجها هدير ، ونسبة الهدير اليها نسبة إلى الآلة ، قال في القاموس : والخطبة الشقشقية العلوية ، وهي هذه .

(١) تسنتم العلواء : ركبتم سنامها وارتقيتم إلى أعلاها ، والسرار - كسحاب وكتاب - آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر . وانفجرتم : دخلتم في الفجر ؛ والمراد كنتم في ظلام حالك ، وهو ظلام الشرك والضلال ، فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا ، والضمير لمحمد ﷺ ، والإمام ابن عمه ونصيره في دعوته ، ويروى « أفجرتم » بدل « انفجرتم » وهو أفصح وأوضح ، لأن انفعل لا يأتي لغير المطاوعة إلا =

عَنِ السَّرَارِ . وَقَرَّ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ^(١) وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبَأَ مَنْ
أَصْمَتَهُ الصَّيْحَةُ^(٢) . رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ^(٣) مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ
بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ^(٤) سَتَرَنِي عَنْكُمْ
جِلْبَابُ الدِّينِ^(٥) وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ
الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ^(٦) حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا

= نادراً ، أما أفعل فيأتي لصيرورة الشيء إلى حال لم يكن عليها ، كقولهم : أجرب
الرجل : إذا صارت إبله جرباً ، وأمثاله كثير .

(١) الواعية : الصاخة والصارخة والصراخ نفسه ، والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة
الأثر ، ووقرت أذنه فهي موقورة ، ووقرت كسمعت : صمت ، دعاء بالصمم على من
لم يفهم الزواجر والعبر .

(٢) الصيحة هنا : الصوت الشديد ، والنبأ : أراد منها الصوت الخفي ، أي : من
أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكن أن يسمع النبأ فإعياها ، ويشير بالصيحة إلى
زواجر كتاب الله ومقال رسوله . وبالنبأ إلى ما يكون منه رضي الله عنه . وقد رأينا هذا
أقرب مما أشرنا إليه في الطبعة السابقة .

(٣) ربط جأشه رباطة بكسر الراء : إشتد قلبه ، ومثله رباطة الجنان ، أي : القلب ،
وهو دعاء للقلب الذي لازمه الخفقان والاضطراب خوفاً من الله بأن يثبت ويستمسك .

(٤) ينتظر بهم الغدر : يتربص غدرهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة وانهم لا
يمييزون بين الحق والباطل ، ولهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه إلى من ليس من الحق
على مثل حاله ، والحلية هنا : الصفة .

(٥) جلباب الدين : ما لبسوه من رسومه الظاهرة ، أي : ان الذي عصمكم مني هو ما
ظهرتم به من الدين وإن كان صدق نيتي قد بصرنى ببواطن أحوالكم وما تكنه
صدوركم ، وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته إلى سرائر النفوس فتستخرجها .

(٦) المضلة - بكسر الضاد وفتحها - الأرض يضل سالكها . وللضلال طرق كثيرة ، لأن
كل ما جار عن الحق فهو باطل وللحق طريق واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق
الضلال ، لهذا قال : أقمت لكم على سنن الحق ، وهو طريقه الواضح فيما بين جواد
المضلة ، وطرقها المتشعبة حيث يلاقي بعضكم بعضاً وكلكم تائهون ، فلا فائدة في
التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل .

تَمِيهُونَ^(١) . أَلْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ^(٢) غَرَبَ رَأْيُ
أَمْرِي تَخَلَّفَ عَنِّي^(٣) مَا شَكَّكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ . لَمْ يُوجِسْ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ^(٤) أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ
وَدَوَّلَ الضَّلَالِ . أَلْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، مَنْ
وَثَقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ .

ومن خطبة له عليه السلام

٥

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو
سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة .

أَيُّهَا النَّاسُ ، شُقُّوا أُمُوجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النُّجَاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ
طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تِيْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ^(٥) أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحِ ،

(١) تميهون : تجدون ماء ، من أماهوا أرضهم : أنبطوا ماءها : أو تستقون ، من أماهوا
دوابهم : سقوها .

(٢) أراد من العجماء رموزه وإشارات ، فانها وإن كانت غامضة على من لا بصيرة لهم
لكنها جلية ظاهرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، لهذا سماها ذات البيان
مع انها عجماء .

(٣) غرب : غاب ، أي : لا رأي لمن تخلف عني ولم يطعني .

(٤) يتأسى بموسى عليه السلام ، إذ رموه بالخيفة ، ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون ،
فانه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل ، كما كان من نبي الله موسى ،
وهو أحسن تفسير لقوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ وأفضل تبرئة لنبي
الله من الشك في أمره .

(٥) - قلب قضد به المبالغة ، والقصد ضعوا تيجان المفاخرة عن رؤوسكم . وكأنه يقول :

أَوْ اسْتَسْلَمَ فَأَرَّاحَ^(١) ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ^(٢) وَلُقْمَةٌ يَغْصُ بِهَا آكِلُهَا .
وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتٍ إِيْنَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ^(٣) فَإِنْ أَقْلُ
يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا : جَزَعَ مِنْ
الْمَوْتِ^(٤) هِيَ هَاتِ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي^(٥) وَاللَّهُ لَا بُنْ أَبِي طَالِبٍ أَنْسُ
بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثُدْيِ أُمِّهِ ، بَلِ أَنْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونٍ عِلْمٍ لَوْ

= طَاطَنُوا رُؤُوسَكُمْ تَوَاضَعُوا ، وَلَا تَرْفَعُوهَا بِالْمُفَاحِرَةِ إِلَى حَيْثُ تَصِيْهَا تِيْجَانَهَا . وَيُرْوَى
وَضَعُوا تِيْجَانَ الْمَفَاحِرَةِ بِدُونِ لَفْظِ « عَنْ » وَهُوَ ظَاهِرٌ ، وَعَرَجَ الطَّرِيقَ : مَالٌ عَنْهُ
وَتَنَكَبَهُ .

(١) المفلح أحد رجلين : إما ناهض للأمر بجناح ، أي : بناصر ومعين يصل بمعونته إلى
ما نهض إليه ، وإما مستسلم يريح الناس من المنازعة بلا طائل ، وذلك عند عدم
الناصر . وهذا ينحو نحو قول عنزة لما قيل له : إنك أشجع العرب ، فقال : لست
بأشجعهم ، ولكنني أقدم إذا كان الإقدام عزماً وأحجم إذا كان الإحجام حزمًا .

(٢) الآجن : المتغير الطعم واللون لا يستساغ ، والإشارة إلى الخلافة ، أي : أن الأمرة
على الناس والولاية على شؤونهم مما لا يئنا لصاحبه ، بل ذلك أمر يشبه تناوله تناول الماء .
الآجن ، ولا تحمد عواقبه : كاللقمة يغص بها آكلها فيموت بها .

(٣) يشير إلى أن ذلك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الأمر ، فلو نهض إليه كان
كمجتنى الثمرة قبل إيناعها ونضجها ، وهو لا ينتفع بما جنى كما أن الزارع في غير أرضه
لا ينتفع بما زرع .

(٤) إن تكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف قصده بالحرص على السلطان ، وإن
سكت - وهم يعلمونه أهلاً للخلافة - يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقه .

(٥) أي : بعد ظن من يرميني بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها
وكبيرها ، قيل : إن رجلاً تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقي بعشرتها ، ثم طلقها وتزوج
أخرى طويلة ، فكان شقاؤه بها أشد ، فطلقها ، وقال : لا أتزوج بعد اللتيا والتي ،
يشير بالأولى إلى الصغيرة وبالثانية إلى الكبيرة ، فصارت مثلاً في الشدائد والمصاعب
صغيرها وكبيرها . وقوله « هيهات الخ » : نفى لما عساهم يظنون من جزعه من الموت
عند سكوته .

بُحْتُ بِهِ لَا ضَظْرَبْتُمْ أَضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطُّوِيِّ الْبَعِيدَةِ (١) .

٦ **وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ لَمَّا أَشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَتَّبِعَ ظِلْمَةَ وَالْزَّبِيرِ وَلَا يَرْصِدَ**

لَهُمَا الْقِتَالُ ٢

وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَالضُّبُعِ : تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ (٣) ، حَتَّى
يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا ، وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا ، وَلِكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى
الْحَقِّ الْمُدِيرِ عَنْهُ ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ أَبَدًا ،
حَتَّى تَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي . فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثِرًا
عَلَيَّ مِنْذُ قَبْضِ اللَّهِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ
النَّاسِ هَذَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٧ **أَتَّخِذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً (٤) وَاتَّخِذْهُمْ لَهُ أَشْرَكَاً ،**

(١) أدججه : لفه في ثوب ، فاندمج ، أي : انطويت على علم والتفتت عليه ،
والأرشيّة : جمع رشاء ، بمعنى الحبل . والطوى : جمع طوية ، وهي البئر . والبعيدة
بمعنى العميقة ، أو هي بفتح الطاء كعلی ، بمعنى السقاء : ويكون البعيدة نعتاً سببياً ،
أي : البعيدة مقرها من البئر : أو نسبة البعد إليها في العبارة مجاز عقلي .

(٢) يرصد : يتربص ، أو هو رباعي من الأرصاد بمعنى الإعداد أي : ولا يعد لهما
القتال .

(٣) اللدم : الضرب بشيء ثقیل يسمع صوته : قال أبو عبيد : يأتي صائد الضبع
فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضرباً غير شديد ، وذلك هو اللدم ، ثم يقول
خامري أم عامر ، بصوت ضعيف ، يكررها مراراً ، فتنام الضبع على ذلك ، فيجعل
في عرقوبها حبلاً ويجرها فيخرجها ، وخامري أي : استتري في حرك . ويقال : خامر
الرجل منزله ، إذا لزمه .

(٤) ملاك الشيء - بالفتح ، ويكسر - قوامه الذي يملك به ، والأشراك : جمع شريك =

فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ^(١) وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ^(٢) فَنَظَرَ
بِأَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فَكَرَبَ بِهِمُ الزَّلْزَلُ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ^(٣)
فَعَلَ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى
لِسَانِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

يعني به الزبير في حالٍ اقتضت ذلك

يَزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ؛ فَقَدْ أَقْرَ بِالْبَيْعَةِ ،
وَأَدْعَى الْوَلِيَجَةَ^(٤) فَلَيَّاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرِفُ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ
مِنْهُ .

ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ أَرَعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ ؛ وَلَسْنَا

= كشریف وأشراف ، فجعلهم شركاءه أو جمع شرك . وهو ما يصاد به ، فكأنهم آلة
الشیطان في الإضلال .

(١) باض وفرخ : كناية عن توطئه صدورهم وطول مكثه فيها ، لأن الطائر الأبيض لا
يبيض إلا في عشه ، وفراخ الشيطان : وساوسه .

(٢) دب ودرج الخ : أي تروى في حجورهم كما يروى الطفل في حجر والديه حتى يبلغ
فتوته ويملك قوته .

(٣) الخطل : أقبح الخطأ . والزلل : الغلط والخطأ .

(٤) الوليجة : الدخيلة . وما يضمرفي القلب ويكتم ، البطانة .

نَرْعَدُ حَتَّى نُوَقِعَ^(١) وَلَا نَسِيلُ حَتَّى نُمِطَرَ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ ،
وَرَجَلَهُ ، وَإِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي : مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَلَا لُبَّسَ
عَلَيَّ . وَآيَمُ اللَّهِ لَا أُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ^(٢) لَا يُصْدِرُونَ
عَنْهُ ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ^(٣) .

ومن كلام له عليه السلام

١٦

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُ ! عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ^(٤) ، أَعِزَّ اللَّهُ

(١) وإذا أوقعنا بعدو أو عدنا بآخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه ، وإذا أمطرنا أسلنا ، أما أولئك الذين يقولون نفعل ونفعل وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر ، وهو محال غير موجود ، فهم كالعدم فيما به يوعدون .

(٢) أفرطه : ملاءه حتى فاض ، والماتح : من متح الماء ، أي : نزعه ، أي : أنا نازع ماءه من البشر فملاء به الحوض ، وهو حوض البلاء والفناء ، أو أنا الذي أسقيهم منه .

(٣) أي : أنهم سيردون الحرب فيموتون عندها ، ولا يصدرون عنها ، ومن نجا منهم فلن يعود إليها .

(٤) النواجذ : أقصى الأضراس ، أو كلها أو الأنياب ، والناجذ واحدها ، قيل إذا عض الرجل على أسنانه اشتدت أعصاب رأسه وعظامه ولهذا يوصي به عند الشدة ليقوى ، والصحيح ان ذلك كناية عن الحمية ، فان من عادة الإنسان إذا حي واشتد غيظه على

جُمِّمَتَكَ تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ (١) ، أَرَمَ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ
وَعُضُّ بَصْرِكَ (٢) وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

ومن كلام له عليه السلام

١٢

لما أظفره الله بأصحاب الجمل ، وقد قال له بعض أصحابه : وددت
أن أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك .

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَهْوَى أَخِيكَ مَعَنَا (٣) ؟ فَقَالَ : نَعَمْ .
قَالَ : فَقَدْ شَهِدْنَا . وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ
الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، سَيَرَعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ (٤) ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ .

ومن كلام له عليه السلام

١٣

في ذم أهل البصرة

كُنْتُمْ جُنْدُ الْمَرْأَةِ ، وَاتَّبَاعَ الْبَهِيمَةِ (٥) : رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ

= عدوه عض على أسنانه . وأعر : أمر من أعار ، أي : ابذل جمجمتك لله تعالى ، كما
يبذل المعير ماله للمستعير .

(١) أي : ثبتها ، من وتد يتد .

(٢) أرم ببصرك الخ ، أي : أحط بجميع حركاتهم ، وغض النظر عما يخيفك منهم ،
أي : لا يهولك منهم هائل .

(٣) هوى أخيك : أي ميله ومحبه .

(٤) يعرف بهم ، أي : سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالعرف : يأتي بهم على غير
انتظار .

(٥) يريد الجمل . ومجمل القصة أن طلحة والزبير بعد ما بايعا أمير المؤمنين فارقاه في =

فَهَرَبْتُمْ ، أَخْلَقُكُمْ دِقَاقٌ^(١) وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ،
وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ^(٢) وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ ، وَالشَّائِخِصُ
عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُوجُؤٍ سَفِينَةٍ^(٣)
قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي
ضِمْنِهَا .

وفي رواية : وَآيَمُ اللَّهِ لَتَغْرُقَنَّ بِلَدَّتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى
مَسْجِدِهَا كَجُوجُؤٍ سَفِينَةٍ ، أَوْ نِعَامَةٍ جَائِمَةٍ^(٤) .

= المدينة وأتيا مكة مغاضبين ، فالتقيا بعائشة زوجة النبي ﷺ ، فسألتهما الأخبار ،
فقالا : إنا نحملنا هرباً من غوغاء العرب بالمدينة ، وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون
حقاً ، ولا ينكرون باطلاً ، ولا يمتنعون أنفسهم . فقالت : نهض إلى هذه الغوغاء أو
نأتي الشام ؟ فقال أحد الحاضرين : لا حاجة لكم في الشام قد كفاكم أمرها معاوية
فلنأت البصرة ، فان لأهلها هوى مع طلحة ، فعزموا على المسير ، وجهزهم يعلى بن
منبه ، وكان والياً لعثمان على اليمن وعزله علي كرم الله وجهه ، وأعطى للسيدة عائشة
جلاً اسمه عسكر ، ونادى مناديا في الناس بطلب ثار عثمان ، فاجتمع نحو ثلاثة
آلاف ، فسارت فيهم إلى البصرة ، وبلغ الخبر علياً فأوسع لهم النصيحة وحذرهم
الفتنة ، فلم ينجح النصيح ، فتجهز لهم وأدركهم بالبصرة ، وبعد محاولات منه كثيرة كان
يبغي بها حقن الدماء نشبت الحرب بين الفريقين ، واشتد القتال ، وكان الجمل
يعسوب البصريين : قتل دونه خلق كثير من الفئتين ، وأخذ خطامه سبعون قرشياً ما
نجا منهم أحد . وانتهت الموقعة بنصر علي كرم الله وجهه بعد عقر الحمل . وفيها قتل
طلحة والزبير ، وقتل سبعة عشر ألفاً من أصحاب الجمل ، وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقتل
من أصحاب علي ألف وسبعون .

(١) دقة الأخلاق : دناءتها .

(٢) زعاق : مالح .

(٣) الجُوجُؤ : الصدر .

(٤) من « جثم » إذا وقع على صدره ، أو تلبد بالأرض وقد وقع ما أوعد به أمير =

وفي رواية : كَجُوجُو طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .
وفي رواية أخرى : بِلَادُكُمْ أَنْتُنْ بِلَادِ اللَّهِ تُرَبَّةٌ : أَقْرَبُهَا مِنْ
الْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَغْشَارِ الشَّرِّ ، الْمُحْتَبَسُ
فِيهَا بِذَنْبِهِ وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللَّهِ ، كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى قَرَيْتِكُمْ هَذِهِ قَدْ
طَبَّقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرْفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُوجُو طَيْرٍ
فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .

ومن كلام له عليه السلام

١٤

في مثل ذلك

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ
وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ^(١) ، وَأُكْلَةٌ لِإِكِلٍ ، وَفَرِيسَةٌ
لِصَائِلٍ .

ومن كلام له عليه السلام

١٥

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه^(٢)

وَاللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ ، وَمَلَكَ بِهِ الْإِمَاءَ ، لَرَدَدْتُهُ

= المؤمنين ، فقد غرقت البصرة ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف
بجزيرة الفرس ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ولم يبق ظاهراً منها إلا
مسجدها الجامع . ومعني قوله « أبعدا من السماء » : انها في أرض منخفضة ،
والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع .

(١) الغرض : ما ينصب ليرمى بالسهم . والنابل : الضارب بالنبل .

(٢) قطائع عثمان : ما منحه للناس من الأراضي .

فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ
أَضْيَقُ^(١) .

ومن كلام له عليه السلام

لما بويع بالمدينة

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً^(٢) وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ
الْعَبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ^(٣) حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقْحُمِ
الشُّبُهَاتِ ؛ أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤) وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَلَنَّ بَلْبَلَةً ،

(١) أي : أن من عجز عن تدبير أمره بالعدل فهو عن التدبير بالجور أشد عجزاً ، فان
الجور مظنة أن يقاوم ويصد عنه . وهذه الخطبة رواها الكلبي مرفوعة إلى أبي صالح عن
ابن عباس أنَّ علياً خطب ثاني يوم من بيعته في المدينة فقال : ألا إن كل قطيعة أقطعها
عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود في بيت المال فان الحق القديم لا
يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج الخ .

(٢) الذمة : العهد ، تقول : هذا الحق في ذمتي ، كما تقول في عنقي . وذلك كناية عن
الضمان والالتزام والزعيم الكفيل ، يريد أنه ضامن لصندوق ما يقول ، كفيل بانه الحق
الذي لا يدافع .

(٣) العبر - بكسر ففتح - جمع عبرة بمعنى الموعظة ، والمثلاث : العقوبات ، أي : من كشف
له النظر في احوال من سبق بين يديه وحقق له الاعتبار والاتعاظ أن العقوبات التي
نزلت بالامم والأجيال والأفراد من ضعف وذل وفاقة وسوء حال إنما كانت بما كسبوا من
ظلم وعدوان ، وما لبسوا من جهل وفساد أحوال ، ملكته التقوى وهي التحفظ من
الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لأهلها فمنعته عن تقحم الشبهات والتردي فيها ،
فان الشبه مظنة الخطيئة ، والخطيئة مجلبة العقوبة .

(٤) إن بلية العرب التي كانت محيطه بهم يوم بعث الله نبيه محمداً ﷺ هي بلية الفرقة ،
ومحنة الشتات : حيث كانوا متباغضين متنافرين ، يدعوا كل منهم إلى عصبيته وينادي

وَلَتُغْرِبْلَنَّ غَرْبِلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوَاطُنَ الْقَدْرِ^(١) حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ
وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلُكُمْ ؛ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَرُوا ، وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا
سَبَقُوا^(٢) وَاللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشَمَةً^(٣) وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً ، وَلَقَدْ نَبَّئْتُ
بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ ؛ أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلُ شَمْسٍ حُمِلَ
عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخُلِعَتْ لُجْمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ^(٤) أَلَا وَإِنَّ

= نداء عشيرته ، يضرب بعضهم رقاب بعض ، فتلك الحالة التي هي مهلكة الأمم قد صاروا إليها بعد مقتل عثمان : بعثت العداوات التي كان قد قتلها الدين ، ونفخت روح الشحنة بين الأمويين والهاشميين وأتباع كل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) «لتبليبن» أي : لتخلطن من نحو «تبليت الألسن» اختلطت ، «ولتغربلن» أي : لتقطعن من غربلت اللحم ، قطعته و«لتساطن» من السوط ، وهو ان تجعل شيئين في الإناء. وتضربهما بيدك حتى يختلطا . وقوله «سوط القدر» أي : كما تختلط الأبرار ونحوها في القدر عند عليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ، وكل ذلك حكاية عما يؤولون اليه من الاختلاف وتقطع الأرحام وفساد النظام .

(٢) ولقد سبق معاوية إلى مقام الخلافة وقد كان في قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله إليه ، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه وقد كانوا أسبق الناس إليه .

(٣) الوشمة : الكلمة : وقد كان رضي الله عنه لا يكتم شيئاً يحوك بنفسه : كان أماراً بالمعروف ، نهاء عن المنكر ، لا يحابي ، ولا يداري ، ولا يكذب ولا يداجي ، وهذا القسم توطئة لقوله : ولقد نبئت بهذا المقام ، أي : أنه قد أخبر من قبل على لسان النبي ﷺ بأن سيقوم هذا المقام ويأتي عليه يوم مثل هذا اليوم .

(٤) الشمس - بضمين وبضم فسكون - جمع شمس وهي من «شمس» كنصر أي منع ظهره أن يركب ، وفاعل الخطيئة إنما يقتربها لغاية زينته له يطلب الوصول إليها ، فهو شبيه براكب فرس يجري به إلى غايته ، لكن الخطايا ليست إلى الغايات بمطايا ، فانها اعتساف عن السبيل واختباط في السير ، لهذا شبهها بالخيول الشمس التي قد خلعت لجمها ، لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه إلى حيث ترديه وتتقحم به في النار . وتشبيه التقوى بالمطايا الدلل ظاهر ، فان التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة ، فصاحبها على الجادة لا يزال عليها حتى يوافي الغاية . والدلل : جمع ذلول ، وهي المروضة الطائفة بالسلسلة القياد .

الْتَقَوَى مَطَايَا ذُلُّ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأُعْطُوا أَرْمَتَهَا فَأُورِدَتْهُمْ
الْجَنَّةَ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ^(١) فَلَيْتُنْ أَمَرَ الْبَاطِلُ لَقْدِيمًا
فَعَلَ ، وَلَيْتُنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ^(٢) .

قال الشريف : أقول : إن في هذا الكلام الأذنى من
مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ ، مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الْإِسْتِحْسَانِ ، وَإِنَّ حَظَّ
الْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ الْعَجَبِ بِهِ ، وَفِيهِ - مَعَ الْحَالِ الَّتِي
وَصَفْنَا - زَوَائِدُ مِنَ الْفَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ ، وَلَا يَطْلُعُ فَجَّهَا
إِنْسَانٌ^(٣) ، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحَقٍّ ،
وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ^(٤) ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ .

(١) أي : أن ما يمكن أن يكون عليه الإنسان ينحصر في أمرين : الحق ، والباطل ، ولا
يخلو العلم منها . ولكل من الأمرين أهل : فللحق أقوام ، وللباطل أقوام ، ولئن أمر
الباطل - أي : كثر بكثرة أعوانه - فلقد كان منه قديماً لأن البصائر الزائفة عن الحقيقة
أكثر من الثابتة عليها . ولئن كان الحق قليلاً بقله انصاره فلربما غلبت قلته كثرة
الباطل ، ولعله يقهر الباطل ويمحقه .

(٢) هذه الكلمة صادرة من ضمير نفسه يستبعد بها أن تعود دولة لقوم بعد ما زالت
عنهم . ومن هذا المعنى قول الشاعر :

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما ذوى نبت جنبه وجف الشارع
فقلت : إلى أن يرجع النهر جارياً ويوشب جنباه تموت الضفادع

(٣) « لا يطلع » من قولهم : أطلع الأرض ، أي : بلغها ، والفتح : الطريق الواسع بين
جبلين في قبل من أحدهما .

(٤) العرق : الأصل ، أي : سلك في العمل بصناعة الفصاحة والصدور عن ملكتها
على أصولها وقواعدها .

ومن هذه الخطبة :

شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ^(١) سَاعَ سَرِيعٍ نَجَا^(٢) ، وَطَالِبُ
بَطِيءٍ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى ، أَلْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ ،
وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَةُ^(٣) عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَأَثَارُ النُّبُوَّةِ ،
وَمِنْهَا مَنَفَذُ السَّنَةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ ، هَلَكَ مَنْ ادَّعَى ، وَخَابَ
مَنْ أَفْتَرَى ، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ^(٤) وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ

(١) « شغل » مبني للمجهول نائب فاعله ، من ، الجنة والنار مبتدأ خبره أمامه ، والجملة صلة من ؛ أي : كفى شاغلاً أن تكون الجنة والنار أمامك ومن كانت أمامه الجنة والنار - على ما وصف الله سبحانه - فحري به أن تنفذ أوقاته جميعها في الاعداد للجنة والابتعاد عما عساه يؤدي إلى النار .

(٢) يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : الأول : الساعي إلى ما عند الله السريع في سعيه ، وهو الراقف عند حدود الشريعة لا يشغله فرضها عن نفلها ، ولا شاقها عن سهلها . والثاني : الطالب البطيء له قلب تعمره الخشية ، وله ميل إلى الطاعة ، لكن ربما قعد به عن السابقين ميل إلى الراحة فيكتفي من العمل بفرضه ، وربما انتظر به غير وقته ، وينال من الرخص حظه ، وربما كانت له هفوات ، ولشهوته نزوات على أنه رجاع إلى ربه ، كثير الندم على ذنبه ، فلذلك الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهو يرجو أن يغفر له . والقسم الثالث : المقصر ، وهو الذي حفظ الرسم ونسي الاسم ، وقال بلسانه انه مؤمن ، وربما شارك الناس فيما يأتون من اعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابهها ، وظن أن ذلك كل ما يطلب منه ، ثم لا تورده شهوته منهلاً إلا عب منه ، ولا يميل به هواه إلى أمر إلا انتهى إليه ، فذلك عبد الهوى ، وجدير به أن يكون في النار هوى .

(٣) اليمين والشمال مثال لما زاغ عن جادة الشريعة والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة ، ثم أخذ يبين أن الجادة والطريق الوسطى وهي سبيل النجاة ، جاء الكتاب هادياً إليها ، والسنة لا تنفذ إلا منها ، فمن خالف الكتاب ونبد السنة ثم ادعى أنه على الجادة فقد كذب ، ولهذا يقول : خاب من ادعى ، أي : من ادعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده مما يدعيه إلا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل عن الجادة .

(٤) الرواية الصحيحة هكذا : من أبدى صفحته للحق هلك ، أي : من كاشف الحق =

لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ ، لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخٌ أَصْلٌ ^(١) ، وَلَا يَظْمَأُ
عَلَيْهَا زَرْعٌ قَوْمٌ . فَاسْتَتَرُوا بِبُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ،
وَالْتَوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَلْمُ لَائِمٌ إِلَّا
نَفْسَهُ .

ومن كلام له عليه السلام

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل
إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى
نَفْسِهِ ^(٢) فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّيْلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ ،
وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَفْتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ

= غاصباً له مصارحاً له بالعداوة هلك . ويروي من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة
الناس وعلى هذه الرواية يكون المعنى : من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم -
وهم أعوان الباطل - فهلك .

(١) السِنْخُ المُنْبَت ، يقال : ثَبَتَ السِّنُّ فِي سِنْخِهَا ، أي : مُنْبَتِهَا ، وَالْأَصْلُ لِكُلِّ شَيْءٍ :
قَاعِدَتُهُ وَمَا قَامَ عَلَيْهِ بَقِيَّتُهُ ، فَاصِلُ الْجَبَلِ مِثْلًا أَسْفَلُهُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ اعْتِلَاةُ وَأَصْلُ
النَّبَاتِ جَذْرُهُ الذَّاهِبُ فِي مُنْبَتِهِ ، وَهَلَاكُ السِنْخِ فَسَادُهُ حَتَّى لَا تَثْبُتَ فِيهِ أَصُولٌ مَا اتَّصَلَ
بِهِ ، وَلَا يَنْمُو غَرْسُ غَرْسٍ فِيهِ . وَكُلُّ عَمَلٍ ذَهَبَتْ أَصُولُهُ فِي أَسْنَاخِ التَّقْوَى كَانَ جَدِيداً
بِأَنِّ تَثْبُتَ أَصُولُهُ وَتَنْمُو فُرُوعُهُ وَيَزْكُو بِزَكَاءِ مُنْبَتِهِ وَمَغْرَسِ أَصْلِهِ ، وَهُوَ التَّقْوَى وَكَمَا أَنَّ
التَّقْوَى سِنْخٌ لِأَصُولِ الْأَعْمَالِ كَذَلِكَ مِنْهَا تَسْتَمِدُّ الْأَعْمَالُ غِذَاءَهَا وَتَسْتَقِي مَاءَهَا مِنْ
الْإِخْلَاصِ ، وَجَدِيرُ بَزْرِعٍ يَسْقِي بِمَاءِ التَّقْوَى أَنْ لَا يَظْمَأَ وَ«عَلَيْهَا» فِي الْمَوْضِعَيْنِ : فِي
مَعْنَى مَعَهَا . وَقَدْ يُقَالُ فِي قَوْلِهِ سِنْخٌ أَصْلٌ : إِنَّهُ هُوَ عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْقَائِلِ : إِذَا خَاضَ
عَيْنِيهِ كَرَى النُّومَ . وَالْكَرَى هُوَ النَّوْمُ ، وَالسِنْخُ هُوَ الْأَصْلُ ، وَالْأَلِيقُ بِكَلَامِ الْإِمَامِ مَا
قَدَّمْنَاهُ .

(٢) وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ : تَرَكَهُ وَنَفْسَهُ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ ذَهَابِهِ خَلْفَ هَوَاهُ فِيمَا يَعْتَقِدُ لَا يَرْجِعُ =

قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنْ أَقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ^(١) .

وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا^(٢) مُوَضِّعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ^(٣) عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمٍ بِمَا فِي عِقْدِ الْهُدْنَةِ^(٤) وَقَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ

= إلى حقيقة من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب ، فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته . والمشغوف بشيء : المولع به ، وكلام البدعة : ما اخترعته الأهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين .

(١) هذا الضال المولع بتنميق الكلام لتزيين البدعة الداعي إلى الضلالة قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن بخطيئته لا يخرج له منها ، وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم بدعائه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ .

(٢) قمش جهلاً : جمعه ، والجهل هنا بمعنى المجهول ، كما يسمى المعلوم علماً . بل قال قوم : ان العلم هو صورة الشيء في العقل ، وهو المعلوم حقيقة ، كذلك يسمى المجهول جهلاً بل الصورة التي اعتبرت مثلاً لشيء وليست بمنطقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق . فالجهل المجموع : هو المسائل والقضايا التي بظنها جامعها تحكي ولا واقع لها .

(٣) « موضع في جهال الأمة » مسرع فيهم بالغش والتغريز : وضع البعير : أسرع ، وأوضعه راحبه فهو موضع به ، أي مسرع به . وقوله « عاد في أغباش الفتنة » الأغباش : الظلمات ، واحدها غباش بالتحريك ، وأغباش الليل بقايا ظلمته . وعاد : بمعنى مسرع في مشيته ، أي : أنه يتنهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدو إلى غايته من التصدر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما ظنه الجهلة علماً وليس به ، ويروى « غار في أغباش الفتنة » : من غره « يغره » إذا غشه وهو ظاهر .

(٤) عم : وصف من العمى ، أي : جاهل بما أودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح ، وقد يراد بالهدنة إمهال الله له في العقوبة وإملاؤه في أخذه ، ولو عقل ما هبأ الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه ، وأوغل في النظر لفهم دقائقه ، ونصح الله ورسوله وللمؤمنين .

مِمَّا كَثُرَ^(١)، حَتَّى إِذَا آرَتَوَى مِنْ آجِنٍ ، وَآكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ^(٢) ،
جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا أَلْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ^(٣) ،
فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشَواً رَثّاً مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ
بِهِ^(٤) ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ^(٥) : لَا
يَذَرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ : فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ،
وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ ، جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَالَاتٍ .
عَاشَ رَكَّابٌ عَشَوَاتٍ^(٦) لَمْ يَعْصُ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ

(١) بكر : بادر إلى الجمع كالجأد في عمله يبكر إليه من أول النهار ، فاستكثر : أي : احتاز كثيراً « من جمع » بالتسوين ، أي : مجموع قليله خير من كثيره ، إن جعلت ما موصولة ، فإن جعلتها مصدرية كان المعنى : قلته خير من كثيره . ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية ، أي : من جمع شيء قلته خير من كثيره .
(٢) الماء الآجن : الفاسد المتغير الطعم واللون ، شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات ، وهي تشبه العلم في أنها صور قائمة بالذهن فكأنها من نوعه ، كما أن الآجن من نوع الماء ، لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويطفئ من الأوار . والآجن يجلب العلة ويفضي بشاربه إلى البوار . واكتنز : أي عد ما جمعه كنزاً ، وهو غير طائل ، أي دون ، خسيس .

(٣) التخليص : التبيين ، والتبس على غيره اشتبه عليه .

(٤) المبهات : المشكلات لأنها أبهمت عن البيان ، كالصامت الذي لم يجعل على ما في نفسه دليلاً . ومنه قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة . والحشو : الزائد الذي لا فائدة منه . والرث : الخلق البالي ضد الجديد ، أي : أنه يلاقي المبهات برأي ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئاً ، بل هو حشو لا فائدة له في تبيينها ثم يزعم بذلك أنه بينها .

(٥) الجاهل بالشيء : من ليس على بينة منه فإذا اثبتة عرضت له الشبهة في نفيه وإذا نفاه عرضت له الشبهة في اثباته . فهو في ضعف حكمه في مثل نسج العنكبوت ضعفاً ، ولا بصيرة له في وجوه الخطأ والاصابة فإذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أو مخطئ وقد جاء الامام في تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبير عنه .

(٦) خباط : صيغة مبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى ، ومنه خبط عشواء . =

قَاطِعٌ ^(١) يُذَرِّي الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ ^(٢) لَا مَلِيٍّ وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا
وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ ^(٣) لَا يَحْسَبُ أَلْعَلَّمَ فِي
شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِيُغَيِّرَهُ ، وَإِنْ
أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ أَكْتَمَ بِهِ ^(٤) لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ ، تَصْرُخُ مِنْ
جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءَ ، وَتَعِجُ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ ^(٥) إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ
مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جَهَالاً ^(٦) ، وَيَمُوتُونَ ضَلَالاً لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ

= وشبه الجهالات بالظلمات التي يخطب فيها السائر ، وأشار إلى التشبيه بالخبط والعاشي :
الأعمى أو ضعيف البصر أو الخابط في الظلام ، فيكون كالتأكيد لما قبله والعشوات :
جمع عشوة مثلثة الأولى ، وهي ركوب الأمر على غير هدى .

(١) من عادة عاجم العود - أي مختبره ليعلم صلابته من لينه - أن يعضه فلهذا ضرب المثل
في الخبرة بالعض بضرس قاطع . أي : أنه لم يأخذ العلم اختباراً بل تناوله كما سول
الوهم وصور الخيال ، ولم يعرض على محض الخبرة ليتبين الحق هو أم باطل .

(٢) الهشيم : ما ييس من النبت وتفتت ، واذرته الريح إذراً : اطارته ففرقته . ويروي
يذرو الروايات كما يذرو الريح الهشيم ، وهي أفصح ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ
هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ وكما أن الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال
نسقه ، كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم .

(٣) الملىء بالقضايا : من يحسنه ويحييد القيام عليه ، وهذا لا ملىء بإصدار القضايا التي ترد
عليه وارجاعها عنه مفصلاً فيها النزاع ، مقطوعاً فيها الحكم . أي : غير قيم بذلك ،
ولا عناء فيه لهذا الأمر الذي تصدر له . وروى ابن قتيبة بعد قوله لا ملىء والله بإصدار
ما ورد عليه (ولا أهل لما قرظ به) أي : مدح به - بدل ولا هو أهل لما فوض إليه .

(٤) اكتم به : أي كتمه وستره .

(٥) العج : رفع الصوت . وصراخ الدماء وعج الموارث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور .

(٦) إلى الله متعلق بأشكو . وفي رواية اسقاط لفظ أشكو فيكون إلى الله متعلقاً بتعج .
وقوله من معشر : يشير إلى أولئك الذين قمشوا جهلاً .

مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَىٰ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ^(١) وَلَا سِلْعَةً انْفَقَ بَيْعًا ، وَلَا أَغْلَىٰ
ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ
الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ .

ومن كلام له عليه السلام

١٢٧

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

تَرَدُّ عَلَىٰ أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ
فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَىٰ غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا
بِخِلَافِهِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ ^(٢)
فَيَصُوبُ آرَاءُهُمْ جَمِيعًا ، وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ! وَكِتَابُهُمْ
وَاحِدٌ ! أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ ؟ أَمْ نَهَاَهُمْ عَنْهُ
فَعَصَوْهُ ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَىٰ إِتْمَامِهِ ؟ أَمْ
كَانُوا شُرَكَاءَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَىٰ ؟ أَمْ أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ
دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ
وَأَدَائِهِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
وَقَالَ : ﴿ فِيهِ تَبْيَانٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ
بَعْضًا ، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

(١) تلى حق تلاوته : اخذ على وجهه وما يدل عليه في جملة وفهم كما كان النبي ﷺ
واصحابه يفهمونه . وابور من بارت السلعة : كسدت . وانفق : من النفاق - بالفتح -
وهو الرواج . وما أشبه حال هذا المعشر بالمعشر من اهل هذا الزمان .
(٢) الامام الذي استقضاهم : الخليفة الذي ولا هم القضاء .

غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١﴾ . وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ (١)
وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقُصُ غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ
الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

١٩

قَالَ لِالْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَلَى مَنْبَرِ الْكُوفَةِ يَخْطُبُ ،
فَمَضَى فِي بَعْضِ كَلَامِهِ شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ الْأَشْعَثُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ هَذَا عَلَيْكَ لَا لَكَ (٢) فَخَفَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ثُمَّ
قَالَ :

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ
الْأَلْعَيْنِينَ ، حَائِكُ ابْنِ حَائِكٍ (٣) مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ (٤) وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ
الْكُفْرَ مَرَّةً وَالْإِسْلَامَ أُخْرَى (٥) . فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَا لَكَ

(١) أنيق : حسن معجب ، وأنقني الشيء : أعجبني .

(٢) كان أمير المؤمنين يتكلم في أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال :
نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد ؟ فصفق باحدى يديه على
الأخرى ، وقال : هذا جزاء من ترك العقيدة ، فقال الأشعث ما قال ، وأمير المؤمنين
يريد هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتم وألجأتموني لقبول الحكومة .

(٣) قيل : ان الحائكين أنقص الناس عقلاً ، وأهل اليمن يعيرون بالحياكة . والأشعث يعني
من كندة . قال خالد بن صفوان في ذم اليمانيين : ليس فيهم إلا حائك برد ، أو دابغ
جلد ، أو سائس قرد ، ملكتهم امرأة واغرقتهم فارة ، ودل عليهم هدهد .

(٤) كان الأشعث في أصحاب علي كعبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله ﷺ كل
منهما رأس النفاق في ذمته .

(٥) أسر مرتين : مرة وهو كافر في بعض حروب الجاهلية وذلك أن قبيلة مراد قتلت قيساً الأشج
أبا الأشعث فخرج الأشعث طالباً بئثار أبيه فخرجت كندة متساندين إلى ثلاثة ألوية على =

وَلَا حَسْبُكَ ، وَإِنَّ أَمْرَءًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمْ
الْحَتْفَ ، لَحَرِيٍّ أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْمَنُهُ إِلَّا بَعْدُ^(١) .

ومن كلام له عليه السلام

٦٥

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ
وَوَهَلْتُمْ^(٢) ، وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا ،

= أحدها كبش بن هانئ ، وعلى أحدها القشعم بن الأرقم ، وعلى أحدها الأشعث بن
الأشج ، وفدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربي قبله ولا بعده ، فمعنى قول أمير
المؤمنين « فيما فداك » لم يمنعك من الأسر . وأما أسر الإسلام له فذلك أن بني وليعة
لما ارتدوا بعد موت النبي ﷺ وقتلهم زياد بن لبيد البياضي الأنصاري فجأوا إلى الأشعث
مستنصرين به فقال : لا أنصركم حتى تملكوني ، فتوجه كما يتوج الملك من قحطان ،
فخرج معهم مرتدداً يقاتل المسلمين وأمد أبو بكر زياداً بالمهاجرين أبي أمية فالتقوا
بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياماً ثم نزل اليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أقاربه
حتى يأتي أبا بكر فيرى فيه رأيه ، وفتح لهم الحسن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث
إلا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ثمانمائة ثم حملوه أسيراً مغلولاً إلى أبي بكر فغفا
عنه وعمن كان معه وزوجه اخته أم فروة بنت أبي قحافة .

(١) دلالة السيف - على قومه - وسوق الحتف اليهم تسليمهم لزياد بن لبيد ، وفتح الحصن
عليهم حتى قتلهم كما تقدم وإن كان الذي ينقل عن الشريف الرضي أن ذلك إشارة إلى
وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد في حرب المرتدين باليامة ، وإن الأشعث دل
خالداً على مكان قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد فان ما نقله الشريف لا يتم إلا
إذا قلنا أن بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليامة . وشاركت أهل
الردة في حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل . وعلى كل حال فقد كان الأشعث ملوماً
على السنة الناس المسلمين والكافرين ، وكان نساء قومه يسمينه عرف النار ، وهو اسم
للغادر عندهم .

(٢) الوهل : الخوف : من وهل يوهل .

وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ^(١) وَلَقَدْ بَصَّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ ، وَأَسْمِعْتُمْ
إِنْ سَمِعْتُمْ ، وَهَدَيْتُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ . بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ
الْعِبْرَ^(٢) وَزَجَرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . وَمَا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ
السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ^(٣) .

ومن خطبة له أخرى

٢٧

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ^(٤) وَإِنْ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوَكُمْ ، تَخَفُّوْا
تَلْحَقُوا^(٥) فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلَكُمْ آخِرُكُمْ^(٦) .

(١) ما مصدرية ، أي قريب طرح الحجاب ، وذلك عند نهاية الأجل ، ونزول المرء في أول
منازل الآخرة .

(٢) جاهرتكم العبر : انتصبت لتنبيهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب أموركم ، والعبر :
جمع عبرة ، والعبرة : الموعظة ، لكذا أطلق اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازاً ، فإن العبر
التي جاهرتهم إما قوارع الوعيد المنبئة عليهم من السنة الرسل الإلهيين وخلفائهم .
وإما ما يشهدونه من تصارييف القدرة الربانية ومظاهر العزة الإلهية .

(٣) رسل السماء : الملائكة ، أي : إن قلتم لم يأتنا عن الله شيء فقد اقيمت عليكم الحجة
بتبليغ رسول الله وإرشاد خليفته .

(٤) الغاية : الثواب أو العقاب ، والنعيم والشقاء . فعليكم أن تعدوا للغاية ما يصل بكم
إليها ، ولا تستبطئوها فإن الساعة التي تصيبنها فيها وهي يوم القيامة - آفة إليكم
فكأنها - في تقربها نحوكم وتقليل المسافة بينها وبينكم - بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما
تسيرون إليه .

(٥) سبق سابقون بأعمالهم إلى الحسن ، فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من انقال
الشهوات واوزار العناء في تحصيل اللذات ، ويحجز بنفسه عن هذه الفانيات فيلحق
باللذين فازوا بعقبى الدار . وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر
أن يلحق الذين سبقوه .

(٦) أي : إن الساعة لا ريب فيها ، وإنما ينتظر بالأول مدة لا يبعث فيها حتى يرد الآخرون =

قال الشريف أقول : ان هذا الكلام لو وزن ، بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ، بكل كلام لمال به راجحاً ، وبرز عليه سابقاً . فأما قوله عليه السلام « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً وما أبعد غورها من كلمة ، وأنفع نطفتها من حكمة^(١) ، وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها .

٦٦ ومن خطبة له عليه السلام حين بلغه خبر الناكثين ببيعته

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ جِزْبَهُ^(٢) ، وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ . لِيَعُودَ الْجُورُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ^(٣) . وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِيفًا^(٤) . وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ ، فَلَيْنَ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَلَيْسَ بَأَنُوتٍ وَلَوْهُ دُونِي فَمَا اتَّبَعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ ! يَرْتَضِعُونَ أُمَّا قَدْ فَطَمْتُ^(٥) وَيُحْيُونَ

= وينقضي دور الإنسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا ، وذلك يوم يبعثون .

(١) من قولهم ماء نافع ونقيع أي نافع أي اطفاء العطش ، والنطفة : الماء الصافي .
(٢) حثهم : وحضهم من قولهم « ذمر فلاناً بكذا » من باي ضرب ونصر ، إذا اغراه والجلب - بالتحريك - ما يجلب من بلد إلى بلد ، وهو فعل بمعنى مفعول مثل سلب بمعنى مسلوب ، وجمع الجلب اجلاب .

(٣) النصاب - بكسر النون - الاصل ، أو المنبت وأول كل شيء .
(٤) النصف - بالكسر - العدل أو المنصف ، أي : لم يحكموا العدل بيني وبينهم ، أو لم يحكموا عادلاً .
(٤) إذا فطمت الأم ولدها فقد انقضى ارضاعها وذهب لبنها ، يمثل به طلب الأمر بعد فواته .

بِدْعَةٍ قَدْ أُمِيتَتْ ، يَا خَيِّبَةَ الدَّاعِي !! مَنْ دَعَا ؟ وَإِلَامَ أَجِيبَ ؟ (١)
وَأِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ . فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيَتْهُمْ
حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِئاً مِنَ الْبَاطِلِ ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ . وَمِنْ
الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَتَّبُرَزَ لِلطَّعَانِ ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجَلَادِ ، هَبِلَتْهُمْ
الْهَبُولُ (٢) لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ ،
وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٣

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ
الْمَطَرِ : إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ، فَإِذَا رَأَى
أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ (٣) فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ
فِتْنَةً ، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ الْبَرِيءَ مِنَ الْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ
فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَتُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ ، كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ (٤)

(١) من : استفهامية ، وما المحذوفة الألف لدخول إلى عليها كذلك ، وهذا استفهام عن
الداعي ودعوته تحقيراً لها ، والكلام في اصحاب الجمل . والداعي هو أحد الثلاثة
الذين تقدم ذكرهم في قصة الجمل عند الكلام في ذم البصرة .

(٢) هبلتهم : ثكلتهم ، والهبول - بالفتح - من النساء التي لا يبقى لها ولد ، وهو دعاء
عليهم بالموت ؛ لعدم معرفتهم بأقدار أنفسهم ، فالموت خير لهم من حياة جاهلية .

(٣) غفيرة : زيادة وكثرة .

(٤) الفاليج : الظافر ، فلج يفلج - كنصر ينصر - ظفر وفاز . ومنه المثل : من يأت الحكم
وحده يفلج ، والياسر : الذي يلعب بقداح اليسر أي : المقامر . وفي الكلام تقديم
وتأخير ، ونسقه كالياسر الفاليج كقوله تعالى ﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴾ ، وحسنه ان اللفظتين =

الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ
 الْمَغْرَمُ ، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ
 إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِمَّا رِزْقَ
 اللَّهِ ، فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ . إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ
 حَرْثُ الدُّنْيَا ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ
 لِأَقْوَامٍ ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَخْشَوْهُ خَشِيَةً
 لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ ^(١) وَأَعْمَلُوا مِنْ غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ
 لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ ^(٢) نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ،
 وَمُعَايِشَةَ السَّعْدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ ، عَنْ

= صفتان وإن كانت إحداهما إنما تأتي بعد الأخرى إذا صاحبتهما ، يريد أن المسلم إذا لم
 يأت فعلاً دنيئاً يخجل لظهوره وذكره ، ويبعث لثام الناس على التكلم به ، فقد فاز بشرف
 الدنيا وسعادة الآخرة ، فهو شبيه بالمقامر الفائز في لعبة لا ينتظر إلا فوزاً . أي : أن
 المسلم إذا برىء من الدنئيات لا ينتظر إلا إحدى الحسينين : إما نعيم الآخرة ، أو
 نعيم الدارين فجدير به أن لا يأسف على فوت حظ من الدنيا فإنه إن فاتته ذلك لم يفته
 نصيبه من الآخرة ، وهو يعلم أن الأرزاق بتقدير رزاقها ، فهو أرفع من أن يحسد أحداً
 على رزق ساقه الله إليه . وقوله « فاحذروا ما حذركم الله من نفسه » : يريد احذروا
 الحسد ، فإن مبعثة انتفاض صنع الله تعالى واستهجان بعض أفعاله ، وقد حذرنا الله
 من الجرأة على عظمتها فقال : ﴿ وإياي فارهبون ، وإياي فاتقون ﴾ وما يفوق الكثرة
 من الآيات الدالة على ذلك .

(١) مصدر عذر تعديراً لم يثبت له عذر ، أي : خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه
 الاعتذار .

(٢) العامل لغير الله لا يرجو ثواب عمله من الله وإنما يطلبه ممن عمل له ، فكأن الله قد
 تركه إلى من عمل له وجعل أمره إليه .

عَشِيرَتِهِ ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّنْتِيهِمْ ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ (١) وَالْمُتُّهُمْ لِشَعْبِهِ ، وَأَعْطَفَهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ . وَلِسَانُ الصَّدَقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْمَالِ يُورَثُهُ (٢) غَيْرُهُ .

ومنها : أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أُمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ (٣) ، وَمَنْ يَقْبِضُ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ ، وَتَقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ ، وَمَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ أَلْمُودَةَ .

قال الشريف : أقول ؛ الغفيرة ههنا الزيادة والكثرة ، من قولهم للجمع الكثير : الجَمُّ الغفير ، والجماء الغفير . ويروى « عِفْوَةٌ مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ » والعِفْوَةُ الْخِيَارُ مِنَ الشَّيْءِ ، يقال : أَكَلْتُ عِفْوَةَ الطَّعَامِ ، أَي : خِيَارَهُ ، وَمَا أَحْسَنَ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ عَلَيْهِ

(١) حِيْطَةٌ كَبِيْعَةٌ أَي : رِعَايَةٌ وَكَلَاةٌ ، وَيُرْوَى حِيْطَةٌ - بِكسر الحاء كَبْنِيَّةٌ ، وَسَيَكُونُ الْيَاءُ - مَصْدَرٌ حَاطَهُ يَحُوْطُهُ ، أَي : صَانَهُ ، وَتَعْطَفُ ، عَلَيْهِ وَتَحْنُ ، الشَّعْثُ - بِالتَّحْرِيكِ - : التَّفَرُّقُ وَالِانْتِشَارُ .

(٢) لِسَانُ الصَّدَقِ : حَسَنُ الذِّكْرِ بِالْحَقِّ ، وَهُوَ فِي الْقَرَابَةِ أَوْلَى وَأَحَقُّ .

(٣) الْخَصَاصَةُ : الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ الشَّدِيدَةُ ، وَهِيَ مَصْدَرُ خَصَّ الرَّجُلَ - مِنْ بَابِ عَلَّمَ - خَصَّاصاً وَخَصَاصَةً ، وَخَصَّاصَاءُ - بِفَتْحِ الْخَاءِ فِي الْجَمْعِ - إِذَا احْتَجَّ وَافْتَقَرَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَالَ الشَّاعِرُ - وَإِذَا تَصَبَّكَ خَصَاصَةٌ فَتَحْمَلُ - يَنْهَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ إِهْمَالِ الْقَرِيبِ إِذَا كَانَ فَقِيْرًا ، وَيَحْتِ عَلَى سَدِّ حَاجَتِهِ بِالْمَالِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَاوَنَةِ . فَانْ مَا يَبْذُلُ فِي سَدِّ حَاجَةِ الْقَرِيبِ لَوْ لَمْ يَصْرِفْهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ وَأَمْسَكَ لِنَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ فِي غَنَاهُ أَوْ فِي جَاهِهِ شَيْئًا ، وَلَوْ بَذَلَهُ لَمْ يَنْقُصْهُ مِنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ . وَمَعْنَى أَهْلَكَهُ : بَذَلَهُ .

السلام بقوله : « ومن يقبض يده عن عشيرته » الى تمام الكلام
فَإِنَّ أَلْمُسِيكَ خَيْرُهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمَسِّكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا
أَحْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَأَضْطَرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ^(١) قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ ، وَتَثَاقَلُوا
عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَاْفِدَ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ ، وَتَنَاهَضَ الْأَقْدَامُ الْجَمَّةُ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٤

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ ، وَخَابَطَ الْغَيَّ ،
مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيْهَانٍ^(٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ
اللَّهِ ، وَأَمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ^(٣) .
فَعَلَيَّ ضَامِنٌ لِفُلْجِكُمْ أَجَلًا ، إِنْ لَمْ تُنْخُوهُ عَاجِلًا^(٤) .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٥

وقد تواترت^(٥) عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على

(١) المرافدة : المعاونة .

(٢) الادهان : المناقفة والمصانعة ، ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن والمغش . والايهان :
الدخول في الوهن ، وهو من الليل نحو نصفه وهو هنا عبارة عن التستر والمخاتلة ، وقد
يكون مصدر أوهنته بمعنى أضعفته ، أي : لا يعرض علي فيه ما يضعفني . وخابط
الغي والغي يخبطه وهو أشد اضطراباً ممن يخبط في الغي .

(٣) عصبه بكم من باب ضرب ربطه بكم أي : كلفكم به ، وألزمكم أدائه . ونهجه
لكم : أوضحه وبينه .

(٤) لفلجكم ، أي لظفركم وفوزكم .

(٥) تواترت عليه الأخبار : مثل ترادفت وتواصلت وتتابعت ، ومن الناس من زعم أن =

البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن ، وهما عبيد الله بن العباس
وسعيد بن نُمَران لما غلب عليهما بُسرُ بن أبي أرطاة^(١). فقام عليه
السلام على المنبر ضجراً بثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له
في الرأي ، فقال : مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْسَطُهَا^(٢) ، إِنَّ
لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ ، تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ^(٣) فَقَبَّحَكَ اللَّهُ .

= التواتر لا يكون إلا مع فترات بين أوقات الاتيان ، وزعم أن قوله تعالى ﴿ ثم أرسلنا
رسلنا تترى ﴾ يدل على ذلك لأنه بين كل نبين فترة .

(١) يقال بسر بن أبي أرطاة ، وهو عامري من بني عامر بن لؤي بن غالب ، سيره معاوية إلى
الحجاز بعسكر كثيف ، فأراق دماء غزيرة ، واستكره الناس على البيعة لمعاوية . وفر من بين
يديه والي المدينة أبو أيوب الأنصاري . ثم وجه والياً على اليمن فتغلب عليها ،
وانتزعها من عبد الله بن العباس ، وفر عبيد الله ناجياً من شره ، فأق بسر بيته فوجد له
ولدين صبيين فذبحهما ، وباء باثمهما ، قبح الله القسوة وما تفعل ، ويروى أنها ذبحا
في بني كنانة أخوالهما ، وكان أبوهما تركهما هناك ، وفي ذلك تقول زوجة عبيد الله : -

يا من أحس بابني اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابني اللذين هما	قلبي وسمعي ، فقلبي اليوم مختطف
مز ذل والهة حيرى مدله	على صبيين ذلا إذ غدا السلف
خبرت بسراً وما صدقت ما زعموا	من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا
أنحى عدا ودجى ابني مرهفة	مشحوذة ، وكذلك الاثم يقترف

وتروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص .

(٢) أقبضها وأبسطها ؛ أي : أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب في ثوبه يقبضه أو
يسطه .

(٣) الأعاصير : جمع إعصار ، وهي ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود ، أو
كل ريح فيها العصار : وهو الغبار الكثير . إن لم يكن لي ملك الكوفة على ما فيها من
الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله ؛ وشبه الاختلاف والشقاق بالأعاصير لاثارتها التراب
وإفسادها الأرض .

وتمثل بقول الشاعر :

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنِّي عَلَى وَضَرٍ، مِنْ ذَا الْإِنَاءِ، قَلِيلٍ^(١)

ثم قال عليه السلام :

أُنِيتُ بُشْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ^(٢) وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ
سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ : بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ
حَقِّكُمْ^(٣) ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي
الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ ، وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ
فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ . فَلَوْ أَتَمَمْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قُعْبٍ لَخَشِيتُ أَنَّ
يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ^(٤) ! اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُونِي وَسَيِّمْتُهُمْ وَسَيِّمُونِي ،
فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي ، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ
كَمَا يُمَاتُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ^(٥) ، أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ
فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بْنِ غَنَمٍ^(٦) .

(١) الوضر - بالتحريك - : غسالة السقاء والقصة ، وبقية الدسم في الإناء وتقول . وضر

الإناء - من باب طرب - إذا اتسخ بالدسم أو اللبن .

(٢) اطلع اليمن : بلغها وتمكن منها وغشيها بجيشه .

(٣) سيدالون منكم : ستكون لهم الدولة بدلکم ، بذلك السبب القوي ، وهو اجتماع

كلمتهم ، وطاعتهم لصاحبهم ، وأداؤهم الأمانة ، وإصلاحهم بلادهم . وهو يشير إلى

أن هذا السبب متى وجد كان النصر والقوة معه ، ومتى فقد ذهبت القوة والعزة

بذهابه . فالحق ضعيف بفرق أنصاره ، والباطل قوي بتضافر أعوانه .

(٤) القعب - بالضم - القدح الضخم - وعلاقته - بكسر العين - ما يعلق منه من ليف أو

نحوه .

(٥) مِثْ قُلُوبِهِمْ (بصيغة الأمر) : أذهبها ، مائه يمته : دافه ، أي : أذابه .

(٦) بنو فراس بن غنم بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر ، أو هم بنو فراس بن =

هَنَالِكَ، لَوَدَعَوْتُ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر .

قال الشريف : أقول : الأرمية جمع رمي وهو السحاب ،
والحميم ههنا : وقت الصيف ، وإنما خص الشاعر سحاب
الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفولاً^(١) لأنه لا ماء فيه .
وإنما يكون السحاب ثقيل السير لإملائه بالماء ، وذلك لا يكون
في الأكثر إلا زمان الشتاء ، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا
دُعوا ، والإغاثة إذا استغيثوا ، والدليل على ذلك قوله : « هَنَالِكَ
لو دعوت أَتَاكَ مِنْهُمْ » .

ومن خطبة له عليه السلام

٢٦

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ نَذِيرًا
لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ
دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُتَنَحُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ ، وَحَيَاتٍ صُمٍّ^(٢)

= غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حي مشهور بالشجاعة ، ومنهم علقمة بن فراس وهو
جدل الطعان ، ومنهم ربيعة بن مكدم ، حامي الظعن حياً وميتاً ، ولم يحم الحريم أحد
وهو ميت غيره : عرض له فرسان من بني سليم ومعه ظعائن من أهله يحميهم وحده
فرماه أحد الفرسان بسهم أصاب قلبه فنصب رحمه في الأرض واعتمد عليه وأشار إليهن
بالمسير فسرن حتى بلغن بيوت الحي وبنو سليم قيام ينظرون إليه لا يتقدم أحد منهم
نحوه خوفاً منه حتى رموا فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتاً .

(١) مصدر غريب الخف بمعنى انتقل وارتحل مسرعاً ، والمصدر المعروف خفا .

(٢) الخشن : جمع خشناء من الخشونة ، ووصف الحيات بالصم لأنها أحببها إذ لا تنزجر ، =

تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ^(١) ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ،
وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ . الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنُصُوبَةٌ ، وَالْآثَامُ بِكُمْ
مَعْصُوبَةٌ^(٢) .

ومنها . فَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ
بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ، وَأَغْضَيْتُ عَنِ الْقَذَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى ،
وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظْمِ^(٣) . وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ .

ومنها : وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا^(٤)
فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ ، فَخُذُوا لِلْحَرْبِ
أَهْبَتَهَا ، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا ، فَقَدْ شَبَّ لَهَا ، وَعَلَا سَنَاها ،
وَأَسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ .

= وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر والغلظ ، فأكثر أراضيها حجارة
خشنة ، غليظة ، ثم إنه يكثر فيها الأفاعي والحيات ، فأبدلهم الله منها الريف ولين
المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها .

(١) الجشب : الطعام الغليظ ، أو ما يكون منه آدم .

(٢) معصوبة : مشدودة تمثيل للزومها لهم ، وقد جمع في وصف حالهم بين فساد المعيشة
وفساد العقيدة والملة .

(٣) الكظم بالتحريك ويضم فسكون : الحلق ، أو الفم ، أو مخرج النفس ، والكل
صحيح ههنا . والمراد أنه صبر على الاختناق ، وأغضيت : غضضت طرفي على قذى
في عيني ، وما أصعب أن يغمض الطرف على قذى في العين . والشجا : ما يعترض في
الحلق . وكل هذا تمثيل للصبر على المضض الذي ألم به من حرمانه حقه وتآلب القوم
عليه .

(٤) ضمير يبايع إلى عمرو بن العاص ، فانه شرط على معاوية أن يوليه مصر لو تم له
الأمر .

ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ
لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ ، وَجَنَّتُهُ
الْوَيْقَةُ^(١) فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمَلَةَ أَلْبَاءَ ،
وَدَيْثَ الصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ^(٢) وَضَرَبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ^(٣) ، وَأَدِيلَ
الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ ، وَسِيمِ الْخُسْفِ^(٤) ، وَمَنَعَ النُّصْفَ ، أَلَّا
وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً ، وَسِرّاً
وإِعْلَاناً ، وَقُلْتُ لَكُمْ : أُغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ
فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا^(٥) فَتَوَاكَلْتُمْ ، وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتِ الْغَارَاتُ

(١) جنته - بالضم - وقايته .

(٢) ديث مبني للمفعول من ديثه ؛ أي : ذلله ، وقمؤ الرجل كجمع وككرم قمأة وقمأة بزنة
رحمة وسحابة - أي : ذل وصغر .

(٣) الأسداد جمع سد ، يريد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد . قال الله ﷻ وجعلنا
من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﷻ ويروى بالاسهاب وهو
ذهاب العقل أو كثرة الكلام ، أي : حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة .

(٤) أديل الحق منه ، أي : صارت الدولة للحق بدلله ، وسيم الخسف ؛ أي : أولى
الخسف وكلفه ، والخسف : الذل والمشقة أيضاً . والنصف بالكسر وبالتحريك - العدل
ومنع مجهول ، أي : حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه .

(٥) عقر الدار - بالضم - وسطها وأصلها . وتواكلتم وكل كل منكم الأمر إلى صاحبه ،
أي : لم يتوله أحد منكم . بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل ،
أي : العاجز ، لأنه يكل أمره إلى غيره . وشنت الغارات : فرقت عليكم من كل
جانب كما يشن الماء متفرقاً دفعة بعد دفعة . وما كان إرسالاً غير متفرق يقال فيه : سن
بالمهمل .

عَلَيْكُمْ ، وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانَ . وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ وَقَدْ وَرَدَتْ
خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ^(١) وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانٍ الْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ
مَسَالِحِهَا^(٢) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ
الْمُسْلِمَةِ ، وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ ، فَيَتَسَرَّعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا
وَرِعَائِهَا^(٣) مَا تُمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ^(٤) ثُمَّ أَنْصَرَفُوا
وَافِرِينَ^(٥) مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلَمٌ ، وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ ؛ فَلَوْ أَنَّ
أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ
عِنْدِي جَدِيرًا ؛ فَيَا عَجَبًا - وَاللَّهِ - يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ آلَهُمْ
مَنْ أَجْتِمَاعُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفْرِيقُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحًا لَكُمْ
وَتَرَحًا^(٦) حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى : يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ،

- (١) أخو غامد : هو سفيان بن عوف ، من بني غامد ، قبيلة من اليمن من أزد شنوءة ، بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلاً على أهله ، والأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هيت .
- (٢) جمع مسلحة - بالفتح - وهي الثغر والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء ، وفي الحديث : « كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب » .
- (٣) المعاهدة : الذمية ، والحجل ، بالكسر ، وبالفتح وبكسرين - خلخالها ، والقلب ، بالضم كقفل : سوارها . والرعات : جمع رعة - بالفتح ويحرك - بمعنى القرط . ويروى رعثا - بضم الراء والعين - جمع رعاث ، وجمع رعة .
- (٤) الاسترجاع : ترديد الصوت بالبكاء . والاسترحام : أن تناشده الرحم .
- (٥) وافرين : تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم ، والكلم - بالفتح - الجرح .
- (٦) ترحا - بالتحريك - أي : همأ وحزناً أو فقراً ، والغرض : ما ينصب ليرمي بالسهم ونحوها . فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون وقوله « ويعصى الله » : يشير إلى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين ثم أهل العراق راضون بذلك إذ لو غضبوا لهموا بالمدافعة .

وَتَغْزُونَ وَلَا تَغْزُونَ ، وَيُعْصِي آلَهُ وَتَرْضَوْنَ . فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ
إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ^(١) ، أَمْهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا
الْحَرُّ^(٢) ؟ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ : هَذِهِ صَبَارَةُ
الْقُرِّ^(٣) ، أَمْهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِّنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ،
فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِّنَ السَّيْفِ أَفْرُ ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ ! حُلُومُ
الْأَطْفَالِ ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ^(٤) ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرْكُم وَلَمْ
أَعْرِفُكُمْ ! مَعْرِفَةُ وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدْمًا ، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا^(٥) قَاتَلَكُمْ اللَّهُ !!
لَقَدْ مَلَأْتُ قَلْبِي قَيْحًا ، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَعْتُمُونِي نُغْبَ
التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا^(٦) ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ ، حَتَّى
قَالَتْ قُرَيْشُ : إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ
بِالْحَرْبِ .

لله أَبُوهُمْ !! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا ، وَأَقْدَمُ فِيهَا

(١) حمارة القَيْظِ - بتشديد الراء ، وربما خففت في ضرورة الشعر - شدة الحر .

(٢) التسييح - بالخاء المعجمة - التخفيف والتسكين .

(٣) صبارة الشتاء بتشديد الراء : شدة برده ، والقر - بالضم - البرد ، وقيل : هو برد الشتاء خاصة ؛ أما البرد فعام فيه وفي الصيف ؛ وتقول : قريومنا - من باب ضرب - أي : برد ؛ وتقول قر فلان - مبنى لما لم يسم فاعله - قرا - بفتح القاف وكسرهما - إذا أصابه القر وهو البرد .

(٤) حجال : جمع حجلة وهي القبة ، وموضع يزين بالستور ، والثياب للعروس ، وربات الحجال : النساء .

(٥) السدم - محركة - الهم مع أسف أو غيظ وفعله كفرح ، والقيح : ما في القرحة من الصديد ، وفعله كباع ، وشحنتم صدري : ملأتموه .

(٦) النغب : جمع نغبة كجرعة وجرع لفظاً ومعنى ، والتهمام - بالفتح - الهم ، وكل تفعال فهو بالفتح ، إلا التبيان والتلقاء فانهما بالكسر . وأنفاساً : أي جرعة بعد جرعة .

مَقَاماً مِنِّي^(١) ؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهَذَا أَنَا ذَا
قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السُّتَيْنِ^(٢) ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ !!

ومن خطبة له عليه السلام

٦٨

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ ، وَأَذَنْتُ بِوَدَاعٍ^(٣) ، وَإِنَّ
الْآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ^(٤) ، وَغَدَاً
السَّبَاقَ ، وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ^(٥) وَالْغَايَةَ النَّارَ ؛ أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ

(١) مراسا : مصدر مارسه ممارسة ومراسا ، أي : عاجله وزاوله وعاناه .
(٢) ذرفت على الستين : زدت عليها ، وروى المبرد « نيفت » وهو بمعناه وفي الخطبة روايات
أخرى لا تختلف عن رواية الشريف في المعنى ، وإن اختلفت عنها في بعض الألفاظ ،
انظر الكامل للمبرد .

(٣) آذنت : أعلمت ، وإذانها بالوداع إنما أودع في طبيعتها من التقلب والتحول ، فأول
نظرة من العاقل إليها تحصل له اليقين بفنائها وانقضائها ، وليس وراء الدنيا إلا
الآخرة ، فإن كانت الأولى مودعة فالأخرى مشرفة ، والاطلاع : مين « اطلع فلان
علينا » أتانا فجأة .

(٤) المِضْمَار : الموضع والزمن الذي تضمير فيه الخيل وتضمير الخيل أن تربط ويكثر
علفها وماؤها حتى تسمن ، ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل .
وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثاني ، وإطلاقه على الأول لأنه مقدمة
لثاني ، وإلا فحقيقة التضمير : إحداث الضمور ، وهو الهزال وخفة اللحم ، وإنما
يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم السباق ، كما أننا نعمل اليوم في الدنيا
للحصول على السعادة في الأخرى .

(٥) السبقة - بالتحريك - الغاية التي يجب على السابق أن يصل إليها وبالفتح المرة من
السبق . والشريف رواها في كلام الامام بالتحريك أو بالفتح وفسرها بالغاية المحبوبة ،
أو المرة من سبق . وهو مطلوب لهذا ، وروى الضم بصيغة رواية أخرى . ومن معاني
السبقة - بالتحريك - الرهن الذي يوضع من المتراهنين في السباق ، أي : الجعل الذي
ياخذه السابق . إلا أن الشريف فسرهما بما تقدم .

قَبْلَ مَنِيِّهِ ؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ ^(١) ؟ أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ
أَمَلٍ ^(٢) مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ
نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ ، وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ
حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ وَضُرَّهُ أَجَلُهُ ، أَلَا فاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ
كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ ^(٣) ، أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ،
وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا ^(٤) ، أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ
الْبَاطِلُ ^(٥) ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجْرُ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى ،
أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ ^(٦) ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَتْبَاعَ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ ، تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا

(١) البؤس بالضم : اشتداد الحاجة ، وسوء الحالة ، ويوم البؤس : يوم الجزاء مع الفقر
من الأعمال الصالحة ، والعامل له هو الذي يعمل الصالح لينجو من البؤس في ذلك
اليوم .

(٢) يريد الأمل في البقاء واستمرار الحياة .

(٣) الرهبة - بالفتح - هي مصدر رهب الرجل - من باب علم - رهبا ، بالفتح وبالتحريك
ورهباناً - بالتحريك وبالضم - ومعناه : خاف ، أي : اعملوا لله في السراء كما تعملون
له في الضراء لا تصرفكم النعم عن خشيتيه والخوف منه .

(٤) من أعجب العجائب الذي لم ير له مثيل أن ينام طالب الجنة في عظمها واستكمال
أسباب السعادة فيها ، وأن ينام الهارب من النار في هونها واستجماعها أسباب الشقاء .
(٥) النفع الصحيح كله في الحق . فإن قال قائل : إن الحق لم ينفعه فالباطل أشد ضرراً
له ، ومن لم يستقم به الهدى المرشد إلى الحق - أي : لم يصل به إلى مطلوبه من
السعادة - جرى به الضلال إلى الردى والهلاك .

(٦) الظعن - بالفتح ، وبالتحريك - الرحيل عن الدنيا ، وفعله كقطع ، وأمرنا به أمر
تكوين ، أي كما خلقنا الله خلق فينا أن نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر في الأخرى ،
والزاد الذي دلنا عليه : هو عمل الصالحات ، وترك السيئات .

تُحْرِزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَدًا^(١) .

قال الشريف : أقول : لو كَانَ كَلَامٌ يَأْخُذُ بِالْأَعْنَاقِ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَيُضْطَرُّ إِلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ لَكَانَ هَذَا الْكَلَامُ ، وَكَفَى بِهِ قَاطِعًا لِعِلَاقِ الْأَمَالِ ، وَقَادِحًا زِنَادَ الْإِتْعَازِ وَالْإِزْدِجَارِ ، وَمَنْ أَعْجَبَهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَدًا السَّبَاقُ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ » فَإِنَّ فِيهِ - مَعَ فُخَامَةِ اللَّفْظِ ، وَعَظَمِ قَدْرِ الْمَعْنَى ، وَصَادِقِ التَّمْثِيلِ ، وَوَاقِعِ التَّشْبِيهِ - سِرًّا عَجِيبًا ، وَمَعْنًى لَطِيفًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ ، وَالْغَايَةُ النَّارُ » فَخَالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ لِإِخْتِلَافِ الْمَعْنَيْنِ ، وَلَمْ يَقُلْ « السَّبَقَةُ النَّارُ » كَمَا قَالَ « السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ » ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِبَاقَ إِنَّمَا يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ ، وَغَرَضٍ مَطْلُوبٍ ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْجَنَّةِ وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودًا فِي النَّارِ نَعُودَ بِاللَّهِ مِنْهَا ، فَلَمْ يَجْزُ أَنْ يَقُولَ « وَالسَّبَقَةُ النَّارُ » بَلْ قَالَ « وَالْغَايَةُ النَّارُ » ؛ لِأَنَّ الْغَايَةَ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَنْ لَا يَسِرُّهُ الْإِنْتِهَاءُ وَمَنْ يَسِرُّهُ ذَلِكَ ، فَصَلَحَ أَنْ يَعْبَرَ بِهَا عَنِ الْأَمْرَيْنِ مَعًا ، فَهِيَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْمَصِيرِ وَالْمَالِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ وَلَا يَجُوزُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ سَبَقْتُمْ - بِسُكُونِ الْبَاءِ - إِلَى النَّارِ ، فَتَأْمَلْ ذَلِكَ فَبَاطِنُهُ عَجِيبٌ

(١) تحرزون أنفسكم : تحفظونها من الهلاك الأبدي ، ويقال : حرز نفسه - كنصر - أو هذا إبدال والأصل حرس بالسین فأبدلت زایا ، وتقول : حرز فلان ككرم ، إذا تحصن ، وحرز كفرح ، إذا كثر ورعه .

وغوره بعيد . وكذلك أكثر كلامه عليه السلام ، وفي بعض النسخ ، وقد جاء في رواية أخرى « والسُّبْقَةُ الجنة » - بضم السين - والسبقة عندهم : اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مالٍ أو عرض ، والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأمر المذموم ، وإنما يكون جزاءً على فعل الأمر المحمود

ومن خطبة له عليه السلام

٦٩

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ^(١) ، كَلَامُهُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ^(٢) ، وَفِعْلُهُمْ يُطْمِعُ فَيْكُمُ الْأَعْدَاءَ ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ : حَيْدِي حِيَادٍ^(٣) ! مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِّنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ

(١) أهواؤهم : آراؤهم وما تميل إليه قلوبهم والأهواء : جمع هوى ، بالقصر - وأصله إزادة النفس وما تميل إليه محموداً كان أو مذموماً ، ثم غلب في الاستعمال على غير المحمود .

(٢) الصم : جمع أصم ، وهو من الحجارة الصلب ، والصلاب : جمع صليب ، والصليب : الشديد ، وبابه ظريف وضعيف وضعاف : ويوهيها : يضعفها ويفتها . يقال : وهي الثوب وهي يهي وهي - من باب ضرب وحسب - تحرق ونشق ، وأوهاه : يوهيه إيهاء : شقة وخرقة : أي : تقولون من الكلام ما يفلق الحجر بشدته وقوته ، ثم يكون فعلكم ، من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو !! .

(٣) كيت وكيت بكسر آخرها - كلمتان لا تستعملان إلا مكررتين : إما مع واو العطف ، وإما بدونها . وأصل تائها هاء ، وربما قيل « كيه كيه » ومعناها كذا وكذا ، وقيل كيت كيت كناية عن الحديث وذيت ذيت كناية عن الفعل ، وكذا وكذا كناية عن العدد ، تقول : قال فلان كيت كيت ، وفعل ذيت ذيت ، وأخذ كذا وكذا درهما . وحيدى

قَاسَاكُمْ^(١) أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ ، دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ^(٢) لَا يَمْنَعُ
الضَّيْمَ الدَّلِيلُ . وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ ، أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ
تَمْنَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مَنْ
غَرَّرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ^(٣) ، وَمَنْ
رَمَى بِكُمْ رَمَى بِأَفُوقٍ نَاصِلِ^(٤) أَصْبَحْتُ وَاللَّهُ لَا أَصْدُقُ قَوْلَكُمْ ،

حياد : كلمة يقولها الهارب ، كأنه يسأل الحرب أن تتنحي عنه ، من الحيدان ، وهو
الميل والانحراف عن الشيء ، وحياد : مبني على الكسر كما في قولهم : فيحي فياح ،
أي : اتسعي ، وحمي حمام : للداهية ، أي : أنهم يقولون في المجلس : سنفعل
بالأعداء ما نفعل ، فإذا جاء القتال فروا وتقاعدوا .

(١) أي : من دعاهم وحلهم بالترغيب على نصرته لم تعز دعوته لتخاذلهم ، فان قاساهم
وقهرهم انتقضوا عليه فاتعبوه . والأعاليل : إما جمع أعلال جمع علل جمع علة ، أو جمع أعلولة .
كما أن الأضاليل جمع اضلولة . والأضاليل متعلقة بالأعاليل ، أي : أنكم تتعللون
بالأباطيل التي لا جدوى لها .

(٢) أي أنكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه ، والمطول :
الكثير المطل ، وهو تأخير أوان الدين بلا عذر . وقوله « لا يمنع الضيم - الخ » أي : أن
الدليل الضعيف البأس الذي لا منعه له لا يمنع ضيماً ، إنما يمنع الضيم القوي العزيز .
(٣) فاز بكم : من « فاز بالخير » إذا ظفر به ، أي : من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر
بالسهم الأخيب ، وهو من سهام الميسر الذي لا حظ له .

(٤) الأفوق من السهام : مكسور الفوق ، والفوق ، موضع الوتر من السهم ، والناصل :
العاري عن النصل ، أي : من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى
يرمى ، به وإن لم يصب مقتلاً إلا إذ لا نصل له . وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين
عند إغارة الضحاك بن قيس ، فان معاوية لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين دعا
الضحاك بن قيس وقال له : سر حتى تمر بناحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ،
فمن وجدت من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه ، وإن وجدت له خيلاً أو مسلحة
فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى . ولا تقيمن لخييل بلغك أنها قد
سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها وسرحه في ثلاثة آلاف ، فأقبل الضحاك فنهب الأموال ،
وقتل من لقي من الأعراب ؛ ثم لقي عمر بن عيسى بن مسعود الذهلي فقتله - وهو =

وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ ، وَلَا أُوْعِدُ آلْعَدُوَّ بِكُمْ : مَا بَالُكُمْ ! مَا دَوَاؤُكُمْ ! مَا طِبُّكُمْ ! أَلْقَوْمُ رِجَالٍ أَمْثَالُكُمْ ! أَقُولَا بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ؟ وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ ؟ ! .

ومن كلام له عليه السلام

٣٥

في معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا ؛ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا^(١) غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي^(٢) وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ : أَسْتَأْثِرُ فَاسَاءَ الْأَثَرَةِ وَجَزِعْتُمْ فَاسَأْتُمْ الْجَزَعَ^(٣) وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ .

= ابن أخي عبدالله بن مسعود - ونهب الحاج ، وقتل منهم وهم على طريقهم عند القطقطانة ، فساء ذلك أمير المؤمنين ، وأخذ يستنهض الناس إلى الدفاع عن ديارهم ، وهم يتخاذلون ، فوبخهم بما تراه في هذه الخطبة ، ثم دعا بحجر بن عدي فسيره إلى الضحاك في أربعة آلاف ، فقاتله ، فانهمز فاراً إلى الشام يفتخر بأنه قتل ونهب .
(١) يقول : إنه لم يأمر بقتل عثمان ، وإلا كان قاتلاً له ، مع أنه بريء من قتله ، ولم ينه عن قتله - أي : لم يدافع عنه بسيفه ، ولم يقاتل دونه - وإلا كان ناصراً له . أما نهيه عن قتله بلسانه فهو ثابت ، وهو الذي أمر الحسن والحسين أن يذبا الناس عنه .
(٢) أي : إن الذين نصره ليسوا بأفضل من الذين خذلوه ؛ لهذا لا يستطيع ناصره أن يقول : إني خير من الذي خذله ، ولا يستطيع خاذله أن يقول : إن الناصر خير مني ، يريد أن القلوب متفقة على أن ناصريه لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه .

(٣) أي : أنه استبد عليكم فأساء الاستبداد ، وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم ، وجزعتم لاستبداده فأسأتم الجزع ، أي : لم ترفقوا في جزعكم ، ولم تقفوا عند الحد =

لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل (١)

لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّه تَجِدُهُ كَالشَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ (٢)
يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ : هُوَ الذَّلُولُ . وَلَكِنْ أَلْقِ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ
عَرِيكَةٍ (٣) فَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ
وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ (٤) .

قال الشريف : أقول : هو أول من سمعت منه هذه
الكلمة ، أعني « فما عدا مِمَّا بدا » .

= الأولى بكم . وكان عليكم أن تقتصروا على الشكوى ولا تذهبوا في الاساءة إلى حد
القتل . والله حكمه في المستأثر وهو عثمان ، وفي الجازع وهو أنتم : فاما أخذه
وآخذكم ، أو عفا عنه وعفا عنكم ، والأثرة - بفتح الحاء - الاسم من قولهم « استأثر
بالشيء » إذا استبد به وخص نفسه به .

(١) « يستفيئه » أي : يسترجعه .

(٢) ويروى « إن تلقه تلفه » الأولى بالقاف والثانية بالفاء من « ألفاه يلفيه » ، وهي بمعنى
تجده و « عاقصا قرنه » من « عقص العشر » إذا ظفره وفتله ولواه ، وهو تمثيل له في
تغطرسه وكبره وعدم انقياده و « يركب الصعب » يستهين به يزعم أنه ذلول سهل .

(٣) العريكة : الطبيعة ، وعرفه بالحجاز : أطاعه فيه حيث عقد له البيعة . وأنكره بالعراق
حيث خرج عليه وجمع لقتاله .

(٤) عداه الأمر : صرفه ، وبدا : ظهر ، و « من » هنا بمعنى عن . نقل ابن قتيبة « حدثني
فلان من فلان » أي : عنه ، و « نهيت من كذا » أي : عنه ، أي : ما الذي صرفك
عما كان بدا وظهر منك .

ومن خطبة له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي ذَهْرٍ عَنُودٍ ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ^(١) يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا ، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ عُتُوًّا . لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ، وَلَا نَتَخَوُّ قَارِعَةً حَتَّى تَحِلَّ بِنَا^(٢) . فَالْنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفُسَادُ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ ، وَكَلاَلَةً حَدِّهِ ، وَنَضِيضُ وَفَرِهِ^(٣) وَمِنْهُمْ الْمَصِلْتُ لِسَيْفِهِ ، وَالْمُعْلِنُ بَشْرَهُ ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ^(٤) . وَلَيْشَسْ

(١) العنود : الجائر من « عند يعند » كنصر ، جار عن الطريق وعدل : والكنود : الكفور ، ويروى « وزمن شديد » أي : بخيل كما في قوله تعالى ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ أي : الإنسان - لأجل حبه للمال - بخيل والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر ، وسوء طباع الناس يحملهم على عد المحسن مسيئاً .

(٢) القارعة : الخطب يقرع من ينزل به ، أي يصيبه . والداهية العظيمة .

(٣) القسم الأول من يقعد به عن طلب الامارة والسلطان حقارة نفسه ، فلا يجد معيناً ينصره ؛ وكلالة حده ، أي : ضعف سلاحه عن القطع في اعدائه يقال : كل السيف كلالة ، إذا لم يقطع . والمراد إعوازه من السلاح ، أو لضعفه عن استعماله ونضيض وفرة قلة ماله . وكان مقتضى النسق أن يقول : ونضاضة وفرة : لكنه عدل إلى الوصف تفنناً ، والنضيض : القليل ، والوفر : المال .

(٤) القسم الثاني الذي يطلب الامارة ما هي من حقه ، ويجهز بذلك فهو مصلت لسيفه - أي : سال له - على أعناق الذين لا يسمعون لسلطان الباطل ، والمعلن : المظهر ، والمجلب بخيله : من « أجلب القوم » أي : جلبوا وتجمعوا من كل أوب للحرب ، والرجل : جمع راجل ، كالركب جمع راكب والصحب جمع صاحب ، وهو قليل ، و « أشراط نفسه » أي : هياها وأعددها للشر والفساد في الأرض ، أو للعقوبة وسوء العاقبة و « أوبق دينه » أهلكه . والحطام : المال ، وأصله ما تكسر من الييس .

الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا ؛
وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا : قَدْ
طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ
لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ ^(١) ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ
عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولُهُ نَفْسِهِ ، ^(٢) وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى
حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ
الزَّهَادَةِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدَى . وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ
أَبْصَارِهِمْ ذِكْرَ الْمَرْجِعِ ^(٣) ، وَأَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفَ الْمَحْشَرِ ، فَهُمْ
بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ ^(٤) ؛ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ ، وَدَاعٍ
مُخْلِصٍ ، وَثُكْلَانَ مُوجَعٍ . قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ ^(٥) وَشَمَلَتْهُمْ

= ينتهزه يغتنمه أو يختلسه ، والمقنب : طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ،
وإنما يطلب قود المقنب تعززا على الناس وكبرا ، وفرع المنبر - بالفاء - أي علاه في علو
المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب فهذا القسم قد أضاع دينه
وافسد الناس في طلب هذه الشهوات المذكورة .

(١) الذريعة : الوسيلة ، وهذا قسم ثالث .

(٢) الضؤولة بالضم - : الضعف ، وهذا هو القسم الرابع ، وليس من الزهادة في ذهاب
ولا إياب ، أي : لا فعل ولا ترك .

(٣) هذا قسم خامس للناس مطلقاً ، والأقسام الأربعة للناس المعروفين الواقعيين تحت نظر
العامّة . فقله فيما سبق : « فالناس أربعة أصناف » إنما يريد به الذين يعرفهم النظر
الجلي ناساً ، أما الرجال الذين غضوا أبصارهم عن مطامع الدنيا خوفاً من الآخرة
وتذكراً لمعادهم فهؤلاء لا يعرفون عند العامّة ، وإنما يتعرف أحوالهم أمثالهم ،
فكانهم في نظر الناس ليسوا بناس .

(٤) الناد : الهارب من الجماعة إلى الوحدة ، والمقموع : المهجور . والمعكوم : من « كعم
البعير » شد فاه لئلا يأكل أو يعض ، وما يشد به كعم ككتاب : والثكلان : الحزين .

(٥) أخله : أسقط ذكره حتى لم يعدله بين الناس نباهة . والتقية : اتقاء الظلم بإخفاء

الذَّلَّةُ ، فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ، أَفَوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ^(١) ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ ، وَقَدْ وَعِظُوا حَتَّى مَلُّوا^(٢) ، وَفَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرِظِ وَقَرَاضَةٍ الْجَلَمِ^(٣) وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ؛ فَإِنَّهَا رَفَضَتْ مَنْ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ^(٤) .

قال الشريف : أقول : هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يُشْكُ فيه ، وأين الذَّهَبُ من الرِّغَامِ^(٥) والعذبُ من الأجاج ؟ وقد دل على ذلك الدليل الخريت^(٦) ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين ،

= الحال، والأجاج : الملح : أي : أنهم في الناس كمن وقع في البحر الملح لا يجد ما يطفئ ظمأه أو ينقع غلته .

(١) ضامزة : ساكنة ، من « ضمز يضمز » بالزاي المعجمة - كنصر وضرب - سكت يسكت والقرحة - بفتح فكسر - المجرحة .

(٢) أي : أنهم أكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وشموا من كلامهم .

(٣) الحثالة - بالضم - القشارة وما لا خير فيه ، وأصله ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشر إذا نقي . والقرظ - محركة - ورق السم أو ثمر السنط يدبغ به ، والجلم - بالتحريك - مقراض يجز به الصوف ، وقراضته : ما يسقط منه عند القرض والجز . وإنما طالبهم باحتقال الدنيا بعد التقسيم المتقدم لما ثبت من أن أهل الدنيا لم تصف إلا للأشرار . أما المتقون الذين ذكرهم فانهم لم يصيبوا منها إلا العناء ، وكل ما كان من شأنه أن يأوي إلى الأشرار ويجافي الأخيار فهو اجدر بالاحتقار .

(٤) أي : من كان أشد تعلقاً بها منكم .

(٥) الرغام - بالفتح - : التراب ، وقيل : هو الرمل المختلط بالتراب .

(٦) الخريت - بوزن سكيث - الحاذق في الدلالة ، وفعله كفرح .

وذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم قال : هِيَ بِكَلَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَشْبَهُ وَبِمَذْهَبِهِ فِي تَصْنِيفِ النَّاسِ ، وَبِالْإِخْبَارِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ
مِنَ الْقَهْرِ وَالْإِذْلَالِ ، وَمِنَ التَّقِيَّةِ وَالْخَوْفِ - أَلِيقُ^(١) قَالَ : وَمَتَى
وَجَدْنَا مَعَاوِيَةَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَسْلُكُ فِي كَلَامِهِ مَسْلَكَ
الزَّهَادِ ، وَمَذَاهِبَ الْعِبَادِ ؟؟ !! .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٢٢٢

عند خروجه لقتال أهل البصرة^(٢)

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ : دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ بِذِي قَارِ^(٣) وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ^(٤) فَقَالَ لِي : مَا قِيَمَةُ هَذَا
النَّعْلِ ؟ فَقُلْتُ : لَا قِيَمَةَ لَهَا . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَاللَّهِ لَهِيَ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا ، أَوْ أُدْفَعَ بَاطِلًا ، ثُمَّ خَرَجَ
فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ : -

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ
الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ

(١) تصنيف الناس : تقسيمهم ، وتبيين أصنافهم .

(٢) في وقعة الجمل .

(٣) بلد بين واسط والكوفة ، وهو قريب من البصرة ، وكانت فيه الحرب بين العرب
والفرس ونصرت فيه العرب قبل الإسلام .

(٤) يَخْصِفُ نَعْلَهُ يَحْزِزُهَا .

مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنَجَاتَهُمْ^(١) فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ^(٢) ، وَأَظْمَأَتِ صَفَاتُهُمْ . أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا^(٣) حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا : مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَإِنْ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا^(٤) فَلَا نَقِيْنَ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ^(٥) مَا لِي وَلِقُرَيْشٍ ! وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَا قَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ ؛ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ ! . (وَاللَّهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ آلَ اللَّهِ آخَرَانَا

(١) بواهم محلتهم أي : أنزلهم منزلتهم ، فالناس قبل الإسلام كأنهم كانوا غرباء مشردين والإسلام هو منزلهم الذي يسكنون فيه ويؤمنون من المخاوف ، فالنبي ﷺ ساق الناس حتى أوصلهم إلى منزلهم من الإسلام الذي كانوا قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك .

(٢) القناة : العود ، والرمح ، والكلام تمثيل لاستقامة أحوالهم ، الصفاة : الحجر الصلد الضخم ، وأراد به مواطئ أقدامهم . والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلاصهم عما كان يرجف قلوبهم ويزلزل أقدامهم .

(٣) « إن كنت الخ » . إن هذه هي المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن محذوف ، والأصل « إنه كنت الخ » والمعنى قد كنت ، والساق : مؤخر الجيش السائق لمقدمه ، و« ولت بحذافيرها » : بجملتها وأسرها ، ويقال : « أخذه بحذافيره » بكسر الحاء وسكون الدال - و« أخذه بحذوره » - بضم فسكون - و« أخذه بحذافيره » والضائر في « ساقته » و« ولت بحذافيرها » عائدة إلى الحادثة المفهومة من الحديث وهي ما أنعم الله به من بعثة النبي ﷺ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الذلة للعزة . وقال الشارح ابن أبي الحديد : الضائر للجاهلية المفهومة من الكلام ، وكونه في ساقها أنه طارد لها . ويضعفه أن ساقه الجيش منه لا من مقاتليه ، فلو كان في ساقه الجاهلية لكان من جيشها ، نعوذ بالله ، ويمكن تصحيح كلام الشارح بجعل الساق جمع سائق ، أي : كنت في الذين يسوقونها طرداً حتى ولت .

(٤) أي : أنه يسير إلى الجهاد في سبيل الحق .

(٥) الباطل يبادر الأوهام فيشغلها عن الحق ، ويقوم حجاباً مانعاً للبصيرة عن الحقيقة ، فكأنه شيء اشتمل على الحق فستره ، وصار الحق في طيه ، والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق ، وحال الامام في كشف الباطل واطهار الحق .

عَلَيْهِمْ فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيْزِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
 أَدَمْتُ لَعْمَرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ صَابِحاً
 وَأَكَلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةِ الْبُجْرَا
 وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعِلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ
 عَلِيّاً وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا

ومن خطبة له عليه السلام

٦٤

في استنفار الناس إلى أهل الشام

أَفْ لَكُمْ ، لَقَدْ سَيِّئْتُ عِتَابَكُمْ !! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ
 الْآخِرَةِ عِوَضاً ؟ وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفاً ؟ إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ
 عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ (١) وَمِنَ الذُّهُولِ
 فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ (٢) فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَالُوسَةٌ (٣)
 فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ، مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ

(١) دوران الأعين : اضطرابها من الجزع ، ومن غمرة الموت يدور بصره ، فانهم يريدون
 من غمرة الموت الشدة التي تنتهي إليه ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ
 الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ .

(٢) الحوار - بالفتح وربما كسر - هو مراجعة الكلام و « يرتج » بمعنى يخلق ، وتقول : رتج
 الباب - كضرب - أي : أغلقه ، أي : لا تهتدون لفهمه ، فتعمهون : مضارع عمه -
 كعلم وقطع - أي : تنحيرون وترددون .

(٣) المألوسة : المخلوطة بمس الجنون .

الليالي (١) وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يَمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرٍ عِزٌّ يُفْتَقَرُ
إِلَيْكُمْ (٢) مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَابِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ
أَنْشَرَتْ مِنْ آخَرٍ، لِبَشٍّ - لَعَمْرُ اللَّهِ - سَعُرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ (٣)
تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ، وَتَنْقُصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ (٤) لَا يُنَامُ
عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ، غُلِبَ وَاللَّهُ أَلَمْتَخَاذِلُونَ. وَأَيْمُ (٥)
اللَّهُ إِنِّي لَأُظَنُّ بِكُمْ، أَنَّ لَوْ حَمَسَ الْوَعْيَ وَأَسْتَحَرَ أَلَمُوتٌ قَدْ
أَنْفَرَجْتُمْ عَنْ أَبِي طَالِبٍ أَنْفِرَاجَ الرَّأْسِ (٦). وَاللَّهُ إِنْ أَمْرَاءً
يُمْكِنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرِقُ لَحْمَهُ (٧)، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ، وَيَفْرِي
جِلْدَهُ؛ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ، ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ (٨).

(١) سجيس - بفتح فكسر - كلمة تقال بمعنى أبدا، « وسجيس الباء » من سجس بمعنى
تغير وكدر، وكان أصل الاستعمال ما دامت الليالي بظلامها، أي : ما دام الليل
ليلاً . ويقال سجيس لا وجس - بفتح الجيم وضمها - و « وسجيس عجيس »، كل
ذلك بمعنى أبداً أي ليسوا بثقة عنده يركن إليهم أبداً .

(٢) الزافرة من البناء : ركنه، ومن الرجل عشيرته . وقوله « يمال بكم » أي : يمال على
العدو بعزكم وقوتكم .

(٣) السعير : أصله مصدر سحر النار - من باب نفع - أوقدها، أي : لبش ما توقد به
الحرب أنتم، ويقال : إن « سعير » جمع ساعر كشرب جمع شارب وركب جمع راكب .

(٤) امتعض : غضب .

(٥) غلب - مبنى للمجهول - والمتخاذلون الذين يخذل بعضهم بعضاً ولا يتناصرون .

(٦) حمس - كفرح - اشتد وصلب في دينه فهو حمس كفرح وحذر، والوعى : الحرب،
واستحمر : بلغ في النفوس غاية حدته، وقوله « انفراج الرأس » أي : انفراجاً لا التثام
بعده، فإن الرأس إذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شذقيه عن الآخر لم يعد
لالتثام .

(٧) يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم، وفراه يفريه : مزقه يمزقه .

(٨) ما ضمت عليه الجوانح : هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية، والجوانح :

أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ (١) فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ
ضَرْبٌ بِالمَشْرِفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ
وَالْأَقْدَامُ (٢) وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ : فَأَمَّا
حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ (٣) ، وَتَعْلِيمُكُمْ
كَيْلًا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ
فَالْوَفَاءُ بِالبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ
أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُكُمْ .

ومن خطبة له عليه السلام

٣٥

بعد التحكيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ (٤) وَالْحَدَّثِ

= الضلوع تحت الترائب ، والترائب : ما يلي الترقوتين من عظم الصدر ، أو ما بين الثديين
والترقوتين ، يريد ضعيف القلب .

(١) يمكن أن يكون خطاباً عاماً لكل من يمكن عدوه من نفسه . ويروى أنه خطاب
للأشعث بن قيس عندما قال له « هلا فعلت فعل ابن عفان » فأجابه بقوله : إن فعل
ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ، وإن أمراً الخ .

(٢) أي : لا يمكن عدوه من نفسه حتى لا يكون ذلك ضرباً بالمشرفية ، وهي السيوف التي
تنسب إلى مشارف ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف . ولا يقال في النسبة
إليها مشارفي ؛ لأن الجمع ينسب إلى واحدة ؛ ويقال : إن المشرفية نسبة إلى موضع في
بلاد اليمن لا إلى مشارف الشام ، وفراش الهام : العظام الرقيقة التي تلي القحف ،
و« تطيح السواعد » أي : تسقط وفعله كباع وقال .

(٣) الفيء : الخراج وما يحويه بيت المال .

(٤) من فدحه الدين - كقطع - أي : أثقله وعاله وبهظه ، والحدث - بالتحريك - الحادث .

الْجَلِيلِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ
إِلَهٌ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ
تُورِثُ الْحَيَرَةَ ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ . وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ
الْحُكُومَةِ أُمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي ^(١) لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرِ
أَمْرٍ ^(٢) فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ ، وَالْمُنَابِذِينَ أَلْعَصَاةِ ،

(١) الحكومة : حكومة الحكمين : عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري وذلك بعدما
وقف القتال بين علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان في حرب صفين سنة سبع
وثلاثين من الهجرة ؛ فان جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون عليه رفعوا المصاحف
على الرماح يطلبون رد الحكم إلى كتاب الله ، وكانت الحرب أكلت من الفريقين ،
فانخدع القراء وجماعة تتبعوهم من جيش علي ، وقالوا دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق
بالإجابة إليه ، فقال لهم أمير المؤمنين : إنها كلمة حق يراد بها باطل إنهم ما رفعوها
ليرجعوا إلى حكمها ، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها ، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة ا
أعيروني سواعدكم وجاهكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن نقطع
دابر الذين ظلموا ، فخالفوا واختلفوا ، فوضعت الحرب أوزارها وتكلم الناس في
الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما في كتاب الله ، فاختار معاوية عمرو بن العاص ،
واختار بعض أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعري ، فلم يرض أمير المؤمنين واختار
عبدالله بن عباس فلم يرضوا ، ثم اختار الأشتر النخعي فلم يطيعوا ، فوافقهم على أبي
موسى مكرهاً بعد أن أعذر في النصيحة لهم فلم يذعنوا ، فقد نخل لهم ؛ أي أخلص
رأيه في الحكومة أولاً وآخرأ . ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبي موسى لعمر بن
العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية ثم صعود عمرو وبعده وإثباته معاوية وخلفه أمير
المؤمنين . وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه .

(٢) هو مولى جذيمة المعروف بالأبرش ، وكان حاذقاً وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا
يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه فقتلته فقال قصير :
« لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً .

حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ^(١) وَضَنَّ الزُّنْدُ بِقَدْحِهِ ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ
كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ :

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينَوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْفَدِ

ومن خطبة له عليه السلام

٣٦

(في تخويف أهل النهروان^(٢))

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ ، وَيَأْهَضَامِ

(١) يريد بالناصح نفسه ، أي : أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك في نصيحته وظن أن
النصح غير نصح ، وأن الصواب ما أجمعوا عليه وتلك سنة البشر : إذا كثر المخالف
للصواب اتهم المصيب نفسه ، وقوله « ضن الزند بقدحه » أي : أنه لم يعد بعد ذلك
رأي صالح لشدة ما لقي من خلافهم ، وهكذا المشير الناصح إذا اتهم واستغش عشت
بصيرته وفسد رأيه . « وأخو هوازن » هو دريد بن الصمة ، ومنعرج اللوى : اسم
مكان ، وأصل اللوى من الرمل : الجدد يعد الرملة . ومنعرجه : منعطفه بمنة ويسرة
وفي هذه القصيدة :

فلما عصوني كنت منهم ، وقد أرى غوايتهم ، واني غير مهتدي
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت ، وإن ترشد غزية أرشد
(٢) النهروان : اسم لأسفل نهر بين الخافيق ، وطرفاء ، على مقربة من الكوفة في طرف
صحراء حروراء . ويقال لأعلى ذلك النهر « تامر » ، وكان الذين خرجوا على أمير
المؤمنين وخطأوه في التحكيم قد نقضوا بيعته ، وجهروا بعداوته ، وصاروا له حرباً ، واجتمع
معظمهم عند ذلك الموضع ، وهؤلاء يلقبون بالحرورية لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا
فيها كانت تسمى حروراء ، وكان رئيس هذه الفئة الضالة حرقوس بن زهير السعدي ،
ويلقب بذي الثدية (تصغير ثدية) خرج إليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن
مقاتلتهم ، والعودة إلى بيعتهم ، فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتال أصحابه كرم الله
وجهه ، فأمر بقتالهم ، وتقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه .

هَذَا الْغَائِطُ^(١) عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ :
 قَدْ طَوَّحْتُ بِكُمْ الدَّارَ^(٢) وَاحْتَبَلْتُكُمْ الْمِقْدَارَ ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ
 هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالَفِينَ الْمُنَابِذِينَ^(٣) ، حَتَّى صَرَفْتُ
 رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمُ ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَاءِ الْهَامِ^(٤) ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ
 وَلَمْ آتِ - لَا أَبَا لَكُمْ - بُجْرًا^(٥) ، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا .

(١) صرعى : جمع صريع ، أي : طريق ، أي : إني أحذركم من اللجاج في العصيان
 فتصبحوا مقتولين مطروحين : بعضكم في أثناء هذا النهر ، وبعضكم بأهضام هذا
 الغائط . والأهضام : جمع هضم وهو المطمئن من الوادي . والغائط : ما سفل من
 الأرض والمراد منها المنخفضات .

(٢) أي : صرتم في متاهة ومضلة ، لا يدع الضلال لكم سبيلاً إلى مستقر من اليقين ،
 فأنتم كمن رمت به داره وقذفته . ويقال : « تطوحت به النوى » أي : ترامت . وقد
 يكون المعنى أهلكتكم دار الدنيا ، كما اخترناه في الطبعة الأولى . والمقدار : القدر
 الإلهي ، واحتبلهم : أوقعهم في حبالته فهم مقيدون للهلاك لا يستطيعون منه
 خروجاً .

(٣) نهاهم عن إجابة أهل الشام في طلب التحكيم بقوله : « إنهم ما رفعوا المصاحف
 ليرجعوا إلى حكمها - إلى آخر ما تقدم في الخطبة السابقة » . وقد خالفوه بقولهم : دعينا
 إلى كتاب الله فنحن أحق بالاجابة إليه ، بل أغلظوا في القول حتى قال بعضهم : لئن لم
 نجيبهم إلى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك .

(٤) الهام : الرأس وخفتها كناية عن قلة العقل .

(٥) البجر - بالضم - : الشر والأمر العظيم والداهية ، وقال الراجز * أرمى عليها وهي
 شيء بجر * أي : داهية ويقال « لقيت منه البجاري » وهي الدواهي ، واحداها بجرى
 مثل قمري وقهاري .

(٦) هذا الكلام ساقه الرضي كأنه قطعة واحدة لغرض واحد ، وليس كذلك ، بل هو قطع
 غير متجاورة ، كل قطعة منها في معنى غير ما للآخرى ، وهو أربعة فصول الأول من
 قوله : فقصت بالأمر إلى قوله : واستبددت برهانها ، والفصل الثاني من قوله : كالجبل
 لا تحركه العواصف إلى قوله : حتى آخذ الحق منه . والفصل الثالث من قوله : رضينا
 من الله قضاءه ، إلى قوله : فلا أكون أول من كذب عليه . والفصل الرابع ما بقي . =

ومن كلام له عليه السلام

(يجري مجرى الخطبة)

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُّوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا^(١) وَنَطَقْتُ
حِينَ تَمَنَّعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتُ أَخْفَصَهُمْ
صَوْتاً^(٢) وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً^(٣) فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا ، وَأَسْتَبَدَّدْتُ بِرِهَانِهَا^(٤)
كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ : لَمْ يَكُنْ
لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ^(٥) وَلَا لِقَاتِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ ، الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى
أُخَذَ الْحَقُّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ ،

(١) يصف حاله في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ومقاماته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيام الأحداث ، أي : أنه قام بانكار المنكر حين فشل القوم ، أي : حين جنهم وخورهم ، والتقَّبَع : الاختباء ، والتطلع : ضده ، ويقال : امرأة طلعة قبة : تطلع ثم تقبع رأسها ، أي تدخله كما يقبع القنفذ ، أي : يدخل رأسه في جلده وقبيح الرجل : أدخل رأسه في قميصه . أي : أنه ظهر في إعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصواب حين كان يختبئ القوم من الرهبة ، ويقال : « تقبع فلان في كلامه » إذا تردد من عي وحصر ، فقد كان ينطق بالحق ويستقيم به لسانه ، والقوم يترددون ولا يبنون .
(٢) كناية عن ثبات الجأش ، فان رفع الصوت عند المخاوف إنما هو من الجزع ، وقد يكون كناية عن التواضع أيضاً .

(٣) الفوت : السبق .

(٤) هذا الضمير وسابقه يعودان إلى الفضيلة المعلومة من الكلام : فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو يمثل حاله مع القوم بحال خيل الحلبة ، والعنان للفرس معروف ، وطاربه : سبق به . والرهان : الجعل الذي وقع التراهن عليه .

(٥) الهمز والغمز : الوقوعة ، أي : لم يكن في عيب أعاب به وهذا هو الفصل الثاني ، يذكر حاله بعد البيعة ، أي أنه قام بالخلافة كالجبل الخ . وقوله الدليل عندي - الخ « أي : إنني أنصر الدليل فيعز بنصري ، حتى إذا أخذ حقه رجع إلى ما كان عليه قبل الانتصار بي . ومثل ذلك يقال فيما بعده .

رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَسَلَّمْنَا لِهَ أَمْرِهِ^(١) ، أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ . فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي^(٢) .

ومن خطبة له عليه السلام

٣٨

وَأِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشَبِّهُ الْحَقَّ : فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فُضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى^(٣) وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى ، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحْبَبَهُ .

ومن خطبة له عليه السلام

٣٩

مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ^(٤) وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ ، لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ ؟ أَمَّا دِينُ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ

(١) قوله « رَضِينَا - الخ » كلام قاله عندما نفرس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به من أنباء الغيب .

(٢) قوله « فنظرت الخ » هذه الجملة قطعة من كلام له في حال نفسه بعد وفاة رسول الله ﷺ . بين فيه أنه مأمور بالرفق في طلب حقه ، فاطاع الأمر في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فبايعهم امتثالاً لما أمره النبي به من الرفق ، وإيفاء بما أخذ عليه النبي من الميثاق في ذلك .

(٣) سمت الهدى : طريقته ، وقوله « فما ينجو من الموت الخ » ليس ملتصقاً مع ما قبله فهو قطعة من كلام آخر ضمه إلى هذا على نحو ما جمع الفصول المتقدمة .

(٤) منيت : بليت .

تُحْمِشُكُمْ^(١) أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِحاً ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً ، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمراً ، حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ^(٢) فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ ثَارٌ ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ ؛ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ ، وَتَشَاقَلْتُمْ تَتَأَقَّلَ النَّضْوِ الْأَدْبَرِ^(٣) ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾^(٤) .

قال الشريف : أقول : قوله عليه السلام : « متذائب » أي : مضطرب ، من قولهم تذاعبت الريح ، أي : اضطرب هبوبها . ومنه يسمى الذئب ذئباً ؛ لاضطراب مشيته .

ومن كلام له عليه السلام

في الخوارج لما سمع قولهم : « لا حكم إلا لله » ، قال عليه السلام
كَلِمَةً حَقٌّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ !! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَكِنْ

(١) حمشه - كنصره - جمعه وحش القوم : ساقهم بغضب . أو من أحشه : بمعنى أغضبه ، أي : تغضبكم على أعدائكم ، والمستصرخ : المستنصر ، و« متغوثا » أي قائلاً « واغوثاه » .

(٢) تكشف : مضارع حذف تاءه . والأصل تتكشف . أي أنكم لا تزالون تخالفونني وتخذلونني حتى تنجلي الأمور والأحوال عن العواقب التي تسوءنا ولا تسرنا .

(٣) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرتة ، والأسر : المصاب بداء السرر ، وهو مرض في الكركرة ينشأ من الدبرة . والنضو : المهزول من الأبل والأدبر : المدبور ، أي : المجروح المصاب بالدبرة - بالتحريك - وهي العقر والجرح من القتب ونحوه .

(٤) وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين في غارة النعمان بن بشير الانصاري على عين التمر من أعمال أمير المؤمنين ، وعليها إذ ذاك من قبله مالك بن كعب الأرحي .

هُؤُلَاءِ يَقُولُونَ : لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ^(١) يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْآلْفِيُّ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ السَّبِيلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ .

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :
حُكِّمَ اللَّهُ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ .

وقال : - أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ ، وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ ، وَتَذَرِكَ مَنِئْتُهُ .

ومن خطبة له عليه السلام

﴿١﴾

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ^(٢) وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ . وَلَا يَغْدِرُ

(١) برهان على بطلان زعمهم أنه لا إمرة إلا لله بأن البداهة قاضية أن الناس لا بد لهم من أمير بر أو فاجر حتى تستقيم أمورهم ، وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لأحراز دينه ودينه ، وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الأجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة ، وتجري سائر المصالح المذكورة . ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار ، وبالكافر الأمير الفاجر ، كما تدل عليه الرواية الأخرى . وقوله « أما الإمرة البرة الخ » .

(٢) التوأم : الذي يولد مع الآخر في حمل واحد ، فالصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر في الوجود ولا في المنزلة : واللجنة - بالضم - الوقاية ومن علم أن مرجعه إلى الله ، وهو سريع الحساب ، لا يمكن أن يعدل عن الوفاء إلى الغدر .

مِنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ . وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا^(١) وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ ، مَا لَهُمْ ؟ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ! قَدْ يَرَى الْحَوَلُ الْقُلْبُ وَجَهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ^(٢) .

ومن كلام له عليه السلام

٤٦

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَثْنَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَطُولُ الْأَمَلِ^(٣) ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً^(٤)

(١) الكيس - بالفتح - العقل ، وأهل ذلك الزمان يعدون الغدر من العقل وحسن الحيلة ، كأنهم أهل السياسة من بني زماننا ، وأمير المؤمنين يعجب من زعمهم ، ويقول : ما لهم قاتلهم الله يزعمون ذلك مع أن الحول والقلب - بضم الأول وتشديد الثاني من اللفظين ، أي : البصير بتحويل الأمور وتقليبها - قد يرى وجه الحيلة في بلوغ مراده ، لكنه يجد دون الأخذ به مانعاً من أمر الله ونهيه ، فيدع الحيلة وهو قادر عليها ، خوفاً من الله ، ووقوفاً عند حدوده .

(٢) الحريجة : التخرج ، أي : التحرر من الآثام .

(٣) طول الأمل : هو استفساح الأجل ، والتسويق بالعمل ، طلباً للراحة العاجلة ، وتسلية للنفس بامكان التدارك في الأوقات المقبلة ، وهذا من أقبح الصفات ، أما قوة الأمل في نجاح الأعمال الصالحة ، ثقة بالله وبقيناً بعونه ، فهي حياة كل فضيلة ، وسائقة لكل مجد ، والمحرومون منها آيسون من رحمة الله ، تحسبهم أحياء وهم أموات لا يشعرون .

(٤) الحذاء - بالتشديد - الماضية السريعة .

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةٌ^(١) كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُهَا ، أَلَا وَإِنَّ
الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا
تَكُونُوا مِنْ أُنْبَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ
الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ .

قال الشريف : أقول : الحذاء . السريعة ، ومن الناس من
يرويه جذاء^(٢) .

ومن كلام له عليه السلام

٤٣

وقد أشار على أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله
جرباً بن عبدالله البجلي إلى معاوية :

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقُ
لِلشَّامِ ، وَصَرَفُ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ . وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِ
وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْذُوعًا أَوْ عَاصِيًا . وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ
الْأَنَاءِ ، فَأَرُودُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ^(٣) وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ

(١) الصبابة - بالضم - البقية من الماء واللبن في الإناء . و « اصطبها صابها » كقولك :
أبقاها مبقياها ، وأتركها تاركها .

(٢) جذاء - بالجيم - أي : مقطوع خيرها ودرها .

(٣) يقول أمير المؤمنين إنه أرسل جرباً ليخبر معاوية وأهل الشام في البيعة له ، والدخول في
طاعته ، ولم ينقطع الأمل منهم ، فاستعداده للحرب ، وجمعه الجيوش ، وسوقها إلى
أرضهم ؛ لإغلاق أبواب السلم على أهل الشام ، وصرف لهم عن الخير إن كانوا =

وَعَيْنُهُ^(١) ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَيَظُنُّهُ ، فَلَمْ أَرِ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ . إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالْأَحْدَثِ إِحْدَاثًا ، وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا ، فَقَالُوا ، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا^(٢) .

ومن كلام له عليه السلام

﴿

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية ، وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم^(٣)

= يريدونه ، فالرأي الأناة ، أي : الثاني ، ولكنه لا يكره الاعداد ، أي : أن يعد كل شخص لنفسه ما يحتاج إليه في الحرب من سلاح ونحوه ، ويفرغ نفسه عما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعي إليها لم يبطئ في الاجابة ، ولم يجد ما يمنعه عن اقتحامها . وقوله « أوردوا » أي : سيروا برفق .

(١) مثل تقوله العرب في الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر ، وإنما خص الأنف والعين لأنها أظهر شيء في صورة الوجه ، وهما مستلفت النظر . والمراد من الكفر بكلامه الفسق ، لأن ترك القتال تهاون بالنهي عن المنكر ، وهو فسق لا كفر .

(٢) يريد من الوالي الخليفة الذي كان قبله ، وتلك الأحداث معروفة في التاريخ ، وهي التي أدت بالقوم إلى التسالب على قتله ، ويروى : « قال » بالقاف بدل « وال » ؛ ولا أظنها إلا تحريفاً ، وإن كنت أتيت على تفسيرها في الطبعة الأولى .

(٣) كان الحزيت بن راشد الناجي - أحد بني ناجية - مع أمير المؤمنين في صفين ، ثم نقض عهده بعد صفين ، ونقم عليه في التحكيم ، وخرج يفسد الناس ، ويدعوهم للخلاف ، فبعث إليه أمير المؤمنين كتية مع معقل بن قيس الرياحي ، لقتاله هو ومن انضم إليه ، فأدركته الكتية بسيف البحر بفارس ؛ وبعد دعوته إلى التوبة وإبائه قبولها شدت عليه ، فقتل وقتل معه كثير من قومه ، وسبي من أدرك في رحالهم من الرجال والنساء والصبيان ؛ فكانوا خمسمائة أسير . ولما رجع معقل بالنسي مر على مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وكان عاملاً لعلي على أردشير ، خرج فبكى إليه النساء والصبيان ، وتصايح الرجال يستغيثون في فكاكهم ، فاشتراهم من معقل بخمسمائة ألف درهم ، ثم =

فلما طالبه بالمال خاس به وهرب الى الشام^(١) :-

قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَهُ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ، فَمَا
أَنطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفُهُ حَتَّى بَكَّتَهُ ، وَلَوْ أَقَامَ
لَأَخَذْنَا مِيسُورَهُ^(٢) وَأَنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ^(٣) .

﴿٥﴾ ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلَا مَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ ،
وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ مِنْ عِبَادَتِهِ ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ
مِنْهُ رَحْمَةٌ ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ . وَالْدُّنْيَا دَارٌ مُنِي لَهَا الْفَنَاءُ^(٤) ،
وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ ، وَهِيَ حُلُوةٌ خَضِرَةٌ^(٥) ، وَقَدْ عَجَلَتْ
لِلطَّالِبِ^(٦) وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاضِرِ ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا
يَحْضُرْتَكُمْ مِنَ الزَّادِ^(٧) ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ^(٨) وَلَا

= امتنع من أداء المبلغ . ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فراراً تحت أستار الليل .

(١) خاس به : خان .

(٢) ميسوره : ما تيسر له .

(٣) وفوره : زيادته .

(٤) منى لها الفناء - ببناء الفعل للمجهول - أي : قدر لها ، والجلاء : الخروج من
الأوطان .

(٥) تمثيل لها بما يألوه الذوق ، ويروق النظر .

(٦) عجلت للطالب : أسرعت والتبست بقلب الناظر : اختلطت به محبة وعلقة .

(٧) أحسن ما بحضرتكم ، أي : أفضل الأشياء الحاضرة عندهم ؛ وذلك فاضل
الأخلاق ، وصالح الأعمال .

(٨) الكفاف : ما يكفيك - أي : يمنعك - عن سؤال غيرك ، وهو مقدار القوت .

تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ (١) .

ومن كلام له عليه السلام

٤٦

عند عزيمته على المسير إلى الشام (٢)

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ (٣) ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ،
وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي
السَّفَرِ ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ
الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا ، وَالْمُسْتَضْحَبَ لَا يَكُونُ
مُسْتَخْلَفًا .

ومن كلام له عليه السلام

٤٧

في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةَ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ (٤) تُعَرِّكِينَ

(١) البلاغ : ما يتبلغ به ، أي : يقتات به .

(٢) وذلك بعد حرب الجمل حيث اختلف عليه معاوية بن أبي سفيان ، ولم يدخل في بيعته ، وقام للمطالبة بدم عثمان ، واستهوى أهل الشام ، واستنصرهم لرأيه فعزوه على الخلاف ، وسار إليه أمير المؤمنين ، والتقى بصفين ، واقتتلا مدة غير قصيرة ، وانتهى القتال بتحكيم عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري .

(٣) الوعْثاء : المشقة ، والكآبة : الحزن . والمنقلب : مصدر بمعنى الرجوع ، وأول الكلام مروى عن رسول الله ﷺ في الكتب الصحيحة ، وأتمه أمير المؤمنين بقوله : « ولا يجمعهما غيرك - الخ » . وذات الله تستوي عندها الأمكنة كما تستوي الأزمنة : فالخضر والسفر عندها سواء ، وليس هذا الشأن لغير الذات الأقدس .

(٤) العكاظي : نسبة إلى عكاظ - كغراب - وهو سوق كانت تقيمه العرب في صحراء بين نخلة والطائف ، يجتمعون إليه من بداية شهر ذي القعدة ليتعاطوا - أي :

بِالنَّوَازِلِ ، وَتُرْكِيَيْنَ بِالزَّلَازِلِ ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ
سُوءاً إِلَّا ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ .

ومن خطبة له عليه السلام

﴿١٨﴾

عند المسير الى الشام

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ ^(١) ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ
نَجْمٌ وَخَفَقَ ^(٢) ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافِيءِ
الْإِفْضَالِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي ^(٣) وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا
الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّظْفَةَ إِلَى

= يتفاحروا - كل بما لديه من فضيلة وأدب ، ويستمر إلى عشرين يوماً ، وليتبايعوا أيضاً ،
وأكثر ما كان يباع الأديم بتلك السوق فنسب إليها ، والأديم : الجلد المدبوغ ،
وجمعه أدم - بفتحين ، وضمتين - ، وأدمة - كأرغفة - وقوله « تمدين - الخ » : تصوير
لما ينالها من العسف والخبث ، و« تعركين » : من « عركتهم الحرب » إذا مارسهم ،
والنوازل : الشدائد ، والزلازل : المزعجات من الخطوب .

(١) وقب : دخل ، وغسق : اشتدت ظلمته .

(٢) خفق النجم : غاب ، ولاح : ظهر .

(٣) أراد بمقدمته صدر جيشه ومقدمة الإنسان - بفتح الدال - صدره ، والملطاط : حافة
الوادي وشفيره وساحل البحر ، والسمت أي : الطريق ، وقول الشريف « يعني
بالملطاط السمت » تبين لمراد أمير المؤمنين من لفظ الملطاط في كلامه ، لا تفسيراً للفظ
في نفسه ، وقوله « وهو شاطئ الفرات » : بيان للسمت : أي : الطريق ، وقوله : =

شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوْطِنِينَ أَكْنَافَ دَجَلَةٍ (١) فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى
عَدُوِّكُمْ ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ (٢) .

قال الشريف : أقول : يعني عليه السلام بالمِلْطاط السَّمتَ
الذي أمرهم بنزوله وهو شاطئُ الفرات ، ويقال ذلك لشاطئِ
البحر ، وأصله ما استوى من الأرض . ويعني بالنُّطفَةِ ماءُ
الفرات . وهو من غريبِ العبارات وأعجبها .

ومن كلام له عليه السلام

٨٩

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ (٣) ، وَذَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ
الْظُّهُورِ ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ ،
وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ : (٤) سَبَقَ فِي الْأَعْلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ .

= « ويقال ذلك » أي : لفظ المِلْطاط ، تفسير للفظ المِلْطاط في استعمال اللغويين ، فاندفع
بهذا ما أورده ابن أبي الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى .

(١) الشِرْذمة : النفر القليلون ، والأكناف : الجوانب و« موطين الأكناف » أي : جعلوها
وطناً ، يقال : أوطنت البقعة .

(٢) الأمداد : جمع مدد ، وهو ما يمد به الجيش لتقويته ، وهذه الخطبة نطق بها أمير المؤمنين
وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين .

(٣) بطن الخفيات : علمها والأعلام : جمع علم - بالتحريك - وهو ما يهتدى به ، ثم سَم
المنار في كل ما دل على شيء وأعلام الظهور : الأدلة الظاهرة التي بظهورها تظهر
غيرها .

(٤) كان الأليق بعد قوله « وامتنع على عين البصيرة » يفسره ما جاء في رواية أخرى ، وهو
« فلا قلب من لم يره ينكره ولا عين من أثبتته تبصره » وما جاء في الكتاب معناه أن من لم
يره لا ينكره اعتماداً على عدم رؤيته لظهور الأدلة عليه ، ومن أثبتته لا يستطيع اكتناؤه
حقيقته .

وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ (١) فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بِأَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ : لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ (٢) تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ ، وَالْجَا حِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا .

ومن كلام له عليه السلام

٥٥

إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا (٣) عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُرْتَادِينَ ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ لَانْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ (٤) وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْتُ وَمِنْ هَذَا ضِغْتُ (٥) فَيُمَزَّجَانِ ! فَهَذَا

(١) علا كل شيء بذاته وكماله وجلاله . وقرب من كل شيء بعلمه وإرادته وإحاطته وعنايته ، فلا شيء إلا وهو منه ، فأى شيء يبعد عنه ؟

(٢) إن قلب الجاحد إن أنكره فما إنكاره إلا افتعال مما عرض عليه من أثر الفواعل الخارجة عن فطرته وظهور أعلام الوجود في الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره قلب الجاحد ، فلا مناص له من الإقرار في الواقع ، وإن ظهر الجحود في كلامه وبعض أعماله .

(٣) يستعين عليها رجال برجال .

(٤) المرتادين : الطالبين للحقيقة ، أي : لو كان الحق خالصاً من ممازجة الباطل ومشابهته لكان ظاهراً لا يخفى على من طلبه .

(٥) الضغث - بالكسر - قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس ، يريد أنه إن أخذ الحق من وجه لم يعلم شبيهاً له من الباطل يلتبس به ، وإن نظر إلى الباطل لاح كان =

يَسْتَوِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
الْحُسْنَى .

ومن خطبة له عليه السلام

٥٩

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة^(١) الفرات
بصفين ومنعوه من الماء

قَدْ اسْتَطَعْمَوْكُمْ الْقِتَالَ^(٢) فَقَرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ؛
أَوْ رَوْوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تُرَوِّوا مِنَ الْمَاءِ ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ
مَقْهُورِينَ ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُئْمَةٍ مِنَ
الْغَوَاةِ^(٣) ، وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبْرُ^(٤) حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ
الْمَنِيَّةِ .

= عليه صورة الحق فاشتبه به ، فذلك ضغث الحق ، وهذا ضغث الباطل ومصادر الأهواء
التي ينشأ عنها وقوع الفتن إنما هي من الالتباس الواقع بين الحق والباطل .

(١) الشريعة : مورد الشاربة من النهر .

(٢) طلبوا منكم أن تطعموهم القتال كما يقال « فلان يستطعمني الحديث » أي : يستدعيه
مني . وقوله « فأقروا الخ » أي : إما تثبتوا على الذل وتأخر المنزلة ، وإما أن ترووا
سيوفكم الخ .

(٣) اللمة - بضم اللام وتشديد الميم - الأصحاب في السفر ، وبتخفيفها : الجملة القليلة
مطلقاً ، أو من الثلاثة إلى العشرة . والتقليل مستفاد من الأول بطريق الكناية ، ومن
الثاني على الحقيقة الصريحة ، وفي الأول الإشارة إلى أنهم ليسوا بأهل حرب .

(٤) عمس الكتاب والخبر - كنصر - أخفاه و« عمست عليه » أي : أريته أنك لا تعرف الأمر
وأنت به عارف ، والأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف .

ومن خطبة له عليه السلام

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ ، وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ ، وَتَنَكَّرَ
مَعْرُوفُهَا ، وَأَذْبَرَتْ حَذَاءً^(١) فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا^(٢) وَتَحْدُرُ
بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا ، وَقَدْ^(٣) أَمَرُ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا ، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا
كَانَ صَفُوءًا^(٤) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ^(٥) أَوْ جُرْعَةٌ
كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدِيَانُ لَمْ يَنْقَعْ^(٦) فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ
الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ^(٧) وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ

(١) حذاء : مسرعة ، ورحم حذاء : مقطوعة غير موصولة ، وفي رواية « جذاء » - بالجيم -
أي : مقطوعة الدر والخير .

(٢) تحفزهم : تدفعهم وتسوقهم ، حفزه يحفزه : دفعه من خلفه أو هو بمعنى تطعنهم من
« حفزه بالرمح » إذا طعنه .

(٣) تحدر - بالراء ، من باب نصر وضرب - أي : تحوطهم بالموت ، وفي رواية - وهي
الصحيحة - « تحدو » بالواو بعد الدال ، أي : تسوقهم بالموت إلى الهلاك ، فكون
الفقرة في معنى سابقتها مؤكدة لها .

(٤) أمر الشيء : صار مرأ ، وكدر كدراً - كفرح فرحاً - وكدر - بالضم كظرف - كدورة :
تعكر : وتغير لونه ، واختلط بما لا يستساغ هو معه .

(٥) السملة - محرقة بقية الماء في الحوض ، والإداوة : المطهرة ، وهي إناء الماء الذي يتطهر
به ، والمقلة - بالفتح - حصاة يضعها المسافرون في إناء ، ثم يصبون الماء فيه ليغمرها ،
فيتناول كل منهم مقدار ما غمره ، لا يزيد أحدهم عن الآخر في نصيبه : يفعلون ذلك
إذا قل الماء ، وأرادوا قسمته بالسوية .

(٦) التمزز : الامتصاص قليلاً قليلاً ، والصديان العطشان ، وقوله « لم ينفع » أي : لم
يرو .

(٧) فآزمعوا الرحيل : أي أعزموا عليه ، يقال : أزمع الأمر ، ولا يقال أزمع عليه ، وجوزه
الفراء بمعنى عزم عليه وأجمع ، والمراد من العزم على الرحيل مراعاته والعمل له .

فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ ، فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الْوُلَيْهِ
 الْبِعْجَالِ (١) وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ (٢) وَجَارْتُمْ جُؤَارَ
 مُتَبَتِّلِ الرُّهْبَانِ (٣) وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، التَّمَّاسِ
 الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ ،
 وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ (٤) ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ ، وَأَخَافُ
 عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ . وَاللَّهُ لَوْ أَنْمَأَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَاءًا (٥) وَسَالَتْ
 عُيُونُكُمْ ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عُمِرْتُمْ فِي الدُّنْيَا - مَا
 الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ - (٦) مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ ، وَلَوْ لَمْ تَبْقُوا شَيْئًا مِنْ جَهْدِكُمْ ،
 أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ (٧) .

٥٣

ومن كلام له عليه السلام

في ذكر يوم النحر

وَمِنْ كَمَالِ الْأَضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا (٨) وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا . فَإِذَا

-
- (١) كل أنثى فقدت ولدها فهي والدة ووالهة ، والعُجُول من الإبل : التي فقدت ولدها .
 (٢) هديل الحمام : صوته في بكائه لفقد إلفه .
 (٣) جأرتهم : رفعتم أصواتكم ، والجؤار : الصوت المرتفع ، أي : تضرعتم إلى الله بأرفع
 أصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل ، والمتبتل : المنقطع للعبادة .
 (٤) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد .
 (٥) أنمأت : ذابت .
 (٦) « ما الدنيا باقية » أي : مدة بقائها .
 (٧) قوله « ما جزت » جواب « لو أنمأت » وقوله « ولو لم تبقوا شيئاً - الخ » اعتراض بين
 الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي والجواب ، وقوله « وهدها إياكم » عطف على أنعمه :
 من عطف الخاص على العام ؛ فان الهداية إلى الإيمان من أكبر النعم .
 (٨) الأضحية : الشاة التي طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى .

سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ
الْقَرْنِ (١) تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ (٢) .

قال الشريف الرضي : وَالْمَنْسَكُ هُنَا الْمَذْبَحُ .

ومن خطبة له عليه السلام

٥٤

فَتَدَاكُوا عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وَرْدِهَا (٣) قَدْ أَرْسَلَهَا
رَاعِيَهَا ، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا (٤) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي ، أَوْ بَعْضُهُمْ
قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ ، وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ ، بَطْنُهُ وَظَهْرُهُ ، فَمَا
وَجَدْتَنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ

= واستشرف الأذن ؛ تفقدها حتى لا تكون مخدوعة أو مشقوقة . وفي الحديث : « أمرنا
أن نستشرف العين والأذن » ، أي : نتفقدها . وذلك من كمال الأضحية ، أي : من
كمال عملها وتأذية سنتها . وتكون سلامة عينها عطفاً على أذنها . وقد يراد من
استشرف الأذن طولها وانتصابها يقال : « أذن شرفاء » أي : منتصبه طويلة ، فسلامة
عينها عطف على استشرف . والتفسير الأول أفسس بقوله « فإذا سلمت الأذن » .

(١) عضباء القرن : مكسورته .

(٢) « تجرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ » أي : عرجاء . والمنسك ، المذبح : وفي صفات الأضحية
وعيوبها المخلة بها تفصيل وخلافات تطلب من كتب الفقه .

(٣) تداكوا : تزاخوا عليه لبياعوه رغبة فيه ، والهيم : العطاش ، ويوم وردها : يوم شربها .

(٤) جمع المثناة - بفتح الميم وكسرهما - جبل من صوف أو شعر يعقل به البعير .

(٥) قتال البغاة من الواجب على الامام ؛ فان لم يقاتلهم - على قدرة منه - كان منابذاً لأمر
الله في ترك ما أوجبه عليه ؛ فكأنه جاحد لما جاء به رسول الله ﷺ .

الْعِقَابِ ، وَمَوَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ .

ومن كلام له عليه السلام

٥٥

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

أَمَا قَوْلُكُمْ : أَكُلْتُ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ ؟ ! فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي
أَدْخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ ^(١) . وَأَمَا قَوْلُكُمْ شَكَّا فِي
أَهْلِ الشَّامِ ! فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ
بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتِدِيَ بِي ، وَتَعُشُوَ إِلَى ضَوْئِي ، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا .

ومن كلام له عليه السلام

٥٦

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا

(١) روي أن أمير المؤمنين بعد ما ملك الماء على أصحاب معاوية ساءهم فيه ؛ رجاء أن يعطفوا إليه ، ولزوماً للمعدلة وحسن السيرة ، ومكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه منه شيء ، واستبطأ الناس إذنه في قتال أهل الشام واختلفوا في سبب التريث ، فقال بعضهم : كراهية الموت ، وذهب بعضهم إلى الشك في جواز قتال أهل الشام ؛ فأجابهم : أما الموت فلم يكن ليبالى به وأما الشك فلا موضع له ، وإنما يرجو بدفع الحرب أن ينحازوا إليه بلا قتال ، فإن ذلك أحب إليه من القتال على الضلال ، وإن كان الاثم عليهم ، وتبوء آثامها : ترجع بها ، وتعشوا إلى ضوئه : تستدل عليه . وإن كان يبصر ضعيف - في ظلام الفتن فتهتدي إليه . عشا إلى النار وعشاها - من باب نصر - عشوا - بفتح فسكون كقول - وعشو - بضمين مثل سمو - أي أبصرها ليلاً ببصر ضعيف فقصدها مستضيئاً راجياً الهدى أو القرى .

وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا : مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ^(١) وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ . وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا^(٢) أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْإِيمَانِ : فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُونَا ، وَمَرَّةً لِعَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُونَا الْكَبْتَ^(٣) وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ^(٤) ، وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ . وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عُمُودٌ ، وَلَا أَخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَهَا دِمَاءً^(٥) وَلَتَتْبَعُنَهَا نَدْمًا .

ومن كلام له عليه السلام

٥٧

لأصحابه

أَمَا إِنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ ، مُنْذِحِقُ

(١) اللقم - بالتحريك وبوزن صرد أيضاً - : معظم الطريق أو جادته ، ويقال عليك بلقم الطريق فالزمه ، ويقال أيضاً : لقم الطريق - من باب نصر - إذا سد فمه . ومضض الألم : لدعته وبرحاؤه .

(٢) يتخالسان : كل منهما يطلب اختلاس روح الآخر ، والتصاول : أن يحمل كل قرن على قرنه .

(٣) الكبت : الذلل والخذلان ، وفعله من باب الضرب .

(٤) جران البعير - بالكسر - مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره وجمعه جرن - بوزن كتب - وأجرنة - بوزن أغربه - وإلقاء الجران : كناية عن التمكن .

(٥) الاحتلاب : استخراج ما في الضرع من اللبن ، والضمير المنسوب يعود إلى أعمالهم

الْبَطْنِ^(١) يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ ، فَاقْتُلُوهُ ؛ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ^(٢) .
 أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي : أَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي ؛ فَإِنَّهُ
 لِي زَكَاةٌ ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي ؛ فَإِنِّي وَلَدْتُ
 عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ^(٣) .

ومن كلام له عليه السلام

٥٥

كَلَّمَ بِهِ الْخَوَارِجَ^(٤)

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ^(٥) ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آيَرُ . أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ

= المفهومة من قوله « ما أتيتكم » واحتلاب الدم تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من أعمالهم ، وسيتبعون تلك الأعمال بالندم عندما تصيبهم دائرة السوء أو تحمل قريباً من دارهم .

(١) مندحق البطن : عظيم البطن بارزه ، كأنه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين عنه ، وأصل « اندحق » بمعنى اندلق ، وفي الرحم خاصة . والدحوق - من النوق - التي يخرج رحمها عند الولادة ، ورحب البلعوم : واسعه ، يقال : عنى به زياداً ، وبعضهم يقول : عنى المغيرة بن شعبة ، والبعض يقول : معاوية .

(٢) أمرهم أولاً بقتله ؛ لأنه يستحق ذلك ، ثم أخبر أنهم ليسوا بقاتليه ، وأنهم سيخالفون هذا الأمر .

(٣) قد تسب شخصاً وأنت مكروه ، ولحبه مستبطن ، فتنجو من شر من أكرهك ، وما أكرهك على سبه إلا مستعظم لأمره يريد أن يحط منه وذلك زكاة للمسبوب . أما البراءة من شخص فهي : الانسلاخ من مذهبه ويقال : برىء من فلان - من باب علم - براءة ، أي : تخلص منه .

(٤) زعم الخوارج خطأ الامام في التحكيم وغلوا فشرطوا في العودة إلى طاعته أن يعترف بأنه كان قد كفر ثم آمن ، فخطبهم بكلام منه هذا الكلام .

(٥) الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء ، وقيل : وهو ما تنثر من دقاق الثلج

وَجَهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأُوبُوا شَرَّ مَا بَ، وَأَرْجِعُوا عَلَى أَثَرِ
الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَسَيْفًا قَاطِعًا وَآثَرَةً
يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً^(١).

قال الشريف: قوله عليه السلام «ولا بقي منكم آبر» يروى
بالباء والراء من قولهم للذي يأبر النخل - أي: يصلحه - ويروى
«آثر» وهو الذي يأثر الحديث، أي: يرويه ويحكيه، وهو أصحُّ
الوجوه عندي، كأنه عليه السلام قال: لا بقي منكم مخبر.
ويروى «آبز» - بالزاي المعجمة - وهو الواثب. والهالك أيضاً
يقال له آبز.

وقال عليه السلام

٥٩

لما عزم على حرب الخوارج وقيل له: إنهم قد عبروا جسر
النهر وان:

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النَّظْفَةِ، وَاللَّهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ^(٢) وَلَا

= والبرد، وفي التنزيل ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ والجملة دعاء عليهم بالهلاك.
(١) «أوبوا شر ما ب» انقلبوا شر منقلب بضلالكم في زعمكم، وارتدوا على أعقابكم
بفساد هواكم، فلن يضرني ذلك شيئاً وأنا على بصيرة في أمري. ثم أنذرهم بما
سيلاقون من سوء المنقلب والآثرة والاستبداد فيهم، والاختصاص بفوائد الملك
دونهم، وحرمانهم من كل حق لهم، وتقول: استأثر بالشيء على غيره، إذا استبد
به، وخص به نفسه، والاسم منه الآثرة - بفتحات.
(٢) انه ما نجا منهم إلا تسعة تفرقوا في البلاد، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين إلا
ثمانية.

يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ .

قال الشريف : يعني بالنطفة ماء النهر ، وهو أفصح ، كناية عن الماء وإن كان كثيراً جمّاً .

ولما قُتِلَ الخوارج قيل له : يا أمير المؤمنين ، هلك القوم بأجمعهم !

قال عليه السلام :

كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نُظِفُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ^(١) كَلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ .

وقال عليه السلام :

لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي ، فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ (يعني معاوية وأصحابه)^(٢) .

(١) «قرارات النساء» كناية عن الأرحام ، و«كلما نجم منهم قرن» أي : كلما ظهر وطلع منهم رئيس قتل ، حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلابين لا يقومون بملك ، ولا ينتصرون إلى مذهب ، ولا يدعون إلى عقيدة ، شأن الأشرار الصعاليك الجهلة ، ويقال : نجم القرن - مثل نصر - إذا نبت .

(٢) الخوارج من بعده - وإن كانوا قد ضلوا بسوء عقيدتهم فيه ، إلا أن ضلتهم لشبهة تمكنت من نفوسهم : فاعتقدوا الخروج عن طاعة الامام مما يوجب الدين عليهم ، فقد طلبوا حقاً وأرادوا تقريره شرعاً فأخطأوا الصواب فيه - لكنهم بعد أمير المؤمنين يخرجون بزعمهم هذا على من غلب على الإمرة بغير حق ، وهم الملوك الذين طلبوا الخلافة باطلاً فأدركوها وليسوا من أهلها ، فالخوارج على ما بهم أحسن حالاً منهم .

ومن كلام له عليه السلام

لما خُوف من الغيلة^(١)

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً^(٢) فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي أَنْفَرَجْتُ
عَنِّي وَأَسْلَمْتَنِي ، فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ آلْسَهُمْ ، وَلَا يَبْرَأُ الْكَلَمُ^(٣) .

ومن خطبة له عليه السلام

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا^(٤) وَلَا يُنَجَّى بِشَيْءٍ
كَانَ لَهَا^(٥) : ابْتُلِيَ النَّاسُ فِيهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ
وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ^(٦) وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ ،

(١) الغيلة : القتل على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل .

(٢) الجنة - بالضم - الوقاية ، والملاجئ والحصن .

(٣) طاش السهم عن الهدف - من باب باع - أي : جاوره ولم يصبه . الكلم بالفتح فسكون - الجرح وجمعه كلوم وكلام ، مثل جرح مثل جرح وجروح وجراح .

(٤) أي : من أراد السلامة من محتتها فليهم ، وسائل النجاة وهو فيها ، إذ بعد الموت لا يمكن التدارك ، ولا ينفع الندم : فوسائل النجاة إما عمل صالح ، أو إقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح ، وكلاهما لا يكون إلا في دار التكاليف وهي دار الدنيا .

(٥) أي : لا نجاة بعمل يعمل للدنيا ؛ إذ كل عمل يقصد به لذة دنيوية فانية فهو هلكة لا نجاة معه .

(٦) « ما أخذوه منها لها » كالمال يدخر للذة ، ويقتنى لقضاء الشهوة ، و « ما أخذوه لغيرها » كالمال ينفق في سبيل الخيرات ، يقدم صاحبه في الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم .

فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيَّ الظِّلِّ (١) : بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى
قَلَصَ (٢) ، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٦٢

وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَيَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ (٣) ،
وَابْتَاَعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ (٤) وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ
بِكُمْ (٥) ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ (٦) وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ
فَأَنْتَبَهُوا (٧) وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدَّلُوا . فَإِنَّ اللَّهَ

(١) إضافة « الفيء » إلى « الظل » إضافة الخاص للعام ؛ لأن الفيء لا يكون إلا بعد الزوال ، أما الظل فعام في كل وقت ، وقيل : الظل بالغداة ، والفيء بالعشي ، وقيل : كل موضع تكون فيه الشمس ثم تزول عنه فهو ظل .

(٢) سابغاً : ممتداً ساتراً للأرض ؛ وقلص : انقبض ، وحتى هنا لمجرد الغاية بلا تدريج ، أي : إن غاية سبوغه الانقباض ، وغاية زيادته النقص .

(٣) « بادروا الآجال بالأعمال » أي : سابقوها وعاجلوها بها ، أي : استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم .

(٤) ابتاعوا : اشترؤا ما يبقى من النعيم الأبدي ، بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية .

(٥) « الترحل » الانتقال ، والمراد منه هنا لازمه ، وهو : إعداد الزاد الذي لا بد منه للراحل ، والزاد في الانتقال عن الدنيا ليس إلا زاد التقوى وقوله « فقد جد بكم » أي : فقد حثثتم وأزعجتكم إلى الرحيل ، أو فقد أسرع بكم مسترحلكم وأنتم لا تشعرون .

(٦) الاستعداد للموت : إعداد العدة له ، أو طلب العدة للقائه ، ولا عدة له إلا الأعمال الصالحة . وقوله « فقد أظلكم » أي : قرب منكم حتى كأن له ظلاً قد ألغاه عليكم .

(٧) أي : كونوا قوماً حذرين إذا استنامتهم الغفلة وقتاً ما ، ثم صاح بهم صائح الموعظة ؛ =

سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى (١) ، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ
الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ (٢) وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقُصِهَا اللَّحْظَةُ
وَتَهْدِيمُهَا السَّاعَةَ لَجَدِيرَةٌ بِقِصْرِ الْمُدَّةِ (٣) وَإِنَّ غَايِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ :
- اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ - لَحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأُوبَةِ (٤) وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ
وَالشَّقْوَةِ لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا ، مِنَ الدُّنْيَا ،

= انتبهوا من نومهم ، وهبوا لمطلب نجاتهم وقوله « وعلموا - الخ » أي : عرفوا الدنيا ،
وأنها ليست بدار بقاء وقرار ، فاستبدلوها بدار الآخرة ، وهي الدار التي ينتقل إليها .
(١) تعالى الله أن يفعل شيئاً عبثاً وقد خلق الإنسان ، وآتاه قوة العقل التي تصغر عندها كل
لذة دنيوية ، ولا تقف رغائبها عند حد منها مهما علت رتبته ، فكأنها مفطورة على
استصغار كل ما تلاقيه في هذه الحياة وطلب غاية أعلى مما يمكن أن ينال فيها ؛ فهذا
الباعث الفطري لم يوجده الله تعالى عبثاً ، بل هو الدليل الوجداني المرشد إلى ما وراء
هذه الحياة ، و« سدى » أي : مهملين بلا راع يزجركم عما يضركم ويسوقكم إلى ما
ينفعكم وأصل السدى - بضم السين ، وتفتح - الابل المهملة بلا راع ، ويقال بلفظ
واحد للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ، ورعائنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وخلفائهم .

(٢) « أن ينزل به » في محل رفع بدل من الموت ، أي : ليس بين الواحد منا وبين الجنة إلا
نزول الموت به إن كان قد أعد للجنة عدتها ، ولا بينه وبين النار إلا نزول الموت به إن
كان قد عمل بعمل أهلها ، فما بعد هذه الحياة إلا الحياة الأخرى ، وهي إما شقاء وإما
نعيم .

(٣) تلك الغاية هي الأجل . و« تنقصها » أي : تنقص أمد الانتهاء إليها ، وكل لحظة تمر
فهي نقص في الأمد بيننا وبين الأجل ، والساعة تهدم ركناً من ذلك الأمد ، وما كان
كذلك فهو جدير بقصر المدة .

(٤) ذلك الغائب هو الموت . ويحدوه : يسوقه ، والجديدان : الليل والنهار ؛ لأن الأجل
المقسوم لك أن كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بكرورهما عليك يسوقان إليك ذلك
المنتظر على رأس الألف ، وما أسرع مرهما ، والانتهاء إلى الغاية ، وما أسرع أوبة ذلك
الغائب الذي يسوقانه إليك - أي : رجوعه - والموت هو ذلك القادم إما بفوز وإما
بشقوة ، وعدته الأعمال الصالحة ، والملكات الفاضلة .

مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا^(١) فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ نَصَحَ نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ^(٢) فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ : يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا^(٣) إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا^(٤) ، فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي عَقْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً^(٥) ، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ ، نَسَأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ^(٦) وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً ، وَلَا تَحِلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَابَةٌ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا^(٧) فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ

- (١) « ما تحرزون به انفسكم » أي : تحفظونها به ، وذلك هو تقوى الله في السر والنجوى ، وطاعة الشرع ، وعصيان الهوى .
- (٢) قوله « فاتقى عبد ربه » وما بعده : أوامر بصيغة الماضي ، ويجوز أن يكون بياناً للتردد المأمور به في قوله « فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم » أو بياناً لما يحرزون به أنفسهم .
- (٣) « يسوفها » أي : يؤجلها ، ويؤخرها .
- (٤) قوله « أغفل ما يكون » حال من الضمير في « عليه » . والمنية : الموت أي : لا يزال الشيطان يزين له المعصية ويمنيه بالتوبة أن تكون في مستقبل العمر ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو في أشد الغفلة عنه .
- (٥) يكون عمره حجة عليه لأنه أوتي فيه المهلة ، ويمكن فيه من العمل ، فلم ينشط له .
- (٦) لا تبطره النعمة : لا تطفئها ، ولا تسدل على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه .
- (٧) ماله من وصف فهو كذاته يجب بوجوبها ، فكما أن ذاته - سبحانه - لا يدنو منها التغير والتبدل ، فكذلك أوصافه هي ثابتة له معاً : لا يسبق منها وصف ووصفاً ، وإن كان مفهومها قد يشعر بالتعاقب - إذا اضيفت إلى غيره - فهو أول وآخر أزلا وأبداً ، أي : هو السابق بوجوده لكل موجود ، وهو بذلك السبق باق لا يزول . وكل وجود سواه =

أَنْ يَكُونَ آخِرًا ، وَيَكُونَ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا ، كُلُّ مُسَمًّى
بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ ^(١) ، وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ
ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَكُلُّ
قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ
الْأَصْوَاتِ ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا ^(٢) وَكُلُّ
بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ
غَيْرُهُ بَاطِنٌ ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ ^(٣) ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ
لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ عَلَى

= فعلى أصل الزوال مبناه، ثم هو، في ظهوره بأدلة وجوده، باطن بكنهه : لا تدركه
العقول ، ولا تحوم عليه الأوهام .

(١) الواحد : أقل العدد ، ومن كان واحداً منفرداً عن الشريك محروماً من المعين كان محتقراً
لضعفه ، ساقطاً لقلّة أنصارة ، أما الوحدة - في جانب الله - فهي علو الذات عن
التركيب المشعر بلزوم الانحلال وتفردا بالعظمة والسلطان ، وفناء كل ذات سواها إذا
اعتبرت منقطعة النسبة إليها ، فوصف غير الله بالوحدة تقليل ، والكمال في عالمه أن
يكون كثيراً ، إلا الله : فوصفه بالوحدة تقديس وتنزيه . وبقية الأوصاف ظاهرة .

(٢) السامعون من الحيوان والإنسان : لقوى سمعهم حد محدود ، فما خفي من الأصوات لا
يصل إليها ، فهي صماء عنه ، فيصم - بفتح الصاد - مضارع « صم » - من باب علم -
إذ أصيب بالصم ، وفقد السمع ، وما عظم من الأصوات حتى فات المألوف الذي
يستطاع احتماله يحدث فيها الصم بصدعه لها ، فيصم - بكسر الصاد ، وصم حرف
المضارعة - مضارع « أصم » وما بعد من الأصوات عن السامع - بحيث لا يصل موج
الهواء المتكيف بالصوت إليه - ذهب عن تلك القوى فلا تناله . كل ذلك في غيره
سبحانه . أما هو - جل شأنه - فيستوي عنده الخفي والشديد ، والقريب والبعيد : لأن
نسبة الأشياء إليه واحدة . ومثل ذلك يقال في البصر والبصراء .

(٣) الباطن هنا غيره فيما سبق ، أي : كل ما هو ظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو
باطن بذاته ، أي : لا وجود له في نفسه ، فهو معدوم بحقيقته ، وكل باطن سواء فهو
بهذا المعنى ، فلا يمكن أن يكون ظاهراً بذاته ، بل هو باطن أبداً .

نَدَّ مُثَاوِرٌ^(١) ، وَلَا شَرِيكَ مُكَابِرٍ ، وَلَا ضِدٌّ مُنَافِرٍ ؛ وَلَكِنْ خَلَائِقُ
مَرْبُوبُونَ ، وَعِبَادٌ ذَاخِرُونَ^(٢) ، لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيَقَالَ هُوَ فِيهَا
كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنَأْ عَنْهَا فَيَقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ^(٣) لَمْ يُوْدِّهِ خَلْقٌ مَا أَتَدَأْ^(٤)
وَلَا تَذِيرُ مَا ذَرَأَ^(٥) ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَلَا وَلَجَتْ
عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ^(٦) . بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنٌّ ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ،
وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ^(٧) . أَلَمَأْمُولٌ مَعَ النَّقَمِ وَالْمَرْهُوبُ مَعَ النَّعَمِ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٤

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ^(٨) وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ،

(١) الند - بكسر النون - النظير ، والمثل ولا يكون إلا مخالفاً ، وجمعه أنداد ، مثل حمل
وأحمال ، ويقال : فلان ند فلان . والمثاور : الموائب والمحارب . والشريك المكاثر :
أي المفاخر بالكثرة ، هذا إذا قرئ بالثاء المثلثة . ويروي المكابر - بالباء الموحدة - أي :
المفاخر بالكبر والعظمة ، و « الضد المنافر » أي : المحاكى في الرفة والحسب ، يقال :
نافرته في الحسب فنقرته ، أي : غلبته وأثبت رفعتي عليه .

(٢) مربوبون : أي مملوكون ، وداخرون : أذلاء ، من قولهم « دخر » - من باب قطع
وعلم - دخرأ - بالتحريك - ودخوراً ، أي ذل وصغر ، وفي التنزيل ﴿ سيدخلون جهنم
داخرين ﴾ أي : مقهورين أذلاء .

(٣) « لم يَنَأْ عنها » أي : لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن ، أي : منفصل .

(٤) « يُوْدِّهِ » أي : لم يثقله ، تقول آده الأمر يؤوده ، أودا - مثل قال يقول قولاً - أي :
أثقله ، وأتعبه ، وبلغ منه الجهد ، وفي التنزيل ﴿ ولا يؤوده حفظهما ﴾ .

(٥) ذرأ - كقطع - أي : خلق .

(٦) ولجت عليه : دخلت .

(٧) أي محتوم ، وأصله من « أبرم الحبل » جعله طاقين ، ثم فتله . وبهذا أحكمه .

(٨) استشعر : لبس الشعار ، وهو ما يلي البدن من الثياب . وتجلبب : لبس الجلباب ، =

وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ (١) فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَأَكْمَلُوا
الْلَّامَةَ (٢) وَقَلَقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا (٣) ، وَالْحَظُّوا
الْخَزَرَ (٤) وَأَطَعْنُوا الشَّرَرَ (٥) وَنَافَحُوا بِالطُّبَا (٦) ، وَصَلُّوا السُّيُوفَ
بِالْخُطَا (٧) . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ (٨) ، وَمَعَ آبِنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ (٩)

= وهو ما تغطي به المرأة ثيابها من فوق ؛ ولكون الخشية - أي : الخوف من الله - غاشية
قلبية عبر في جانبها بالاستشعار ، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة لأنها عارضة تظهر
في البدن ، كما لا يخفى .

(١) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو : أقصى الأضراس . ولكل إنسان أربعة نواجذ ، وهي
بعد الأرحاء . ويسمى الناجذ ضرس العقل ؛ لأنه ينبت بعد البلوغ . وإذا عضضت
على ناجذك تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماغك فكانت هامتك أصلب وأقوى
على مقاومة السيف ، فكان أنبى عنها ، وأبعد عن التأثير فيها ، والهام : جمع هامة ،
وهي الرأس .

(٢) اللامة : الدرع . وإكمالها أن يزداد عليها البيضة ونحوها . وقد يراد من اللامة آلات
الحرب والدفاع ، وإكمالها على هذا : استيفائها .

(٣) مخافة أن تستعصى عن الخروج عند السل .

(٤) الخزر - محركة - النظر ، كأنه من أحد الشقين ، وهو علامة الغضب ، وفعله من باب
تعب .

(٥) اطعنوا - بضم العين - فإذا كان في النسب مثلاً كان المضارع مفتوحاً وقد يفتح فيهما .
والشرر - بالفتح - الطعن في الجوانب يمينا وشمالاً .

(٦) نافحوا : كافحوا وضاربوا ، والطبا - بالضم - جمع طبة ، وهي طرف السيف وحده .

(٧) « صلوا » من الوصل ، أي : اجعلوا سيوفكم متصلة بخطأ أعدائكم جمع خطوة ، أو
إذا قصرت سيوفكم عن الوصول إلى أعدائكم فصلوها بخطاكم .

(٨) « بعين الله » أي : ملحوظون بها .

(٩) الفر : الفرار ، وهو عار في الأعقاب ؛ أي : في الأولاد ؛ لأنهم يعيرون بفرار آبائهم .
وقوله « وطيبوا عن أنفسكم نفساً » أي : أرضوا ببذلها فانكم تبدلونها اليوم لتحرزوها
غداً .

فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ
نَفْساً وَآمُشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشِياً سُجْحاً^(١) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ
الْأَعْظَمِ ، وَالرُّوَاقِ الْمُطَنَّبِ^(٢) فَأَضْرِبُوا ثَبَجَهُ^(٣) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ
كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ^(٤) ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدَا ، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا ،
فَصَمْدًا صَمْدًا^(٥) حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عُمُودُ الْحَقِّ ﴿ وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرَكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ^(٦) ۞ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٥

في مَعْنَى الْأَنْصَارِ ، قَالُوا : لَمَا انْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ^(٧) بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) السجح - بضمين - السهل اللين ، ومثله السجيج ، وهما من قولهم « سجع خد فلان » - من باب فرح - سجحا وسجاجة ، إذا سهل ولان وطال في اعتدال .

(٢) الرواق - ككتاب و غراب - الفسطاط ، والمطنب : المشدود بالأطناب ، جمع طناب ، - بضمين - وهو جبل يشد به سراق البيت . وأراد بالسواد الأعظم جمهور أهل الشام ، والرواق : رواق معاوية .

(٣) الثبج - بالتحريك - الوسط .

(٤) كسره - بالكسر - شقه الأسفل ، كناية عن الجوانب التي يفر إليها المنهزمون ، والشيطان الكامن في الكسر : مصدر الأوامر بالهجوم والرجوع ، فان جبنتم مديده للوثبة ، وان شجعتم أخر للنكوص والهزيمة رجله .

(٥) الصمد : القصد ، وتقول : صمده ، وصمد له ، وصمد إليه ، وبابه ضرب ونصر ، أي : فاثبتوا على قصدكم .

(٦) لن ينقصكم شيئاً من جزائها .

(٧) سقيفة بني ساعدة : اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لاختيار خليفة له .

وآله وسلم قال عليه السلام : ما قالت الأنصار ؟ قالوا : قالت :
مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، قال عليه السلام :

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؟ ! .

قالوا : وما في هذا من الحجّة عليهم ؟

فقال عليه السلام :

لَوْ كَانَتْ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ !!

ثم قال عليه السلام :

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قالوا : احتجت بأنها شجرة الرسول

صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام : احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ،
وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ (١) .

ومن كلام له عليه السلام

٦٦

لما قُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مِصْرَ فمَلَكَتْ عَلَيْهِ فَقُتِلَ

وَقَدْ أَرَدَتْ تَوَلِيَّةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُبَيْدَةَ ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا
خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ (٢) ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ ، بَلَا ذَمٌّ لِمُحَمَّدِ بْنِ

(١) يريد من الثمرة آل بيت الرسول ﷺ .

(٢) العرضة : كل بقعة واسعة بين الدور . والمراد ما جعل لهم مجالاً للمغالبة . وأراد
بالعرضة عرضة مصر ، وكان محمد قد فر من عدوه ظناً منه أنه ينجو بنفسه ، فأدركوه
وقتلوه .

أَبِي بَكْرٍ^(١) وَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيْبًا ، وَكَانَ لِي رَبِيْبًا^(٢) .

ومن كلام له عليه السلام

٦٧

كَمْ أَذَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعِمْدَةُ^(٣) ، وَالْثِيَابُ
الْمُتَدَاعِيَةُ^(٤) ! كَلَّمَا حِيَصَتْ^(٥) مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكَتْ مِنْ آخَرَ ؟ أَكَلَّمَا
أُطِّلَ عَلَيْكُمْ مَنَسِيرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ
بَابَهُ ، وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ فِي حُجْرَهَا ، وَالضَّبْعُ فِي
وَجَارِهَا^(٦) !^(٧) ، الذَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ ! وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ
رُمِيَ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ^(٧) . وَإِنَّكُمْ ، وَاللَّهِ ، لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ^(٨)
قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ

(١) « بلا ذم لمحمد - النخ » : لما يتوهم من مدح عتبة .

(٢) قالوا : ان أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب ، فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت منه محمداً ، ثم تزوجها علي بعده ، وتربى محمد في حجره ، وكان جارياً مجرى أولاده ، حتى قال علي كرم الله وجهه : محمد ابني من صلب أبي بكر .

(٣) البكار - ككتاب - جمع بكر : الفتى من الابل . والعمدة - بفتح فكسر - التي انفصح داخل سنامها من الركوب ، وظاهره سليم .

(٤) المتداعية : الخلقة المتخرقة ، ومداريتها : استعمالها بالرفق التام .

(٥) حيصت : خيطلت ، وتهتك : تحرق .

(٦) المنسر - كمجلس ومنبر - القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير ، وأطل : أشرف ، وانجحر : دخل الجحر والوجار - بالكسر - جحر الضبع وغيرها .

(٧) الأفوق من السهام : ما كسر فوقه ، أي : موضع الوتر منه . والناصل : العاري من النصل ، والسهم إذا كان مكسور الفوق عارياً عن النصل لم يؤثر في الرمية ، فهم في ضعف أثرهم وعجزهم عن النكاية بعدوهم أشبه به .

(٨) الباحات : الساحات .

أَوَدَّكُمْ^(١) وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي ! أَضَرَعَ اللَّهُ
خُدُودَكُمْ^(٢) ، وَأَتَعَسَ جُدُودَكُمْ^(٣) ، لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمْ
الْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمُ الْحَقَّ .

وقال عليه السلام

٦٨

في سحرة اليوم الذي ضرب فيه^(٤)

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ^(٥) فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ
الْأَوْدِ وَاللَّدَدِ ؟ فَقَالَ : « آدَعُ عَلَيْهِمْ » فَقُلْتُ : أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ
خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي .

قال الشريف : (يعني بالأود الـاعوجاج ، وباللدد الخصام .
وهذا من أفصح الكلام) .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٩

في ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ ! حَمَلَتْ

(١) أودكم - بالتحريك - اعوجاجكم .

(٢) أي : أذل الله وجوهكم .

(٣) وأتعس جدودكم . أي : حط من حظوظكم والتعس : الانحطاط والهلاك والعتار .

(٤) السحرة - بالضم - السحر الأعلى من آخر الليل .

(٥) ملكتني عيني : غلبني النوم ، وسنح لي رسول الله : مربى كما تسنح الطباء والطير .

فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ^(١) وَمَاتَ قِيَمُهَا ، وَطَالَ تَأْيِمُهَا ، وَوَرِثَهَا
 أَبْعَدُهَا^(٢) أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَاراً ، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً^(٣)
 وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عَلَيَّ يَكْذِبُ ! قَاتَلَكُمُ اللَّهُ فَعَلَى مَنْ
 الْكَذِبُ ؟ أَعَلَى اللَّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ
 مَنْ صَدَّقَهُ^(٤) . كَلَّا وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غَبِثُ عَنْهَا^(٥) وَلَمْ تَكُونُوا
 مِنْ أَهْلِهَا . وَيَلُ أُمُّهُ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنِ^(٦) ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ .

(١) أملصت : ألفت ولدها ميتاً .

(٢) قيمها : زوجها ، وتأيمها : خلوها من الأزواج ، يريد أنهم لما شارفوا استئصال أهل
 الشام وبدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم إجابة لطلاب التحكيم ، فكان
 مثلهم مثل المرأة الحامل ، لما أتمت أشهر حملها ، ألفت ولدها بغير الدافع الطبيعي ؛ بل
 بالحدث العارضي كالضربة والسقطة ، وقلما تلقى كذلك إلا هالكاً ، ولم يكن في تمثيل
 خيفتهم في ذلك حتى قال : ومات مع هذه الحالة زوجها ، وطال ذلها بفقدتها من يقوم
 عليها ، حتى إذا هلكت عن غير ولد ورثها الأبعد السافلون في درجة القرابة ممن لا
 يلتفت إلى نسبه .

(٣) يقسم أنه لم يأت العراق مستنصراً بأهله اختياراً لتفضيله إياهم على من سواهم ، وإنما
 سيق إليهم بسائق الضرورة ؛ فانه لولا وقعة الجمل لم يفارق المدينة المنورة . ويروى
 هذا الكلام بعبارة أخرى وهي « ما أتيتكم اختياراً ولا جئت إليكم شوقاً » بالشين
 المعجمة .

(٤) كان كرم الله وجهه كثيراً ما يخبرهم بما لا يعرفون ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ،
 فيقول المنافقون من أصحابه : إنه يكذب ! كما كان المنافقون يقولون مثل ذلك
 للنبي ﷺ ، فهو يرد عليهم قولهم بأنه أول من آمن بالله وصدق برسوله فكيف يجترأ
 على الكذب على الله أو على رسوله مع قوة إيمانه وكمال يقينه ؟ ولا يجتمع كذب وإيمان
 صحيح ! .

(٥) « لهجة غبثت عنها » أي : ضرب من الكلام أنتم في غيبة عنه ، أي : بعد عن معناه ،
 ونبو طبع عما حواه ، فلا تفهمونه ؛ ولهذا تكذبونه .

(٦) ويلمه : كلمة استعظام تقال في مقام المدح وإن كان أصل وضعها لضده ، ومثل ذلك =

﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ .

ومن خطبة له عليه السلام

٧٥

عَلَّمَ فِيهَا النَّاسَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

اللَّهُمَّ دَاجِيَ الْمَذْحُوتِ^(١) ، وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ ، وَجَابِلِ
الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا^(٢) شَقِيَّهَا وَسَعِيدِهَا : أَجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ

= معروف في لسانهم يقولون للرجل يعظمونه ويقرظونه «لا أبا لك» وفي الحديث «فاظفر
بذات الدين تربت يداك» وفي كلام الحسن يحدث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يعظم أمره : وما لك والتحكيم ، والحق في يديك ، ولا أبا لك ؟ وأصل الكلمة .
ويل أمه . وقوله «كيلا» مصدر يقع مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، أي : أنا أكيل لكم
العلم والحكمة كيلاً بلا ثمن ، لو أجد وعاء أكيل فيه ؛ أي : لو أجد نفوساً قابلة ،
وعقولاً عاقلة .

(١) «داجي المذحوت» أي : باسط المبسوطات ، وأراد منها الأرضين ، وبسطها أن تكون
كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقراً ومجالاً للبشر وسائر الحيوان ، تتصرف عليها
هذه المخلوقات في الأعمال التي وجهت إليها ، بهادي الغريزة كما هو المشهود لنظر
الناظر ، وإن كانت الأرض في جملتها كروية الشكل . «وداعم المسموكات» : مقيمها
وحافظها ، تقول : دعمه - كمنعه - : أقامه وحفظه . والمسموكات : المرفوعات ، وهي
السموات ، وتقول : سميت الشيء سمكاً - كنصرته نصراً - فسمك هو سموكاً -
كخرج خروجاً - يتعدى ويلزم ، ومعناه رفعته وقد يراد من هذا الوصف المجعول لها
سمكاً يفوق كل سمك ، والسمك : الثخن المعروف في اصطلاح أهل الكلام
بالعمق ، ودعمه للسموات إقامته لها ، وحفظها من الهوى بقوة معنوية ، وإن لم يكن
ذلك بدعامة حسية . قال صاحب القاموس : المسموكات لحن ، والصواب
مسمكات ، ولعل هذا في إطلاق اللفظ اسماً للسموات ، أما لو أطلق صفة كما في كلام
الإمام فهو صحيح فصيح ، بل لا يصح غيره ؛ فإن الفعل سمك لا أسمك .

(٢) «جابل القلوب» : خالقها ، وطابعها عليه ، وتقول : جبلنا الله - من بابي نصر
وضرب - والفترة - بكسر فسكون - : أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء =

وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ (١) : الْخَاتِمِ لِمَا
سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ لِمَا أَنْغَلَقَ ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ ، وَالْذَافِعِ
جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ ، وَالْدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ ، كَمَا حُمِّلَ
فَاضْطَلَعَ (٢) قَائِماً بِأَمْرِكَ ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ
قُدَمٍ ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ (٣) وَاعِياً لَوَحْيِكَ ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ ، مَاضِياً
عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أُورَى قَبَسَ الْقَابَسِ ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ

= وجوده ، وهي للانسان : حالته خالياً من الآراء والأهواء والديانات والعقائد وقوله
« شقيها وسعيدها » بدل من القلوب ، أي : جابل الشقي والسعيد من القلوب على
فطرته الأولى التي هو بها كاسب محض : فحسن اختياره يهديه إلى السعادة ، وسوء
تصرفه يضلله في طرق الشقاوة .

(١) الشرائف : جمع شريفة ، والنوامي : الزوائد ، والخاتم لما سبق : أي لما تقدمه من
النبوات ؛ والفاتح لما انغلق : كانت أبواب القلوب قد أغلقت بأقفال الضلال عن
طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه وآله وسلم بآيات نبوته ، وأعلن الحق ، وأظهره
بالحق والبرهان ، والأباطيل ، جمع باطل على غير قياس ، كما أن الأضاليل جمع
ضلال على غير قياس ، وجيشتاتها : جمع جيشة - بفتح فسكون - من جاشة القدر ،
إذا ارتفع غليانها ، والصولات : جمع صولة ، وهي السطوة ، والدامغ : من دمغه إذا
شجه حتى بلغت الشجة دماغه ، والمراد أنه قامع ما نجم من الباطل ، والكاسر لشوكة
الضلال وسطوته ، وذلك بسطوع البرهان ؛ وظهور الحجة .

(٢) أي : أعلن الحق بالحق ، وقمع الباطل ، وقهر الضلال ، كما حمل تلك الأعمال
الجليلة بتحملة أعباء الرسالة ، فاطلع - أي : نهض بها قوياً - والضلاعة : القوة ،
والمستوفز : المسارع المستعجل ، وقد تكون الكاف في « كما حمل » للتعليل كما
في قوله : -

فقلت له أبا الملحاء خذها كما أوسعتنا بغيا وعدوا

(٣) الناكل : الناكص والمتأخر ، أي : غير جبان يتأخر عند وجوب الأقدام ، والقدم -
بضمين - المشي إلى الحرب ، ويقال : مضى قدماً ، أي : سار ولم يعرج والواهي :
الضعيف . واعياً : أي حافظاً وفاهماً ؛ تقول : وعيت الحديث ، إذا حفظته وفهمته .
و « ماضياً على نفاذ أمرك » أي : ذاهباً في سيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه .

لِلْخَابِطِ^(١) وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ ، وَأَقَامَ
مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ ، وَنِيرَاتِ الْأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ،
وَحَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ^(٢) ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ^(٣) وَبَعِيثُكَ
بِالْحَقِّ^(٤) ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ . اللَّهُمَّ أَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي
ظِلِّكَ^(٥) ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عِلِّي
بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ^(٦) ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ ، وَاجْزِهِ

(١) يقال : وري الزند - كوعى - وروى - وولى - يرى ورياً وريباً ورية فهو وار : خرجت
ناره ، وأوريته ووريته واستوريته . والقبس : شعلة من النار ، والقابس : الذي يطلب
النار ، يقال : قبست ناراً فأقبسني ، أي : طلبت منها فأعطاني والكلام تمثيل لنجاح
طلاب الحق ببلوغ طلبتهم منه وإشراق النفوس المستعدة لقبوله بما سطع من أنواره ،
والخابط : الذي يسير ليلاً على غير جادة واضحة ، فأضاء الطريق له : جعلها مضيئة
ظاهرة ، فاستقام عليها سائراً إلى الغاية ، وهي السعادة فكان من ذلك أن هديت به
القلوب إلى ما فيه سعادتها ؛ بعد أن خاضت الفتن أطواراً ، واقتحمها مراراً ،
والخوضات : جمع خوضة ، وهي المرة من الخوض ، كما قال : « هديت به
القلوب - الخ » . والأعلام : جمع علم - بالتحريك - وهو يستدل به على الطريق
كالمنازل ونحوه ، والأعلام موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها .
(٢) العلم المخزون : ما اختص الله به من شاء من عباده ، ولم يبيع لغير أهل الخطوة به
أن يطلعوا عليه ، وذلك مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية .
(٣) شهيدك ؛ شاهدك على الناس ، كما قال تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ .

(٤) «بعيثك» ، أي : مبعوثك ، فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح .
(٥) أفسح له : وسع له : ما شئت أن توسع « في ظلك » أي : إحسانك وبرك ، فيكون
الظل مجازاً ، ومضاعفات الخير : أطواره ودرجاته .
(٦) أراد من بنائه : ما شيده ﷺ بأمر ربه : من الشريعة العادلة ، والهدى الفاضل ، مما
يلجأ إليه التائبون ويأوي إليه المضطهدون ، فالإمام يسأل الله أن يعلي بناء شريعته على
جميع الشرائع ؛ ويرفع شأن هديه فوق كل هدي لغيره ؛ وإكرام المنزلة بإتمام النور .
والمراد من إتمام النور : تأييد الدين حتى يعم أهل الأرض ، ويظهر على الدين كله ، =

مِنْ آتِبَعَاتِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ ، وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ (١) ذَا مَنْطِقٍ
عَدْلٍ ، وَخُطَّةٍ فَضْلٍ . اَللّٰهُمَّ اَجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ
وَقَرَارِ النِّعْمَةِ (٢) وَمُنَى الشَّهَوَاتِ ، وَأَهْوَاءِ الدُّنَا ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ ،
وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ ، وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ (٣) .

ومن كلام له عليه السلام

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

قالوا : أخذ مروان بن الحكم أسيراً يومَ الجمل ، فاستشفع
الحسن والحسين عليهما السلام (٤) إلى أمير المؤمنين عليه السلام
فكلّمَاهُ فيه ، فخلّى سبيله ، فقالا له : يبايعك يا أمير المؤمنين ؟

= كما وعده بذلك ، وإكرام المنزلة في الآخرة قد تقدم في قوله « افسح له ، واجزه
مضاعفات الخير » .

(١) أي : اجزه على بعثتك له إلى الخلق وقيامه بما حملته ، واجعل ثوابه - على ذلك - الشهادة
المقبولة ، والمقالة المرضية يوم القيامة : وتلك الشهادة والمقالة تصدران منه ، وهو ذو
منطق عدل ، و « خطبة » أي : أمر فاضل . ويروى « خطبة » - بزيادة باء بعد الطاء -
أي : مقال فاضل . وقد روى أنه ﷺ يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على أمته وعلى
غيرها من الأمم فيكون كلامه الفصل .

(٢) تقول العرب « عيش بارد » أي : لا حرب فيه ولا نزاع لأن البرد والسكون متلازمان
تلازم الحرارة والحركة ، قرار النعمة : مستقرها حيث تدوم ولا تنفد .

(٣) منى : جمع منية - بالضم - وهي ما يتمنى الإنسان لنفسه ، والشهوات : ما يشتهي ،
يدعو بأن يتفق مع النبي ﷺ في جميع رغباته وميله والرخاء : من قولهم « رجل رخي
البال » أي : واسع الخيال . والدعة : سكون النفس واطمئنانها ، والتحف : جمع
تحفة ، وهي ما يكرم الإنسان من البر واللطف وقد كان ﷺ من أرخص الناس بالاً ،
وألزهم للطمأنينة ، وأعلاهم منزلة في القلوب فالإمام يطلب من الله أن يدينه منه في
جميع هذه الصفات الكريمة .

(٤) استشفعها إليه : سألها أن يشفعها له عنده وليس من الجيد قولهم : استشفعت به .

فقال عليه السَّلامُ :

أَوْ لَمْ يُبَايَعْنِي قَبْلَ قَتْلِ عُثْمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ !
إِنَّهَا كَفُّ يَهُودِيَّةٍ^(١) لَوْ بَايَعْنِي بِكَفِّهِ لَخَدَرَ بِسَبِّتِهِ^(٢) أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً
كَلْعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ^(٣) ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ^(٤) وَسَتَلْقَى الْأُمَّةَ
مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ ! .

ومن كلام له عليه السلام

٧٢

لما عزموا على بيعه عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَوَاللَّهِ لَأَسْلَمَنَّ
مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً
الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزَهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ
وَزَبْرَجِهِ^(٥) .

(١) « كف يهودية » أي غادرة مأكرة لا يستقيم لها عهد ، ولا يدوم لها وفاء ، ولا تستقر على أمان ، ولا يطول لها أمد الولاء .

(٢) السبت - بالفتح - الاست ، وهو مما يحرص الإنسان على إخفائه ، وكفى به عن الغدر الخفي ، واختاره لتحقير الغادر . وقد يكون ذلك إشارة إلى ما كانت تفعله سفهاء العرب عند الغدر بعقد أو عهد من أنهم كانوا يحققون عند ذكره استهزاء .

(٣) تصوير لقصر مدتها ، وكانت تسعة أشهر .

(٤) جمع كبش ، وهو من القوم : رئيسهم ، وفسروا الأكبش ببني عبد الملك بن مروان هذا ، وهم : الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، قالوا : ولم يتول الخلافة أربعة إخوة سوى هؤلاء . ويجوز أن يراد بهم بنو مروان لصلبه ، وهم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، وبشر ، ومحمد ، وكانوا كباشاً أبطالاً : أما عبد الملك فولي الخلافة ، وولي محمد الجزيرة ، وعبد العزيز مصر ، وبشر العراق .

(٥) يقسم بالله ليسلمن الأمر في الخلافة لعثمان ما دام التسليم غير ضار بالمسلمين وحافظاً لهم من الفتنة ؛ طلباً لثواب الله على ذلك ، وزهداً في الإمرة التي تنافسوها - أي : رغبوا =

ومن كلام له عليه السلام

لَمَّا بَلَغَهُ اتِّهَامُ بَنِي أُمَيَّةَ لَهُ بِالْمُشَارَكَةِ فِي دَمِ عُثْمَانَ

أَوْ لَمْ يَنْهَ نَبِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرَفِي (١) ؟ أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ
سَابِقَتِي عَنْ تَهْمَتِي ! وَلَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي (٢) ! أَنَا
حَجِيجُ الْمَارِقِينَ (٣) وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ
الْأَمْثَالُ (٤) وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ .

= فيها - وإن كان في ذلك جور عليه خاصة . وأصل الزخرف : الذهب وكذلك الزبرج -
بكسرتين ، بينهما سكون - ثم أطلق على كل موه مزور ، وأغلب ما يقال الزبرج على
الزينة من وشي أو جوهر ، و « من زخرفه » ليس للبيان ، ولكن حرف الجر للتعليل ،
أي : إن الرغبة إنما كان الباعث عليها الزخرف والزبرج ، ولولا لزوم ذلك للإمارة ما
كان فيها التنافس .

(١) قرفته قرفاً - بالفتح - : عابه ، و « علمها » فاعل « ينه » و « أمية » مفعول . أي : ألم
يكن في علم بني أمية بحالي ومكاني من الدين والتخرج من سفك الدماء بغير حق ما
ينهاهم عن أن يعيبيوني بالاشتراك في دم عثمان ؟ خصوصاً وقد علموا أنني كنت له لا
عليه ، ومن أحسن الناس قولاً فيه ، و « سابقته » حاله المعلومه لهم مما تقدم . ووزع
بمعنى : كف ، والتهمة - بفتح الهاء بعد ضم التاء - : رميه بعيب الاشتراك في دم
عثمان .

(٢) « ولما - الخ » : اللام هي التي للتأكيد ، « وما » موصول مبتدأ . و « أبلغ » خبره . والله
قد وعظهم في الغيبة بأنها في منزلة أكل لحم الأخ ميتاً .

(٣) « حجيج المارقين » أي : خصيمهم ، والمارقون : الخارجون من الدين ، والمرتابون :
الذين لا يقين لهم ، وهو - كرم الله وجهه - قارعهم بالبرهان الساطع فغالبهم .

(٤) الأمثال : متشابهات الأفعال والحوادث : تعرض على القرآن فيما وافقه فهو الحق
المشروع ، وما خالفه فهو الباطل المنوع ، وهو - كرم الله وجهه - قد جرى على حكم
كتاب الله في أعماله ، فليس للغامز عليه بمطعن ، ما دام ملتزماً لأحكام الكتاب .

ومن خطبة له عليه السلام

٧٤

رَجِمَ اللَّهُ امْرَءاً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى ، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَذَنَّا (١)
وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَتَنَّا (٢) : رَاقِبَ رَبِّهِ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، قَدَّمَ
خَالِصاً ، وَعَمِلَ صَالِحاً ، أَكْتَسَبَ مَذْخُوراً (٣) وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً ،
رَمَى غَرَضاً ، وَأَحْرَزَ عَوْضاً (٤) كَابَرَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ ، جَعَلَ
الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ
الْغَرَاءَ (٥) ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ ، أَغْتَنَمَ الْمَهْلَ (٦) وَبَادَرَ
الْأَجَلَ ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

ومن كلام له عليه السلام

٧٥

إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ لَيَفُوقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

- (١) الحكم هنا : الحكمة ، قال الله تعالى : ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ ووعى : حفظ وفهم المراد واعتبر بما سمع وعمل عليه ، ودنا : قرب من الرشاد الذي دعى إليه .
- (٢) الحجة - بالضم - : معقد الازار ، ومن السراويل موضع التكة . والمراد الاقتداء والتمسك ، يقال : أخذ فلان بحجة فلان ، إذا اعتصم به ، ولجأ إليه .
- (٣) اكتسب مذخوراً : كسب بالعمل الجليل ثواباً يذخره ويعدده لوقت حاجته في الآخرة ، ويقول : ذخر الشيء - وزان قطع - ذخراً - بفتح الذال وسكون الخاء - إذا خبأه لوقت يحتاجه فيه ، والذخر - بضم فسكون الاسم من ذلك .
- (٤) رمى غرضاً : قصد إلى الحق فأصابه . وكابر هواه : غلبه . ويروى « كائر » بالمثلثة - أي : غلبه بكثرة أفكاره الصائبة فغلبه .
- (٥) الغراء : النيرة الواضحة ، والمحجة : جادة الطريق ومعظمه ، والطريقة الغراء والمحجة البيضاء : سبيل الحق ومنهج العدل .
- (٦) المهل هنا : مدة الحياة مع العافية ، فانه أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت ، أو تحل به بائقة عذاب ، فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه لأخرته ، فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتروده من طيب العمل .

تَفْوِيْقًا ، لِأَنفُضْنَهُمْ نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةِ .

ويروى « الترابِ الوَذْمَةُ » . وهو على القلب (١) .

قال الشريف : وقوله عليه السَّلامُ « ليفوقوني » أي : يُعْطُونِي مِنَ الْمَالِ قَلِيلًا كَفَوَاقِ النَّاقَةِ ، وَهُوَ الْحَلْبَةُ الْوَاحِدَةُ مِنْ لَبْنِهَا . وَالْوِذَامُ : جَمْعُ وَذْمَةٍ وَهِيَ : الْحَزَّةُ مِنَ الْكَرْشِ أَوْ الْكِيدِ تَقَعُ فِي التَّرَابِ فَتُنْفَضُ (٢) .

ومن كلمات كان عليه السلام يدعو بها

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنْ عُذْتُ
فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي ، وَلَمْ
تَجِدْ لَهُ وِفَاءً عِنْدِي (٣) اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ
خَالَفَهُ قَلْبِي (٤) . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ ، وَسَقَطَاتِ
الْأَلْفَاطِ ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ (٥) .

(١) على القلب ، أي : إن الحقيقة « الوذام التربة » كما في الرواية الأولى ، لا « التراب الوذمة » إذا لا معنى له ، فهذه الرواية يراد منها مقلوبها .

(٢) الحزة - بالضم - القطعة ، وفسر صاحب القاموس « الوذمة » بمجموع المعى والكرش .

(٣) وأيت : وعدت ، وأى - كوعى - وعد وضمن ، وإذا عذمت على عمل خير فكانك وعدت من نفسك بتأدية أمر الله فان لم توف به فكان الله لم يجد عندك وفاء بما وعدته ، فتكون قد أخلفته ، وغلف الوعد مسيء ، فهو يطلب المغفرة على هذا النوع من الاساءة .

(٤) تقرب باللسان مع مخالفة القلب ، كأن يقول : الحمد لله على كل حال ، ويسخط على أغلب الأحوال ، أو يقول : إياك نعبد وإياك نستعين ، وهو يستعين بغير الله ، ويعظم أشباهاً ممن دونه .

(٥) رمزات الألحاط : الأشارة بها ، وتقول : رمز إليه - من بابي نصر وضرب - رمز ، أي : أشار ، وقيل : أوماً بشفتيه ، أو عينيه ، أو حاجبه ، أو فمه ، وقيل : هو خاص =

ومن كلام له عليه السلام

٧٧

قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْخَوَارِجِ ،
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَرَتْ فِي هَذَا الْوَقْتِ خَشِيَتُ أَنْ
لَا تَظْفَرَ بِمُرَادِكَ ، مِنْ طَرِيقِ عِلْمِ النُّجُومِ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ
السُّوءُ ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ
الضَّرُّ^(١) ؟ فَمَنْ صَدَّقَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَاسْتَغْنَى عَنِ
الْإِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ ؛ وَتَبَتَّغِي فِي قَوْلِكَ
لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤَلِّكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ ؛ لِأَنَّكَ - بِزَعْمِكَ أَنْتَ -
هَدَيْتُهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النِّفْعُ وَأَمِنَ الضَّرُّ !!

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمُوا النُّجُومَ ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ
أَوْ بَحْرٍ^(٢) فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ ، وَالْمُنَجِّمِ كَالْكَاهِنِ^(٣) .

= بالشفة ، والألحاظ : جمع لحظ ، وهو باطن العين : أما اللحاظ - وهو مؤخر العين - فلا
أعرف له جمعاً إلا لحظ - بضمين - وسقطات الألفاظ : لغوها ؛ والجنان القلب ،
واللب ، وشهواته : ما يكون من ميل منه إلى غير الفضيلة ، وهفوات اللسان : زلاته .
(١) حاق به الضر : أحاط به .

(٢) طلب لتعلم علم الهيئة الفلكية وسير النجوم وحركاتها للاهتمام بها ، وإنما ينهى عما
يسمى علم التنجيم ، وهو : العلم المبني على الاعتقاد بروحانية الكواكب ، وأن لتلك
الروحانية العلوية سلطاناً معنوياً على العوالم العنصرية ، وأن من يتصل بأرواحها - بنوع
من الاستعداد ومعاونة من الرياضة - تكاشفه بما غيب من أسرار الحال والاستقبال .

(٣) الكاهن : من يدعي كشف الغيب ، وكلام أمير المؤمنين حجة حاسمة لخيالات =

وَالْكَاهِنُ كَالسَّاجِرِ وَالسَّاجِرُ كَالْكَافِرِ ! وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ . سِيرُوا
عَلَى أَسْمِ اللَّهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

٧٨

بعد حرب الجمل ، في ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ^(١) ، نَوَاقِصُ
الْحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ : فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ
الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ
أَمْرَاتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ
عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ ، وَكُونُوا
مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا
يَظْمَنَ فِي الْمُنْكَرِ^(٢) .

= المعتقدين بالرمل ، والجفر ، والتنجيم ، وما شاكلها ، ودليل واضح على عدم
صحتها ، ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية .

(١) خلق الله النساء ، وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سن معينة لا تكاد تنتهي
حتى تستعد لحمل وولادة ، وهكذا ، فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية . فكأنهن قد
خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته ، وهودائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن ،
فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتاجن إليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة ،
فكنّ - في أحكامه - غير لاحقات للرجال ، لا في العبادة ، ولا الشهادة ولا الميراث .

(٢) لا يريد أن يترك المعروف لمجرد أمرهن به ؛ فان في ترك المعروف مخالفة السنة
الصالحة ، خصوصاً أن كان المعروف من الواجبات ، بل يريد أن لا يكون فعل المعروف
صادراً عن مجرد طاعتهم ، فإذا فعلت معروفاً فافعله لأنه معروف ولا تفعله امتثالاً
للمرأة . ولقد قال الإمام قولاً صدقته التجارب في الأحقاب المتطاولة ، ولا استثناء مما
قال ، إلا بعضاً منهن وهبن فطرة تفوق في سموها ما استوت به الفطن ، أو تقاربت ، =

ومن كلام له عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ ، الزَّهَادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ ،
وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ (١) فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ
صَبْرَكُمْ ، وَلَا (٢) تَنْسَوُا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ ، فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ
بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَكُتِبَ بَارِزَةً الْعُذْرُ وَاضِحَةً (٣) .

= أو أخذت بسطان من التربية طباعهن على خلاف ما غرز فيها وحولتها إلى غير ما وجهتها إليه .

(١) الورع : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات ، يقال : ورع الرجل - من باب علم وقطع وكرم وحسب - ورعا ، مثل وعد ، وورعا - بفتحيتين كطب - وورعا ، أي : جانب الاثم ، وكف عن المعاصي ، وترك الشبهات . أي : إذا عرض المحرم فمن الزهادة أن تكف عما يشته به ، فضلاً عنه . والشكر عند النعم : الاعتراف بأنها من الله ، والتصرف فيها على وفق ما شرع ، وقصر الأمل : يوجس الموت والاستعداد له بالعمل ، وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة .

(٢) عزب عنكم - من باب ودخل - عزوباً ، بضميتين كدخول - أي : بعد عنكم ، وفاتكم ، والاشارة إلى ما تقدم من قصر الأمل ، أي : فان عسر عليكم أن تقصروا آمالككم ، وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم ؛ فلا يغلب الحرام صبركم ؛ أي يفتكم الركبان الآخران ، وهما : شكر النعم ، واجتناب المحرم ؛ فان نسيان الشكر يجر إلى البطر ، وارتكاب المحرم يفسد نظام الحياة المعاشية والعادية ، والبطر والفساد مجلبة للنقم في الدنيا والشقاء في الآخرة .

(٣) أعذر : بمعنى أنصف ، وأصله مما همزته للسلب ، فأعذرت فلاناً سلبت عذره ، أي : ما جعلت له عذراً يبيده لو خالف ما نصحته به ويقال « أعذرت إلى فلان » أي : أقمت لنفسه عذراً واضحاً فيما أنزله به من العقوبة ، حيث حذرت ، ويصح أن تكون العبارة في الكتاب على هذا المعنى أيضاً ، بل هو الأقرب من لفظ « إليكم » =

ومن كلام له عليه السلام

٥٠

في صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أُولُهَا عَنَاءٌ ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ، فِي حَلَالِهَا
حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنْ أَسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ ، وَمَنْ أَفْتَقَرَ
فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ^(١) ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ ، وَمَنْ أَبْصَرَ
بِهَا بَصَرَتَهُ^(٢) ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أُعْمَتَهُ .

قَالَ الشَّرِيفُ : أَقُولُ : وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
« مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ » وَجَدَ تَحْتَهُ مِنَ الْمَعْنَى الْعَجِيبِ وَالْغَرَضِ

= ويكون الكلام على المجاز ، وتنزيل قيام الحجة له منزلة قيام العذر لنا . والمسفرة :
الكاشفة عن نتائجها الصحيحة ، و « بارزة العذر » ظاهرته .

(١) من جرى معها في مطالبها ، والقصد بذلك أنه اهتم بها وجد في طلبها . وقوله « فاتته »
أي : سبقتها ؛ فانه كلما نال شيئاً فتحت له أبواب الآمال فيها ، فلا يكاد يقضي مطلوباً
واحداً حتى يهتف به ألف مطلوب ، وقوله « ومن قعد عنها واتته » يريد به أن من قوم
اللذائد الفانية بقيمتها الحقيقية ، وعلم أن الوصول إليها إنما يكون بالعناء ، وفواتها
يعقب الحسرة عليها ، والتمتع بها لا يكاد يخلو من شوب الألم فقد وافقته هذه الحياة
واراحتها ؛ فانه لا يأسف على فائت منها ، ولا يبطر لحاضر ، ولا يعاني ألم الانتظار
لمقبل .

(٢) « أبصر بها » أي : جعلها مرآة نيرة : تجلو لقلبه آثار الجذ في عظام الأعمال ، وتمثل له
هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدي الكاملين ، وتكشف له عواقب أهل الجهالة من
المترفين ؛ فقد صارت الدنيا له بصرأً وحوادثها عبرأً . وأما من أبصر إليها واشتغل بها
فانه يعمى عن كل خير فيها ويلهو عن الباقيات بالزائلات وبش ما اختار لنفسه !

الْبَعِيدَ مَا لَا تُبْلَغُ غَايَتُهُ وَلَا يُدْرَكَ غَوْرُهُ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا قَرَنَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ
« وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتُهُ » ، فَإِنَّهُ يَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ « أَبْصَرَ بِهَا »
و « أَبْصَرَ إِلَيْهَا » وَاضِحاً نِيراً وَعَجِيباً بَاهِراً .

ومن خطبة له عليه السلام

»

وهي الخطبة العجبية وتسمى الغراء

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ^(١) ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ^(٢) ، مَانِحٍ كُلَّ
غَنِيمَةٍ وَقَاضٍ ، وَكَاشِفٍ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَأَزَلٍ^(٣) أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ
كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ^(٤) ، وَأَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا^(٥) ، وَأُسْتَهْدِيهِ قَرِيباً

(١) « علا بحوله » أي عزّ وارتفع عن جميع ما سواه ؛ لقوته المستعالية بسلطة الابداع على كل
قوة .

(٢) « دنا بطوله » أي : إنه مع علوه ، سبحانه ، وارتفاعه في عظمته فقد دنا وقرب من
خلقه بطوله ، أي : عطائه وإحسانه .

(٣) الأزل - بالفتح - الضيق والشدة ، وكاشف الشدة : المنقذ منها ، كما ان مانح الغنيمة :
معطيها المتفضل بها .

(٤) العواطف : ما يعطفك على غيرك ، ويدنيه من معروفك . وصفة الكرم في الجنب
الإلهي ، وخلقه في البشر ؛ مما يعطف الكريم على موضع الاحسان وسوابغ النعم :
كواملها ، من سبغ الظل : إذا عم وشمل .

(٥) أولاً بادياً : موضعه من سابقه كموضع « قريباً هادياً » وما جاء به بعده من سوابقها ؛
فهو أحوال من الضمائر الراجعة إلى الله سبحانه وتعالى ، فيكون « أول » صفة نصبت
على الحال من ضميره ، أي : أصدق بالله حال كونه سابق كل شيء في الوجود ،
فهو البادي : أي : الظاهر بذاته المظهر لغيره ، ومن كان كذلك لم تخالط التصديق به
ريبة . والقريب الهادي جدير بأن تطلب منه الهداية ، والقادر القاهر حقيق بأن يستعان
به ؛ لأنه قوي على المعونة ، والكافي الناصر حري بأن يتوكل عليه .

هَادِيًا ، وَأَسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ ^(١) وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ ^(٢) . أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ ^(٣) ، وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ وَالْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ ، وَأَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ ، وَأَرْصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ ، وَآثَرَكُمْ بِالنَّعْمِ السَّوَائِغِ ، وَالرَّفَدِ الرَّوَافِغِ وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ ، وَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا ، وَوَضَّفَ لَكُمْ مَدَدًا فِي قَرَارِ خَيْرَةٍ ، وَدَارِ عِبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُخْتَبِرُونَ فِيهَا ، وَمُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ

(١) لإنهاء عذره : إبلاغه ، والعذر هنا ، كناية عن الحجج العقلية والنقلية التي أقيمت ببعثة النبي ﷺ على أن من خالف شريعة الله استحق للعقاب ، ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب .

(٢) النذر : جمع نذير ، أي : الأخبار الإلهية المندرة بالعقاب على سوء الأعمال أو هو مفرد بمعنى الانذار .

(٣) ضرب الأمثال : جاء بها في الكلام ؛ لإيضاح الحجج ، وتقريرها في الأذهان ، و« وَقَّتَ الْأَجَالَ » جعلها في أوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر ، والرياش : ما ظهر من اللباس ، ووجه النعمة فيه أنه ساتر للعورة واق من الحر والبرد . وقد يراد بالرياش الخصب والغنى ، فيكون « البسكم » على المجاز و« أرفغ لكم » أي : أوسع ، يقال : رفع عيشه - بالضم - رفاغة ، أي : اتسع ، و« أحاطكم بالاحصاء » أي : جعل إحصاء أعمالكم والعلم بها عملاً كالسور : لا تنفذون منه ولا تتعدونه ، ولا تشذ عنه شاذة ، و« أَرَصَدَ لَكُمْ الْجَزَاءَ » أعد له لكم فلامحيص عنه ، والرفد : جمع رفدة - ككسرة وكسر - وهي : العطية ، والصلة والروافغ : الواسعة والحجج البوالغ : الظاهرة البينة ، و« وظف لكم مدداً » أي : قدر لكم ، والمدد : جمع مدة ، أي : عين لكم أزمته تحيون فيها « في قرار خيرة » أي : في دار ابتلاء واختبار وهي دار الدنيا ، وفيها الاعتبار والاتعاظ ، والحساب عليها ، أي : على ما نؤتي من خير وشر .

الدُّنْيَا رَنْقُ مَشْرَبُهَا^(١) رَدِغٌ مَشْرَعُهَا : يُونِقُ مَنْظَرُهَا^(٢) وَيُوبِقُ
مَخْبَرُهَا ، غُرُورٌ حَائِلٌ^(٣) وَضَوْءٌ أَفْلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ^(٤)
حَتَّى إِذَا أَنَسَ نَافِرُهَا ، وَأَطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا ؛ قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا^(٥) ،
وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا ، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا ، وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ
الْمَنِيِّ^(٦) قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ^(٧) ، وَوَحْشَةَ الْمَرْجَعِ ،
وَمُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ^(٨) ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ . وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ يَعْقُبُ

(١) رنق - كفرج - كدر ، والأصل أنه يقال « عيش رنق » - بكسر النون أي : كدر ، ويقال
« ماء رنق » بسكون النون - أي : كدر ، ويقال رنق الماء رنقاً - بوزان طرب طرباً - وقد
رويت هذه الكلمة بروايتين : الأولى بكسر النون وهي المشهورة فيكون على الاستعمال
الأول ، ووضع المشرب موضع العيش ، والثانية بسكون النون وهي على حقيقتها .
وردغ : كثير الطين والوحل . والمشرع : مورد الشاربة للشرب ، ويقال « مشرع ردغ »
إذا كان ذا طين ووحل .

(٢) يونق : يعجب ، ويوبق يهلك .

(٣) حائل : اسم فاعل من « حال » إذا تحول وانتقل ، أي : إن شأنها الغرور الذي لا
بقاء له وسقط من بعض الروايات قوله « وضوء أفل » أي : غائب لا يلبث أن يظهر
حتى يغيب .

(٤) السناد - بالكسر - ما يستند إليه ، أو دعامة يسند بها السقف ، وناكرها : اسم فاعل من
« نكر الشيء » - من باب علم - أي : جهله فأنكره .

(٥) قمص الفرس وغيره يقمص - من باب ضرب ونصر - قمصاً وقمصاً ، أي : استن ؛
وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجب وفي المثل المضروب لضعيف لا حراك به
وعزيز ذل « ما بالغير من قماص » وإنما قال « أرجل » وليس للدابة إلا رجلان لأنه نزل
اليدين لها منزلة الأرجل ؛ لأن المشي على جميعها . وروى « بأرحلها » بالخاء - جمع رحل
الناقة ، و « قنصت بأحبلها » أي : اصطادت وأوقعت من اغتربها في شباكها وحبالها ،
و « أقصدت » قتلت مكانها من غير تأخير .

(٦) أعلقت به : ربطت بعنقه ، وأوهاق المنية : جمع وهق - بالتحريك - أو بفتح فسكون ،
كما يقال نهر ونهر ، أي : حبال الموت .

(٧) ضنك المضجع : ضيق المرقد ، والمراد القبر .

(٨) معاينة المحل : مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم ، وثواب العمل : جزاؤه الأعم من =

السَّلَفَ : لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةَ اخْتِرَاماً^(١) وَلَا يَرَعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً^(٢)
يَحْتَذُونَ مِثَالاً ، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً ، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ ، وَصَيُورِ
الْفَنَاءِ^(٣) حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ ، وَأَزَفَ
النُّشُورُ^(٤) أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ ، وَأَوْجِرَةِ
السَّبَاعِ ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ^(٥)

= شقاء وسعادة ، والخلف : المتأخرون ، والسلف : المتقدمون . و « يعقب السلف »
أي : يتبع ، ويروي « يعقب » بياء الجر - فيكون عقب بالسكون بمعنى بعد ، وأصله
جرى الفرس بعد جريه ، يقال : لهذا الفرس عقب حسن .

(١) « لا تقلع » أي : لا تكف المنية عن اخترامها ، أي : استئصالها للأحياء .
(٢) « لا يرعوي الباقون » أي : لا يرجعون ولا يكفون عن اجترام السيئات وثلاثي
« ارعوى » رعى يرعو ، أي : كف ، ويقال : فلان حسن الرعوة والرعاء والرعوى
والارعواء . و « الاجترام » افتعال من الجرم ، وهو الذنب والجريرة ، ويقال : جرم
وأجرم بمعنى واحد . و « يحتذون مثلاً » أي : يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم ،
ويقتدون بهم و « يَمْضُونَ أَرْسَالاً » جمع رسل بالتحريك - وهو القطيع من الإبل والغنم
والخيل يقال : جاءت الغنم ارسالاً ، أي قطعياً قطعياً .

(٣) صيور الأمر - كتثور - مصيره وما يؤول إليه ، يريد الإمام من ذلك أن الدنيا لا تزال تغر
بنها ، حتى يأنسوا إليها بالارتياح إلى لذائذها ، واستسهال احتمال آلامها ، ثم تنقلب
بهم إلى ما لا بد منه ، وهم في غفلة لاهون .

(٤) « أزف النشور » قرب البعث ، والضمير في « أخرجهم » إلى البعث على سبيل المجاز ،
أو إلى الله تعالى ، والضرائح جمع ضريح وهو الشق وسط القبر وأصله من « ضرحه »
أي : دفعه وأبعده فان المقبور مدفوع منبوذ ، وهو أبعد الأشياء عن الأحياء ،
والأوكار : جمع وكر ، وهو مسكن الطير وجمع الكثرة وكور ، والأوجرة : جمع وجار -
ككتاب وسحاب - وهو الجحر والذين يبعثون من الأوكار والأوجرة هم الذين افترستهم
الطيور الصائدة والسباع الكاسرة .

(٥) « مهطعين » أي : مسرعين إلى معاده ، سبحانه ، الذي وعد أن يعيدهم فيه . وقوله :
« رعيلاً صموتاً » الرعيلى : القطعة من الخيل ؛ شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيلى
الخيل - أي : الجملة القليلة منها - لأن الاسراع لا يدع أحداً منهم ينفرد عن الآخر =

رَعِيلاً صُمُوتاً ، قِيَاماً صُفُوفاً ، يُنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ^(١) ، وَيُسْمِعُهُمُ
الدَّاعِي ، عَلَيْهِمُ لَبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ^(٢) ، وَضَرَعُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ
قَدْ ضَلَّتِ الْحَيْلُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ وَهَوَتْ الْأَفئِدَةُ كَاظِمَةً^(٣) ،
وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيِّنَةً ، وَالْجَمَ الْعَرَقُ ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ ،
وَأَرَعَدَتِ الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَضْلِ الْخِطَابِ^(٤) وَمُقَايَظَةِ
الْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ ، عِبَادُ مَخْلُوقُونَ
أَقْتِدَاراً ، وَمَرْبُوبُونَ أَقْتِسَاراً^(٥) ، وَمَقْبُوضُونَ أَحْتِضَاراً ، وَمُضْمَنُونَ

= فان الانفراد من الابطاء ، ولا يدعهم يجتمعون جمأ ، فان التضام والالتفاف إنما يكون
من الاطمئنان .

(١) « ينفذهم البصر » يجاوزهم ، أي يأتي عليهم ويحيط بهم ، أي : لا يعزب واحد منهم
عن بصر الله .

(٢) اللبوس - بالفتح - : ما يلبس ، والاستكانة : الخضوع ، والضرع - بالتحريك - :
الوهن والضعف والخشوع ، هذا لو جعلنا « عليهم » متعلقاً بمحذوف خبر عن « لبوس
وضرع » ، فان جعلناه متعلقاً بالداعي - بمعنى المنادي والصائح عليهم - جعلنا لبوس
جملة مبتدأة ويكون « لبوس » جمع لابس ، وضرع - محركة - اسم جمع للضريع بمعنى
الدليل .

(٣) « هوت الأفئدة » خلت من المسرة والأمل من النجاة ، « كاظمة » أي : ساكنة كاتمة لما
يزعجها من الفزع ، و« مهينة » أي : متخافية ، والهينة : الكلام الخفي ، و« أجم
العرق » كثر حتى امتلأت به الأنفواء لغزارته فمنعها من النطق ، وكان كالألجام ،
والشفق - محركة - الخوف .

(٤) أرعدت : عرثها الرعدة ؛ و« زبرة الداعي » : صوته وصيحته ، ولا يقال « زبرة » إلا
إذا كان فيها زجر وانتهاز ؛ فلإنها واحدة الزبر - أي : الكلام الشديد - والمقايدة :
المعاوضة ، أي : مبادلة الجزاء الخير بالخير ، والشر بالشر .

(٥) « مربوبون » : مملوكون ، والاقتسار : الغلبة والقهر ، أي : لإنهم كما خلقوا باقتدار الله
سبحانه وقوته ، فهم مملوكون له بسطوة عزته ، لا خيرة لهم في ذلك ، وإذا جاء الأجل
قبضت أرواحهم إليه ، بما يحضر عند الأجل من مزهقات الأرواح والقوى المسطرة على =

أَجْدَاثًا ، وَكَائِنُونَ رُفَاتًا ، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً ،
وَمُمَيِّزُونَ حِسَابًا ، قَدْ أُمِّهَلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ (١) ، وَهَدُّوا سَبِيلَ
الْمَنْهَجِ ، وَعَمَّروا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ ، وَكُشِفَ عَنْهُمْ سَدَفُ
الرَّيْبِ (٢) وَخَلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ (٣) وَرَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ ، وَأَنَاءُ الْمُقْتَبِسِ
الْمُرْتَادِ (٤) فِي مُدَّةِ الْأَجْلِ ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهْلِ ، فَيَا لَهَا أَمْثَالًا

= الفناء ، و « احتضر فلان » حضرته الملائكة تقبض روحه . وكانت العرب تقول « لبن
محتضر » أي : فاسد ، يعنون أن الجن حضرته ، يقال : اللبن محتضر فغط إناءك ،
والأجدات . جمع جدث - بفتحين - وهو القبر واجتدث الرجل - : اتخذ جدثاً ،
ويقال : جدف - بالفاء - و « مضمون الأجدات » معمولون في ضمنها ، والرفات :
الحطام ، ويقال : رفته - كنصر وضرب - أي : كسره ودقه ، أي فته بيده كما يفت
المدروالعظم البالي ، و « مبعوثون أفراداً » أي : كل يسأل عن نفسه ، لا يلتفت لرابطة
تجمعه مع غيره ، و « مدینون » أي : مجزيون ، والدين : الجزاء ، قال : « مالك يوم
الدين » ، و « ممیزون حساباً » كل يحاسب على عمله منفصلاً عن سواه : « ولا تزر
وازره وزر أخرى » .

(١) المخرج : المخلص من ريقة المعصية بالتوبة والانابة المخلصة ، والمنهج : الطريق
الواضحة التي دلت عليها الشريعة المطهرة والمستعتب : المسترضي ، ويقال أيضاً :
« استعته » إذا أناله العتبي ، وهي : الرضا ، وإنما ضرب المثل بمهل المستعتب لأنك
إذا استرضيت شخصاً وطلبت منه أن يرضى فلا ترهقه في المطالبة ، بل تفسح له حتى
يرضى بقلبه لا بلسانه . أي : إن الله أفسح لهم في الأجال حتى يتمكنوا من إرضائه ،
وأوتوا من العمر مهلة من ينال العتبي - أي : الرضا - لو أحسن العمل : استعته :
أناله العتبي ، فهو المستعتب ، والمفعول مستعتب .

(٢) السدف : جمع سدفة - بالفتح - وهي : الظلمة ، والريب : جمع ريبة . وهي الشبهة
وإيهام الأمر ، وكشف ذلك بما أتى من البراهين الواضحة .

(٣) خلوا : تركوا في مجال يتسابقون فيه إلى الخيرات . والجياد من الخيل : كرامها ،
والمضمار : المكان الذي تضرع فيه الخيل ، والمدة التي تضرع فيها أيضاً ، والروية :
إعمال الفكر في الأمر ليأتي على أسلم وجوهه . الارتياذ هنا : طلب ما يراد .

(٤) الاناءة : الانتظار والتؤدة ، والمقتبس : المرتاد ، أي : الذي أخذ بيده مصباحاً ليرتاد =

صَائِبَةً ، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً وَأُسْمَاعًا وَاعِيَةً وَآرَاءَ عَازِمَةً ، وَالْبَابَ حَازِمَةً ، فَاتَّقُوا تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخْشَعَ ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ^(١) وَوَجَلَ فَعَمِلَ ، وَحَازَرَ فَبَادَرَ ، وَأَيُّقَنَ فَأَحْسَنَ وَعَبَّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَحَذَّرَ فَازْدَجَرَ ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ^(٢) ، وَرَجَعَ فَتَابَ ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى ، وَأَرَى فَرَأَى ، فَأَسْرَعَ طَالِبًا ، وَنَجَا هَارِبًا ، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً^(٣) ، وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَّرَ مَعَادًا ، وَاسْتَظْهَرَ زَادًا^(٤) لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجَّهَ سَبِيلَهُ ، وَحَالَ حَاجَتِهِ ، وَمَوَظِنَ فَاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ^(٥) ، وَاحْذَرُوا

= على ضوءه شيئاً غاب عنه، ومثل هذا يتأني في حركته خوف أن يطفأ مصباحه، وخشية أن يفوته في بعض خطواته ما يفتش عليه لو أسرع، فلذا ضرب المثل به . والمضطرب : مدة الاضطراب . أي : الحركة في العمل .

(١) اقترف : اكتسب ، ومثله « قرف يقرف لعياله » أي : كسب يكسب وفي التنزيل : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ وقال صاحب اللسان : واقترف المال اقتناه . واقترف الذنب أتاه . ووجل خاف ، وجلا وموجلاً - بفتح الميم والجيم - وبادر سارع ، وعبر - مبني للمجهول مشدد الباء - أي : عرضت عليه العبر مراراً كثيرة فاعتبر ، أي : اتعظ ، وحذر - مبني للمجهول أيضاً - أي : خوف من عواقب الخطايا فازدجر ، أي امتنع عنها . ويروي « وحذر فحذر ، وزجر فازدجر » .

(٢) أجب داعي الله إلى طاعته فأناب إليه ؛ أي : رجع ، و « احتذى » شاكل بين عمله وعمل مقتناه ؛ أي : أحسن القدوة ، و « أرى - بضم الهمزة مبني للمجهول أي : أرتبه الشريعة ما يجب عليه وما يجب له وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية ، فرأى ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل .

(٣) أفاد الذخيرة : استفادها واقتناها ، وهو من الاضداد .

(٤) « استظهر زادا » حمل زادا حمله ظهر راحلته إلى الآخرة ، والكلام تمثيل ، ووجه السبيل : المقصد الذي يركب السبيل لأجله .

(٥) الجهة - مثلثة - الناحية والجانب ، وهو ظرف متعلق بحال من ضمير « اتقوا » أي : متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل النافع لكم ، الباقي أثره لأخلافكم .

مِنْهُ كُنْهٌ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ^(١) وَأَسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ
لِصِدْقِ مِعَاذِهِ ^(٢) وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَاذِهِ .

ومنها: جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِيَتَّعِيَ مَا عَنَاهَا وَأَبْصَاراً لِيَتَجَلَّوْا عَنْ
عَشَاهَا ^(٣) ، وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا ^(٤) : فِي
تَرْكِيبِ صُورِهَا ، وَمَدَدِ عُمُرِهَا ، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا ^(٥) وَقُلُوبٍ
رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مُجَلَّلَاتٍ نِعَمِهِ ^(٦) وَمَوْجِبَاتٍ مِنْهُ ، وَخَوَاجِزٍ
عَافِيَتِهِ ، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ ، وَخَلَفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ آثَارِ

(١) حذرنا من نفسه سبحانه أن نتعرض لما يغضبه بمخالفة أوامره ونواهيه ؛ و « كنه
ذلك » : غايته ونهايته ، أي : احذروا نهاية ما حذركم ، ولا تقعوا في شيء مما
يغضبه . وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا هو البحث عن كنهه ؛ وحقيقته ، فيأمرنا
الإمام بالتقوى والبعد عن البحث في حقيقته وكنهه ؛ فان الوصول إلى كنه ذاته محال .

(٢) « تنجز الوعد » طلب وفائه على عجل وتنجز ما وعد الله إنما يكون بالعمل له ، وبهذا
التنجز العملي يستحق ما أعد الله للصالحين ، والحذر معطوف على التنجز .

(٣) عناها : أهمها ، وتعيه : تحفظه ، وتجلو : من « جلا عن المكان » إذا فارقه أي :
تخلص من عماها ، أي : لتبصر ، ولا تكون مبصرة حقيقة حتى يفيدها الأبصار حركة
إلى نافع ؛ وانقباضاً عن ضار ، والأشلاء : جمع شلو - بالكسر - وهو الجسد ، أو
العضو ، وعلى الثاني يكون المعنى أن كل عضو فيه أعضاء : باطنة أو صغيرة .

(٤) الأحناء جمع حنو - بالكسر - وهو كل ما اعوج من البدن ، وملاءمة الأعضاء لها ؛
تناسبها معها ، وقد يراد من الأحناء : الجهات والجوانب ؛ و « ملاءمة » حال من
الأعضاء وملاءمة الأعضاء للجهات التي وضعت فيها : أن يكون العضو في تلك الجهة
أنفع منه في غيرها : فتكون العين في موضعها المعروف أنفع من كونها في قمة الرأس
مثلاً . وقوله « تركيب صورها » أي : آتية في صورها المركبة ، كما تقول ركب في
سلاحه ، أي : متسلحاً .

(٥) الأرفاق جمع رفق - بالكسر - : المنفعة ، أو ما يستعان به عليها ، و « رائدة » أي :
طالبة .

(٦) مجللات - على صيغة اسم الفاعل - من « جلله » بمعنى غطاه ، أي : عامرات نعمه ،
يقولون : سحاب مجلل ، أي : يطبق الأرض .

الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ مُسْتَمْتَعٍ خَلَاقِهِمْ ، وَمُسْتَفْسَحٍ خَنَاقِهِمْ
أَرْهَقْتَهُمُ الْمَنَآيَا دُونَ الْأَمَالِ ، وَشَدَّ بِهِمْ عَنْهَا تَخَرُّمَ الْأَجَالِ ، لَمْ
يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَغْتَبِرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ^(١) ، فَهَلْ
يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِي الْهَرَمِ ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ
الصَّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ^(٢) مَعَ
قُرْبِ الزَّيَالِ^(٣) وَأَزُوفِ الْإِنْتِقَالِ ، وَعَلَنِ الْقَلْقِ ، وَالْمِ
الْمَضْضِ ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ ، وَتَلَفَتْ الْإِسْتِغَاثَةَ بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ
وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ وَالْقُرْنَاءِ ، فَهَلْ دَفَعَتْ الْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتْ
النَّوَاجِبُ^(٤) وَقَدْ غَوْدَرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً^(٥) وَفِي ضَيْقِ
الْمَضْجَعِ وَحِيداً ، قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُ جِلْدَتَهُ^(٦) وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ
جِدَّتَهُ ، وَعَفَّتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَمَحَا الْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ^(٧) وَصَارَتْ

(١) الخلاق : النصيب الوافر من الخير ، والخناق - بالفتح - : حبل يخنق به ، وبالضم :
داء يمتنع معه نفوذ النفس . وأرهقتهم : أعجلتهم : وأنف - بضمين - يقال : أمر
أنف ، أي مستأنف لم يسبق به قدر . والأنف أيضاً : المشية الحسنة ، وتقدير الكلام :
خلف لكم عبراً من القرون الماضية : منها تمتعهم بنصيبيهم من الدنيا ثم فناؤهم ، ومنها
فسحة خناقهم وطول إمهالهم ثم كانت عاقبتهم الهلكة .

(٢) البضاضة : رخص الجلد ورقته وامتلاؤه . والغضارة : النعمة والسعة والخصب .

(٣) الزيال : مصدر زايلة مزايلة وزيلاً ، أي : فارقه .

(٤) الأزوف : الدنو والقرب ، والعلز : قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر .
والمضض : بلوغ الحزن من القلب ، والجرض : الريق ، والحفدة : البنات وأولاد
الأولاد والأصهار .

(٥) غودر : ترك ، وبقي ، ورهيناً : حبيساً .

(٦) هتكت : جذبت جلده فقطعتها ، والهوام : الحيات وكل ذي سم يقتل .

(٧) النواهك : من قولهم « نهكه السلطان » إذا بالغ في عقوبته ، و « عفت » أي : محت ،
والعواصف : الرياح الشديدة ، والمعالم : جمع معلم ، وهو ما يستدل به .

الْأَجْسَادُ شَجَبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا ، وَالْعِظَامُ نَخْرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا^(١) وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا^(٢) مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا ، لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ؛ وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّءِ زَلَلِهَا^(٣) أَوْ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْأَبْنَاءُ وَإِخْوَانُهُمْ وَالْأَقْرَبَاءُ ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ^(٤) وَتَطَاوُونَ جَادَتَهُمْ ؟ ! فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا ، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا ، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مَضْمَارِهَا ! كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا^(٥) وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمُ عَلَى الصَّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ ، وَأَهَاوِيلَ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ^(٦) فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ

- (١) الشجبة - بفتح فكسر - ، أي : الهالكة ؛ تقول شحب الرجل يشحب - مثل علم يعلم - إذا هلك ، وفيه لغة أخرى من باب نصر ، وتقول : شحبه الله يشحبه ، يتعدى ويلزم ، البضة هنا : الواحدة من البض ؛ وهو : مصدر بض الماء إذا ترشح قليلاً قليلاً ، أي : بعد امتلائها حتى كأن الماء يترشح منها ، ونخرة : بالية .
- (٢) الأعباء : الأثقال ، جمع عبء ، أي : حمل ، وموقنة بغيب أنبائها ، أي : منكشفاً لها ما كان غائباً عنها من أخبارها ، وما أعد لها في الآخرة .
- (٣) « لا تستزاد - الخ » أي : لا يطلب منها زيادة العمل ، فانه لا عمل بعد الموت ، « ولا تستعب » مبني للمفعول - أي : لا يطلب منها تقديم العتبي ، أي : التوبة من العمل القبيح ، أو مبني للفاعل ، أي : يمكنها أن تطلب الرضا والاقالة من خطئها السيئ .
- (٤) القدة - بكسر فتشديد - الطريقة ، و « وتطاون جادتهم » تسرون على سبيلهم بلا انحراف عنهم في شيء ، أي : يصيبكم ما أصابهم بلا أقل تفاوت .
- (٥) « كأن المعني » أي : المقصود بالتكاليف الشرعية ، والموجه إليه التحذير والتبشير ، غيرها . وقوله « كأن الرشد - الخ » أي : مع أن الرشد لم ينحصر في هذا ، بل الرشد كل الرشد إحراز الآخرة لا الدنيا .
- (٦) « أن مجازكم - الخ » أنكم تجوزون على الصراط مع ما فيه من مزالق الدحض ، والدحض : هو انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار ، والزلل : هو انزلاق القدم ، والتارات : النوب والدفعات .

عَلْبُهُ ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ ^(١) ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ،
وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ وَأَرْجَفَ الذِّكْرُ
بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ الْخَوْفُ لَأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ
السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ
تَفْتَلِهْ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ ^(٢) وَلَمْ تَغْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ ، ظَافِراً
بِفَرَحِهِ الْبُشْرَى ، وَرَاحَةِ النُّعْمَى ^(٣) فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ ، وَآمِنَ يَوْمِهِ ،
قَدْ عَبَّرَ مَعْبَرَةَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً ^(٤) وَقَدَّمَ زَادَ الْأَجَلَةِ سَعِيداً ، وَبَادَرَ

(١) « أنصب الخوف بدنه » أتعبه .

(٢) والغرار - بالكسر - : القليل من النوم وغيره ، و « أسهره التهجد » أي : أزال قيام الليل
نومه القليل ، فأذهبه بالمرة . و « أظمأ الرجاء - الخ » أي : أظمأ نفسه في هاجرة اليوم ،
والمعنى : صام رجاء الثواب . و « ظلف الزهد - الخ » أي : منعها وظلف : منع ،
و « أرجف الذكر » تقول : « أرجف به » أي : حركه . ويروى « أوجف » بالواو -
أي : أسرع ، كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها ،
و « إبان الشيء » بكسر فتشديد - وقته الذي يلزم ظهوره فيه أي : إنه خاف في الوقت
الذي ينفع فيه الخوف ، ويروى « لأمانه » أي : خاف في الدنيا ليأمن في الآخرة ،
و « تنكب الشيء » مال عنه ، والمخالجات : الشعوب من الطريق المائلة عن وضحه ،
والوضوح - محركة - الجادة ، و « عن وضح متعلق » بالمخالجات ، أي : تنكب المائلات عن
الجادة ، وأقصد المسالك : أقومها . ولم تفتله الخ « أي : لم ترده ولم تصرفه ، و « لم
تغم عليه » أي : لم تخف عليه الأمور المشتبهة حتى يقع فيها بحذر على غير بصيرة .

(٣) النعمى - بالضم - : سعة العيش ونعيمه « ظافراً » حال من الضمائر السابقة العائدة على
« ذي لب » ، و « في أنعم » متعلق براحة النعمى ، وجعل اتصافه بتلك الأوصاف في
حال الظفر تمثيلاً لالتصاق السعادة بالفضيلة وملازمتها إياها .

(٤) العاجلة : الدنيا ، وسميت معبراً لأنها طريق يعبر منها إلى الآخرة ، وهي الآجلة .
« بادر من وجل » أي : سبق إلى خير الأعمال خوفاً من لقاء الأهوال و « أكمش »
أسرع ، ومثله أنكمش ، وكمشته تكميشاً : أعجلته ، والمراد جدد السير في مهلة
الحياة .

مِنْ وَجَلٍ ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَرَغَبَ فِي طَلَبٍ ، وَذَهَبَ عَنْ
هَرَبٍ^(١) وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَنَظَرَ قُدَمَاءَ أَمَامِهِ^(٢) فَكَفَى بِالْجَنَّةِ
ثَوَاباً وَنَوَالاً ، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً ، وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً
وَنَصِيراً ، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِجاً وَخَصِيماً^(٣) أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ
الَّذِي أُعْذِرَ بِمَا أُنْذَرَ ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ^(٤) وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي
الصُّدُورِ خَفِيًّا ، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا^(٥) فَأُضِلَّ وَأُرْدَى وَوَعَدَ
فَمَنَّى ، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ ، حَتَّى
إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ^(٦) ، وَاسْتَغْلَقَ رَهَيْتَهُ ؛ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ^(٧) ؛
وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

- (١) أي : رغب فيما ينبغي طلبه ، وذهب وانصرف عما يجب الهروب منه .
(٢) القدم - بفتح الحين - السابق ، أي : نظر إلى ما يتقدم أمامه من الأعمال ويروي قدماً -
بضمين - وهو المضي إلى أمام ، أي : مضى متقدماً .
(٣) الكتاب : القرآن ، و«حجيجاً وخصيماً» أي مقنعاً لمن خالفه بأنه قد جلب الهلاك على
نفسه ، وقد يراد من الكتاب ما أحصى من الأعمال على العامل إذا عرض عليه يوم
الحساب .
(٤) أعذر بما أُنْذَرَ ، «ما» مصدرية ، أعذر : أي سلب عذر المعتذر بانذاره إياه بعواقب
العمل ، وقامت له الحجة على الضالين بما نهج ووضع من طرق الخير والفضيلة .
(٥) ذلك العدو هو الشيطان ، و«نفذ في الصدور - الخ» : تمثيل لدقة مجاري وسوسته في
الأنفس ؛ فهو فيما يسوله يجري مجرى الأنفاس ، ويسلك بما يأتي من مسالك الأصدقاء
كأنه نجى يسارك ، وينفث في أذنك بما تظنه خيراً لك ، وأردى أهلك ، و«وعد
فمنى» صور الأمانى كذباً .
(٦) القرينة : النفس التي يقارنها بالوسوسة ، واستدرجها : أنزلها من درجة الرشد إلى
درجته من الضلالة ، واستغلق الرهن : جعله بحيث لا يمكن تخليصه .
(٧) «أنكر - الخ» بيان لعمل الشيطان وبراءته ممن أغواه عندما تحقق كلمة العذاب .

ومنها في صفة خلق الانسان :

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ^(١) وَشَغُفِ
الْأَسْتَارِ ؛ نُطْفَةً دِهَاقًا ^(٢) وَعَلَقَةً مُحَاقًا ، وَجَنِينًا وَرَاضِعًا ، وَوَلِيدًا
وَيَافِعًا ، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا ، وَلِسَانًا لَافِظًا ، وَبَصَرًا لَاحِظًا ، لِيَفْهَمَ
مُعْتَبِرًا ، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا ، حَتَّى إِذَا قَامَ آعْتَدَالُهُ ، وَأَسْتَوَى مِثَالُهُ ^(٣) نَفَرَ
مُسْتَكْبِرًا ، وَخَبَطَ سَادِرًا ^(٤) مَا تَجَأَ فِي غَرْبِ هَوَاهُ ^(٥) كَادِحًا سَعِيًا
لِدُنْيَاهُ ، فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ ، وَيَدَوَاتِ أَرْبِهِ ، لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً ^(٦) وَلَا

(١) « أم » بمعنى بل الانتقالية ، بعد ما بين وصف الشيطان انتقل لبيان صفة الإنسان .
« شغف الأستار » : جمع شغاف - مثل سحب وسحب - وهو في الأصل غلاف
القلب ، استعاره للمشيمة .

(٢) دهاقاً : متتابعاً « دهقها » أي : صلبها بقوة . وقد تفسر الدهاق بالملتثة ، أي : بملتثة
من جراثيم الحياة ، و « علقه محاقاً » أي : خفى فيها ومحق كل شكل وصورته ،
والجنين : الولد بعد تصويره ما دام في بطن أمه ، واليافع : الغلام راحق العشرين ،
وأصل اليافع المرتفع ، ويقال : أيفع فهو يافع ، وهو من النواذر ، ومثله أحلت الأرض
فهي ماحل ، ويقصر : يكف عن الرذائل تمتعاً عنها بالعقل والروية .

(٣) « استوى مثاله » أي : بلغت قامته حد ما قدر لها من النمو .

(٤) خبط البعير : إذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقى شيئاً ، والسادر : المتحير والذي لا يهتم
ولا يبالي ما صنع .

(٥) متح الماء : نزعه وهو في أعلى البشر ، والماتح الذي ينزل البثر إذا قل ماؤها فيملاً
الدلو ، والغرب : الدلو العظيمة ، أي : لا يستقى إلا من الهوى ، والكدح : شدة
السعي ، والبدوات : جمع بدأة وهي ما بدا من الرأي ، أي : ذاهباً فيها يبدوله
من رغائبه ، غير متقيد بشريعة ، ولا ملتزم حدود فضيلة .

(٦) « ولا يحسب رزية » أي : لا يظنها ، ولا يفكر في وقوعها ، ولا يخشع من التقية
والخوف من الله تعالى ، وغريراً - براءين مهملتين - أي : مغروراً ، وىروى « عزيزاً » -
بمعجمتين - أي : شاباً ، وهي رواية ضعيفة غير ملائمة سياق النظم و « عاش في » =

يَخْشَعُ تَقِيَّةً ، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيْرًا ، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا ، لَمْ يُفِدْ^(١) عَوْضًا ، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا . دَهْمَتُهُ^(٢) فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبْرِ جَمَاحِهِ ، وَسَنَنِ مِرَاجِهِ ، فَظَلَّ سَادِرًا^(٣) وَبَاتَ سَاهِرًا ، فِي غَمَرَاتِ آلَامٍ وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخٍ شَقِيْقٍ ، وَوَالِدٍ شَفِيْقٍ ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا ، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا^(٤) ، وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ ، مُلْهِمَةٍ ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ^(٥) وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ ، وَسَوْقَةٍ مُتَعِبَةٍ . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا^(٦) وَجُذِبَ مُنْقَادًا سَلِسًا ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ^(٧) وَنَضُورَ سَقَمٍ ، تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ الْوِلْدَانِ^(٨) وَحَشْدَةُ الْإِخْوَانِ ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ، وَمُنْقَطَعِ

= هَفْوَتِهِ - الخ : عاش في أخطائه وخطيئاته الناشئة عن الخطأ في تقدير العواقب زماناً يسيراً ؛ وهو مدة الأجل . ويروى « أسيراً » .

(١) « لم يفد » أي : لم يستفد ثواباً .

(٢) دهمته : غشيته ، وغبر - بضم فتشديد - جمع غابر ، أي : باق ، أي : في بقايا تعنته على الحق ، وعدم انقياده له ، والسنن : الطريقة ، والمرح : شدة الفرح والبطر .

(٣) « ظل سادراً » أي : حائراً ، وذلك بعد ما غشيته فجعات المنية ، وهي عوارض الأمراض المهلكة التي تفضي إلى الموت .

(٤) اللادمة : الضاربة .

(٥) الغمرة : الشدة تحيط بالعقل والحواس ، والكارثة القاطعة للآمال ، أو من « كربه الغم » إذا اشتد عليه ، والأنة - بفتح فتشديد - الواحدة من الآن ، أي : التوجع ، و « جذبة مكربة » أي : جذبات الأنفاس عند الاحتضار ، والسوقة : من ساق المريض نفسه عند الموت سوقاً وسياقاً ، وسيق - على المجهول - أسرع في نزاع الروح .

(٦) أبلس يبلس : يثس ، فهو مبلس ، و « سلساً » أي : سهلاً لعدم قدرته على الممانعة .

(٧) الرجيع من الدواب : ما رجع به من سفر إلى سفر فكل ، والوصب : التعب ، ونضو - بالكسر - مهزول .

(٨) الحفدة : الأعوان ، والحشدة : المسارعون في التعاون .

زُورَتِهِ^(١) حَتَّى إِذَا أَنْصَرَفَ الْمُشِيعُ ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ ، أَقْعَدَ فِي
حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ ، وَعَثْرَةِ^(٢) الْأَمْتِحَانِ ، وَأَعْظَمَ مَا هُنَالِكَ
بَلِيَّةٌ نُزُولُ الْحَمِيمِ^(٣) ، وَتَضْلِيلَةُ الْجَحِيمِ ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ ،
وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ ، لَا فِتْرَةَ مُرِيحَةٍ^(٤) ، وَلَا دَعَةَ مُزِيحَةٍ ، وَلَا قُوَّةَ
حَاجِزَةٍ ، وَلَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ ، وَلَا سِنَّةَ مُسَلِّيَةٍ ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ^(٥)
وَعَذَابِ السَّاعَاتِ ! إِنَّا بِاللَّهِ عَائِدُونَ .

عِبَادَ اللَّهِ ، أَيُّنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَانْعَمُوا^(٦) وَعُلِّمُوا فَفَهَّمُوا ،
وَأَنْظَرُوا فَلَهُوا^(٧) وَسَلَّمُوا فَانْسُوا^(٨) ؟ أُمِّهَلُوا طَوِيلًا ، وَمُنْحُوا
جَمِيلًا ، وَحُذِّرُوا أَلِيمًا ، وَوُعِدُوا جَسِيمًا ! أَحْذَرُوا الذُّنُوبَ

(١) منقطع الزورة : حيث لا يزار .

(٢) النجي : من تحدته سراً ، والميت لا يسمع كلامه سوى الملائكة المكلمين له ، وبهتة
السؤال ؛ حيره .

(٣) الحميم في الأصل : الماء الحار ، والتضلية الاحراق . والمراد هنا دخول جهنم ،
والسورة : الشدة ، والزفير ؛ صوت النار عند توقدها .

(٤) الفترة : السكون ، لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذب من الألم ، ولا تكون دعة -
أي : راحة - حتى تزيج ما أصابه من التعب ، وليست له قوة تحجز عنه ، وترد غواشي
العذاب ، ولا بموته يجد مودة حاضرة تذهب باحساسه عن الشعور ، بتلك الآلام ،
والناجز : الحاضر ، والسنة بالكسر والتخفيف - أوائل النوم ، مسلية ملهية عن الألم .

(٥) « أطوار الموتات - الخ » كل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدتها ، وأطوار هذه
الموتات : ألوانها ، وأنواعها .

(٦) « عمروا - الخ » عاشوا فتنعموا .

(٧) أمهلوا فألهاهم المهل عن العمل ، وذلك بعد أن علموا ففهموا ، وكان مقتضى الفهم
أن لا يغتروا بالملهلة ، ويضيعوا الفرصة .

(٨) سلمت عاقبتهم وأرزاقهم فانسوا نعمة الله في السلامة .

الْمُورِّطَةُ ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْحِطَةَ^(١) .

أُولَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ ، هَلْ مِنْ مَنَاصِرٍ ،
أَوْ خَلَاصٍ ، أَوْ مَعَاذٍ ، أَوْ مَلَاذٍ ، أَوْ فِرَارٍ ، أَوْ مَحَارٍ^(٢) ؟ أَمْ لَا ؟
فَأَنَّى تُؤَفِّكُونَ^(٣) ! أَمْ أَيْنَ تُصَرِّفُونَ ؟ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُونَ ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ
أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ قَيْدٌ قَدَّهُ^(٤) مُتَعَفِّراً عَلَى
خَدِّهِ . الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْخَنَاقُ مُهْمَلٌ^(٥) وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ ؛ فِي فَيْنَةٍ
الْإِرْشَادِ^(٦) وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ ، وَبَاحَةِ الْإِحْتِشَادِ^(٧) وَمَهْلٍ الْبَقِيَّةِ ،
وَأَنْفِ الْمَشِيَّةِ^(٨) وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ ، وَأَنْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ^(٩) قَبْلَ الضَّنكِ
وَالْمُضِيقِ ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ^(١٠) وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ^(١١)
وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ .

(١) المورطة : المهلكة .

(٢) « محار » أي : مرجع إلى الدنيا بعد فراقها .

(٣) تؤفِّكون : تقلبون ، أي : تنقلبون .

(٤) قيد قده - بكسر القاف وفتحها من الثاني - مقدار طوله ، يريد مضجعه من القبر .

(٥) الخنَاق : الحبل الذي يخنق به ، وإهماله : عدم شده على العنق مدى الحياة ، أي :

وأنتم في قدرة من العمل وسعة من الأمل .

(٦) الفينة - بالفتح - الحال والساعة والوقت ويروى « فينة الارتداد » بمعنى الطلب .

(٧) باحة الدار : ساحتها ، والاحتشاد : الاجتماع ، أي : أنتم في ساعة يسهل عليكم فيها

التعاون على البر بالاجتماع بعضكم إلى بعض .

(٨) أنف - بضم نون - مستأنف المشيئة ، أي : لو أردتم استئناف مشيئة وإرادة حسنة

لأمكنكم .

(٩) الحوبة : الحالة أو الحاجة .

(١٠) الروع : الخوف ، والزهُوق الاضمحلال .

(١١) الغائب المنتظر : الموت .

قال الشريف : وفي الخبر أنه لما خطب بهذه الخطبة
اقشعرت لها الجلود ، وبكت العيون ، ورجفت القلوب . ومن
الناس من يسمي هذه الخطبة : « الغراء » .

ومن كلام له عليه السلام

٨٦

في ذكر عمرو بن العاص

عَجِبْنَا لِابْنِ النَّابِغَةِ (١) يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةٍ (٢)
وَأَنِّي أَمْرُو تَلْعَابَةٍ : أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ (٣) لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا ، وَنَطَقَ
آثِمًا . أَمَا وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ ،
وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ (٤) وَيُسْأَلُ فَيَبْخُلُ ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ (٥)
فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَأَمِيرٍ هُوَ ! مَا لَمْ تَأْخُذِ
السُّيُوفُ مَأْخِذَهَا (٦) فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ

(١) النابغة : المشهورة فيما لا يليق بالنساء ، من « نبع » إذا ظهر .

(٢) الدعابة - بالضم - المزاح واللعب ، وتلعابه - بالكسر - كثير اللعب .

(٣) أعافس : أعالج الناس وأضاربهم مزاحاً ، ويقال : المعافسة : معالجة النساء بالمغازلة ،
والممارسة كالمعافسة .

(٤) « فيلحف » أي : يلح و « يسأل » ها هنا مبني للفاعل و « يسأل » في الجملة بعدها مبني
للمفعول .

(٥) الال - بالكسر - القرابة ، والمراد أنه يقطع الرحم .

(٦) أي : إنه في الحرب زاجر وأمر عظيم ، أي : محرض حاث ، ما لم تأخذ السيوف
مأخذها ، فعند ذلك يبين كما قال « فإذا كان ذلك الخ » .

سُبَّتُهُ^(١) أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتِيَّةً ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً^(٢) .

ومن خطبة له عليه السلام

٨٢

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ ، لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ^(٣) وَلَا تَنَالُهُ التَّجَزُّؤُةُ وَالتَّبَعِيضُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ .

ومنها : فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ^(٤) وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ^(٥) وَانْتَفِعُوا بِالدُّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتُكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ^(٦) وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوُرْدِ

(١) السبة - بالضم - الاست . تقريع له بفعله عندما نازل أمير المؤمنين في واقعة صفين ،

فصال عليه وكاد يضرب عنقه ، فكشف عورته ، فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه .

(٢) الأتية : العطية ، ورضخ له : أعطاه قليلاً ، والمراد بالأتية والرضيخة ولاية مصر .

(٣) تقعد : محجاز عن استقرار حكمها ، أي : ليست له كيفية فتحكم بها .

(٤) الآي : جمع آية ، وهي الدليل . والسواطع : الظاهرة الدلالة .

(٥) البوالغ : جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط . والنذر : جمع نذير ، بمعنى الإنذار ، أو المخوف ، والمراد إنذار المنذرين .

(٦) المفطعات : من « أفطع الأمر » إذا اشتد ، ويقال : أفطع الرجل - مبنياً للمجهول - إذا نزلت به الشدة .

الْمُزَوَّدِ^(١) فَكُلْ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ : سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى
مَحْشَرِهَا ، وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

ومنها في صفة الجنة :

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا ،
وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يَهْرُمُ خَالِدُهَا ، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا^(٢) ،

ومن خطبة له عليه السلام

٥٥

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ،
وَالْغَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ
فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ^(٣) ، وَفِي فَرَائِغِهِ قَبْلَ أَوَانِ
شُغْلِهِ ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ^(٤) وَلْيَمْهَدْ لِنَفْسِهِ

(١) الورد - بالكسر - الأصل فيه الماء يورد به الموت أو المحشر .

(٢) بئس - كسمع - اشتدت حاجته .

(٣) المهل - بفتحين - المهلة والتؤدة ، والارهاق : مصدر « أرهق الرجل » تقول : « أرهقه
قرنه في الحرب » إذا غشيه ليقتله ، ومعنى « إرهاب الأجل » : أن يعجل المفرط عن
تدارك ما فاتته من العمل ، أي : يحول بينه وبينه والكلام من أول قوله « فليعمل
العامل » إلى قوله « لدار إقامته » مأخوذ من قول رسول الله ﷺ في خطبته المشهورة ،
وهي أيها الناس ، إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم ، وإن لكم غاية فانتبهوا إلى
غايتهنكم ، إن المؤمن بين غافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به ، وأجل
قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه
لآخرته ، ومن الشيبية قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الموت ، فوالذي نفس محمد بيده
ما بعد الموت من مستعجب ، وما بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة أو النار .

(٤) « في متنفسه » أي : في سعة وقته ، يقال : « أنت في متنفس من أمرك » أي : في =

وَقُدُومِهِ ، وَلِيَتَزَوَّدَ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِذَا رِ إِقَامَتِهِ فَاللَّهُ اللَّهُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ،
 فِيمَا اسْتَحْفَظْتُكُمْ مِنْ كِتَابِهِ ، وَأَسْتَوْدَعُكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ ،
 سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً ، وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي
 جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى : قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ^(١) وَعَلَّمَ أَعْمَالَكُمْ ، وَكَتَبَ
 أَجَالَكُمْ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهَ
 أَرْمَانًا^(٢) حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي
 رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ ، عَلَى لِسَانِهِ ، مَحَابَّهَ مِنَ الْأَعْمَالِ
 وَمَكَارِهِه^(٣) وَنَوَاهِيهَ وَأَوَامِرَهُ ، فَأَلْقَى إِلَيْكُمْ الْمَعْذِرَةَ ، وَاتَّخَذَ
 عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ
 شَدِيدٍ ، فَاسْتَذَرَكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَأَصْبَرُوا لَهَا أَنْفُسُكُمْ^(٤) ؛ فَإِنَّهَا
 قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالْتِّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ ،
 وَلَا تُرَخِّصُوا لَأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخْصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظُّلْمَةِ^(٥)

= سعة . والكظم - بالتحريك - الحلق ، أو مخرج النفس ، والأخذ بالكظم : كناية عن
 التضييق عند مداركة الأجل .

(١) بين لكم أعمالكم وحددها .

(٢) عمر نبيه : مد في أجله .

(٣) محابه : مواضع حبه ، وهي الأعمال الصالحة .

(٤) « اصبروا أنفسكم » اجعلوا لأنفسكم صبراً فيها ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :
 ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ ويقال : « صبر فلان نفسه
 على كذا » أي حبسها عليه ، يتعدى فينصب بنفسه .

(٥) الظلمة : جمع ظالم ، وقد نهى عن الأخذ برخص المذاهب لأنه لا يجوز للواحد من
 العامة أن يقلد كلا من أنفسكم في ترك تشديد المعصية ، ولا تسامحها وترخصها لها في
 ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب فتتهجم بكم على الكبائر ؛ لأن من مرن على =

وَلَا تُدَاهِنُوا فِيهِجُمَ بِكُمْ^(١) الْإِذْهَانُ عَلَى الْمُصِيبَةِ . عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ
 أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعَهُمْ لِرَبِّهِ ، وَإِنْ أَغَشَّاهُمْ لِنَفْسِهِ أَغْصَاهُمْ
 لِرَبِّهِ ، وَالْمَغْبُوتُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ^(٢) وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ^(٣)
 وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَخْدَعَ لِهَوَاهُ . وَاعْلَمُوا أَنَّ
 يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ^(٤) وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاةٌ لِلْإِيمَانِ^(٥)
 وَمَحْضَرَةُ لِلشَّيْطَانِ . جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ ، الصَّادِقُ
 عَلَى شَرَفٍ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ ؛ وَلَا
 تُحَاسِدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ، وَلَا
 تَبَاغُضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ^(٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِيَ الْعَقْلَ ، وَيُنْسِي
 الذِّكْرَ^(٧) فَاكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

= أمر تدرج من صغيرة إلى كبيرة ، فتسوء العاقبة ، وتقعوا فيها وقع فيه الظلمة من قبلكم .

(١) المداينة : التفاق ، والمصانعة : إظهار خلاف ما في الطوية ، والاذهان : مثله قال الله تعالى : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ .

(٢) المغبون : المخدوع .

(٣) والمغبوط : المستحق لتطلع النفوس إليه ، والرغبة في نيل مثل نعمته .

(٤) الرياء : أن تعمل ليراك الناس ، وقلبك غير راغب فيه .

(٥) « منساة للإيمان » : موضع لنسيانه ، وداعية للذهول عنه ، و« محضرة للشيطان » : مكان لحضوره ، وداع له .

(٦) « قاتها » أي : المباغضة « الحالقة » أي الماحية لكل خير وبركة .

(٧) الأمل الذي يذهل العقل وينسى ذكر الله وأوامره ونواهيه : هو استقرار النفس على ما وصلت إليه غير ناظرة إلى تغير الأحوال ولا آخذة بالحزم في الأعمال .

ومن خطبة له عليه السلام

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ ، وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ^(١) ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ^(٢) ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ^(٣) : نَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْشَرَ^(٤) ، وَارْتَوَى مِنْ عَذَابِ فُرَاتٍ سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهْلًا^(٥) ، وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا^(٦) ، قَدْ خَلَعَ سَرَائِيلَ الشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ^(٧) فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ

(١) استشعر : لبس الشعار ، وهو ما يلي البدن من اللباس ، وتجلبب : لبس الجلباب ، وهو ما يكون فوق جميع الثياب ، والحزن : العجز عن الوفاء بالواجب ، وهو قلبي لا يظهر له أثر في العمل الظاهر . أما الخوف فيظهر أثره في البعد عما يغضب الله ، والمبادرة للعمل فيما يرضيه ، وذلك أثر ظاهر ، وزهر مصباح الهدى : تلاًلاً وأضاء .

(٢) القرى - بالكسر - : ما يهيا للضيف ، وهو هنا العمل الصالح يهيئه للقاء الموت وحلول الأجل .

(٣) جعل الموت على بعده قريباً منه فعمل له ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية ، والأخذ بالجد في إحراز الفضائل السامية ، وذلك هو الشديد .

(٤) ذكر الله فاستكثر من العمل في رضاه ، والعذب والقرات : مترافدان .

(٥) النهل : أو الشرب ، والمراد أخذ حظاً لا يحتاج معه إلى العمل ، وهو الشرب الثاني ، وقال ابن أبي الحديد : « يجوز أن يكون أراد بقوله نهلاً المصدر من نهل ينهل نهلاً - مثل طرب يطرب طرباً - أي : شرب حتى روي ، ويجوز أن يريد بالنهل الشرب الأول خاصة ، ويريد أنه اكتفى بما شربه أولاً فلم يحتاج إلى العلل » أو ببعض إيضاح .

(٦) الجدد - بالتحريك - : الأرض الغليظة ، أي : الصلبة المستوية ، ومثلها يسهل السير فيه .

(٧) الهم الواحد : هو هم الوقوف عند حدود الشريعة .

أَلْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الزَّدَى ،
 قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ^(١) ،
 وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثِقِهَا ، وَمِنَ الْجِبَالِ بِأُمْتِنِهَا ، فَهُوَ مِنَ
 الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ : قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ -
 فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى
 أَصْلِهِ^(٢) مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ ، كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ،
 دَفَاعُ مُعْضَلَاتٍ^(٣) ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ^(٤) ، يَقُولُ فِيْفِهِمْ ، وَيَسْكُتُ
 فَيَسْلُمُ : قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ ، وَأَوْتَادِ
 أَرْضِيهِ ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْبَدَلَ ، فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيُ أَلْهَوَى عَنْ
 نَفْسِهِ ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا^(٥) ،
 وَلَا مَظَنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا^(٦) ، قَدْ أُمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ^(٧) فَهُوَ قَائِدُهُ

(١) جمع غمر - بالفتح - وهو معظم البحر ، والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة .

(٢) لأن من كان همه التزام حدود الله في أوامره ونواهيه نفذت بصيرته إلى حقائق سر الله في ذلك ، فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلا أصدره على وجهه ، ولا يعرض له فرع إلا رده إلى أصله .

(٣) عشاوات : جمع عشاوة ، وهي سوء البصر أو العمى ، أي : إنه يكشف عن ذوي العشاوات عشاواتهم . ويروى « عشوات » : جمع عشوة - بثلاث الأول - وهي الأمر الملتبس ، والمعضلات : الشدائد والأمور لا يهتدى لوجهها .

(٤) الفلوات : جمع فلاة ، وهي الصحراء الواسعة ، مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق .

(٥) أمها : قصدها .

(٦) « مظنة » أي : موضع ظن لوجود الفائدة .

(٧) الكتاب : القرآن ، وأمكنه من زمامه : تمثيل لانتقياده لأحكامه ، كأنه مطية والكتاب يقوده إلى حيث شاء .

وَأَمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقْلُهُ^(١) وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ .

وَأَخْرَقَ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ^(٢) فَأَقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَاِلٍ ،
وَأَضَالِيلَ مِنْ ضَلَالٍ وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شِرْكَاءَ مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ
زُورٍ ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ ؛ وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ ،
يُؤْمِنُ^(٣) مِنَ الْعَظَائِمِ ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ يَقُولُ : « أَقِفْ عِنْدَ
الشُّبُهَاتِ » وَفِيهَا وَقَعَ ؛ « وَأَعْتَزِلْ الْبِدْعَ » وَبَيْنَهَا أَضْطَجَعَ ، فَالْصُّورَةُ
صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ
وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ ؛ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ وَأَنِّي
تُؤَفِّكُونَ ؟^(٤) وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ ! وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ ! وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ !
فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ^(٥) بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ ؟ وَبَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيَّكُمْ ، وَهُمْ أَزِمَّةُ
الْحَقِّ ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ ، وَالسِّنَةُ الصَّدِّقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ

(١) ثقل المسافر - محركة - : متاعه وحشمه ، وثقل الكتاب : ما يحمل من أوامر ونواه .

(٢) « وآخر - الخ » : هذا عبد آخر غير العبد الذي وصفه بالأوصاف السابقة ، يخالف في وصفه وصفه ؛ واقتبس : استفاد . جهائل : جمع جهالة ، ويراد منها هنا تصور الشيء على غير حقيقته ، ولا يستفاد من الجهال إلا ذلك ، والأضاليل الضلالات ، جمع ضلال على غير قياس ، أو هو جمع أضلولة ، ويقال : لا واحد لها من لفظها وهو الأشهر ، والضلال - بضم فتشديد - : جمع ضال .

(٣) « عطف الحق - الخ » : حمل الحق على رغباته ، أي : لا يعرف حقاً إلا إياها .

(٤) تؤفكون : تقلبون وتصرفون - بالبناء للمجهول - والأعلام الدلائل على الحق من معجزات ونحوها ، والمنار : جمع منارة ، والمراد هنا ما أقيم علامة على الخير والشر .

(٥) يتاه بكم : من التيه بمعنى الضلال والحيرة ، وتعمهون : تتحيرون وعثرة الرجل : نسله ورهطه .

الْقُرْآنِ (١) وَرَدُّوهُمْ وَرُودُ الْهِيمِ الْعِطَاشِ (٢) .

أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوهَا مِنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ (٣) وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا
وَلَيْسَ بِبَالٍ » فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا
تُنْكِرُونَ (٤) وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَا هُوَ ، أَلَمْ أَعْمَلْ
فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ (٥) ؟ وَأَتْرَكَ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ ، قَدْ رَكَزْتُ
فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
وَالْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَذَابِي ، وَفَرَشْتُكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي
وَفَعَلِي (٦) وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ
فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلَّغَلْ إِلَيْهِ الْفِكْرُ .

ومنها : حَتَّى يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةَ (٧)

(١) أي : أحلو عترة النبي من قلوبكم محل القرآن من التعظيم والاحترام ، وإن القلب هو أحسن منازل القرآن .

(٢) هلموا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم - أي : الابل العطشى - إلى الماء .

(٣) خذوا هذه القضية عنه ، وهي « إنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت » لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور .

(٤) الجاهل يستغمض الحقيقة فينكرها ، وأشد الحقائق دقائق .

(٥) الثقل هنا : بمعنى النفيس من كل شيء ، وفي الحديث عن النبي قال : « تركت فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي » أي : النفيسين ، وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر ، وهو القرآن ، وترك الثقل الأصغر - وهو ولده ، ويقال : عترته - قدوة للناس .

(٦) فرشتكم : بسطت لكم .

(٧) مقصورة عليهم ، مسخرة لهم ، كأنهم شدوها بعقال كالناقة « تمنحهم درها » أي : لبنها .

تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوَاطُهَا ،
وَلَا سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ ؛ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَدِيدِ
الْعَيْشِ (١) يَتَطَعُمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً .

ومن خطبة له عليه السلام

٥٦

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ (٢) إِلَّا بَعْدَ
تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَرْلٍ
وَبَلَاءٍ ، وَفِي (٣) دُونِ مَا أَسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتَبٍ ، وَمَا أَسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ
خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ وَمَا (٤) كُلُّ ذِي قَلْبٍ بَلِيبٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ،
وَلَا كُلُّ نَاطِرٍ بِبَصِيرٍ ، فَيَا عَجَبِي ، وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ ، مِنْ خَطَا هَذِهِ
الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ! لَا يَقْتَصُونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلَا

(١) مجة - بضم الميم - واحدة المج - بضمها أيضاً - وهي نقط العسل أي : قطرة عسل
تكون في أفواههم كما تكون في فم النحلة يذوقونها زماناً ثم يقذفونها وهذا التفسير أفضل
من تفسير المجة - بالفتح - بالواحدة من مصدر « مج الشراب من فيه » إذا رمى به .

(٢) يقصم : يهلك ، وحد القصم الكسر .

(٣) جبر العظم : طبه بعد الكسر حتى يعود صحيحاً ، والأزل - بالفتح - الشدة .

(٤) العتب - بسكون التاء - يريد منه عتب الزمان ، مصدر « عتب عليه » إذا وجد عليه ،
وإذا وجد الزمان على شخص اشتد عليه وقهره ، والأصح أنه بتحريك التاء : إما مفرد
بمعنى الأمر الكريه والفساد ، أو جمع عتبة - بالتحريك - بمعنى الشدة . يقال : « ما في
هذا الأمر رتبة ولا عتبة » أي : شدة . أي : إنكم لجديرون أن تعتبروا بأقل من الشدة
المقبلة عليكم بعد ضعف أركانكم وأقل من الخطب العظيم الذي مر بكم ، فكيف بمثل
هذه الأمور الجسام فأنتم أجدر أن تعتبروا بها؟؟

يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ^(١)
يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ ، الْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ
مَا عَرَفُوا ، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا^(٢) ، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمَعْضَلَاتِ
إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ ، كَأَنَّ كُلَّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ
وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ .

ومن خطبة له عليه السلام

٨٧

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ
الْأُمَمِ ، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ^(٣) ، وَأَنْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَلَظُّ مِنْ
الْحُرُوبِ^(٤) ، وَالْدُّنْيَا كَاسِيفَةُ النُّورِ ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ ، عَلَى حِينِ
أَصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا^(٥) ، وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَآغُورَارٍ مِنْ مَائِهَا ،

(١) ولا يعفون - بكسر العين وكسر الفاء - « من عفتت عن الشيء » إذا كفت عنه .

(٢) أي : يستحسنون ما بدا لهم استحسانه ، ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع
إلى دليل بين . أو شريعة واضحة : يثق كل منهم بخواطر نفسه ، كأنه أخذ منها
بالعروة الوثقى ، على ما بها من جهل ونقص .

(٣) الفترة بين الرسل : انقطاع الرسالة والوحي . والهجرة - بفتح فسكون ، فهي الهيشة
كاجلسة من الجلوس « اعتزام » من قولهم « اعتزم الفرس » إذا مرجأ ، أي : وغلبة
من الفتن . ويروى « اعتزام » بالراء المهملة من العرام ، وهو الشر ، ويقال : اعتزمت
الفرس ، إذا سقطت ومالت ، ويروى « اعتراض » بالضاد المعجمة بدل الميم .

(٤) و « تلظ » أي : تلهب وفي التنزيل ﴿ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظَى ﴾ .

(٥) هذا وما بعده تمثيل لتغير الدنيا ، وإشراقها على الزوال ، ويأس الناس من التمتع =

قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى ، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ
لِأَهْلِهَا (١) عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ ، وَطَعَامُهَا
الْجِيفَةُ ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ (٢) . فَاعْتَبِرُوا ، عِبَادَ
اللَّهِ ، وَادْكُرُوا تِيكَ الَّتِي أَبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهِنُونَ (٣) وَعَلَيْهَا
مُحَاسِبُونَ . وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا يَهُمُّ الْعُهُودُ ، وَلَا خَلَتْ
فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ (٤) وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ
فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ . وَاللَّهِ مَا أَسْمَعُكُمْ الرَّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا
الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْوهُ ، وَمَا أَسْمَاعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَمْسِ وَلَا
شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْتِدَةُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ إِلَّا
وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ . وَاللَّهِ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا
جَهْلُوهُ ، وَلَا أَصْفَيْتُمْ بِهِ وَحَرِمُوهُ وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا

= بها أيام الجاهلية . واغورار الماء : ذهابه ، ويروى « إغوار مائها » بالمهملة - من قولهم « فلا عوراء » لا ماء بها .

(١) من « تجهمه » أي : استقبله بوجه كربه .

(٢) « ثمرها الفتنة » أي : ليست لها نتيجة سوى الفتنة والجيفة : إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطراب ، والشعار من الثياب : ما يلي البدن ، والدثار : فوق الشعار . ولما كان الخوف يتقدم السيف كان الخوف شعاراً والسيف دثاراً ، وأيضاً فالخوف باطن والسيف ظاهر .

(٣) « تيك » إشارة إلى سيئات الأعمال وبواطن العقائد ، وقبائح العادات ، و« هم بها مرتهنون » أي : محبوسون على عواقبها في الدنيا من الذل والضعف .

(٤) الأحقاب : جمع حقب - بالضم وبضمتين - قيل : ثمانون سنة ، وقيل : أكثر ، وقيل : هو الدهر .

(٥) يريد أن حالهم كحال من سبقهم ، وأن من السابقين من اهتدى بهدى الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه ، ومنهم من جهل فحل به من النكال ما حل . والامام اليوم =

خِطَامُهَا^(١) رَحُوا بِطَانِهَا ، فَلَا يَغُرُّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ ،
فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

ومن خطبة له عليه السلام

❦

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ
رُؤْيَةٍ^(٢) ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا ؛ إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَفْرَاجٍ ،
وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ أُرْتَاجٍ^(٣) ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ ، وَلَا
جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ ، وَلَا فَجٌّ ذُو أَعْوِجَاجٍ ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ ، وَلَا
خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ : ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ^(٤) ، وَإِلَهُ الْخَلْقِ
وَرَازِقُهُ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ^(٥) : يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ

= مع هؤلاء كما كان الرسول مع أولئك ، وحال السامعين في المدارك كحال السابقين ،
وليسوا هؤلاء مختصين بشيء حرمه أولئك ، ولا عالمين بأمر جهلوه ، « أصفيتم »
أي : خصصتم ، مبني للمجهول .

(١) الخطام - ككتاب - : ما جعل في أنف البعير لينقاد به ، وجولان الخطام : حركته
وعدم استقراره لأنه غير مشدود . والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة تأخذ فيهم مآخذها :
لا مانع لها ولا مقاوم ، ويطان البعير : حزام يجعل تحت بطنه ، ومتى استرخى كان
الراكب على خطر السقوط .

(٢) روية : فكر ، وإمعان نظر .

(٣) الأرتاج : جمع رتج - بالتحريك - وهو الباب العظيم ، والداجي : المظلم ،
والساجي : الساكن ، والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين والمهاد -
بزنة كتاب - الفراش . والخلق : بمعنى المخلوق « ذو اعتماد » أي : بطش وتصرف
بقصد وإرادة .

(٤) مبتدع الخلق : منشئه من العدم المحض ، ووارثه : الباقي بعده .

(٥) دائبان : ثنية دائب ، وهو المجد المجتهد ، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال
واحدة لا يفتران ولا يسكنان ، وذلك كما أراد الله سبحانه .

وَيَقْرَبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ ، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنْ الضَّمِيرِ^(١) وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ ، هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ ، قَاهِرٌ مَنْ عَازَاهُ^(٢) وَمُدْمِرٌ مَنْ شَاقَّهَ ، وَمُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ ، وَغَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ^(٣) ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

عِبَادَ اللَّهِ ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا^(٤) وَتَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ ، وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ^(٥) وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَعْنِ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا

(١) « من الضمير » بيان لما تخفي الصدور ، وذلك أخفى من خائنة الأعين ، وهي : ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل ، وتلك أخفى مما قبلها من الأرحام والظهور ، أي : فيها . أو تكون « من » للتبغيض ، أي : الجزء الذي كانوا من أرحام الامهات وظهور الآباء .

(٢) عازاه : رام مشاركته في شيء من عزته ، وشاقه : نازعه ، وناواه : خالفه .

(٣) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض ، والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين ؛ إظهاراً لتحقيق الجزاء على العمل . قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ .

(٤) يقول : اعتبروا أعمالكم وأنتم مختارون قادرون على استدراك الفارط قبل أن يكون هذا الاعتبار فعل غيركم وأنتم لا تقدرون على استدراك ما يكون قد فرط منكم .

(٥) العنف - بضم فسكون - ضد الرفق ، ويقال . عنف عليه ، وعنف به - من باب كرم فيها - وأصل العنيف الذي لا رفق له بركوب الخيل ، وجمعه عنف - وتقول أيضاً : =

وَاعِظْ وَزَاجِرْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ^(١) .

ومن خطبة له عليه السلام

٨٩

تُعَرَفُ بِخُطْبَةِ الْأَشْبَاحِ ، وَهِيَ مِنْ جَلَائِلِ خُطْبِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، وَكَانَ سَأَلُهُ سَائِلٌ أَنْ يَصِفَ اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ عَيْنَانَا ،
فَغَضِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنَعُ وَالْجُمُودُ^(٢) ، وَلَا يُكْدِيهِ
الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا
خَلَاهُ ، وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ ، عِيَالُهُ
الْخَلْقُ ضَمِينَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ
إِلَيْهِ ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ
يُسْأَلْ ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ
الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ ؛ وَالرَّادِعُ أَنْاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ

= اعتفت الأمر ، إذا أخذته بقوة وعنف ، أي : انقادوا إلى ما يطلب منكم بالحث الرفيق
قبل أن تساقوا إليه بالعنف الشديد .

(١) « من لم يعن » - مبني للمجهول - أي : من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من
وجدانها منه لم ينفعه تنبيه غيره ، ويجوز أن يكون مبنياً للفاعل ، أي : من لم يعن
الزواجر على نفسه ، والتذكير والاعتبار ؛ لم تؤثر فيه .

(٢) لا يفره ، لا يزيد ما عنده البخل والجُمود - وهو أشد البخل - ولا يكديه « أي لا
يفقره ، ولا ينفد خزائنه ، ويقال : كدت الأرض تكدي فهي كادية ، إذا أبطأ نبتها وقَلَّ
خيرها ، وتقول : أكديت الأرض ، إذا جعلتها كادية ، ويقال : أكدي الرجل ، إذا
قل خيريه وفي التنزيل ﴿ وأعطى قليلاً وأكدى ﴾ .

أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ^(١) مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ ، وَلَا
كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ ؛ وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ
الْجِبَالِ^(٢) وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبَحَارِ ، مِنْ فِلْزِ اللَّجَيْنِ
وَالْعَقِيَانِ^(٣) وَنُثَارَةِ الدَّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ ،
وَلَا أَنْفَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ
مَطَالِبُ الْأَنَامِ^(٤) ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ^(٥)
وَلَا يُبْخِلُهُ الْخَاحُ الْمُلْحِحِينَ . فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ
عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتْتَمَّ بِهِ^(٦) ، وَاسْتَضِيءَ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ
الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ فَكُلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ

(١) أناسي : جمع إنسان ، وإنسان البصر : هو ما يرى وسط الخدقة ممتازاً عنها في لونها .

(٢) أبداع الامام في تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفساً ؛ فان أغلب ما يكون من ذلك ، بل كله ، عن تحرك المواد الملتهبة في جوف الأرض إلى الخارج ؛ وهي في تبخرها أشبه بالنفس ، كما أبداع في تسمية أنفتاح الصدف عن الدر ضحكاً .

(٣) الفلز - بكسر الفاء واللام - الجوهر النفيس ، واللجين : الفضة الخالصة ، والعقيان : ذهب ينمو في معدنه ونثارة الدر - بالضم - منشورة ، وفعالة - بالضم - فاش كثير الورد فيما كان موضوعاً للجيد المختار : كالخلاصة ، أو الساقط المتروك : كالقلامة ، وحصيد المرجان : محصوده ، يشير إلى أن المرجان نبات ، وقد حققته كاشفات الفنون جديدها وقديمها .

(٤) أنفده : بمعنى أفناه - ونفد - كفرح - أي : فنى .

(٥) يغيض - بفتح حرف المضارعة - من « غاض » المتعدي يقال : غاض الماء لازماً ، وغاضه الله متعدياً . ويقال : أغاضه أيضاً ، وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده ، ويبخله - بالتخفيف - من « أبخلت فلاناً » وجدته بخيلاً . أما بخله - بالتشديد - فمعناه رماه بالبخل .

(٦) « اتتم » أي : اتبعه فصفه كما وصفه اقتداء به .

سُبْحَانَهُ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدِّ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ (١) فَمَدَحَ اللَّهُ أَعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحاً ، فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ الْأَوْهَامُ لِتُذْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ (٢) وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبْرَأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ (٣) وَتَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ (٤) لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ (٥) وَغَمَضَتْ مَدَاخِلَ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَتَاوَلَ عِلْمُ ذَاتِهِ (٦) رَدَعَهَا وَهِيَ نَجُوبٌ مَهَاوِي سُدِّ الْغُيُوبِ (٧) مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ ، سُبْحَانَهُ ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُيِّهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يَنَالُ

(١) السدد : جمع سدة ، وهي باب الدار ، والاقترار : فاعل « أغناهم » .

(٢) ارتمت الأوهام : ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها ، ومنقطع الشيء : ما إليه ينتهي .

(٣) « مبرأ - الخ » أما الملابس لهذه الخطرات فمعلوم أنه لا يصل إلى شيء لوقوفه عند وسائسه .

(٤) تولت القلوب إليه : إشتد عشقها حتى أصابها الوله - وهو الحيرة - وقوى ميلها لمعرفة كنهه .

(٥) لتجري الخ : لتجول ببصائرها في تحقيق كيف قامت صفاته بذاته ، أو كيف اتصف سبحانه بها .

(٦) « وغمضت - الخ » أي : خفيت طرق الفكر ودقت ، وبلغت في الخفاء والدقة إلى حد لا يبلغه الوصف .

(٧) « ردعها - الخ » جواب للشرط في قوله « إذا ارتمت - الخ » وردعها : كفها وردعها ، والمهاوي : المهالك ، والسدف - بضم ففتح - جمع سدفة ، وهي القطعة من الليل المظلم ، وجيبت : من جبهة إذا ضرب جبهته ، والمراد ردت بالحيلة .

بِجَوْرِ الْأَعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ^(١) وَلَا تَخْطُرُ بِسَالِ أُولِي الرُّوِيَّاتِ
خَاطِرَةً مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ^(٢) الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ
مِثَالٍ أَمْتَثَلَهُ^(٣) وَلَا مِقْدَارٍ آخَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ ،
وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ،
وَأَعْتَرَفَ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ^(٤) قُوَّتِهِ ، مَا
دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَظَهَرَتْ فِي الْبِدَائِعِ
الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً
لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا ، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً ،
وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ

(١) الجور: العدول عن الطريق، والاعتساف: سلوك على غير جادة وسلوك العقول في أي طريق طلبا لاكتناه ذاته، وللوقوف على ما لم يكلف الوقوف عليه من كيفية صفاته، يعد جوراً أو عدولاً عن الجادة؛ فإن العقول الحادثة ليس في طبيعتها ما يؤهلها للاحاطة بالحقائق الأزلية، اللهم الا ما دلت عليه الآثار وذلك هو الوصف الذي جاء في الكتاب والسنة، و«كنه معرفته» نائب فاعل «ينال».

(٢) الرويات: جمع روية، وهي الفكر.

(٣) ابتدع الخلق: أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق «امتثله» أي: حاذاه و«لا مقدار سابق احتذى عليه» أي: قاس وطبق عليه، وكان ذلك المثل أو المقدار من خالق معروف سبقه بالخلقة، أي: لم يقتد بخالق آخر في شيء من الخلقة؛ إذ لا خالق سواه.

(٤) المساك - كسحاب، ويكسر - ما به يمسك الشيء كالملاك ما به يملك «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا» وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات إلى إقامة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به، وقوله «باضطرار» متعلق يدلنا، و«على معرفته» متعلق به أيضاً، أي: دلنا على معرفته بسبب أن قيام الحجة اضطرنا لذلك. و«ما دلنا» مفعول لأرانا، و«ظهرت في البدائع الخ» معطوف على «أرانا».

خَلَقَكَ ، وَتَلَّاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ^(١) الْمُحْتَاجِبَةَ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ
لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ^(٢) وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ
لَا نِدُّ لَكَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمُتَّبُوعِينَ إِذْ
يَقُولُونَ : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ^(٣) إِذْ شَبَّهوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ
الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ^(٤) . وَجَزَّأوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ ،
وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى^(٥) بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ
بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقْتَ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ
بَيِّنَاتِكَ ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا
مُكَيِّفًا^(٦) وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُودًا مُصْرَفًا^(٧)

(١) الحقائق : جمع حق - بضم الحاء - وهو رأس العظم عند المفصل ، واحتجاب المفاصل :
استارها باللحم والجلد ، وذلك الاستتار مما له دخل في تقوية المفاصل على تأدية
وظائفها التي هي الغاية من وضعها في تدبير حكمة الله في خلقه الأبدان ، والمراد من
شبهه بالإنسان ونحوه .

(٢) غيب الضمير : باطنه ، والمراد منه هنا العلم واليقين ، أي : لم يحكم بيقينه في معرفتك
بما أنت أهل له .

(٣) العادلون بك : الذين عدلوا بك غيرك ، أي : سواه بك وشبهوك به .

(٤) نحلوك : اعطوك ، وحلية المخلوقين : صفاتهم الخاصة بهم من الجسدية وما يتبعها ،
أي : وصفوك بصفات المخلوقين ، وذلك إنما يكون من الوهم الذي لا يصل إلى غير
الأجسام ولواحقها ، دون العقل الذي يحكم فيها وراء ذلك .

(٥) قدروك قاسوك .

(٦) أي : لم تكن متناهيًا محدود الأطراف حتى تحيط بك العقول فتكيفك بكيفية مخصوصة .

(٧) « مصرفاً » أي : تصرفك العقول بافهامها في حدودك .

ومنها : قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَالْطَّفَ تَدْبِيرَهُ ،
وَوَجَّهَهُ لِوَجْهِتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنَزِلَتِهِ ، وَلَمْ يُقْصِرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ
إِلَى غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَضِعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ^(١) ، وَكَيْفَ
وَإِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ؟ الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا
رَوِيَّةٍ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا ، وَلَا قَرِيحَةٍ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا^(٢) ، وَلَا تَجَرِبَةٍ
أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ^(٣) ، وَلَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ
الْأُمُورِ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ
يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ^(٤) ، وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّيِ^(٥) ، فَأَقَامَ مِنْ
الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا^(٦) ، وَنَهَجَ حُدُودَهَا^(٧) ، وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادَّهَا ،
وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا^(٨) ، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ

(١) استصعب المركوب : لم ينقد في السير لراكبه ، وكل مخلوق خلقه الله لأمر أَرَادَهُ بلغ
الغاية مما أَرَادَ الله منه ولم يقصر دون ذلك منقاداً غير مستصعب .

(٢) غريزة : طبيعة ومزاج ، أي : ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه إلى
الفعل ، بل هو انفعال بماله بمقتضى ذاته ، لا بأمر عارض .

(٣) أفادها : استفادها .

(٤) « لم يعترض دونه » أي : دون الخلق وإجابة دعوة الله ، والريث : التناقل عن الأمر ،
أي : أجاب الخلق دعوة الخالق فيما وجهت إليه فطرته بدون مهل .

(٥) الأناة : تؤدة يمازجها روية في اختيار العمل وتركه والمتلكي : المتعلل ، يقول : أجاب
العبد ربه طائعا مقهوراً بلا تلكؤ .

(٦) أودها : أعوجاجها .

(٧) نهج : عين ورسم .

(٨) قرائنها : جمع قرينة ، وهي : النفس ، أي : وصل حبال النفوس - وهي من عالم
النور - بالأبدان ، وهي من عالم الظلمة .

وَالْأَقْدَارِ وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ^(١) . بَدَايَا خَلَائِقٍ أَحْكَمَ صُنْعَهَا^(٢) وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا .

ومنها في صفة السماء :

وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجَهَا^(٣) ، وَلَاحَمَ صُدُوعَ أَنْفِرَاجِهَا^(٤) ، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْوَاجِهَا^(٥) . وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ ، خُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا^(٦) ، نَادَاَهَا

(١) الغرائز : الطباع .

(٢) بدايا : جمع بدىء أي : مصنوع .

(٣) رهوات : جمع رهوة ، أي : المكان المرتفع . ويقال للمنخفض أيضاً ، فهو من الأضداد ، والفرج : جمع فرجة - بضم فسكون - وهي المكان الخالي ، يقول : قد فرج الله ما بين جرم وآخر من الأجرام السماوية ، ونظمها على ذلك سماء ، بدون تعليق إحداها بالآخرى ، وربطها بها بآلة حسية .

(٤) لاحم أي : ألصق ، والصدوع : جمع صدع ، وهو الشق ، أي ما كان الجرم الواحد منها من صدع لحمه سبحانه ، وأصلحه فسواه ، وذلك كما كان في بدء خلقه الأرض ، وانفصالها عن الأجرام السماوية ، وانفراج الأجرام عنها ، فلما تصدع بذلك أصلحه الله : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۚ ﴾ .

(٥) « وشج » بالتضعيف - أي : شبك من « وشج حمله » إذا شبكه بالأريطة حتى لا يسقط منه شيء ، وتقول « وشجت الغصون » بالتخفيف - أي : اشتبكت ، وتقول : « بيننا رحم واشجة » أي : مشبكة ، أي : أنه سبحانه شبك بين كل سماء وأجرامها ، وبين أرواجها - أي : أمثالها وقرنائها - من الأجرام الأخرى ، في الطبقات العليا والسفلى عنها ، بالروابط الماسكة المعنوية العامة ، وهي من أعظم المظاهر لقدرته .

(٦) الهابطين والصاعدين : الأرواح العلوية والسفلية ، والحزونة : الصعوبة ؛ وقوله « ناداها - الخ » : رجوع إلى بيان بعض ما كانت عليه قبل النظم ، يقول : كانت السموات هباء مائراً أشبه بالدخان منظراً ، وبالبخار مادة ، فتجلى من الله فيها سر التكوين فالتحمت عرى اشراجها ، والأشراج : جمع شرج - بالتحريك - وهو العروة ، هي مقبض الكوز والدلو وغيرهما ، وتقول « اشرجت العيبة » أي : أفلت =

بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِزْتِقَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا^(١) . وَأَقَامَ رَصِداً مِنَ الشُّهْبِ الشَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا^(٢) وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ^(٣) ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا^(٤) وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا^(٥) فَأَجْرَهُمَا فِي مَنَاقِلٍ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجٍ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَهَا^(٦) ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا : مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيهَا وَمَصَابِيحِ

= اشراجها ، وتسمى مجرة السماء شرجاً ، تشبيها بشرج العيبة ، وأشراج الوادي ما انفسح منه ، على التشبيه ، وأشار باضافة العرى للأشراج إلى أن كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه إليه ليتماسك به ؛ فكل ماسك وكل ممسوك : فكل عروة وله عروة .
(١) بعد أن كانت جسماً واحداً فتق الله رتقه ، وفصلها إلى أجرام بينها فرج وأبواب ، وأفرغ ما بينها بعد ما كانت صوامت ، أي : لا فراغ فيها .

(٢) النقب جمع نقب ، وهو الخرق ، « والشهب الشواقب » أي : الشديدة الضياء والرصد : القوم يرصدون كالحرص . وكون الرصد من الشهب في أصل تكوين الخلقة كما قال الامام : دليل على ما أثبتته العلم من أن الشهب مغذيات لبعض أجرام الكواكب بما نظمه لها من التفاتق ، فما نقب وخرق من جرم عوض بالشهاب ، وذلك أمر آخر غير ما جاء في الكتاب بمعنى آخر .

(٣) « وأمسكها من أن تمور » أي : تضطرب في الهواء « بأيده » أي : بقوته : « وأمرها أن تقف » أي : تلزم مراكزها لا تفارق مداراتها ؛ لا بمعنى أن تسكن .

(٤) « مبصرة » أي : جعل شمس هذه الأجرام السياوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائماً .

أ (٥) ممحوة : يمحي ضوؤها في بعض أطراف الليل في أوقات من الشهر ، وفي جميع الليل أياماً منه ، ومناقل مجراها الأوضاع التي ينقلان فيها من مداريها .

(٦) فلکها : هو الجسم الذي ارتكزت فيه ، وأحاط بها ، وفيه مدارها و« ناط بها » أي :

كَوَاكِبَهَا^(١) وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِشَوَاقِبِ شُهُبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَى
إِذْلَالٍ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتٍ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهُبُوطِهَا
وَصُعُودِهَا ، وَنَحُوسِهَا وَسُعُودِهَا^(٢)

ومنها في صفة الملائكة :

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ ، وَعَمَارَةِ الصَّفِيحِ
الْأَعْلَى^(٣) مِنْ مَلَكَوْتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ
فِجَاجِهَا ، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا^(٤) ، وَبَيَّنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ
رَجْلَ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ ، وَسُتَرَاتِ الْحُجُبِ ،
وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ^(٥) وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ

= علق بها وأحاطها ، ودرارها : كواكبها وأقمارها . والأدلال : جمع دل - بالكسر - وهو
محجة الطريق ، أي : على الطرق التي سخرها فيها .
(١) نجومها الصغار .

(٢) نحوسها وسعودها : من إقفار بعضها في عالمه ، وريع بعضها على كونه .
(٣) الصفيح : السماء ويقال لوجه كل شيء عريض : صفيح ، وصفحة . الفروج الأماكن
الخالية ، والفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين ، وحائطين .
(٤) الأجواء : جمع جو ، وأصله ما اتسع من الأودية ، ويقال لما بين السماء والأرض من
الفضاء « جو » وروى في مكانه « أجوابها » بالباء موحدة - وهو جمع جوبة ، وهي
الفرجة في السحاب وغيره .

(٥) الزجل . رفع الصوت ، والحظائر : جمع حظيرة وهي المواضع يحاط عليه لتأوي إليه
الغنم والابل توقياً من البرد والريح ، وهو مجاز هنا عن المقامات المقدسة للأرواح
الطاهرة ، والقدس - بضم فسكون ، أو بضمين - الطهر ، والتقدس : التطهير ،
والأرض المقدسة : المطهرة . السترات : جمع سترة ، وهي ما يستر به ،
والسرادقات : جمع سرادق ، وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه .

الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا^(١) فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا^(٢). وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولَى أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَتَّحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعَتِهِ ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضَعِ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ^(٣) وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلَّلاً^(٤) إِلَى تَمَاجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامٍ تَوْحِيدِهِ^(٥) لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوَصِّرَاتُ الْأَثَامِ^(٦) وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقْبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ^(٧) وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا

(١) الرجيج : الزلزلة والاضطراب ، وتستك منه أي : تصم منه الأذان لشدته ، « وسبحات نور » أي : طبقات نور ، وأصل السبحات الأنوار نفسها .

(٢) خاسئة : مدفوعة مطرودة عن الترامي إليها .

(٣) الاخبات : الخضوع والخشوع .

(٤) جمع ذلول : خلاف الصعب .

(٥) قال بعض أهل اللغة : إن منارة تجمع على منار ، وإن لم يذكره صاحب القاموس ، وأرى أن مناراً ههنا جمع منارة بمعنى المرسجة ، وهي : ما يوضع فيه المصباح ، والأعلام : ما يقام للاهتداء به على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض ، والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشفت لهم سر توحيده .

(٦) مثقلاتها ، مأخوذ من الاصر ، وهو الثقل .

(٧) ارتحله : وضع عليه الرحل ليركبه ، والعقب : جمع عقبة ، وهي النوبة ، والليل والنهار لتعاقبهما ؛ أي : لم يتسلط عليهم تعاقب الليل والنهار فيفنيهم أو يغيرهم .

عَزِيمَةً إِيْمَانِهِمْ^(١) وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ^(٢) وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةً الْإِحْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ^(٣) ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةَ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ^(٤) وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ^(٥) . مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدَّلَّحِ^(٦) وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشَّمَخِ ، وَفِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَبْهَمِ^(٧) ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَهِيَ كَرَائِيَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ^(٨) وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ أَتَتْهُ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، قَدْ اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ^(٩)

(١) النوازع : جمع نازعة وهي النجم أو القوس ، وعلى الأول المراد منها الشهب ، وعلى الثاني تكوين الباء في بنوازعها بمعنى من ، وروى في مكانه « بنوازعها » بالغين المعجمة - وهو مأخوذ من « نزع بينهم » أي : أفسد .

(٢) جمع معقد : محل العقد ، بمعنى الاعتقاد .

(٣) الاحن : جمع إحنة ، وهي الحقد والضغينة .

(٤) لاق : لصق ، و « أثناء صدورهم » جمع ثني ، وهي التضاعيف .

(٥) تقترع : يروي بالقاف المثناة - من الاقتراع ، بمعنى ضرب القرعة ، ويروي بالفاء الموحدة ، أي . تعلو برينها فرعه ، أي علاه ، والرين - بفتح الراء - الدنس ، وما يطبع على القلب من حجب الجهالة وفي التنزيل ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

(٦) جمع دالح ، وهو : الثقيل بالماء من السحاب .

(٧) القترة هنا : الخفاء والبطون ، ومنها قالوا : أخذه على قترة ، أي : من حيث لا يدري ، والأبهم - بباء موحدة بعد الهمزة - أصله من لا يعقل ولا يفهم ، وصف به الليل وصفا للشيء بما ينشئ عنه ؛ فان الظلام الحالك يوقع في الحيرة ، ويأخذ بالفهم عن رشاده .

(٨) مواضع ما خرقت أقدامهم .

(٩) جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها .

وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَقَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى
 أَوَّلِهِ إِلَيْهِ (١) وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ ، قَدْ
 ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ (٢) وَتَمَكَّنَتْ
 مِنْ سُودَاءِ قُلُوبِهِمْ (٣) وَشَيْجَةُ خِيفَتِهِ (٤) فَحَنُوا بِطُولِ الطَّاعَةِ
 أَعْيَدَالِ ظُهُورِهِمْ ، وَلَمْ يُنْفِذْ طَوْلُ الرِّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ (٥) وَلَا
 أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبْقَ خُشُوعِهِمْ (٦) ، وَلَمْ يَتَوَلَّهِمُ الْإِعْجَابُ
 فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ أَسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ (٧)
 نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجِرِ أَلْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طَوْلِ
 دُؤُوبِهِمْ ، وَلَمْ تَغْضُ رَغَبَاتُهُمْ (٨) فَيَخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ ، وَلَمْ
 تَجِفَّ لِطَوْلِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ (٩) ، وَلَا مَلَكَتْهُمْ الْأَشْغَالُ
 فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ (١٠) وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ

(١) شدة الشوق إليه .

(٢) الروية : التي تروي وتطفىء العطش .

(٣) محل الروح الحيواني من مضغة القلب .

(٤) الوشيحة : أصلها عرق الشجرة ، أراد منها هنا بواعث الخوف من الله .

(٥) أي : إن شدة رجائهم لم تفن مادة خوفهم وتذلهم .

(٦) جمع ربيعة - بالكسر والفتح - وهي : العروة من عرى الربق - بكسر الراء - وهو : حبل فيه عدة عرى تربط فيه البهم .

(٧) الاستكانة : ميل للسكون من شدة الخوف ، ثم استعملت في الخضوع .

(٨) دأب في العمل : بالغ في مداومته حتى أجهده .

(٩) الأسلات : جمع أسلة ، اللسان : طرفه ، أي : لم تيبس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره .

(١٠) الهمس : الخفي من الصوت ، والجوار : رفع الصوت بالتضرع ، أي : لم يكن لهم عن الله شاغل يضطرهم للهمس والاختفاء وخفض جوارهم بالدعاء إليه .

الطَّاعَةِ مَنَاجِبُهُمْ^(١) ، وَلَمْ يَشْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ ،
وَلَا تَعْدُوا^(٢) عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بِلَادَةِ الْغَفَلَاتِ ، وَلَا تَتَضَلَّ فِي
هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ^(٣) قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ
فَاقَتِهِمْ^(٤) . وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ^(٥)
لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمْ الْإِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ
طَاعَتِهِ^(٦) إِلَّا إِلَى مَوَادٍّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ^(٧)
لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ^(٨) فَيُنُوا فِي جِدِّهِمْ^(٩) وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ
الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ^(١٠) وَلَمْ يَسْتَعْظُمُوا
مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ اسْتَعْظُمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ
شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ^(١١) وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِأَسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ

(١) المقاوم : جمع مقام ، والمراد الصفوف .

(٢) لا تسطو .

(٣) انتضلت الابل : رمت بأيديها في السير سرعة . وخدائع الشهوات للنفس منها ، أي :
لم تسلك خدائع الشهوات طريقاً إلى همهم فتفترها .

(٤) حاجتهم .

(٥) يمموه : قصدوه بالرغبة والرجاء عندما انقطعت الخلق سواهم إلى المخلوقين .

(٦) الاستهتار : التولع .

(٧) مواد : جمع مادة ، أصلها من « مد البحر » إذا زاد ، وكل ما أعنت به غيرك فهو
مادة ، ويريد بها البواعث المعينة على الأعمال ، أي : كلما تولعوا بطاعته زادت بهم
البواعث عليها من الرغبة والرهبة .

(٨) الشفقة : الخوف . (٩) ونى بنى : تأنى .

(١٠) وشيك السعي : مقاربه وهينه ، أي : إنه لا طمع لهم في غيره فيختاروا هين السعي
على الاجتهاد الكامل .

(١١) الشفقات : تارات الخوف وأطواره ، وهو فاعل نسخ ، والرجاء : مفعول . والوجل :
الخوف أيضاً .

عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءَ التَّقَاطُعِ ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ ،
وَلَا شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيبِ^(١) ، وَلَا أَقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهَمِّ^(٢) ،
فَهُمْ أُسْرَاءُ إِيْمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رَبْقَتِهِ زَيْغٌ ، وَلَا عُذُولٌ وَلَا وَنَى
وَلَا قُتُورٌ^(٣) ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ^(٤) إِلَّا وَعَلَيْهِ
مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِذٌ^(٥) يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ
عِلْمًا ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظْمًا .

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء^(٦)

كَبَسَ الْأَرْضَ^(٧) عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجِلَةٍ ، وَلُجَجٍ بِحَارٍ
زَاخِرَةٍ^(٨) تَلْتَطِمُ أُوذِيَّ أَمْوَاجِهَا^(٩) وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا^(١٠)

(١) شعبتهم : فرقتهم صروف الريب : جمع ريبة ، وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق .

(٢) جمع خيف - بالفتح - وهو في الأصل : ما انحدر عن سفح الجبل ، والمراد هنا سواقط الهمم ؛ فان التفرق والاختلاف كثيراً ما يكون من انحطاط الهمة ، بل أعظم ما يكون منه ينشأ عن ذلك ، وقد يكون الخيف بمعنى الناحية ، أي : متطرفات الهمم .

(٣) اللون : مصدر ونبي - كتعب - أي تأن .

(٤) جلد حيوان .

(٥) خفيف ، سريع .

(٦) دحوها بسطها .

(٧) كبس النهر والبئر ، أي : طمهما بالتراب ، وعلى هذا كان حق التعبير كبس بها مور أمواج . لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل . والمور : التحرك الشديد ، والمستفحلة : الهائجة التي يصعب التغلب عليها .

(٨) ممتلئة .

(٩) جمع أذي ، وهو أعلى الموج .

(١٠) اصطفقت الأشجار : اهتزت بالريح والأثباح : جمع ثبح - بالتحريك - وهو في الأصل =

وَتَرَعُّوا زَبَدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هَيَاجِهَا ، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ
 الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ آرْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ
 بِكُلْكُلِهَا (١) ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِيًّا (٢) إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا (٣) فَأَصْبَحَ
 بَعْدَ أَصْطِخَابِ أُمُوجِهِ (٤) سَاجِيًّا مَقْهُورًا (٥) ، وَفِي حَكْمَةِ الدُّلِّ
 مُنْقَادًا أُسِيرًا (٦) وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَذْحُوءَةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ
 نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَأَعْتَلَّاهِ (٧) وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوءِ غُلَوَائِهِ (٨) وَكَعَمَّتْهُ (٩)
 عَلَى كِظَّةِ جَرَّتِيهِ (١٠) فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ (١١) وَلَبَدَ بَعْدَ زَيْفَانٍ وَثْبَاتِهِ (١٢)
 فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا (١٣) وَحَمَلَ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ

= ما بين الكاهل والظهر ، أو صدر القطة ، استعاره لأعالي الموج ، التي يقذف بعضها بعضاً .

(١) هو في الأصل الصدر ، استعاره لما لاقى الماء من الأرض .

(٢) منكسراً ، مسترخياً .

(٣) من « تمعكت الدابة » أي : تمرغت في التراب .

(٤) اصطخاب : افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت .

(٥) ساجياً : ساكناً .

(٦) الحكمة - محركة - ما أحاط بحنكي الفرس من لجانه وفيها العذران .

(٧) الكبر ، والزهو .

(٨) بضم الغين وفتح اللام : النشاط وتجاوز الحد .

(٩) كعم البعير - كمنع - شد فاه لثلا يعض أو يأكل ، وما يشد به كعام ككتاب .

(١٠) الكظة - بالكسر - ما يعرض من امتلاء البطن بالطعام ويراد بها هنا ما يشاهد في جري الماء من ثقل الاندفاع .

(١١) النزق والنزقان الطيش .

(١٢) الزيفان : التبختر في المشية ، ولبد - كفرح ونصر - أي : قام ووثب .

(١٣) نواحيها .

الشَّمَخِ الْبَذَخِ عَلَى أَكْتَاْفِهَا^(١) فَجَرَّ يَنَابِيعَ الْغُيُونِ مِنْ عَرَائِنِ
 أَنْوْفِهَا^(٢) ، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبٍ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا^(٣) وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا
 بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا^(٤) وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشَّمِّ^(٥) مِنْ
 صَيَاخِيدِهَا^(٦) فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيدَانِ^(٧) لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطْعِ
 أُدِيمِهَا^(٨) وَتَغْلُغْلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُوبَاتِ خِيَاشِيمِهَا^(٩) وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ
 سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ وَجَرَائِيمِهَا^(١٠) وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنِهَا ، وَأَعَدَّ
 الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا^(١١)

(١) البَذَخُ بمعنى الشَّمَخِ ، جمع شامخ وباذخ ، أي عال ورفيع غير أني أجده من لفظ الباذخ
 معنى أخص وهو للفخامة مع الارتفاع وحمل : عطف على أكتاف .

(٢) عرائن : جمع عرنين - بالكسر - وهو ما صلب من عظم الأنف والمراد اعالي الجبال ،
 غير أن الاستعارة من الطف أنواعها في هذا المقام .

(٣) السهوب : جمع سهب - بالفتح - أي : الفلاة ، والبيد : جمع بيداء ، والأخاديد : جمع
 أخدود ، وهي الحفر المستطيلة في الأرض ، والمراد منها مجاري الأنهار .

(٤) الضمير للأرض ، كما يظهر من بقية الكلام ، والجلاميد : جمع جلمود ، وهو الحجر
 الصلد .

(٥) الشناخيب : جمع شنخوب ، وهو رأس الجبل ، والشم : الرفيعة .

(٦) جمع صيخود ، وهو : الصخرة الشديدة .

(٧) بالتحريك : والاضطراب .

(٨) سطوحها .

(٩) التغلغل : المبالغة في الدخول ، و« متسربة » أي : داخله ، والجوبات : جمع جوبة ،
 بمعنى الحفرة ، والخياشيم : جمع خيشوم ، وهو منفذ الأنف إلى الرأس ، أو مارق من
 الغراضيف الكائنة فوق قصبه الأنف متصلة بالرأس وضمير « تغلغلها » للجبال ،
 و« خياشيمها » للأرض ، والمجاز ظاهر .

(١٠) ركوب الجبال أعناق السهول : استعلاؤها عليها ، وأعناقها : سطوحها ، وجرائيمها :
 ما سفلى عن السطوح من الطبقات الترابية ، واستعلاء الجبال عليها ظاهر .

(١١) مرافق البيت : ما يستعان به فيه ، وما يحتاج إليه في التعيش ، خصوصاً ما يكون من =

ثُمَّ لَمْ يَدْعُ جُرُزَ الْأَرْضِ (١) الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا (٢)
وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا (٣) حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً
سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا (٤) وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا ، أَلْفَ غَمَامَةٍ أَفْتِرَاقٍ
لَمَعِهِ (٥) وَتَبَايُنٍ قُزْعِهِ (٦) حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ (٧)
وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفْفِهِ (٨) ، وَلَمْ يَنْمِ وَمِيضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ (٩)
وَمُتْرَاكِمِ سَحَابِهِ ، أَرْسَلَهُ سَحًا مُتَدَارِكًا (١٠) ، قَدْ أَسْفَ هَيْدَبُهُ (١١)

= الأماكن ، أو هو ما يتم به الانتفاع بالسكنى كمصايب المياه والطرق الموصلة إليه
والأماكن التي لا بد منه للساكين فيه لقضاء حاجاتهم وما يشبه ذلك .

(١) الأرض الجرز - بضمتين - التي تمر عليها مياه العيون فتنبت .

(٢) مرتفعاتها .

(٣) ذريعة : وسيلة .

(٤) الموات من الأرض : ما لا يزرع .

(٥) جمع لمعة - بضم اللام - وهي في الأصل القطعة من النبات مالت للليس ، استعارها
لقطع السحاب للمشابهة في لونها وذهابها إلى الاضمحلال ، لولا تأليف الله لها مع
غيرها .

(٦) جمع قزعة - محركة - وهي : القطعة من الغيم .

(٧) تمخضت : تحركت تحركاً شديداً كما يتحرك اللبن في السقاء بالمخض ، والضمير في
« فيه » راجع إلى المزن ، أي : تحركت اللجة التي يحملها المزن فيه ، ويصح أن يرجع
للغمام في أول العبارة .

(٨) جمع كفة - بضم الكاف - وهي الحاشية والطرف لكل شيء ، أي : جوانبه .

(٩) نامت النار : عمدت ، والوميض : اللمعان ، والكنهور - كسفرجل - القطع العظيمة
أو المتراكم منه . والرباب - كسحاب - الأبيض المتلاحق منه . أي : لم يهدم لمعان
البرق في ركاب هذا الغمام .

(١٠) سحاً : متلاحقاً متواصلاً .

(١١) أسف الطائر : دنا من الأرض ، والهيدب - كجعفر - السحاب المتدلي ، أو ذيله .
وقوله « تمريه » من « مري الناقة » أي : مسح على ضرعها ليحلب لبنها . والدرر -

تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دَرَرَ أَهَاضِيْبِهِ وَدَفَعَ شَايِيْبِهِ (١) فَلَمَّا أَلْقَتْ السَّحَابُ
بَرَكَ بَوَائِيْهَا (٢) ، وَيَعَاغَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ (٣) مِنْ أَلْعَبِءِ الْمَحْمُولِ
عَلَيْهَا (٤) أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ (٥) وَمِنْ زُغْرِ الْجِبَالِ
الْأَعْشَابَ (٦) فَهِيَ تَبْهَجُ بِزَيْنَةِ رِيَاضِهَا (٧) وَتَزْدَهِي (٨) بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ
رَيْطٍ (٩) أَزَاهِيْرِهَا (١٠) وَحِلْيَةٍ مَا سُمِطَتْ بِهِ (١١) مِنْ نَاصِرٍ أَنْوَارِهَا (١٢)

= كعلل جمع درة - بالكسر - وهي اللبن ، والاهاضيب : جمع أهضاب ، وهو جمع
هضبة - كضربة - وهي المطرة ، أي : دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء ، وريح
الجنوب تستدر الماء كما يستدر الحالب لبن الناقة ؛ فان الريح تحركه فيصب ما فيه .

(١) جمع شؤبوب ، وهو ما ينزل من المطر بشدة .
(٢) البرك - بالفتح - في الأصل : ما يلي الأرض من جلد صدر البعير كالبركة ، والبواني :
هي أضلاع الزور ، وشبه السحاب بالناقة إذا بركت وضربت بعنقها على الأرض
ولا طمتها بأضلاع زورها . واشتبه ابن أبي الحديد في معنى البرك والبواني فأخرج الكلام
عن بلاغته .

(٣) و « بعاع » عطف على « برك » والبعاع - بالفتح - ثقل السحاب من الماء ، وألقى
السحاب بعاعة : أمطر كل ما فيه .

(٤) العباء : الحمل .

(٥) الهوامد من الأرض : ما لم يكن بها نبات .

(٦) زعر - بالضم - جمع أزعر ، وهو الموضع : القليل النبات . والأثنى زعراء ،

(٧) بهج - كمنع - : سر وأفرح .

(٨) تعجب .

(٩) جمع ريطه - بالفتح - وهو كل ثوب رقيق لين .

(١٠) جمع أزهر الذي هو جمع زهرة بمعنى النبات .

(١١) « سمط » من « سمط الشيء » أي : علق عليه السموط ، وهي : الخيوط تنظم فيها
القلادة .

(١٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون وهو الزهر بالمعنى المعروف أي : حلية القلائد التي
علقت عليها من أزهار نباتها ، وفي رواية « شمطت » بالشين وتخفيف الميم - من =

وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنَامِ (١) وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ الْعِجَابَ فِي
 آفَاقِهَا ، وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلْسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا .
 فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ (٢) ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، اخْتَارَ آدَمَ ، عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ (٣) وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلَّتِهِ (٤) وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ،
 وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ
 عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ
 عَنْهُ - مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ - فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ
 بِنَسْلِهِ ، وَلِيَقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ ، مِمَّا يُؤَكِّدُ
 عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَيَتَنَ مَعْرِفَتِهِ ،
 بَلْ تَعَاهَدُهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى السُّنَنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي
 وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرَنًا فَقَرَنًا ، حَتَّى تَمُتَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعِ عُذْرُهُ وَنُذْرُهُ (٥) ، وَقَدَّرَ
 الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا ، وَقَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا

= « شمطه » إذا خلط بلون آخر ، والشميط من النبات : ما كان فيه لون الخضرة مختلطاً
 بلون الزهر .

(١) البلاغ : ما يتبلغ به من القوت .

(٢) مهد أرضه : سواها وأصلحها ، ومنه المهاد ، وهو الفراش ، وتقول : مهدت
 الفراش - من باب قطع - أي : بسطته وسويته .

(٣) يجوز في خيرة أن تكون بكسر الخاء وفتح الياء - بوزان عتبة - وهو الاسم من قولك :
 اختار الله محمداً ، ويجوز أن تكون بكسر الخاء والياء ساكنة .

(٤) خلقته .

(٥) المقطع : النهاية التي ليس وراءها غاية .

لِيَتَّبِعِي مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا وَلِيُخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غِنِيِّهَا
وَفَقِيرِهَا ، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقْتَهَا (١) وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ
آفَاتِهَا ، وَبِفُرجٍ أَفْرَاجِهَا (٢) غُصَصَ أَتْرَاجِهَا (٣) وَخَلَقَ الْأَجَالَ
فَاطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا (٤)
وَجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا (٥) ، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا (٦) عَالِمُ السِّرِّ مِنْ
ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ (٧) وَخَوَاطِرِ رَجْمِ
الظُّنُونِ (٨) وَعَقْدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ (٩) وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ (١٠)

(١) العقابيل : الشدائد . جمع عقبولة - بضم العين - وأصل العقابيل قروح صغار تخرج
بالشفة من آثار المرض ، والفاقة : الفقر .

(٢) الفرج : فرجة ، وهي التفصي من الهم .

(٣) جمع ترح - بالتحريك - وهو الغم والهلاك .

(٤) حبالها .

(٥) خالجاً : جاذباً لأشطانها جمع شطن - كسبب - وهو الحبل الطويل ، شبه به الأعمار
الطويلة .

(٦) المرائر : جمع مريرة ، وهو الحبل يفتل على أكثر من طاق ، أو الشديد الفتل ،
والأقران : جمع قرن - بالتحريك - وهو الحبل يجمع به بعيران وذكره لقوته أيضاً ،
وإضافة المرائر للأقران بعد استعمالها في الشديدة بلا قيد أن تكون حبالاً .

(٧) التخافت : المكاملة سراً .

(٨) رجم الظنون : ما يخطر على القلب أنه وقع أو يضح أن يقع بلا برهان .

(٩) العقد : جمع عقدة ؛ وهو ما يرتبط القلب بتصديقه : لا يصدق نقيضه ، ولا يتوهمه
والعزيمات : جمع عزيمة ؛ وهو ما يوجب البرهان الشرعي أو العقلي تصديقه والعمل
به .

(١٠) جمع مسرق : مكان مسارقة النظر أو زمانها ، أو البواعث عليها ، أو من « فلان يسارق
فلاناً النظر » ، أي : ينتظر منه غفلة فينظر إليه . والإيماض اللمعان ، وهو أحق أن
ينسب إلى العيون لا إلى الجفون ، ونسبته إلى الجفون لأنه ينبعث من بينها .

وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغِيَابَاتُ الْغُيُوبِ^(١) وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ
مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ^(٢) وَمَصَائِفِ الذَّرِّ^(٣) وَمَشَاتِي الْهَوَامِ^(٤) وَرَجْعِ
الْحَنِينِ مِنَ الْمُؤَلَّهَاتِ^(٥) وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ^(٦) وَمُنْفَسِحِ الثَّمَرَةِ مِنْ
وَلَائِحِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ^(٧) وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ
وَأَوْدِيَّتَيْهَا^(٨) ، وَمُخْتَبِئِ الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيِّتَيْهَا^(٩)
وَمَغْرِزِ الْأُورَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ^(١٠) وَمَحْطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ
الْأَصْلَابِ^(١١) وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَاكِمِهَا ، وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي

(١) ضمنت : حوته ، والأكنان : جمع كن - بالكسر - وهو كل ما يستتر فيه ؛ وغيابات
الغيوب : أعماقها .

(٢) استراق الكلام : استماعه خفية ، والمصائخ : جمع مصاخ ، وهو مكان الإصاخة ، وهو
نقبة الأذن .

(٣) الذر : صغار النمل ، ومصائفها : محل إقامتها في الصيف ، وهو وما بعده عطف على
ضائر المضميرين .

(٤) مشاتها : محل إقامتها في الشتاء .

(٥) المؤلهات : الحزينات ، ورجع الحنين : ترديده .

(٦) الهمس : أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض .

(٧) منفسح الثمرة : مكان نموها ؛ من الولائح : جمع وليجة ، بمعنى البطانة الداخلية .
والغلغ : جمع غلاف . والأكمام جمع كم - بالكسر - وهو غطاء النوار ووعاء الطلع .

(٨) منقمع الوحوش : موضع انقماها - أي اختفائها - والغيران : جمع غار .

(٩) سوق : جمع ساق ، وهو أسفل الشجرة تقوم عليه ، فروعها ، والأحية : جمع لحاء ،
وهو قشر الشجرة .

(١٠) الغصون .

(١١) الأمشاج : النطف : جمع مشيج - مثل يتيم وأيتام - وأصله مأخوذ من « مشج » إذا
خلط ، لأنها مختلطة من جراثيم مختلفة كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن .
ومسارب الأصلاب : جمع مسرب ، وهي : ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو عند
تكوينه .

مُتْرَاكِمَهَا ، وَمَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا^(١) وَتَعْفُو الْأَمْطَارُ
بِسُيُولِهَا^(٢) وَعَوْمِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرَّمَالِ^(٣) وَمُسْتَقَرَّ ذَوَاتِ
الْأَجْنَحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ^(٤) الْجِبَالِ وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَاجِيرِ
الْأَوْكَارِ^(٥) ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ^(٦) وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ
الْبَحَارِ^(٧) وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ^(٨) أَوْ ذَرٌّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ^(٩) ، وَمَا
اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاجِيرِ^(١٠) وَسُبُحَاتُ النُّورِ . وَآثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ،
وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةِ ، وَمُسْتَقَرَّ
كُلِّ نَسَمَةٍ ، وَمِثْقَالَ كُلِّ ذَرَّةٍ ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَةٍ^(١١) وَمَا
عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ^(١٢) أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ ، أَوْ قَرَارَةٍ نُظْفَةٍ^(١٣) أَوْ نُقَاعَةٍ

(١) سفت الريح التراب : ذرته أو حملته ، والأعاصير : جمع إعصار ، وهي ريح تثير
السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود .

(٢) تعفو : تمحو .

(٣) الكثبان : جمع كتيب ، وهو التل .

(٤) الذرى : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء ، والشناخيب : رؤوس الجبال واحدها
شنخوب أو شنخوية كعصفور وعصفورة .

(٥) تغريد الطائر : رفع صوته بالغناء ، وهو نطقه ، والدياجير : جمع ديجور ، وهو
الظلمة .

(٦) أوعبته : جمعته .

(٧) حضنت عليه : ربه فتولد في حضنها ، كالعنبر ونحوه .

(٨) سدفة : ظلمة .

(٩) ذر : طلع .

(١٠) اعتقبت : تعاقبت وتوالت ، والأطباق : الأغطية ، والدياجير : الظلمات ، وسبحات
النور : درجاته وأطواره .

(١١) هماهم : هموم « مجاز من الهمهمة » : وهي ترديد الصوت في الصدر من الهم .

(١٢) « عليها » أي : على الأرض . (١٣) قرارتها : مقرها .

دَمٍ وَمُضْغَةٍ^(١) أَوْ نَاشِئَةٍ خَلَقَ وَسَلَّالَةً ، لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُفَّةٌ ،
وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ^(٢) ، وَلَا
اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَذْيِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فِتْرَةٌ^(٣) بَلْ نَفَذَ
فِيهِمْ عِلْمَهُ وَأَحْصَاهُمْ عَدَّهُ ، وَوَسَّعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ ،
مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ^(٤) ، إِنَّ
تَوْمَلَ فَخِيرٌ مَأْمُولٌ ، وَإِنْ تَرَجَّ فَآكِرٌ مَرْجُوٌّ . اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي
فِيمَا لَا أُمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَلَا أُوجِّهُهُ
إِلَى مَعَادِنِ الْخَبِيَّةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيَّةِ^(٥) وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ
الْأَدَمِيِّينَ وَالنَّسَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ . اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مَثْنٍ
عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ^(٦) مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ ، وَقَدْ
رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ . اللَّهُمَّ وَهَذَا
مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ ، وَلَمْ يَرِ مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ
الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا

(١) نقاعة : عطف على نقطة ، ونقاعة الدم : ما ينقع منه في أجزاء البدن ، والمضغة عطف

على نقاعة ، أي : يعلم مقر جميع ذلك .

(٢) هي ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله .

(٣) اعتورته : تداولته وتناولته .

(٤) المبالغة في عد كمالك إلى ما لا ينتهي .

(٥) هم المخلوقون .

(٦) ثواب وجزاء .

فَضْلُكَ ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مِنْكَ وَجُودُكَ^(١) ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

ومن خطبة له عليه السلام

٩٥

لَمَّا أَرَادَهُ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ بَعْدَ قَتْلِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

دَعُونِي وَالتَّمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَالْوَانُ ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ^(٢) وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ^(٣) ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ . وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أَضْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتَبِ الْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ أَمْرُكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا .

(١) الخلة - بالفتح - الفقر ، والمن : الاحسان .

(٢) لا تصبر له ولا تطيق احتماله .

(٣) أغامت : غطيت بالغيم ، والمحجة : الطريق المستقيمة . و« تنكرت » أي : تغيرت علائمها فصارت مجهولة ، وذلك أن الأطماع كانت قد تنبعت في كثير من الناس ، على عهد عثمان رضي الله عنه ، بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء ؛ فلا يسهل عليهم - فيما بعد - أن يكونوا في مساواة مع غيرهم ، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه ، وطلبوا طائشة الفتنة ، طمعاً في نيل رغباتهم ، وأولئك هم أغلب الرؤساء في القوم ، فان أقرهم الإمام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد أقر ظلماً ، وخالف شرعاً ، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالنصفة : إن لم ينالوها تحرشوا للفتنة ، فأين المحجة للوصول إلى الحق على أمن من الفتن ؟؟ وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها .

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ ؛ فَأَنَا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ (١) وَلَمْ تَكُنْ
لِيَجْرُو عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهَا (٢) وَأَشْتَدَّ كَلْبُهَا (٣)
فَأَسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ
شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مَائَةً وَتُضِلُّ مَائَةً
إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا (٤) وَقَائِدِهَا ، وَسَائِقِهَا . وَمُنَاحِ رِكَابِهَا ، وَمَحَطِّ
رِحَالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا ، وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا ، وَلَوْ قَدْ
فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَاهِيَةُ الْأُمُورِ (٥) وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ (٦)
لَأُطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ ، وَفُشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ ، وَذَلِكَ إِذَا
قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ (٧) وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا
تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ

(١) شققتهما وقلعتهما : تمثيل لتغلبه عليها ، وذلك كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج .

(٢) الغيب : الظلمة ، وموجها : شمولها وامتدادها .

(٣) الكلب - محرقة - داء معروف يصيب الكلاب ، فكل من عضته أصيب به فجن ومات ، شبه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحداً إلا أهلكته .

(٤) ناعقها : الداعي إليها ، مأخوذ من « نعى بغنمه » : إذا صاح بها لتجتمع .

(٥) الكراهة : جمع كربة .

(٦) الحوازب : جمع حازب ، وهو الأمر الشديد ، تقول : « حزه الأمر » إذا اشتد عليه .

(٧) قلصت - بتشديد اللام - غادت ، واستمرت ، وبتخفيفها : وثبت .

مِنْكُمْ ؛ إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شُبَّهَتْ^(١) وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ^(٢) :
يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحْمَنَ حَوْلَ الرِّيَّاحِ يُصْبِنَ
بَلَدًا وَيُخْطِئْنَ بَلَدًا ، أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي
أُمَيَّةَ ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ : عَمَّتْ خُطْبُهَا^(٣) وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ،
وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا^(٤) وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا ،
وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ
الضَّرُوسِ^(٥) : تَعْذُمُ فِيهَا ، وَتَخِطُ بِبَيْدِهَا ، وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا ،
وَتَمْنَعُ دَرَّهَا ، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرَكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ
غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ ، وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ أَنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ
مِنْهُمْ إِلَّا كَأَنْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحِيهِ^(٦) تَرِدُ
عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَةٍ^(٧) وَقِطْعًا جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ
هُدًى ، وَلَا عِلْمٌ يُرَى^(٨) نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ^(٩) وَلَسْنَا فِيهَا

(١) اشتبه فيها الحق بالباطل .

(٢) لأنها تعرف بعد انقضائها ، وتنكشف حقيقتها فتكون عابرة .

(٣) الخطبة - بالضم - الأمر ، أي : شمل أمرها ؛ لأنها رئاسة عامة ، وخصت بليتها آل البيت ؛ لأنها اغتصاب لحقهم .

(٤) من عرف الحق فيها نزل به بلاء الانتقام من بني أمية .

(٥) الناب : الناقة المسنة ، والضروس : السيئة الخلق تعض حالها ، وتعذب : من « عذم الفرس » إذا أكل بخفاء أو عض ، و « تزبن » أي : تضرب ، ودرها : لبنها ، والمراد خيرها .

(٦) التابع من متبوعه ، أي انتصار الأذلاء ، وما هو بانتصار .

(٧) شوهاء : قبيحة المنظر ، ومخشية : مخوفة مرعبة .

(٨) دليل يهتدي به .

(٩) بمكان النجاة من إثمها .

بِدُعَاةٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ (١) : بِمَنْ يَسُومُهُمْ
خَسْفًا (٢) وَيَسُوقُهُمْ غُنْفًا ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ (٣) لَا يُعْطِيهِمْ
إِلَّا السَّيْفَ ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ (٤) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ ،
بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا ، وَلَوْ قَدَرْتُ جَزْرَ جَزُورٍ (٥)
لَأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضُهُ فَلَا يُعْطُونَنِي .

ومن خطبة له عليه السلام

٩٧

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بَعْدُ الْهَمَمِ ، وَلَا يَنَالُهُ حُسْنُ
الْفِطَنِ ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي ، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي .

منها في وصف الأنبياء :

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ ،
تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَضْلَابِ (٦) إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ ، كُلَّمَا مَضَى
مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلَفٌ ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ

(١) كما يسلم الخلد عن اللحم .

(٢) يلزمهم ذلاً ، وقوله « بمن » متعلق بيفرجها .

(٣) مملوءة إلى أصبارها ، جمع صبر - بالضم ، والكسر - بمعنى الحرف ، أي : إلى رأسها .

(٤) « أحلس البعير » إذا ألبسه الحلس - بكسر الحاء المهملة - وهو : كساء يوضع فوق ظهره تحت البرذعة ، أي : لا يكسوه إلا خوفاً .

(٥) الجزور : الناقة المجزورة ، أو هو البعير مطلقاً : والشاة المذبوحة ؛ أي : ولو مدة ذبح البعير أو الشاة .

(٦) تناسختهم : تناقلتهم .

سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ
أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِبْتًا^(١) وَأَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا^(٢) مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي
صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ^(٣) ، وَأَنْتَخَبَ مِنْهَا أَمَنَاءَهُ^(٤) عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثَرِ^(٥)
وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتْ فِي حَرَمٍ ،
وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ^(٦) لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ ، وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ ، فَهُوَ إِمَامٌ
مَنْ أَتَقَى ، وَبَصِيرَةٌ مَنْ أَهْتَدَى ، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ ، وَشِهَابٌ
سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ^(٧) وَسُتَّتُهُ الرُّشْدُ ،
وَكَلَامُهُ الْفَضْلُ ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ ، أُرْسِلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ
الرُّسُلِ^(٨) وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ^(٩) وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأَمَمِ .

أَعْمَلُوا ، رَجَحْكُمْ اللَّهُ ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ^(١٠)
يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ^(١١) ،

(١) كمجلس : موضع النبات ينبت فيه .

(٢) الأرومات جمع أرومة : وهي الأصل ، والمغرس : موضع الغرس .

(٣) صدع فلاناً : قصده لكرمه ، أي : اختصهم بالنبوة من بين فروعها ، وهي شجرة
إبراهيم عليه السلام .

(٤) انتخب : اختار .

(٥) عِثْرَتُهُ : آل بيته ، وأسرة الرجل : رهطه الأدنون .

(٦) بسقت : ارتفعت .

(٧) الاستقامة .

(٨) الفترة : الزمان بين الرسولين .

(٩) هفوة : زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على السنة-الانبياء السابقين .

(١٠) واضح ، قويم ، ويدعو إلى دار السلام : يوصل إليها .

(١١) مستعتب - بفتح التاءين - طلب العتبي ، أي : الرضا من الله بالأعمال النافعة .

وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ،
وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ .

ومن خطبة له عليه السلام

٩٣

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالًا فِي حَيْرَةٍ ، وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدْ
اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ^(١) وَاسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ
الْجَهْلَاءُ^(٢) . حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ ،
فَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى
الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .

ومن خطبة أخرى

٩٤

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ ،
وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ .

منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ

(١) استزلتهم : أدت بهم للزلل والسقوط في المضار ، وتأنيث الفعل على تأويل أن الكبرياء

صفة ، وفي رواية « واستزلهم الكبرياء » أي : اضلهم كبرائهم وسادتهم .

(٢) استخفتهم : طيشتهم ، والجاهلية : حالة العرب قبل نور العلم الإسلامي والجهلاء :
وصف لها للمبالغة .

الْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ^(١) قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفِيدَةُ الْأَبْرَارِ ،
وُثِنَتْ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأَبْصَارِ^(٢) ، دَفِنَ بِهِ الضَّغَائِنُ^(٣) وَأَطْفَأَ بِهِ
الشَّوَائِرَ^(٤) ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا^(٥) أَعَزَّ بِهِ الدُّلَّةَ^(٦) ،
وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ ، كَلَامُهُ بَيَانٌ ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ .

ومن خطبة له عليه السلام

٩٥

وَلَيْتَنِي أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ^(٧) وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى
مَجَازِ طَرِيقِهِ ، وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغٍ رِيقِهِ^(٨) أَمَّا وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُظْهِرَنَّ هَوْلَاءِ الْقَوْمِ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لَانَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ
مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ
حَقِّي . وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ

(١) المهاد : جمع مهاد - كمقعد - ما يمهد ، «أي : يبسط ، فيه الفراش ونحوه ، أي : إنه ولد في اسلم موضع وأنقاه من دنس السفاح .

(٢) الأزمة - كائنة - جمع زمام ، واثناء الأزمة إليه عبارة عن تحولها نحوه .

(٣) الأحقاد ، فهو رسول الالفة ، وأهل دينه المتألفون المتعاونون على الخير ، ومن لم يكن في عروة الالفة منهم فهو - والله أعلم - خارج عنهم .

(٤) جمع ثائرة : وهي العداوة الواثبة بصاحبها على أخيه ليضره إن لم يقتله .

(٥) وفرق به أقران الالفة على الشرك .

(٦) ذلة الضعفاء من أهل الفضل المستترين بحجب الخمول ، وأذل به عزة الشرك والظلم والعدوان .

(٧) لا يذهب عنه أن يأخذه .

(٨) الشجى : ما يعترض في الخلق من عظم وغيره ، ومساغ الريق : ممره من الخلق ، والكلام تمثيل لقرب السطوة الإلهية من الظالمين .

ظَلَمَ رَعِيَّتِي : اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا . أَشْهُودُ كُفْيَابُ^(١) وَعَيْدُ كَارِبَابُ ؟ ! أَتْلُو عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعْظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحْثُكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ الْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيْدِي سَبَا^(٢) تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَدَاعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أَقَوْمُكُمْ غُدُوَّةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهَرِ الْحَيَّةِ^(٣) عَجَزَ الْمُقَوْمُ ، وَأَعْضَلَ الْمُقَوْمُ^(٤) .

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، الْمُبْتَلَى بِهِمْ أَمْرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ ؟ ! لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدَّرْهِمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَأَثْنَتَيْنِ : صُمُّ ذَوُو أَسْمَاعٍ ، وَبُكْمُ ذَوُو كَلَامٍ ، وَعُمِي ذَوُو أَبْصَارٍ ، لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ

(١) شهود : جمع شاهد ، بمعنى الحاضر ، وغياب ؛ جمع غائب .

(٢) قالوا : إن سبأ هو أبو عرب اليمن ، كان له عشرة أولاد : جعل منهم ستة يميناً له ، واربعة شمالاً : تشبيهاً لهم باليدين ، ثم تفرق أولئك الأولاد أشد التفرق .

(٣) أراد القوس لأنه معوج .

(٤) أعضل : استعصى ، واستعصب ، وأعيا .

عِنْدَ اللَّقَاءِ^(١) ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَّةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ .

يَا أَشْبَاهَ الْإِبْلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا ؛ كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ
تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَاللَّهُ لَكَائِي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ^(٢) أَنْ لَوْ
حَمَسَ الْوَعَى ، وَحَمِيَ الضَّرَابُ ، وَقَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي
طَالِبٍ أَنْفَرَجَ الْمَرْأَةُ عَنْ قُبْلِهَا^(٣) وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ،
وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّ ، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْبُ لَقُطًا^(٤)
أَنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ^(٥) وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ ، فَلَنْ
يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبَدُوا
فَالْبَدُوا^(٦) ، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا ، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلَا
تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ ، فَمَا أَرَى أَحَدًا مِنْكُمْ يُشَبِّهُهُمْ ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا
غُبْرًا^(٧) وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ

(١) هاته وما بعدهما الثتان ، وما قبلها هي الثلاثة .

(٢) إخال : أظن ، وحمس - كفرح - اشتد والوعى : الحرب .

(٣) انفراج المرأة عن قبلها عند الولادة ، أو عندما يشرع عليها سلاح ، والمشابهة في العجز
والدناءة في العمل .

(٤) اللقط : أخذ الشيء من الأرض ، وإغسا سمي اتباعه المنهاج الحق لقطاً لأن الحق
واحد ، والباطل الوان مختلفة ، فهو يلتقط الحق من بين ضروب الباطل .

(٥) السمت - بالفتح - طريقهم ، وحالهم ، أو قصدهم .

(٦) لبد - كنصر - أقام ، أي : إن أقاموا فأقيموا .

(٧) شعثاً : جمع أشعث ، وهو المغبر الرأس ، والغبر : جمع أغبر ، والمراد أنهم كانوا
متقشفين .

وَأَخَذُوا مِنْهُمْ (١) وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ! كَأَنَّ بَيْنَ
أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمَعْزَى (٢) مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ! إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ
أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْلُ جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُّوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ
الْعَاصِفِ ، خَوْفًا (٣) مِنَ الْعِقَابِ ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ .

ومن كلام له عليه السلام

٩٦

وَاللَّهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحْلَوْهُ (٤) وَلَا
عَقْدًا إِلَّا حَلُّوهُ وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ (٥)
وَنَبَأَ بِهِ سُوءَ رَغْبِهِمْ (٦) وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيانَ يَبْكِيَانِ : بَاكِ يَبْكِي لِدِينِهِ ،
وَبَاكِ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةٌ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ
الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ : إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ ، وَحَتَّى

(١) المراجعة بين العاملين : أن يعمل هذا مرة وهذا مرة ، وبين الرجلين : أن يقوم بالعمل كل
منها مرة ، وبين جباههم وخذودهم : أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى على
الأرض ، خضوعاً لله وسجوداً .

(٢) ركب : جمع ركبة ؛ وهي موصل الساق من الرجل بالفخذ ، وإنما خص ركب المعزى
ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة ، أي : إنهم لطول سجودهم يطول سهودهم ،
وكان بين أعينهم جسم خشن يدور فيها فيمنعهم النوم والاستراحة .

(٣) مادوا : اضطربوا ، وارتعدوا .

(٤) الكلام في بني أمية ، والمحرم : ما حرمه الله ، واستحلّاله استباحته .

(٥) بيوت المדר : المبنية من طوب وحجر ونحوها وبيوت الوبر : الخيام .

(٦) أصله من « نبا به المنزل » إذا لم يوافقه فارتحل عنه ، وإن البيوت يستولي عليها سوء
الحكمة فتكون عنها بمنجاة فيخسر العمران ، ولا تتبوأ الحكومة الظالمة إلا خراباً تنعق
فيه فلا يجيبها إلا صدى نعيقها .

يَكُونُ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءٌ أَحْسَنَكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا ، فَإِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ
بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوهَا ؛ وَإِنْ أَتَيْتُمْ فَاصْبِرُوا ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

ومن خطبة له عليه السلام

٩٧

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ ،
وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَذْيَانِ ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ .

عِبَادَ اللَّهِ ؛ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا الْتَارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ
لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا ، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا ؛
فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَانَتْهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ^(١) ، وَأَمَّوْا
عِلْمًا^(٢) فَكَانَتْهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ ، وَكَمْ عَسَى الْمَجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ
إِلَيْهَا^(٣) حَتَّى يَبْلُغَهَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءٌ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا
يَعْدُوهُ ؟ وَطَالِبٌ حَيْثُ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا^(٤) ؟ فَلَا
تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَلَا
تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا ؛ فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى أَنْقِطَاعٍ ،

(١) السفر - بفتح فسكون - جماعة المسافرين ، أي : إنكم في مسافة العمر كالسافرين في
مسافة الطريق ، فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها ؛ لأنها محدودة .

(٢) أموا : قصدوا .

(٣) الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة ، أي مقدار من الجري يلزمه حتى يصل لغايته ؟
يحدوه : يتبعه ، ويسوقه .

(٤) في بعض النسخ « وطالب حيث من الموت يحدوه ، ومزعج في الدنيا عن الدنيا حتى
يفارقها ، فلا تنافسوا الخ » .

وَإِنْ زَيْنَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَضَرَاءَهَا وَيُوسَهَا إِلَى نَفَادٍ^(١) ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى أَنْتِهَاءٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ ، أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ^(٢) ، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ؟ ! أَوْ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ ؟ وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَتَّقُونَ ؟ أَوْ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُضْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى : فَمَيِّتٌ يُبْكِي ، وَآخِرٌ يُعْزِي ، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخِرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ^(٣) وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ ؟ ! وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي .

أَلَا فَادْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ ، وَمُنْغَصَ الشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ^(٤) وَاسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ .

ومن خطبة له أخرى

٩٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمُ بِالْجُودِ

(١) فناء .

(٢) مكان للانزجار والارتداد .

(٣) من « جاد بنفسه » إذا قارب أن يقضي نجه ، كأنه يسخوها ويسلمها إلى خالفها .

(٤) « عند » متعلق بآذكروا ، والمساورة الموائبة . كأن العمل القبيح - لبعده عن ملاءمة الطبع الإنساني بالفطرة الإلهية - ينفر من مقتربه كما ينفر الوحش فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه ، وهو ، في غائلته على مجترمه - كالضاريات من الوحوش : فهو يشب على موائبه ليهلكه ، فما اللفظ التعبير بالمساورة في هذا الموضع .

يَدُهُ . نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ ،
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ : أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ
صَادِعاً^(١) ، وَبَذَكَرِهِ نَاطِقاً ، فَأَدَّى أَمِيناً ، وَمَضَى رَشِيداً . وَخَلَّفَ
فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ : مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ^(٢) ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ^(٣) ،
وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ^(٤) . بَطِيءُ الْقِيَامِ ، سَرِيعُ
إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ ، وَأَشْرُتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ،
جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى يُطْلَعَ
اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ^(٥) . فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ
مُقْبِلٍ^(٦) وَلَا تَيَاسُوا مِنْ مُدْبِرٍ ؛ فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى
قَائِمَتِيهِ^(٧) وَتَثْبُتَ الْآخَرَى ، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً .

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَثَلِ

(١) فالقاً به جدران الباطل ، فهادماً .

(٢) خرج عن الدين ، والذي يتقدم الحق هو من يزيد على ما شرع الله أعمالاً وعقائد
يظنها مزينة للدين ومتممة له ، ويسمونها بدعة حسنة .

(٣) اضمحل وهلك .

(٤) رزين في قوله : لا يبادر به عن غير روية ، بطيء القيام . لا ينبعث للعمل بالبطيش ،
ولمّا يأخذ عدة إتمامه ، فإذا أبصر منه وجه الفوز قام فمضى إليه مسرعاً وكأنه يصف
بذلك حال نفسه كرم الله وجهه .

(٥) يصل متفرقكم .

(٦) الاقبال والادبار في الجملتين لا يتواردان على جهة واحدة : فالمقبل بمعنى المتوجه إلى
الأمر الطالب له الساعي إليه ، والمدبر بمعنى من أدبرت حاله واعترضته الخيبة في عمله
وإن كان لم يزل طالباً .

(٧) رجله .

نُجُومِ السَّمَاءِ : إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ (١) فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ
مِنْ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ ، وَأَرَأَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

ومن خطبة له أخرى

٩٩

الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ ، بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ
أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ ، وَالْقَلْبُ اللَّسَانُ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي (٢) وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ
عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي (٣) فَوَالَّذِي
فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أُبَيِّنُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَا كَذَبَ الْمُبْلَغُ ، وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ . وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى
ضَلِيلٍ (٤) قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ (٥) فِي ضَوَاحِي كُوفَانٍ (٦) .

(١) خوي : غاب .

(٢) لا يكسبكم ، والمفعول محذوف ، أي : خسرانا ، أي : لا تشاقوني فيكسبكم الشقاق
خسرانا ، ولا تعصوني فيتيه بكم عصياني في ضلال وحيرة .

(٣) لا ينظر بعضكم إلى بعض تغامزا بالانكار لما أقول .

(٤) ضليل - كشير شديد الضلال مبالغ في الضلال .

(٥) من « فحص القطا التراب » إذا اتخذ فيه أفحوصاً - بالضم - وهو مجثمه ، أي : المكان
الذي يقيم فيه عندما يكون على الأرض ، يريد أنه نصب له رايات بحث لها في
الأرض مراكز .

(٦) هي الكوفة ، أي : إنه كاد يصل الكوفة حيث إن راياته انتشرت على بعض بلدان من
حدودها ، وهو ما أشار إليه بالضواحي .

فَإِذَا فَغَرَّتْ فَاغِرَّتُهُ^(١) وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ^(٢) وَثَقُلَتْ فِي
الْأَرْضِ وَطَأَّتُهُ ، عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أُنْبَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتْ الْحَرْبُ
بِأُمُوجِهَا ، وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُّوْحُهَا^(٣) وَمِنْ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا^(٤)
فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ^(٥) وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ^(٦) وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ
بَوَارِقُهُ ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ،
وَالْبَحْرِ الْمُتَلَطِّمِ ، هَذَا ، وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِيفٍ^(٧) وَيَمُرُّ
عَلَيْهَا مِنْ عَاصِيفٍ ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفَّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ^(٨) وَيُحْصَدُ
الْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ .

ومن كلام له

١٥٥

يَجْرِي مَجْرَى الْخُطْبَةِ

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنَقَاشٍ

(١) فغر الفم - كمنع - انفتح ، وفغرت . فهو لازم ومتعد أي : إذا انفتحت فاغرته ، وهي فمه .

(٢) الشكيمة : الحديدية المعترضة في اللجام في فم الدابة ، ويعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الإنقياد .

(٣) عبوسها .

(٤) جمع كدح - بالفتح - وهو الخدش ، وأثر الجراحات .

(٥) نضج ، وحن قطافه .

(٦) حالة نضجه .

(٧) هو ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرها ، والعاصف : ما اشتد من الريح ، والمراد مزعجات الفتن .

(٨) يكون الاشتباك بين قواد الفتنة وبين أهل الحق كما تشبك الكباش بقرونها عند =

الْحِسَابِ^(١) وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ ، خُضُوعاً ، قِيَاماً ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ
الْعَرَقُ ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ ؛ فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ
مَوْضِعاً ، وَلِنَفْسِهِ مَتْسَعاً .

ومنه : فِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَلَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ^(٢)
وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ : يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا ،
وَيُجَاهِدُهَا رَاكِبُهَا ، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ^(٣) ،
يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، فِي الْأَرْضِ
مَجْهُولُونَ ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ ، فَوَيْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ
مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ لَا رَهْجَ لَهُ ، وَلَا حَسَّ^(٤) ، وَسَيِّئَتَلَى

= النطاح ، وما بقي من الصلاح قائماً يحصد ، وما كان قد حصد يحطم ويهشم ؛ فلا
يبقى إلا شر عام وبلاء تام إن لم يقم للحق أنصار .

(١) نقاش الحساب : الاستقصاء فيه .

(٢) لا تثب لمعارضتها قائمة خيل ، وقوائم الفرس : رجلاه ، أو أنه لا يتمكن أحد من
القيام لها وصددها ، وقوله « مزمومة مرحولة » قادها وزمها وركبها برحلتها أقوام زحفوا
بها عليكم ، يحفزونها - أي : يحثونها - ليقروا بها في دياركم ، وفيكم يحطون الرحال .

(٣) السلب - حركة - : ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب ، أي : ليسوا
من أهل الثروة .

(٤) الرهج - بسكون الهاء ، ويحرك - الغبار ؛ والحس - بفتح الحاء - الجلبة والأصوات
المختلفة ، قالوا : يشير إلى فتنة صاحب الزنج ، وهو علي بن محمد بن عبد الرحيم ،
من بني عبد القيس ، ادعى أنه علوي من أبناء محمد بن أبي عيسى بن زيد بن علي بن
الحسين ، وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ في نواحي البصرة ، وخرج بهم على
المهتدي العباسي ، في سنة خمس وخمسين ومائتين ، واستفحل أمره وانتشر أصحابه في
أطراف البلاد للسلب والنهب ، وملك أبلة عنوة ، وقتك بأهلها ، واستولى على عبادان
والأهواز ، ثم كانت بينه وبين الموفق في زمن المعتمد حروب انجلى فيها عن الأهواز
وسلم عاصمة ملكه ، وكان سماها المختارة بعد محاصرة شديدة ، وقتله الموفق أخو
الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين ، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم .

أَهْلُكَ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ ، وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥١

أَنْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا ، الصَّادِقِينَ عَنْهَا (١) ،
فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّائِي السَّاكِنَ (٢) وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفِّعَ
الْأَمِينَ (٣) لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَادْبَرَ ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا
فَيَنْتَظِرُ ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ ، وَجَلْدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى
الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ ، فَلَا يَغُرَّنْكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا ، لِقَلَّةِ مَا
يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ ، فَكَانَ مَا هُوَ
كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ (٤) وَكَانَ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ
عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزُلْ ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ ، وَكُلُّ
آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ .

ومنها : الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا
يَعْرِفَ قَدْرَهُ ، وَإِنْ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَبْدًا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى

(١) الصادقين : المعرضين .

(٢) الثاوي : المقيم .

(٣) المترف - بفتح الراء المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع .

(٤) فان الذي هو موجود في الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن ، وإن الذي هو كائن في الآخرة
بعد قليل كأنه كائن لم يزل ، فكأنه - وهو في الدنيا - من سكان الآخرة .

نَفْسِهِ ! جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ ، إِنَّ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ
الدُّنْيَا عَمِلَ ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسَلَ ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ
وَاجِبٌ عَلَيْهِ (١) وَكَأَنَّ مَا وَلَّى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ (٢) .

ومنها : وَذَلِكَ زَمَنٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ (٣) : إِنَّ
شَهْدَ لَمْ يُعْرِفْ ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهَدْيِ ،
وَأَعْلَامُ السَّرَى (٤) لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ ، وَلَا الْمَذَابِيحِ الْبُذُرِ ، أُولَئِكَ
يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ
الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ ! أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ
عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ مِنْ أَنْ يَتَّبِلِيَكُمْ (٥) وَقَدْ قَالَ جَلٌّ مِنْ قَائِلٍ :
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ .

قَالَ الشَّرِيفُ : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ » فَإِنَّمَا
أَرَادَ بِهِ الْخَامِلَ الذَّكَرَ الْقَلِيلَ الشَّرَّ ، وَالْمَسَابِيحُ : جَمْعُ مِسْبَاحٍ .
وَهُوَ الَّذِي يَسِيحُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْفَسَادِ وَالنَّمَائِمِ ، وَالْمَذَابِيحُ : جَمْعُ

(١) ما عمل هو حرث الدنيا :

(٢) وفي فيه : تراخى فيه وهو حرث الآخرة .

(٣) نومة - بضم ففتح - : كثير النوم ، يريد به البعد عن مشاركة الأشرار في شروورهم ،
فإذا رأوه لا يعرفونه منهم ، وإذا غاب لا يفتقدونه .

(٤) السرى - كاهدى - : السير في ليالي المشاكل ، وبقية الألفاظ يأتي شرحها بعد أسطر
لصاحب الكتاب .

(٥) ليتبين الصادق من الكاذب ، والمخلص من المريب ، فتكون لله الحجة على خلقه .

مَذْيَاعٌ ، وَهُوَ الَّذِي إِذَا سَمِعَ لِغَيْرِهِ بِفَاحِشَةٍ أَذَاعَهَا وَنَوَّهَ بِهَا ،
وَالْبَذْرُ : جَمْعُ بَذُورٍ : وَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقَهُ (١) .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٢

وقد تقدّم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً وَلَا
وَحْيًا ، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ وَيُبَادِرُ
بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ ، يَحْسِرُ الْكَاسِرُ (٢) وَيَقِفُ الْكَاسِرُ ،
فَيَقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ ، إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ ، حَتَّى أَرَاهُمْ
مَنْجَاتَهُمْ ، وَيَوَّاهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ (٣) وَاسْتَقَامَتْ
قَنَاتُهُمْ ، وَآيَمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتُ بِحَذَائِيرِهَا ،
وَاسْتَوْتَقْتُ قِيَادَهَا : مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ ، وَلَا خُنْتُ ، وَلَا

(١) الذي في القاموس أن البذور - بالفتح - كالبذير : هو النمام .

(٢) من « حسر البعير » كضرب - إذا أعيأ وكل ، والكسير : المكسور ، أي : إن من
ضعف اعتقاده ، أو كلت عزيمته ، فتراخى في السير على سبيل المؤمنين ، أو طرقت
الوساوس فهشمت قوائمه بزلزال في عقيدته ؛ فإن النبي ﷺ كان يقيم على ملاحظته
وعلاجه حتى ينصل من مرضه هذا ويلحق بالملخصين ، إلا من كان ناقص
الاستعداد ؛ خبيث العنصر ؛ فلا ينجح فيه الدواء ، فيهلك .

(٣) كناية عن وفرة ارزاقهم ، فإن الرحا إنما تدور على ما تطحنه من الحب ، أو كناية عن
قوة سلطانهم على غيرهم ، والرحا . رحا الحرب يطحنون بها ، والقناة الرمح ،
واستقامتها : كناية عن صحة الاحوال وصلاحها .

وَهَنَّتْ ، وَآيَمُ اللَّهِ لِأَبْقَرَنَّ الْبَاطِلَ (١) حَتَّى أَخْرَجَ الْحَقُّ مِنْ خَاصِرَتِهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

٧٥٣

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، شَهِيدًا ، وَبَشِيرًا ، وَنَذِيرًا ، خَيْرُ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا ، وَأَنْجَبُهَا كَهْلًا ، أَطْهَرُ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً ، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمَطَّرِينَ دِيْمَةً (٢) ، فَمَا أَحْلَوْلَتْ لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا ، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ أَخْلَافِهَا (٣) إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا (٤) ، قَلَقًا وَضِينُهَا ، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السُّدْرِ الْمَخْضُودِ (٥) ، وَحَلَالُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ ، وَصَادَفْتُمُوهَا ، وَاللَّهِ ، ظِلًّا ، مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ ، فَأَلَارِضُ

(١) البقر - بالفتح - : الشق ، أي : لأشقن جوف الباطل : يقهر أهله ، فأنزع الحق من أيدي المبطلين ، والتمثيل في غاية اللطف .

(٢) الديمة - بالكسر - المطر يدوم في سكون ، والمستمطر - بفتح الطاء - : من يطلب منه المطر ، والمراد هنا النجدة والمعونة . فالنبي أغزر الناس فيضاً للخير على طلابه .

(٣) جمع خلف - بالكسر - : وهو حلمة ضرع الناقة .

(٤) الخطام - ككتاب - : ما يوضع في أنف البعير ليقاد به ، والوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر يكون المرحل ، كالحزام للسرّج ، وجولان لخطام وقلق الوضين : أما كناية عن الهزال ، وأما كناية عن صعوبة القيادة ، فإن الخطام الجائل لا يشتد على البعير فيجذبه ، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه : لاضطراب الرحل بقلق الوضين .

(٥) السدر - بالكسر - : شجر النبق ، والمخضود : المقطوع شوك ، أو مثني الأغصان من ثقل الحمل ، والتشبيه غاية في اللذة .

لَكُمْ شَاغِرَةٌ^(١) وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ . وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ
مَكْفُوفَةٌ ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ ، أَلَا إِنَّ
لِكُلِّ دَمٍ نَائِرًا^(٢) وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا ، وَإِنَّ النَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ
فِي حَقِّ نَفْسِهِ^(٣) ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ وَلَا يَفُوتُهُ
مَنْ هَرَبَ . فَاقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفَنَهَا فِي أَيْدِي
غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَذُوكُمْ . أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ
طَرْفُهُ ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةٍ مِصْبَاحٍ وَاعِظْ مُتَعِظٍ ،
وَأَمْتَاخُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ^(٤) .

عِبَادَ اللَّهِ ، لَا تَرْكُنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَتَّقَادُوا إِلَى
أَهْوَائِكُمْ ؛ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ^(٥) نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ ،
يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ^(٦) لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ

(١) أي : بعد بعثة النبي شغرت لكم الأرض ؛ أي : لم يبق فيها من يحميها دونكم .
ويمنعكم من خيرها .

(٢) نأره فهو نائر ، أي : طلب بدمه ، وقتل قاتله .

(٣) الطالب بدمائنا ينال نأره حتماً ، كأنه هو القاضي بنفسه لنفسه ، ليس هناك من يحكم
عليه فيمانعه عن حقه .

(٤) امتاخوا : استقوا ، وانزعوا الماء لري عطشكم ، من عين صافية صَفَتْ مِنَ الْكَدَرِ ،
وهي عين علومة عليه السلام .

(٥) منزل الركون إلى الجهالة والانقياد للهوى ، وشفا الشيء : حرقه ، والجرف -
بضم تين - : ما جرفته السيول ، وأكلته من الأرض ، والهارى كالهائر : المتهدم ، أو
المشرف على الانهدام ، أي : إنه بمكان التهور في الهلكة .

(٦) أي : إنه إذا نقل حل المهلكات فانما ينقله من موضع من ظهره إلى موضع آخر منه ، =

بَعْدَ رَأْيٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ ، وَيُقَرِّبُ مَا لَا يَتَقَارَبُ ،
فَاللَّهُ آتِيًا أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ^(١) . وَلَا يَنْقُضُ
بِرَائِيهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ
رَبِّهِ ، إِلَّا الْإِبْلَاجُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالْاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالْإِحْيَاءُ
لِلسُّنَةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ السُّهُمَانِ عَلَى
أَهْلِهَا^(٢) : فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصَوُّبِ نَبِيِّهِ^(٣) وَمَنْ قَبْلَ أَنْ
تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَتَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ^(٤) وَأَنْهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ؛ فَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ،

= فهو حامل لها دائماً ، وإنما يتعب في نقلها من أعلاه لوسطه وأسفله بآرائه وبدعه ، فهو
في كل رأي يتنقل من ضلالة إلى ضلالة ، حيث إن مبنى الكل على الجهالة والهوى .

(١) يقال « أشكاه » إذا أزال مشكاه ، والشجر : الحاجة ؛ يقول : إن ما نسوله لكم
الجهالات والأهواء من الحاجات يلزمكم أن تنصرفوا عن خيالها ، ولا تشكوها إليّ ؛
فاني لا أتبع أهواءكم ، ولا أقضي هذه الرغبات الفاسدة ، ولا أستطيع أن أنقض برأيي
ما أبرم لكم في الشريعة الغراء .

(٢) السهمان - بالضم - : جمع سهم ، بمعنى الحظ والنصيب ، وإصدار السهمان : إعادتها
إلى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيئاً . وسماه إصداراً لأنها كانت منعها أربابها
بالظلم في بعض الأزمان ثم ردت إليهم ، كالصدور وهو رجوع الشاربة من الماء إلى
أعطانها .

(٣) التصويح : التجفيف ، أي : سابقوا إلى العلم وهو في غضارته ، قبل أن يجف فلا
تستطيعوا إحياءه بعد يسه .

(٤) مستتار : اسم مفعول بمعنى المصدر ، والاستتارة : طلب الشر ، وهو السطوع والظهور .

وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ^(١) وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ^(٢) وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَتَبَصَّرَ لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ^(٣) فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ^(٤) ، وَوَاضِحُ الْوَلَائِحِ^(٥) ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ^(٦) ، مُشْرِقُ الْجَوَادِ^(٧) ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ^(٨) ، رَفِيعُ الْغَايَةِ ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ^(٩) ، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ^(١٠) ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ : التَّصَدِيقُ مِنْهَاجُهُ ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ^(١١) ، وَالْدُّنْيَا مِضْمَارُهُ^(١٢)

(١) علقه - كعلمه - تعلق به .

(٢) من دخله لا يحارب .

(٣) جنة - بالضم - أي : وقاية وصونا .

(٤) أشد الطرق وضوحاً وأنورها .

(٥) الولائج : جمع وليجة ، وهي : الدخيلة ، وهي المذهب .

(٦) مشرف - بفتح الراء - : هو المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شيء ، ومنار الدين : هي دلائله من العمل الصالح يطلع منها البصير على حقائق العقائد ومكارم الأخلاق .

(٧) جمع جادة ، وهي : الطريق الواضح .

(٨) « كريم المضمار » أي : إذا سوبق سبق .

(٩) الحلبة : خيل تجمع من كل صوب للنصرة ، والإسلام جامعها : يأتي إليه الكرائم والعناق .

(١٠) السبقة - بالضم - جزاء السابقين .

(١١) يريد بالموت عن الشهوات البهيمية ، والحياة بالسعادة الأبدية ، كما يعلم من قوله « رفيع الغاية » وإلا فالموت المعروف غاية كل حي .

(١٢) لأنها مزرعة الآخرة : من سبق فيها سبق في الأخرى .

وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سُبُقَتُهُ (١) .

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

حَتَّى أَوْرى قَبْساً لِقَابِسٍ (٢) وَأَنَارَ عِلْماً لِحَابِسٍ (٣) فَهُوَ
أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً (٤) ،
وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً . اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَكَ مَقْسِماً مِنْ عَدْلِكَ (٥)
وَأَجْرِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ
بِنَاءَهُ ، وَآكِرِمْ لَدَيْكَ نُزْلَهُ (٦) وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ
وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ (٧) ، وَآحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا (٨) وَلَا
نَادِمِينَ ، وَلَا نَاكِيبِينَ (٩) وَلَا نَاكِثِينَ (١٠) وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا
مَفْتُونِينَ .

(١) سُبُقَتُهُ : جزاء السابقين به .

(٢) أَوْرى : أوقد ، والقبس - بالتحريك - الشعلة من النار تقتبس من معظم النار ،
والقابس : آخذ النار من النار . والمراد أن النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون
لاكتشافه .

(٣) الحابس : من حبس ناقته وعقلها ، حيرة منه : لا يدري كيف يهتدي فيقف عن
السير ، و « أنار له علماً » أي : وضع له ناراً في رأس جبل ليستنقذه من حيرته .

(٤) بعيثك : مبعوثك .

(٥) المقسم - كمقعد ومنبر - النصيب والحظ .

(٦) النزول - بضم ن - ما هيء للضيف لأن ينزل عليه .

(٧) السناء - كسحاب - الرفعة .

(٨) خزايا : جمع خزيان ، من « خزى » - من باب علم - إذا خجل من قبيح ارتكبه .

(٩) عادلين عن طريق الحق .

(١٠) ناكثين : ناقضين للعهد .

قال الشريف : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إلا أننا
كرّرناه ههنا لما في الروایتين من اختلاف .

ومنها في خطاب أصحابه :

وَقَدْ بَلَّغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَنَزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ ،
وَيُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ وَيُعْظَمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يَدَ
لَكُمْ عِنْدَهُ ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ
إِمْرَةٌ ، وَقَدْ تَرَوْنَ عَهْدَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ
ذِمِّ آبَائِكُمْ تَأْنِفُونَ ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدُ ، وَعَنْكُمْ
تَصْدُرُ ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ ، فَمَكَّنْتُمُ الظُّلْمَةَ مِنْ مَنَزِلَتِكُمْ ، وَالْقَيْمُ
إِلَيْهِمْ أَرْمَتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ ، يَعْمَلُونَ فِي
الشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ وَأَيُّمَ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ
كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ ^(١) .

ومن كلام له عليه السلام

١٥٥

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ ، وَأَنْجِيَا زُكُمُ عَنْ صُفُوفِكُمْ ، تَحُوزُكُمْ
الْجَفَاءُ الطَّغَامُ ^(٢) وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ ^(٣)

(١) أي : إنكم ستجتمعون لقهر الظالمين ، ولن يكون في طاقتهم أن يفرقوكم ، حتى لو
شتتوكم تشتت الكواكب في السماء لاجتماعهم لقتالهم ، وقيل : إنه يريد أن البلاء
سيعم ، حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب - طلباً لخلاصكم من البلاء - لجمعكم
الله لشَرِّ يوم لهم حتى يأخذهم البلاء كما يأخذكم .

(٢) الطغام - كجراد - أوغاد الناس .

(٣) لهاميم : جمع لهميم - بالكسر - وهو السابق الجواد من الخيل والناس .

وَيَافِيخُ الشَّرَفِ (١) وَالْأَنْفُ الْمَقْدَمُ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ ، وَلَقَدْ شَفَى
وَحَاوَحَ صَدْرِي (٢) أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخْرَةٍ (٣) تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَارُوكُمْ ،
وَتَزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ ؛ حَسًّا بِالنِّضَالِ (٤) وَشَجَرًا
بِالرَّمَاكِ (٥) تَرَكَبُ أَوْلَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ (٦) تُرْمَى عَنْ
حَيَاضِهَا ، وَتَذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٦

وهي من خطب الملاحم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّتِي لِحَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ
بِحُجَّتِهِ ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ ؛ إِذْ كَانَتْ الرُّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ
إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ . وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ ، خَرَقَ عِلْمُهُ
بَاطِنَ غَيْبِ السُّتْرَاتِ (٧) وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

(١) اليافيخ : جمع يافوخ ، وهو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدمه مع مؤخره .

(٢) الوحاوح : جمع وحوحة : وهي صوت معه بحج يصدر عن المتألم ، والمراد حرقه
الغيط .

(٣) الأخيرة - محركة - آخر الأمر ، وجملة « أن رأيتمكم » فاعل « شفى » .

(٤) الحس - بالفتح - القتل ، والنضال ، المباراة في الرمي ، وفي رواية « النصال » بالصاد .

(٥) الشجر - كالضرب - الطعن .

(٦) الهيم - بالكسر - العطاش ، وتذاد : تمنع .

(٧) جمع سترة ، وهي ما يستربه أياً كان .

منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أَخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَشْكَاةِ الضِّيَاءِ^(١) ، وَذَوَابَةِ
الْعُلْيَاءِ^(٢) وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ^(٣) وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَبَنَائِبِ الْحِكْمَةِ .

ومنها : طَيْبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ : قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى
مَوَاسِمَهُ^(٤) يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ : مِنْ قُلُوبِ عُمِّي ،
وَأَذَانِ صُمٍّ ، وَالسِّنَةِ بِكُمْ مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ
الْحَيَرَةِ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ^(٥) وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ
الثَّقَابَةِ ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ قَدْ
انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ^(٦) ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ
لِخَابِطِهَا^(٧) وَأُسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا ، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ
لِمُتَوَسِّمِهَا . مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ ، وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ ،

(١) المشكاة : كل كوة غير نافذة ، ومن العادة أن يوضع فيها المصباح .

(٢) الذوابة : الناصية ، أو منبتها من الرأس .

(٣) البطحاء : ما بين أخشي مكة ، وكانت تسكنه قبائل من قريش ، ويقال لهم « قريش
البطاح » .

(٤) مواسمه : جمع ميسم - بالكسر - وهو المكواة ، ويجمع على مواسم ومياسم .

(٥) قوله « لم يستضيئوا » يحكى حال من لم ينفع فيهم الدواء ممن صار الفساد من مقومات
أمزجتهم .

(٦) « انجابت » من قولهم « انجابت الناقة » إذا مدت عنقها للحلب ، أي : إن السرائر
خضعت لنور البصائر فهو يكشفها ويملكها ، وأهل البصائر يصرفون السرائر إلى ما
يريدون .

(٧) خابطها : السائر عليها .

وَنُسَاكًا بِلَا صَلَاحٍ ، وَتَجَّارًا بِلَا أَرْبَاحٍ ، وَأَيْقَاطًا نُومًا ، وَشُهُودًا
 غُيًّا ، وَنَاطِرَةً عَمِيَاءَ ، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ ، وَنَاطِقَةً بِكُمَاءَ ؟ رَأَيْتُ
 ضَلَالَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا (١) وَتَفَرَّقَتْ بِشُعْبَيْهَا (٢) تَكِيلُكُمْ
 بِصَاعِهَا (٣) وَتَخِيطُكُمْ بِبَاعِهَا (٤) قَائِدُهَا خَارِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى
 الْضَلَّةِ ، فَلَا يَبْقَى يَوْمٌ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَالَةٌ كُفَّالَةٍ الْقَدْرِ (٥) ، أَوْ نُفَاضَةٌ
 كُنْفَاضَةِ الْعِمْ (٦) تَعْرُكُكُمْ عَرَكَ الْأَدِيمِ (٧) وَتَدُوسُكُمْ دَوَسَ
 الْحَصِيدِ (٨) وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ أَسْتَخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةِ
 الْبَطِينَةِ (٩) مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ ، أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ ،
 وَتَبِيهُ بِكُمْ الْغِيَاهِبُ ، وَتَخْذَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ وَأَنْتِ
 تُؤْفَكُونَ ؟ فَلَ كُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيَّةٍ إِيَابٌ ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ

(١) « قامت على قطبها » تمثيل لانتظام أمرها ، واستحكام قوتها .

(٢) جمع شعبة ، أي : انتشرت بفروعها .

(٣) « تكيلكم » أي : تأخذكم للهلاك جملة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب .

(٤) « تخيطكم » من « خبط الشجرة » أي : ضربها بالعصي ليتناثر ورقها ، أو من « خبط
 البعير بيده الأرض » أي : ضربها وعبر بالباع ليفيد استطالتها عليهم ، وتناولها لقربهم
 وبعيدهم .

(٥) الثفالة - بالضم - كالثفل والثافل : ما استقر تحت الشيء من كدرة ، وثفالة القدر : ما
 يبقى في قعرها من عكارة . والمراد الأرزال والسفلة .

(٦) النفاضة : ما يسقط : بالنفض ، والعكم - بالكسر - العدل - بالكسر أيضاً وهو سقط
 تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والمراد ما يبقى بعد تفريغه في خلال نسجه فينفض لينظف .

(٧) العرك - كالنصر - شديد الدلك ، وعركه : حكه حتى عفاه ، والأديم : الجلد .

(٨) المحصود .

(٩) البطينة : السمينة .

رَبَانِيَّكُمْ^(١) وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنَّ هَتَفَ بِكُمْ^(٢) وَلْيَصْدُقْ
رَائِدُ أَهْلِهِ^(٣) وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ ، وَلْيَحْضِرْ ذَهْنَهُ ؛ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَمْرَ
فَلَقَ الْخَرَزَةَ ، وَفَرَفَهُ قَرَفَ الصَّمْغَةِ^(٤) فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ
مَآخِذَهُ ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَآكِبَهُ ، وَعَظَمَتِ الطَّاعِيَةُ ، وَقَلَّتِ
الِدَّاعِيَةُ ، وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعُقُورِ ، وَهَدَّرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ
بَعْدَ كُظُومٍ^(٥) ، وَتَوَاحَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى
الَّذِينَ ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ فَإِذَا كَانَ
ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غِيْظًا^(٦) وَالْمَطَرُ قَيْظًا ، وَتَفِيضُ اللَّثَامِ فَيْضًا ،
وَتَغِيضُ الْكِرَامِ غَيْضًا^(٧) ، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذُنَابًا ، وَسَلَاطِينُهُ
سِبَاعًا ، وَأَوْسَاطُهُ أَكَالًا ، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتًا ، وَغَارَ الصِّدْقُ ، وَفَاضَ
الْكَذِبُ ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ ، وَتَشَاجَرَتِ النَّاسُ
بِالْقُلُوبِ ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا ، وَالْعَفَافُ عَجَبًا ، وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ
لُبْسَ الْفُرِّو مَقْلُوبًا .

(١) الرباني - بتشديد الباء - المتأله ، والعارف بالله عز وجل .

(٢) صاح بكم .

(٣) الرائد : من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلال ، ويتعرف سهولة الوصول إليها
من صعوبته وفي المثل : « لا يكذب الرائد أهله » يأمر الهداة والدعاة الذين يتلقون
عنه ، ويوصيهم بالصدق في النصيحة .

(٤) « قرف الصمغة » قشرها ، وخص هذا بالذكر لأن الصمغة إذا قشرت لا يبقى لها أثر ،
كذا قالوا .

(٥) الفنيق : الفحل من الابل و « بعد كظوم » أي : إمساك وسكون .

(٦) يغيط والده لشبويه على العقوق ويكون المطر قَيْظًا لعدم فائدته ؛ فان الناس منصرفون
عن فوائدهم والانتفاع بما يفيض الله عليهم من خير إلى إضرار بعضهم ببعض ، وما
أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان .

(٧) تغيض : من « غاض الماء » إذا غار في الأرض وجفت ينابيعه .

ومن خطبة له عليه السلام

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ : غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ ،
وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، وَمَنْ
تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلِيهِ
رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ ، لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ ، بَلْ
كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحْشَةٍ ، وَلَا
أَسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلَا يَسْبُقُكَ مِنْ طَلَبَتْ ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ
أَخَذَتْ (١) وَلَا يُنْقِصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ
مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ ، وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْكَ
مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ
شَهَادَةٌ ، أَنْتَ الْآبِدُ لَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ الْمُتَهَيُّ لَا مَحِيصَ عَنْكَ ،
وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ،
وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ،
وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ،
وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمِكَ فِي
الدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ .

منها : مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ ، وَرَفَعَتْهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ،
هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ، لَمْ يَسْكُنُوا

(١) لا يفلتك : لا يفلت منك .

الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضْمِنُوا الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ^(١) وَلَمْ
يَتَشَعَّبْهُمْ رَبُّ الْمَنُونِ^(٢) وَإِنَّهُمْ - عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ،
وَأَسْتَجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ -
لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ^(٣) ،
وَلَعَرَفُوا أَنََّّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ .
سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا ، بِحُسْنِ بِلَاتِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ^(٤) خَلَقْتَ
دَارًا ، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً^(٥) : مَشْرَبًا ، وَمَطْعَمًا ، وَأَزْوَاجًا ،
وَخَدَمًا ، وَقُصُورًا ، وَأَنْهَارًا ، وَزُرُوعًا ، وَثِمَارًا ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا
يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا وَلَا فِيهَا رَغِبَتْ إِلَيْهِ رَغْبُوا ، وَلَا إِلَى
مَا شَوَّقَتْ إِلَيْهِ أَشْتَاقُوا أَقْبَلُوا عَلَى جِيْفَةٍ أَفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَأَصْطَلَحُوا
عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَغْشَى بَصَرَهُ^(٦) وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ
بِعَيْنٍ غَيْرَ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرَ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ
عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلَهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ، وَلَمْ يَنْ
فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا : حَيْثُمَا زَالَ زَالَ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا ،
وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ

(١) المهين : الحقير ، يريد النطفة .

(٢) المنون : الدهر ، والريب : صرفه ، أي لم تفرقهم صروف الزمان .

(٣) زرى عليه - كرمى - عابه .

(٤) البلاء : يكون نعمة ويكون نقمة ويتعين الأول باضافة الحسن إليه ، أي : ما عبدوك

إلا شكرًا لنعمك عليهم .

(٥) المأدبة - بفتح الدال ، وضمها - : ما يصنع من الطعام للمدعوين في عرس ونحوه ،

والمراد منها نعيم الجنة .

(٦) أعشاه : أعماه .

عَلَى الْغِرَّةِ^(١) - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمُنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنْ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، فَغَيَّرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفُوتِ ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ، ثُمَّ أَزْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَلُوجاً^(٢) فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ - عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبِقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ - يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرِهِ ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرُهُ ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا : أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا^(٣) وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرِّحَاتِهَا وَمُسْتَبْهَاتِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبَعَاتُ جَمْعِهَا^(٤) وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا : تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ^(٥) وَالْعِيبُ عَلَى ظَهْرِهِ^(٦) . وَالْمَرْءُ قَدْ غَلَقَتْ رَهُونُهُ بِهَا^(٧) فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ^(٨) ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُّهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا

(١) « على الغرة » - بالكسر - بغته وعلى غفلة .

(٢) ولوجاً ، دخولاً ، وفعله كوعد .

(٣) أغمض : لم يفرق بين حلال وحرام كأنه أغمض عينيه فلا يميز ، أو « أغمض » أي : طلبها من أدق الوجوه وأخفاها ، فضلاً عن اظهارها واجلاها .

(٤) تبعاتها - بفتح فكسر - : ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها ، وما يحاسبه به الله ، من منع حقه منها ، وتخطى حدود شرعه في جمعها .

(٥) المهنة : ما أتاك من خير بلا مشقة .

(٦) العيب : الحمل ، والثقل .

(٧) غلقت رهونه : استحقها مرتبتها ، وأعوزته القدرة على تخليصها ، كناية عن تعذر الخلاص .

(٨) أصحره له : إذا برز في الصحراء ، أي : على ما ظهر له وانكشف من أمره .

دُونَهُ فَلَمْ يَزَلِ أَلْمُوتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ سَمْعُهُ (١) ،
فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ : يُرَدِّدُ طَرَفَهُ
بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ السِّتِّهِمْ ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ
كَلَامِهِمْ . ثُمَّ أَزْدَادَ أَلْمُوتُ أَلْتِّيَاطًا (٢) فَقَبِضَ بَصَرَهُ كَمَا قَبِضَ سَمْعُهُ ،
وَخَرَجَتِ أَلرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ : قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ
جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ ، لَا يُسْعِدُ بَاكِيًا ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا . ثُمَّ
حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي أَلْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوا فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَأَنْقَطَعُوهُ عَنْ
زُورَتِهِ (٣) حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَلْكِتَابُ أَجَلِهِ وَأَلْأَمْرُ مَقَادِيرِهِ ، وَأَلْحِقَ آخِرُ
أَلْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ : مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ؛ أَمَادَ
أَلْسَّمَاءَ وَفَطَرَهَا (٤) ، وَأَرْجَّ أَلْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا
وَدَكَ بَعْضَهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ ، وَخُوفِ سَطَوَتِهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا
فَجَدَدَهُمْ بَعْدَ أَخْلَاقِهِمْ (٥) وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِقِهِمْ ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ
مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا أَلْأَعْمَالِ ، وَخَبَايَا أَلْأَفْعَالِ ؛ وَجَعَلَهُمْ
فَرِيقَيْنِ : أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ ، وَأَنْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ : فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ

(١) « خالط لسانه سمعه » : شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته .

(٢) « التِّيَاطُ » أي : التصاقاً به .

(٣) زيارته .

(٤) « أَمَادَ » جواب « إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ - الْخ » وَأَمَادَهَا : حركها على غير انتظام ، وفطرها :
صدعها .

(٥) أخلاقهم - بالفتح - : من قولهم « ثوب أخلاق » إذا كانت الخلقة شاملة له كله ،
والخلقة : البلى ، ونقول : خلق الثوب - بالضم - فهو خلق - بوزان بطل وحسن - أي
بلي ، و« أخلق الثوب » بالهمز لغة فيه ، وتقول « أخلقته صاحبه » فذو الهمزة لازم
ومتعدد .

فَأَثَابَهُمْ بِجَوَارِهِ ، وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النَّزَالُ . وَلَا
تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ ، وَلَا تُنَوِّهُمُ الْأَفْزَاعُ^(١) ، وَلَا تَنَاهُهُمُ الْأَسْقَامُ ، وَلَا
تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشَخِّصُهُمُ الْأَسْفَارُ^(٢) ؛ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ
فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَّ إِلَى الْأَغْنَاكِ ، وَقَرَنَ النَّوَاصِي
بِالْأَقْدَامِ ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَائِلَ الْقَطِرَانِ^(٣) وَمُقَطَّعَاتِ النَّيْرَانِ^(٤) فِي
عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ وَيَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ
وَلَجَبٌ^(٥) ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ^(٦) ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا
يُقَادِي أَسِيرُهَا ، وَلَا تُفْصَمُ كُبُوهَا^(٧) لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَنِي ، وَلَا أَجَلَ
لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم :

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا ، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا
عَنْهُ آخِثَاراً^(٨) ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ آخِثَاراً ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ،
وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا

(١) لا تنوهم الأفزاع : جمع فزع - بفتحتين - بمعنى الخوف .

(٢) أشخصه : أزعجه .

(٣) السريال : القميص ، والقطران : معروف .

(٤) المقطعات : كل ثوب يقطع كالقميص والجبّة نحوها ، بخلاف ما لا يقطع كالإزار

والرداء ، والمقطعات أشمل للبدن ، وأشد استحكاماً في احتوائه .

(٥) عبر بالكلب - محرّكاً من هيجانها ، واللجب - بالتحريك أيضاً - الصوت المرتفع ،
وأصله اضطراب موج البحر ، وتقول : جيش ذو لجب ، إذا كان ذا جلبة وصياح ،
وياب فعله فرح .

(٦) القصيف : أشد الصوت .

(٧) جمع كبل - بفتح فسكون - وهو : القيد ، وتفصم : تنقطع .

(٨) زواها : قبضها .

يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً^(١) أَوْ يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً ، بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً^(٢) وَنَصَحَ
لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً ، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مَبْشُراً .

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَنَحْطُ الرِّسَالَةِ ، وَنُخْتَلِفُ الْمَلَائِكَةَ^(٣)
وَمَعَادِنَ الْعِلْمِ ، وَنَبَايِعُ الْحِكْمِ ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ ،
وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السُّطُورَةَ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٠٨

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ ، سُبْحَانَهُ ، الْإِيمَانُ بِهِ
وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ
فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا أَلَمَّةٌ ، وَإِيتَاءُ الزُّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ
وَاجِبَةٌ ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ ، وَحَجُّ الْبَيْتِ
وَأَعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْخِضَانِ الذَّنْبَ^(٤) ، وَصِلَةُ الرَّجَمِ
فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ^(٥) وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكْفِّرُ
الْخَطِيئَةَ ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ، وَصَنَائِعُ
الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ أَهْلَوَانِ .

(١) الرياش : اللباس الفاخر .

(٢) معذراً : مبيئاً لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم إن خالفوا أمره .

(٣) نختلف الملائكة - بفتح اللام - محل اختلافهم ، أي : ورود واحد منهم بعد آخر فيكون
الثاني كأنه خلف للأول ، وهكذا .

(٤) رخصه - كمنعه - : غسله .

(٥) منسأة : مطال فيه ومزيد .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ ، وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ
فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ ، وَاقْتَدُوا بِهِدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهُدَى ،
وَاسْتَتُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ ، وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ
الْحَدِيثِ ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَيْعُ الْقُلُوبِ ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ
الصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ
بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْخَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ ، بَلِ الْحُجَّةُ
عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ الْيَوْمَ ^(١) .

ومن خطبة له عليه السلام

٧٥٩

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَصِرَةٌ ، حُفَّتْ
بِالشَّهَوَاتِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ
بِالْأَمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ ؛ لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا ^(٢) وَلَا تُؤْمِنُ فَجَعَتُهَا ،
غَرَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ^(٣) نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ^(٤) ، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ ^(٥) لَا
تَعْدُو إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرُّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا ^(٦) أَنْ
تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ

(١) اليوم : أشد لوماً لنفسه بين يدي الله ؛ لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد .

(٢) الخبرة - بالفتح - السرور والنعمة .

(٣) حائلة : متغيرة .

(٤) نافذة : فانية « بائدة » ، أي : هالكة .

(٥) غوالة : مهلكة .

(٦) أي : إنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانهم فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره الله
في قوله « كماء - الخ » فقله « أن تكون » مفعول لتعدو .

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ^(١) وَكَانَ
 اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ^(٢) لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا
 أَعْقَبَتْهُ عِبْرَةٌ ^(٣) وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَائِهَا بَطْنًا ^(٤) إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا
 ظَهْرًا ، وَلَمْ تَطُلْهُ فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءٍ ^(٥) إِلَّا هَتَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَهُ بَلَاءٍ ،
 وَحَرِيٍّ ، إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَّصِرَةٌ ، أَنْ تُمْسِي لَهُ مُتَنَكِّرَةٌ وَإِنْ جَانِبٌ
 مِنْهَا آعْدُوذِبَ وَأَحْلَوْلَى أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبٌ فَأُوبَى ^(٦) لَا يَنَالُ أَمْرٌ مِنْ
 غَضَارَتِهَا رَغْبًا ^(٧) إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا ^(٨) ، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا
 فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ ^(٩) غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا
 فِيهَا ، فَابْنَةٌ فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا لَا خَيْرَ شَيْءٍ مَنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا أَلْتَقَوَى ،
 مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا أَسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ ، وَمَنْ أَسْتَكْثَرَ مِنْهَا أَسْتَكْثَرَ مِمَّا
 يُؤْبِقُهُ ^(١٠) وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ ، كَمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ ^(١١) وَذِي
 طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِي أُهْبَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا ^(١٢) وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ

(١) الهشيم : النبت اليابس المتكسر .

(٢) بالفتح : الدمعة قبل أن تفيض ، أو تردد البكاء في الصدر ، أو الحزن بلا بكاء .

(٣) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والادبار .

(٤) الطل : المطر الضعيف ، وطلت السماء : أمطرت ، والديمة : مطر يدوم في سكون لا

رعد ولا برق معه ، والرشاء : السعة ، وهتنت المزن : انصبت .

(٥) أوبى : صار كثير الوباء ، والوباء : هو المعروف بالريح الأصفر .

(٦) الغضارة : النعمة والسعة ، والرغب - بالتحريك - : الرغبة ، والمرغوب .

(٧) أرهقته التعب : ألحقته به .

(٨) القوادم : جمع قادمة ، وهي الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ،

وهي القوادم .

(٩) يهلكه .

(١٠) أوجعته بفقد ما يعز عليه .

(١١) أهبة - بضم فتشديد - : عظمة .

رَدَّتْهُ ذَلِيلًا^(١) ؟ سُلْطَانُهَا دَوْلٌ^(٢) ، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ^(٣) وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ^(٤)
وَحُلُوهَا صَبْرٌ^(٥) وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ^(٦) وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ^(٧) حَيْثُهَا بَعْرَضٌ
مَوْتٌ وَصَحِيحُهَا بَعْرَضٌ سُقْمٌ ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيْزُهَا
مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورُهَا مَنُكُوبٌ^(٨) ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ^(٩) أَلَسْتُمْ فِي
مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا ، وَأَبْقَى آثَارًا ، وَأَبْعَدَ آمَالًا ،
وَأَعَدَّ عَدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا : تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبْدٍ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ
إِثَارٍ ؛ ثُمَّ ظَنُّوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ^(١٠) ؟ !
فَهَلْ بَلَغْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِذْيَةٍ^(١١) أَوْ أَعَانَتْهُمْ
بِمَعُونَةٍ ، أَوْ أَحْسَنْتْ لَهُمْ صُحْبَةً ؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ^(١٢)

(١) النخوة - بالفتح - : الافتخار .

(٢) جمع دولة ، وهي : انقلاب الزمان .

(٣) رنق - بفتح فكسر - كدر .

(٤) مالح شديد الملوحة .

(٥) الصبر - ككتف - : عصارة شجر مر .

(٦) جمع - سم - مثلث السين - وهو من المواد : ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه .

(٧) جمع رمة - بالضم - وهي : القطعة البالية من الحبل ، أي : ما يتمسك به منها فهو بال منقطع .

(٨) موفورها : ما كثر منها مصاب بالنكبة ، وهي المصيبة أي : في معرض لذلك .

(٩) من حربه حرباً - بالتحريك - : إذا سلب ماله .

(١٠) ظهر قاطع : راحلة تركب لقطع الطريق .

(١١) أي : سخت نفسها لهم بفداء .

(١٢) أرهقتهم : غشيتهم بالقوادح - بالقاف - جمع قادح ، وهو : أكال يقع في الشجر والأسنان ، أي : بما ينهكهم ويمزق أجسادهم وفي نسخة « الفوادح » بالفاء - من « فدحه الأمر » إذا أثقله .

وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ ، وَضَعُضَتْهُمْ بِالنَّوَاسِبِ (١) وَعَفَّرَتْهُمْ
لِلْمَنَاخِرِ (٢) وَوَطَّئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ (٣) وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ
رَيْبَ الْمُنُونِ ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا (٤) حَتَّى ظَنَنْتُمْ
عَنْهَا (٥) لِفِرَاقِ الْآبِدِ (٦) وَهَلْ زَوَّدْتُهُمْ إِلَّا السَّغْبَ (٧) أَوْ أَحَلَّتْهُمْ
إِلَّا الضَّنْكَ (٨) أَوْ ثَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ (٩) أَوْ أَعَقَبَتْهُمْ إِلَّا
النَّدَامَةَ ؟ فَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ؟
فَبُئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمَهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا ،
فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا ، وَظَائِعُونَ عَنْهَا ، وَآتَعِظُوا
فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا
يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا (١٠) وَأَنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ (١١) فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجُعِلَ
لَهُمْ مِنَ الْأَصْفِيحِ أَجْنَانُ (١٢) وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانُ (١٣) وَمِنَ الرُّفَاتِ

(١) وضععتهم : ذللتهم .

(٢) كبتهم على مناخرهم في العفر ، وهو التراب .

(٣) جمع منسم ، وهو مقدم خف البعير ، أو الخف نفسه .

(٤) دان لها : خضع .

(٥) ركن إليها . (٦) السغب - محركة - : الجوع .

(٧) أي : فراق مدته لا نهاية لها . (٨) الضنك : الضيق .

(٩) « أو نورث لهم - الخ » : لم يكن لهم مما ظنوه نوراً لها إلا الظلام .

(١٠) لا يقال لهم ركبان ، جمع راكب ؛ لأن الراكب من يكون مختاراً وله التصرف في مركوبه .

(١١) القبور .

(١٢) الصفيح : وجه كل شيء عريض ، والمراد وجه الأرض ، والاجنان : جمع جين - محركة - : وهو القبر .

(١٣) لأن أكفانهم تبلى ولا يغشى أبدانهم سوى التراب .

جِيرَانٌ^(١) فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، وَلَا يُبَالُونَ مَنَدَبَةً : إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا^(٢) وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا : جَمِيعٌ وَهُمْ أَحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ، مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ^(٣) وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ^(٤) وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ؛ أَسْتَبَدُّوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا^(٥) حُفَاةً عُرَاءً ، قَدْ ظَنَعُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَالْدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدًا عَلَيْنَا ، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .

ومن خطبة له عليه السلام

٧٧٥

ذكر فيها ملك الموت

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا ؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا ؟

(١) الرفات : العظام المندقة المحطومة .

(٢) جيدوا : مطروا .

(٣) متقاربون لا يزور بعضهم بعضاً .

(٤) لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر .

(٥) جاءوا إلى الأرض ، واتصلوا بها ، بعد ما فارقوها ، وانفصلوا عنها ، في بدء خليقتهم ؛ فانهم خلقوا منها كما قال تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾ وقوله : « قد ظعنوا عنها » يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم : إما إلى الجنة ، وإما إلى النار كما يرشد إليه الاستشهاد بالآية .

بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ؟ أَيْلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ
جَوَارِحِهَا^(١) أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي
أَحْشَائِهَا ؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ ؟!

ومن خطبة له عليه السلام

﴿﴾

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنَزَلُ قُلْعَةٍ^(٢) ، وَلَيْسَتْ بِدَارٍ نُجْعَةٍ^(٣) قَدْ
تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا ، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا : فَخَلَطَ خَلَالَهَا
بِحَرَامِهَا ، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا ، وَحُلُوهَا بِمُرِّهَا : لَمْ
يُصِفْهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ ، خَيْرُهَا
زَهِيدٌ ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ^(٤) ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ وَعَامِرُهَا
يَخْرِبُ ، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تَنْقُضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ ؟ وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ
الزَّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقُطُ أَنْقِطَاعَ السَّيْرِ ؟! أَجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
مِنْ طَلِبِكُمْ^(٥) وَأَسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ
الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ . إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبَكَّى
قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرَحُوا ، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ

(١) يلج : يدخل .

(٢) القلعة - كهمة ، وطرفة ، ودجنة - من لا يثبت على السرج ، أو من يزل قدمه عند
الصراع ، أي : هي منزل من لا يستقر .

(٣) النجعة - بالضم - طلب الكلا في موضعه ، أي : ليست محط الرحال ، ولا مبلغ
الآمال .

(٤) حاضر .

(٥) مطلوبكم ، أي : اجعلوا الفرائض من مطالبتكم التي تسعون لنيلها ، واسألوا الله أن
يمنحكم ما سألكم من أداء حقه ، أي : يمن عليكم بالتوفيق لأداء حقه .

أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا^(١) قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ
 الْآجَالِ ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْأَمَالِ ، فَصَارَتْ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ
 مِنَ الْآخِرَةِ ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ
 عَلَى دِينِ اللَّهِ : مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ ، وَسُوءُ
 الضَّمَائِرِ : فَلَا تَوَازُرُونَ ، وَلَا تَنَاصَحُونَ ، وَلَا تَبَازِلُونَ ، وَلَا
 تَوَادُّونَ !! مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ ، وَلَا
 يَحْزَنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرِمُونَهُ ، وَيُقْلِقُكُمْ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا
 يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقَلْبِهِ صَبْرُكُمْ عَمَّا زُوي مِنْهَا
 عَنْكُمْ^(٢) ؟ ! كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ !! وَمَا
 يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةً إِنْ
 يَسْتَقْبِلُهُ بِمِثْلِهِ ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ ، وَحُبِّ
 الْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ^(٣) صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَّغَ
 عَنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١١٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنَّعَمِ ، وَالنَّعَمَ بِالشُّكْرِ ،
 نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ

(١) اغتبطوا : غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق .

(٢) قلة صبركم : عطف وجوهكم . وزوي : من « زواه » إذا نجاه .

(٣) عبر باللعقة عن الاقرار باللسان مع ركون القلب إلى مخالفته .

الْأَنفُسِ الْبَاطِلَةِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ^(١) السَّرْعِ إِلَى مَا نُهِيتَ عَنْهُ ،
وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ
وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ^(٢) . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانًا مِنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ ، وَوَقَفَ
عَلَى الْمَوْعُودِ : إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشَّرْكَ ، وَيَقِينُهُ الشُّكَّ .
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ ،
وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ : لَا يَخْفُ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانُ
تَرْفَعَانِ عَنْهُ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ ، وَبِهَا الْمَعَادُ ،
زَادٌ مُبْلَغٌ ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا خَيْرٌ
وَاعٍ^(٣) فَاسْمَعْ دَاعِيَهَا ، وَفَارِزَ وَاعِيَهَا .

عِبَادُ اللَّهِ ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ^(٤) ،
وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ
هَوَاجِرَهُمْ^(٥) فَآخِذُوا بِالرَّاحَةِ بِالنَّصَبِ^(٦) وَالرَّيِّ بِالظُّمَأِ ، وَاسْتَقْرَبُوا

(١) البطاء - بالكسر - جمع بطيئة ، والسراع : جمع سريعة .

(٢) غير تارك شيئاً إلا أحاط به .

(٣) وعاءها : فهمها وحفظها .

(٤) حَمَى الشيء : منعه ، أي منعتهم ارتكاب محرماتهم .

(٥) أظلماتها بالصيام .

(٦) التعب .

الْأَجَلَ ، فَبَادَرُوا الْعَمَلَ ، وَكَذَّبُوا الْآمَلَ ، فَلَا حَظُّوا الْآجَلَ . ثُمَّ
 إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ ، وَغَيْرٍ وَغَيْرٍ : فَمِنْ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ
 قَوْسُهُ^(١) لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ ، وَلَا تُؤَسِّي جِرَاحُهُ^(٢) يَرْمِي الْحَيَّ
 بِالْمَوْتِ وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ ؛ أَكُلٌ لَا يَشْبَعُ ،
 وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ^(٣) وَمِنْ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ ، وَيَبْنِي
 مَا لَا يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ لَا مَالَ حَمَلَ ، وَلَا بِنَاءَ نَقَلَ ،
 وَمِنْ غَيْرِهَا^(٤) أَنْكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً ، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً ،
 لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ^(٥) وَبُؤْساً نَزَلَ ، وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ
 يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ ، فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ ، فَلَا أَمَلَ يُدْرِكُ ، وَلَا
 مُؤَمَّلٍ يُتْرَكُ ! فَسُبْحَانَ اللَّهِ !! مَا أَغْرَّ سُرُورَهَا ، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا ،
 وَأَضْحَى فَيْئَهَا^(٦) ، لَا جَاءَ يُودُّ^(٧) وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ ! فَسُبْحَانَ اللَّهِ !! مَا
 أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ
 لَانْقِطَاعِهِ عَنْهُ .

(١) فمن أسباب الفناء كون الدهر قد أوتر قوسه ليرمي بها ابنائه .

(٢) تؤسي : تداوي ، من « أسوت الجرح » إذا داويته .

(٣) لا ينقع - كينفع - : لا يشتفي من العطش بالشرب .

(٤) غيرها - بكسر ففتح - تقلبها ، والمرحوم : الذي ترق له وترحمه لسوء حاله يصبح مغبوطاً على ما تجدد له من نعمة .

(٥) من « زل فلان زليلاً وزلولاً » إذا مر سريعاً ، والمراد انتقل . أو هو الفعل اللازم من « أزل إليه نعمه » أسداها .

(٦) أضحى كضحاً ، - كدعا - برز للشمس ، والفيء : الظل بعد الزوال ، أو مطلقاً .

(٧) الجائي : يريد به الموت .

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا ، فَكُمْ مِنْ مَنَقُوصٍ رَابِعٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ . إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ ، وَمَا أَجَلَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، فَذَرُّوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ ، قَدْ تَكْفَلُ لَكُمْ بِالرِّزْقِ ، وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أُولَى ^(١) بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ ، وَاللَّهِ ، لَقَدْ اعْتَرَضَ الشُّكُّ وَدَخَلَ الْيَقِينُ ^(٢) حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَأَنَّ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ ! فَبَادِرُوا الْعَمَلَ ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمَرِ مَا يُرْجَى رَجْعَةِ الرِّزْقِ ^(٣) مَا فَاتَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِي غَدًا زِيَادَتُهُ ، وَمَا فَاتَ أُمْسٍ مِنَ الْعُمَرِ لَمْ يُرَجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ . الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي ، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي فَ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

(١) طلبه : مبتدأ خبره « أولى » وجملتها خبر « يكون » .

(٢) دخل - كفرح - خالطه فساد الأوهام .

(٣) الذي يفوت من العمر لا يرجى رجوعه ، بخلاف الذي يفوت من الرزق ، فإنه يمكن

تعويضه .

ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

اللَّهُمَّ قَدْ أَنْصَاحَتْ جِبَالُنَا^(١) ، وَأَغْبَرَّتْ أَرْضُنَا ، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا ، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا ، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالِي عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَمَلَّتِ التَّرْدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا ، وَالْحَيْنَ إِلَى مَوَارِدِهَا . اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أُنِينَ الْآنَةِ ، وَحَيْنَ الْحَانَةِ . اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا ، وَأُنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا^(٢) . اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَايِرُ السُّنِينَ ، وَأَخْلَفْتَنَا مَخَايِلُ الْجُودِ^(٣) ؛ فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَسِ^(٤) وَالْبَلَغَ لِلْمُلْتَمِسِ : نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ ، وَهَلَكَ السَّوَامُ^(٥) أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلَا تَأْخِذْنَا

(١) انصاحت : جفت أعالي بقولها ، وبست من الجذب ، وليس من المناسب « انصاحت » بانشقت إلا أن يراد المبالغة في الحرارة التي اشتدت لتأخر المطر حتى اتقد باطن الأرض ناراً ، وتنفس في الجبال فانشقت ، وتفسير بقية الألفاظ يأتي في آخر الدعاء لصاحب الكتاب ..

(٢) مداخلها في المرباض .

(٣) مخايل : جمع خيلة - كمصيبة - وهي السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر والجود - بالفتح - المطر :

(٤) الذي مسته البأساء والضراء ، والبلاغ : الكفاية .

(٥) جمع سائمة : وهي البهيمة الراعية من الابل ونحوها .

بِذُنُونِنَا ، وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ^(١) وَالرَّبْرِيعِ
 الْمَغْدِقِ^(٢) وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ^(٣) سَحاً وَابِلًا^(٤) تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ ،
 وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ . اَللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ ، مُحْيِيَّةً ، مُرْوِيَّةً ، تَامَّةً ،
 عَامَّةً ، طَيِّبَةً ، مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً ، مَرِيعةً^(٥) زَاكِيَا نَبْتَهَا^(٦) ، ثَامِرَا
 فَرْعُهَا ، نَاصِرَا وَرَقُهَا ، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُحْيِي
 بِهَا أَلَمِيَّتَ مَنْ بِلَادِكَ . اَللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا^(٧)
 وَتَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا^(٨) وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا ،
 وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ، وَتَنْدِي بِهَا أَقَاصِينَا^(٩) ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا
 ضَوَاحِينَا^(١٠) مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ
 الْمُرْمَلَةِ^(١١) وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضَلَةً^(١٢)

(١) « انبعق المزن » : انفرج عن المطر كأنما هو حي انشقت بطنه فنزل ما فيها .

(٢) أغدق المطر : كثر ماؤه .

(٣) من « أنقني » إذا أعجبني ، أو من « أنقه » : إذا سره وأفرحه .

(٤) سحاً : صباً ، والوابل : الشديد من المطر الضخم القطر .

(٥) المريعة - بفتح الميم - : الخصبية .

(٦) زاكياً : نامياً ، وثامراً : مثمراً آتياً بالثمر .

(٧) جمع نجد : وهو ما ارتفع من الأرض ، والوهاد : جمع وهدة ، وهو ما انخفض منها .

(٨) الجناب : الناحية .

(٩) القاصية : الناحية ايضاً أو هي بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا ، في مقابلة

« جنابنا » .

(١٠) ضاحية المال : التي تشرب ضحى ، والضواحي : جمعها .

(١١) بصيغة الفاعل - : الفقيرة .

(١٢) مخضلة : من « أخضله » إذا بله .

مَدْرَارًا هَاطِلَةً يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقُ^(١) ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا
الْقَطْرَ^(٢) غَيْرُ خُلْبٍ بَرَقُهَا^(٣) وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا^(٤) وَلَا قَزَعٍ
رَبَابُهَا^(٥) ، وَلَا شَفَانٍ ذَهَابُهَا^(٦) حَتَّى يُخْصِبَ لِامْرَأَةٍ
الْمُجْدِبُونَ ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْتُونَ^(٧) فَإِنَّكَ تَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا
قَنُطُوا ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ .

قَالَ الشَّرِيفُ : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « أَنْصَاحَتْ جِبَالُنَا » أَيُّ :
تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمُحُولِ ، يُقَالُ ، أَنْصَاحَ الثَّوْبِ ، إِذَا أَنْشَقَ . وَيُقَالُ
أَيْضًا : أَنْصَاحَ النَّبْتِ وَصَاحَ وَصُوحَ إِذَا جَفَّ وَيَبَسَ . وَقَوْلُهُ « وَهَامَتْ
دَوَابُّنَا » أَيُّ : عَطِشَتْ ، وَالْهُيَامُ : الْعَطَشُ . وَقَوْلُهُ : « حَدَابِيرُ
السُّنَيْنِ » جَمْعُ حَدَبَارٍ : وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَنْصَاهَا السَّيْرُ فَشَبَّهَ بِهَا
السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا الْجَدْبُ ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ : -

حَدَابِيرُ مَا تَفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً
عَلَى الْخُسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا

(١) الودق : المطر .

(٢) يحفز : يدفع .

(٣) البرق الخلب : ما يطمعك في المطر ولا مطر معه .

(٤) الجهام - بالفتح - : السحاب الذي لا مطر فيه ، والعارض : ما يعرض في الأفق عن
السحاب .

(٥) الرباب : السحاب الأبيض .

(٦) جمع ذهبة - بكسر الذال - : المطرة القليلة ، وهو المراد بالليلنة في تفسير صاحب
الكتاب .

(٧) المقحطون .

وَقَوْلُهُ « لَا قَزَعٌ رَبَّابُهَا » : الْقَزَعُ : الْقِطْعُ الصَّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنْ
السَّحَابِ ، وَقَوْلُهُ «وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا» فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ : وَلَا ذَاتِ شَفَّانٍ
ذِهَابُهَا ، وَالشَّفَّانُ : الرِّيحُ الْبَارِدَةُ ، وَالذَّهَابُ : الْأَمْطَارُ اللَّيْنَةُ ،
فَحَذَفَ « ذَاتَ » لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١١٨

أَرْسَلَهُ ذَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ ، وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ ، فَبَلَغَ
رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، غَيْرَ وَاِنٍ وَلَا مُقَصِّرٍ^(١) ، وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ
وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ^(٢) ، إِمَامٌ مِّنْ أَتَقَى وَبَصُرَ مِّنْ أَهْتَدَى .

ومنها : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ مِمَّا طُويَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذَا
لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ^(٣) تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ^(٤) ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا ، وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا^(٥)

(١) وان : متباطيء مثاقل ، وتقول : وفي في الأمر وفي وونيا - من بابي تعب ووعد - إذا
ضعف وفتر ، فهو وان ، وفي التنزيل : ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾

(٢) واهن : ضعيف ، وتقول : وهن وهنا - من باب وعد - إذا ضعف فهو وان : في الأمر
والعمل والبدن ، وتقول : وهته ، إذا اضعفته يتعدى ويلزم ، والأجود تعديته
بالهمزة ، ووهن يهن - بالكسر فيهما - لغة ، وجاء مصدره بالتحريك ، . والمعذر : من
يعتذر ولا يثبت له عذر .

(٣) الصعدات - بضمتين - : جمع صعيد بمعنى الطريق ، والصعيد : التراب ، ويقال : هو
وجه الأرض . ويجمع على صعد وصعدات ، وطريق وطرق وطرقات أي : لتركتم
منازلكم وهتمتم في الطرق من شدة الخوف .

(٤) الالتدام : ضرب النساء صدورهن أو وجوههن للنياحة .

(٥) الخالف : من تركه في أهلك ومالك إذا خرجت لسفر أو حرب .

وَلَهَمْتُ كُلَّ أَمْرٍ نَفْسُهُ^(١) لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا ، وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ
مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِيتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ^(٢) ، وَتَشَتَّتَ
عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، وَلَوِدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَالْحَقَّيْنِي بِمَنْ
هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ : قَوْمٌ ، وَاللَّهِ ، مَيَامِينُ الرَّأْيِ^(٣) مَرَا جِئِحُ
الْحِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ ، مَضَوْا قُدُمًا^(٤) عَلَى
الطَّرِيقَةِ ، وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ^(٥) ، فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ ،
وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ^(٦) أَمَا وَاللَّهِ لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفُ الذِّيَالِ
الْمِيَالِ^(٧) : يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ ، وَيَذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِلَيْهِ أَبَا وَدَحَةَ !

(١) همته : حزنه وشغلته ، ويروى « ولأهمت كل امرئ - الخ » وهو أفصح من الرواية المذكورة ، نقول : أهمني الأمر ، أي : أحزني .

(٢) نقول : تاه عن فلان رأيه ، أي : عذب ، وغاب ، وضل .

(٣) ميامين : جمع ميمون ، وهو المبارك ، « مراجيح » : أي : حلماء من « رجح » إذا ثقل ومال بغيره ، والمراد الرزانة ، أي : رزاء الحلم - بكسر الحاء - وهو العقل ، ومقاويل : جمع مقوال ، وهو من يحسن القول ، ومتاريك : جمع متراك ، وهو المبالغ في الترك .

(٤) القدم - بضمين - : المضي إلى أمام ، أي : سابقين .

(٥) الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل ، وأوجف خيله : سيرها بهذا النوع ، أي : أسرعوا على الطريق المستقيمة .

(٦) من قولهم : « عيش بارد » أي : هنئ ويقال « غنيمة باردة ، وكرامة باردة » إذا كانت قد أخذت بغير حرب ولا عنف ، وذلك أن المأخوذ بالحرب جار في المعنى ؛ لما يلاقيه كاسه وإن في تحصيله .

(٧) الذيال : الطويل القد ، الطويل الذيل ، المتبخر في متيته ، وأصله من « ذال » إذا تبخر وجرد ذيله على الأرض تيهاً وعجباً ، وجرد الذيول من أعمال المتكبرين أو « الميال » : الجائر الظالم العادل عن طريق الحق والعدل ، و « يأكل خضرتكم » أي أموالكم ، و « يذيب شحمتكم » مثله ، وكلتا الجملتين استعارة ...

قَالَ الشَّرِيفُ : أَقُولُ : الْوَذْحَةُ : الْخَنَفَسَاءُ . وَهَذَا الْقَوْلُ
يُؤَمِّىءُ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ وَلَهُ مَعَ الْوَذْحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ
ذِكْرِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

١١٥

فَلَا أَمْوَالَ بَدَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا
لِلَّذِي خَلَقَهَا ، تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ^(٢) ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي
عِبَادِهِ ، فَأَعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْقِطَاعِكُمْ عَنْ
أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ .

ومن كلام له عليه السلام

١١٦

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْجَنَنُ
يَوْمَ الْبَاسِ^(٣) وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ^(٤) بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدِيرَ ،

(١) قالوا : أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها ، فعادت ثم طردها فعادت ،
فأخذها بيده فلسعته ، فورمت يده ، وأخذته حى من اللسعة فأهلكته ، قتله الله
بأضعف مخلوقاته وأهونها ، وأصل الودح : ما يتعلق بأذنان الشاة من أبعادها فيجف ،
وسميت الخنفساء وذحة على التشبيه بالبعرة .

(٢) كرم الشيء - كحسن يحسن - أي : عز ونفس ، أي : إنكم تصيرون أعزاء بنسبتكم
للإيمان بالله ، ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالإحسان إلى عباده .

(٣) الجنن - بضم ففتح - : جمع جنة - بالضم - وهي الوقاية ، والبأس : الشدة .

(٤) بطانة الرجل : خواصه ، وأصحاب سره .

وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ (١) فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ ؛
سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُولَى النَّاسِ بِالنَّاسِ .

ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسَ وَحَضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فَسَكْتُوا مَلِيًّا (٢)

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمْخَرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ سَرْتَ سِرَّنَا مَعَكَ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

مَا بِالْكُمْ لَا سُدَّدْتُمْ لِرُشْدٍ (٣) وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ ؟ أَفِي مِثْلِ
هَذَا يَنْبَغِي أَنْ أُخْرَجَ !؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ
مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْمَضَرَ ،
وَالْجُنْدَ ، وَبَيْتَ الْمَالِ ، وَجَبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أُخْرَجَ فِي كِتَابَةٍ أَتَّبَعَ
أُخْرَى أَتَقَلَّقُ تَقَلُّقَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ (٤) . وَإِنَّمَا أَنَا

(١) أما ضربه بهم المدبر فظاهر ، وأما رجاء طاعة المقبل فلأن من ينضوي إليه من المخالفين
إذا رأى ما عليه شيعته ويطأته من الأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة أطاعه بقلبه باطناً ،
بعد أن كان انضواؤه إليه على الظاهر .

(٢) قال بعضهم : إن أمير المؤمنين قال هذا الكلام عندما كان يغير أهل الشام على أطراف
أعماله بعد واقعة صفين ، وقوله « سكتوا ملياً » أي : ساعة طويلة ، وتقول : مضى ملي
من النهار ، وفي التنزيل : ﴿ وَاهْجُرْنِي مِلِّيًّا ﴾ وكذلك تقول : أقمت عند فلان ملاوة
من الدهر - والميم مثلية - أي : حيناً وبرهة .

(٣) سدده : وفقه للسداد .

(٤) القدح - بالكسر - : السهم قبل أن يراش وينصل ، والجفير : الكنانة توضع فيها =

قُطِبَ الرَّحَى ، تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ (١)
 مَدَارُهَا ، وَأَضْطَرَبَ ثُفَالُهَا (٢) هَذَا - لَعَمْرُ اللَّهِ - الرَّأْيُ السُّوءُ !!
 وَاللَّهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي
 لِقَاؤُهُ (٣) ؛ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي (٤) ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا
 اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدِيدِكُمْ (٥) مَعَ قِلَّةِ
 اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا
 يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ (٦) مَنْ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ .

ومن كلام له عليه السلام

❦❦❦

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ ، وَإِثْمَامَ الْعِدَاتِ (٧) وَتَمَامَ

= السهام ، وقيل : الحفير وعاء للسهام أوسع من الكنانة ، وإنما خص القدح لأنه يكون أشد قلقلة من السهم المراش ، حيث إن حد الريش قد يمنعه من القلقلة أو يخففها .

(١) استحار : تردد ، واضطراب .

(٢) الثفال - كغراب ، وكتاب - : الحجر الأسفل من الرحى ، وكتاب : ما وقيت به الرحى من الأرض ، وهو جلد يبسط ثم توضع الرحى فوقه ويطحن ؛ ليسقط عليه الدقيق .

(٣) حم : قدر .

(٤) حزمت إبلي وأحضرتها للركوب « وشخصت » أي : بعدت عنكم ، وتخلّيت عن أمر الخلافة .

(٥) الغناء - بالفتح والمد - : النفع .

(٦) الذي حتم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه وجبلته ، وإنما قال « الطريق الواضح » فذكر الطريق ، ثم قال « لا يهلك عليها » فأنت ؛ لأنه يذكر ويؤنث .

(٧) جمع عدة - بكسر العين - وهي الوعد ، وقوله « لقد علمت » يروي الفعل مبنياً للمعلوم =

الْكَلِمَاتِ ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحَكَمِ ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ ، أَلَا
وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ^(١) مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحَقٍّ
وَعَنِمَ ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ .

أَعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخِرُ لَهُ الدَّخَائِرُ ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ ، وَمَنْ
لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرٌ لَبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ^(٢) وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ^(٣) وَاتَّقُوا نَاراً
حَرَّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَلِيتُهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ^(٤) .
أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ ، يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ ،
خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْمَالِ يُوْرثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ^(٥) .

ومن كلام له عليه السلام

٧٧٩

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : نَهَيْتُنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ

= مخفف الحشو ، ويروى للمجهول مشدد اللام ، والرواية الثانية أصح وأوفق وإتمام
العدات : إنجازها والوفاء بها .

(١) مستقيمة : أو قريبة سهلة ، يقال : بيننا وبين الماء ليلة قاصدة .

(٢) عازبه : غائبه ، أي : من لم ينتفع بعقله الموهوب له الحاضر في نفسه ، فأولى به أن لا
ينتفع بعقل غيره الذي هو غائب عن نفسه ، أي : ليس من صفاتها ، بل من صفات
الغير ، والمراد أن من لم يكن له من نفسه ومن ذاته واعظ وزاجر يردعه عن فعل القبيح
وإتيان ما يلحقه العار بسببه ؛ فبعيد أن يرتدع بعظة غيره أو ينزجر بزجره ، كما قيل :
من لم يكن له من نفسه واعظ ، لم تنفعه المواعظ .

(٣) عوز الشيء - كفرح - أي : لم يوجد .

(٤) الصديد : ماء الجرح الرقيق والحميم .

(٥) اللسان الصالح : الذكر الحسن .

أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَذَرِي أَيَّ الْأَمْرَيْنِ أَرَشَدُ ؟ فَصَفَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ :

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ (٢) أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا : فَإِنْ أَسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ ، وَإِنْ أَعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى ، وَلَكِنْ بِمَنْ ؟ وَإِلَى مَنْ ؟ أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ الشُّوْكَةِ بِالشُّوْكَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا (٣) .

اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيَّ (٤) وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ

(١) هذه احدى شبه الذين خرجوا على الإمام رضي الله عنه ، يريدون بذلك أن يحكموا بأنه مخطيء لا محالة ؛ لأنه قد نهاهم أول الأمر عن الحكومة ثم أمرهم بها وسوغها : فإن كانت الحكومة مصلحة فقد أخطأ في بادئ الأمر حين نهاهم عنها ، وإن كانت الأخرى فقد أخطأ حين رجع عن رأيه الأول وجوزها . وهذا كلام من لا يعرف الحق ولا يدعن له إن ظهر ؛ فإن لإمام المؤمنين أن يأمرهم بما يغلب على ظنه أنه مصلحة ، ولا يمنعه ذلك من أن يغير أمره لمصلحة تظهر بعد خفاء .

(٢) ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة ، حتى يكون الظفر أو الهزيمة .

(٣) الضلع - بتسكين اللام - الميل ، وأصل المثل : « لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها » يضرب للرجل يخاصم آخر ، ويستعين عليه بمن هو من قرابته ، أو أهل مشربه ، ونقش الشوكة : إخراجها من العضو تدخل فيه ومعنى المثل : لا تستخرج الشوكة الناشبة في رجلك بشوكة مثلها ؛ فإن إحداها في القوة والضعف كالأخرى : فكما أن الأولى انكسرت لما وطئها فدخلت في لحمك ، فالثانية إذا حاولت استخراج الأولى بها تتكسر وتليج في لحمك .

(٤) الدوي - بفتح فكسر - المؤلم الشديد .

بِأَسْطَانِ الرَّكِيِّ (٤) أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ؟
 وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَجْكُمُوهُ ، وَهَيِّجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلَّوْهُا وَلَهُ اللَّقَاحُ
 إِلَى أَوْلَادِهَا (٢) وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ
 رَحْفًا رَحْفًا وَصَفًّا صَفًّا؟ بَعْضُ هَلَكَ وَبَعْضُ نَجَا! لَا يُبَشِّرُونَ
 بِالْأَحْيَاءِ (٣) وَلَا يُعْزَوْنَ عَنِ الْمَوْتِ ، مَرَّةُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ (٤) خُمُصُ
 الْبُطُونِ (٥) مِنَ الصِّيَامِ ، ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ (٦) صُفْرَ الْأَلْوَانِ مِنَ
 السَّهْرِ ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ ، أَوْلَيْكَ إِخْوَانِي
 الذَّاهِبُونَ ، فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَنْظُمًا إِلَيْهِمْ وَنَعُضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ .
 إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرْقَهُ (٧) وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً
 عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ (٨) فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ (٩)
 وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ (١٠) .

(١) كَلَّتْ : ضَعُفَتْ ، وَالتَّرْعَةُ : جَمْعُ نَازِعٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَقِي الْمَاءَ ، وَالْأَسْطَانُ : جَمْعُ
 شَطْنٍ ، وَهُوَ الْحَبْلُ ، وَالرَّكِيُّ : جَمْعُ رَكِيَّةٍ ، وَهِيَ الْبُشْرُ ، أَيْ : ضَعُفَتْ قُوَّةُ النَّازِعِينَ
 لِمَا هُوَ الْمَعُونَةُ مِنْ آبَارِ هَذِهِ الْهَمَمِ الْغَائِضَةِ الْغَائِثَةِ .

(٢) اللَّقَاحُ : جَمْعُ لِقَاحٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ ، وَ« وَلَّاهَا إِلَى أَوْلَادِهَا » فَرَعَهَا إِلَيْهَا إِذَا فَارَقَتْهَا .

(٣) إِذَا قِيلَ لَهُمْ : نَجَا فَلَانٌ فَبَقِيَ حَيًّا لَا يَفْرَحُونَ ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْحَيَاةِ عِنْدَهُمْ حَيَاةُ السَّعَادَةِ
 الْأَبَدِيَّةِ .

(٤) مَرَّةٌ - بَضْمٌ فَسْكَوْنٌ - جَمْعُ أَمْرَةٍ ، مِنْ « مَرِهْتَ عَيْنَهُ » إِذَا فَسَدَتْ ، أَوْ ابْيَضَّتْ
 حَالِقُهَا .

(٥) خُمُصُ الْبُطُونِ : ضَوَامِرُهَا .

(٦) ذُبُلَتْ شَفَتُهُ : جَفَتْ وَبَسَتْ لَذَهَابِ الرِّيقِ .

(٧) يُسْنِي : يَسْهَلُ .

(٨) يُعْطِيكُمْ الْفُرْقَةَ بَدَلَ الْجَمَاعَةِ ، كَأَنَّهُ يَبِيعُهُمُ الثَّانِيَةَ بِالْأُولَى .

(٩) فَاصْدِفُوا : أَيُّ فَاْعَرْضُوا عَنْ وَسَاوِسِهِ .

(١٠) اعْقِلُوهَا : احْبِسُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ لَا تَتْرُكُوهَا فَتَضَيِّعَ مِنْكُمْ .

ومن كلام له عليه السلام

قَالَ لِلْخَوَارِجِ ، وَقَدْ خَرَجَ إِلَى مُعَسَّكِرِهِمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى
إِنْكَارِ الْحُكُومَةِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَكُلُّكُمْ شَهِدٌ مَعَنَا صِفِّينَ ؟ فَقَالُوا : مَنْ مِنْ شَهِدٍ وَمَنْ مِنْ لَمْ
يَشْهَدْ ، قَالَ : فَاِمْتَاذُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ
لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً ، حَتَّى أَكَلَّمَ كُلًّا بِكَلَامِهِ ؛ وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ :
أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ، فَمَنْ
نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ
طَوِيلٍ مِنْهُ :

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ - حِيلَةً ، وَغِيلَةً ، وَمَكْرًا ،
وَخَدِيعَةً - إِخْوَانُنَا ، وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا : اسْتَقَالُونَا ، وَاسْتَرَاخُوا إِلَى كِتَابِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ ، وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ ؟ فَقُلْتُ
لَكُمْ : هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ ، وَآخِرُهُ
نَدَامَةٌ ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَالْزُمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى
الْجِهَادِ بِنَوَاجِدِكُمْ ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ،
وَإِنْ تَرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطِيتُمُوهَا^(١)
وَاللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا ،
وَوَاللَّهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لِلْمُحِقِّ الَّذِي يُتَّبَعُ ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِيَ : مَا

(١) أنتم الذين أعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها براكم .

فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ : فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى آبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ
فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيْمَانًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ ،
وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا
نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْإِعْوَجَاجِ
وَالشُّبْهَةِ وَالتَّوِيلِ ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ^(١) يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعْنًا ،
وَنَتَدَانِي بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغْبًا فِيهَا ، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

ومن كلام له عليه السلام

٩٦٧

قَالَ لِأَصْحَابِهِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ

وَأَيُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَحْسَنُ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَاشٍ عِنْدَ الْلِقَاءِ^(٢)
وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًّا^(٣) ، فَلْيَذُبْ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ
نَجْدَتِهِ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ ، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ . فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ أَلَمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ^(٤) : لَا يَفُوتُهُ أَلْمَقِيمٌ وَلَا

(١) المراد من الخصلة - هنا : الوسيلة ، ولم شعثه : جمع أمره ، ونتداني : نتقارب
إلى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .

(٢) أحسن : علم ، ووجد ، ورباطة الجأش - ككتابة - قوة القلب عند لقاء الأعداء ،
قال ابن أبي الحديد : والماضي « ربط » كأنه يربط نفسه عن الفرار ، والمروى
« ورباطة » بالكسر ، ولا أعرفه نقلاً ، ولكن القياس لا يأباه ، مثل : عمر عمارة ،
وخلب خلابة .

(٣) الفشل : الضعف ، وقوله « فليذب » أي : فليدفع ، النجدة - بالفتح - الشجاعة .

(٤) الحثيث : السريع . قال الشارح : وفي بعض الروايات « فليذب » بالادغام ، وفي

يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي
طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ
فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

منه : وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُونَ كَشِيشَ الضُّبَابِ (١) لَا
تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضِيَاءً ! قَدْ خُلِيتُمْ وَالطَّرِيقَ (٢) . فَالْنَجَاةُ
لِلْمُقْتَحِمِ وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ .

ومن كلام له عليه السلام

١٧٧

فِي حَدِّ أَصْحَابِهِ عَلَى الْقِتَالِ

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ (٣) ، وَأَخْرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى

= بعضها « فليذب » بفكه . والميته - بالكسر - هيئة الميت كالجلسة والركبة لهيئة
الجالس والراكب ، ويقال : مات فلان ميتة حسنة ، والمروي في أكثر الروايات
بالكسر ، وقد روى « من موته » بالفتح وهو المرة الواحدة ، وهو الأليق ؛ ليقع في
مقابلة « ألف ضربة » في سبيل الحماية عن الحق ورد كيد الباطل عنه .

(١) كشيش الضباب : صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها ، والمراد حكاية حالهم عند
الهزيمة ، وقال الشارح : الكشيش . صوت يشويه خور مثل الخشخشة ، وكشيش
الأفعى صوتها من جلدها لا من فمها ، قال الراجز :

كشيش أفعى أجمعت لبعض وهي تحك بعضها ببعض

(٢) قد خلى بينكم وبين طريق الآخرة ، فمن اقتحم أخطار القتال ورمى بنفسه إليها فقد
نجا ، ومن تلوم - أي : توقف وتباطأ - فقد هلك .

(٣) الدارِع : لابس الدرع ، والحاسر : من لا درع له . ولا مغفر ، وقد أمرهم بذلك
لأن سورة الحرب تصادف الأول المتقدم .

الْأَضْرَاسِ ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ^(١) وَالتَّوُوا فِي أَطْرَافِ
الرَّمَاحِ^(٢) فَإِنَّهُ أُمُورٌ لِلْأَسِنَّةِ . وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ ،
وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفُشْلِ ، وَرَأَيْتَكُمْ
فَلَا تُمِيلُوهَا ، وَلَا تُخِلُّوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ
وَالْمَانِعِينَ الذَّمَّارَ مِنْكُمْ^(٣) فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ^(٤) ،
هُمْ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَأْيَاتِهِمْ ، وَيَكْتَنِفُونَهَا : حِفَافِيهَا ، وَوَرَاءَهَا ،
وَأَمَامَهَا ، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيَسْلِمُوهَا ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا
فَيَفْرُدُوهَا .

أَجْزَأُ أَمْرُؤُ قِرْنَهُ^(٥) وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى

(١) « أنبى » من « نبا السيف » إذا وقفته الصلابة من موقعه فلم يقطع .

(٢) إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانعطفوا وأميلوا جانبكم فتزلق ولا تنفذ فيكم
أسنتها . « وأمور » . أي : أشد فعلاً للمور ، وهو الاضطراب الموجب للانزلاق
وعدم النفوذ ، وإنما أمرهم بغض الأبصار في الحرب لأن الغاض بصره في الحرب
أحرى ألا يدهش ولا يرتاع لهول ما ينظر . وإنما أمرهم بإماتة الأصوات وانخفاءها
لأنه أطرد للفشل وأذهب للجبن والخوف ، كما قال ، وذلك لأن الجبان يردد ويرق
والشجاع صامت لا يتكلم وإنما يفعل .

(٣) الذمار - بالكسر - ما يلزم الرجل حفظه وحمايته : من ماله ، وعرضه . أمرهم ألا
يجعلوا رأيته بيد الجبناء وذوي الهلع منهم لأن هؤلاء يخيمون ويجبنون فإذا فعلوا
ذلك انهزم الجمع .

(٤) جمع حاقة ، وهي النازلة الثابتة ، و« يحفون بالرايات » أي : يستديرون حولها ،
ويكتنفونها : يحيطون بها ، وحفافها : جانبيها .

(٥) « أجزأ » وما بعده : أفعال ماضية في معنى الأمر ، أي : فليكيف كل منكم قرنه -
أي كفوؤه وخصمه - فيقتله ، وليواس أخاه ، آساه يواسيه : قواه ، رباعي ثلاثية
« أسى البناء » إذا قوي ، ومنه الأسية للمحكم من البناء والدعامة ، ولا يترك خصمه
إلى أخيه فيتجمع على أخيه خصمان فيغلبانه ثم ينقلبان عليه فيهلكانه .

أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ
الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ (١)
وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ . إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ (٢) وَالذَّلَّ الْإِلَازِمَ ،
وَالْعَارَ الْبَاقِي ، وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمْرِهِ ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ يَوْمِهِ . الرِّائِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَانِ يَرُدُّ الْمَاءَ . الْجَنَّةُ تَحْتَ
أَطْرَافِ الْعَوَالِي (٣) ، الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ (٤) ، وَاللَّهُ لَأَنَا أَشَوْقُ إِلَى
لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . اَللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ
جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتَّ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ (٥) ؛ إِنَّهُمْ لَنْ
يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكِ (٦) يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ ، وَضَرْبٍ

(١) لهاميم : جمع لهميم بالكسر - الجراد السابق من الإنسان والخيول ، وقيل : للواحد
لهموم ، وقوله « والسنام الأعظم » يريد شرفهم وعلو أنسابهم ، لأن السنام أعلى
أعضاء البعير ، فهو على طرق الاستعارة .

(٢) موجدته : غضبه وسخطه . وقوله « والذل الإلزام » يروى بالزاي وبالأل ، وهما
بمعنى واحد ، تقول : لذمت المكان ولزمته ، بمعنى .

(٣) العوالي : الرماح ، وهذا المعنى مأخوذ من قوله ﷺ « الجنة تحت ظلال السيوف »
ويروى أن رجلاً من الأنصار سمع النبي ﷺ يقول ذلك يوم أحد ، وكان في يده
تميرات يأكلها ، فقال بخ بخ ، ليس بيني وبين الجنة سوى هذه التميرات ، ثم
قاتل حتى قتل .

(٤) تبلى : تمتحن أخبار كل امرئ عما في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الإيمان
فيتبين الصادق من الكاذب ، وهذا مأخوذ مما في التنزيل : ﴿ وَبَلِّغُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

(٥) أبسله : أسلمه للهلكة ، فهو مبسل ، وقال الله تعالى : ﴿ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ . أَوْلَئِكَ
الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي : أسلموا للهلاك لأجل ما اكتسبوه من الإثم . قال
الشارح وهذه الألفاظ كلها لا يتلو بعضها بعضاً وإنما هي متزعة من كلام طويل :
انتزعها الرضي واطرح ما عداها .

(٦) دراك - ككتاب ، متابع متوال ، بفتح في أبدانهم أبواباً يمر منها النسيم .

يَفْلِقُ آلِهَامَ ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ^(١) ، وَحَتَّى
يُرْمُوا بِالْمَنَاسِرِ تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ^(٢) ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا
الْحَلَائِبُ^(٣) وَحَتَّى يُجَرَّ بِإِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ ، وَحَتَّى
تَدْعُقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ^(٤) وَيَأْغْنَانِ مَسَارِيهِمْ
وَمَسَارِحِهِمْ^(٥) .

قَالَ الشَّرِيفُ : أَقُولُ : الدَّعُقُ : الدَّقُّ ، أَيُ : تَدُقُّ الْخُيُولُ
بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ . وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ : مُتَقَابِلَاتُهَا . يُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي
فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ ، أَيُ : تَتَقَابَلُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٦٣

فِي التَّحْكِيمِ

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ ، وَهَذَا الْقُرْآنُ
إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ^(٦) لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ

(١) « يَنْدِرُهَا » - بوزن يهلكها أي يسقطها .

(٢) المناسر: جمع منسر - كمجلس ، القطعة من الجيش تكون امام الجيش الأعظم .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، وهي من المائة إلى الألف ، والحلائب جمع حلبة وهي -
على ما في القاموس - الجماعة من الخيل تجتمع من كل صوب للنصرة ،
والخميس : الجيش العظيم ، وقيل : من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً .

(٤) دق الطريق - كمنع وطئه وطئاً شديداً ، ودعق الغارة : بثها .

(٥) أعنان الشيء : أطرافه ، والمسارب : المذاهب للرعي .

(٦) الدفتان : صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف ، والترجمان - بفتح التاء =

تَرْجُمَانٍ ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ . وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحْكَمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ : أَنْ نُحْكَمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصَّدَقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ^(١) ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ ، وَيَتَّسَبَّتَ الْعَالِمُ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا تُأْخِذَ بِأَكْظَامِهَا ^(٢)

= وسكون الراء وضم الجيم ، وربما ضموا التاء اتباعاً لضم الجيم - هو من يفسر اللغة بلسان آخر ، قال الراجز: كالترجمان لقي الأنباط* وقال الآخر: قد احوجت سمعي إلى ترجمان* يقول عليه السلام : لا اعتراض عليّ في التحكيم ؛ وقول الخوارج « حكمت الرجال » كلام غير صحيح ؛ لأنني إنما حكمت القرآن ، ولكن القرآن لا ينطق بنفسه ، فلا بد له ممن يترجم .

(١) يريد أنه دعي إلى التحكيم لم يرد أن يكون من الذين قال الله عز وجل في شأنهم : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ بل أجاب عملاً بما ذكره من النص ، ولو حكمنا: بالحق في هذه الواقعة لوجدوه أحق بتدبير أمر الأمة .

(٢) الأكظام : جمع كظم - محرّكة - وهو مخرج النفس ، والأخذ بالأكظام : المضايقة والاشتداد بسلب المهلة ، يقول : كرهت أن أعجل القوم عن التبين والاهتداء ، فيكون إرهابي لهم وتركى التنفيس عن خناقهم ادعى إلى فسادهم وأحرى أن يحملهم على ركوب متن الغي وألا يقلعوا عما هم عليه من القبيح .

فَتَعَجَّلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ ، وَتَنَقَّادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ .

إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ أَلْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ،
وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّثَهُ^(١) ، مِنْ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ ، فَأَيْنَ يَتَاهُ
بِكُمْ ؟ مِنْ أَيْنَ أُتَيْتُمْ ؟ اسْتَعِيدُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنْ الْحَقِّ
لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ^(٢) لَا يَعْدِلُونَ بِهِ ! جُفَاءً عَنِ
الْكِتَابِ ، نُكْبٍ عَنِ الطَّرِيقِ^(٣) ، مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا^(٤) وَلَا
زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا^(٥) ، لِبِئْسَ حُشَّاشٌ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ^(٦) أَفٍّ

(١) كرثه - كنصره وضربه - اشتد عليه الغم بحكم الحق ؛ فإن الحزن بالحق مسرة
لديه ، والمسرة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم . وقوله « من الباطل » متعلق
بأحب إليه .

(٢) « أين يتاه بكم » معناه أين تذهبون في التيه ، يعني في الحيرة ، ويروى « فأنى يتاه
بكم » وقوله « ومن أين أتيتم ؟ » معناه من أي المداخل دخل عليكم الشيطان أو
الشبهة ؟ ومن الموالج ولج التلبيس إليكم ؟ وقوله « موزعين » : من « أوزعه » أي :
أغراه ؛ وقوله « لا يعدلون به » أي : أي لا يستبدلونه بالعدل .

(٣) الجفأة جمع جاف ؛ وهو النابي البعيد عن الشيء ، أي : قد تباعدوا عن الكتاب
فلا هو يلائمهم ولا هم يجنحون إليه ، ونكب : جمع ناكب ؛ وهو الحائد عن
الطريق .

(٤) أي بعروة وثيقة يستمسك بها . وقال الشارح « أي : بذئ وثيقة ، فحذف
المضاف ، والوثيقة : الثقة ، يقال : قد أخذت في أمر فلان بالوثيقة ؛ أي :
بالثقة ، والثقة مصدر » اهـ .

(٥) زافرة الرجل : أنصاره وأعوانه .

(٦) الحشاش : جمع حاش ، من « حش النار » أي : أوقدها ، أي لبئس الموقدون لنار
الحرب أنتم ، وروي حشاش - بزنة غراب - وهو ما توقد به النار ، وروي حشاش
بفتح الحاء كسحاب - وهو الحطب الذي يلقي في النار قبل الحطب الجزل ، قاله
ابن أبي الحديد .

لَكُمْ ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحاً^(١) !! يَوْمًا أَنَادِيكُمْ ؛ وَيَوْمًا أَنَاجِيكُمْ !
فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ^(٢) .

ومن كلام له عليه السلام

١٧٨

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ؟ وَاللَّهِ مَا
أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ^(٣) وَمَا أَمْ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً^(٤) لَوْ كَانَ
الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ؛ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ ! أَلَا وَإِنَّ
إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي
الدُّنْيَا ، وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ
اللَّهِ ، وَلَمْ يَضَعْ أَمْرُؤُ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا

(١) برحاً - بالفتح : شراً أو شدة .

(٢) النجاء : الإفضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر . وهو مصدر
ناجيته ، مثل قاتلته وناديته .

(٣) ما أطور به : من « طار يطور حول الشيء » أي : ما أمر به ، ولا أقاربه ، مبالغة
في الابتعاد عن العمل بما يقولون . و « ما سمر سمير » أي : مدى الدهر . وهو
مثل ، والمشهور فيه « ما سمر ابنا سمير » قالوا . السمير هو الدهر وابناه الليل
والنهار ، وقيل السمير هو السمر ، وجعل الليل والنهار بينه لأنه يسمر فيهما ، وربما
قالوا : « لا أفعله السمر والقمر » أي : ما دام الناس في ليالي القمر ، وقد يقولون
« لا أفعله سمير لليالي » ومنه قول الشنفرى في بعض رواياته : .

هنالك لا أرجو حياة تسرني سمير الليالي ميسلاً بالجزائر

(٤) أي : ما قصد نجم نجماً .

حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُّهُمْ ، فَإِنْ زُلْتُ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا
فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ ^(١) وَالْأَمُّ خَلِيلٌ .

ومن كلام له عليه السلام

١٧٥

فَإِنْ أَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ
عَامَّةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بِضَلَالِي ، وَتَأْخُذُونَهُمْ
بِخَطِيئِي وَتُكْفِرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟ ! سَيُوفِكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا
مَوَاضِعَ الْبُرِّ وَالسُّقْمِ ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ ، وَقَدْ
عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، رَجَمَ الزَّانِي ثُمَّ
صَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ ،
وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِي غَيْرَ الْمُحْصَنِ ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مَنْ
الْفَيْءِ ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنْ
الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ ^(٢) ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ

(١) خدين : صديق ، وأصل هذه المسألة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يسوي
بين المسلمين في قسمة الفبيء والصدقات ، فلما أفضت الخلافة إلى أبي حفص
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضل السابقين من المهاجرين على غيرهم ،
وجمهور المهاجرين على الأنصار ، والعرب على العجم ، فلما كان عهد الإمام
علي رجع إلى سنة أبي بكر .

(٢) كان من زعم الخوارج أن من أخطأ وأذنب فقد كفر ، فأراد الإمام أن يقيم الحجة
على بطلان زعمهم بما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَضَرَبَ بِهِ تِيَهُهُ (١) .

وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ
الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ
النَّاسِ فِي حَالِ النَّمَطِ الْاَوْسَطُ فَالْزُمُوهُ ، وَالزُّمُوا السَّوَادَ الْاَعْظَمَ ،
فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ
لِلشَّيْطَانِ ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّبِّ ! أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا
الشَّعَارِ فَاقْتُلُوهُ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ (٢) .

وَإِنَّمَا حُكْمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَ مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَ مَا أَمَاتَ
الْقُرْآنُ ، وَإِحْيَاؤُهُ لِاجْتِمَاعٍ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ لِافْتِرَاقٍ عَنْهُ : فَإِنْ جَرْنَا
الْقُرْآنَ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا ، فَلَمْ آتِ - لَا أَبَا
لَكُمْ - بُجْرًا (٣) وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ (٤) وَلَا لَبَسْتُهِ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا
اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا
الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَمَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِي ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا
فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ ،

(١) سلك به في بادية ضلاله .

(٢) الشعار : علامة القوم في الحرب والسفر ، وهو ما يتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً . قيل : كان شعار الخوارج « لا حكم إلا لله » ، وقيل : المراد بهذا الشعار هو ما امتازوا به من الخروج عن الجماعة . فيريد الإمام أن كل خارج عن رأي الجماعة مستبد برأيه عامل على التصرف بهواه ، فهو واجب القتل ، وإلا كان أمره فتنة وتفريقاً بين المؤمنين .

(٣) البجر - بالضم - : الشر ، والأمر العظيم .

(٤) ختلتكم : خدعتكم ، والتلبس خلط الأمر وتشبيهاه حتى لا يعرف وجه الحق فيه .

وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ ، سُوءَ رَأْيَيْهَا^(١) وَجَوَرَ حُكْمَيْهَا .

ومن خطبة له عليه السلام

١٢٦

فِيمَا يَخْبُرُ بِهِ عَنِ الْمَلَّاحِمِ بِالْبَصْرَةِ^(٢)

يَا أَحْنَفُ ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ
وَلَا لَجَبٌ^(٣) وَلَا قَعْقَعَةٌ لُجْمٍ ، وَلَا حَمَحَمَةٌ خَيْلٍ^(٤) يُثِيرُونَ
الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهُمَا أَقْدَامُ النَّعَامِ .

قال الشريف : يومئذٍ بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الزَّيْجِ . ثُمَّ قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَيَلُّ لِسَكَكُمْ الْعَامِرَةِ^(٥) ، وَالْدُّورِ الْمُزْخَرَفَةِ الَّتِي
لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النَّسُورِ^(٦) وَخَرَّاطِيمُ كَخَرَّاطِيمِ الْفَيْلَةِ ، مِنْ

(١) الصمد : القصد ، « سوء » مفعول لاستثناؤنا .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ، وهي الواقعة العظيمة .

(٣) اللجب : الصياح واللجم : جمع لجام . وقعقتها : ما يسمع من صوت اضطرابها
بين أسنان الخيل .

(٤) الحمحمة : صوت البرذون عند الشعير ، ومر الفرس - أي صوته - عندما يقصر من
الصهيل ويستعين بنفسه .

(٥) جمع سكة ، وهي الطريق المستوي ، وهو إخبار عما يصيب تلك الطرق من
تخريب ما حوالها من البنيان على يد صاحب الزنج ، وقد تقدم خبره في قيامه
وسقوطه فراجعه .

(٦) أجنحة النسور : رواشنها على التشبيه بأجنحة الطير ، وقيل : إن الجناح والروشن
يشتركان في إخراج الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار
آخر يقابله ، وإلا فهو الساباط ويختلفان في أن الجناح يوضع له أعمدة من الطريق
بخلاف الروشن ، وخراطيمها ما يعمل من الأخشاب والبواري بارزة عن السقوف =

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ^(١) وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ؟ أَنَا كَابُ الدُّنْيَا
لِوَجْهِهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاطِرُهَا بِعَيْنِهَا .

منه : وَيُومَىءُ بِذَلِكَ إِلَى وَصْفِ الْأَتْرَاكِ :

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُ الْمُطَرَّقَةُ^(٢) ، يَلْبَسُونَ
السَّرَقَ وَالْدِّيَّاجَ^(٣) وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(٤) ، وَيَكُونُ هُنَاكَ
أَسْتَحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى^(٥) يَمْشِي الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ

= لوقاية الغرف عن الأمطار وشعاع الشمس . والخراطيم : هي الميازيب تطلّى
بالقار على طول نحو خمسة أذرع أو أزيد .

(١) أولئك أصحاب الزنجي ، وإنما لا يندب من يقتل منهم لأن أكثرهم كانوا عبيد
الدهاقين البصرة ، ولم يكونوا ذوي زوجات وأولاد ، بل كانوا على هيئة الشطار
عزاباً فلا نادبة لهم . وقوله «ولا يفتقد غائبهم» يريد أنهم كثير فكلما قتل منهم قتل
سد غيره مسده ، فلا يظهر أثر فقده . وقوله «أنا كاب الدنيا لوجهها» قد روي مثل
ذلك عن عيسى ابن مريم عليه السلام قال «أنا الذي كبيت الدنيا على وجهها، ليس
لي زوجة تموت ، ولا بيت يخرب ، وسادي الحجر ، وفراشي المدر ، وسراجي
القمر» والعبارة كناية عن الزهادة في الدنيا والصدق عنها .

(٢) المجان : جمع مجن - بكسر الميم - وهو الترس ، وإنما سمي مجناً لأنه يستربه ،
والجنة - بالضم - السترة ، وجمعها جنن - بوزان غرفة وغرف - والمطرقة - بسكون
الطاء وفتح الراء - التي أطرق بعضها إلى بعض أي : ضمت طبقاتها فجعل بعضها
يتلو بعضاً ، ويقال : جاءت الإبل مطارق ، أي : يتلو بعضها بعضاً . وقال الشيخ
الإمام رضي الله عنه : في القاموس «أي : التي يطرق بعضها على بعض كالنعل
المطرقة - أي : المخصوصة - وهو عجز عن التعبير ، والأحسن أن يقال : أي التي
ألزق بها الطراق - ككتاب وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به .

(٣) السرقة - بالتحريك - شقق الحرير الأبيض ، أو هو الحرير عامة . واحدها سرقة .

(٤) يعتقبون : يحتسبون كرائم الخيل يمنعونها غيرهم ، وقال ابن أبي الحديد :
«يعتقبون الخيل ، أي : يجيئونها ليتقلوا من غيرها إليها» اهـ .

(٥) استحرار القتل : اشتداده . وتقول : حر القتل ، واستحر ، وهما بمعنى واحد ، قال

الْمُقَلَّتْ أَقْلٌ مِنَ الْمَأْسُورِ .

فقال له بعض أصحابه : لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ ! فَضَحِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا :

يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ ! وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا عَدَدَهُ اللَّهُ وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ : مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا أَوْ فِي الْجَنَّةِ لِنَبِيٍّ مُرَافِقًا ، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي ^(١) .

ومن خطبة له عليه السلام

في ذكر المكايل

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ

= ابن الزبير :

حيث ألفت بقاء بركها واستحرق القتل في عبد الأشل

(١) تضطم : هو افتعال من الضم ، أي : وتنضم عليه جوانيحي ، والجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر ، وانضمامها عليه : اشتغالها على قلب يعيها .

مُوجَّلُونَ^(١) ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ أَجَلَ مَنْقُوصٍ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ ،
 قَرَبٌ دَائِبٌ مُضَيِّعٌ^(٢) وَرُبُّ كَادِحٍ خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا
 يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا ، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي
 هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا . فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ^(٣) وَعَمَّتْ
 مَكِيدَتُهُ ، وَأَمَكَنْتْ فَرِيستُهُ^(٤) . إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ
 النَّاسِ : هَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا ، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ
 كُفْرًا ، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفِرًا^(٥) ، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ
 بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقَرَأَ ؟ أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ ؟

(١) أثوياء : جمع ثوى - كغنى - وهو الضيف ، و«مؤجلون» مؤرخون إلى أجل
 معلوم ، و«مدِينون» مقرضون ، تقول : دنت الرجل ، أي : أقرضته ، فهو
 مدِين ، وربما قيل مديون على الأصل المهجور في الفصح ، وتقول : دنت ،
 بمعنى استقرضت وصار عليك دين فأنت دائن ، وقال الشاعر :

ندِين ويقضي الله عنا ، وقد نرى مصارع قوم لا يدينون ضعيفا

وقوله «مقتضون» هو جمع مقتضى - اسم مفعول من اقتضى - أي : مطالبون بأداء
 الدين .

(٢) الدائب : المداوم في العمل ، والكادح : الساعي لنفسه بجهد ومشقة ، والمراد من
 يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا .

(٣) الضمير للشيطان .

(٤) «أمكنت الفريسة» أي : سهلت وتيسرت .

(٥) «أضرب بطرفك» أي : انظر في عامة ما يحيط بك من النواحي ، ومثله قول
 الشاعر :

اضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى إلا بخيلاً

والوفر - بفتح فسكون - المال الكثير . والوقر - بالقاف المشاة - ثقل الأذن ، وقلة
 سمعها ، قال الشاعر :

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا

وَأَحْرَارُكُمْ وَسَمَحَاؤُكُمْ ؟ وَآيْنَ الْمَتَوَرُّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ؟
وَالْمُتَنَزَّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا
الدَّيْنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْغَصَّةِ ؟ وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ^(١) لَا تَلْتَقِي
بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ ، فَإِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ : ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُغَيِّرٍ ، وَلَا زَاجِرَ مُزْدَجِرٍ !
أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ؟ وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَاءِهِ
عِنْدَهُ ؟ ! هَيْهَاتَ ! لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَتِّهِ وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا
بِطَاعَتِهِ . لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِكِينَ لَهُ ، وَالنَّاهِينَ عَنِ
الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

١٢٨

لأبي ذرٍّ رحمه الله لما خرج إلى الرُبذة^(٢)

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ . إِنْ أَلْقَوْمْ

(١) الحثالة - بالضم - الرديء من كل شيء والمراد أقزام الناس ، وصغار النفوس .

(٢) الرُبذة - محرّكة - موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، والذي أخرجه إليه الخليفة الثالث رضي الله عنه ، قال ابن أبي الحديد : واقعة أبي ذر وإخراجه إلى الرُبذة أحد الأحداث التي نقت على عثمان رضي الله عنه . وقد روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة عن عبدالرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما أخرج أبو ذر إلى الرُبذة أمر عثمان فنودي في الناس ألا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه ، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به ، فخرج به مروان ، وتحاماه الناس ، إلا علي بن أبي طالب وعقيلاً أخاه وحسناً ولديه وعماراً ؛ فإنيهم خرجوا معه .

خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ ، فَمَا أَحْجَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِحِ غَدًا ، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا؟! وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا ، لَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ (١) .

ومن كلام له عليه السلام

١٦٩

أَيَّتَهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ! أَظَارُكُمْ عَلَى الْحَقِّ (٢) وَأَنْتُمْ

= يشيعونه ، فجعل الحسن يكلم أبا ذر ، فقال له مروان : إيها يا حسن ، ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك ، فحمل علي رضي الله عنه على مروان : فضرب بالسوط بين أذني راحلته ، وقال له : تنح لحاك الله إلى النار ، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان ، فأخبره الخبر ، فتلظى على علي ، ووقف أبو ذر فودعه الناس ، فقال له علي : يا أبا ذر ، إنك غضبت لله - الخ .

(١) لو قرضت منها لو قطعت جزءاً وخصصت به نفسك : أي لو رضيت أن تنال منها .

(٢) أظاركم : أعطفكم ، وتقول : ظارت الناقة أظارها وهي ناقة مظلورة ، إذا عطفتها على ولد غيرها ، وفي أمثالهم « الطعن بظاره » أي : يعطفه على الصلح ، وتقول أيضاً : ظارت الناقة تظار ، إذا عطفت على البو ، فهو فعل يتعدى ويلزم .
والوعوة : الصوت وكذلك الوعواع .

تَفْرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمَعْزَى مِنْ وَعْوَةِ الْأَسَدِ ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ
سِرَّارَ الْعَدْلِ (١) ، أَوْ أَقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي
سُلْطَانٍ ، وَلَا الَّتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ، وَلَكِنْ لِنَرْدِ
الْمَعَالِمِ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ
مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعْظَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنْابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ : لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، بِالصَّلَاةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ ،
وَالْدِّمَاءِ ، وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ ، وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلِ ،
فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ (٢) وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا

(١) السرار - كسحاب وكتاب - في الأصل : آخر ليلة من الشهر، والمراد الظلمة، أي
أن اطلع بكم شارفاً يكشف عما عرض على العدل من الظلمة ، كما يدل على هذا
قوله : « وأقيم اعوجاج الحق » فإن الحق لا اعوجاج فيه ولكن قوماً خلطوه بالباطل
فهذا ما أصابه من اعوجاج . قال ابن أبي الحديد : ويمكن عندي أن يفسر على
وجه آخر ، وهو أن يكون السرار ههنا بمعنى السرر ، وهي خطوط مضيئة في
الجهة ، وقد نص أهل اللغة على أنه يجوز فيها سرور وسرار ، فيكون معنى كلامه
عليه السلام هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل وتنجلي أرساده ، ويبرق وجهه .
ويمكن فيه وجه آخر ، وهو أن ينصب سرار ههنا على الظرفية ويكون التقدير :
هيهات أن اطلع بكم الحق زمان استسرار العدل واستخفائه ، وفيه حذف المفعول ،
وحذفه أكثر من أن يرشد إليه .

(٢) النهمة - بالفتح - إفراط الشهوة والمبالغة في الحرص .

الْجَافِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ (١) فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ (٢) وَلَا الْمُعْطَلُ لِلْسُّنَةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٣٥

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَآبَتَلَى (٣) الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ (٤) وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيْبُهُ وَبَعِيْثُهُ (٥) شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ اللَّسَانُ .

ومنها : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ أَجْدُّ لَا اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ ، وَمَا

(١) الحائف : من الحيف ؛ أي : الجور والظلم ، والدول جمع دولة - بالضم - : وهي المال ؛ لأنه يتداول - أي : ينتقل من يد ليد وفي التنزيل : ﴿ كَيْلًا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ - والمراد من يحيف في قسم الأموال فيفضل قوماً في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل .

(٢) المقاطع : الحدود التي عينها الله لها .

(٣) الإبلاء : الإحسان والإنعام ، تقول : قد أبلاه الله بلاء حسناً ، أي : أعطاه ، وقال زهير بن أبي سلمى المزني :

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاههما خير البلاء الذي يبلى

والإبتلاء : الامتحان ، وأصل الإبتلاء إنزال مضرة بالإنسان على سبيل الاختيار كالمرض والفقر ، وقد يكون الإبتلاء الاختبار بالخير ، إلا أن أكثر ما يستعمل في الشر ، وقال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ .

(٤) الباطن : العالم ، تقول : بطنت الأمر ، أي : خبرته وعرفت بواطنه .

(٥) مصطفاه ومبعوثه .

هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ^(١) وَأَعْجَلَ حَادِيهِ ، فَلَا يَغُرَّنْكَ سَوَادُ
النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ^(٢) فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ ،
وَحَذَرَ الْإِقْلَالَ ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ ؛ طُولَ أَمَلٍ^(٣) وَأَسْتَبْعَادَ أَجَلٍ ؛
كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزَعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولًا
عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا ، يَتَعَاطَى بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالُ حَمَلًا عَلَى
الْمَنَاقِبِ ، وَإِمْسَاكَ بِالْأَنَامِلِ^(٤) أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا ،
وَيَبْنُونَ مَشِيدًا ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا ،
وَمَا جَمَعُوا بُورًا^(٥) ، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ ؟! فَمَنْ

(١) أي : إن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كل حي ؛ فلا حي إلا وهو يعلم أنه
يموت و« أعجل حاديه » أي : إن الحادي لسير المنايا إلى منازل الأجسام -
لإخلائها من سكنة الأرواح - قد أعجل المدبرين عن تدبيرهم وأخذهم قبل
الاستعداد لرحيلهم ، و« من » في قوله « فلا يغرنك سواد الناس من نفسك » إما أن
تكون بمعنى الباء ، أي : لا يغرنك الناس بنفسك وصحتك وشبابك فتستبعد
الموت اغتراراً بذلك ، فتكون حيشة متعلقة بغير ، وإما أن تكون على أصلها
وحينئذٍ فهي متعلقة بمحذوف تقديره متمكناً من نفسك وراكناً إليها .

(٢) لا تغتر بكثرة الأحياء فكلما رأيت حياً زعمت أنك باق مثله .

(٣) طول : مفعول لأجله ، أي : كان منه ذلك لطول الأمل الخ .

(٤) أعواد المنايا : النعش ، و« يتعاطى به الرجال » أي : يتداولونه : تارة على أكتاف
هؤلاء ، وتارة على أكتاف هؤلاء . وقد فسر به بما بعده من قوله « حملاً على
المناكب وإمساكاً بالأنامل » .

(٥) المشيد - بوزن المبيع والمعيب - اسم مفعول من « شاده » إذا بناه بالشيء ، وهو
الجنس ، وفي التنزيل : ﴿ وقصر مشيد ﴾ والبور : الفاسد الهالك ، و« قوم بور »
أي : هلكى ، وقال الله تعالى : ﴿ وكنتم قوماً بوراً ﴾ والبور : جمع ، واحده
بائر ، مثل حائل وحول .

أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ^(١) ، وَفَازَ عَمَلُهُ ، فَاهْتَبَلُوا هَبْلَهَا وَأَعْمَلُوا
لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا^(٢) ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ
مَجَازاً لِيَتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى
أَوْفَازٍ^(٣) ، وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ .

ومن كلام له عليه السلام

١٢٦

يُعَظَّمُ فِيهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ

وَأَنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتِهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا^(٤) ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ
النَّاضِرَةُ ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيِّرَانَ الْمُضِيئَةَ^(٥) ، وَأَتَتْ أَكْلَهَا
بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ أَلْيَانَعَةً .

(١) « يستعقبون » رواه قوم بالبناء للمجهول ، ومعناه حينئذٍ أنهم لا يعاتبون على فعل
سيئة صدرت منهم أيام حياتهم ، أو لا يستطيعون وهم موتى أن يفعلوا ما يعاتبون
عليه . ورواه قوم بالبناء للمعلوم ، ومعناه حينئذٍ مأخوذ من قولهم « استعقب فلان »
إذا طلب أن يعتب ، أي : يرضى ، وقوله « فمن أشعر التقوى قلبه » معناه جعلها
ملازمة له كما يلزم الشعار الجسد ، وتقول : « برز الرجل على أقرانه » أي :
أنهم . والمهل : التقدم في الخير ، أي : فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره .

(٢) « اهتبل الصيد » : طلبه . واهتبل كلمة الحكمة : اغتنمها ، والضمير في « هبلها »
للتقوى لا للدنيا ، أي : اغنموا خير التقوى .

(٣) الفوز - بسكون الفاء ، ويحرك - : العجلة ، وجمعه أوفاز ، أي : كونوا منها على
استعجال ، والظهور : ظهور المطايا ، أي : أحضروها للزيال ، أي : فراق الدنيا .

(٤) مقاليدها : جمع مقلاد ، وهو المفتاح .

(٥) أي : إن الأشجار أشعلت النيران المضيئة من قضبانها - أي : أغصانها - وقوله
« بكلماته » أي : بأوامره التكوينية ، والضمائر لله سبحانه .

ومنها يذكر القرآن : وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْصِي لِسَانُهُ ، وَبَيَّتْ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزُّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

ومنها يذكر النبي : أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَتَنَازَعَ مِنَ الْأَلْسُنِ ، فَقَفَى بِهِ الرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ .

ومنها يعظ الناس : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى (١) لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بِبَصَرِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا ، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ .

ومنها : وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهُ وَيَمْلَهُ ، إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً (٢) وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْأَعْمَى ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ ، وَفِيهَا

(١) يشير إلى أن من يقصر نظره على الدنيا فكأنه لم يبصر شيئاً ، فهو بمنزلة الأعمى .

(٢) « لا يجد في الموت راحة » حيث لم يهيء من العمل الصالح الباقي ما يكسبه السعادة بعد الموت . قال : « وإنما ذلك » أي : شعور الإنسان بخيفة ما بعد الموت ، بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور ، وتبعثه إلى خير العمل . ثم بعد بيانه لما يجده الإنسان في نفسه - من خيفة ما وراء الموت ، ولما يرشد إليه ذلك الوجدان - أخذ يبين الوسيلة الموصلة إلى المنجاة مما يخشاه القلب وتتوجس منه النفس ، وأنها التمسك بكتاب الله الذي بين أوصافه ، وبهذا التفسير التأم الكلام ، واندفعت حيرة الشارحين في هذا المقام . وقوله « كتاب - الخ » جملة مستأنفة ، أي : هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون إليه مما هدتكم الفطرة إلى طلبه .

أَلْغَنِي كُلَّهُ وَالسَّلَامَةَ : كِتَابُ اللَّهِ يُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ،
وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ،
وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ . قَدْ
أَصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغُلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ^(١) وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ ،
وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ ، لَقَدْ
اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ^(٢) وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

ومن كلام له عليه السلام

٩٣٦

وقد شاوره عمر بن الخطاب

في الخروج إلى غزو الروم بنفسه

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ^(٣) وَسَتَرَ
الْعَوْرَةَ ، وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ

(١) الغل : الحقد ، والاصطلاح عليه : الاتفاق على تمكينه في النفوس ، وقوله « نبت » نبت
المرعى على دمنكم : تأكيد وتوضيح للجملته قبلها ، والدمن - بكسر ففتح - جمع
دمنة - بالكسر - وهي الحقد القديم ، ونبت المرعى عليه : استتاره بظواهر النفاق
وزينة الخداع ، وأصل الدمن : السرقة وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها ،
وسميت بها الأحقاد لأنها أشبه شيء بها قد تنبت عليها الخضر وهي على ما فيها
من قدر ، وهذا كلام ينعي به حالهم مع وجود كتاب الله ومرشد الإلهام .

(٢) استهام : أصله من « هام على وجهه » إذا خرج لا يدري أين يذهب ، أي :
أخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء الشريعة إلى ظلمات الضلال والحيرة .

(٣) الحوزة : ما يحوزه المالك ويتولى حفظه ، وإعزاز حوزة الدين : حمايتها من تغلب
أعدائه .

قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ . حَيٌّ لَا يَمُوتُ^(١) .

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُكَبِّ ، لَا تَكُنْ
لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةً دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ^(٢) لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ
إِلَيْهِ ، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مُجَرَّبًا ، وَاحْفَظْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ
وَالنَّصِيحَةِ^(٣) فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ مَا تُحِبُّ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى
كُنْتَ رِدْءًا لِلنَّاسِ^(٤) وَمَثَابَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ .

ومن كلام له عليه السلام

١٣٣

يَا أَبْنَ اللَّعِينِ الْآبَتِرِ ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا ، وَلَا

(١) « توكل » أصله بمعنى صار لهم وكيلاً ، والوكيل معناه الكفيل الزعيم بالشيء ،
ويروى في مكانه « تكفل » والمعنى واحد ، والحوزة : الناحية ، وحوزة الملك :
بيضته التي يدافع عنها . يقول : إن الذي نصرهم في الابتداء على ضعفهم وقلة
عددهم هو الله تعالى ، وهو حي لا يموت فأجدر به أن ينصركم ثانياً كما نصرهم
أولاً .

(٢) كانفة : عاصمة يلجأون إليها ، من « كنفه » إذا صانه وستره ، والأصل في هذا
الاستعمال أنهم يقولون « كنفنا الإبل » أي : جعلت لها كنيفاً ؛ وهو الحظيرة من
الشجر تستتر بها وتلجأ إليها ، وبها تعتصم .

(٣) « رجلاً مجرباً » يروى بالجيم ، ومعناه الذي أحكمته التجربة ودله الاختيار على
عواقب الأمور ، ويروى « محرباً » بالحاء المهملة أي : صاحب حروب ، وقوله
« احفز » . من « حفزته » - كضربته - إذا دفعته وسقته سوقاً شديداً ، وأهل البلاء :
أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجرأة في الأقدام ، والبلاء : هو
الاجادة في العمل وإحسانه .

(٤) الردء - بالكسر - : الملجأ ، والمثابة : المرجع .

(٥) قالوا : كان نزاع بين أمير المؤمنين وبين عثمان ، فقال المغيرة بن الأحنس بن =

فَرَعَ ، أَنْتَ تَكْفِينِي ! وَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلَا قَامَ
مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ ؛ أَخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهِ نَوَاكَ^(١) ثُمَّ أَبْلُغْ جَهْدَكَ فَلَا
أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبَقَيْتَ^(٢) .

ومن كلام له عليه السلام

١٣٤

لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ؛ وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا .
إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ ! أَيُّهَا النَّاسُ ، أَعِينُونِي
عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَأَيُّمُ اللَّهُ لَأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ، وَلَا أَقُودَنَّ
الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ^(٣) حَتَّى أُورِدَهُ مَنَهْلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا .

= شريك لعثمان : أنا أكفيكه ! قال علي : يا ابن اللعين الخ ، وإنما قال ذلك لأن أباه
كان من رؤوس المنافقين ، ووصفه بالأبتر - وهو من لا عقب له - لأن ولده هذا كلا
ولد وكان للمغيرة هذا أخ اسمه أبو الحكم بن الأخنس ، وكان قد شهد مع كفار
مكة غزاة أحد ، وفيها قتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فمने
تأرثت الضغينة في قلب المغيرة عليه .

(١) النوى ههنا : بمعنى الدار، ويروى في مكانه « أبعد الله نوءك » بالهمز واحد انواء
السماء ، وهي النجوم التي كان العرب ينسبون إليها المطر ، والمراد : أبعد الله
خيرك .

(٢) الجهد - بالفتح - الغاية ، ويقال : قد جهد فلان جهده ، أي : انتهى إلى غايته ،
وهو بفتح الجيم في هذا الاستعمال لا يجوز فيه غيره .

(٣) الفتنة : الأمر يقع عن غير تدبر ولا روية . و « أعينوني على أنفسكم » معناه خذوا
أنفسكم بالعدل ، واقمعوها عن اتباع الهوى ، وادعوها بعقولكم عن المسالك
التي ترديها ، فإنكم إذا فعلتم ذلك أعنتموني عليها ، ومعنى قوله « أريدكم الله
وأنتم تريدونني لأنفسكم » أنه لا يريد من طاعتهم له إلا نصرة الله والقيام بحقوقه ،

في شأن طلحة والزبير

وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا^(١) وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ ؛ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُ مِنْهُ ؛ وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قَبْلَهُمْ^(٢) وَإِنْ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي : مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبْسَ عَلَيَّ ، وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحُمَةُ^(٣) وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِقَةُ^(٤) وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاغَ الْبَاطِلُ

= وليس يريدون لحظ نفسه ، وأما هم فإنهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب والأسباب الموصلة إلى منافع الدنيا ، والخزامة - بالكسر - : حلقه من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام ويسهل قياده .

(١) النصف - محرقة - : اسم من الانصاف ، وربما سكن كما في قول الفرزدق :

ولكن نصفاً لو سبيت وسبني

بنو عبد شمس من قريش وهاشم

(٢) الطلبة - بالكسر - : ما يطالب به من الثأر .

(٣) المراد بالحما هنا : مطلق القريب والنسيب ، وهو كناية عن الزبير ؛ فإنه من قرابة

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمته . قالوا : وكان النبي أخبر علياً أنه

ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته ، والحممة - بضم ففتح - : كناية

عنها ، وأصلها الحية أو الإبرة اللاسعة من الهوام والله أعلم . هكذا قال الأستاذ

الإمام ، وفي تفسير « الحما » الذي ذهب إليه بعد ، فإنه لو كان بهذا المعنى الذي

ذكره لجاء به مرفوعاً بالواو مضافاً كما هو الأشهر الأعرف في إعراب هذه الكلمة ،

وإنما هو « الحمأ » بالهمز في آخره ، وهو الطين الأسود ، وفي التنزيل : ﴿ مِنْ حَمَلٍ

مسنون ﴾ وهو كناية عن اختلاط الأمر واضطرابه ، والحممة كناية عن شدته وعظيم أثره

في إيلاام جماعة المسلمين .

(٤) أغدفت المرأة قناعها . أرسلته على وجهها ، وأغدفت الليل : أرخى سدوله ، يعني =

عَنْ نِصَابِهِ^(١) وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ^(٢) وَأَيُّمُ اللَّهِ لِأَفْرِطَنْ لَهُمْ حَوْضاً^(٣) أَنَا مَاتِحُهُ : لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ بَرِيٌّ ، وَلَا يَعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسِي^(٤) .

ومنها في مبايعتهما له : فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُودِ الْمَطَافِيلِ عَلَى وَلَا دِهَا^(٥) تَقُولُونَ : أَلْبَيْعَةَ أَلْبَيْعَةٍ !! فَبُضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُموها ، وَنَازَعْتُكُمْ يَدَيَّ فَجَاذَبْتُموها ، أَللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي ، وَنَكَثَا بَيْعَتِي ، وَالْبَا

= أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق .

(١) زاح يزيج زيحاً وزيحاناً : بعد وذهب ، كانزاح . والنصاب : الأصل ، والمستقر ، أي : قد انقلع الباطل من مغرسه .

(٢) الشغب - بالفتح - : تهيج الشر ، وفعله شغب - كفتح - وجاء الشغب بفتحتين في لغة قليلة ، وفعله حينئذٍ شغب - بكسر الغين مثل طرب طرباً .

(٣) أفرط الحوض : مملؤه حتى فاض ، والمراد حوض المنية . و« ماتحه » أي : نازع مائه لأسقيهم ، والفرق بين الماتح - بالتاء المثناة - والماتح - بالهمز - أن الماتح المستقي من فوق ، ومنه قول الراجز * يأبها الماتح دلوي دونك * . أما الماتح فهو مالىء الدلاء من تحت .

(٤) عبّ : شرب بلا تنفس ، والحسي - بفتح الحاء ، ويكسر - : سهل من الأرض يستقع فيه الماء ، أو يكون غليظ من الأرض فوقه رمل يجمع ماء المطر فتحفر فيه حفرة لتنزح منها ماء ، وكلما نزحت دلواً جمعت أخرى ، فتلك الحفرة حسي ، يريد أنه يسقيهم منها كأساً لا يتجرعون سواها .

(٥) العود - بالضم - : جمع عائذة ، وهي الحديثة التاج من الظباء والإبل ، أو كل أنثى ، وقد تجمع العائذة على عودان ، مثل راع ورعيان ، وتقول : هذه عائذة بينة العود ، وذلك إذا ولدت عن قريب ، ونقول : ما زالت في عيادها ، إذا كانت في حدثان نتائجها . والمطافيل : جمع مطفل - بضم الميم وكسر الفاء - : ذات الطفل من الانس والوحش بعد أن يعد عهدها بالتناج ، هذا هو الأصل ، وربما أطلق على المطافيل اسم العود مجازاً كما هنا .

النَّاسَ عَلَيَّ (١) فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا ، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرْهِمَا
الْمَسَاعَةَ فِيمَا أَمَلَا وَعَمِلَا ، وَلَقَدْ اسْتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ (٢) ،
وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوُقَاعِ ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ ، وَرَدَّا الْعَافِيَةَ (٣) .

ومن خطبة له عليه السلام

١٣٦

في ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهَدَى (٤) إِذَا عَظَفُوا الْهُدَى عَلَى
الْهَوَى ، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَظَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى
الرَّأْيِ .

(١) التأليب: الإفساد.

(٢) استبتهما: من «ثاب» بالثاء - إذا رجع ، أي : استرجعتهما ، أي : طلبت منهما
أن يرجعا ، ويقال للمنزل «مثابة» لأن أهله ينصرفون عنه ثم يعودون إليه ، ويروي
«استبتهما» بالطاء المثناة - أي : طلبت منهما أن يتوبا إلى الله مما أذنبوا بنقض
البيعة .

(٣) «استأنيت بهما» من الأناء ، وهي التؤدة في الأمر والانتظار ، والمعنى تأنيت معهما
ولم اعجلهما بالحرب ، أو طلبت منهما أن يتأنيا فيما أقدمنا عليه من نقض العهد ،
وقوله «أمام الوقاع» - ككتاب - قبل الموقعة بالحرب ، وغمط النعمة : جحدها
وحقرها وأزرى بها ، وزانه سمع وضرب ، ويقال إن الكسر أفصح .

(٤) «يعطف الخ» : خبر عن قائم ينادي بالقرآن ، ويطالب الناس باتباعه ، ورد كل
رأي إليه ، ومعنى قوله «يعطف الهوى» يهره ويميل به عن جانب الايثار ، فيجعل
الهدى ظاهر على الهوى ، وكذلك قوله «يعطف الرأي على القرآن» أي : يقهر
حكم الرأي والقياس ، ويجعل الغلبة للقرآن عليه ، ويحمل الناس على العمل به
دونه .

ومنها: حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِدُهَا^(١) ،
مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا ، حُلُوءًا رَضَاعُهَا ، عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا . أَلَا وَفِي غَدٍ -
وَسَيَّاتِي غَدٍ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالُهَا عَلَى
مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا^(٢) ، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ مِنْ أَفَالِيدِ^(٣) كَبِدِهَا ،
وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا ، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السَّيْرِ ، وَيُحْيِي
مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

ومنها: كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاجِي
كُوفَانٍ ، فَعَطَفَ إِلَيْهَا عَطَفَ الضُّرُوسِ وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ^(٤)

- (١) النواجذ : أقصى الأضراس والأنياب والأخلاف : جمع خلف - بالكسر - وهو
الضرع ، وبدو النواجذ : كناية عن شدة الاحتدام ؛ فإنما تبدو من الأسد إذا اشتد
غضبه ، وامتلاء الأخلاف : غزارة ما فيها من الشر ، وحلاوة الرضاع : استطابه
أهل النجدة واستعدادهم لما ينالهم منها ، ومرارة العاقبة بما يصير إليه الظالمون وبش
المصير ، وتقول : جمع رضع رضاعاً ، مثل سمع سماعاً ، وأهل نجد يقولون :
رضع يرضع رضعاً ، مثل ضرب ضرباً .
- (٢) إذا انتهت الحرب حاسب الوالي القائم كل عامل من عمال السوء على مساوئ
أعمالهم ، وإنما كان الوالي من غيرها لأنه بريء من جرمها .
- (٣) أفاليد : جمع أفلاذ ، جمع فلذة ، وهي القطعة من الذهب والفضة ، وهذا كناية
عما يظهر لمن يقوم بالأمر من كنوز الأرض ، وقد جاء ذلك في خبر مرفوع في لفظه
« وفاءت له الأرض أفلاذ كبدها » ومن الناس من يفسر قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ
الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ بذلك ، قاله ابن أبي الحديد .
- (٤) انتقال إلى الكلام في قائم الفتنة ، قال ابن أبي الحديد : هذا إخبار عن
عبد الملك بن مروان ، وظهوره بالشام ، وملكه بعد ذلك العراق ، وما قتل من
العرب فيها أيام عبدالرحمن بن الأشعث ، وقتله أيام مصعب بن الزبير . وتقول نعق
الراعي بغنمه ، بالعين المهملة ، وتقول : نعق الغراب ، بالغين المعجمة ،
والمعنى فيهما صاح صوت . وفحص : بحث ، وكوفان : الكوفة . والضروس :

قَدْ فَغَرْتُ فَأَغْرَتْهُ وَثَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ ، عَظِيمَ
الصَّوْلَةِ^(١) . وَاللَّهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ^(٢) حَتَّى لَا يَبْقَى
مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ ؛ فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَوُوبَ
إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا^(٣) فَالْزُمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ ، وَالْآثَارَ
الْبَيِّنَةَ ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ
الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي لَكُمْ طُرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ^(٤) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٥٧٧

فِي وَقْتِ الشُّورَى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٍّ ، وَصِلَةٍ رَحِمٍ ، وَعَائِدَةٍ
كَرَمٍ . فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُودُوا مَنْطِقِي ، عَسَى أَنْ تَرَوْا^(٥) هَذَا الْأَمْرَ مِنْ
بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ ، وَتُخَانَ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ

= الناقة السيئة الخلق تعض حالها ، وقوله « وفرش الأرض بالبرءوس » معناه غطاها بها
كما يغطي المكان بالفرش ، وهذا كناية عن كثرة من يقتله .

(١) « فغرت فاغرته » تقول : فغرناه ، بمعنى فتحه ليتكلم مثلاً ، وتقول : فغرفوه ؛ فغفر
فعل يتعدى ويلزم ، والكلام استعارة عن كثرة أوامره التي تخالف ما عرفوه من
الشرع . وقوله : « ثقلت في الأرض وطأته » كناية عن جوره وظلمه . وقوله : « بعيد
الجولة » فالجولة : الجولان ، وهو الطواف ، يريد أن طواف خيله وجيوشه في
البلاد طويل جداً قلما تكون معه راحة أو سكون .

(٢) « ليشردنكم » أي : ليفرقنكم .

(٣) عوازب أحلامها : غائبات عقولها .

(٤) يسني : يسهل .

(٥) قوله عسى أن تروا الخ : ابتداء كلام ينذرهم به من عاقبة الأمر ، وتنقضي : تسلسل .

بَعْضُكُمْ أَئِمَّةٌ لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةٌ لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ .

١٢٨

ومن كلام له عليه السلام

في النهي عن غيبة الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ ، وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي
السَّلَامَةِ (١) أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونُ الشُّكْرُ هُوَ
الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ
أَخَاهُ ، وَغَيْرَهُ بِلَوَاهُ ؟ ! أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا
هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ (٢) ؟ ! وَكَيْفَ يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ قَدْ
رَكِبَ مِثْلَهُ ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ
فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ . وَإِئِمَّ اللَّهُ لِيَنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي
الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لِحُجْرَتِهِ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ .

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ،
وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ ، فَلْيَكْفُفْ
مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ؛ وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ
شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا أَبْتَلِيَ بِهِ غَيْرُهُ (٣) .

(١) الذين أنعم الله عليهم ، وأحسن صنيعته إليهم ، بالسَّلَامَةِ مِنَ الْإِثْمِ .

(٢) « مما هو أعظم - الخ » بيان للذنوب التي سترها الله عليه .

(٣) « من علم » فاعل « يكفف » و « عيب غيره » مفعول « علم » ومفعول « يكفف » =

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَحِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ ؛
فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ ، أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي وَتُخْطِئُ
السَّهَامُ ، وَيُحِيلُ الْكَلَامُ^(٢) وَيَبْاطِلُ ذَلِكَ يُّورُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ
وَشَهِيدٌ . أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَقُّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ .

قال الشريف : فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا ،
فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ، ثُمَّ قَالَ : الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ
سَمِعْتُ ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ .

= محذوف ، أي : من علم عيب غيره ينبغي أن يكف لسانه عن الخوض فيه للذي
يعلمه من عيب نفسه . وقوله « على معافاته » متعلق بالشكر ، و« مما ابتلى » متعلق
بمعافاته .

(١) خلاصة هذا الكلام النهي عن التسرع إلى تصديق ما يقال من العيب والقدح في
حق الإنسان المستور الظاهر، المهتم بالصالح والخير، وهو من قوله تعالى : ﴿ إِنْ
جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾
وقد ضرب ذلك مثلاً أن الرامي قد يرمي فلا يصيب غرضه . وكذلك الطاعن قد
يطعن فلا يكون طعنه صحيحاً ، وربما كان لغرض فاسد كالتشفي ممن يعيبه حقداً
عليه وحسداً له .

(٢) يحيل - كيميل - يتغير عن وجه الحق ، ومن الشراح من ضبط « يحيل » اسم حرف
المضارعة ، من « أحال الرجل في منطقته » إذا جاء بالمحال الذي لا حقيقة له ، وفي
نسخة « يحيك - بالكاف - من حاك القول في القلب » أخذ ، و« حاك السيف »
اثر ، يعني أن القول يؤثره في العرض وإن كان باطلاً .

ومن كلام له عليه السلام

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مِنْ
الْحِظِّ فِيهَا أَتَى إِلَّا مُحَمَّدَهُ اللَّثَامَ ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ : -
مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ - « مَا أَجُودَ يَدُهُ » وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ !! فَمَنْ
آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ . وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ؛ وَلْيُفُكْ بِهِ
الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى
الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ؛ فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ
مَكَارِمِ الدُّنْيَا ، وَدَرَكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومن خطبة له عليه السلام

في الاستسقاء

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ (١) ،
مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمَا ، وَمَا أَصْبَحْتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوَجُّعًا لَكُمْ ،
وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمَا (٢) ، وَلَا لَخِيرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمَا ، وَلَكِنْ أُمِرْتَا بِمَنَافِعِكُمَا

(١) تظلكم : تعلقو عليكم كأنها الظلة ، وتقول : أظلتني الشجرة ، واستظلت بها .

(٢) الزلقة : القرية ، يقول : إن السماء والأرض إذا جاءتا بمنافعكم بالمطر والنبات
فإنهما لم تأتيا بذلك تقرباً إليكم ولا رحمة لكم ، ولكنهما أمرتا برفعكم فامتثلتا
الأمر ؛ لأنه أمر من تعجب طاعته ، ولو أمرتا بغير ذلك لفعلتا ، والمراد بهذا الكلام
تمهيد قاعدة الاستسقاء ؛ كأنه يقول : إذا كانت السماء والأرض أيام الخصب =

فَاطَاعَتَا ، أُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَأَقَامَتَا .

إِنَّ اللَّهَ يَتْلِي عِبَادَهُ - عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ - يَنْقُصِ
الْثَّمَرَاتِ ، وَحَبَسَ الْبَرَكَاتِ وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ، لِيَتُوبَ
تَائِبٌ ، وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ^(١) ، وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكِّرٌ ، وَيَزْدَجِرُ مُزْدَجِرٌ ! وَقَدْ
جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبِيلاً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ ، فَقَالَ
تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ؛ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
مِدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ ﴾ فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ
تَوْبَتَهُ ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ ، وَبَعْدَ
عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاجِينَ فَضْلَ
نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ .

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا
بِالسَّيِّئِينَ^(٢) ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

= والمطر والنبات لم يكن ما كان منهما عن محبة لكم أو رجاء منفعة منكم بل طاعة
لأمر الصانع الحكيم فيما سخرهما له ، فكذلك هما في أيام الجذب : ليس ما كان
منهما من احتباس المطر وانقطاع النبات ناشئاً عن بعضكم بل هو أيضاً طاعة الصانع
الحكيم فيما سخرهما له .

(١) « أفلح عن الذنب » كلف عنه ، وأمسك ، وتركه .

(٢) جمع سنة - محرقة - بمعنى الجذب والقحط .

اَللّٰهُمَّ اِنَّا خَرَجْنَا اِلَيْكَ نَسْكُو اِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، حِيْنَ
اَلْجِئْنَا اَلْمَضَاقِيْ اَلْوَعْرَةَ ، وَاَجَاءَتْنَا اَلْمَقَاحِطُ اَلْمُجْدِبَةُ (١) وَاَعْيَتْنَا
اَلْمَطَالِبُ اَلْمُتَعَسِّرَةُ ، وَتَلَاَحَمَتْ عَلَيْنَا اَلْفِتْنُ اَلْمُسْتَضْعَبَةُ .

اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَسْأَلُكَ اَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِيْنَ ، وَلَا تَقْلِبْنَا وَاِجْمِيْنَ (٣)
وَلَا تُخَاطِبُنَا بِذُنُوْبِنَا (٣) وَلَا تُقَايِسُنَا بِاَعْمَالِنَا .

اَللّٰهُمَّ اَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْشَكَ وَبَرَكَتَكَ ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ ،
وَأَسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةٍ مُّرْوِيَّةٍ مُّعْشِبَةٍ : تُثَبِّتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُحْيِي
بِهَا مَا قَدْ مَاتَ ، نَافِعَةَ اَلْحَيَا (٤) كَثِيْرَةَ اَلْمُجْتَنَى ، تُرْوِي بِهَا
اَلْقِيْعَانَ (٥) وَتُسِيْلُ اَلْبُطْنَانَ (٦) ، وَتَسْتَوْرِقُ اَلْأَشْجَارَ ، وَتُرَخِّصُ
اَلْأَسْعَارَ ؛ اِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيْرٌ .

ومن كلام له عليه السلام

١٨٧

بَعَثَ اَللّٰهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً
لَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ؛ لِئَلَّا تَجِبَ اَلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ اَلْإِعْذَارِ اِلَيْهِمْ ،

(١) اُجاءته إليه : اَلْجِئْتَهُ .

(٢) وَاِجْمِيْنَ : كَاسِفِيْنَ حَزْنِيْنَ .

(٣) « لَا تُخَاطِبُنَا » أَي : لَا تَدْعُنَا بِاسْمِ الْمَذْنُبِيْنَ ، وَلَا تَجْعَلْ فَعْلَكَ بِنَا مُنَاسِباً لِأَعْمَالِنَا .

(٤) اَلْحَيَا : اَلْخَصْبُ ، وَالمَطَرُ .

(٥) جَمْعُ قَاعٍ : اَلْأَرْضُ السَّهْلَةُ الْمَطْمِئِنَّةُ قَدْ انْفَرَجَتْ عَنْهَا الْجِبَالُ وَالْأَكَامُ .

(٦) جَمْعُ بَطْنٍ : بِمَعْنَى مَا انْخَفَضَ مِنَ اَلْأَرْضِ فِي ضَيْقٍ .

فَدَعَاهُمْ بِلسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ
الْخَلْقَ كَشْفَةً^(١) لَا أَنَّهُ جَهْلَ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ
ضَمَائِرِهِمْ ؛ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ؛ فَيَكُونَ الثَّوَابُ
جَزَاءً ، وَالْعِقَابُ بَوَاءً^(٢) . أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاكِبُونَ فِي
الْعِلْمِ دُونَنَا ؟ كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ^(٣) وَأَعْطَانَا
وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ ، بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى ، وَيُسْتَجَلَى
الْعَمَى ، إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ :
لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

ومنها: آثَرُوا عَاجِلًا ، وَأَخْرُوا آجِلًا ؛ وَتَرَكُوا صَافِيًا ، وَشَرِبُوا
أَجْنًا^(٤) . كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ وَبَسِيءَ بِهِ
وَوَافَقَهُ^(٥) حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ^(٦) ! ثُمَّ

(١) كشف الخلق : علم حالهم في جميع أطوارهم .

(٢) بواء : مصدر « باء فلان بفلان » أي : قتل به مكافئاً له ومناظراً ، وقالت ليلي
الأخيلية :

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم فتي ما قتلت آل عوف بن عامر

وتقول : أبأت القاتل بالقتيل ، واستبأته ، إذا قتله به ، وفي أمثالهم « باءت عرار
بكمحل » والعقاب : القصاص .

(٣) « أن رفعنا » حرف جر محذوف ، أي : لأن رفعنا ، وهو يتعلق بقوله « بغياً علينا » .

(٤) آثروا : اختاروا . وأخروا : تركوا . والآجن : الماء المتغير اللون والطعم وفعله أجن
يأجن ويأجن ، مثل ضرب يضرب ونصر ينصر ، وفيه وجه ثالث مثل فرح .

(٥) بسيء به - كفرح - استأنس به ، و « ناقة بسوء » ألفت الحالب فلم تمنعه وقوله :

« شابت عليه مفارقة » يريد أنه قد طال عهده به منذ زمن الصبا إلى أن صار شيخاً .

(٦) ملكاته الراسخة في نفسه ، يريد أن ذلك قد صار طبعاً له لا يفارقه ولا ينفك عنه .

أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ، أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا
يَحْفَلُ مَا حَرَّقَ^(١) !! أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضِجَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى؟
وَالْأَبْصَارُ اللَّامِيحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى^(٢) ؟ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ
لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ؟ أَرَدَحُمُوا عَلَى الْحُطَامِ ، وَتَشَاحُوا
عَلَى الْحَرَامِ ، وَرَفَعَ لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ
وُجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنفَرُوا وَوَلَّوْا .
وَدَعَاهُمْ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا .

ومن خطبة له عليه السلام

١٤٣

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ
الْمَنَايَا^(٣) مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقَ ؛ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ^(٤) لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً

(١) الزبد - محرّكاً - ما يخرج من الفم كالرغوة ، وتقول « أزيد » إذا خرج منه ذلك ،
هذا أصله ، وهو يكتنى به عن الصائل المقتحم والتيار : معظم اللجة ، ولا يحفل -
كيضرب - لا يبالي .

(٢) أصل المنار ما ينصب في الطريق ليكون علامة لسالكه ، وفي الحديث « إن
للإسلام صوى ومناراً كمنار الطريق » وفي بعض النسخ « منازل التقوى » جمع منزل
أو منزلة .

(٣) الغرض : ما ينصب ليرمى ، وهو الهدف أيضاً . و « تنتضل فيه » تترامى إليه المنايا
للسبق ، ومنه الانتضال بالكلام والشعر ، كأنه جعل المنايا أشخاصاً تتناضل
بالسهام : من الناس من يموت قتلاً ، ومنهم من يموت غرقاً ، أو يتردى في بئر ، أو يسقط
عليه حائط .

(٤) الغصص - بفتحيتين - مصدر قولك « غصصت يا فلان » - من باب طرب - والفرق =

إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مَعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا
 بِهِدْمٍ آخَرَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا
 مِنْ رِزْقِهِ ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ
 إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ^(١) ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ
 مَحْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ
 ذَهَابِ أَصْلِهِ!!؟

ومنها : وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ ؛ فَاتَّقُوا الْبِدْعَ ،
 وَالزُّمُّوا الْمَهْيَعَ^(٢) إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا^(٣) وَإِنَّ مُحَدَّثَاتِهَا
 شِرَارُهَا .

= بين المشرق والغصص أن الشرق يكون بالماء ونحوه ، والغصص يكون بالطعام .
 وروى قوله « غصص » بضم الغين وفتح الصاد على أنه جمع غصة وهي الشجرا
 يعترض في الحلق ، ومراد أمير المؤمنين أن نعيم الدنيا لا يدوم فإذا أحسنت أساءت
 وإذا أنعمت أخذت بالنقم .

(١) يخلق - كيسمع ، وينصر ، ويكرم - يلى .
 (٢) المهيع - كالمقعد - الطريق الواضح ، مأخوذ من قولهم « أرض هيع » أي : مبسطة
 واسعة ، والميم في أوله زائدة ؛ بدليل مثولها فيما ذكرنا .
 (٣) عوازم الأمور : ما تقادم منها وكانت عليه ناشئة الدين ، من قولهم « ناقة عوزم »
 كجعفر - أي : عجوز فيها بقية شباب ، وقال الراجز :

لقد غدوت خلق الشيا ب أحمل عدلين من التراب
 لعوزم وصبية سغب فأكل ولا حس وآبي

وفوعل يجمع على فواعل ، مثل دورق ودوارق وهوجل وهواجل ، ويجوز أن
 تكون « عوازم » جمع عازمة بمعنى معزوم عليها - أي : مقطوع معلوم على وجه
 اليقين أنها صحيحة - عيشة راضية ، والأولى أظهر ، وإن كان معجىء فاعل بمعنى
 مفعول كثيراً في الكلام المستعمل الفصيح .

ومن كلام له عليه السلام

لعمر بن الخطّاب وقد استشاره في غزو الفُرس بنفسه

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا قِلَّةِ ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُمَا طَلَعَ ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ ، وَنَاصِرُ جُنْدِهِ . وَمَكَانُ الْقِيَمِ بِالْأَمْرِ (١) مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرْزِ : يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ ، فَإِذَا انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرْزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَدًا (٢) . وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ ، عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ ، فَكُنْ قُطْبًا ، وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ (٣) ؛ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا (٤)

(١) القيم بالأمر : هو القائم به ، يريد الخليفة ، والنظام : السلك ينظم فيه الخرز .

(٢) تقول « أخذته كله بحذافيره » أي : بأصله ، وأصل الحذافير أعالي الشيء ونواحيه ، الواحد حذفار وحذفور ، مثل قرطاس وقرطيس وعصفور وعصافير .

(٣) « أصلهم نار الحرب » أي : أجعلهم صالين لها ، تقول « صليت اللحم أصله صلياً ، مثل رمية ، أرميه رمياً ، أي شويته ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى بشاة مصلية ، أي : مشوية ، وتقول أيضاً « صليت الرجل ناراً » بلا همز ، إذا أدخلته فيها وجعلته يصلها ، والفرق بين المهموز وغيره أن المهموز يدل على أنك ألقيته فيها كأنك تريد الإحراق ، ويكنى بذلك كله عن مقاسات الشدائد ، وقال الطهوي :

ولا تفنى بسالتهم وإن هم صلوا بالحرب حيناً بعد حين

(٤) شخصت : خرجت .

حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعُورَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا : هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ
فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ أَسْتَرْحِطُمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ ،
وَطَمَعِهِمْ فِيكَ . فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ
فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا
يَكْرَهُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدِيدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيَمَا مَضَى
بِالْكَثْرَةِ ؛ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٤٥

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ
عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ^(١) ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى
طَاعَتِهِ ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ
وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى لَهُمْ
سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ،
وَخَوْفِهِمْ مِنْ سَطَوْتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمُثَلَّاتِ^(٢) وَآخَتَصَدَ
مَنْ اخْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ .

(١) الأوثان : جمع وثن ، وهو الصنم وزناً ومعنى ، وإنما وثناً لانتصابه وثباته على حال
واحدة ، مأخوذ من قولك : « وثن فلان بالمكان فهو واثن » إذا ثبت ودام مقامه
فيه .

(٢) المثلات - بفتح فضم - العقوبات .

وَأَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنْ
الْحَقِّ ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ !! وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا
تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^(١) ، وَلَا فِي
الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ ، فَقَدْ نَبَذَ
الْكِتَابَ حَمَلْتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظْتُهُ ، فَالْكِتَابُ يَوْمِئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ
مَنْفِيَّانِ^(٢) وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُوٍ !!
فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ
وَلَيْسَا مَعَهُمْ لِأَنَّ الضَّلَالََةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا . فَاجْتَمَعَ
الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ ، كَانَهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ
الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ! فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا أَسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا
خَطَّهُ وَزَبْرَهُ^(٣) !! وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ^(٤) وَسَمَوْا
صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً^(٥) وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ .

(١) انفق منه : أروج منه .

(٢) يطردهما وينفيهما أهل الباطل وأعداء الكتاب .

(٣) الزبر - بالفتح - : الكتب مصدر كتب .

(٤) « ما مثلوا » أي : شنعوا ، و « ما » مصدرية ، وقال ابن أبي الحديد « مثلوا
بالتخفيف - نكلوا بهم ، مثلت بفلان أمثل بالضم مثلاً بالفتح وسكون الشاء ،
والاسم المثلة بالضم . ومن روي مثلوا - بالتشديد - أراد جدعوهم بعد قتلهم »
اهـ .

(٥) فرية - بالكسر - أي : كذباً ، و « على » في قوله « على الله » لا تتعلق بالمقدم -
وهو « صدقهم » وإنما تتعلق بالمتأخر - وهو « فرية » - أي : سموا صدقهم فرية
وكذباً على الله ؛ فإن أبيت أن تعلقه بفرية لكونه مصدراً متأخراً وذهبت إلى أن

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ ، وَتَغَيَّبِ آجَالِهِمْ ،
حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ^(١) الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ
الْتَوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقْمَةُ^(٢) .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَصْحَحَ اللَّهَ وَفَّقَ ، وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ
دَلِيلًا هُدًى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ^(٣) ؛ فَإِنْ جَارَ اللَّهُ آمِنٌ ، وَعَدُوُّ اللَّهِ
خَائِفٌ ، وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ؛ فَإِنْ رَفَعَهُ
الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا^(٤) لَهُ ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنْ

= المصدر لا يعمل في الذي يتقدمه لكونه ضعيف العمل لأنه إنما عمل حملا على
الفعل ؛ قلنا فليكن العامل فيه فعلاً مقدراً دل عليه هذا المصدر أو ليكن المصدر
دالاً على مصدر آخر يقدر متقدماً على الحرف ، وهذا كله من الوضوح بحيث لا
يزاد في الدلالة عليه عن هذا المقدار .

(١) الموت الذي لا يقبل فيه عذر ، ولا تفيد بعده توبة .

(٢) القارعة : الداهية المهلكة .

(٣) « من استصحح الله » أي : من أطاعه وعلم أنه يهديه إلى مصالحه ويرده عن مفسده
ويرشده إلى ما فيه نجاته ويصرفه عما فيه عطبه و« التي هي أقوم » تقديره : هدى
للحالة التي اتباعها أقوم مما عداها ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ
أَقْوَمُ ﴾ .

(٤) « ما » في قوله : « يعرفون ما عظمة الله » استفهامية مبتدأ ، والاسم الذي بعدها خبر
عنها ، وجملتها في محل نصب مفعول للفعل السابق . وقد نص ابن أبي الحديد
على أن من الناس من روى هذه الجملة بنصب « عظمة الله » وتقديرها أن تجعل
« ما » زائدة ، ومثل هذا يقال في قوله « يعلمون ما قدرته » وقوله « أن يتواضعوا »
فالمصدر المنسبك من « أن » والفعل المضارع خبر « إن » في قوله « فإن رفعه -
الخ » .

الْأَجْرَبِ ، وَالْبَارِيءِ مِنْ ذِي السَّقَمِ (١) وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا
الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكْتُمْ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى
تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ تَمْسُكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ ،
فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ
الْجَهْلِ : هُمْ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ
مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ : لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ ، وَلَا
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

ومن كلام له عليه السلام

١٨٦

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ :
لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ ، وَلَا يَمْدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ (٢) ؛ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ (٣) وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ . وَاللَّهُ
لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَرِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى
هَذَا ؛ قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ فَأَيُّنَ الْمُحْتَسِبُونَ (٤) فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمْ

(١) الباريء : المعافى من المرض .

(٢) ضمير المثنى لطلحة والزبير ، وقوله « لا يمتنان » أي : لا يتسولان ، مثل لا
يمدان ، والسبب : الحبل أيضاً .

(٣) الضب - بالفتح ، ويكسر - : الحقد .

(٤) الذين يجاهدون حسبة الله .

السُّنَنُ ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ ،
وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدِّمِ^(١) يَسْمَعُ النَّاعِي وَيَحْضُرُ الْبَاكِي ثُمَّ
لَا يَغْتَبِرُ .

ومن كلام له عليه السلام

١٤٧

قَبْلَ مَوْتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ ، كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ ، وَالْأَجَلُ
مَسَاقُ النَّفْسِ^(٢) وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدَتْ الْأَيَّامُ أَبْحَثُهَا عَنْ
مَكُونِ هَذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ . هَيْهَاتَ ؛ عِلْمٌ مَخْزُونٌ . أَمَّا

(١) الدِّمِ : الضرب على الصدر والوجه عند النياحة ، وقال ابن أبي الحديد : « مستمع
الدِّمِ : كناية عن الضبع ؛ فإنها تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد
فتخذل وتكف جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها . يقول : لا أكون مقرأً
بالضيم واهناً أسمع الناعي المخبر عن قتل عسكر الجمل فلا يكون عندي من
التغيير والإنكار لذلك لن أسمعنه وأحضر الباكين على قتلاهم » أهـ . وقد روى أبو
مخنف قال : لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي عليه السلام
لأصحابه : لا يرمين رجل منكم يسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث
إلحكم ، وحتى يبدؤكم بالقتال وبالقتل ، فرمى أصحاب الجمل عسكر علي بالنبل
رمياً شديداً متتابعاً ، فضج إليه أصحابه وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين ،
وجيء برجل إليه فقيل له : هذا فلان قد قتل ، فقال : اللهم اشهد ، ثم قال :
أعذرا إلى القوم ، وتكرر مجيئهم إليه بالقتلى ، ومقاتله هذه تكرر ، ثم لما ضاق
بهم ذرعاً قام فاستعد للقتال ولبس درع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفع إلى
محمد ابنه رايته السوداء ، وتعرف بالعقاب ، وحمل معه الناس ، واستحضر القتل من
الفريقين ؛ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) مساق النفس تسوقها إليه أطوار الحياة حتى توافيه .

وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ؛ وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ
الْمِصْبَاحَيْنِ ، وَخَلَاكُمُ ذِمَّةُ مَا لَمْ تَشْرُدُوا^(١) . حَمَلَ كُلُّ امْرِئٍ
مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ^(٢) ، وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ رَبِّ رَحِيمٌ ، وَدَيْنٌ قَوِيمٌ ،
وَأَمَامُ عَلِيمٍ . أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَدًا
مُفَارِقُكُمْ ، غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ .

إِنْ تَثَبَّتِ الْوُطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزْلَةِ فَذَاكَ ، وَإِنْ تَدَحَّضِ
الْقَدَمُ^(٣) فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ ، وَمَهَبَّ رِيَّاحٍ ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ
أَضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا ، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا^(٤) ، وَإِنَّمَا
كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً وَسَتَعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءَ^(٥) سَاكِنَةً
بَعْدَ حَرَاكِ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ لِيَعْظُمَكُمْ هُدُوءِي وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي^(٦)

(١) برئتم من الذم ما لم تشردوا - كتنصروا - أي : تنفروا وتميلوا عن الحق .

(٢) « حمل كل امرئ - الخ » : هذا وما بعده ماض قصد به الأمر .

(٣) قوله « إن ثبت » يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه ، والمزلة : محل الزلل ،
و « دحضت القدم » . زلت ، وزلقت ، وبابه منع .

(٤) الأفياء : جمع فيء ، وهو الظل ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأماكن ،
واضمحل : ذهب والميم زائدة ، ومنه الضحل وهو الماء القليل . وتقول :
اضمحل السحاب ، أي : تقشع وذهب ، ولغة الكلايين امضحل - بتقديم الميم -
والمنفلق : المنضم بعضه على بعض ، وعفا : اندرس وذهب ، ومخطها : مكان
ما خبط في الأرض وضمير « متلفقها » للغمام ، وضمير « مخطها » للرياح ، يريد
أنه كان في حال شأنها الزوال فزال ، وما هو بالعجيب .

(٥) خالية من الروح .

(٦) الخفوت : السكون ، وتقول خفت خفوتاً ، سكن سكوناً في الوزن والمعنى . =

وَسُكُونُ أَطْرَافِي ؛ فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ
الْمَسْمُوعِ ، وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ أَمْرِي مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِي (١) ، غَدًا تَرَوْنَ
أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي
وَقِيَامِ غَيْرِ مَقَامِي .

ومن خطبة له عليه السلام

١١٨٨

في الملاحم

وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا : طَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْغِيِّ ، وَتَرْكًا
لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ ، فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ وَلَا
تَسْتَبِطُّوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ ، فَكُمْ مِنْ مُسْتَعْجِلِ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ
أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ ، وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ (٢) يَا قَوْمَ ، هَذَا

= وتقول : خفت خفتاً - بضم خاء المصدر - إذا مات فجأة ، وأطرافه في الأول :
عيناه ، وفي الثاني : يده ورأسه ورجلاه ، وقد روى ابن أبي الحديد الأول بالقاف
المثناة مكسور الهمزة على أنه مصدر أطرق ؛ والثاني بالفاء الموحدة وفتح الهمزة
أوله على أنه جمع طرف ، هال : « وأطرقه : إرخاؤه عينه ينظر إلى الأرض لضعفه
عن رفع جفنه وسكون أطرافه : هي يده ورجلاه ورأسه » اهـ .

(١) « وداعيكُم » أي : وداعي لكم ، وقد وردت الرواية به أيضاً ، والاستعمال على أن
« وداعي لكم » أو « وداعي إياكم » أكثر من « وداعيكُم » لكون العامل اسماً ، وإن
كان مستعملاً لانكاره فيه ، ومثله قول الشاعر - :

لئن كان حبك لي كاذباً لقد كان حبيك حقاً يقينا

و « مرصد » أي : منتظر .

(٢) تباشيره : أوائله .

إِبَانُ وَرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ^(١) ، وَذُنُوبٍ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ ؛ لِيَحُلَّ فِيهَا رَبْقًا^(٢) وَيُعْتِقَ رِقًّا ، وَيَصْدَعَ شَعْبًا ، وَيَشْعَبَ صَدْعًا^(٣) ، فِي سُرْتَةٍ عَنِ النَّاسِ ، لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ^(٤) وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ ، ثُمَّ لَيْشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ الْنَصْلَ^(٥) ، تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ^(٦) ، وَيُرْمَى بِالتَّقْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ^(٧) .

ومنها : وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ^(٨) لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا

(١) إبان - بكسر فتشديد - : وقت ، والدنو : القرب .

(٢) يحذو : يقتفي ، ويتبع . والربق - بكسر فسكون - : حبل فيه عدة عرى كل عروة ربة - بكسر الراء - تشد فيه البهم .

(٣) يفرق جمع الضلال ، ويجمع متفرق الحق .

(٤) القائف : الذي يعرف الآثار فيتبعها .

(٥) « يشحذن » من « شحذ السكين » أي : حدها . والقين : الحداد ، والنصل حديدة السيف والسكين ونحوها ، يريد ليحرضهن قوم في هذه الملاحم على الحرب وقتل أهل الضلال ، وليشحذن عزائمهم كما يشحذ الصقيل السيف ويرقق حده .

(٦) تجلى بالتنزيل : يعودون إلى القرآن وتدبره فينكشف الغطاء عن أبصارهم فينهضون إلى الحق كما نهض أهل القرآن عند نزوله .

(٧) يغبقون - مبني للمجهول - يسقون كأس الحكمة بالمساء بعدما شربوه بالصباح ؛ والصبح : ما يشرب وقت الصباح ، والمراد أنها تفيض عليهم الحكم الإلهية في حركاتهم وسكونهم وسرهم وإعلانهم .

(٨) قوله وطال الخ : انتقال لحكاية أهل الجاهلية وطول الأمد فيها ليزيد الله لهم في العقوبة .

الْغَيْرَ^(١) ، حَتَّى إِذَا أَخْلَقَ الْأَجَلَ^(٢) ، وَاسْتَرَحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ ،
وَأَسْأَلُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ^(٣) ، وَلَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ^(٤) ، وَلَمْ
يَسْتَعِظُوا بِذَلِّ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ ؛ حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ
أَنْقَطَاعَ مَدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ^(٥) ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ
بِأَمْرِ وَعَظِهِمْ .

حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، رَجَعَ قَوْمٌ
عَلَى الْأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمْ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ^(٦) وَوَصَلُوا
غَيْرَ الرَّجِمِ ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ
عَنْ رُصٍّ أَسَاسِهِ^(٧) فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ،

(١) الغير - بكسر ففتح - أحداث الدهر ونوائبه .

(٢) من قولهم « اخلوق السحاب » إذا استوى وصار خليقاً أن يمطر ، أي : يشرف الأجل
على الانقضاء .

(٣) « أشالت الناقة ذنبها » رفعته ، أي : رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلقحوا حروبهم على
غيرهم ، أي : يسعروها عليهم ، وفي بعض النسخ « اشتالوا » تقول : شال فلان
كذا ، أي : رفعه ، و « اشتال الشيء » : ارتفع . و « لقاح حربهم » هو بفتح اللام
مصدر قولك « لقحت الناقة » .

(٤) الضمير فيه للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب ، والجملة جواب إذا .

(٥) من ألطف أنواع التمثيل ، يريد أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم .

(٦) دخائل المكر والخديعة ، وأصل الولايح جمع وليجة ، وهي البطانة يتخذها الإنسان
لنفسه ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ﴾ .

(٧) الرص . مصدر قولك « رصصت الشيء » أي : ألصقت بعضه ببعض ، ومنه قوله
تعالى : ﴿ كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ وتقول : تراص القوم في الصف إذا تلاصقوا .

وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ^(١) ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ^(٢) ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِبٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٨٩

وَأَحْمَدُ اللَّهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ^(٣) ، وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَجِيَّهُ وَصَفْوَتُهُ ، لَا يُوَازِي فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ ، أَضَاءَتْ بِهِ أَلْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ^(٤) ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ ، يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ^(٥) وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النُّعْمَةِ ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النَّقْمَةِ^(٦) ،

(١) الغمرة : الشدة .

(٢) ماروا : تحركوا واضطربوا ، جعلهم كأنهم يسجنون في الحيرة كما يسبح الإنسان في الماء .

(٣) الدحر - بالفتح - : الطرد ، والمداحر والمزاجر : ما بها يدحر ويزجر ، وهي الأعمال الفاضلة ، ومخاتل الشيطان : مكائده .

(٤) « لا يوازي فضله » : لا يساوي ، و « لا يجبر فقده » لا يسد أحد مسده بعده و « الجفوة الجافية » : غلظ الطبع وبلادة الفهم . « ويستذلون لحكيم » يضيمون العقلاء الداعين إلى الخير لامتلاك الشرور أنفسهم ، وغلبة الهوى عليهم .

(٥) خلو من الشرائع الإلهية : لا يعرفون منها شيئاً لعدم الرسول المبلغ ، ثم يغيرون ويبدلون ، ويتخذون الأصنام آلهة ، والأهواء شريعة ، فيموتون كفاراً .

(٦) البوائق : جمع بائقة ، وهي الداهية ، والغائلة . وفي الحديث « لا يدخل الجنة من =

وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ^(١) وَأَعْوَجَاجِ الْفِتْنَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ
 كَمِينِهَا، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا : تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ ،
 وَتَوُولُ إِلَى فِظَاعَةِ جَلِيَّةٍ ، شَبَابُهَا كَشَبَابِ الْغَلَامِ^(٢) وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ
 السَّلَامِ . تَتَوَارَثُهَا الظَّلْمَةُ بِالْعُهُودِ ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ
 بِأَوَّلِهِمْ ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيْفَةِ مُرِيحَةٍ^(٣)
 وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتَّبِعِ ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزَايِلُونَ
 بِالْبَغْضَاءِ^(٤) وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ
 الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ^(٥) ، الْقَاصِمَةُ الزُّخُوفِ ، فَتَرِيغُ قُلُوبُ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ ،
 وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ ، وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ

= لا يأمن جاره بوائقه « أي : غائلته وشره . تقول : باقته الداهية ، أي : اصابته .

(١) القتام - كسحاب - : الغبار ، والعشوة - بالضم ، ويكسر ويفتح - : ركوب الأمر
 على غير بيان ، و « اعوجاج الفتنة » أخذها في غير القصد ، وعدولها عن المنهج .
 والجنين : المستتر . والكمين : مثله .

(٢) شباب كل شيء - يفتح الشين - أوله ، أي : بداياتها في عنفوان وشدة كشباب
 الغلام وفتوته ، وقال ابن أبي الحديد : شبابها كشباب الغلام بالكسر - مصدر « شب
 الفرس والغلام يشب ويشب - بكسر الشين وضمها - شباباً وشبيهاً » إذا قمص
 ولعب ، « وأشبيته أنا » أي : هجته وهو السلام - بكسر السين - : الحجارة ، وأثارها
 في الأبدان : الرض والحطم .

(٣) مريحة : منتنة ، تقول : راح اللحم ، وأراح ، أي : أنتن ، وقال ابن أبي
 الحديد : ويجوز أن تكون من « أراح البعير » أي : مات . والأول عندي أحسن
 وأدق .

(٤) يتزايلون : يتفارقون .

(٥) طالع الفتنة : مقدماتها وأوائلها ، والرجوف : شديدة الرجفان والاضطراب ، أو
 شديدة إرجافها وزلزالها للناس ، والقاصمة : الكاسرة ، والزخوف : الشديدة
 الزحف .

آلرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا^(١) مَنَ أَشْرَفَ لَهَا قَصْمَتُهُ ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا
 حَطْمَتُهُ ، يَتَكَادُمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمْرِ فِي الْعَانَةِ^(٢) قَدْ أَضْطَرَبَ
 مَعْقُودُ الْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ ، تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ^(٣) ،
 وَتَنْطِقُ فِيهَا الظُّلْمَةُ ، وَتَذُقُ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمَسْحَلِهَا^(٤) وَتَرْضُهُمْ
 بِكُلْكُلِهَا ، يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ^(٥) وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا
 الرُّكْبَانُ ، تَرْدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ عَيْطَ الدِّمَاءِ^(٦) ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ
 الدِّينِ^(٧) وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ ، تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ^(٨) ، وَتُدَبِّرُهَا
 الْأَرْجَاسُ^(٩) ، مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ ، تُقَطِّعُ فِيهَا
 الْأَرْحَامُ ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ ، بَرِيئُهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا
 مُقِيمٌ^(١٠) .

- (١) نجومها : ظهورها ، وهو مصدر « نجم الشر » أي : ظهر .
 (٢) يتكادمون : يعرض بعضهم بعضاً كما تكون الحمر في العانة ، أي : الجماعة منها ،
 وهي خاصة بحمر الوحش .
 (٣) تغيض - بالغين المعجمة - : تنقص وتغور .
 (٤) المسحل - كمنبر - : المبرد أو المنحت ، والمراد بالذق التفتيت ، والرض :
 التهشيم . والكلكل : الصدر .
 (٥) الوجدان : جمع واحد - مثل شاب وشبان وراع ورعيان - أي : المنفردون ،
 والركبان : جمع راكب ، ولا يكون إلا صاحب بعير .
 (٦) عيط الدماء : الطري الخالص منها .
 (٧) ثلم الإناء والسيف أو نحوه يثلمه - كضربه يضربه - أي : كسر .
 (٨) الأكياس : جمع كيس ، وهو الحاذق العاقل .
 (٩) الأرجاس : جمع رجس : وهو القدر والنجس ، والمراد الأشرار .
 (١٠) « مرعاد مبراق » أي : ذات وعيد وتهديد ، والعرب تقول : أرعد فلان وأبرق ،
 وأرغى وأزبد ، وتكنى بهما عما ذكرنا . ويجوز أن يعنى بالرعد صوت السلاح =

ومنها : بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ^(١) ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ ، يَخْتَلُونَ
بِعَقْدِ الْإِيمَانِ^(٢) وَيَغُرُّوِرِ الْإِيمَانِ ، فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ^(٣)
وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ ، وَالزَّمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ
أَرْكَانُ الطَّاعَةِ ، وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ
ظَالِمِينَ ، وَأَتَّقُوا مَذَارِجَ الشَّيْطَانِ ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ ، وَلَا تُدْخِلُوا
بُطُونَكُمْ لَعَقَ الْحَرَامِ^(٤) فَإِنَّكُمْ بَعِينَ مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةِ^(٥) ،
وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَى
أَزَلَّتِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ ، لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ^(٦) ،

= وقعته ، وبالبرق لونه وضوءه ، على التشبيه . وقوله : « كاشفة عن ساق » أي :
عن شدة وهول ومشقة ، وفي التنزيل : ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ﴾ وقوله : « بريها
سقيم » معناه أن الهارب منها غير ناج ، بل لا بد أن يصيبه شيء من معرتها
وضررها ، وقوله « وظاعنها مقيم » أي : ما يفارق الإنسان من أذاها وشركائه غير
مفارق له ؛ لأنه قد أبقى عنده عقابيل من غوائلها وأذاها .

(١) طللت دمه : هدرته .

(٢) « يختلون » أي : يخدعون الظالمون بحلف الإيمان ويغرونهم بظاهر الإيمان وأنهم
مؤمنون مثلهم .

(٣) الأنصاب : كل ما ينصب ليقصد .

(٤) اللعق : جمع لعقة - بضم اللام - وهي ما تأخذه في الملعقة .

(٥) « إنكم بعين - النخ » أي : إنه يراكم .

(٦) « لا تستلمه المشاعر » أي : لا تصل إليه الحواس .

وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ؛ لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ
وَالْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ ، الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ
لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ^(١) ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ^(٢) ، وَالْبَصِيرِ بِلَا
تَفْرِيقِ آلَةٍ^(٣) ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ ، وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ^(٤) ،
وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَا ، وَالْبَاطِنِ لَا بِطَاقَةٍ ، بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ
لَهَا ، وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا ، وَبَانَ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ
إِلَيْهِ ، مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ^(٥) وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ
أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ « كَيْفَ ؟ » فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ
« أَيْنَ ؟ » فَقَدْ حَيَّزَهُ ، عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ،
وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ .

ومنها: قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَاحَ لَائِحٌ^(٦) ، وَاعْتَدَلَ
مَائِلٌ ، وَاسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا ، وَبِیَوْمٍ یَوْمًا . وَانْتَظَرْنَا الْغَيْرَ
انْتَظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ^(٧) وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ،
وَعَرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا

(١) النصب - محرقة - التعب .

(٢) الأداة : الآلة .

(٣) تفريق الآلة : تفريق الأجفان ، وفتح بعضها عن بعض .

(٤) البائن : المنفصل عن خلقه .

(٥) « من وصفه » أي : من كيفه بكيفيات المحدثين (وانظر الخطبة الأولى ج ١) .

(٦) لاح : بدا . قالوا : هذه خطبة خطبها بعد قتل عثمان .

(٧) الغير - بكسر ففتح - صروف الحوادث وتقلباتها ، انتظرها لعلماً يقوم حق ويتكس
باطل .

يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ .

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَأَسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسَمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعُ كَرَامَةٍ^(١) أَصْطَفَى اللَّهَ تَعَالَى مِنْهُجَهُ ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ ، وَبَاطِنِ حِكْمٍ ، لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ^(٢) ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ^(٣) وَمَصَابِيحُ الظُّلُمِ ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمِفَاتِيحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ ، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ^(٤) وَأَرْعَى مَرْعَاهُ ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَغِيِّ ، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَافِي .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٩

في صِفَةِ الضَّالِّ وَالْغَافِلِ

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ^(٥) وَيَغْدُو مَعَ

(١) جماع الشيء : مجموعه .

(٢) غرائبه : جمع غريبة ، وأراد بها ما يتجدد للقرآن من المعاني التي غفل الناس عنها ؛ لحدوثها باحداث الأفكار والعلوم مع كونها لا تخالف أصول الشريعة ولا تعارضها ، ويروى في مكان هذه اللفظة « عزائمه » وهي جمع عزيمة ، وهي الآية المحكمة ، والبرهان القاطع ، وقوله « ولا تنقضي عجائبه » لأنه مهما تأمله الإنسان استخرج منه بفكره غرائب وعجائب لم تكن عنده من قبل .

(٣) مرابيع : جمع مربع - بكسر الميم - وهو المكان ينبت نبتة في أول الربيع أو هو المطر أول الربيع .

(٤) أحمى المكان : جعله حمى لا يقرب ، أي : أعز الله الإسلام ، ومنعه من الأعداء ، ومن دخل فيه وصار من أهله متعه الله بخيراته ، وأباحه رعى ما تنبته أرضه الطيبة من الفوائد ، والهمزة في « أرعى » وفي « أحمى » للدلالة على التعريض لأصل الفعل ، مثل : أقتله ، وأضربه ، أي : عرضه للقتل وللضرب .

(٥) قوله « وهو في مهلة » كلام في ضال غير معين ، فهذا الكلام كما تقول : رحم الله =

الْمُذْنِبِينَ ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

ومنها : حَتَّى إِذَا كُشِفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ ،
وَأَسْتَخْرِجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ ، أَسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا ، وَأَسْتَدْبَرُوا
مُقْبِلًا ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلَبَتِهِمْ ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ
وَطَرِهِمْ . إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ^(١) الْمَنْزِلَةَ ، فَلْيَنْتَفِعْ أَمْرُؤُ
بِنَفْسِهِ ؛ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ،
ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي ،
وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي^(٢) وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بَتَعَسُفٍ فِي
حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ . فَأَفُقْ أَيُّهَا
السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ ! وَاخْتَصِرْ مِنْ
عَجَلَتِكَ^(٣) ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأَمِّيِّ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَلَا مَحِيصَ^(٤) عَنْهُ ،

= امرأة اتقى ربه ، وخاف ذنبه . أو كما نقول : بش رجلًا الرجل الذي قل حياؤه ،
وغاض وفاؤه . ونحو ذلك ، أنت في كل ذلك لا تقصد واحداً بعينه من الناس ،
وإنما تعني من كان فيه هذه الخلال . ويهوى : يسقط ، والسبيل القاصد : المؤدي
للغرض .

(١) في بعض الروايات « أحذركم ونفسي هذه المزمة » وهي مفعلة من الزلل .

(٢) المهاوي : جمع مهواة ، وهي الهوة يتردى فيها . والمغاوي : جمع مغواة ؛ وهي
الشبهة يذهب معها الإنسان إلى ما يخالف الحق .

(٣) أي : لا تكن عجلتك شديدة ، بل إذا كانت لك عجلة فلتكن شيئاً يسيراً . وقوله
« أنعم الفكر الخ » معناه دقق بفكرك وأصل هذه العبارة قولك « أنعمت سحق
الحجر » من الناس من يجعل « أنعم » مقلوباً عن « أمعن » .

(٤) « لا محيص عنه » أي : لا مفر ولا مهرب منه ، تقول : حاص عنه يحيص - من
باب باع - حيصاً وحيوصاً ومحيصاً ومحاصاً وحيصاناً ، أي : عدل وحاد وهرب .

وَحَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعَاهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَضَعَفَخَرَكَ ، وَأَحْطَطَ كِبَرَكَ ، وَأَذْكَرَ قَدْرَكَ ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ ؛ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا ، فَاْمْهَدْ لِقَدَمِكَ^(١) وَقَدَّمْ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) .

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِي غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يَعْرِ بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ^(٢) ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ^(٣) ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ ؛ أَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شَبْهِهِ .

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا ، وَإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا ، وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا ، إِنَّ

(١) مهد - كمنع - بسط . وأصله من « مهد الفراش » إذا بسطه ووطأه وتمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها . وتمهيد العذر : بسطه وقبوله .

(٢) تقول عر فلان فلانا يعره - من باب رد - أي عابه ولطخه ، وقوله « غيره » مفعول لعر ، وفاعل قوله « فعله » ضمير مستتر ، والمعنى أن يقذف غيره بأمر قد فعله هو .

(٣) « يستنجح » أي : يطلب نجاح حاجته من الناس بالابتداع في الدين .

الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكَينُونَ^(١) إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ ، مُشْفِقُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٦

وَنَاطِرُ قَلْبِ اللَّيْبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ^(٢) وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ ،
دَاعٍ دَعَا وَرَاعٍ رَعَا ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي ، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي .

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ ، وَأَرَزَّ
الْمُؤْمِنُونَ^(٣) وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . نَحْنُ الشُّعَارُ^(٤) ،
وَالْأَصْحَابُ ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ،
فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا .

ومنها في أهل البيت : فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ^(٥) ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ ،
إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّقُوا^(٦) ، فَلْيَصْذُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ^(٧) .

(١) « مستكينون » أي : خاضعون لله عز وجل .

(٢) ناظر القلب : استعاره من « ناظر العين » وهو النقطة السوداء منها ، والمراد بصيرة القلب بها يدرك اللبيب أمده ، أي : غايته ومنتهاه ، والغور : ما انخفض من الأرض ، والنجد : ما ارتفع منها ، أي : يدرك باطن أمره وظاهره .

(٣) أرز يأرز - بكسر الراء في المضارع - أي : انقبض وثبت ، وأرزت الحية : لاذت بجحرها ورجعت إليه ، وفي الحديث « إن الاسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » أي : ينضم إليها ويجتمع .

(٤) الشعار : ما يلي البدن من الثياب . والمراد ببطانة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) الضمير لآل النبي ، والكرائم : جمع كريمة ، والمراد أنه قد أنزلت في مدحهم آيات كريمات ، والقرآن كريم كله ، وهذه كرائم .

(٦) لم يسبقهم أحد إلى الكلام وهم سكوت ، أي : يهاب سكوتهم فلم يجراً أحد على الكلام فيما سكتوا عنه .

(٧) الرائد : الداهب من الحي يرتاد لهم المرعى ، وفي أمثالهم « الرائد لا يكذب

وَلِيُحْضِرَ عَقْلَهُ ، وَلِيَكُنْ مِنْ أبنَاءِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ^(١) فَالْناظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ ، أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَسَائِرٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ ، وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ » . وَأَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا ، وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ : فَمَا طَابَ سَقِيُّهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبُثَ سَقِيُّهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَتْ ثَمَرَتُهُ^(٢) .

= أهله « وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا المثل في خطبه .

(١) لا شك أن الآخرة الآن لعدم وقوعها هي عدم محض ، والإنسان قد خلق من العدم ، وهو إلى العدم راجع ، فمن هنا صح قوله إن الإنسان قدم من الآخرة وإلى الآخرة ينقلب .

(٢) السقي - بفتح السين - مصدر قولك « سقيت الأرض » ويكسر السين النصيب من الماء ، و « أمر الشيء » صار مرا ، وهذا الكلام مثل في الاخلاص وضده - وهو الرياء وحب السمعة - فكل عمل يكون مرده الاخلاص لوجهه تعالى فانه يكون زاكيا حلوا جنا طيبة ثمرته ، وكل عمل يكون الباعث عليه الرياء وحب السمعة فانه لا يزكو وتكون ثمرته مرة المذاق .

ومن خطبة له عليه السلام

يُذَكِّرُ فِيهَا بَدِيعَ خَلْقَةِ الْخَفَاشِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَرَتْ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ،
وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ .
هُوَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَاهُ الْعُيُونُ ، لَمْ
تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونُ مُشَبَّهًا ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ
فَيَكُونُ مُمَثَّلًا ، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ ، وَلَا مَشُورَةَ مُشِيرٍ ،
وَلَا مَعُونَةَ مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ لِبَطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَلَمْ
يُدَافِعْ وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ .

وَمِنْ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ ، وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ ؛ مَا أَرَانَا مِنْ
غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ
لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ
أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي
مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا ، وَرَدَّعَهَا
تَلَالُؤُ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا وَأَكْنَنَهَا فِي مَكَامِنِهَا

(١) الخفاش : واحد جمعه خفافيش ، وهو هذا الطائر الذي يطير ليلاً ولا يطير نهاراً ،
وهو مأخوذ من الخفش - بفتح الخاء والفاء جميعاً ، وفعله مثل تعب - وهو صغر
العينين وضعف البصر ، ويكون خلقه ، وهو علة لازمة ، وصاحبه يبصر ليلاً أكثر
مما يبصر نهاراً ، ويبصر يوم الغيم أكثر مما يبصر يوم الصحو ، والذكر أخفش ،
والأنثى خفشاء .

عَنِ الذَّهَابِ فِي بَلَجٍ أَتَّيَلَاقِهَا فَهِيَ مُسْدِلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى
أَحْدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةٌ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التَّمَاسِ أَرْزَاقِهَا ،
فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِعَسَقِ
دُجَّتِهِ ، فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا ، وَدَخَلَ
مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانُ عَلَى
مَا فِيهَا وَتَبَلَّغَتْ بِمَا أَكْتَسَبَتْ مِنْ فِيءِ ظُلْمٍ لِيَالِيهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ
جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا ، وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَارًا ، وَجَعَلَ لَهَا
أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ كَأَنَّهَا شَطَايَا
الْآذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيَشٍ وَلَا قَصَبٍ ، إِلَّا أَنْكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ
بَيِّنَةً أَعْلَامًا . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقُّا وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا ، تَطِيرُ
وَوَلَدُهَا لَا صِقُّ بِهَا ، لَا جِيءُ إِلَيْهَا : يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا
أَرْتَفَعَتْ ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشَدَّ أَرْكَانُهُ ، وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ
جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ ، فَسُبْحَانَ الْبَارِي
لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

١٥٤

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فَلْيَفْعَلْ ! فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى سَبِيلِ
الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ .

وَأَمَّا فَلَانَةٌ فَأَذْرَكَهَا رَأْيِي النَّسَاءِ ، وَضِغْنُ غَلَا فِي صَدْرِهَا
كَمَرَجَلِ الْقَيْنِ^(١) وَلَوْ دُعِيتْ لَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي ، مَا أَتَتْ إِلَيَّ ، لَمْ
تَفْعَلْ . وَلَهَا بَعْدَ حُرْمَتِهَا الْأُولَى ، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

ومنه في ذكر الإيمان : سَبِيلُ أَبْلَجِ الْمُنْهَاجِ ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ ،
فَبِالإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى
الإِيمَانِ ، وَبِالإِيمَانِ يُعَمَّرُ الْعِلْمُ ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ ،
وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ^(٢) ، وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ
الْجَنَّةُ « وَتَبْرَزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ » وَإِنَّ الْخُلُقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنْ
الْقِيَامَةِ^(٣) ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى .

ومنه في وصف حالة أهل القبور يوم القيامة : قَدْ شَخَّصُوا مِنْ
مُسْتَقَرٍّ^(٤) الْأَجْدَاثِ ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا : لَا
يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا ، وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا ؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا

(١) المَرَجَلُ : القدر ، والقَيْن - بالفتح - : الحداد ، أي : أن ضغيتها وحقدتها كانا
دائمي الغليان كقدر الحداد فإنه يغلي ما دام يصنع ، ولو دعاها أحد لتصيب من
غيري غرضاً من الاساءة والعدوان مثل ما أتت إلي - أي : فعلت بي - لم تفعل ؛
لأن حقدها كان علي خاصة .

(٢) وبالدنيا الخ : أي إنه إذا رهب الموت وهو ختام الدنيا كانت الرهبة سبباً في حرص
الانسان على الفائدة من حياته فلا يضيع عمره بالباطل وبهذا يحرز الآخرة .

(٣) المقصر - كمقعد - : المجلس ، أي : لا مستقر لهم دون القيامة فهم ذاهبون إليها
مرقلين .: أي مسرعين في ميدان هي غايته ومنتهاه .

(٤) شَخَّصُوا : ذهبوا ، والأجداث : القبور ، والمصائر : الغايات ، جمع مصير ، وهو
ما يصير إليه الانسان من شقاء وسعادة . والكلام في القيامة .

يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ لَا يَعْوُجُ فَيُقَامُ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ، وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ . مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

وقام إليه رجل وقال : أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عليه السلام : لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلُهُ : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، بَيْنَ أَظْهَرِنَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا^(١) ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي « أَبَشِّرْ ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ

(١) « فقلت : يا رسول الله - الخ » أشكل على الشارحين العطف بالفاء مع كون الآية مكية والسؤال كان بعد أحد وواقعه كانت بعد الهجرة ، وصعب عليهم التوفيق بين كلام الامام وبين ما أجمع عليه المفسرون من كون العنكبوت مكية بجميع آياتها ، والذي أراه أن علمه بكون الفتنة لا تنزل والنبي بين أظهرهم كان عند نزول الآية في مكة ، ثم شغله عن استخبار الغيب اشتداد المشركين على الموحدين واهتمام هؤلاء برد كيد أولئك ، ثم بعد ما خفت الوطأة وصفا الوقت لاستكمال العلم سأل هذا السؤال ، فالفاء لترتب السؤال على العلم ، والعلم كان ممتدا إلى يوم السؤال فهي لتعقيب قوله لعلمه ، والتعقيب يصدق بأن يكون ما بعد الفاء غير منقطع عما قبلها ، وإن امتد زمن ما قبلها سنين . تقول : تزوج فولد له ، وحملت فولدت .

وَرَأَيْكَ؟ فَقَالَ لِي : « إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا ؟ »
 فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، وَلَكِنْ مِنْ
 مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ ، وَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ
 بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمْنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ،
 وَيَأْمَنُونَ سَطَوْتَهُ ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ
 السَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالْبَيْدِ ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ ، وَالرِّبَا
 بِالْبَيْعِ » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ؟
 أِبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ : « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ ، وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ
 مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيلًا عَلَى آيَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرِّهِ بِالْمَاضِينَ ، لَا
 يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ . آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ ،
 مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ^(١) مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدَوْ

(١) تتسابق أمور الدهر - أي : مصائبه - كأن كلا منها يطلب النزول قبل الآخر ،
 فالسابق منها مهلك ، والمتأخر لاحق له في مثل أثره ، والاعلام : هي الرايات ،
 كنى بها عن الجيوش وتظاهرها وتعاونها ، والساعة : القيامة ، وحدوها : سوقها
 وحثها لأهل الدنيا على المسير للوصول إليها . وزاجر الإبل : سائقها . والشول -
 بالفتح جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي من الإبل : ما خف لبنها ، وارتفع =

الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ . فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ ،
وَأَرْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ
سَيِّئَ أَعْمَالِهِ ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفْرَطِينَ .

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ ، وَالْفُجُورَ دَارُ
حِصْنٍ ذَلِيلٍ : لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ . أَلَا
وَبِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الْخَطَايَا وَبِالْيَقِينِ تُدْرِكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى .

عِبَادَ اللَّهِ ؛ اللَّهُ أَلَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا
إِلَيْكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرْقِهِ . فَشِقْوَةُ
لَا زِمَةٍ ، أَوْ سَعَادَةُ دَائِمَةٍ ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ ، قَدْ
ذُلُّتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَأَمَرْتُمْ بِالطَّعْنِ ، وَحَشِشْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَإِنَّمَا
أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَقُوفٍ ، لَا تَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ .

أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ
عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلِّبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ؟!

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرُكٌ ، وَلَا فِيمَا

= ضرعها ، ومضى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر أو ثمانية ، فأما الشائل -
بغير هاء - فهي الناقة تشول بذنبها للقاح - أي : ترفعه - ولا لبن لها أصلاً ، وجمعها
شول ، مثل راكم وركع ، وقال أبو النجم * كأن في أذناهن الشول * والزاجر :
الذي يزجر الأبل ويسوقها . وتقول : حدواء ؛ لأنها تحددو السحاب - أي : تسوقه -
والمعنى : إن سائق الشول يعسف بها ولا يتقي سوقها ولا يدارك كما يسوق
العشار .

نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ ! عِبَادَ اللَّهِ ؛ أَحْذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ
الْأَعْمَالُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ .

اعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ^(١) ،
وَعُيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَاطَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ
أَنْفَاسِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابُ
ذَوَرَتَاجٍ وَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ .

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لِأَحِقِّابِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ
أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ ،
فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتٍ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلٍ وَحْشَةٍ ، وَمُقَرَّدٍ غُرْبَةٍ ! وَكَأَنَّ
الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ وَبَرَزْتُمْ لِفُصْلِ الْقَضَاءِ ،
قَدْ زَاخَتْ عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ، وَأَضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ وَاسْتَحَقَّتْ
بِكُمْ الْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا ، فَاتَّعِظُوا بِالْعَبَرِ ،
وَأَعْتَبِرُوا بِالْغَيْرِ ، وَأَنْتَفِعُوا بِالنَّذْرِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٦

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ

(١) الرصد : جمع راصد ، مثل حرس في جمع حارس ، يريد به رقيب الذمة وواعظ
السر الروحي الذي لا يغفل عن التنبيه ولا يخطئ في الانذار والتحذير ، حتى لا
تكون من مخطيء خطيئة إلا ويناديه من سره مناد يعنفه على ما ارتكب ، ويعيبه
على ما اقترف ، ويبين له وجه الحق فيما فعل ، ولا تعارضه علل الهوى ، ولا
يخفف مرارة نصحه تلاعب الأوهام ؛ وأي حجاب يحجب الانسان عن سره ؟ !

وَأَنْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ
الْمُقْتَدَى بِهِ : ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ
عَنْهُ ، أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ
دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

ومنها ذاكراً حال دولة بني أمية : فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ
وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظُّلْمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوَّلُجُوا فِيهِ نِقْمَةً ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى
لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَازِرٌ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ
أَهْلِهِ ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ : مَأْكَلًا
بِمَأْكَلٍ ، وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ ، وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ
وَالْمَقْرِ ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ، وَدَثَارِ السَّيْفِ . وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا
الْخَطِئَاتِ ، وَزَوَامِلُ الْآثَامِ ^(١) ، فَأَقْسِمُ ثُمَّ أَقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا أُمِيَّةٌ مِنْ
بَعْدِي كَمَا تُلْفِظُ النُّخَامَةَ ^(٢) ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا
مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٧

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارِكُمْ ، وَأَحْطْتُ بِجُهِدِي مِنْ وَرَائِكُمْ ^(٣) ؛

(١) الزوامل : جمع زاملة ، وهي ما يجمل عليها الطعام من الإبل ونحوها .

(٢) نخم - كفرح أخرج النخامة من صدره فالفها ، والنخامة بالضم - ما يدفعه الصدر أو
الدماع من المواد المخاطية .

(٣) « أحطت بجهدِي من ورائكم » أي : حميتكم وكنت لكم رداء . والجهد بالضم -
الطاقة .

وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّي الذَّلَّ (١) ، وَحَلَقِي الضَّيِّمَ (٢) ، شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ
الْقَلِيلِ ! وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ ، وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ
الْكَثِيرِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٨

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ، يَقْضِي بِعِلْمٍ ،
وَيَعْفُو بِحِلْمٍ . أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا
تُعَافِي وَتَبْتَلِي ، حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ
إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ ، حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا
أَرَدْتَ ، حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ ، وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ ، حَمْدًا لَا
يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَا
نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ،
وَلَمْ يَذْرُوكْكَ بَصَرٌ . أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارُ ، وَأَحْصَيْتِ الْأَعْمَالُ ، وَأَخَذْتَ
بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعَجِبُ لَهُ مِنْ
قُدْرَتِكَ ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ،
وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَأَنْتَ هَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتِ سُتُورُ الْغُيُوبِ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ

(١) الربق : جمع ربقة - مثل كسرة وكسر - والربقة : عروة من حبل تربق به البهم .

(٢) حلق - محرقة - جمع حلقة ، ويجوز كسر الحاء في الجمع ، ويجوز « حلاق »
أيضاً .

أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ
سَمَوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ
حَسِيراً ، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً ، وَسَمْعُهُ وَإِلْهَاهُ ، وَفِكْرُهُ حَائِراً .

ومنها: يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ ! كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ
لَا يَتَّبِعُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ،
وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَذْخُولٌ ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ
مَعْلُولٌ . يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ ،
فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ ، فَمَا بَالُ اللَّهِ ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، يُقْصِرُ
بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟ ! أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً ؟ أَوْ
تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ
أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً ،
وَخَوْفَهُ مِنَ خَالِقِهِمْ ضِمَاراً وَوَعْداً . وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتْ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ
وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا .

وَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَافٍ لَكَ فِي
الْأَسْوَةِ (١) وَذَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَاذِبِهَا
وَمَسَاوِيهَا (٢) ؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا (٣)

(١) الأسوة : القدوة .

(٢) المخازي : جمع مخزاة ، وهي الأمر يستحي من ذكره لقبحه ، والمساوي : جمع
مساءة ، وتقول : ساءه يسوءه . سواء ومساءة ومسائية .

(٣) الأكناف : الجوانب ، و« زوى » أي : قبض .

وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا ، وَزُوِيَ عَنْ زَحَارِفِهَا . وَإِنْ شِئْتَ ثَنَيْتُ بِمُوسَى
 كَلِيمِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ يَقُولُ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا
 أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ ؛ لِأَنَّهُ
 كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ . وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ
 صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وَتَشْدُبِ لَحْمِهِ ^(١) وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ ، صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ ، وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ فَلَقَدْ
 كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ ^(٢) وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ : أَيُّكُمْ
 يَكْفِينِي بَيْعَهَا ؟ ! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ
 فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ
 وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ ، وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ
 بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وَظِلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ،
 وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ
 تَفْتِنُهُ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُدِلُّهُ . دَابَّتْهُ
 رَجُلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ .

فَتَأْسَ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَإِنَّ فِيهِ
 أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وَعِزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى . وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ

(١) الصفاق - ككتاب - هو الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أو هو ما بين
 الجلد والمصران ، أو جلد البطن كله . وشفيقه : رفيقه الذي يشف عما وراءه
 والتشدب : التفرق وانهضام اللحم فتحلل الأجزاء وتفرقها .

(٢) السفائف : جمع سفيقة ، وهي وصف من « سف الخوص » إذ نسجه ، أي :
 منسوجات الخوص .

الْمَتَّاسِي بِنَيْهِ ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ : قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا وَلَمْ يُعْرِهَا
 طَرَفًا . أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا .
 عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ
 شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ ، وَلَوْ لَمْ
 يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنًا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ ؛ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ . وَلَقَدْ كَانَ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ
 الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ^(١) وَيَرْقُعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ
 الْعَارِي ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ ، وَيَكُونُ السَّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ
 التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ : يَا فَلَانَةُ - لِاحْدَى أَرْوَاجِهِ - غَيَّبِهِ عَنِّي ؛ فَإِنِّي إِذَا
 نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا^(٢) فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ،
 وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ؛ لِكَيْلَا
 يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا^(٣) ، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا ، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَامًا ،
 فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ^(٤) وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ .
 وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ .

(١) خصف النعل . خرزها . والحمار العاري . ما ليس عليه بردعة ولا إكاف ، وأردف
 خلفه : أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله
 خلفه .

(٢) في هذا دليل على أن الرسم على الورق والاثواب ونحوها لا يمنع استعماله ، وإنما
 يتجافى عنه بالنظر تزهداً وتورعاً .

(٣) الرياش : اللباس الفاخر .

(٤) أشخصها : أبعدھا .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مَا
يَذُكُّكَ عَلَى مَسَاوِيءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا ؛ إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ^(١)
وَزُورِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ . فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللَّهُ
مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ ! فَإِنْ قَالَ : « أَهَانَهُ » فَقَدْ كَذَبَ وَآتَى
بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : « أَكْرَمَهُ » فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ
غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ ، فَتَأَسَّى
مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ وَأَقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلَجُهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ ؛
فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، عَلَمًا لِلْسَّاعَةِ
وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ : خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا وَوَرَدَ
الْآخِرَةَ سَلِيمًا ، لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ،
وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ
سَلَفًا نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقِبَهُ . وَاللَّهِ لَقَدْ رَفَعْتُ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى
اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْبُذُهَا عَنْكَ ؟
فَقُلْتُ : أَغْرُبُ عَنِّي^(٢) « فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى » .

(١) خاصته : اسم فاعل في معنى المصدر ، أي مع خصوصيته وفضله عند ربه وعظيم
الزلفة : منزلته العليا من القرب إلى الله ، و« زوى الدنيا عنه » قبضها وأبعدها .

(٢) « أغرب عني » اذهب وأبعد ، وقوله « عند الصباح - الخ » هذا مثل معناه إذا أصبح
النائمون وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم
أنفسهم ، أو إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ما ساروا إليه حمدوا سراهم وإن كان
شاقاً ، حيث أبلغهم إلى ما قصدوا ، والسرى - بضم فتح - السير ليلاً .

ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي
وَالْكِتَابِ الْهَادِي : أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ : أَغْصَانُهَا
مُعْتَدِلَةٌ ، وَثَمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ . مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ ، وَهَجَرَتُهُ بِطَبِيبَةَ عَلَا بِهَا
ذِكْرُهُ ، وَآمَتْدَ بِهَا صَوْتُهُ . أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ،
وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ . أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ
الْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْضُولَةَ ، فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَضِمُ عُزْوَتُهُ ، وَتَعْظُمُ كِبَوْتُهُ ، وَيَكُنْ مَأْبَهُ إِلَى
الْحُزْنِ الطَّوِيلِ ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ .

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ
الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ^(١) . أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ
اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا ، وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا . رَهَبَ
فَأَبْلَغَ ، وَرَغَبَ فَأَسْبَغَ ، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَأَنْقِطَاعَهَا وَزَوَالَهَا
وَانْتِقَالَهَا ، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .
أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ! فَعُضُوا عَنْكُمْ
عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أُيْقِنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا .

(١) الإنابة: مصدر «أناب ينيب» أي رجع . والسبيل: الطريق ، يذكر ويؤنث ، وقوله
«القاصدة» صفة ثانية للطريق ، ومعناها في الأصل ضد الجائرة ، وأراد منها ههنا
المؤدية والمفضية ولذلك عداها بالي .

فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ . قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَأَنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ ، فَبَدَّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا . لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ ، أَلْمَانِعِ لَشَهْوَتِهِ ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ ، وَالْعِلْمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدُّ ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ^(١) .

ومن كلام له عليه السلام

١٦٥

لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ : كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ ؟ فَقَالَ :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ؛ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِيِّينَ^(٢) تُرْسِلُ فِي غَيْرِ

(١) الجدد - بالتحريك - : المستوى السلوك ، والقصد : القويم .

(٢) الوضيين : بطان يشد به الرجل على البعير كالحزام للسرّج ، فإذا قلق واضطرب اضطرب الرجل فكثير تململ الجمل وقل ثباته في سيره ، والارسال : الاطلاق والاهمال ، والسدد - محركاً - : الاستقامة ، أي : تطلق لسانك بالكلام في غير موضعه كحركة الجمل المضطرب في مشيته ، والذمامة : الحماية والكفاية ، ومثله الذمام - بكسر الهمزة - ويروى « ولك بعد مائة الصهر » وهو اسم فاعل من « مت إليه يمت » والمعنى واحد ، والصهر : الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج ، وإنما كان للأسدي حماية الصهر لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله =

سَدِدِ ! وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصُّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ
فَاعْلَمْ : أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ - وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً ،
وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، نَوْطاً^(١) -
فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ
آخَرِينَ . وَالْحَكْمُ اللَّهُ وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ .

[وَدَعَّ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ^(٢)]

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي آبِنِ أَبِي سُفْيَانَ^(٣) فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ

= كانت أسدية . وليس الصهر أن علياً رضي الله عنه قد تزوج من بني أسد ، كما
زعم بعض شارحي كلامه .

(١) النوط - بالفتح :- التعلق ، والأثرة : الاختصاص بالشيء دون مستحقه والمراد بمن
سخت نفوسهم عن الأمر أهل البيت .

(٢) البيت لامرئ القيس وتتمته * وهات حديثاً ما حديث الرواحل * قاله عندما كان
جاراً لخالد بن سدوس ، فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بأهله ، فشكا لمجيره خالد ،
فقال له : أعطني رواحك الحق بها القوم فأرد إليك وأهلك ، فأعطاه ، وأدرك
خالد القوم فقال لهم : ردوا ما أخذتم من جاري ، فقالوا : ما هولك بجار ،
فقال : والله إنه جاري وهذه رواحله ، فقالوا : نعم ، ورجعوا إليه ونزلوا عنهن
وذهب بهن . والنهب - بالفتح :- الغنيمة ، و « صيح » أي : صاحوا للغارة « في
حجراته » جمع حجرة بفتح الحاء :- وهي الناحية ، ووجه التمثيل ظاهر .

(٣) هلم : اذكر ، و « هلم » لفظ يستعمل لازماً ومتعدياً : فاللازم بمعنى تعال ، قال
الخليل : أصله « لم » فعل أمر من « لم الله شعثه » أي : جمعه ، كأن المتكلم
أراد لم نفسك إلينا - أي : اجمعها واقرب منا - ثم دخلت « ها » التي للتنيية ،
وحذفت ألف « ها » لكثرة الاستعمال ، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة : ويستوي
فيها الواحد والاثنان والجمع والمؤنث في لغة أهل الحجاز ، وبلغتهم جاء قوله
تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » فأما أهل نجد فإنهم يصلون بها الضمائر
فيقولون هلم وهلموا وهلموا وهلمن . وربما تعدى « هلم » إذا كان لازماً =

بَعْدَ إِبْكَائِهِ ، وَلَا غَرَوَ وَاللَّهِ فَيَا لَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ
الْأَوَدَ . حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ
يَنْبُوعِهِ . وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْبًا وَبَيْئًا . فَإِنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا وَعَنْهُمْ
مِخْنُ الْبَلَوِ أَحْمِلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى
﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٦١

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ ، وَمُسِيلِ الْوِهَادِ ،
وَمُخْصِبِ النَّجَادِ ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ آيْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَزَلِّيَّتِهِ أَنْقِضَاءٌ ، هُوَ
الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَالْبَاقِي بِلا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ ، وَوَحَّدَتْهُ
الْشُّفَاهُ . حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبَهَاتِهَا لَا تُقَدَّرُهُ
الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ . لَا يُقَالُ
لَهُ : « مَتَى » ؟ وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى ، الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ
« مِمَّا » ^(١) ، وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ « فِيمَا » ، لَا شَبَحٌ فَيَنْقَضِي ^(٢) وَلَا

= باللام فيقال « هلم لك » كما يقال « هيت لك » فأما المتعدي فمعناه « هات » تقول
« هلم الكتاب » أي : هاته وقال الله تعالى : ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ﴾
والخطب : عظيم الأمر وعجيبه الذي أدى القيام من ذكره لمنازعتة في الخلافة ،
والأود : الاعوجاج .

(١) ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من أي شيء ظهر .

(٢) ليس بجسم فيفنى بالانحلال .

مَحْجُوبٌ فَيُحَوَى . لَمْ يَقْرُبْ مِنْ الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ ، وَلَمْ يَتَّعِدْ عَنْهَا بِاتِّرَاقٍ . لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شَخُوصٌ لِحُظَّةٍ^(١) وَلَا كُرُورٌ لَفُظَةٍ ، وَلَا آزْدِلَافُ رَبْوَةٍ^(٢) ، وَلَا أَنْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ^(٣) وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ^(٤) ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ ، فِي الْأَفُولِ وَالْكُرُورِ^(٥) وَتَقْلُبُ الْأَزْمِنَةَ وَالْدُّهُورَ ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ^(٦) وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ . تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ^(٧) الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَنَهَايَاتِ الْأَقْطَارِ ، وَتَأْتِلُ الْمَسَاكِينُ وَتَمَكُنُ الْأَمَاكِينُ . فَالْحَدُّ لِحَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ ، لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ ، مِنْ أَصُولٍ أَزَلِّيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلٍ أَبَدِيَّةٍ ؛ بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ

(١) شخوص لحظه : امتداد بصره .

(٢) ازدلاف الربوة : تقربها من النظر وظهورها له ؛ لأنه يقع عليها قبل المنخفضات .

(٣) الداجي : المظلم ، والغسق : الليل ، « وساج » أي : ساكن لا حركة فيه .

(٤) أصل التفيؤ للظل ينسخ نور الشمس ، ولما كان الظلام بالليل عاماً كالضياء بالنهار عبر عن نسخ نور القمر له بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس ، وهو من لطيف التشبيه ودقيقه .

(٥) الأفول : المغيب ، والكرور : الرجوع بالشروق .

(٦) قوله « قبل كل غاية » متعلق « بيخفى » على معنى السلب ، أي : لا يخفى عليه شيء من ذلك قبل كل غاية ، أي : يعلمه قبل الخ . ويصح أن يكون خبراً عن ضمير الذات العلية ، أي : هو موجود قبل كل غاية الخ .

(٧) نحله القول - كمنعه - نسبة إليه ، أي : عما ينسبه المحددون لذاته تعالى والمعرفون لها من صفات الأقدار ، والأقدار جمع قدر - بسكون الدال - وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر ، ونهايات الأقطار : هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدمة .

حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ^(١) . لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ
أُمْتِنَاعٌ^(٢) ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ
كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ . وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ أَعْلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي
الْأَرْضِينَ السُّفْلَى .

وَمِنْهَا : أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ^(٣) ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي
ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ ؛ بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ
وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلَ مَقْسُومٍ ، تَمُورُ
فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا : لَا تُجِيرُ دُعَاءٌ ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءٌ ، ثُمَّ
أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا ،
فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ
مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ ؟ هَيْهَاتَ ! إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي
الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ ، فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ؛ وَمَنْ تَنَاوَلَهُ بِحُدُودِ
الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ .

(١) لم تكن مواد متساوية في القدم والأزلية وكان له فيها أثر التصوير والتشكيل فقط ،
بل خلق المادة بجوهرها ، وأقام لها حدها ، أي : ما به امتازت عن سائر
الموجودات ، وصور منها ما صور من أنواع النباتات والحيوانات وغيرها .

(٢) أي : لا يمتنع عليه ممكن : إذا قال للشيء كن فيكون .

(٣) مستوى الخلقة : لا نقص فيه ، وفي التنزيل : ﴿ فَعَمَلْهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ والمنشأ :
المبتدع ، اسم مفعول من « أنشأ » أي : خلق وأوجد . والمرعى : المحفوظ
المحوط .

ومن كلام له عليه السلام

لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَشَكُّوا مَا نَقِمُوهُ عَلَى عُثْمَانَ ،
وَسَأَلُوهُ مُخَاطَبَتَهُ عَنْهُمْ وَاسْتَعْتَابَهُ لَهُمْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي ، وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَوَاللَّهِ مَا
أَذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ ، وَلَا أَذُكُّكَ عَلَى أَمْرٍ
لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَتُخْبِرَكَ
عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَتُبْلِغَكُهُ ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ
كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا صَحَبْنَا . وَمَا آبَنُ أَبِي قُحَافَةَ
وَلَا آبَنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَشَيْجَةَ رَحِمٍ
مِنْهُمَا^(١) ، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صَهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ
فَإِنَّكَ ، وَاللَّهِ ، مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمَى ، وَلَا تُعْلَمُ مِنْ جَهْلِ ، وَإِنَّ
الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لِقَائِمَةٌ . فَأَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ
اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدًى وَهَدًى ، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ ، وَأَمَاتَ

(١) الوشيعة : اشتباك القرابة ، وإنما كان عثمان أقرب وشيعة لرسول الله لأنه من بني
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . أما
أبو بكر فهو من بني تيم بن مرة سابع أجداد النبي . وعمر من بني عدي ابن كعب
ثامن أجداده صلى الله عليه وآله وسلم . وأما أفضليته عليهما في الصهر فلأنه تزوج
ببنتي رسول الله : رقية ، وأم كلثوم ، توفيت الأولى فزوجه النبي بالثانية ولذا سمي
ذا النورين . وغاية ما نال الخليفان أن النبي تزوج من بنتهما .

بِدْعَةٍ مَجْهُولَةٍ ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنِيرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا
 أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ
 سُنَّةَ مَاخُودَةٍ ، وَأَحْيَا بِدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ
 الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا
 كَمَا تَدُورُ الرَّحَى : ثُمَّ يَرْتَبُطُ فِي قَعْرِهَا . وَإِنِّي أُنشِدُكَ اللَّهَ أَنْ لَا
 تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هَذِهِ
 الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَلْبِسُ
 أُمُورَهَا عَلَيْهَا ، وَيُبْتُ الْفِتَنَ فِيهَا ، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ
 الْبَاطِلِ ؛ يَمْوِجُونَ فِيهَا مَوْجاً ، وَيَمْرِجُونَ فِيهَا مَرَجاً ، فَلَا تَكُونَنَّ
 لِمُرَوَّانَ سَيْقَةً^(١) يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السَّنِّ ، وَتَقْضِي
 الْعُمُرَ !!

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي
 حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُورُ أَمْرِكَ
 إِلَيْهِ .

(١) السيفة - ككيسة -: ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتباً ومشيراً لعثمان ،
 وقوله «بعد جلال السن» يجوز أن يكون «جلال» مفتوح الجيم بمعنى العظمة
 ويجوز أن يكون مضموم الجيم بمعنى العظيم والجليل ، صفة مشبهة مثل شجاع
 وطوال وإضافته حينئذ من باب إضافة الصفة للموصوف .

ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها عَجِبَ خَلْقِ الطَّائُوسِ

أَبَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ ، وَسَاكِنٍ وَذِي
حَرَكَاتٍ ، فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صُنْعَتِهِ وَعَظِيمِ
قُدْرَتِهِ مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ ، وَنَعَقَتْ فِي
أَسْمَاعِنَا دَلَالَتُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ
الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا ،
مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرِّفَةٍ فِي زِمَامِ
التَّسْخِيرِ وَمُرْفِرَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَفْسِحِ وَالْفُضَاءِ
الْمُنْفَرِجِ . كَوْنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ ،
وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلِ مُحْتَجِبَةٍ ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعِبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ
يَسْمُوَ فِي السَّمَاءِ خُفُوفًا ، وَجَعَلَهُ يَدِفُ دَفِيفًا . وَنَسَقَهَا عَلَى
اِخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقِيقِ صُنْعَتِهِ ، فَمِنْهَا
مَغْمُوسٌ فِي قَالِبِ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غُمِسَ فِيهِ ، وَمِنْهَا
مَغْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافٍ مَا صُبِغَ بِهِ .

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ،
وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ، وَذَنَبٍ أَطَالَ
مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيَّهِ ، وَسَمَا بِهِ مُطْلًا عَلَى
رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِيٌّ عَنَجَهُ نُوتِيَّةٌ . يَخْتَالُ بِالْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ ،

يُفْضِي كَأَفْضَاءِ الدِّيَكَةِ^(١) وَيُورُّ بِمَلَا حَقَةٍ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ فِي
الضَّرَابِ ! أَجِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَعَايِنَةٍ^(٢) لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى
ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ ؛ وَلَوْ كَانَ كَزَعْمٍ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا
مَدَامِعُهُ فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ ، وَأَنَّ أَثْنَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ثُمَّ تَبْيَضُ
لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلِ سِوَى الدَّمْعِ الْمُتَبَجِّسِ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ
بِأَعْجَبٍ^(٣) مِنْ مُطَاعِمَةِ الْغُرَابِ . تَخَالُ قَصْبَهُ مَدَارِي مِنْ فِضَّةٍ وَمَا
أُنْبَتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصِ الْعَقِيَانِ وَفَلَذِ
الزَّبَرْجَدِ ؛ فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أُنْبَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ : جَنِي جُنِي مِنْ
زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ ؛ وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَأْسِ فَهُوَ كَمُوشِي الْحُلَلِ أَوْ
كُمُونِي عَصَبِ الْيَمَنِ ؛ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصِ ذَاتِ
الْوَانِ قَدْ نَطَقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ^(٤) . يَمْشِي مَشْيَ الْمَرْحِ .

(١) « يفضي » أي : يسافد أثناه كما تسافد الديكة : جمع ديك . ويؤر - كيشد - أي :
يأتي أثناه بملاحقة ، أي : مسافدة يفرز فيها مادة تناسلية من عضو التناسل يدفعها
في رحم قابِل ، والمغتلمة - على صيغة اسم الفاعل - من « اغتلم » إذا غلب
للشهوة ، والضراب : لقاح الفحل لأثناه .

(٢) أي : إن لم يكفك الخبر فإني أحولك عنه إلى المعاينة فاذهب وعاین تجد صدق ما
أقول .

(٣) « لما كان ذلك بأعجب » أي : لو صح ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما
زعموا في مطاعمة الغراب وتلقيحه لأثناه حيث قالوا : إن مطاعمة الغراب بانتقال
جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره ، والمماثلة بين
الزعمين في عدم الصحة . ومنشأ الزعم في الغراب إخفاؤه لسفاده حتى ضرب
المثل بقولهم « أخفى من سفاد الغراب » .

(٤) جعل اللجين - وهو الفضة - منطقة لها ، والمكَلَّل : المزين بالجواهر ، فكما
تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها .

الْمُخْتَالِ^(١) ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيَقَهِّقُهُ ضَاحِكًا لِحِمَالِ
سِرْبَالِهِ^(٢) ، وَأَصَابِيغٍ وَشَاحِيهِ .

فَإِذَا رَمَى بِنَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعُولًا بِصَوْتٍ يَكَادُ
يُبَيِّنُ عَنْ اسْتِغَاثَتِهِ . وَيَشْهَدُ بِصَادِقٍ تَوَجُّعِهِ ؛ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشُ كَقَوَائِمِ
الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ^(٣) وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَّةٌ خَفِيَّةٌ^(٤) .
وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزَعَةٌ خَضِرَاءُ مُوشَاةٌ^(٥) وَمَخْرَجُ عُنْقِهِ
كَالِابْرِيقِ ؛ وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغٍ الْوَسْمَةِ الِيمَانِيَّةِ^(٦) ،

(١) المرح - ككتف - المعجب ، والمختال : الزاهي بحسنة .

(٢) السربال : اللباس مطلقاً ، أو هو الدرع خاصة . والوضاح : نظامان من لؤلؤ
وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر ، بعد عقد طرفه به ، حتى يكونا
كداثرتين إحداهما داخل الأخرى : كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قريبتها ،
ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف ، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس
كذلك ما بين العاتق والكشح .

(٣) زقا يزقو : صاح ، وأعول فهو معول : رفع صوته بالبكاء « يكاد يبين » أي : يفصح
عن استغاثته من كراهة قوائمه ، أي : ساقيه - حمش : جمع أحمش ، أي : دقيق
والديك الخلاسي - بكسر الخاء - : هو المتولد بين دجاجة هندية وفارسية .

(٤) وقد نجمت : نبتت ، « من ظنْبُوبِ سَاقِهِ » أي : من حرف عظمه الأسفل
« صيصية » وهي ههنا : شوكة تكون في رجل الديك ، وهي في الأصل شوكة
الحائك التي يسوي بها سدى الثوب ولحمته ، قال الشاعر * كوقع الصياصي في
النسيج الممدد * ثم استعملت في المعنى الذي ذكر أولاً على التشبيه ، والظنْبُوب -
بالضم ، كعرقوب - عظم حرف الساق .

(٥) العرف : الشعر المرتفع من عنقه على رأسه ، والقنزعة - بضم القاف والزاي بينهما
سكون - : الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، وموشاة : منقوشة .

(٦) مغرزها : الموضع الذي غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان البطن ، لونه كلون
الوسمة ، وهي - بكسر السين وقد تسكن - نبات يخصها به ، أو هي نبات النيل
الذي منه صبغ النيلج المعروف بالنيلة .

أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرَّاءَ ذَاتِ صِقَالٍ^(١) ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفُّعٌ بِمَعْجَرٍ
 أَسْحَمَ^(٢) إِلَّا أَنَّهُ يُخِيلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِّيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ
 النَّاصِرَةَ مُمْتَرِجَةٌ بِهِ . وَمَعَ فَتَقِ سَمْعِهِ خَطُّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ
 الْأَقْحَوَانِ^(٣) أَبْيَضُ يَقْقُ . فَهُوَ بَيَاضُهُ فِي سَوَادٍ مَا هُنَالِكَ يَأْتِلِقُ^(٤)
 وَقَلَّ صَبْغُ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِّيقِهِ
 وَبَصِيصِ دِيْبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ^(٥) . فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ^(٦) لَمْ تُرْبَهَا أَمْطَارُ
 رَيْعٍ^(٧) وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ ؛ وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيْشِهِ^(٨) وَيَعْرِى مِنْ
 لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى ، وَيَنْبُتُ تَبَاعاً ، فَيَنْحَتُ مِنْ قَصْبِهِ أَنْحَتَاتُ
 أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ^(٩) ثُمَّ يَتَلَاخَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ .

(١) الصقال : الجلاء .

(٢) المعجر - كمبر - : ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف
 الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول ، فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها
 وبعض صدرها ، وهو معنى التلغف ههنا ، والأسحم : الأسود .

(٣) الأقحوان : البابونج الأبيض ، واليقق - محركاً وبزنة كتف - : شديد البياض .
 (٤) يلمع .

(٥) « علاه » أي : فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلائه ، والبصيص :
 اللمعان . والرونق : الحسن .

(٦) الأزاهير : جمع أزهار ، وهو جمع زهرة .

(٧) لم تربها : فعل من التربية ، والقيظ : الحر .

(٨) « ينحسر » وهو من « حسره » أي : كشفه ، أي : وقد يتكشف من ريشه .
 « وتترى » أي : شيئاً بعد شيء وبينهما فترة غالباً ، ومن الناس من يذكر أن
 « تترى » للمواصلة والاتصاف . وأصل « تترى » وترى بالواو من الوتر ، ومن الناس
 من يجعل الألف لللاحق فينون وقوله « تباعاً » أي : لا فترات بينهما ، وكذلك حال
 الريش الساقط : يسقط شيئاً بعد شيء وينبت جميعاً .

(٩) ينحت : يسقط وينقشر ، وانحنت الأوراق : تناثرها .

لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ . وَإِذَا
تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتِكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً
زَبْرَجْدِيَّةً ، وَأَحْيَانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً^(١) . فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا
عَمَائِقُ الْفِطَنِ^(٢) أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ
الْوَاصِفِينَ . وَأَقْلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ
تَصِفَهُ؟ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ^(٣) عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَاءُ
لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتُهُ مَحْدُودًا مُكُونًا ، وَمُؤَلَّفًا مُلَوَّنًا ؛ وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ
تَلْخِصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ . وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ
الذَّرَّةِ^(٤) وَالْهَمْجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتَانِ وَالْفِيلَةِ ؛ وَوَأَى
عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ
الْجِمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ^(٥) .

(١) ذهبية .

(٢) عمائق : جمع عميقة ، وهي البعيدة الغور ، والقرائح : جمع قريحة ، وهي
الخاطر والذهن .

(٣) بهر العقول : قهرها فردها ، وجلاه كحلاه - الأول بالتخفيف ، والثاني مضعف
الحشو - : كشفه .

(٤) الذرة : واحدة الذر ، وهو صغار النمل ، والهمجة - محركة - واحدة الهمج وهو
ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم . وقوائمه : أرجلها ، وأدمجها : أودعها فيها .

(٥) « رميت ببصر قلبك » أي : أفكرت وتأملت تأمل مستبصر ، وتقول : غرفت الإبل -
كفرح - إذا اشتكت بطونها من أكل الغرف - كفلس وجمل - وهو الثمام ، أي لكروث
بدائع الدنيا كما تكره الإبل الثمام ، أو لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من
بدائع الدنيا كما تألم بطون الإبل من أكل الثمام ، ويروي « عزفت نفسك » بعين
مهملة فزاي - ومعناه انصرفت أو ملت ، وبابه جلس .

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ : فَلَوْرَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَمَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَقْتَ نَفْسَكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا وَزَخَارِفَ مَنَاطِرِهَا ، وَلَذَهَلْتَ بِالْفِكْرِ فِي أَصْطِفَاقِ أَشْجَارِ غَيْتِ عُرُوقِهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ؛ وَفِي تَعْلِيْقِ كِبَائِسِ اللَّوْلُؤِ الرُّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَقْنَانِهَا وَطُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا تُخْنِي مَنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نَزَالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِرِ الْمُؤَنِقَةِ لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا ؛ جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

قال الشريف : تفسيرُ بعضِ ما جاءَ فيها من الغريبِ :

« يُؤرُّ بِمُلَاحَقَةٍ » الأُرُّ : كِنَايَةٌ عَنِ النِّكَاحِ ، يُقَالُ : أَرَّ الْمَرْأَةُ يُؤرُّهَا ، أَي : نَكَحَهَا ، وَقَوْلُهُ « كَأَنَّهُ قَلَعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيَّةٌ » : الْقَلْعُ : شِرَاعُ السَّفِينَةِ ، « وَدَارِيٍّ » مَنَسُوبٌ إِلَى دَارِينَ ، وَهِيَ بَلَدَةٌ عَلَى الْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطِّيبُ . وَ« عَنَجَهُ » أَي : عَطَفَهُ ، يُقَالُ : عَنَجْتُ النَّاقَةَ - كَنَصَرْتُ - أَعْنَجُهَا عَنَجًا ، إِذَا عَطَفْتُهَا وَالنُّوتِيُّ : الْمَلَّاحُ ، وَقَوْلُهُ « ضَفَّتِي جُفُونِهِ » أَرَادَ جَانِبِي جُفُونِهِ ، وَالضَّفَّتَانِ :

الجانبان ، وقوله : « وَفَلَذَ الزَّبَرَجَدُ » الفِلْدُ : جمع فِلْدَة ، وهي الْقِطْعَة . وقوله « كَبَائِسُ اللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ » الْكِبَاسَةُ . الْعِدْقُ . وَالْعَسَالِيحُ : الْغُصُونُ وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٦٤

لَيْتَاسٌ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرُكُمْ^(١) وَلَيَرَأْفَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرُكُمْ . وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ : لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ ؛ كَقَيْضٍ يَبْيَضُ فِي أَدَاخٍ^(٢) : يَكُونُ كَسَرُهَا وَزَرًّا ، وَيُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرًّا !!

ومنها : أَفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ : فَمِنْهُمْ أَخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالٌ مَعَهُ ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ كَمَا تَجْتَمِعُ قُرْعُ الْخَرِيفِ^(٣) يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ

(١) « ليتأس » أي ليقند .

(٢) الفيض : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، والأداحي : جمع أدحي - كلجي - وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه ، فإذا مر ما بالاداحي فرأى فيها بيضاً أرقط ظن أنه ببيض القطا لكثرتة ، وإلفه للافاحيص مطلقاً يبيض فيها ، فلا يسوغ للمار أن يكسر البيض ، وربما كان في الحقيقة ببيض ثعبان ، فينتج حضان الطير له شراً ، وكذلك الانسان الجاهل الجافي : صورته الانسانية تمنع من اتلافه ولا ينتج الابقاء عليه إلا شراً ، فإنه بجعله يكون أشد ضرراً على الناس من الثعبان بسمه .

(٣) القرع - محركاً - : القطع المتفرقة من السحاب ، واحدته قرعة - بالتحريك - =

ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَّامًا كَرُكَّامِ السَّحَابِ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابًا
يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَشَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ،
وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رَصٌّ طَوْدٍ ، وَلَا حِدَابٌ
أَرْضٍ . يُزَعِّزُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَّتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي
الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمْكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ
قَوْمٍ . وَآيَمُ اللَّهُ لِيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوفِ وَالْتِمَكِينِ كَمَا
تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ ، وَلَمْ تَهْنُوا عَنْ
تَوْهِينِ الْبَاطِلِ ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَمْ يَقْوَمَنَّ
قَوِيَّ عَلَيْكُمْ . لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ !! وَلَعَمْرِي لِيُضَعِّفَنَّ
لَكُمْ التِّيَّهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا بِمَا خَلَفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ،
وَقَطَعْتُمُ الْأَذْنَى ، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ !! وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ أَتَبَعْتُمُ
الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرُّسُولِ ، وَكُفَيْتُمْ مَوْوَنَةَ الْإِعْتِسَافِ
وَنَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْفَاحِخَ عَنْ الْأَعْنَاقِ .

= والركام : السحاب المتراكم ، والمستشار : موضع انبعاثهم ثائرين ، وسيل الجنتين :
وهو الذي سماه الله سيل العرم الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمر
جناتهم وحول نعيمهم شقاء ، والقارة كالقارة : ما اطمأن من الأرض ، والأكمة -
محركة - غليظ من الأرض يرتفع عما حواليه ، والسنن : يريد به الجري والطود :
الجبيل العظيم ، والمقصود الجمع ، والرص : يريد به الارتصاص ، أي :
الانضمام والتلاصق أي : لم يمنع جريه تلاصق الجبال ، والحداب : جمع حذب -
بالتحريك - وهو : ما غلظ من الأرض في ارتفاع .

ومن خطبة له عليه السلام في أوائل خلافته

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فَخُذُوا
نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَأَصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا . الْفَرَائِضَ
الْفَرَائِضَ ! أَدْوَهَا إِلَى اللَّهِ تُودُّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً
غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حَلَالاً غَيْرَ مَذْخُولٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ
عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ
فِي مَعَاقِدِهَا . فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا
بِالْحَقِّ . وَلَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ ، بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ
وخاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ^(١) . فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ
تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلَحُّقُوا ! فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوْلِكُمْ
آخِرُكُمْ . اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنْ
الْبَقَاعِ وَالْبَهَائِمِ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ
فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

(١) بادره : عاجله ، أي : عاجلوا أمر العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا ،
فإذا انقضى عملكم في شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كي لا يأخذكم
على غفلة فلا تكونوا منه على أهبة ، وفي تقديم الامام أمر العامة على أمر الخاصة
دليل على أن الأول أهم ، ولا يتم الثاني الا به . وهذا ما تضافرت عليه الأدلة
الشرعية وإن غفل عنه الناس في أزماننا هذه .

ومن كلام له عليه السلام

بعداً بُويع بالخِلافة ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ :
لو عاقبت قوماً مِمَّنْ أَجْلَبَ عَلَى عُثْمَانَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا إِخْوَتَاهُ ، إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي
بِقُوَّةِ وَالْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكِهِمْ ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ ؟ وَهَذَا
هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُيُودَانُكُمْ ، وَالتَّفْتُ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ ، وَهُمْ
خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا . وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ
تُرِيدُونَهُ ؟ وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَإِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً . إِنَّ
النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ ،
وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ . فَاصْبِرُوا
حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ
مُسْمَحَةً ، فَاهْدَأُوا عَنِّي ، وَأَنْظِرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي ، وَلَا تَفْعَلُوا
فَعْلَةً تُضْعِضُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مَنَّةً وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً . وَسَأُفْسِكُ الْأَمْرَ مَا
اسْتَمْسَكَ ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ .

ومن خطبة له عليه السلام

عندَ مَسِيرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ إِلَى الْبَصْرَةِ

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ

عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ . وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُسَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ ، إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِمَرْكُمُ : فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا . وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ .

إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخَطَةِ إِمَارَتِي ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ أَنْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

٩٦٨

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لِمَا قُرِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نَفُوسِهِمْ ، فَبَيَّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَايِعْ ! فَقَالَ : إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَلَا أُحَدِّثُ حَدَثًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ

الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَالِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى
الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ ، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكُهُمْ
وَمُخَالَفَهُمْ إِلَى الْكَلَالِ وَالْمَاءِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

فَأَمَدُّ إِذَا يَدَكَ ! فَقَالَ الرَّجُلُ : فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتِنَعَ
عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَالرَّجُلُ يُعْرِفُ بِكُلَيْبِ
الْجَرْمِيِّ) .

ومن خطبة له عليه السلام

١٦٩

لَمَّا عَزَمَ عَلَى لِقَاءِ الْقَوْمِ بِصَفَيْنَ

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ^(١) ، الَّذِي
جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمُخْتَلِفاً
لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْأُمُونَ

(١) الجو: ما بين الأرض والاجرام العالية، وفيه من مصنوعات الله ما لا يحصى نوعه ولا
يُعد جنسه، وهو بحر تسبح فيه الكائنات الجوية، ولكنها مكفوفة عن الأرض لا تسقط
عليها، حتى يريد الله إحداث أمر فيها، و«جعلته مغيضاً»: من «غاض الماء»
إذا نقص، كأن هذا الجو منبع الضياء والظلام، وهو مغيضها كما يغيض الماء في
البئر، والكلام الآتي صريح في أن الكواكب السيارة كالشمس والقمر تختلف
أي: يخلف بعضها بعضاً في الجو، فهو مجال سيرها وميدان حركاتها. والبسط-
بالكسر- الأمة، و«لا يسأمون» أي لا يملون. و«قراراً للأنام» أي: موضع
استقرارهم وسكونهم، و«مدرجاً للهوام» أي: موضعاً لدروجهم وسيرهم
وحركاتهم. والهوام: جمع هامة، وهي ما يخاف من الأحناش والحشرات.

مِنْ عِبَادَتِكَ ؛ وَرَبِّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنْعَامِ ،
وَمَذْرَجًا لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى ؛
وَرَبِّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَادًا
إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ ، وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ ، وَإِنْ
أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَأَعِصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ .

أَيْنَ الْمَانِعِ لِلذَّمَارِ وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ
الْحِفَاطِ؟! الْعَارُ وَرَاءَكُمْ ، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٢٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً .

ومنها: وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا أَبَنَ أَبِي طَالِبٍ
لَحْرِيصٌ ! فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لِأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخْصُ
وَأَقْرَبُ ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ
وَجْهِي دُونَهُ . فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ
بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ !

(١) قيل: قال علي عليه السلام هذا الكلام يوم السقيفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والذي قال له « إنك على هذا الأمر لحريص » هو أبو عبيدة بن الجراح ، وقيل : بل قال هذا الكلام بعد مقتل عمر عند الشورى ، والقائل له « إنك الخ » سعد بن أبي وقاص .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ^(١) فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي ، ثُمَّ قَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ ^(٢) .

ومنها في ذكر أصحاب الجمل :

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، كَمَا تُجْرُ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ : فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا ^(٤) فِي جَيْشٍ مِمَّنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرِهِ ، فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا :

(١) استعينك : استنصرك وأطلب منك المعونة ، ويروى في مكانه « أستعديك » أي : اطلب منك أن تعديني عليهم وأن تتصف لي منهم .

(٢) « ثم قالوا - الخ » أي : إنهم اعترفوا بفضله ، وأنه أجدرهم بالقيام به ففي الحق أن يأخذه ، ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر ، وقالوا للإمام : في الحق أن تتركه ، فتناقض حكمهم بالحقية في القضيتين ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توافرت فيه شروطه .

(٣) « حرمة رسول الله » كناية عن زوجته ، وأراد بها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، ولا تزال هذه الكناية مستعملة إلى اليوم ، وكذلك قوله « حبيس رسول الله » كناية عنها .

(٤) حبيس : فاعيل بمعنى مفعول ، يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وأم المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسه بعده كأنها في حياته .

فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا^(١) وَطَائِفَةً غَدْرًا ! فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنْ
الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ^(٢) ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ ،
لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا ، وَلَمْ
يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ . دَعَّ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ
الْعُدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ^(٣) .

ومن خطبة له عليه السلام



أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ،
وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ : فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتَبَ فَإِنْ أَبَى
قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ
النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ
عَنْهَا ، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ .

(١) القتل صبراً : ان تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت .

(٢) معتمدين : قاصدين .

(٣) قوله « دع ما انهم » أي : لم يحل لي قتلهم بقتل مسلم واحد عمداً . فدع من
اعمالهم ما زاد على ذلك ، وهو انهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم ، فذلك مما
يستحقون عليه عقاباً فوق حل دمائهم ، و « ما » في قوله « ما انهم » مثل « لو » في
قولهم « يعجبني لو ان فلاناً يتكلم » أو مثلها في قوله تعالى : « أنه لحق مثل ما
أنكم تنطقون » فهي زائدة ، أو مساعدة على سبك الجملة بالمصدر .

أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا أَدَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَآخَرَ مَنَعَ
الَّذِي عَلَيْهِ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ
بِهِ ، وَخَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ
وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ . فَأَمُّضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا
تُنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ
تُنْكِرُونَهُ غَيْرًا .

أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ،
أَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي
خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ . أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ ، وَلَا
تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا ، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرْتُكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا
غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا ، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ
الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا ، وَأَنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلَا يَخْنَنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ
الْأَمَةِ عَلَى مَا زُويَ عَنْهُ مِنْهَا^(١) . وَاسْتَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ
عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ . أَلَا

(١) الخنين - بالخاء المعجمة - : ضرب من البكاء يتردد به الصوت في الأنف ، واصله
إلى الأمة لأن الاماء كثيراً ما يضربن فيكيكن ويسمع منهن الخنين ، ولأن الحرة تأنف
من البكاء والخين . و « زوي » أي : قبض .

وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ .
 أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ
 دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ
 الصَّبْرَ .

ومن كلام له عليه السلام

١١٧٢

في طلحة بن عبيد الله^(١)

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا عَلَى
 مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ . وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلْتُ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ
 بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظْنُوتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
 الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ
 الْأَمْرَ وَيَقَعَ الشُّكُّ ! وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ
 ثَلَاثٍ : لَيْتُنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا ، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ، لَقَدْ كَانَ
 يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازَرَ قَاتِلِيهِ أَوْ أَنْ يُنَابَذَ نَاصِرِيهِ ، وَلَيْتُنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ
 كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنِينَ عَنْهُ وَالْمُعَذِّرِينَ ؛ فِيهِ وَلَيْتُنْ كَانَ

(١) في جميع النسخ المطبوعة من الكتاب « طلحة بن عبد الله » وفي النسخة التي شرح
 عليها ابن أبي الحديد « طلحة بن عبيد الله » وهذا هو الموافق لما في كتب الصحابة
 في ترجمة طلحة رضي الله عنه ، فإنه طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن
 كعب بن تيم بن مرة : أحد العشرة ، وأحد رجال الشورى الستة ، وأحد الثمانية
 الذين سبقوا إلى الإسلام ، مات يوم الجمل .

فِي شَكٍّ مِنَ الْخُصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً
وَيَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرِ لَمْ
يُعْرِفْ بَابَهُ ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ .

ومن خطبة له عليه السلام

١١٣

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُودَ
مِنْهُمْ^(١) مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ؟ كَأَنَّكُمْ
نَعَمْ أَرَاخَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعَى وَيِيٍّ ، وَمَشْرَبٌ دَوِيٍّ^(٢) !! إِنَّمَا هِيَ
كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمَدَى ، لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا : إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ
يَوْمَهَا دَهْرَهَا^(٣) وَشَبَعَهَا أَمْرَهَا ؛ وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ
مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ
تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَلَا وَإِنِّي

(١) « التاركون - الخ » أي إن التاركين لما أمروا به المأخوذة منهم اعمارهم تطويها عنهم
يد القدرة ساعة بعد ساعة ، فالمأخوذ منهم صفة للتاركين .

(٢) النعم - محرقة - الإبل ، أو هي والغنم ، و « أراح بها » : ذهب بها ، وأصل
الراحة : الانطلاق في الريح فاستعمله في مطلق الانطلاق ، والسائق : الراعي ،
والوبي : الردي ، يجلب الوباء ، والدوي : الويل ، يفسد الصحة أصلة من الدواء -
بالقصر - أي : المرض . والمدى : جمع مدينة ، وهي السكين ، أي : معلوفة
للذبح .

(٣) « تحسب يومها دهرها » أي : لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً لما بعد
يومها ، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشيع . هذا كلام كأنه ثوب
فصل على اقدار أهل هذا الزمان .

مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ^(١) . وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ
وَأَصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ ، مَا أَنْطَقُ إِلَّا صَادِقًا ، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ
كُلَّهُ ، وَبِمَهْلِكٍ مَنْ يَهْلِكُ ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو ، وَمَالِ هَذَا الْأَمْرِ ،
وَمَا أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أُذُنِي وَأَفْضِي بِهِ إِلَيَّ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْثُكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ
إِلَيْهَا ، وَلَا أَنَهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا أَتْنَاهِيَ قَبْلَكُمْ عَنْهَا .

ومن خطبة له عليه السلام

١٧٨

أَتَنَفَّعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ ، وَاتَّعَظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ ، وَأَقْبَلُوا نَصِيحَةَ
اللَّهِ . فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ^(٢) ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ،
وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ مِنْهَا ، لِيَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا
هَذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَقُولُ :

(١) مفضيه : اصله من « افضى اليه » إذا خلا به ، أو « إلى الأرض » إذا مسها ، والمراد
اني موصله إلى أهل اليقين ممن لا تخشى عليهم الفتنة .

(٢) « اعذر اليكم بالجلية » أي : بالاعذار الجليلة ، والاعذر هنا مجاز سبب العقاب في
المؤاخظة عند مخالفة الأوامر الإلهية ، فإن الله تعالى قد مكنهم من العلم اليقيني ،
واوجب عليهم ذلك في عقولهم ، وشرحه لهم على لسان نبيه ثم في كتابه ، فإذا
تركوا ما أمروا بإتيانه ، أو اتوا ما أمروا بتركه ، ساغ له في الحكمة تعذيبهم
وعقوبتهم ؛ فكانه قد أبان لهم عذره ان لو قال قائل منهم : لم تعذبنا ؟ . ومحابه
من الأعمال : هي الطاعات التي أمر الشارع بإتيانها ، وحبه لها : رضاء عن
فاعلها . ومكارهه منها المعاصي التي نهى الشارع عن إتيانها ، وكرهيته له : غضبه
على فاعلها .

« حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ^(١) ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ عَنْ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْرَعًا ، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى .

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ^(٢) فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا ، وَمُسْتَزِيدًا لَهَا . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ ، قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ^(٣) ، وَطَوَّوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشُ ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ

(١) أي : لا شيء من طاعة الله إلا وفيه مخالفة لهوى النفس البهيمية فتكره إتيانه ولا شيء من معصية الله إلا وهو موافق لميل حيواني فتشتهي النفوس إتيانه .

(٢) ظنون - كصبور - : هو الضعيف والقليل الحيلة ، فيريد أن المؤمن يظن في نفسه النقص والتقصير في الطاعة ، أو هو البشر الظنون التي لا يدري أفيها ماء أم لا ، فتكون هنا بمعنى متهمة ، فهو لا يثق بنفسه إذا وسوست له بإنها أدت حق ما فرض عليها ، فالمؤمن هو الذي لا يصبح ولا يمسي إلا على حذر من نفسه معتقداً فيها التقصير والتضجيج في الطاعة ، غير قاطع بصلاحها وسلامة عاقبتها ، وقوله « زارياً عليها » أي : عائياً ، تقول : زريت عليه أزرى زراية ، مثل حكيت أحكي حكاية ، إذا عبت ، وكذلك تزري عليه ، وقال أبو عمرو : الزاري على الإنسان : الذي لا يعده شيئاً وينكر عليه فعله . وقوله « ومستزيداً » أي : طالباً لها الزيادة من طيبات الأعمال .

(٣) - التقويض : نزع أعمدة الخيمة وأطنايبها ، والمراد أنهم ذهبوا بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما يطوي المسافر منازل سفره ، أي : مراحل ومسافته .

الَّذِي لَا يَكْذِبُ ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ
نُقْصَانٍ : زِيَادَةٌ فِي هُدًى ، وَنُقْصَانٌ مِنْ عَمَى . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ
عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ ^(١) وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى ،
فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأَوَائِكُمْ ^(٢) فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً
مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ . فَاسْأَلُوا اللَّهَ
بِهِ ^(٣) وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ . إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ
إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ وَمُصَدِّقٌ ، وَأَنَّهُ
مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ ^(٤) وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ صَدَّقَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَلَا إِنَّ كُلَّ
حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةٍ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ » فَكُونُوا مِنْ
حَرْثَتِهِ وَاتَّبَاعِهِ ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصَحُوهُ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ^(٥) ، وَاسْتَغِيثُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ .

(١) أي : فقر وحاجة إلى هاد سواه يرشد إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ،
وسائق إلى شرف المنازل وغايات المجد والرفعة .

(٢) اللأواء : الشدة .

(٣) فاطلبوا من الله ما تحبون من سعادة الدنيا والآخرة باتباعه ، وأقبلوا على الله بالترغبة
في اقتضاء هديه ، وهو المراد من حبه ، ولا تجعلوه آلة لنيل الرغبات من الخلق ؛
لأنه ما تقرب العباد إلى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزل الله .

(٤) شفاعة القرآن : نطق آياته بانطباقها على عمل العامل ، ومحل به - مثلث الحاء -
كاده بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من أعماله .

(٥) الحارث . المكتسب ، والحارث : الكسب . وحرثه القرآن : المتاجرون به وقوله
« استنصحوه على أنفسكم » أي : إذا أشار عليكم بأمر وأشارت عليكم أنفسكم بأمر
يخالفه فاقبلوا مشورة القرآن دون مشورة أنفسكم ، وقوله « واتهموا عليه آراءكم » =

الْعَمَلَ الْعَمَلَ ، ثُمَّ النَّهْيَةَ النَّهْيَةَ وَالْإِسْتِقَامَةَ وَالْإِسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ
الصَّبْرَ^(١) ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ ، إِنَّ لَكُمْ نَهْيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نَهَايَتِكُمْ ،
وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ^(٢) ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى
غَايَتِهِ ، وَآخِرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا اقْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ^(٣) وَبَيْنَ لَكُمْ
مِنْ وَظَائِفِهِ . أَنَا شَهِيدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ^(٤) .

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ^(٥)
وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا
رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا
تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ ،

= مثله ، أي : إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ واستغشوا أهواءكم ، أي :
ظنوا فيها الغش وارجعوا الى القرآن .

(١) النصب في هذه الأسماء على الإغراء ، وحقيقته الحث على أمر محمود ليفعله ،
وحكمه تقدير فعل - أي : الزموا العمل - وإنما يكرر الاسم لينوب أحدهما عن ذكر
الفعل ، ومن أجل أن أحد الاسمين بدل من التلطف بالفعل لم يجز ذكر الفعل إذا
تكرر .

(٢) العلم - محرراً : يريد به القرآن .

(٣) « خرج إلى فلان من حقه » أداه ، فكأنه كان حبيساً في مؤاخذته فانطلق ، إلا أن
« من حقه » في العبارة بيان لما اقترض ، ومعمول « اخرجوا » مقدر مثله .
والوظائف : ما قدر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات والأحوال كالصوم
والصلاة والزكاة .

(٤) حجيج : من « حج » إذا أقنع بحجته ، فهو فعيل بمعنى فاعل . والإمام - كرم الله
وجهه - بعلوم منزله من الله يشهد للمحسنين ويقوم بالحجة عن المخلصين .

(٥) تورّد : هو تفعل كتنزل ، أي : ورد شيئاً بعد شيء . والمراد من القضاء الماضي ما
قدر حدوثه من حادثة الخليفة الثالث وما تبعها من الحوادث ، وعدة الله - بكسر
فتفتح مخفف - : هي وعده ، أي : لا تخرجوا منها .

فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمُرُّوا مِنْهَا ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَضْرِيفَهَا^(١) وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا ، وَلِيُخْزِنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ^(٢) فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزِنَ لِسَانَهُ ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ إِذَا مِنْ وَرَاءَ قَلْبِهِ^(٣) وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءَ لِسَانِهِ . لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ : فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ : لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ ، وَمَاذَا عَلَيْهِ !!

وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ » فَمَنْ أَسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ

(١) تهزيع الشيء : تكسيه ، والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه ، والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه . فهو نهى عن حطم الكمال بمعول النقص . و « تصريف الأخلاق » : من « صرفته » إذا قلبته ، نهى عن النفاق والتلون في الأخلاق ، وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحداً .

(٢) ليخزن - كينصر - أي ليحفظ لسانه ، والجموح : من « جمع الفرس » إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه .

(٣) لسان المؤمن تابع لاعتقاده لا يقول إلا ما يعتقد ، والمنافق يقول ما ينال به غايته الخبيثة ، فإذا قال شيئاً أخطره على قلبه حتى لا ينساه فيناقضه مرة أخرى ، فيكون قلبه تابعاً للسانه .

الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ : فَلْيَفْعَلْ .

وَأَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَ
عَاماً أَوَّلَ ، وَيَحْرُمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ^(١) ، وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ
النَّاسُ لَا يُجِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ^(٢) ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ
مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ
وَضَرَسْتُمُوهَا^(٣) وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَضُرِبَتْ لَكُمْ الْأَمْثَالُ ،
وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ ، فَلَا يَصُمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ وَلَا
يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى!! وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ
لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ ، وَآتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ^(٤) حَتَّى يَعْرِفَ
مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ : مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ ، وَمُبْتَدِعُ
بِدْعَةٍ ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ سُنَّةٌ ، وَلَا ضِيَاءٌ حُجَّةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ،

(١) يريد أن الأحكام الشرعية إذا ثبتت بطريق النص لم يجوز أن تنقض بالاجتهاد ، بل كل ما ورد فيه نص يتبع معه مورد النص فيه ، فما كان لك حلالاً عاماً أولاً من هذا الطريق فهو لك حلال في هذا العام ، وكذلك القول في التحريم ، وهذا معنى قول علماء الأصول « أن النص مقدم على الاجتهاد » و « أول » في كلامه لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل .

(٢) البدع التي أحدثها الناس لا تغير شيئاً من حكم الله .

(٣) ضرسته الحرب : جربته ، أي : جربتموها .

(٤) الإتيان من الامام : كناية عن الظهور ، كأن التقصير عدو قوي يأتي مجاهرة لا يخدع ولا يفر ، فيأخذه أخذ العزيز المقتدر ، عند ذلك يعرف من الحق ما كان أنكر وينكر من الباطل ما كان عرف .

وَسَبِّهِ الْأَمِينُ^(١) ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكَّرُونَ ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَقُولُ : « يَا ابْنَ آدَمَ أَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ »^(٢) .

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ : فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . الْفِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ! لَيْسَ هُوَ جَرَحًا بِالْمَدَى وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ . فَيَاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ^(٣) وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ

(١) جعل القرآن جبل الله لأن الجبل ينبجو من تعلق به من الهوى المردية، والقرآن ينبجو من تعلق به من الضلال . و « المتين » القوي ؛ لأنه لا انقطاع له أبداً وتقول : متن الشيء - بضم التاء - أي : صلب وقوي واشتد .

(٢) مستقيم أو قريب من الله والسعادة . وأصل الجواد القاصد السهل السير الذي ليس بالسريع فيتعب راكبه ولا البطيء فيفوت غرض صاحبه ببطئه .

(٣) من يحافظ على نظام الألفة والاجتماع - وإن ثقل عليه أداء بعض حقوق الجماعة ، وشق عليه ما تكلفه به من الحق - فذلك الجدير بالسعادة ، دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة وإن نال بذلك حقاً باطلاً وشهوة وقتية ؛ فقد يكون في حظه الوقتي شقاؤه الأبدي . ومتى كانت الفرقة عم الشقاق ، وأحاطت العداوات وأصبح كل واحد عرضة لشروع سواه ، فمحييت الراحة ، وفسدت حال المعيشة .

أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا : مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ ،
وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى
خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ !

ومن كلام له عليه السلام

١١٧٥

في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيِي مَلَيْكُكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا
أَنْ يُجْعِلَا عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلَا يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ ،
وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ . فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ
الْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَالْإِعْوِجَاجُ ذَابُهُمَا ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي
الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا ، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا !
وَالثَّقَّةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لَا
يُعْرِفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١١٧٦

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ (١) ، وَلَا

(١) شأن : أمر ، ولا يشغله أمر لأن الحي الذي تشغله الأشياء هو العالم ببعض الأشياء =

يَصِفُهُ لِسَانٌ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ^(١) وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ ،
وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ ، وَلَا دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا ، وَلَا
مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ ، وَخَفِيَّ
طَرَفِ الْأَحْدَاقِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ^(٢) وَلَا
مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ^(٣) شَهَادَةً مَنْ
صَدَقَتْ نَيْتُهُ ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ^(٤) ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ .
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ ، وَالْمُعْتَمَدُ
لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصُّ بِعَاقِلِ كَرَامَاتِهِ ، وَالْمُصْطَفَى لِكِرَائِمِ
رِسَالَاتِهِ ، وَالْمَوْضُوحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرِيبُ
الْعَمَى .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا ، وَالْمُخِلِدَ إِلَيْهَا ،
وَلَا تَنْفُسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا . وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا

= دون بعض القادر على بعضها دون بعض ؛ فأما من لا يغيب عنه شيء أصلاً ؛
فكيف يشغله شأن ؟ وكذلك « لا يغيره زمان » لأنه واجب الوجود ، و « لا يحويه
مكان » لأنه ليس بجسم ، و « لا يصفه لسان » لأن كنه ذاته غير معلوم ، وإنما
المعلوم إضافات .

(١) لا يعزب : لا يخفى عليه ، ولا يفوته علمها ، وسوافي الريح : جمع سافية ،
من « سفت الريح التراب والورق » أي : حملته وذرتة ، والصفاء - مقصوراً - : جمع
صفاء ، وهي الحجر الأملس الضخم ، و « ديب النمل » أي : حركته عليه في غاية
الخفاء لا يسمع لها حس ، والذر : صغار النمل ، ومقيلها : محل استراحتها
ومبيتها .

(٢) « عدل بالله » : جعل له مثلاً وعديلاً .

(٣) خلقه للخلق جميعاً .

(٤) دخلته - بالكسر - : باطنه .

كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ
 اجْتَرَحُوهَا ، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ - حِينَ
 تَنَزَّلُ بِهِمُ النَّقْمُ وَتَزُولُ عَنْهُمْ النَّعْمُ - فَزَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ
 نِيَّاتِهِمْ وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ؛ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ
 فَاسِدٍ . وَإِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ (١) وَقَدْ كَانَتْ
 أُمُورٌ مَضَتْ مِثْلُهَا فِيهَا مِثْلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ،
 وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعْدَاءُ وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ
 أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ ، عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

ومن كلام له عليه السلام



وَقَدْ سَأَلَهُ ذِغْلَبُ الْيَمَانِيِّ (٢) فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَفَاعْبُدُ مَا لَا أَرَى ؟ فَقَالَ وَكَيْفَ
 تَرَاهُ ؟ فَقَالَ :

لَا تُدْرِكُهُ أَلْعْيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْإِيَّانِ ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ أَلْقُلُوبُ

(١) كنى بالفترة عن جهالة الغرور ، أو أراد في فترة من عذاب ينتظر بكم عقاباً على انحطاط هممكم وتباطؤكم عن جهاد عدوكم .

(٢) الذغلب - بكسرتين بينهما سكون - في الأصل الناقة السريعة ، ومثله الذغلبة ثم نقل إلى العلمية كما نقلوا بكراً من الفتى من الإبل ، ونحو ذلك كثير ، و « اليماني » بياء واحدة مخففة ، ولا تشدد إلا في ضرورة الشعر ، ومثله الشامي ، وأصلهما يمني وشامي ، نسبة إلى اليمن والشام ، فحذفوا إحدى الياءين وعوضوا منها ألفاً بعد حرفين من الكلمة .

بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامَسٍ ^(١) ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ ^(٢) ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَاسَةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَةِ . تَعْنُو أَلْوَجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٧٨

في ذم العاصين من أصحابه

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَى آتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تَطْعَ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمِهَلْتُمْ خُضْتُمْ ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ ! وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِبْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ . لَا أَبَا

(١) الملامسة والمباينة على معنى البعد المكاني من خواص المواد ، وذات الله مبرأة من المادة وخواصها ، فنسبة الأشياء إليها سواء وهي في تعاليها ، فهي مع كل شيء ، وهي أعلى من كل شيء ، فالبعد : بعد المكانة من التنزيه ، والروية : التفكير والهمة : الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصاً وأوجب همّاً وحزناً ، والجارحة : العضو البدني .

(٢) إذا وصفت العرب شيئاً باللطافة فإنما تعني أنه صغير الحجم والله سبحانه لطيف لكن بمعنى غير هذا المعنى ، فهو لطيف بمعنى أنه لا تراه العيون لعدم صحة رؤيتها إياه ، فلما شابه اللطيف من الأجسام في استحالة رؤيته أطلق عليه لفظ اللطيف إطلاقاً للفظ السبب على المسبب ، وربما أطلق هذا الاسم عليه تعالى بمعنى أنه يفعل مع عباده الألفاظ التي تقرهم من الطاعة وتبعدهم من المعصية بمنه وكرمه . والجفاء : الغلظ والخشونة .

لِغَيْرِكُمْ^(١) مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ ، وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟
 الْمَوْتُ أَوْ الدُّلُّ لَكُمْ ! فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلِيَأْتِنِي - لِيُفَرِّقَنَّ
 بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ قَالٍ^(٢) وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ . لِلَّهِ أَنْتُمْ !! أَمَا دِينَ
 يَجْمَعُكُمْ ، وَلَا حِمِيَّةُ تَشْحَذُكُمْ^(٣) ؟ أَوْ لَيْسَ عَجَباً أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو
 الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ^(٤) عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ
 وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ^(٥) ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ
 الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي ، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ ؟ ! إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ
 أَمْرِي رِضاً فَتَرْضُونَهُ^(٦) وَلَا سُخْطُ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَحَبَّ مَا
 أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ ، قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ^(٧) وَفَاتَحْتُكُمْ الْحِجَابَ ،
 وَعَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَبَّتُمْ ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى

(١) المعروف في التقرير « لا أبا لكم ، ولا أبا لك » ! وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير
 بجهله ، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء أو الذم لغيرهم .

(٢) قال : أي كاره ، وغير كثير بكم : أي إني أفارق الدنيا وأنا في قلة من الأعوان وإن
 كنتم حولي كثيرين . ويدل عليه قوله فيما بعد : لله أنتم .

(٣) من شحذ السكين كمنع : أي حدها .

(٤) الجفافة : جمع جاف أي غليظ ، والطغام بالفتح : أراذل الناس ، والمعونة : ما
 يعطى للجند لاصلاح السلاح وعلف الدواب زائداً على العطاء المفروض والأرزاق
 المعينة لكل منهم .

(٥) التريكة كسفينة : بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تتركها في مجثمها ،
 والمراد أنتم خلف الاسلام وعوض السلف .

(٦) يريد أنه لا يوافقكم مني شيء لا ما يرضي ولا ما يسخط !!

(٧) أي : قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيماً ، وفاتحتكم : مجرد « فتح » بمعنى
 قضى ، فهو بمعنى قاضيتكم ، أي : حاكمتكم ، والحجاج : الحاجة ؛ أي
 قاضيتكم عند الحاجة حتى قضت عليكم بالعجز عن الخصام ، وعرفتكم الحق الذي
 كنتم تجهلون ، وسوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجون وتطرحونه .

يَلْحَظُ^(١) أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ !! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ
قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمْ آبْنُ النَّابِغَةِ^(٢) .

ومن كلام له عليه السلام

١٧٩

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ أَحْوَالَ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ
الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ - فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ : أَمِنُوا فَقَطَّنُوا ، أَمْ جَبَنُوا
فَطَعَنُوا ؟؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : بَلْ ظَنَعُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ :

بَعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودُ ، أَمَا لَوْ أُشْرِعَتْ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ ،
وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ ! لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ ، إِنَّ
الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهُمْ وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ ، وَمَتَخَلَّ
عَنْهُمْ ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهَدْيِ ، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ
وَالْعَمَى ، وَصَدَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ ، وَجَمَّاحِهِمْ فِي الْبُغْيِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٨٠

رُويَ عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ^(٣) قَالَ : خَطَبْنَا هَذِهِ الْخُطْبَةَ بِالْكُوفَةِ

(١) « لو » للتمني ، كأنه يقول : ليت الأعمى الخ .

(٢) « أقرب بهم » أي : ما أقربهم من الجهل ، وابن النابغة : عمرو بن العاص .

(٣) هونوف بن فضالة التابعي البكالي ، نسبة إلى بني بكال - ككتساب - بطن من

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ
جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيَّةُ ، وَعَلَيْهِ مِدرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ
لَيْفٌ ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنَ الْيَفِ وَكَانَ جَبِينُهُ ثِفَّةً بَعِيرٍ فَقَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ ، نَحْمَدُهُ
عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ ، وَنَبِيرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَأَمْتِنَانِهِ^(٣) حَمْدًا
يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ، وَلشُّكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا ، وَلِحُسْنِ
مَزِيدِهِ مُوجِبًا . وَنَسْتَعِينُ بِهِ أَسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ،
وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطُّولِ ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ .

= حمير ؛ وضبطه بعضهم بتشديد الكاف كشداد ، وجعدة بن هبيرة : هو ابن أخت
أمير المؤمنين ، وأمه أم هانئ بنت أبي طالب ، كان فارساً ، مقدماً ، فقيهاً .
(١) المدرعة : ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية : قميص ضيق الأكمام . قال في
القاموس : ولا يكون إلا من صوف ، وتدرع : لبس المدرعة ، وربما قالوا :
تمدرع .

(٢) الثفنة - بكسر بعد فتح - : ما يمس الأرض من البعير عند البرك ، ويكون فيه غلظ
من ملاطمة الأرض ، وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود وكنوا
بذي الثفنتان عن علي بن الحسين ، وعلي بن عبد الله ابن العباس ، وعبد الله بن
وهب الراسي رئيس الخوارج ، لأن طول السجود كان قد أثر فيهم . وقال دعبل
الخزاعي :-

ديار علي والحسين وجعفر وحزمة والسجاد ذي الثفنتان

(٣) مصائر الأمور : جمع مصير ، وهو مصدر « صار إلى كذا » ومعناه المرجع قال الله
تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ وإنما جمع المصدر ههنا لأن الخلائق يرجعون إلى
ربهم في أحوال مختلفة ؛ وعواقب الأمور : جمع عاقبة ، وهي آخر الشيء .
والنوامي : جمع نام ، بمعنى زائد .

وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٍ مِّن رَّجَاءٍ مُّوَقِنًا ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ، وَخَنَعَ لَهُ مُدْعِنًا ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا ، وَلَاذٍ بِهِ رَاغِبًا مُّجْتَهِدًا . لَمْ يُوَلَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونُ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونِ مَوْرُوثًا هَالِكًا ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ .

وَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ مُوْطِدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُدْعِنَاتٍ ، غَيْرُ مُتَلَكِّثَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ . وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِدْعَانُهُنَّ لَهُ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَضْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْخَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءُ نُورِهَا أَذِلَّهُمَا سِجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ^(١) ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ ، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ^(٢)

(١) ادلهام الظلمة : كشافها وشدتها ، والسجف - بالكسر ، والفتح - : الستر ، والجلايب : جمع جلاب ، وهو ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحفة . ووجه الاستعارة فيها ظاهر ، والحنادس : جمع حندس - بكسر الحاء - : وهو الليل المظلم .

(٢) الساجي : الساكن ، ووصف الليل بالسكون وصف له بصفة المشمولين به ، فإن الحيوانات تسكن بالليل وتطلب أرزاقها بالنهار . والمتطأطئات : المنخفضات ،

فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِئَاتِ ، وَلَا فِي بَقَاعِ السُّفَعِ
الْمُتَجَاوِرَاتِ ، وَمَا يَتَجَلَجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ
عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقِطِهَا
عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَأَنْهِيْطَالُ السَّمَاءِ ، وَيَعْلَمُ مَسْقِطُ الْقَطْرَةِ وَمَقَرُّهَا ،
وَمَسْحَبُ الدَّرَّةِ وَمَجَرُّهَا ، وَمَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا ، وَمَا
تَحْمِلُ الْأَنْثَى فِي بَطْنِهَا .

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشُ ، أَوْ سَمَاءُ
أَوْ أَرْضُ ، أَوْ جَانُّ أَوْ إِنْسُ ، لَا يُدْرِكُ بِوَهْمٍ ، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ ،
وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ، وَلَا يُنْظَرُ بِعَيْنٍ ، وَلَا يُحَدُّ
بِأَيْنٍ ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ ، وَلَا يُدْرِكُ
بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَرَاهُ
مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا ، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ .

= واليفاع : التل ، أو المرتفع مطلقاً من الأرض ، والسفع : جمع سفعاء ، وهي
السوداء تضرب إلى الحمرة ، والمراد منها الجبال ، عبر عنها بلونها فيما يظهر للنظر
على بعد ، وما يجلجل به الرعد : صوته ، والجلجلة : صوت الرعد : وتلاشت :
اضمحلت ، وأصله من « لشا » بمعنى خس بعد رفعة ، وما يضمحل عنه البرق هو
الأشياء التي ترى عند لمعانه . والعواصف : الرياح الشديدة ، وإضافتها للأنواء من
إضافة الشيء لمصاحبه عادة . والأنواء : جمع نوء ، وهو أحد منازل القمر ، يعدها
العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الأفق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلة ، ويظهر
عليه أخرى . والمغيب والظهور عند طلوع الفجر ، وكانوا ينسبون المطر لهذه
الأنواء فيقولون : « مطرنا بنوء كذا » لمصادفة هبوب الرياح وهطول الأمطار في
أوقات ظهور بعضها حتى جاء الاسلام فأبطل الاعتقاد بتأثير الكواكب في الحوادث
الأرضية تأثيراً روحانياً .

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِيُوصَفِ رَبِّكَ ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ
وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجَرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِينَ
مُتَوَلِّهِ عُقُولُهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرِكُ بِالصِّفَاتِ
ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدْوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ ! فَلَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ إِلَى دَفْعِ
الْمَوْتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الَّذِي
سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ ، فَلَمَّا
أَسْتَوَفَى طُعْمَتَهُ وَأَسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِي الْفَنَاءِ بِنِبالِ الْمَوْتِ ،
وَأَصْبَحَتْ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ
آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً ! أَيْنَ الْعِمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ
الْعِمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرُّسِّ
الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ . وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ ، وَأَحْيَاوْا سُنَنَ
الْجِيَّارِينَ^(١)؟ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ ، وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ ،

(١) سئل أمير المؤمنين عن أصحاب مدائن الرس - فيما رواه الرضي عن آبائه إلى جده
الحسين - فقال : إنهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمى الرس من بلاد
المشرق (هو نهر أرس في بلاد أذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة
على شفير عين تسمى دوشاب (يقال : غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنوبرية
« ساه درخت » وعدة مدائنهم اثنتي عشرة مدينة : اسم الأولى أبان ، والثانية آذر ،
والثالثة دي ، والرابعة بهمن ، والخامسة اسفندارمز ، والسادسة فروردين ، والسابعة
اردي بهشت ، والثامنة خزداد ، والتاسعة مرداد ، والعاشرة تير ، والحادية عشرة

وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ ۚ

ومنها : قَدْ لَيْسَ لِلْحِكْمَةِ جُتَّتَهَا^(١) ، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ
أَدْبِهَا مِنْ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا ، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا ، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا ، وَهِيَ
عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ
مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ^(٢) وَضُرِبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ وَالصَّقَ الْأَرْضَ
بِجَرَابِهِ ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ .

ثم قال عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ بَشَّتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ
بِهَا أُمَمَهُمْ ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ؛
وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوَاطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا ؛ وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْاجِرِ فَلَمْ

= مهر ، والثانية عشرة شهر يور . فبعث الله لهم نبياً ينهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم
بعبادة الله ، فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل : حيث أقاموا في العين أنابيب من رصاص
بعضها فوق بعض كالبرايخ ، ثم نزعوا منها الماء ، واحتفروا حفرة في قعرها ، وألقوا
نبيهم فيها حياً ، واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه ، حتى مات ، فعاقبهم الله بإرسال
ريح عاصفة ملتهبة سلفت أبدانهم ، وقذفت عليهم الأرض مواداً كبريتية متقدة فذابت
أجسادهم وهلكوا وانقلبت مدائنهم .

(١) جنة الحكمة : ما يحفظها على صاحبها من الزهد والورع ، والكلام في العارف
مطلقاً .

(٢) هو مع الاسلام : فإذا صار الإسلام غريباً اغترب معه لا يفضل عنه . عسيب
الذنب : يريد أنه ضعف ، والجبران - ككتاب - : مقدم عنق البعير من المذبح إلى
المنحر ، والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه ، والصاق جرائه بالأرض : كناية عن
الضعف كسابقه .

تَسْتَوْسِقُوا!! لِلَّهِ أَنْتُمْ ، أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ ،
وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ ؟!

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ
مُدْبِراً ، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ ؛ وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا
لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى ، مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفَكَتْ
دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصَفِّينَ أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ ،
وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ ؟! قَدْ - وَاللَّهِ - لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ ، وَأَحْلَهُمْ
دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ ، أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا
عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ^(١) ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو
الشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ ،
وَأَبْرَدَ بَرُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ ؟!

(١) عمار بن ياسر من السابقين الأولين ، وهو عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة بن
قيس ، العنسي - بالنون بعد العين المهملة - المذحجي ، حليف بني مخزوم ،
وكنيته أبو اليقظان . وكان عمار رضي الله عنه ممن عذب في الله تعالى هو وأبوه
وأخوه وأمه في بدء دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد مر بهم النبي وهم
يعذبون فبشرهم بالجنة وقال لهم « صبراً آل ياسر » وفي عمار نزل قوله تعالى :
﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وقد روى خالد بن الوليد عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم « من أبغض عماراً أبغضه الله » وأبو الهيثم مالك بن التيهان -
بتشديد الياء وكسرهما - من أكابر الصحابة ، ذكر أبو نعيم وابن عبد البر أن أبا الهيثم
مالك بن التيهان - وهو عمرو بن الحارث - شهد صفين واستشهد بها . وأنكر ذلك
ابن قتيبة وذو الشهادتين : خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأنصاري من
بني خطمة من الأوس قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة ، كلهم قتلوا
في صفين . وأبرد برؤوسهم أي : أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى البغاة للتشفي
منهم رضي الله عنهم .

قال : ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأُطَالَ الْبُكَاءَ ، ثُمَّ
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أُوهِ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكُمُوهُ^(١) ، وَتَدَبَّرُوا
الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيُوا السُّنَّةَ ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ ، دُعُوا لِلجِهَادِ
فَأَجَابُوا ، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ .

ثُمَّ نادى بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ!! أَلَا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا ،
فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاخَ إِلَى اللَّهِ فَلْيُخْرِجْ .

قَالَ نَوْفٌ : وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ،
وَلَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَلَأَبِي أُيُوبَ
الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ ، وَهُوَ يُرِيدُ
الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ ، فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ
مُلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ ، فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيَهَا
تَخْطِطُهَا الذُّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

ومن خطبة له عليه السلام

❦❦❦

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصِبَةٍ

(١) أُوهِ - بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء - كلمة توجع .

خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ . وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ، وَلِيَحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبِرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِحِهَا وَأَسْقَامِهَا ، وَلِيُبْصِرُوهُمْ عُيُوبَهَا وَحَلَالَهَا وَحَرَامَهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ .

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ إِلَى خَلْقِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا .

ومنها في ذكر القرآن : فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ : أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ ، أَتَمَّ نَوْرَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَقَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ ، فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ ، إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا ، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ شَيْءٌ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ وَلَنْ يَسَخِطَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ رَضِيَهُ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلَكُمْ ، قَدْ كَفَاكُمْ مَوْئِدَةً دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَافْتَرَضَ

مِنْ أَلَسْتُمْ الدُّكْرَ ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ
 وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعَيْنِهِ ؛ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ،
 وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ : إِنْ أَسْرَرْتُمْ عِلْمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتَبَهُ ، قَدْ
 وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِرَاماً ، لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً ، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً ،
 وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ ، وَنُوراً مِنَ
 الظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِي مَا أَشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنَزَلَةَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ ،
 فِي دَارٍ أَصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ : ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُورَاهَا
 مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ . فَبَادِرُوا الْمَعَادَ ، وَسَابِقُوا الْأَجَالَ ، فَإِنَّ
 النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ
 عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةُ مَنْ
 كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ،
 وَقَدْ أُودِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ
 لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَارْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ
 جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا . أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَهِ
 تُصِيبُهُ وَالْعُشْرَةَ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ
 طَائِفَتَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينِ شَيْطَانٍ ؟! أَعْلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً
 إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِعُظْبِهِ ، وَإِذَا زَجَرَهَا
 تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجَرَتِهِ ؟!!

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ ! كَيْفَ أَنْتَ إِذَا
 التَّحَمَّتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ، وَنَشِبَتْ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ

لَحُومَ السَّوَاعِدِ؟! فَاللَّهُ اللَّهُ ، مَعَشَرَ الْعِبَادِ ، وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي
الصُّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ !! وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ ، فَاسْعَوْا فِي فِكَاكِ
رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا . أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ . وَأَضْمِرُوا
بُطُونَكُمْ ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ
أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا ، فَقَدْ قَالَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ وَقَالَ
تَعَالَى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ
كَرِيمٌ ﴾ ، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ ؛ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ ،
أَسْتَنْصِرْكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ،
وَأَسْتَقْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ،
وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَلْهُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ؛ فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ
تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ . رَافِقَ بِهِمْ رَسُولُهُ ، وَأَزَارَهُمْ
مَلَائِكَتُهُ ؛ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا وَصَانَ
أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَضَبًا ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَاللَّهُ أَلْمُسْتَعَانُ
عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ . وَهُوَ حَسْبِي وَنَعْمَ الْوَكِيلُ .

ومن كلام له عليه السلام

قَالَ لِلْبُرْجِ بْنِ مِسْهَرِ الطَّائِي^(١) وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ « لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ،
وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ »

أُسْكُتْ ! قَبَحَكَ اللَّهُ يَا أَثَرُمُ^(٢) فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ
فِيهِ ضَيِّلاً شَخْصُكَ ، خَفِياً صَوْتُكَ ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ
نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ .

ومن خطبة له عليه السلام^(٣)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحُويهِ الْمَشَاهِدُ ،
وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ

(١) أحد شعراء الخوارج وهو البرج بن مسهر - بضم الميم وكسر الهاء بينهما سين ساكنة - بن الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل .

(٢) « قبحك الله » أي : نحاك وأبعدك عن الخير ، أو فل حدثك وكسر شوكتك نقول : قبحت الجوزة - من باب فتح - إذا كسرتها . والثرم - محركاً - سقوط الثنية من الأسنان ، وكان البرج ساقط الثنية فأهانته بأن دعه به كما يهان الأعور بأن يقال له يا أعور ؛ والضئيل : النحيف المهزول ، كناية عن الضعف . ونعر : أي صاح ، ونجمت : ظهرت وبرزت ، والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير شرف .

(٣) من هنا إلى آخر الجزء الثاني من هذه المطبوعة اختلف ترتيب النسخ بتقديم بعض الخطب على بعض ، وقد قوبلت كل خطبة على النسخ المتعددة كما صنع بسائر الكتاب .

خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِأَشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ ؛ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَاقِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنْ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا أَضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا يَعْدِدُ ، دَائِمٌ لَا يَأْمَدُ^(١) ، وَقَائِمٌ لَا يَعْمَدُ . تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ^(٢) ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ . لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا وَبِهَا أَمْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا^(٣) لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ أَمْتَدَّتْ بِهِ الْنَّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجَسِّمًا ، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجَسِّدًا ، بَلْ كَبُرَ شَأْنًا ، وَعَظُمَ سُلْطَانًا .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ^(٤) وَظُهُورِ الْفَلَجِ ، وَإِضْاحِ الْمَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ الرُّسَالََةَ صَادِعًا بِهَا ، وَحَمَلَ

(١) الأمد : الغاية .

(٢) المشاعرة : انفعال إحدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها ، والمرائي : جمع مرآة - بالفتح - وهي المنظر ، أي : تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها شاخصاً للأبصار .

(٣) أي إنه بعدما تجلَّى للأوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته ، وحاكمها إلى نفسها حيث رجعت بعد البحث خاسئة وحسيرة معترفة بالعجز عن الوصول إليه .

(٤) أي : ليلزم العباد بالحجج البينة على ما دعاهم إليه من الحق ، والفلج : الظفر والفوز ، وهو بفتح فسكون ، وتقول فلج على خصمه - من باب نصر - وفي المثل « من يأت الحكم وحده يفلج » وتقول : أفلجه الله عليه ، أي : أظفره . والاسم الفلج ، بوزن القفل ، وظهور الفلج : علو كلمة الدين .

عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاً عَلَيْهَا ، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ ،
وَجَعَلَ أُمَرَأَسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً ، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً .

ومنها في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات :

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النُّعْمَةِ ؛ لَرَجَعُوا إِلَى
الطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ ، وَالْبَصَائِرَ
مَذْخُولَةٌ ! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتَقَنَ
تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ ؟

أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ
تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى
أَرْضِهَا ، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا ! تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا
فِي مُسْتَقَرِّهَا ؛ تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وُرُودِهَا لِصَدْرِهَا
مَكْفُولَةً بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةً بِوَفْقِهَا ؛ لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا
الذُّيَانُ ، وَلَوْ فِي الصِّفَا أَلْيَاسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ ، وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي
مَجَارِي أَكْلِهَا ، فِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا ، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفِ
بَطْنِهَا وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ؛ لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا ،
وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا ، فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا ؛ وَبَنَاهَا
عَلَى دَعَائِمِهَا ! لَمْ يَشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعْنَهُ فِي خَلْقِهَا
قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ
إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ، لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ
وَعَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ !! وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ ، وَالثَّقِيلُ

وَالْخَفِيفُ ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً !! وَكَذَلِكَ
السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ . فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ،
وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبَحَارِ ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ ،
وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ
الْمُقَدَّرَ ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبَّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ؛ وَلَا
لَاخْتِلَافٍ صُورِهِمْ صَانِعٌ ! وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا ؛ وَلَا
تَحْقِيقٍ لِمَا أُوعُوا ، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ؛ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ
جَانٍ ؟

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ ، إِذْ خُلِقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ،
وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ
لَهَا أَلْفَمَ السَّوِيِّ ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ
وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ
ذَبَّهَا ، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْتُ فِي نَزَوَاتِهَا وَتَقْضِيَ
مِنْهُ شَهَوَاتِهَا ! وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدَقَّةً .

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا : وَيَعْنُو لَهُ خَدًّا وَوَجْهًا ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا ،
وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا . فَالطَّيْرُ مُسَخَّرٌ لِأَمْرِهِ ، أَحْصَى عَدَدَ
الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ ، وَأَرَسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدِيِّ وَالْيَبَسِ (١) ،

(١) المراد من الندي هنا : مقابل اليبس - بالتحريك - فيعم الماء ، كأنه يريد أن الله

وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا : فَهَذَا غُرَابٌ ، وَهَذَا عُقَابٌ ،
 وَهَذَا حَمَامٌ ، وَهَذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلُّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ .
 وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيمَهَا^(١) وَعَدَّدَ قَسَمَهَا ، فَبَلَّ الْأَرْضَ
 بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا .

ومن خطبة له عليه السلام

١٨٤

في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم
 ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيْفَهُ ؛ وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ ، وَلَا
 إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ^(٢) . كُلُّ
 مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ^(٣) ؛ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ : فَاعِلٌ لَا
 بِأَضْطِرَابٍ آلَةٍ ، مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلٍ فِكْرَةٍ ؛ غَنِيٌّ لَا بِاسْتِيفَادَةٍ . لَا
 تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ، وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ^(٤) ، سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنُهُ ،

= جعل من الطير ما تثبت أرجله في الماء ، ومنه من لا يمشي إلا في الأرض
 اليابسة .

(١) الهطل - بالفتح - : تتابع المطر والدمع ، والديم - كالهمم - جمع ديمة : وهي مطر
 يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، و « تعديد القسم » إحصاء ما قدر منها لكل
 بقعة . و « جدوب الأرض » : يبسها لاحتجاب المطر عنها .

(٢) صمده : قصده ، وبابه نصر .

(٣) أي : كل معروف الذات بالكنه مصنوع ، لأن معرفة الكنه إنما تكون بمعرفة أجزاء
 الحقيقة . فمعروف الكنه مركب ، والمركب مفتقر في الوجود لغيره ، فهو مصنوع .

(٤) ترفده - كتضربه - أي : تعينه .

وَالْعَدَمَ وَجُودَهُ ، وَالْإِبْتِدَاءَ أَزْلُهُ .

بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنَّ لَا مَشْعَرَ لَهُ^(١) ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ
الْأُمُورِ عُرِفَ أَنَّ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنَّ لَا
قَرِينَ لَهُ ، ضَادُّ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحِ بِالْبُهْمَةِ ، وَالْجُمُودِ
بِالْبَلَلِ ، وَالْحَرُورِ بِالصَّرْدِ^(٢) . مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا^(٣) ، مُقَارِنٌ
بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ، مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا ، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا^(٤) لَا
يَشْمَلُ بِحَدٍّ وَلَا يُحَسَبُ بِعَدٍّ ؛ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ
الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا .

مَنْعَتَهَا مِنْذُ الْقَدَمِيَّةِ ؛ وَحَمَتَهَا قَدْ الْأَزْلِيَّةِ ؛ وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا^(٥)

(١) مشعر - كمقعد - محل الشعور ، أي : الاحساس ، فهو الحاسة ، و « تشعيرها » :
إعدادها للانفعال المخصوص الذي يعرض لها من المواد ، هو ما يسمى بالاحساس
فالمشعر من حيث هو مشعر منفعل دائماً ، ولو كان لله مشعر لكان منفعلاً ، والمنفعل
لا يكون فاعلاً ، وقد قلنا إنه هو الفاعل بتشعير المشاعر ؛ وهذا بمنزلة أن يقال :
إن الله فاعل في خلقه فلا يكون منفعلاً عنهم ، كما يأتي التصريح به ، وإنما خص
باب الشعور بالذكر رداً على من زعم أن لله مشاعر ، وعقدة التضاد بين الأشياء دليل
على استواء نسبتها إليه ، فلا ضد له ، إذ لو كانت له طبيعة تضاد شيئاً لاختص
إيجاده بما يلائمها لا ما يصادها ، فلم تكن أضداداً . والمقارنة بين الأشياء في نظام
الخلق دليل أن صانعها واحد ، إذ لو كان له شريك لخالفه في النظام الإيجادي فلم
تكن مقارنة ، والمقارنة هنا : المشابهة .

(٢) الصرد - محركاً - : البرد ، أصلها فارسية .

(٣) متعادياتها كالعناصر .

(٤) كالجزيئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج .

(٥) « منذ ، وقد ، ولولا » : فواعل للأفعال قبلها ، ومنذ : لابتداء الزمان ، وقد
لتقريبه ، ولا يكون الابتداء والتقريب إلا في الزمان المتناهي ، وكل مخلوق يقال
فيه : قد وجد ، ووجد منذ كذا ، وهذا مانع للقدم والأزلية ، وكل مخلوق يقال

التَّكْمِلَةُ ؛ بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا أَمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ
لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ،
وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيُحْدِثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدَثُهُ؟ ! إِذَا لَتَفَاوَتْ
ذَاتُهُ^(١) وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَا أَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ إِذْ
وُجِدَ لَهُ أَمَامُ ! وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ ! وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ
الْمُصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَذْلُولًا عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ
بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ^(٢) .

الَّذِي لَا يَحُولُ ، وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ^(٣) ؛
وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا^(٤) ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُودًا^(٥) . جَلَّ عَنْ

= فيه : لولا خالقه لما وجد ، فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره ، و « الأدوات »
أي : آلات الإدراك التي هي حادثة ناقصة ، فكيف يمكن لها أن تحدد الأزلي
المتعالي عن النهاية في الكمال . وقوله « بها » أي : بتلك الأدوات ، أي : بواسطة
ما أدركته من شؤون الحوادث عرف الصانع فتجلى للعقول ، وبها - أي : بمقتضى
طبيعة تلك الأدوات : من أنها لا تدرك إلا مادياً محدوداً - امتنع سبحانه عن إدراك
العيون ، التي هي نوع من تلك الأدوات .

(١) أي : لاختلفت ذاته باختلاف الأعراض عليها ، ولتجزأت حقيقته ؛ فإن الحركة
والسكون من خواص الجسم ، وهو منقسم ، ولصار حادثاً ، فإن الجسم بتركبه
مفتقر لغيره .

(٢) « وخرج » : عطف على قوله « لا يجري عليه السكون » ، وسلطان الامتناع : هو
سلطان العزة الأزلية .

(٣) من « أفل النجم » - من بابي دخل وجلس - إذا غاب .

(٤) المراد بالمولود المتولد عن غيره ، سواء أكان بطريق التناسل المعروف ، أم كان
بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر . ومن ولد له كان متولداً بساحدى
الطريقتين .

(٥) تكون بداية وجوده يوم ولادته .

اتَّخَذِ الْآبَاءُ ، وَطَهَرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ ؛ لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ
فَتُقَدَّرُهُ ؛ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتُصَوِّرُهُ ؛ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ ،
وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ ،
وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظُّلَامُ ، وَلَا يُوصَفُ
بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ^(١) وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنْ
الْأَعْرَاضِ ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ . وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ ،
وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ . وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتُقَلَّهْ أَوْ تُهْوِيهِ^(٢) أَوْ
أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يَعْدِلُهُ . وَلَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ وَلَا عَنْهَا
بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ .
يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ ، يُحِبُّ
وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ يَقُولُ لِمَنْ
أَرَادَ كَوْنَهُ « كُنْ فَيَكُونُ » ! لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلَا بِإِنْدَاءٍ يُسْمَعُ ،
وَإِنَّمَا كَلَامُهُ - سُبْحَانَهُ - فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ
ذَلِكَ كَائِنًا ، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا .

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ
الْمُحَدَّثَاتُ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِي
الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى
غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ

(١) أي : لا يقال ذو جزء كذا ، ولا ذو عضو كذا .

(٢) « تقله » أي : ترفعه ، و « تهويه » أي : تحطه وتسقطه .

خَلَقِهِ ، وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اسْتِغَالٍ ، وَأَرْسَاهَا عَلَى
غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ ، وَحَصَّنَهَا مِنْ
الْأَوْدِ وَالْإِعْوَاجِ ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْإِنْفِرَاجِ ، أَرْسَى
أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا ، وَخَدَّ أَوْدِيَّتَهَا ، فَلَمْ
يَهِنْ مَا بَنَاهُ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ .

هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ
وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ ، وَلَا
يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبُهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيْغْلِبُهُ ، وَلَا يَقُوتُهُ السَّرِيعُ
مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ . خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ
لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى
غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ، وَلَا كُفَاءَ لَهُ فَيُكَافِيَهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ
فَيَسَاوِيَهُ ، هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا
كَمَفْقُودِهَا .

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ آيْتِدَاعِهَا ، بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا
وَأَخْتِرَاعِهَا ! وَكَيْفَ لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا
وَبَهَائِمِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاجِحِهَا وَسَائِمِهَا وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا
وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا ، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى
إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا ، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا
فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً
حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ ، مُقَرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ إِنْشَائِهَا ، مُذْعِنَةٌ

بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا .

وَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ
مَعَهُ ، كَمَا كَانَ قَبْلَ آبِتْدَائِهَا ، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا ، بِلَا وَقْتٍ
وَلَا مَكَانٍ ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْآجَالُ
وَالْأَوْقَاتُ وَزَالَتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ آبِتْدَاءُ
خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا ، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ
دَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَأَّذْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُذْهُ مِنْهَا
خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ ، وَلَمْ يَكُونْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا لِحَوْفٍ مِنْ
زَوَالٍ وَنَقْصَانٍ ، وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نَدِّ مُكَائِرٍ^(١) ، وَلَا لِلِاخْتِرَازِ
بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ ، وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا لِمُكَائِرَةِ شَرِيكِ
فِي شَرِكِهِ ؛ وَلَا لَوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا . ثُمَّ هُوَ
يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِسَّامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضَرُّفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ،
وَلَا لِزَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا لِثِقَلٍ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَا يُمِلُّهُ طَوْلُ
بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا ؛ لَكِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ،
وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَأَتَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ
حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لِاتِّصْرَافٍ مِنْ
حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَى حَالٍ أَسْتِئْنَسَ ، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى

(١) الند - بالكسر - المثل ، والمكائير : المغالبة بالكثرة . يقال : كائره فكثره أي :
غلبه ، والمثاور : الموائب المهاجم .

حَالِ عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٨٥

تختص بذكر الملاحم

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ ، أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ^(١) أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ ، وَأَنْقِطَاعِ وَصْلِكُمْ ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ .

ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ ، ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطَى ، ذَاكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النُّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ أَضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ ، وَذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ . مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ ، وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا ، وَخَلُّوا

(١) يريد أهل الحق الذين سترتهم ظلمة الباطل في الأرض فجهلهم أهلها ، وأشرقت بواطنهم فأضاءت بها السموات العلى فعرفهم سكانها .

قَصَدَ السَّبِيلَ لَهَا ، فَقَدْ - لَعَمْرِي - يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ ،
وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ
وَلَجَّهَا ؛ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُودُوا ، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ
تَفْهَمُوا .

ومن خطبة له عليه السلام

١٨٦

أَوْصِيَكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ
إِلَيْكُمْ ، وَنِعَمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبِلَايِهِ لَدَيْكُمْ . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ،
وَتَذَارَكُكُمْ بِرَحْمَةٍ ! أَعُورْتُمْ لَهُ فَسْتَرَكُمُ ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِإِخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمُ ،
وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا
لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ ؟ ! فَكَفَى وَاعِظًا بِمَوْتِي
عَايَتُهُمْ ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأَنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ
نَازِلِينَ ! فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ
دَارًا ، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ ،
وَأَشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ أَنْتَقَلُوا ، لَا عَنْ قَبِيحٍ
يَسْتَطِيعُونَ أَنْتَقَالًا ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ أَرْزَادًا ! أَنْسُوا بِالدُّنْيَا
فَغَرَّتْهُمْ وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَابِقُوا ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، إِلَى
مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا ، وَالَّتِي رُغِبْتُمْ فِيهَا ، وَدُعِيتُمْ
إِلَيْهَا ، وَاسْتَمْتُمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْمُجَانَبَةِ

لِمَعْصِيَّتِهِ ، فَإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ ، مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي
الْيَوْمِ ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشُّهُورِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ ،
وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ !

ومن كلام له عليه السلام

❦

فَمَنْ الْإِيْمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ ، وَمِنْهُ مَا
يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ ^(١) فَإِذَا كَانَتْ
لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ ^(٢) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ
حَدُّ الْبَرَاءَةِ . وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ ^(٣) . مَا كَانَ لِلَّهِ فِي
أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ الْأَمَّةِ وَمُعْلَنِيهَا . لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ
عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ ؛ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا
فَهُوَ مُهَاجِرٌ ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ
فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ .

(١) « عواري - الخ » كناية عن كونه زعمًا بغير فهم .

(٢) إذا ارتبتم في أحد وأردتم البراءة منه فلا تسارعوا لذلك ، وانتظروا به الموت عسى
أن تدركه التوبة .

(٣) أي : لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام ورضي الاسلام ديناً ،
وهو المراد بمعرفة الحجة الآتي في الكلام . فلا يجوز لمسلم أن يقيم في بلاد
حرب على المسلمين ، ولا أن يقبل سلطان غير المسلم ، بل تجب عليه الهجرة
إلا إذا تعذر عليه لمرض أو عدم نفقة ، فيكون من المستضعفين المعفو عنهم .
وقول النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، « لا هجرة بعد الفتح » محمول على
الهجرة من مكة .

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَمْتَحَنَ
اللَّهُ قَلْبَهُ لِإِيْمَانٍ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ ، وَأَحْلَامٌ
رَزِينَةٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ! فَلَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ
أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي
خِطَامِهَا ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا .

ومن خطبة له عليه السلام

١٥٨٨

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ . عَزِيزُ
الْجُنْدِ ، عَظِيمُ الْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، دَعَا إِلَى
طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَلَى دِينِهِ ، لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ
عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَالْتِمَاسُ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ ، فَأَعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ
لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتَهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتَهُ ، وَبَادِرُوا أَلَمَوتَ فِي
غَمَرَاتِهِ ، وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ ؛ فَإِنَّ
الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهِلَ .
وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ ، وَشِدَّةِ
الْإِبْلَاسِ ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ ، وَرَوَعَاتِ الْفَزَعِ ، وَاخْتِلَافِ
الْأَضْلَاعِ ، وَاسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ ،
وَعَمِّ الضَّرِيحِ ، وَرَدَمِ الصَّفِيحِ .

فَاللّٰهُ اَللّٰهُ عِبَادَ اَللّٰهِ ! ، فَاِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلٰى سَنَنِ ،
وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ^(١) وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَأَزَفَتْ
بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلٰى صِرَاطِهَا . وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ
بِزَلَالِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِهَا^(٢) وَأَنْصَرَمَتْ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ،
وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى ، أَوْ شَهْرٍ أَنْقَضَى ،
وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا^(٣) وَسَمِينُهَا غُثًّا ، فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ ،
وَأُمُورٍ مُّشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا^(٤) ، عَالٍ لَّجْبُهَا ، سَاطِعٍ
لَهْبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَاجِّجٍ سَعِيرُهَا ؛ بَعِيدٍ خُمُودُهَا ، ذَاكٍ
وَقُودُهَا ، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا ، غَمٌّ قَرَارُهَا^(٥) ، مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا ، حَامِيَةٌ
قُدُورُهَا ، فَطِيْعَةٌ أُمُورُهَا ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ
زُمُرًا ﴾ قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ ،
وَأَطْمَأْنَنْتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ ، الَّذِينَ كَانَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِئَةً . وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِئَةً ، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ

(١) « سنن » أي : على طريق معروف تفعل بكم فعلها بمن سبقكم . والقرن -
محركاً - : الحبل يقرن به البعيران ، كناية عن القرب وأن لا بد منها . والأشراط :
العلامات . وأزفت : قربت ، والافراط : جمع فرط - بسكون الراء - : وهو العلم
المستقيم يهتدي به ، أي : بدلائلها .

(٢) الكلاكل : الصدور ، كناية عن الأثقال .

(٣) الرث : البالي ، والغث : المهزول .

(٤) الكلب - محركاً - : أكل بلا شبع ، واللجب : الصياح ، أو الاضطراب ، والتغيظ :
الهيجان ، والزفير : صوت توقد النار ، وذكت النار : اشتد لهيبها .

(٥) « غم » صفة من « غمه » إذا غطاه ، أي : مستور قرارها المستقر فيه أهلها ويروي
« عم » بالعين المهملة ، من « عمى » .

نَهَاراً تَخْشَعاً وَاسْتِغْفَاراً ، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوْحُشاً وَابْتِغَاءً^(١)
فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَاباً ، وَالْجَزَاءَ ثَوَاباً ، ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا ﴾ ، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

فَارْعَوْا - عِبَادَ اللَّهِ - مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ ، وَبِإِضَاعَتِهِ
يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا
أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ ، وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَلْمُخُوفُ فَلَا
رَجْعَةَ تَنَالُونَ ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ . اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ
وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

إِلْزَمُوا الْأَرْضَ وَأَصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ
وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ
لَكُمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ
وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ،
وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ
إِصْلَاحِهِ لِسَيْفِهِ ، وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةٌ وَأَجَلٌ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٨٩

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ،

(١) لا يريد من التوحش النفرة من الناس والجفوة في معاملتهم ، بل يريد عدم
الاستئناس بشؤون الدنيا والركون إليها .

وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التَّوَامِ^(١) ، وَالْآثِيهِ الْعِظَامِ ،
 الَّذِي عَظَّمَ جِلْمُهُ فَعَفَا ، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي
 وَمَا مَضَى ، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلاَ اقْتِدَاءٍ
 وَلَا تَعْلِيمٍ ، وَلَا اخْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ ، وَلَا إِصَابَةٍ خَطِئٍ ،
 وَلَا حَضْرَةٍ مَلٍ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ
 يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ^(٢) وَيَمْوَجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَةٌ^(٣) الْحَيْنِ ،
 وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ .

أَوْصِيَكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ،
 وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقُّكُمْ^(٣) . وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا
 بِهَا عَلَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِزُ وَالْجَنَّةُ ، وَفِي غَدِ
 الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ : مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا
 حَافِظٌ^(٤) ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأَمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ
 لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى . وَأَخَذَ مَا أَعْطَى . وَسَأَلَ

(١) جمع توأم - كجعفر - وهو المولود مع غيره في بطن ، وهو مجاز عن الكثير ، أو المتواصل .

(٢) ضرب في الماء : سبح ، وضرب في الأرض سار بسرعة : أبعد ، والغمرة : الماء الكثير ، والشدة ، والمراد هنا إما شدة الفتن وبلاياها ، أو شدة الجهل ورزايله . والأزمة : جمع زمام ، وهو ما تقاد به الدابة ، والحين - بفتح الحاء - : الهلاك ، والرَيْن - بفتح الراء - : التغطية والحجاب ، وهو هنا حجاب الضلال .

(٣) جرى في الكلام على نحو قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يريد أن التقوى جعلها الله سبباً لاستحقاق ثوابه ، ومعينة على رضائه . والجنة - بضم الجيم - : الوقاية ، وافتحها دار الثواب .

(٤) مستودع التقوى : هو الذي تكون التقوى وديعة عنده ، وهو الله .

عَمَّا أَسَدَى . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا ؛ أَوْلَيْكَ
 الْأَقْلُونَ عَدَدًا . وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - إِذْ يَقُولُ : ﴿ وَقَلِيلٌ
 مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ . فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَكُظُّوا بِجَدِّكُمْ
 عَلَيْهَا ، وَاعْتَاْضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا ،
 أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، وَأَقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوا بِهَا قُلُوبَكُمْ ،
 وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ . وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ ،
 وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا . أَلَا وَصُونُوهَا
 وَتَصُونُوا بِهَا . وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَاهًا ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَاهَا ، وَلَا
 تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا ، وَلَا تَشِيْمُوا
 بَارِقَهَا ، وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا تَسْتَضِيئُوا
 بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتِنُوا بِأَعْلَاقِهَا ؛ فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ ^(١) وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ ،
 وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ ، أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيةُ الْعُنُونُ ^(٢)
 وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونَ ، وَالْمَائِنَةُ الْخَوُونَ ، وَالْجَحُودُ الْكُنُودُ ، وَالْعَنُودُ

(١) خالب : خادع ، والمحروبة : المنهوبة .

(٢) المتصدية : المرأة تتعرض للرجال تميلهم إليها ، ومن الدواب : ما تمشي معترضة
 خابطة . والعنون - بفتح فضم - : مبالغة من « عن » إذا ظهر ، ومن الدواب :
 المتقدمة في السير . شبه الدنيا بالمرأة المتبرجة المستميلة ، أو بالدابة تسبق
 الدواب ، وإن لم يدم تقدمها ، أو الخابطة على غير طريق . والجامحة : الصعبة
 على راکبها ، والحرون : التي إذا طلب بها السير وقفت ، والمائنة : الكاذبة ،
 والخؤون : مبالغة في الخائنة . والكنود : من « كند » كنصر - : كفر النعمة ،
 وجحد الحق : أنكره وهوبه عالم . والعنود : شديد العناد ، والصدود : كثيرة
 الصد والهجر . والحيود : مبالغة في الحيد بمعنى الميل . والميود : من « ماد » إذا
 اضطرب . يريد بهذه الأوصاف أن الدنيا في طبيعتها لؤم : فمن سالها حاربت ،
 ومن حاربها سالمت .

الْصَّدُودُ ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ : حَالُهَا أَنْتَقَالَ ، وَوُطِّئَتْهَا زِلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا
 ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ ، دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٌ ^(١) وَنَهَبٌ
 وَعَطَبٌ ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ ^(٢) قَدْ تَحَيَّرَتْ
 مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا . وَخَابَتْ مِطَالِبُهَا ، فَأَسْلَمَتْهُمْ
 الْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ ، فَمِنْ نَاجٍ
 مَعْقُورٍ ، وَلَحْمٍ مَعْجُورٍ ، وَشَلْوٍ مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ ، وَعَاضٍ
 عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ بِكَفَيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَيْهِ ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ ،
 وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ ، وَقَدْ أَدْبَرَتْ الْحِيلَةُ ، وَأَقْبَلَتْ الْغِيلَةُ وَلَا تَحِينَ
 مَنَاصُ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ،
 وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالِهَا : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا
 كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٩٥

تسمى القاصعة ^(٣)

وَهِيَ تَتَضَمَّنُ ذَمَّ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى اسْتِكْبَارِهِ وَتَرْكِهِ السُّجُودَ

(١) الحرب - بالتحريك - : سلب المال ، والعطب : الهلاك .

(٢) أي : قائمون على ساق استعداداً لما ينتظرون من آجالهم ، والسياق : مصدر « ساق فلاناً » إذا أصاب ساقه ، مثل « رأسه » إذا أصاب رأسه ، و « جلده » أي : أصاب جلده ، و « رآه » أي أصاب رثته ، و « وجهه » أي : أصاب وجهه ، وهذه الأفعال كلها مفتوحة العين ، أي : ولا يلبثون أن يضربوا على سوقهم فينكبوا للموت على وجوههم ، أو هو السياق بمعنى الشروع في نزع الروح ، من « ساق الریض سيقاً » واللاحق : للماضين ، والفراق : للباقيين .

(٣) من « قصع فلان فلاناً » أي : حقره ؛ لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين ؛ =

لَا دَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْعَصِيَّةَ (١) وَتَبَعَ الْحِمِيَّةَ ،
وَتَحْذِيرَ النَّاسِ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقَتِهِ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ الْعِزُّ وَالْكَبْرِيَاءُ ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ
خَلْقِهِ ؛ وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ (٢) ، وَأَصْطَفَاهُمَا
لِجَلَالِهِ ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ . ثُمَّ اخْتَبَرَ
بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ لِيُمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ،
فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ :
﴿ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي
فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾
اعْتَرَضَتْهُ الْحِمِيَّةُ فَأَفْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ ،
فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ
أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِذَاءَ الْجَبَرِيَّةِ ؛ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ،
وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّنَذُّلِ .

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبِيرِهِ ؟ وَوَضَعَهُ اللَّهُ بِتَرْفَعِهِ

= أو من « قصع الماء عطشه » إذا أزاله ، لأن سامعها لو كان متكبراً ذهب تأثيرها
بكبيرة كما يذهب الماء بالعطش .

(١) العصية : الاعتزاز بالعصبة ، وهي قوم الرجل الذين يدافعون عنه ، واستعمال
قوتهم في الباطل والفساد ؛ فهي هنا عصية الجهل ، كما أن الحمية حمية
الجاهلية . أما التناصر في الحق والحمية عليه فهو أمر محمود في جميع أحواله .
والكبر على الباطل تواضع للحق .

(٢) الحمى : ما حميته عن وصول الغير إليه والتصرف فيه . وفي الحديث : « الا وإن
لكل ملك حمى ، وحمى الله محارمه » .

فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْهُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا ؟

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ،
وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رَوَاؤُهُ ، وَطِيبُ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ ، وَلَوْ
فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاصِيعَةً ، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوعُ فِيهِ عَلَى
الْمَلَائِكَةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - ابْتَلَى خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ
أَصْلَهُ تَمَيِّزًا بِالِاخْتِيَارِ لَهُمْ ، وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَادًا
لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ .

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ ؛ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ
الطُّوِيلَ ، وَجَهَدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبْدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا
يُذَرِّي أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ،
فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ؟ كَلَّا ! مَا كَانَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أُخْرِجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا ، إِنَّ
حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ
أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَّةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ .

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ^(١) ، وَأَنْ
يَسْتَفْزِكُمْ بِنَدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ

(١) « أن يعديكم بدائه » أي : أن يصيبكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يعدي الأجرس
السليم ، والضمير لابليس ، ويستفذككم : يستنهضكم لما يريد ، فإن تباطأتم عليه
أجلب عليكم بخيله - أي : ركبانه - ورجله - أي : مشاته - والمراد أعوان السوء .

فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ^(١) ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ^(٢) وَقَالَ : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ قَذْفًا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمًا بِظَنِّ مُصِيبٍ ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحِمِيَّةِ^(٣) وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا أَنْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ^(٤) ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنْ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الدُّلِّ ، وَأَحْلُوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ : طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا^(٥) وَأَوْرَى فِي

(١) النزاع في القوس : مدها ، وأغرق النازع : إذا استوفى مد قوسه .

(٢) لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم .

(٣) صدق إبليس في توعد بني آدم بالإغواء ؛ أولئك الغشماء أبناء الحمية الجاهلية .

(٤) أي : استعان ببعضكم على من لم يطعه منكم ، وهو المراد بالجامحة .

والطماعية : الطمع . وقوله « فنجمت الخ » أي : بعد أن كانت وسوسة في الصدور وهمساً في القول ظهرت إلى المجاهرة بالنداء ورفع الأيدي بالسلاح . ودلفت الكتبية في الحرب : تقدمت ، وأفحموكم : أدخلوكم بغتة ، والولجات : جمع ولجة - بالتحريك - وهي كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه ، « أوطأه » : أركبه ، وإثخان الجراحة : المبالغة فيها ، أي أركبوكم الجراحات البالغة ، كناية عن إشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا . والخزائم : جمع خزامة - ككتابة - وهي حلقة توضع في وتر أنف البعير فيشد فيها الزمام .

(٥) فأصبح : أي إبليس ، ويروي « فأصبحتم أعظم في دينكم حرجاً » وقوله « وأورى -

الخ » أي : أشد قدحاً للنار في دنياكم لاتلافها . وعلى الجملة فهو أضر عليكم

دُنْيَاكُمْ قَدْحًا ، مِنْ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ ، وَعَلَيْهِمْ
 مُتَالِبِينَ ؛ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جَدُّكُمْ ! فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَّرَ
 عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ فِي حَسْبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ؛ وَأَجْلَبَ
 بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ : يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ،
 وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ
 فِي حَوْمَةٍ ذُلٍّ ؛ وَحَلَقَةٍ ضَيْقٍ ؛ وَعَرَصَةٍ مَوْتٍ ، وَجَوْلَةٍ بَلَاءٍ . فَأَطْفِئُوا
 مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ فَإِنَّمَا
 تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ،
 وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ^(١) وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ ، وَإِلْقَاءِ
 التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلَعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ، وَاتَّخِذُوا
 التَّوَاضُّعَ مَسْلَحَةً^(٢) بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ فِي
 كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا ، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا . وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى
 ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعِظَمَةُ
 بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ
 الْغَضَبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ
 بِهِ النَّدَامَةَ ، وَالزَّمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

= بوساوسه من إخوانكم في الانسانية الذين أصبحتم لهم مناصبين ؛ أي : مجاهرين
 لهم بالعداوة ، ومتألبين : أي مجتمعين .

(١) النخوة : التكبر والتعظيم . والنزغ بمعنى الفساد . والنفثة : النفخة .

(٢) المسلحة : الثغر يدافع العدو عنده ، والقوم ذوو السلاح .

أَلَا وَقَدْ أَمَعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ (١) وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ ،
 مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمَحَارَبَةِ ! فَاللَّهُ آتِلَهُ
 فِي كِبَرِ الْحِمِيَّةِ ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّانِ (٢) ، وَمَنَافِخُ
 الشَّيْطَانِ ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ ،
 حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ! وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ، ذُلًّا عَلَى
 سِيَاقِهِ سُلُوسًا فِي قِيَادِهِ ، أَمْرًا تَشَابَهَتْ أَلْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونَ
 عَلَيْهِ ، وَكَبُرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ .

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا
 عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقُوا الْهَجِينَ عَلَى رَبِّهِمْ ،
 وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً
 لَأَلَائِهِ ! فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ،
 وَسُيُوفُ اعْتِرَازِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ
 أَضْدَادًا ، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا ! وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ
 شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ بِصَحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ (٣) وَأَدْخَلْتُمْ

(١) أمعنتم : بالغتم . والمصارحة : التظاهر .

(٢) الملاقح : جمع ملقح كمكرم : الفحول التي تلقح الاناث وتستولد الأولاد ،
 والشنان : البغض .

(٣) الأدعياء : جمع دعي ، وهو من يتنسب إلى غير أبيه . والمراد منهم الأخساء
 المتسبون إلى الأشراف ، والأشرار المتسبون إلى الأخيار . و « شربتم بصفوكم
 كدرهم » أي : خلطوا صافي إخلاصكم بكدر نفاقهم ، وبسلامة أخلاقكم مرض
 أخلاقهم . والأحلاس : جمع حلس - بالكسر - : وهو كساء رقيق يكون على ظهر

فِي حَقِّكُمْ بَاطِلُهُمْ ؛ وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ ؛
 اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ ، وَجُنُوداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ ،
 وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِزْوَاقاً لِعُقُوبِكُمْ ، وَدُخُولاً فِي
 عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمِي نَبْلِهِ^(١) ، وَمَوْطِيءَ
 قَدَمِهِ ، وَمَأْخِذَ يَدِهِ . فَأَعْتَبَرُوا بِمَا أَصَابَ الْأَمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ
 قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمُثَلَّاتِهِ^(٢) ، وَاتَّعِظُوا
 بِمِثَالِي خُدُودِهِمْ^(٣) ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ . وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ
 لَوَاقِحِ الْكِبَرِ^(٤) كَمَا تَسْتَعِيدُونَ بِهِ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ ؛ فَلَوْ
 رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِمَا فِيهِ مِنْ أَنْبَاءِ
 وَأَوَّلِيَّائِهِ ، وَلَكِنَّهُ ، سُبْحَانَهُ ، كَرَهُ إِلَيْهِمُ التَّكَاثُرَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ
 التَّوَاضُّعَ ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ
 وَجُوهَهُمْ ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا أَقْوَاماً
 مُسْتَضْعَفِينَ ، وَقَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ ،

= البعير ملازماً له ، أو هو كساء تبسط تحت حر الثياب ، فقليل لكل ملازم لشيء هو
 حلسه ، وفي الحديث « كن حلس بيتك » أي : لا تبرحه ، والعقوق : العصيان .

(١) النبل - بالفتح - : السهام العربية ، وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها ، وقد
 جمعوها على نبال - كرجال - وأنبال .

(٢) المثلات - بفتح فضم - العقوبات .

(٣) مشاوي : جمع مشوى بمعنى المنزل ، ومنازل الخدود : مواضعها من الأرض بعد
 الموت ، ويروي « بمشاوي خلودهم » ، ومصارع الجنوب : مطارحها على التراب .

(٤) لواقح الكبر : محدثاته في النفوس .

وَأَمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَافِ ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ ، فَلَا تَعْتَبِرُوا الرُّضَا
وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ ، وَالْإِخْتِبَارِ فِي
مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالْإِقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ
أَنَّمَا نُمِذُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي
أَنْفُسِهِمْ ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ، عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَذَارِعُ الصُّوفِ ، وَيَأْيُذِيهِمَا الْعِصْيُ ،
فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ : « أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ
هَذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ
الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ ؟ ! » إِعْظَامًا
لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهَبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِيقَانِ ،
وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ
لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطُلَ الْجَزَاءُ ، وَأَضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ،
وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلَيْنِ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ
الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ
رُسُلَهُ أُولَى قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعْفَةٍ فِيِمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ
حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنَى ، وَخَصَاصَةٍ تَمَلُّ
الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى .

وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ ؛ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ^(١) ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ ، وَلَا مَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتْ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً ، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ ، وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ ، وَالْإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لِبَطَاعَتِهِ ؛ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةٌ ، لَا تُشَوِّبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ ، وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبُلُوى وَالْإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ ، كَانَتْ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ .

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ^(٢) ، وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ . فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجَرًا ، وَأَقْلَّ نَتَائِجِ الْأَرْضِ مَدْرًا . وَأَضْيَقَ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا ، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ،

(١) أي : أضعف تأثيراً في القلوب من جهة اعتبارها واتعاظها ، وأبعد للناس - أي : أشد : توغلاً بهم في الاستكبار - لأن الأنبياء يكونون قدوة في العظمة والكبرياء حيثئله . وقوله « فكانت النيات مشتركة » أي : لأن الإيمان لم يكن خالصاً لله ، بل أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة .

(٢) الأحجار : هي الكعبة ، والنتائج : جمع نتيقة ، هي البقاع المرتفعة . ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط منها من البلدان ، والمدر : قطع الطين اليابس ، أو العلك الذي لا رمل فيه ، وأقل الأرض مدرّاً لا ينبت إلا قليلاً .

وَرِمَالٍ دَمِيَّةٍ ، وَعُيُونٍ وَشَلَّةٍ ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ،
وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ . ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنَوَّعُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ ،
فَصَارَ مَثَابَةً لِمُتَجَعِّ أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةً لِمَلَقَى رِحَالِهِمْ . تَهْوِي إِلَيْهِ
ثِمَارُ الْأَفِيدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ . وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ ،
وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ ،
وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثًا غُبْرًا لَهُ ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ، آتِيَاءَ
عَظِيمًا ، وَآمِتِحَانًا شَدِيدًا ، وَآخِثَارًا مُبِينًا ، وَتَمَحِيصًا بَلِيغًا ، جَعَلَهُ
اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ . وَلَوْ أَرَادَ ، سُبْحَانَهُ ، أَنْ
يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ ، وَسَهْلٍ
وَقَرَارٍ ، جَمَّ الْأَشْجَارِ ، ذَانِي الثَّمَارِ ، مُلْتَفَّ الْبُنَى ، مُتَّصِلِ
الْقَوَى ، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمَرَاءَ ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ مُحَدِّقَةٍ ،
وَعِرَاصٍ مُغْدَقَةٍ ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ؛ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ
قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ ، وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ
عَلَيْهَا ، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْقُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرَدَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيَاقُوتَةٍ
حُمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ ؛ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُسَارَعَةَ الشُّكِّ فِي الصُّدُورِ ،
وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ
النَّاسِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ
بِأَنْوَاعِ الْمُجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبِيرِ مِنْ
قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفْسِهِمْ ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا مُفْتَحًا
إِلَى فَضْلِهِ ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ .

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ ؛ فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى ، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ ، فَمَا تُكْذِبُ أَبَدًا ، وَلَا تُشْوِي أَحَدًا ، لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقِلًّا فِي طَمَرِهِ ، وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَّاتِ ، وَمُجَاهِدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ ، تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ ، وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيزًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَابًا لِلْخِيَلَاءِ عَنْهُمْ ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالثَّرَابِ تَوَاضِعًا ، وَالتَّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا ، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلًا ، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ .

انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبَرِ .

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجَهْلَاءِ ، أَوْ حُجَّةَ تَلِيْطِ بَعْضِ السُّفَهَاءِ ، غَيْرَكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ : أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ . فَقَالَ : « أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ » وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتَرْفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ ؛ فَقَالُوا : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ .

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعْصِبُكُمْ لِمَكَارِمِ
 الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا
 الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ بَيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ
 الرُّغِيَّةِ ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ
 الْمَحْمُودَةِ . فَتَعْصِبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ : مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ ، وَالْوَفَاءِ
 بِالذُّمَامِ ، وَالطَّاعَةِ لِلْبَرِّ ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبِيرِ ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ ،
 وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ،
 وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأَمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ ،
 وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ ، وَاحْذَرُوا أَنْ
 تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ .

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالِيهِمْ ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتْ الْعِزَّةُ
 بِهِ شَأْنُهُمْ وَزَاوَتْ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ ،
 وَأَنْقَادَتِ النُّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتْ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ : مِنْ
 الْاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ ، وَاللُّزُومِ لِلْأَلْفَةِ ، وَالتَّحَاضُّ عَالِيهَا ، وَالتَّوَاصِي
 بِهَا ، وَاجْتِنَابِ كُلِّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ، وَأَوْهَنَ مُنْتَهُمَ : مِنْ تَضَاغُنِ
 الْقُلُوبِ ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي ،
 وَتَدَبُّرِ أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ : كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ
 التَّمَحِيصِ وَالْبَلَاءِ ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ
 بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً ؟ أَتَخَذْتُهُمْ الْفَرَاعِنَةَ عَيْدًا ،

فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ ، وَقَهَرِ الْغَلَبَةِ : لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعِ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعِ ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ ، وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ ؛ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا ، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا ، وَأَيْمَةً أَعْلَامًا ، وَقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأُمَلَاءُ مُجْتَمِعَةً ^(١) ، وَالْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً ، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً ؟ ! أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ ^(٢) وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ؟ ؟ فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ الْأَلْفَةُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفِيدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ ^(٣) وَبَقِيَ قِصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ .

وَأَعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ -

(١) الأملاء : جمع ملأ ، بمعنى الجماعة والقوم . والأيدي المترادفة : المتعاونة .

(٢) أرباباً : سادات .

(٣) غضارة النعمة - كسحابة - سعتها ، وقصص الأخبار : حكايتها وروايتها .

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالِ الْأَحْوَالِ (١) ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ
الْأَمْثَالِ !!!

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِيهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، لِيَالِي كَانَتْ
الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ (٢) وَبَحْرِ
الْعِرَاقِ ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا ، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ (٣)
وَنَكْدِ الْمَعَاشِ ، فَتَرْكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ وَوَبْرٍ (٤) أَذَلَّ
الْأَمَمِ دَاراً ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً ، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ
بِهَا (٥) وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا ، فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ،
وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءٍ أَزَلٍ (٦) وَأَطْبَاقِ
جَهْلٍ ، مِنْ بَنَاتِ مَوْءُودَةٍ (٧) وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ،
وَعَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ .

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ

(١) الاعتدال هنا : التناسب ، والاشتباه : التشابه .

(٢) يحتازونهم : يقبضونهم عن الأراضي الخصبة .

(٣) المهافي : المواضع التي تهفو فيها الرياح - أي : تهب - والنكد - بالتحريك - أي :
الشدة والعسر .

(٤) الدبر - بالتحريك - القرحة في ظهر الدابة . والوبر : شعر الجمال . والمراد أنهم
رعاة .

(٥) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأوون إليه ويعتصمون بمناصرة دعوته .

(٦) « بلاء أزل » على الإضافة ، والأزل - بالفتح - : الشدة .

(٧) من « وأد بنته » كوعد - أي : دفنها وهي حية ، وكان بنو إسماعيل من العرب
يفعلون ذلك ببنايتهم . وشن الغارة عليهم : صلبها من كل وجه .

رَسُولاً^(١) فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أَلْفَتَهُمْ ، كَيْفَ
 نَشَرَتِ النُّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نِعِيمِهَا ،
 وَالْتَفَتِ أَلْمَلَةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا^(٢) ، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا
 غَرِيقِينَ ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ^(٣) ؟ قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ^(٤)
 فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ ، وَأَوْتَهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزٍّ غَالِبٍ ،
 وَتَعَطَّطَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ : يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ
 كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ ، وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ ،
 لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاءُ^(٥) ، وَلَا تُقَرَّعُ لَهُمْ صَفَاةٌ !!

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ؛ وَثَلَمْتُمْ
 حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ^(٦) ، وَإِنَّ اللَّهَ -
 سُبْحَانَهُ - قَدْ آمَنَنَّ عَلَى جَمَاعَةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ
 هَذِهِ الْأَلْفَةِ : الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا بِنِعْمَةٍ لَا

(١) هو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) يقال « التف الحبل بالحطب » إذا جمعه ، فملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
 جمعتهم بعد تفرقهم وجعلتهم جميعاً في بركاتها العائدة إليهم .

(٣) راضين طيبة نفوسهم .

(٤) تربعت : أقامت .

(٥) هذا وما بعده كناية عن القوة والامتناع من الضيم ، والقناة : الرمح ، وغمزها :
 جסהا باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم والتعديل فيفعل بها ذلك . والصفاء :
 الحجر الصلد ، وقرعها : صدمها لتكسر .

(٦) ثلتمت : بخرقتم . وقوله « بأحكام الجاهلية » متعلق بثلتمت .

يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً ؛ لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ ،
وَأَجَلٌ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَغْرَاباً^(١) ، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ
أَحْزَاباً ، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ
الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ !!

تَقُولُونَ « النَّارَ وَلَا الْغَارَ » ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِشُوا
الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ أَنْتَهَاكَ لِحَرِيمِهِ ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ^(٢) الَّذِي وَضَعَهُ
اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى
غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا
مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارُ يَنْصُرُونَكُمْ ، إِلَّا الْمُقَارَعَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ
اللَّهُ بَيْنَكُمْ .

وَإِنْ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ
وَوَقَائِعِهِ ، فَلَا تَسْتَبِطُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ ، وَيَأْسًا
مِنْ بَأْسِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلَعَنَ اللَّهُ
السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي ، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي .

(١) أي : صرتم من أعراب البادية الذين يكتفي في إسلامهم بذكر الشهادتين ؛ وإن لم
يخالط الإيمان قلوبهم ، بعد أن كنتم من المهاجرين الصادقين ، والموالاة :
المحبة ، والأحزاب المتفرقون : المتقاطعون .

(٢) هو ميثاق الأخوة الدينية .

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ ، وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ ، وَأَمْتُمْ
أَحْكَامَهُ ، أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكَثِ وَالْفُسَادِ
فِي الْأَرْضِ . فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ
جَاهَدْتُ ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفَيْتُهُ
بِصُعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجَبَةٌ قَلْبِهِ ، وَرَجَّةٌ صَدْرِهِ ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ
أَهْلِ الْبَغْيِ ، وَلَئِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلِنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا
يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا .

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَالِكِلِ الْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ
الْقُرُونِ رَبِيعَةً وَمُضَرَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعَنِي
فِي حَجَرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ،
وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشْمِنِي عَرْفُهُ^(١) ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ
يُلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ^(٢) ،
وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا
أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ؛ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ
أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعُ الْفَصِيلِ أَثَرِ
أُمِّهِ^(٣) يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ

(١) عرفه - بالفتح - : رائحته الذكية .

(٢) الخطلة : واحدة الخطل ، كالفرحة واحدة الفرح ، والخطل : الخطأ ينشأ من عدم
الروية .

(٣) الفصيل : ولد الناقة .

بِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ^(١) ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ
غَيْرِي ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَخَدِيجَةَ ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ
وَالرَّسَالَةِ ، وَأُشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الرَّنَةُ ؟
فَقَالَ : « هَذَا الشَّيْطَانُ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ،
وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى
خَيْرٍ » . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنَ
قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ قَدْ أَدْعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدْعِهِ
أَبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ
وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ
كَذَّابٌ . فَقَالَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا : تَدْعُو لَنَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرْوِقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَقَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ
لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي
سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيثُونَ إِلَى خَيْرٍ ، وَإِنْ
فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ ، وَمَنْ يُحَزَّبُ الْأَحْزَابَ ، ثُمَّ قَالَ

(١) حراء - بكسر الحاء - : جبل على القرب من مكة . كان الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم يتعبد فيه قبل البعثة .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ ، إِنَّ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَأَنْقِلِي بِعُرْوِكَ حَتَّى تَقِفِي
بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ . وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوِقِهَا وَجَاءَتْ
وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصَفُ كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ
يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مُرْفِرَةً ، وَأَلْقَتْ
بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ،
وَبَعْضُ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا : فَمُرَهَا
فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا
كَأَعَجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّ دَوِيٍّ ، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا : فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى
نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ، فَأَمَرَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَرَجَعَ فَقُلْتُ
أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوَّلُ
مَنْ أَقْرَبَ بَانَ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِيقًا بِنُبُوتِكَ
وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ! عَجِيبُ
السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا؟!
(يَعْنُونِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ :
سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَا الصَّادِقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ ، عُمَارُ اللَّيْلِ
وَمَنَارُ النَّهَارِ^(١) ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ ، يُحْيُونَ سُنْنَ اللَّهِ وَسُنْنَ

(١) عمار : جمع عامر ، أي : يعمرونه بالسهر للفكر والعبادة .

رَسُولِهِ ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ وَلَا يَغْلُونَ^(١) ، وَلَا يُفْسِدُونَ :
قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٩١

رَوِيَ أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُقَالُ لَهُ :
هَمَّامٌ . كَانَ رَجُلاً عَابِداً ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، صِفْ لِي
الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ! فَتَثَاقَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جَوَابِهِ ، ثُمَّ
قَالَ : يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ
هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿ فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَحَمِدَ
اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ
خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ
مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ
مَعَاشِهِمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ
الْفَضَائِلِ : مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ^(٢) ، وَمَشْيُهُمْ

(١) يغلون : يخونون ، وفي التنزيل : ﴿ومن يغلل يأت بما غل﴾ يقال : غل في المغنم
يغل غلواً فهو غال ، وكل من خان خفية فقد غل ، وسميت غلواً لأن الأيدي فيها
مغلولة أي : ممنوعة ؛ مجعول فيها غل ، وهو الحديد التي تجمع يد الأسير إلى
عنقه ، وتسمى جامعة أيضاً - والأحاديث التي فيها لفظ الغلول كثيرة اهـ .

(٢) «ملبسهم - الخ» أي : لا يأتون من شهواتهم إلا بقدر حاجاتهم في تقويم حياتهم ،
فكان الاتفاق كثوب لهم على قدر أبدانهم ، لكنهم يتوسعون في الخيرات .

التَّوَّاضِعُ ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرِّخَاءِ^(١) ، وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ ، عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصْغَرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا^(٢) فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ : قُلُوبُهُمْ مُحْزَوْنَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ^(٣) ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرَبِّحَةٌ^(٤) يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا ، وَأَسَرَّتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلًا ، يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَسْتَشِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ^(٥) ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا ، وَتَطَلَّعَتْ نَفْسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصَبٌ أَعْيَنُهُمْ ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ

(١) « نزلت إلى - الخ » أي إنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله كأنهم كانوا في رخاء ، لا يجزعون ولا يهنون ، وإذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله وحذر النعمة كأنهم في بلاء ، لا يبطرون ولا يتجبرون .

(٢) أي : هم على يقين من الجنة والنار كيقين من رآهما ، فكأنهم في نعيم الأولى وعذاب الثانية ، رجاء وخوفاً .

(٣) نحافة أجسادهم من الفكر في صلاح دينهم والقيام بما يجب عليهم .

(٤) يقال « أربحت التجارة » إذا أفادت ربحاً .

(٥) استشار الساكن : هيجه ، وقارئ القرآن يستشير به الفكر الماحي للجهل ، فهو دواؤه .

أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي
أُصُولِ آذَانِهِمْ^(١) ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَرِشُونَ لِجَبَاهِهِمْ
وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَعْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي
فَكَكَ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءَ ، أَبْرَارُ أَتَقِيَاءَ ، قَدْ بَرَاهُمْ
الْخَوْفُ بَرَى الْقِدَاحَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى ، وَمَا
بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ، وَيَقُولُ قَدْ خَوْلَطُوا ، وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ
عَظِيمٌ : لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ ،
فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ
خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ ! فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ؛ وَرَبِّي
أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ
مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عِلَامَةِ أَحَدِهِمْ : أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَحَزْماً فِي
لَيْنٍ ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ ، وَجَرِصاً فِي عِلْمٍ ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ ،
وَقَصْداً فِي غِنَى ، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ ، وَصَبْراً
فِي شِدَّةٍ ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى ، وَتَحَرُّجاً عَنْ
طَمَعٍ ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ ، يُمَسِّي وَهْمُهُ
الشُّكْرَ وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ ، يَبِيتُ حَذِيراً ، وَيُصْبِحُ فَرِحاً : حَذِيراً

(١) زفير النار : صوت توقدها ، وشهيقها الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء أو نهيق
الحمار ، أي : إنهم من كمال يقينهم بالنار يتخيلون صوتها تحت جدران آذانهم ،
فهم من شدة الخوف قد حنوا ظهورهم وسلطوا الانحناء على أوساطهم . وفكك
الرقاب : خلاصها .

لَمَّا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَفَرِحَ بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِنْ
أَسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ ، قُرَّةُ
عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْزُجُ الْجِلْمَ بِالْعِلْمِ ،
وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً
نَفْسُهُ ، مَنُزُوراً أَكْلُهُ ، سَهلاً أَمْرُهُ ، حَرِيزاً دِينُهُ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ ،
مَكْظُوماً غَيْظُهُ ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ ، إِنْ كَانَ فِي
الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبَ مِنَ
الْغَافِلِينَ ، يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ
قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ ، لَيِّنًا قَوْلُهُ ، غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ،
مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُذْبِراً شَرُّهُ ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ ، وَفِي الْمَكَارِهِ
صَبُورٌ ، وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ ، لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْتُمُّ
فِيمَنْ يُحِبُّ ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضِيعُ مَا
أَسْتَحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ
بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَلَا
يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ
يَعْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ
لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتَعَبَ نَفْسُهُ
لَاخِرَتِهِ ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعِثَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ
وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ
وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قَالَ : فَصَعَقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا ، فَقَالَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَهَكَذَا تَصْنَعُ
الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بِأَلْكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ ، وَسَبَبًا لَا
يَتَجَاوِزُهُ ، فَمَهْلًا لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا ؛ فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى
لِسَانِكَ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٩٦

يُصِفُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَدَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ،
وَنَسْأَلُهُ لِمَنْتِهِ تَمَامًا ، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَامًا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ : خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ
غُصَّةٍ ، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَذْنُونُ ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ ، وَخَلَعَتْ
إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْنَتَهَا وَضَرَبَتْ لِمَحَارِبَتِهِ بُطُونٌ رَوَّاحِلَهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ
بِسَاحَتِهِ عُذْوَانَهَا : مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ ، وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ .

أَوْصِيَكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ؛
فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ؛ وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ : يَتَلَوَّنُونَ الْوَانَاءَ ،
وَيَقْتَتُونَ أَفْتِنَانًا ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ، وَيَرْصِدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ ،

قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ ، وَيَمْشُونَ الْخَفَاءَ ، وَيَدِبُونَ
الضَّرَاءَ . وَصَفُّهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمْ آدَاءٌ أَلْعِيَاءَ ،
حَسَدَةُ الرَّخَاءِ ، وَمُؤَكَّدُو أَلْبَاءِ ؛ وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ
صَرِيحٌ ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ؛ وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ ، يَتَقَارِضُونَ
الْثَنَاءَ ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ إِنْ سَأَلُوا الْحَفَا ، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا ،
وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ
مَائِلًا ، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ
مِصْبَاحًا . يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ،
وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ . يَقُولُونَ فَيَشْبَهُونَ ، وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ ، قَدْ
هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ ؛ فَهُمْ لُئِمَةُ الشَّيْطَانِ ، وَحُمَةُ
النَّيْرَانِ : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴾ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٩٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ ، وَجَلَّالِ كِبَرِيَّائِهِ
مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ
النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ
إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِدْعَانٍ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ ،
فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلخَلْقِ ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ

بِالْقَصْدِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .
وَأَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ
هَمَلًا . عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ،
فَاسْتَفْتَحُوهُ ، وَاسْتَنْجِحُوهُ ، وَأَطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنَحُوهُ ، فَمَا قَطَعَكُمْ
عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي
كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ ، لَا يَثْلُمُهُ الْعَطَاءُ ، وَلَا
يَنْقُصُهُ الْجَبَاءُ ، وَلَا يَسْتَفِدُّهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَلَا يَلْوِيهِ
شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِمُهُ صَوْتُ عَنْ صَوْتٍ ، وَلَا تَحْجُزُهُ
هَبَّةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تُؤْلَهُهُ رَحْمَةٌ
عَنْ عِقَابٍ ، وَلَا يُجْنُهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ
الْبُطُونِ . قَرَبَ فَنَائِي ، وَعَلَا فِدْنَا ، وَظَهَرَ فَبْطَنٌ ، وَبَطَنَ فَعَلَنٌ ،
وَدَانَ وَلَمْ يُدَنَّ ، لَمْ يَذَرِ الْخَلْقَ بِاخْتِيَالٍ ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ
لِكَلَالٍ .

أَوْصِيَكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَالْقَوَامُ ،
فَتَمَسَّكُوا بِوُثَائِقِهَا ، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا ؛ تَوَلَّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ
الدَّعَةِ ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ ، وَمَعَاوِلِ الْحَرَزِ ، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ ، فِي يَوْمٍ
تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتُظْلِمُ الْأَقْطَارُ ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ ،
وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ؛ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ، وَتَذِلُّ
الشُّمُّ الشَّوَامِخُ ، وَالصُّمُّ الرُّوَاسِخُ ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا رَقْرَقًا ،
وَمَعْهَدُهَا قَاعًا سَمْلَقًا ، فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ ، وَلَا حَمِيمَ يَدْفَعُ ، وَلَا
مَعْدِرَةَ تَنْفَعُ .

ومن خطبة له عليه السلام

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٌ ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ ، وَلَا مَنَهْجٌ وَاضِحٌ ،
أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهَا دَارُ
شُخُوصٍ وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصُ ، سَاكِنُهَا ظَاغِنٌ ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ ^(١) ، تَمِيدُ
بِأَهْلِهَا مِيدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبَحَارِ ^(٢) ،
فَمِنْهُمْ الْغَرِيقُ الْوَبِقُ ^(٣) ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ ،
تَحْفِزُهُ الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا ، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ
بِمُسْتَدْرِكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ !!

عِبَادَ اللَّهِ ، آلَانَ فَاعْلَمُوا ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالْأَبْدَانُ
صَحِيحَةٌ ، وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ ^(٤) ، وَالْمُنْقَلَبُ فَيَسِيحٌ ، وَالْمَجَالُ
عَرِيضٌ ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ ^(٥) ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ

(١) بائس : مبتعد منفصل .

(٢) تميد : تضطرب اضطراب السفينة ، تقصفها - أي : تكسرها - الرياح الشديدة .

(٣) الوبق - بكسر الباء - : الهالك ، أي : منهم من هلك عند تكسر السفينة ، ومنهم
من بقيت فيه الحياة فخلص محمولاً على بطون الأمواج ، كأن الأمواج في انتفاخها
كالحيوان المنقلب على ظهره ويطنه لأعلى ، و « تحفزه » أي : تدفعه ، ومصير هذا
الناجي أيضاً إلى الهلاك بعد طول العناء .

(٤) اللدن - بالفتح - اللين ؛ أي : والأعضاء في لين الحياة يمكن استعمالها في
العمل ، والمنقلب - بفتح اللام - مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى في هذه
الحياة .

(٥) أرهقه الشيء ؛ أعجله فلم يتمكن من فعله ، والفوت : ذهاب الفرصة بحلول
الأجل .

نَزُولُهُ ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ !

١٩٥

ومن كلام له عليه السلام

وفاة النبي

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^(١) ، أَنِّي لَمْ أُرِدْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُ ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ^(٢) وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا^(٣) .

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ رَأْسُهُ لَعَلَى صَدْرِي ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي ، فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِي^(٤) ، وَلَقَدْ وُلِّتُ غُسْلَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ^(٥) ، مَلَأَ يَهْبِطُ وَمَلَأَ

(١) المستحفظون - بفتح الفاء - اسم مفعول ، أي : الذين أودعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمانة سره وطالبهم بحفظها ، و « لم يردد على الله ورسوله » . لم يعارضهما في أحكامهما .

(٢) المواساة بالشيء : الاشتراك فيه ، فقد أشرك النبي في نفسه ، ولا تكون بالمال إلا أن يكون كفافاً ، فإن أعطيت عن فضل فليس بمواساة . قالوا : والفصيح في الفعل « آسيته » ولكن نطق الامام حجة .

(٣) النجدة - بالفتح - الشجاعة ، ونصبها هنا على المصدرية لفعل محذوف .

(٤) نفسه : دمه . روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاء في مرضه دمًا يسيراً فتلقى قيأه أمير المؤمنين في يده ومسح به وجهه .

(٥) ضجيج الدار : كان بالملائكة النازلين والعارجين ، والأفنية : جمع فناء - بكسر الفاء - وهو ما اتسع أمام الدار .

يَعْرُجُ ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ ^(١) يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْيَحِهِ ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟! فَاَنْفُذُوا عَلَيَّ بَصَائِرِكُمْ ^(٢) ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةٍ أَلْبَاطِلِ ^(٣) ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

ومن خطبة له عليه السلام

١٩٦

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي أَلْفَلَوَاتٍ ، وَمَعَاصِي الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَاخْتِلَافَ النَّيَّانِ فِي الْبَحَارِ الْغَامِرَاتِ ^(٤) ، وَتَلَاطُمَ أَلْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ ^(٥) ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوُهُ

(١) الهيئمة : الصوت الخفي .

(٢) البصيرة : ضياء العقل ، كأنه يقول . فاذهبوا إلى عدوكم محمولين على اليقين الذي لا ريب فيه .

(٣) المزلة : مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة ، وتقول : زل في طين أو منطق يزل - بكسر الزاي في المضارع - زليلاً ، وقال الفراء : زل يزل - بالفتح - زليلاً ، والاسم الزلة - بالفتح - واستزله غيره وأزله .

(٤) النينان : جمع نون ، وهو الحوت ، وفي التنزيل : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ نَادَى رَبَّهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ وفسر بعضهم به قوله تعالى : ﴿نَ، والقلم وما يسطرون﴾ وهو قول بعيد .

(٥) النجيب : المختار المصطفى .

قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ ^(١) ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْتِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجَلَاءُ غِشَاءِ أَبْصَارِكُمْ ، وَأَمْنُ فَرَعِ جَأَشِكُمْ ^(٢) ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلُمَتِكُمْ ، فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِئَارِكُمْ ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلاً لِحَيِّينَ وَرُودِكُمْ ، وَشَفِيعاً لِدَرْكِ طَلَبَتِكُمْ ، وَجَنَّةً لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكناً لَطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفْساً لِكُرْبِ مَوَاطِنِكُمْ ؛ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ جِرٌّ مِنْ مَتَالِفِ مُكْتَنِفَةٍ ، وَمَخَافُفِ مُتَوَقِّعَةٍ ، وَأَوَارِ نِيرَانِ مُوقَدَةٍ . فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوءِهَا ، وَأَحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأُمُوجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأُسْهِلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا ، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْدَاذِهَا .

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَآمَنْتَ عَلَيْهِ بِنِعْمَتِهِ ، فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَآخِرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

(١) مرمى الفزع : ما يدفع إليه الخوف ، وهو الملجأ ، أي : وإليه ملاجئ خوفكم .

(٢) الجأش : ما يضطرب في القلب عند الفزع أو التهيب أو توقع المكروه ، ويقال : فلان رابط الجأش ، إذ كان لا يضطرب ولا يفزع .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ،
وَأَصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ ، وَأَصْفَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى
مَحَبَّتِهِ ، أَذَلَّ الْأَذْيَانَ بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ
بِكِرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ مُحَادِّثِهِ بِنَصْرِهِ ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ ،
وَسَقَى مَنْ عَطَشَ مِنْ حَيَاضِهِ ، وَأَتَقَ الْحِيَاضَ لِمَوَاتِحِهِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ
لَا أَنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا أَنْهْدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا
زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا أَنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا أَنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلَا عَفَاءَ
لِشَرَائِعِهِ ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ لِمُطَرِّقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةَ
لِسُهُولَتِهِ ، وَلَا سَوَادَ لِيَوْضَحِهِ ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ فِي
عُودِهِ ، وَلَا وَعْثَ لِفَجِّهِ ، وَلَا أَنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلَا مَرَارَةَ
لِحَلَاوَتِهِ . فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاحٍ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا^(١) ، وَثَبَّتَ لَهَا
أُسُسَهَا ، وَبَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا ، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ، وَمَنَارُ
أَقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا^(٢) ، وَأَعْلَامُ قُصِدَ بِهَا فَجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوَى
بِهَا وَرَادُهَا : جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ، وَسَنَامَ
طَاعَتِهِ ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ ، مُنِيرُ

(١) أساخ : أثبت ، وأصل « اساخ » غاص في لين وخاض فيه . والأسناخ : الأصول ،
وغزرت : كثرت ، وشبت النار : ارتفعت من الإيقاد .

(٢) المنار : ما ارتفع لتوضع عليه نار يهتدى إليها ، والسفار - بضم فتشديد - ذوو
السفر ، أي : يهتدى إليها المسافرون في طريق الحق ، والأعلام : ما يوضع على
أوليات الطرق أو وسطها ليدل عليها ، فهو هدايات بسببها قصد السالكون طرقها .

الْبَرْهَانِ ، مُضِيءُ النِّيرَانِ ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ (١) ،
مُعْزِزُ الْمَشَارِ ، فَشَرُّوهُ ، وَاتَّبِعُوهُ ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ ، وَضَعُوهُ
مَوَاضِعَهُ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ،
بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاقُ .
وَأَظْلَمَتْ بِهَجَّتِهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ ، وَخَشَنَ
مِنْهَا مِهَادٌ ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ ، فِي أَنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا ، وَأَقْتِرَابٍ مِنْ
أَشْرَاطِهَا ، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَنْفِصَامٍ مِنْ حَلَقَتِهَا ، وَأَنْتِشَارٍ مِنْ
سَبَبِهَا ، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا ، وَتَكْشُفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا ، وَقِصَرٍ مِنْ
طُولِهَا . جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ
زَمَانِهِ ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ .

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجًا لَا
يَخْبُو تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ ، وَشُعَاعًا
لَا يُظْلِمُ ضَوْوُهُ ، وَفُرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بُرْهَانُهُ ، وَتَبْيَانًا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ ،
وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ
أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ ، وَبِنَايِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ ،
وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ ، وَأَثَافِيُ الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ
وَعِيطَانُهُ . وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ ، وَعُيُونٌ لَا يَنْضِبُهَا الْمَلَاتِحُونَ ،

(١) مشرف المنار : مرتفعه ، وأعوزه الشيء : احتاج إليه فلم ينله ، والمشار : مصدر
من « ثار الغبار » إذا هاج ، أي : لو طلب أحد إثارة هذا الدين لما استطاع لثباته .

وَمَنَاهِلٌ لَا يُغِيضُهَا الْوَارِدُونَ ، وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهَجُهَا
 الْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلَامٌ لَا يَغْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ ، وَأَكَامٌ لَا يَجُورُ عَنْهَا
 الْقَاصِدُونَ ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ
 الْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجٍّ لِمَطَرِ الصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُورًا
 لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ، وَحَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ ، وَعِزًّا
 لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنْ أَتَتْهُ بِهِ ، وَعُذْرًا لِمَنْ
 انْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلَجًا
 لِمَنْ حَاجَّ بِهِ^(١) ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً
 لِمَنْ تَوَسَّسَ ، وَجَنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَ^(٢) ، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى ، وَحَدِيثًا
 لِمَنْ رَوَى ، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى .

ومن كلام له عليه السلام

١٩٧

كان يوصي به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَأَسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ،
 وَتَقَرَّبُوا بِهَا ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ، أَلَا تَسْمَعُونَ
 إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا :

(١) الفلج - بالفتح - : الظفر والفوز ، وباب فعله نصر .

(٢) الجنة - بالضم - : ما به يتقى الضرر ، و « استلام » أي لبس اللأمة ، وهي الدرع
 أو جميع أدوات الحرب ، أي : إن من جعل القرآن لأمة حربنه لمدافعة الشبه
 والتوقي من الضلالة كان القرآن وقاية له .

لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ . وَإِنَّهَا لَتَحْتَ الذُّنُوبِ حَتَّ الْوَرَقِ (١)
وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبْقِ (٢) ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالْآلِ وَسَلَّمَ بِالْحَمَةِ (٣) تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي
الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟!
وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ
مَتَاعٍ ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ . يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ :
﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ،
نَصَبًا بِالصَّلَاةِ (٤) بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ :
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ ، وَيَصْبِرُ
عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ،
فَمَنْ أَعْطَاهَا ، طَيَّبَ النَّفْسَ بِهَا ، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنْ
النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً . فَلَا يُتَبَعْنَهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ (٥) ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا

(١) حَتَّ الْوَرَقِ عَنْ الشَّجَرَةِ : قَشَرَهُ .

(٢) الرَّبْقُ - بِالْكَسْرِ - : حَبْلٌ فِيهِ عِدَّةُ عُرَى كُلِّ مِنْهَا رِبْقَةٌ ، أَيْ : إِطْلَاقُ الْحَبْلِ مِمَّنْ
رَبَطَ بِهِ ، فَكَانَ الذُّنُوبُ رِبْقٌ فِي الْأَعْنَاقِ وَالصَّلَاةُ تَفْكُهَا مِنْهَا .

(٣) الْحَمَةُ - بِالْفَتْحِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ - : كُلُّ عَيْنٍ تَنْبَعُ بِالمَاءِ الْحَارِّ يَسْتَشْفِي بِهَا مِنَ
الْعِلَلِ ، الدَّرَنِ : الْوَسْخُ . رَوَى فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
قَالَ « أَيْسَرُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِهِ حَمَةٌ يَغْتَسِلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَلَا
يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ » قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ : « إِنَّهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ » .

(٤) نَصَبًا - بَفَتْحٍ فَكَسْرٍ - أَيْ تَعَبًا .

(٥) أَيْ : مَنْ أَعْطَى الزَّكَاةَ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُهُ مَعَ مَا أَعْطَى تَعَلَّقًا بِهِ وَلَهْفًا عَلَيْهِ . إِذَا

لَهْفُهُ ؛ فَإِنْ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ ، مَغْبُونٌ الْأَجْرِ ، ضَالٌّ الْعَمَلِ ، طَوِيلُ النَّدَمِ .

ثُمَّ أَدَاءُ الْأَمَانَةِ ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ الْمَبِينَةِ ، وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ (١) ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا ، وَلَوْ أَمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَعَ ، وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَوْضَعُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ (٢) لُطْفَ بِهِ خُبْرًا ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ .

ومن كلام له عليه السلام

١٩٨

وَاللَّهُ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَذَى مِنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَغْدُرُ وَيَفْجُرُ ، وَلَوْلَا

= خدعه فأعطاه أقل مما أخذ منه ، وقد غبن - مبنياً للمجهول - فهو مغبون .

(١) المدحوة : المبسوطة .

(٢) « مقترفون » أي : مكتسبون ، والخبر - بضم الخاء - : العلم ، والله لطيف العلم بما يكسبه الناس ، أي : دقيقه ، كأنه ينفذ في سرائرهم كما ينفذ لطيف الجواهر في مسام الأجسام ، بل هو أعظم من ذلك . والعيان - بكسر العين - : المعاينة والمشاهدة وهو مصدر « عاين الأمر » إذا شاهده ورآه بعينه .

كَرَاهِيَّةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَى النَّاسِ ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ ،
وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ مَا
أَسْتَعْفَلَ بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا أَسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ (١) .

ومن كلام له عليه السلام

١٩٩

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ
النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعُهَا قَصِيرٌ (٢) ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسُ الرِّضَا وَالسُّخْطَ (٣) ، وَإِنَّمَا
عَقَرَ نَاقَةَ ثُمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا ،
فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ
خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ (٤) خُورَ السَّكَّةِ الْمُحَمَّاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَارَةِ .

(١) « لا أستغمز » - بالبناء للمجهول - أي : لا أستضعف بالقوة الشديدة ، والمعنى لا
يستضعفني شديد القوة ، والغمز - محرّكة - : الرجل الضعيف .

(٢) المائدة : هي مائدة الدنيا ، فلا تغرنكم رغباتها فتنضم بكم مع الضالين في
محبتها ، فذلك متاع قليل .

(٣) أي : يجمعانهم في استحقاق العقاب ، فإن الراضي بالمنكر كفاعله ، ومن لم يرض
عنه فهو به راض .

(٤) خارت : صوتت كخوار الثور ، والسكة المحمّاة : حديدة المحرّاث إذا أحميت في
النار ، فهي أسرع غوراً في الأرض الخوارة - أي : السهلة اللينة - وقد يكون لها صوت
شديد إذا كان في الأرض شيء من جذور النبات : يشتد الصوت كلما اشتدت
السرعة .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي الْتِيهِ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٠٠

رُوي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، كَالْمُنَاجِي بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ قَبْرِهِ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكَ ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ، قُلْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنْ لِي فِي التَّأْسِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ^(١) ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ ؛ مَوْضِعَ تَعَزُّ ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةُ ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرَمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسْهَدٌ^(٢) إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الْتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ ، وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى

(١) يريد بالتأسي : الاعتبار بالمثال المتقدم ، والفادح : المثل ، وتقول : فدحه الدين ، إذا أثقله ، وبابه قطع ، وفي حديث ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « وعلى المسلمين أن لا يتركوا مفدوحاً في فداء أو عقل » أي : مثقلاً قد حمل فوق طوقه ، والتعزي : التصبر ، وملحودة القبر : الجهة المشقوقة منه .

(٢) ينقضي بالسهاد : وهو السهر .

هَضَمَهَا^(١) ، فَأَحْفَهَا السُّؤَالَ ، وَاسْتَخْبَرَهَا الْحَالَ ، هَذَا وَلَمْ يَطْلُرْ
الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذُّكْرُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُودِّعٍ لَا
قَالَ وَلَا سَيْمٍ^(٢) فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أَقِمْ فَلَا عَنْ
سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٠٦

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا
مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ ،
وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَفِيهَا
أَخْتَبَرْتُمْ ، وَلَغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ ، إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا
تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ ! فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ
لَكُمْ قَرْضًا ، وَلَا تُخْلَفُوا كُلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٠٧

كان كثيراً ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَأَقِلُّوا

(١) هضمها : ظلمها ، وإحفاء السؤال : الاستقصاء فيه .

(٢) القالي : المبغض ، والسئم : من السامة وهي ملال الشيء ، وتقول : سئم من

الشيء - من باب طرب - وسأما وسامة ، إذا مله ، وهو رجل سؤوم .

الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ؛ فَإِنَّ
أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَوُودًا ، مَنَازِلَ مَخُوفَةٍ مَهُولَةٍ ، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ
عَلَيْهَا ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ
دَائِيَّةٌ ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا
مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ ، فَقَطُّعُوا عِلَاقَ الدُّنْيَا ،
وَأَسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى .

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم ، بخلاف هذه
الرواية .

ومن كلام له عليه السلام

٢٠٣

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه
من ترك مشورتها ، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَلْتُمَا يَسِيرًا ، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا ، أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ
لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ وَأَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ
حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ
بَابَهُ؟ .

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ ،
وَلَكِنْ كُنْتُ دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهَا ، وَحَمَلْتُكُمْ عَلَيَّهَا ، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ
نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا ، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ ؛ فَاتَّبَعْتُهُ ،

وَمَا آسْتَنَّا النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَقْدَيْتُهُ . فَلَمْ
أُحْتِجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا ، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمُ
جَهْلَتُهُ ، فَاسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ
عَنكُمَا ، وَلَا عَن غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيَّتُهُ هَوَى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ
أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ
فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أُحْتِجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ ، وَأَمْضَى فِيهِ
حُكْمَهُ ، فَلَيْسَ لَكُمَا ، وَاللَّهِ ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى .
أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَاللَّهِمَّ إِنَّا كُفُومٌ الْصَّبْرَ .

ثم قال عليه السلام : رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ ،
أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٠٤

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون
أهل الشام أيام حربهم بصفين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ
أَعْمَالَهُمْ ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ ، كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي
الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اللَّهُمَّ أَحِقِّنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ،
وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ

أَلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيَرْعَوِي عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٠٥

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام
يتسرع إلى الحرب

أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِنِي ^(١) فَإِنِّي أَنَفْسُ بِهِذَيْنِ
(يعني الحسن والحسين عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ ؛ لِئَلَّا
يَنْقَطَعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ الرِّضِيُّ أَبُو الْحَسَنِ : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَمْلِكُوا عَنِّي
هَذَا الْغُلَامَ » مِنْ أَعْلَى الْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٠٦

قَالَ لَمَّا اضْطَرَبَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فِي أَمْرِ الْحُكُومَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى
نَهَكْتُكُمْ الْحَرْبَ ^(٢) ، وَقَدْ ، وَاللَّهِ ، أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ ، وَهِيَ

(١) « املكوا عني » أي : خذوه بالشدة وأمسكوه « لئلا يهديني » أي : يهدمني ويقوض
أركان قوتي بموته في الحرب . ونفس به - كفرح - أي : ضن به ، أي : أبخل
بالحسن والحسين على الموت .

(٢) نهكته الحمى - من باب نفع وطرب - : أضعفته ، أي : كتتم مطيعين حتى أضعفتكم الحرب . =

لِعَدُوِّكُمْ أَنَّهُكَ .

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا ، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيًا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُم عَلَى مَا تَكْرَهُونَ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٠٧

بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي
- وهو من أصحابه - يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ؟ لَمَّا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي
الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ؟ ! وَيَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ : تَقْرِي
فِيهَا الضَّيْفَ ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا (١)
فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ .

فَقَالَ لَهُ الْعَلَاءُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي
عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ . قَالَ : وَمَا لَهُ ؟ قَالَ : لَبَسَ الْعِبَاةَ وَتَخَلَّى عَنْ
الدُّنْيَا ، قَالَ : عَلَيَّ بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ :

= فجبتم ، مع أنها في غيركم أشد تأثراً . وقد ألزمه قومه بقبول التحكيم فالتزم
بإجابتهم ، فكانهم أمروه ونهوه فامتثل لهم .
(١) أطلع الحق مطلعه : أظهره حيث يحب أن يظهر .

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ (١) لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ، أَمَا رَحِمْتَ
أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ، أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ؟
أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ !

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةٍ مَلْبَسِكَ
وَجَشُونَةٍ مَأْكَلِكَ ! قَالَ :

وَيَحَكَ ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أُمَّةٍ
الْعَدْلَ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ (٢) .

ومن كلام له عليه السلام

٧٠٨

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ، وعما في أيدي الناس
من اختلاف الخبر (٣) فقال عليه السلام

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَصِدْقًا وَكَذِبًا ، وَنَاسِخًا
وَمَنْسُوخًا ، وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا ، وَحِفْظًا وَوَهْمًا ،

(١) عدي : تصغير عدو ، وفي هذا الكلام بيان أن لذائد الدنيا لا تبعد العبد عن الله
لطبيعتها ، ولكن لسوء القصد فيها .

(٢) « يقدرُوا أنفسهم » أي : يقيسوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغني في الاقتصاد ،
وصرف الأموال في وجوه الخير ومنافع العامة ، وتسلية الفقير على فقره ، حتى لا
يتبغ - أي : يهيج به ألم الفقر فيهلكه - وقد روي المعنى بتمامه بل بأكثر تفصيلاً
عنه كرم الله وجهه في عبارة أخرى .

(٣) الخبر : الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيئاً ، فَقَالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :
 رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ^(١) يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مُتَعَمِّداً ؛ فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : رَأَاهُ ، وَسَمِعَ مِنْهُ ، وَلَقِفَ عَنْهُ^(٢) فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ - عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ - فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ ، وَالِدُعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمْ الْأَعْمَالَ ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالِدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ^(٣) .

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ ،

(١) « لا يتأثم » أي : لا يخاف ، و « لا يتحرج » : لا يخشى الوقوع في الحرج ، وهو الجرم .

(٢) تناول وأخذ عنه .

(٣) فهو - أي من عصم الله - : أحد الأربعة وهو خيرهم الرابع .

فَوَهُمَ فِيهِ^(١) وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً ، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيُرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ ،
وَيَقُولُ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَوْ
عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهُمْ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ
لَرَفَضَهُ !

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ : سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئاً
يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ
أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ
عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ
مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

وَأَخْرَافٌ رَابِعٌ : لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ،
مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ ؛ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهُمَّ^(٢) بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى
مَا سَمِعَهُ : لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ؛ فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ،
وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ^(٣) وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ ، فَوَضَعَ كُلَّ
شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ^(٤) .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،

(١) وهم : غلط وخطأ .

(٢) « لم يهتم » أي : لم يخطيء ولم يظن خلاف الواقع .

(٣) جنب تجنباً ، أي : تجنب .

(٤) أي : عرف المتشابه من الكلام ، وهو ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم .

و « محكم الكلام » أي : صريحه الذي لم ينسخ .

الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ ، وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِىَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ ، وَلَا مَا عَنِىَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ ، وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا قُصِدَ بِهِ ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيَجِبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ ، فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ ، وَعَلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٠٩

وَكَانَ مِنْ أَقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صُنْعَتِهِ ؛ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبْساً جَامِداً ، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْدَ ارْتِقَاقِهَا ، فَاسْتَمَسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ عَلَى بَحْدِهِ ، وَأَرَسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُتَعَنِّجِرُ ، وَالْقَمَقَامُ الْمُسَخَّرُ قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِحَشِيَّتِهِ ، وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا ، وَنُشُوزَ مُتُونَهَا وَأَطْوَادَهَا ، فَأَرَسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا ، وَالزَمَهَا قَرَارَتَهَا . فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أَصُولُهَا فِي الْمَاءِ ، فَأَنهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا ، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا ، فَأَشْهَقَ

قَالَهَا ؛ وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا ؛ وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً ، وَأَرْزَهَا فِيهَا
 أَوْتَاداً ، فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا ، أَوْ تَسِيخَ
 بِحِمْلِهَا ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ
 مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا ، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً ؛
 وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً ! فَوْقَ بَحْرِ لُجِّي رَاكِدٍ لَا يَجْرِي ، وَقَائِمٍ لَا
 يَسْرِي ، تُكَرِّرُهُ الرِّيَّاحُ الْعَوَاصِفُ ، وَتَمُخْضُهُ الْغَمَامُ الدَّوَارِفُ
 ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٩٠

اَللّٰهُمَّ اَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا اَلْعَادِلَةَ غَيْرَ اَلْجَائِرَةِ ،
 وَاَلْمُضْلِحَةَ غَيْرَ اَلْمُفْسِدَةِ ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَابْيُ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا
 اِلَّا اَلنُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَاَلْاِبْطَاءَ عَنْ اِعْزَازِ دِينِكَ ؛ فَاِنَّا
 نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِاَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً^(١) ، وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ
 مَنْ اَسْكَنَتْهُ اَرْضُكَ وَسَمَوَاتِكَ ، ثُمَّ اَنْتَ بَعْدَهُ اَلْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ ،
 وَآلَاخِذٌ لَهُ بِذَنْبِهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٩١

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْعَلِيِّ عَنْ شَبِّهِ اَلْمَخْلُوقِينَ^(٢) . اَلْغَالِبِ لِمَقَالِ

(١) أكبر الشاهدين هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو القرآن ، وفي رواية
 « نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة » وهي عندي أليق وأنسب لما بعده .

(٢) شبه - بالتحريك - أي : مشابهة .

الْوَاصِفِينَ ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَذْيِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ ، وَلَا آزْدِيَادٍ ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلُمُ ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ ^(١) وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ ، وَقَدَّمَهُ فِي الْإِصْطِفَاءِ ، فَرَتَّقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحَزُونََةَ ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٧٢

يصف جوهر الرسول ويصف العلماء ويعظ بالتقوى

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلٌ ، وَحَكَمٌ فَضْلٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا ، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلَا ضَرْبٌ فِيهِ فَاجِرٌ .

أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا ، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ ، وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا ، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ : يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ ، وَيُثَبِّتُ الْأَفئِدَةَ ، فِيهِ كَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ ^(٢) وَشِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ .

(١) رهقه - كفرح - غشيه .

(٢) الكفاء - بالفتح - : الكافي أو الكفاية .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَخْفِظِينَ عِلْمَهُ^(١) يَصُونُونَ
مَصُونَهُ ، وَيَفْجَرُونَ عُيُونَهُ ، يَتَوَاصِلُونَ بِالْوِلَايَةِ^(٢) وَيَتَلَقَّوْنَ
بِالْمَحَبَّةِ ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ^(٣) وَيَصُدُّوْنَ بِرِيَّةٍ ، لَا تَشُوْبُهُمْ
الرِّيَّةُ^(٤) وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ ، عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ
وَأَخْلَقَهُمْ^(٥) فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ ، وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ ، فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ
الْبَذْرِ يُتَّقَى^(٦) فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى ، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِصُ ، وَهَذَّبَهُ
الْتَّمَحِيصُ^(٧) فَلْيَقْبَلْ أَمْرُؤُ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ
حُلُولِهَا ، وَلْيَنْظُرْ أَمْرُؤُ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ ، فِي مَنْزِلِهِ
حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ ، وَمَعَارِفِ مُتَقَلِّبِهِ ، فَطُوبَى
لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَأَصَابَ سَبِيلَ
السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَرَهُ وَطَاعَةَ هَادٍ أَمْرُهُ ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ

(١) المستخفظين - بصيغة اسم المفعول - : الذين أودعوا العلم ليحفظوه .

(٢) الولاية : الموالاتة والمصافاة .

(٣) الروية : فعيلة بمعنى فاعلة ، أي يروي شرابها من ظمأ التباعد والنفرة . ورية - بكسر الراء وتشديد الياء - الواحدة من الري ، وهو زوال العطش .

(٤) لا يخالطهم الريب والشك في عقائدهم ، ولا تسرع الغيبة فيهم بالافساد لامتناعهم من الاغتياب وعدم إصعائهم إليه .

(٥) « عقد خلقهم » أي : إنه وصل خلقهم الجسماني وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات وأحكم صلتها بها حتى كأنهما معقودان بها .

(٦) أي : كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتفاضل البذر ، فإن البذر يعتنى بتنقيته ليخلص النبات من الزوان - وهو بكسر الزاي أو ضمها حب يخالط البر - ويكون النوع صافياً لا يخالطه غيره ، وبعد التنقية يؤخذ منه ويلقى في الأرض ، فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها .

(٧) التهذيب : التنقية ، والتمحيص : الاختبار .

تُغْلَقُ أَبْوَابُهُ ، وَتُقَطَّعُ أَسْبَابُهُ ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ
فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيراً

٦٧٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتًا وَلَا سَقِيمًا وَلَا مَضْرُوبًا
عَلَى غُرُوقِي بِسُوءٍ ، وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي ، وَلَا مَقْطُوعًا
دَابِرِي ، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي ، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي ، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ
إِيمَانِي ، وَلَا مُلْتَبِسًا عَقْلِي ، وَلَا مُعَذِّبًا بِعَذَابِ الْأَمَمِ مِنْ قَبْلِي .
أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ
لِي وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْذُ إِلَّا مَا أُعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي
هُدَاكَ ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أَضْطَهَّدَ وَالْأَمْرُ لَكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ، وَأَوَّلَ
وَدِيعَةٍ تَرْجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ
دِينِكَ ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا^(١) دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ .

(١) التابع : ركوب الأمر على خلاف الناس والاسراع إلى الشر ، واللجاجة ، يستعبد
من لجاجة الهوى به فيما دون الهدى .

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ (١) وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ . وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ؛ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ، وَلِكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةً الثَّوَابِ تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَوَسُّعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا أَفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا ، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ (٢) . وَأَعْظَمُ مَا أَفْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ عَلَى كُلِّ ،

(١) يتسع القول في وصفه حتى إذا وجب على الانسان الواصف له فر من أدائه لم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها .

(٢) فحقوق العباد التي يكافىء بعضها بعضاً ولا يستحق أحد منها شيئاً إلا بأدائه مكافأة ما تستحقه هي من حقوقه تعالى أيضاً .

فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِّلْفَتَنِهِمْ وَعِزًّا لِّدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرِّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ ، وَلَا يَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرِّعِيَّةِ ، فَإِذَا أَدَّتِ الرِّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاجِجُ الدِّينِ ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ (١) ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَبَثَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ . وَإِذَا غَلَبَتِ الرِّعِيَّةُ وَالْيَهَا ، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ ؛ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجُورِ ، وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ ، وَتُرِكَتْ مَحَاجِجُ السُّنَنِ ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى . وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ . وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ . فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عُطْلٍ ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فِعْلٍ !! فَهَنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ . وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنْ أَشَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ - بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ . وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ ، وَلَيْسَ أَمْرٌ - وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعَانِ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَلَا أَمْرٌ - وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ - بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى

(١) ذل الطريق - بكسر الهمزة - : محجته . و « جرت أمور الله أذلالها ، وعلى أذلالها » أي : وجوها ، والسنة : جمع سنة ، وطمع : مبيى للمجهول .

ذَلِكَ ، أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يَكْثُرُ فِيهِ
الثَّنَاءُ عَلَيْهِ وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ
مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ^(١) ، وَإِنَّ
أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظَّمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ^(٢) ، وَلَطُفَ
إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظَمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقُّ اللَّهِ
عَلَيْهِ عِظَمًا ، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ
يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ^(٣) ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ ، وَقَدْ كَرِهَتْ
أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ^(٤) ،
وَلَسْتُ - بِحَمْدِ اللَّهِ - كَذَلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ
أَنْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظْمَةِ
وَالْكِبَرِيَاءِ ، وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ^(٥) ، فَلَا تُثْنُوا
عَلَيَّ بِجَمِيلٍ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي

(١) « كل » فاعل « يصغر » أي : يصغر عنده كل ما سوى الله لعظم ذلك الجلال
الإلهي .

(٢) وأحق المعظمين لله بتصغير ما سواه : هو الذي عظمت نعمة الله عليه .

(٣) أصل السخف رقة العقل وغيره ، أي : ضعفه . والمراد أدنى حالة للولاء أن يظن
بهم الصالحون أنهم يحبون الفخر ويبنون أمورهم على أساس الكبر .

(٤) كره الامام أن يخطر ببال قومه كونه يحب الاطراء ، أي : المبالغة في الثناء عليه ،
فإن حق الثناء لله وحده ، فهو رب العظمة والكبرياء .

(٥) البلاء : إجهاد النفس في إحسان العمل .

حُقوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَذَائِهَا^(١) ، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا ، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ ، وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ، وَلَا تَظُنُّوا بِي أَسْتَشْقَى فِي حَقِّ قِيلَ لِي ، وَلَا أَلْتَمَسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْتَشْقَى الْحَقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ أَلْعَدَلُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَّ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدُ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ : يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى .

ومن كلام له عليه السلام

٢١٥

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ

(١) « لإخراجي » متعلق بتثنا . والتقية : الخوف ، والمراد لازمه ، وهو العقاب . من متعلق بإخراجي ، أي : إذا أخرجت نفسي من عقاب الله في حق من الحقوق أو قضاء فريضة من الفرائض فلا تثنوا على ذلك ، فإنما وقيت نفسي ، وعملت لسعادتي ، على أني ما أديت الواجب عليّ في ذلك ، وما أجزل هذا القول وأجمعه .

أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَأَصْبِرْ مَغْمُومًا ، أَوْ مِتْ مُتَأَسِّفًا ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي
رَافِدٌ ، وَلَا ذَابٌ ، وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ
فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ مِنْ
كَظَمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ ، وَالْمِ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشَّفَارِ .

قال الرضي : وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ
إِلَّا أَنِّي كَرَّرْتُهُ هَهُنَا لِإِخْتِلَافِ الرَّوَايَتَيْنِ .

ومن كلام له عليه السلام

٥٧٦

في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي
يَدَيَّ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ، فَشَتُّوا
كَلِمَتَهُمْ ؛ وَأَفْسَدُوا عَلَى جَمَاعَتِهِمْ ؛ وَوَبَّأُوا عَلَى شِيعَتِي ؛ فَقَتَلُوا
طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ؛ وَطَائِفَةً مِنْهُمْ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا
حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ .

ومن كلام له عليه السلام

٥٧٧

لما مرَّ بطلحة وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد
وهما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ

أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشُ قَتَلِي تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ ؛ أَذْرَكْتُ وَتَرِي
مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ^(١) وَأَفْلَتَنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ ، لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ
إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ^(٢) فَوُقِّصُوا دُونَهُ .

ومن كلام له عليه السلام

٢٩٨

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ^(٣) وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ، حَتَّى ذُقَّ جَلِيلُهُ ، وَلَطَفَ
غَلِيظُهُ ، وَبَرَّقَ لَهُ لَامِعُ كَثِيرُ الْبَرَقِ ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ ، وَسَلَكَ بِهِ

(١) الوتر : الثأر ، وهو يفتح الواو في لغة أهل العالية ، وبكسرهما في لغة نجد وتميم .
وطلمحة كان من بني عبد مناف كالزبير ، وقاتله مروان بن الحكم وهما في عسكر
واحد في حرب الجمل : رماه بسهم على غرة انتقاماً لعثمان رضي الله عنه . وأفلته
الشيء : خلاص منه فجأة ، وجمح : قبيلة عربية كان من أعيانها - أي : عظمائها -
جماعة مع أم المؤمنين في واقعة الجمل ، ولم يصيبهم ما أصاب غيرهم ، ومن هذه
القبيلة صفوان بن أمية بن خلف ، واسمه عبد الله ، وعبد الرحمن بن صفوان ،
ويروى « وأفلتني أعيان بني جمح » ، جمع غير - بفتح فسكون - وهو الحمار أو
الوحشي خاصة .

(٢) « أتلعوا » أي : رفعوا أعناقهم ومدوها لتناول أمر ، وهو مناوأة أمير المؤمنين على
الخلافة ، فوقصوا ، أي : كسرت أعناقهم ، دون الوصول إليه ، وتقول : قد
وقصت الناقة براكبها - من باب وعد - إذا رمت به فذقت عنقه ، فالعنق موقوصة .
(٣) حكاية عن صاحب التقوى . وإحياء العقل بالعلم والفكر والنفوذ في الأسرار
الالهية ، وإماتة النفس بكفها عن شهواتها ، والجليل العظيم ، و « ذق » أي : صغر
حتى خفي أو كاد . وبروق اللامع من نور المقام الالهي يوضح طريق السعادة فلا
يزال السالك يتنقل من مقام عرفان وفضل إلى مقام آخر من مقامات الكمال ، وهذا
هو التدافع من باب إلى باب حتى يصل إلى أعلى ما يمكن له ، وهناك سعادته
ومقر نعيمه الأبدي .

السَّيْلَ ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ ، وَدَارِ الْإِقَامَةِ ،
وَتَبَّتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ : بِمَا اسْتَعْمَلَ
قَلْبُهُ ، وَأَرْضَى رَبَّهُ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٩٩

بعد تلاوته : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ (١)

يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ (٢) وَزُورًا مَا أَغْفَلَهُ ، وَخَطَرًا مَا أَفْظَعَهُ ،
لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيُّ مُدَكِّرٍ (٣) وَتَنَاشَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ !!
أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ، أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلَكَةِ يَتَكَاثِرُونَ ؟!
يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ (٤) وَحَرَكَاتٍ سَكَنْتَ ، وَلَأنَّ يَكُونُوا
عِبْرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا ، وَلَأنَّ يَهْطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ
أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ !! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ

(١) ألهاه عن الشيء : صرفه عنه باللهو ، أي : صرفكم عن الله اللهو بمكاثرة بعضكم لبعض وتعدد كل منكم مزايا أسلافه حتى بعد زيارتكم المقابر .

(٢) المرام : الطلب ، بمعنى المطلوب ، والزور - بالفتح - : الزائرون ، وهم يرومون نيل الشرف بمن تقدمهم ، وتلك غفلة ، فإنما ينالون الشرف مما يكون من موجباته في ذواتهم ، فما أبعد ما يرومون بغفلتهم .

(٣) « استخلوهم » أي : وجدوهم خالين ، والمدكر : الادكار ، بمعنى الاعتبار ، أي : خلوا أسلافهم من الاعتبار ، ثم قلب المعنى في عبارة الامام ، فكان أخلوا الأدكار من آبائهم مبالغة في تفريعهم حيث أخلوهم منه وهو محيط بهم ، و « أي » صفة محذوف تقديره مدكرا ، وتناسوهم : تناولوهم بالمفاخرة من مكان بعيد عنها .

(٤) خوت : سقط بناؤها وخلت من أرواحها .

الْعُسُوءَ وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةٍ جَهَالَةٍ ، وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ
عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ ؛ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي
الْأَرْضِ ضَلَالًا ، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا ، تَطَّأُونَ فِي هَامِهِمْ ،
وَتَسْتَبِشُّونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفْظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا
خَرَبُوا ، وَإِنَّمَا الْآيَامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَالِكِ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ .

أُولَئِكَ سَلَفٌ غَايَتُكُمْ ^(١) وَفَرَّاطٌ مَنَاهِلُكُمْ ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ
مَقَاوِمُ أَلْعَزَّ ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ ، مُلُوكًا وَسُوقًا ، سَلَكَوا فِي بُطُونِ
الْبَرْزَخِ سَبِيلًا ^(٢) سُلَّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ
لُحُومِهِمْ ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ
جَمَادًا لَا يَنُمُونَ ، وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ ، لَا يُفَزِعُهُمْ وَرُودُ
الْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزَنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَحْفَلُونَ بِالرَّوَاكِفِ ،
وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ ، غُيْبًا لَا يَنْتَظَرُونَ ، وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ ،

(١) سلف الغاية : السابق إليها ، وغايتهم : حد ينتهون إليه ، وهو الموت ، والفراط :
جمع فارط ، وهو كالفرط - بالتحريك - : متقدم القوم إلى الماء ليهيئ لهم مواضع
ما تشرب الشاربة من النهر مثلاً ، ومقاوم : جمع مقام ، والحلبات : جمع حلبه -
بالفتح - وهي الدفعة من الخيل في الرهان ، أو هي الخيل تجتمع للنصرة من كل
أوب . والسوق - بضم ففتح - جمع سوقة - بالضم - بمعنى الرعية .

(٢) البرزخ : القبر ، والفجوات : جمع فجوة ، وهي الفرجة ، والمراد منها شق القبر ،
و « لا ينامون » من النمو وهو الزيادة من الغذاء ، والضممار - ككتاب - : المال لا
يرجى رجوعه ، وخلاف العيان ، ولا يحفلون - بكسر الفاء - أي : يبالون ،
والرواكف : جمع راجفة وهي الزلزلة توجب الاضطراب ، والقواصف : من
« قصف الرعد » إذا اشتدت هدهدته ، وأذن له : استمع .

وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشْتَتُوا ، وَالْأَفَّا فَاْفْتَرَقُوا^(١) ، وَمَا عَنْ طُولِ
عَهْدِهِمْ وَلَا بَعْدَ مَحَلِّهِمْ عَمِيتَ أَخْبَارُهُمْ ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ^(٢) ،
وَلَكِنَّهُمْ سَقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً ، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً ،
وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً ، فَكَأَنَّهُمْ فِي آرْتِجَالِ الصُّفَةِ صَرَعَى سُبَاتٍ ،
جِيرَانٌ لَا يَتَأَنُّسُونَ ، وَأَحِبَّاءٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، بَلِيتَ بَيْنَهُمْ عُرَى
الْتِّعَارُفِ ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِحَاءِ ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ
جَمِيعٌ ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَاءٌ ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ صَبَاحاً ،
وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً ، أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعُنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً ،
شَاهَدُوا مِنْ أخطَارِ دَارِهِمْ أَفْطَحَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ
مِمَّا قَدَّرُوا ، فَكَلَّمْنَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَآءَةٍ ، فَأَتَتْ مَبَالِغَ
الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا
عَاينُوا ، وَلَئِنْ عَمِيتَ آثَارُهُمْ ، وَأَنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ ، لَقَدْ رَجَعَتْ
فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ
جِهَاتِ النُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَحَتْ أَلْوَجُوهُ النَّوَاضِرُ ، وَخَوَتْ الْأَجْسَامُ
النَّوَاعِمُ ، وَلَيْسَنَا أَهْدَامَ الْبِلَى ، وَتَكَاءَدْنَا ضَيْقُ الْمَضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا
الْوَحْشَةَ ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ ، فَأَنَّمَحَتْ مَحَاسِنُ
أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا ، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ
إِقَامَتُنَا ، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً ، وَلَا مِنْ ضَيْقٍ مُتَّسِعاً ! فَلَوْ

(١) أَلَفَا : جمع أَلِف ، أَي : مؤتلف مع غيره .

(٢) صَمَّ يَصُمُّ - بِالْفَتْحِ فِيهِمَا - : خَرَسَ عَنِ الْكَلَامِ ، وَخَرَسَ الدِّيَارُ : عَدِمَ صُعُودَ
الصَّوْتِ مِنْ سَكَانِهَا .

مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ ، وَقَدْ
 أَرْتَسَخْتَ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ ، وَاکْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ
 فَخَسَفَتْ ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَّاقَتِهَا ، وَهَمَدَتْ
 الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا ، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ
 جَدِيدٌ بَلَى سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ آلاَفِهِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ
 تَدْفَعُ ، وَلَا قُلُوبَ تَجْزَعُ ؛ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ^(١) وَأَقْدَاءَ عُيُونٍ ،
 لَهُمْ مِنْ كُلِّ فِطَاعَةٍ صِفَةٌ حَالٍ لَا تَتَّقِلُ ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي^(٢) .

وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ ، وَأَنِيقَ لَوْنٍ ، كَانَ فِي الدُّنْيَا
 غَذِيٌّ تَرَفٍ^(٣) ، وَرَبِيبٌ شَرَفٍ ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ
 حُزْنِهِ^(٤) ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ، ضُنًّا بِغَضَارَةِ
 عَيْشِهِ ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ^(٥) ! فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا
 وَتَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ^(٥) إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ

(١) لرأيت : جواب « لو مثلتهم » ، وأشجان القلوب : همومها واحدها شجن -
 بالتحريك - وأقذاء العيون : ما يسقط فيها فيؤلمها .

(٢) الغمرة : الشدة .

(٣) الأنيق : رائق الحسن ، والغذي : اسم بمعنى المفعول ، أي : مغذى بالنعيم ،
 والربيب : بمعنى المربي ، ربه يربه ، أي : رباه .

(٤) يتشاغل بأسباب السرور ليتلهى بها عن حزنه ، والسلوة : انصراف النفس عن الألم
 تخيل اللذة « ضنًّا » أي : بخلاً ، وغضارة العيش : طيبه .

(٥) وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هنيئاً يوجبها ، والحسك : نبات تعلق قشرته
 بصوف الغنم ورقه كورق الرجلة وأدق ، وعند ورقه شوك ملرز صلب ذو ثلاث
 شعب . تمثيل لمس الآلام .

حَسَكُهُ وَنَقَضَتْ أَلْيَامُ قُوَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثْبٍ (١)
فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيٌّ هُمْ مَا كَانَ يَجِدُهُ ، وَتَوَلَّدَتْ هَافِيَهُ
فَتَرَاتُ عِلَلٌ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ ، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطْبَاءُ
مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ
إِلَّا ثَوْرَ حَرَارَةٍ ، وَلَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيْجَ بُرُودَةٍ ، وَلَا آعْتَدَلَ
بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدٌ مِنْهَا كُلُّ ذَاتٍ دَائٍ ، حَتَّى فَتَرَ
مُعَلِّلُهُ ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ ، وَخَرِسُوا عَنْ
جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ : فَقَائِلٌ يَقُولُ
هُوَ لِمَا بِهِ وَمَنْ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ
أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ
الدُّنْيَا ، وَتَرَكَ الْأَحِبَّةَ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ
نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ ، وَبَيَسَتْ رُطُوبُهُ لِسَانَهُ فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ
فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ (٢) ، وَدُعَاءِ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ : مِنْ كَبِيرٍ
كَانَ يُعْظِمُهُ ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ ، وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمَرَاتٍ هِيَ
أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ ، أَوْ تَعْتَدَلَ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا (٣) .

(١) الحتوف : المهلكات ، وأصل الحنف الموت ، من كثب - بالتحريك - أي :

قرب ، أي : توجهت إليه المهلكات على قرب منه ، والبث : الحزن ، والنجي :
المناجي ، وخالطه الحزن : مازج خواطره .

(٢) عي : عجز لضعف القوة المحركة للسان .

(٣) « تعادل » أي : تستقيم عليها بالقبول والادراك ، أي : لغفلتهم عنها لا تتناسب عند
عقولهم فيدركوها .

قَالَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ :

﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءَ الْقُلُوبِ (١) ،
تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ
الْمُعَانَدَةِ ، وَمَا بَرَحَ لِلَّهِ ، عَزَّتْ آلَاؤُهُ ، فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي
أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ (٢) عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ
عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَضَبُّوْهُ بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ (٣)
يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدْلَةِ فِي
الْفَلَوَاتِ (٤) ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ،
وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذُمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ،
وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَأَدْلَةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ ، وَإِنْ
لِلذِّكْرِ لِأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ

(١) الذكر : استحضار الصفات الإلهية ، والوقرة : ثقل في السمع . والعشوة : - مثلثة العين - ضعف البصر .

(٢) الفترة بين العملين : زمان بينهما يخلو منهما ، والمراد أزمنة الخلو من الأنبياء مطلقاً ، و « ناجاهم » أي : خاطبهم بالالهام .

(٣) استصبح : أضاء مصباحه ، أي : أضاء مصباح الهدى لهم بنور اليقظة في أبصارهم الخ .

(٤) الفلوات : المفازات والقفار واحداً فلاة .

عَنْهُ ؛ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ ، وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ، فَكَأَنَّمَا أَطْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا ، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَّغُوا لِمَحَاسِبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا فَقَصَّروا عَنْهَا ، أَوْ نُهَوُّوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ^(١) فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا نَشِيجًا ، وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا ، يَعْجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامٍ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ ؛ لَرَأَيْتُ أَعْلَامَ هُدًى ، وَمَصَابِيحَ دُجَى ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ ، فِي مَقَامٍ أَطْلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِي سَعْيُهُمْ ، وَحَمِيدَ مَقَامَهُمْ ، يَتَنَسَّمُونَ

(١) أي : نسبوا ما صدر عنهم إلى تقصير همهم عن أداء الواجب عليهم ، ولم يحولوه على ربهم ، فجعلوا الأوزار حملاً على ظهورهم ، فأحسوا بالضعف عن الاستقلال بها ، أي : القيام بحملها ، ونشج الباكي ينشج - كضرب يضرب - نشيجاً : غص بالبكاء في حلقه ، والنحيب : أشد البكاء ، وتجاوبوا به : أجاب بعضهم بعضاً يتناحبون ، وعج يعج - كضرب ومل - : صاح ورفع صوته ، فهم يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ .

بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ^(١) رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ
لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ^(٢) ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ ،
لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ
الْمَنَادِحُ^(٣) ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ ، فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ،
فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

ومن كلام له عليه السلام

٣٦٩

قاله عند تلاوته ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً ، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْدِرَةً ، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً
بِنَفْسِهِ .

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ،
وَمَا آتَاكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ ، أَمْ لَيْسَ مِنْ
نَوْمِكَ يَقْظَةٌ ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ ؟ فَرُبَّمَا تَرَى
الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلِيَ بِأَلَمٍ يُمِضُ
جَسَدَهُ ، فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَّدَكَ

(١) تنسم النسيم : تشممه ، والروح - بالفتح - النسيم ، أي : يتوقعون التجاوز بدعائهم
له .

(٢) الأسى : الحزن .

(٣) المنادح : جمع مندوحة ، وهي كالندحة - بالضم والفتح - والمنتدح - بفتح
الدال - : المتسع من الأرض .

بِمُصَابِكَ ، وَعَزَاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ
 عَلَيْكَ ؟ وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ
 مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ ، فَتَدَاوَى مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَى
 الْغَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِبِقْظَةٍ^(١) وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعًا ، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا ، وَتَمَثَّلْ
 فِي حَالِ تَوَلُّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهِ عَلَيْكَ^(٢) : يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّدُكَ
 بِفَضْلِهِ ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ^(٣) ،
 وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَأَنْتَ فِي كَنْفِ
 سِتْرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ ، وَلَمْ
 يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ
 يُحْدِثُهَا لَكَ^(٤) ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ !!
 فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطْعَمْتَهُ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي
 مُتَّفِقِينَ فِي الْقُوَّةِ ، مُتَوَازِينَ فِي الْقُدْرَةِ ؛ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى
 نَفْسِكَ بِذِمِيمِ الْأَخْلَاقِ ، وَمَسَاوِيءِ الْأَعْمَالِ ، وَحَقًّا أَقُولُ مَا أَلْدُنِّيَا
 غَرَّتَكَ^(٥) وَلَكِنْ بِهَا أَغْتَرَرْتَ ، وَلَقَدْ كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتُ ، وَأَذَنْتَكَ

(١) الكرى - بالفتح والقصر - النوم .

(٢) تمثّل : تصور ، أي : واذكر عند إعراضك عن الله ، أي : عند لهوك ، أنه مقبل
 عليك بنعمه ، « ويتغمّدك » أي : يغمرك .

(٣) الضمير في « تعالى » لله .

(٤) طرف عينه - كضرب - اطبق جفنيها ، والمراد من المطرف اللحظة يتحرك فيها
 الجفن « في نعمة » يتعلق بلطفه .

(٥) إن الدنيا ما خبأت عن نظرك شيئاً من تقلباتها المفزعة ، ولكن غفلت عما ترى ،
 ولقد كاشفتك وأظهرت لك العظات ، أي : المواعظ ، وأذنتك : أعلمتك على
 عدل .

عَلَى سَوَاءٍ ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجَسْمِكَ ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ ؛ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تُكَذِّبَكَ ، أَوْ تُغُرَّكَ ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ ^(١) ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ ، وَلَتَنْ تَعْرِفَتْهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ ^(٢) ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ ؛ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذَكِيرِكَ ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ ، وَالشَّحِيحِ بِكَ ^(٣) ، وَلِنَعْمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً ، وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا مَحَلًّا ^(٤) ! وَإِنَّ السَّعْدَاءِ بِالدُّنْيَا غَدَاً هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ .

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ ^(٥) ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ ، وَلِحَقِّ بِكُلِّ مَنَسِكَ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عِبَادَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ حَرَقٌ بِصَرٍّ فِي الْهَوَاءِ ^(٦) ، وَلَا

(١) رب حادث من حوادثها يلقي إليك النصيحة بالعبرة فتنهمه وهو مخلص .

(٢) تعرفتها : طلبت معرفتها وعاقبة الركون إليها .

(٣) البخيل بك على الشقاء والهلكة .

(٤) وطنه - بالتشديد - اتخذه وطناً .

(٥) الراجفة : النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتنسف الأرض نفساً ، وحقَّتْ القيامة : وقعت وثبتت لعظائمتها ، والمنسك - بفتح الميم والسين - العبادة ، أو مكانها .

(٦) يجز : من الجزاء مبني للمجهول نائب فاعله « حرق بصر وهمس قدم » أي : لا تجازي لمحمة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة القدم في الأرض إلا بحق وذلك بعدل الله ويروى « فلم يجز في عدله » من « جار » أي : عدل عن الطريق ، أي : لم يذهب عنه سبحانه ولم يضل ولم يشذ عن حسابه شيء من أمر محقرات الأمور إلا بحقه ، أي : إلا ما لا فائدة في إثباته . ورواه قوم « لم يجز » مضارع « جاز يجوز » أي : لم يسغ ولم يرخص ذلك اليوم لأحد من المكلفين في حركة من الحركات المحقرات المستصغرات إلا إذا كانت قد فعلها بحق ، قاله ابن أبي الحديد .

هَمَسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ . فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ ،
وَعَلَائِقُ عُذْرِ مُنْقَطِعَةٌ ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ ، وَتَثَبَّتْ بِهِ
حُجَّتُكَ ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ ، وَشَمِ
بَرَقِ النِّجَاجِ ، وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٦٦

وَاللَّهِ لَأَنْ أَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهِّدًا ، وَأَجَرَ فِي
الْأَغْلَالِ مُصَفِّدًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ ، وَكَيْفَ
أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قُفُولُهَا ، وَيَطُولُ فِي الشَّرَى
حُلُولُهَا؟!

وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا ، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرْكَمِ
صَاعًا ، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شَعَثَ الشُّعُورِ ، غُبَرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ ،
كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ؛ وَعَاوَدَنِي مُوَكِّدًا ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ
الْقَوْلَ مُرَدِّدًا ؛ فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي ، وَأَتَّبِعُ
قِيَادَهُ ، مُفَارِقًا طَرِيقَتِي ؛ فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَذْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ
لِيَعْتَبَرَ بِهَا ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنْ أَلَمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ
مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ : تَكَلَّتْكَ الثَّوَاكِيلُ يَا عَقِيلُ ، أَتَيْتُ مِنْ حَدِيدَةٍ
أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلْعَبِيهِ ، وَتَجَرَّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ؟
أَتَيْتُ مِنْ الْأَدَى وَلَا أَتِي مِنْ لَظِي؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرَقَنَا

بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا ، وَمَعْجُونَةٍ شَنَّتُهَا ، كَأَنَّمَا عَجَنْتَ بِرَيْقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ، فَقُلْتُ : أَصِلَّةٌ ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ؟؟؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَقَالَ : لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ ، فَقُلْتُ : هَبْلَتِكَ الْهَبُولُ ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمْخَبْتُ ، أَمْ ذُو جِنَّةٍ ، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبَهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ ، وَإِنْ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا ، مَا لِعَلِّي وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

ومن دعاء له عليه السلام

٦٦٣

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالتَّيْسَارِ ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ ، فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَغْطِفْ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَغِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتِنَ بِدَمٍّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٦٤

دَارُ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ نَزَالُهَا ، أَحْوَالُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتُ مُتَصَرِّفَةٌ ، الْعَيْشُ فِيهَا

مَذْمُومٌ ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ ،
تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا ، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا .

وَأَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ؛ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى
سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَعْمَرَ
دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ آثَارًا ، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَا حُهُمْ رَاكِدَةً ،
وَأَجْسَادُهُمْ بِالْيَةِ ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً ، فَاسْتَبَدَّلُوا
بِالْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ ، الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ
الْمُسْنَدَةَ ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ
فِنَاوَهَا ، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاوَهَا ، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ ،
بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوَحِّشِينَ ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ
بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ
الْجَوَارِ ، وَدُنُوِّ الدَّارِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَرَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلْكُلِهِ
الْبَلَى ، وَأَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ وَالْثَرَى ؟ وَكَأَن قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا
إِلَيْهِ ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ ، فَكَيْفَ
بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ ، وَيُعْثِرَتِ الْقُبُورُ ؟ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ
نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ، وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا
كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

وَمِنْ دَعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٧٧٥

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْإِنْسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ

لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطْلُعُ عَلَيْهِمْ فِي
ضَمَائِرِهِمْ ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ،
وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ ، إِنْ أَوْحَشْتَهُمُ الْغُرْبَةَ أَنْسَهُمْ ذِكْرَكَ ، وَإِنْ
صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَرْزَمَةَ
الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ .

اَللّٰهُمَّ اِنْ فَهِمْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي ، اَوْ عَمِيتُ عَنْ طَلِبَتِي ، فَدُلَّنِي
عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ
هَذَايَاتِكَ ، وَلَا يَبْدَعُ مِنْ كِفَايَاتِكَ .

اَللّٰهُمَّ اَحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ .

ومن كلام له عليه السلام

٣٣٦

لِلَّهِ بِلَادٌ فُلَانٌ^(١) ، فَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدَ ، وَدَاوَى الْعَمَدَ ، وَخَلَفَ
الْفِتْنَةَ ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ ، ذَهَبَ نَقْيُ الثُّوبِ ، قَلِيلَ الْعَيْبِ ، أَصَابَ
خَيْرَهَا ، وَسَبَقَ شَرَّهَا ، أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ ، رَحَلَ

(١) فلان : هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والعرب تقول « الله بلاد فلان » و « الله در فلان » و « الله نادي فلان » و « الله نائح فلان » والمراد بالأول الله البلاد التي أنشأته وابتنته ، وبالثاني الله الشدي الذي أرضعه ، وبالثالث الله المجلس الذي تربى فيه ، وبالرابع الله النائحة التي تنوح عليه وتندبه ، ماذا تعد مما تعهده من محاسنه ؟ ويروى « الله بلاء فلان » أي : الله ما صنع . وقوم الأود : عدل الاعوجاج ، والعمد - بالتحريك - العلة ، وخلف الفتنة : تركها خلفاً : لا هو أدركها ، ولا هي أدركته .

وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ^(١) : لَا يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي .

ومن كلام له عليه السلام

٦٦٧

في وصف بيعته بالخلافة ، وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة
وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ
عَلَيَّ^(٢) تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهَيْمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا ، حَتَّى
أَنْقَطَعَتِ النَّعْلُ ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ
سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ أَبْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا
الْكَبِيرُ^(٣) ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكَعَابُ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٦٨

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ

(١) عبارة عن الاختلاف .

(٢) التذاك : الازدحام ، كأن كل واحد يدك الآخر ؛ أي يدقه ، « والهيم » أي :
العطاش : جمع هيماء ، كعيناء وعين .

(٣) هدج : مشى مشية الضعيف ، وهدج الظليم : إذا مشى في ارتعاش ، والكعاب -
كسحاب - الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، وهي الكاعب - بلا هاء - و « حسرت »
أي : كشفت عن وجهها متوجهة إلى البيعة لتعقدها بلا استحياء لشدة الرغبة
والحرص على إتمام الأمر لأمير المؤمنين ، والغرض من الكلام الاحتجاج على
المخالفين بأن الأمة بايعته مختارة .

مَلَكَةٍ^(١)، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو
 الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ، فَأَعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ^(٢)، وَالتَّوْبَةُ
 تَنْفَعُ، وَالِدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَيَادِرُوا
 بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نAKِسًا، أَوْ مَرَضًا حَاسِبًا، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا؛ فَإِنَّ
 الْمَوْتَ هَادِمٌ لِدَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ طِيَّاتِكُمْ^(٣)، زَائِرٌ
 غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ
 أَعْلَقْتُمْ حَبَائِلَهُ، وَتَكَنَّفْتُمْ غَوَائِلَهُ، وَأَقْصَدْتُمْ مَعَابِلَهُ، وَعَظُمَتْ
 فِيكُمْ سَطَوَتُهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدَوَتُهُ^(٤)، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبَوْتُهُ،

(١) الملكة - بالتحريك - الرق، أي: عتق من رق الشهوات والأهواء، والهلكة - بالتحريك - : الهلاك .

(٢) « والعمل النخ » الواو واو الحال و « يادروا » أي : اسبقوا بأعمالكم : حلول آجالكم التي تنكسكم - أي : تقلبكم - من الحياة إلى الموت ، والحاسب : المانع من العمل ، والخالس : الخاطف .

(٣) طياتكم : جمع طية - بالكسر - وهي القصد ، أي : يحول بينكم وبين مقاصدكم فيبعدوها ، والقرن - بالكسر - الكفء في الشجاعة . والتسمية تبيكت لمن يظن مغالبة الموت فلا يستعد له بالصالحات ، كأنه يقول : إذا كنتم أقوياء ، فالموت كفء لكم غير مغلوب ، والواتر : الجاني . والموت لا يطالب بالقصاص على جنايته ، أعلقتكم الحبال : أوقعنكم فيها ، فاقتنصتكم ، وهي جمع حباله - بكسر الحاء - وهي المصيدة من الحبال ، وتقول : حبلته حبالاً - من باب قتل - واحتبلته أيضاً ، إذا صدته بالحباله . وتكنفتكم : أحاطتكم ، وأقصده : رماه بسهم فأصاب مقتله ، والمعابل : جمع معبلة - كمكنسة : بكسر الميم - وهي النصل الطويل العريض .

(٤) العدو - بالفتح - العدوان ، والنبوة - بالفتح - أن يخطيء في الضربة فلا يصيب ، والدواجي : جمع داجية ، أي : مظلمة ، والظلل : جمع الظلة ، أي : السحابة ، والاحتدام : الاشتداد ، والحنادس : جمع حندس - بكسر الحاء والبدال - وهي الظلمة الشديدة ، والغمرات : الشدائد ، والدجو : الاظلام ، والجشوبة : الخشونة .

فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلُلِهِ ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ ، وَخَنَادِسُ
 غَمَرَاتِهِ ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ ، وَدُجُوْهُ إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ
 مَذَاقِهِ ، فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً ، فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ ^(١) ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ،
 وَعَفَى آثَارَكُمْ ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وَرَثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ ثُرَاتَكُمْ ،
 بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخِرَ شَامِتٍ
 لَمْ يَجْزَعْ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ ، وَالتَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ ،
 وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ ، وَلَا تَغْرُنْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ
 كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا
 دِرَّتَهَا ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا ،
 وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَاثًا ، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا ، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ
 أَتَاهُمْ ، وَلَا يَحْفَلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ .
 فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ ، مُنُوعٌ ،
 مُلِيسَةٌ نَزُوعٌ ، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا ، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا ، وَلَا يَرْكَدُ
 بَلَاؤُهَا .

منها في صفة الزهاد :

كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، فَكَانُوا فِيهَا
 كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا : عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا

(١) النجى : القوم يتناجون ، والندى : الجماعة يجتمعون للمشارة ، وعفى الآثار :
 محاسنها ، والتراث : الميراث ، والحميم : الصديق .

يَحْذَرُونَ ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ يَرَوْنَ أَهْلَ
الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ ، وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ
أَحْيَائِهِمْ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٦٩

خطبها بذي قار ، وهو متوجه إلى البصرة ،

ذكرها الواقدي في كتاب الجمل

فَصَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ ،
وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ ، وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ ، بَعَدَ الْعَدَاوَةَ
الْوَاغِرَةَ فِي الصُّدُورِ ، وَالضُّغَائِنِ الْقَادِحَةَ فِي الْقُلُوبِ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٧٠

كلم به عبدالله بن زمعة ، وهو من شيعة ، وذلك أنه قدم عليه
في خلافته يطلب منه مالاً ، فقال عليه السلام :

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ
وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ ؛
وَالْأَفْجَانَةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ .

ومن كلام له عليه السلام

أَلَا إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا
أَمْتَنَعَ ، وَلَا يُمَهِّلُهُ النَّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ ، وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ ، وَفِينَا
تَنْشِبَتْ عُروْقُهُ ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ .

وَأَعْلَمُوا ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، أَنْكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ
قَلِيلٌ ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ ، أَهْلُهُ
مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِذْهَانِ فَتَاهُمْ
عَارِمٌ ؛ وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِئُهُمْ مُمَازِقٌ ، لَا يُعْظَمُ
صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ ، وَلَا يَعُولُ غَنِيَّهُمْ فَقِيرُهُمْ .

ومن كلام له عليه السلام

رَوَى دَعْلَبُ الْيَمَانِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ
عَنْ مَالِكِ بْنِ دُحْيَةَ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ ذُكِرَ
عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ فَقَالَ :

إِنَّمَا فَرَقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ^(١) ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلَقَةً مِنْ

(١) جمع طينة : يريد عناصر تركيبهم ، والفلقة - بكسر الفاء - القطعة من الشيء ،
وسبخ الأرض : مالحها ، والحزن - بفتح الحاء - الخشن ، ضد السهل ، فتقارب
الناس حسب تقارب العناصر المؤلفة لبناهم . وكذلك تباعدهم بتباعدها .

سَبَخَ أَرْضٍ وَعَذِبَهَا ، وَحَزَنَ تُرْبَةً وَسَهَّلَهَا ، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارِبُونَ ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ ، فَتَامُ الرِّوَاءِ^(١) ، نَاقِصُ الْعَقْلِ ، وَمَادُّ الْقَامَةِ ، قَصِيرُ الْهِمَّةِ ، وَذَاكِي الْعَمَلِ ، قَبِيحُ الْمَنْظَرِ ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ ، بَعِيدُ السَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيَّةِ ، مُنْكَرُ الْجَلِيَّةِ ، وَتَائِهَةُ الْقَلْبِ ، مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ ، حَدِيدُ الْجَنَانِ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٦٣

قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ ، خَصَّصْتَ^(٢) حَتَّى صِرْتَ مُسْلِيًا عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً .

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّثُونِ^(٣) ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا ، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا ،

(١) الرواء - بالضم والمد - حسن المنظر ، وماد القامة : طويلها ، والقعر : يريد به قعر البدن ، أي : إنه قصير الجسم ، لكنه داهي الفؤاد ، والضرية : الطبيعة والجلية : ما يتصنعه الانسان على خلاف طبعه .

(٢) النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصص أقاربه وأهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة عن جميع من سواه ، وهو برسالته عام للخلق : فالناس في النسبة إلى دينه سواء .

(٣) « لأنفدنا » أي : لأنفينا على فراقك ماء عيوننا الجاري من شؤونه ، وهي منابع الدمع من الرأس .

وَقَلَّا لَكَ (٣) وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رُدُّهُ (٢) وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ ، بِأَبِي أَنْتَ
وَأُمِّي ، أَذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ .

ومن كلام له عليه السلام

٦٣٤

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله
ثم لحاقه به

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَا خَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
فَاطًا ذِكْرَهُ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ (٣) .

قال الشريف - في كلام طويل - : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « فَاطًا
ذِكْرُهُ » من الكلام الَّذِي رَمَى بِهِ إِلَى غَايَتِي الْإِيْجَازِ وَالْفَصَاحَةِ ، أَرَادَ
إِنِّي كُنْتُ أُعْطِي خَبْرَهُ (٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي
إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَكُنِّي عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِنَايَةِ
الْعَجِيبَةِ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٣٥

فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ

(١) مماطلاً بالشفاء ، والكمد : الحزن ، ومحالفته : ملازمته ؛ و « قلا » فعل ماضي متصل بآلف التثنية ، أي مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان بك .

(٢) « ما » خبر « لكن » أي : لكنه الموت لا يملك رده الخ ، وما حتم وقعه فلا يفيد الأسف عليه ؛ لأن الأسف وضع في النفوس لمداركة الفائت والحذر من الآتي .

(٣) العرج - بالتحريك - موضع بين مكة والمدينة .

(٤) أعطي : بالبناء للمجهول .

مَبْسُوطَةً ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى ، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى ، قَبْلَ أَنْ يَخْمَدَ
الْعَمَلُ ، وَيَنْقَطَعَ الْمَهْلُ ، وَيَنْقُضِيَ الْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ ،
وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ .

فَأَخَذَ أَمْرُؤُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ
فَانٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ ، أَمْرُؤُ خَافَ اللَّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى
أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ ، أَمْرُؤُ لَجَمَ نَفْسُهُ بِلِجَامِهَا ، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا ،
فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٣٦

في شأن الحكمين ، وذم أهل الشام

جُفَاءَ طَغَامٍ ، عَبِيدُ أَقْزَامٍ ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَتَلَقَّطُوا
مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفْقَهُ وَيُؤَدَّبَ ، وَيَعْلَمَ وَيُدْرَبَ ،
وَيُوَلَّى عَلَيْهِ ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،
وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ .

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِنَفْسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ ،
وَإِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِنَفْسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ
بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ ،
وَشَيِمُوا سُيُوفَكُمْ » فَإِنْ كَانَ صَادِقًا (١) فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ

(١) إن صح قول أبي موسى « إنها فتنة » ولم يكرهه أحد على الدخول فيها ، فقد أخطأ =

مُسْتَكْرِهٍ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ اَلتَّهْمَةُ ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ
عَمْرُو بْنِ اَلْعَاصِرِ بِعَبْدِ اَللّٰهِ بْنِ اَلْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهْلَ اَلْأَيَّامِ ،
وَحُوطُوا قَوَاصِيَ اَلْإِسْلَامِ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ ، وَإِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ .

ومن خطبة له عليه السلام

٦٣٧

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

هُمْ عَيْشُ اَلْعِلْمِ ، وَمَوْتُ اَلْجَهْلِ ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ
عِلْمِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ .
لَا يُخَالِفُونَ اَلْحَقَّ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، هُمْ دَعَائِمُ اَلْإِسْلَامِ ،
وَوَلَائِجُ اَلْإِعْتِصَامِ ^(١) ، بِهِمْ عَادَ اَلْحَقُّ فِي نَصَابِهِ ^(٢) ، وَأَنْزَاحُ

= بمسيره إليها ، وكان عمله خلاف عقيدته ، ومن كان من شأنه ذلك فلا يصلح
للحكم ، وإن كان كاذباً فيما يقول ، فقد كان عارفاً بالحق ونطق بالباطل فهو
متهم . ويخشى أن يكون منه مثل ذلك في الحكم ، وقوله : « فادفعوا - الخ »
أي : اختاروا ابن عباس حكماً فإنه كفاء لعمر بن العاص ، وخذوا مهل الأيام -
أي : فسحتها - فاستعدوا فيها بجمع قواكم ، وتوفير عددكم ، وتجنيد جيوشكم ،
وحوطوا قواصي الاسلام ، أي : احفظوها من غارة أهل الفتنة عليها ، واجعلوا كل
قاصية لكم لا عليكم ، وقواصي الاسلام : أطرافه ، ورمى الصفاة - بفتح الصاد -
كناية عن طمع العدو فيما باليد . وأصل الصفاة : الحجر الصلد ، يراد منها القوة .
وما يحمية الانسان .

(١) ولائج : جمع وليجة ، وهي ما يدخل فيه السائر اعتصاماً من مطر أو برد ، أو توقياً
من مفترس .

(٢) نصاب الحق : أصله ، والأصل في معنى النصاب : مقبض السكين ، فكأن الحق =

الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنَبَتِهِ ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلًا
وَرِعَايَةً وَرِعَايَةً^(١) لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ ، فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ،
وَرِعَاتُهُ قَلِيلٌ .

ومن كلام له عليه السلام

٧٣٨

قَالَ الْعَبْدُ لِلَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ جَاءَهُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عُثْمَانَ وَهُوَ
مَحْصُورٌ يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُرُوجَ إِلَى مَالِهِ يَنْبَغُ لِيَقْلَّ هَتَفَ النَّاسِ بِاسْمِهِ
لِلْخِلَافَةِ^(٢) بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا أَبْنَى عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا
بِالْغَرْبِ^(٣) أَقْبَلْ وَأُدْبِرْ : بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ

= نصل ينفضل عن مقبضه ويعود إليه ، وانزاح : زال ، وانقطاع لسان الباطل عن
منبته - بكسر الباء ، وقياسه الفتح ، وورد به أيضاً - أي : عن أصله ، مجاز عن
بطلان حجته ، وانخذاله عند هجوم جيش الحق عليه .

(١) عقل الوعاية : حفظ في فهم ، والرعاية : ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال
عليها ؛ وهذا هو العلم بالدين حقيقة ؛ أما السماع والرواية مجردين عن الفهم
والرعاية فمزلتهما لا تخالف منزلة الجهل إلا في الاسم .

(٢) كان الناس يهتفون بإسم أمير المؤمنين للخلافة ، أي : ينادون به وعثمان رضي الله
عنه محصور ؛ فأرسل إليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع - وكان فيها رزق لأمر
المؤمنين - فخرج ، ثم استدعاه لينصره فحضر ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية .

(٣) نضح الجمل الماء - من باب نفع - حملة من بشر أو نهر ليسقي به الزرع فهو
ناضح ، والأنثى ناضحة بالهاء ، سمي ناضحاً لأنه ينضح العطش ، أي : يبله

أَقْدَمَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ
حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا .

ومن كلام له عليه السلام

٢٢٩

بحث أصحابه على الجهاد

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ^(١) وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي
مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ^(٢) لِيَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ . فَشَدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ^(٣) وَأَطَوْوا
فُضُولَ الْخَوَاصِرِ وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ^(٤) مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ
لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ^(٥) وَأَمَحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ !!

= بالماء الذي يحمله ، هذا أصله ، ثم استعمل الناصح في كل بغير وإن لم يحمل
الماء ؛ وفي الحديث « أطعمه ناضحك » أي : بغيرك ، والجمع نواضح ؛ والغرب -
بفتح فسكون - : الدلو العظيمة ، والكلام تمثيل للتسخير .

(١) مستأديكم : طالب منكم أداء شكره ، وأمره : سلطانه في الأرض يورثه الصالحين
المحافظين على رعاية أوامره ونواهي .

(٢) « ممهلكم » أي : معطيكم مهلة في مضمار الحياة المحدود بالأجل ؛ وأصل
المضمار : المكان تضر فيه الخيل ، أي : تحضر للسباق ، « لتتنازعوا » أي :
تتنافسوا في سبقه ، والسبق - بالتحريك - : الخط يوضع بين المتسابقين يأخذه
السابق منهم ، وهو هنا الجنة .

(٣) العقد : جمع عقدة ، والمآزر : جمع مئزر ، وشد عقد المآزر : كناية عن الجد
والتشمير ؛ فإن من شد العقدة أمن من انحلالها فيمضي في عمله غير خائف ،
و« اطوا فضول الخواصر » أي : ما فضل من مآزركم يلتف على أقدامكم فاطووه
حتى تخفوا في العمل ، ولا يعوقكم شيء عن الإسراع في عملكم .

(٤) أي : لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى اللذائذ .

(٥) « ما » تعجيبة ، أي : ما أشد النوم نقضاً لعزيمة النهار : يعزم السائر على قطع جزء =

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ
الدُّجَى ، وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

= من الليل في السير ، فإذا جاء الليل غلبه النوم ، فنقض عزمته . والظلم : جمع
ظلمة ، متى دخلت محت تذكّار الهمة التي كانت في النهار والله أعلم .

الباب الثاني

المقتار من كتب امير المؤمنين
عليه السلام ووصاياه وعهوده

بسم الله الرحمن الرحيم

بَابُ الْمُخْتَارِ مَنْ كُتِبَ^(١) مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى أَعْدَائِهِ وَأُمَرَاءِ بِلَادِهِ

وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَا اخْتِيرَ مِنْ عُهْدِهِ^(٢) إِلَى عَمَّالِهِ ، وَوَصَايَاهُ لِأَهْلِهِ
وَأَصْحَابِهِ

مِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَأَهْلِ الْكُوفَةِ ، عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةً
الْأَنْصَارِ^(٣) وَسَنَامِ الْعَرَبِ .

(١) قال ابن أبي الحديد : وقد أورد في هذا الباب ما هو بالباب الأول أشبه : نحو كلامه عليه السلام لشريح القاضي لما اشترى داراً ، وكلامه لشريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام اهـ .

(٢) قال ابن أبي الحديد : وسمي ما يكتب للولادة عهداً اشتقاقاً من قولهم « عهدت إلى فلان » أي : أوصيته .

(٣) شبههم بالجبهة من حيث الكرم ، وبالسنام من حيث الرفعة ، وقال ابن أبي الحديد : قوله « جبهة الأنصار » يمكن أن يريد به جماعة الأنصار ؛ فإن الجبهة في اللغة الجماعة ، ويمكن أن يريد به سادة الأنصار ، لأن جبهة الإنسان أعلى أعضائه ، وليس يريد بالأنصار ههنا الأوس والخزرج ، بل الأنصار ههنا الأعوان ، وقوله « وسنام العرب » أي أهل الرفعة والعلو منهم ، لأن السنام أعلى أعضاء البعير اهـ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ
كَعْيَانِهِ ؛ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلًا مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرُ
أَسْتَعْتَابَهُ^(١) وَأَقْلُ عِتَابَهُ ، وَكَانَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ
الْوَجِيفُ ، وَأَرْفَقُ حَدَائِهِمَا الْعَنِيفُ ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةٌ
غَضَبٍ^(٢) ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ
وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخِيرِينَ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا^(٣) ،
وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْجَلِ ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ ؛ فَأَسْرَعُوا
إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وَبَادَرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) استعتابه : استرضاه ، والوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل سريع وجملته
« أهون سيرهما الوجيف » خبر « كان » أي : إنهما سارعا لاثارة الفتنة عليه
والحداء : زجر الأبل وسوقها .

(٢) قيل : إن أم المؤمنين أخرجت نعلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقميصه من
تحت ستارها ، وعثمان رضي الله عنه على المنبر ، وقالت هذان نعلان
رسول الله وقميصه لم تبل ، وقد بدلت من دينه وغيرت من سنته وجرى بينهما كلام
المخاشنة ، فقالت : اقتلوا نعلًا ، تشبهه برجل معروف « فأتيح » أي قدر له قوم
فقتلوه .

(٣) دار الهجرة : المدينة ، وقلع المكان بأهله : نبذهم فلم يصلح لاستيطانهم
وجاشت : غلت ، والجيش : الغليان والمرجل - كمنبر - : القدر ، أي : فعليكم
أن تقتلوا بأهل دار الهجرة فقد خرجوا جميعاً لقتال أهل الفتنة . القطب : هو نفس
الامام قامت عليه فتنة اصحاب الجمل .

ومن كتاب له عليه السلام

٦

إِلَيْهِمْ ، بَعْدَ فَتْحِ الْبَصْرَةِ

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ^(١) عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ
مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ^(٢) بِطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ؛ فَقَدْ سَمِعْتُمْ
وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

ومن كتاب له عليه السلام

٦

لِشُرَيْحِ بْنِ الْحَارِثِ^(٣) قَاضِيهِ

رُوي أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) قال ابن أبي الحديد : موضع قوله « من أهل مصر » نصب على التمييز ، ويجوز أن يكون حالاً ، فإن قلت كيف يكون تمييزاً وتقديره : وجزاكم الله متمدين أحسن ما يجزي المطيع ، والتمييز لا يكون إلا جامداً ؟ قلت : إنهم أجازوا كون التمييز مشتقاً في قولهم « يا جارتا ما أنت جارة » وقولهم « يا سيداً ما أنت من سيد » اهـ .

(٢) قال ابن أبي الحديد : و « ما » يجوز أن تكون مصدرية ، أي : أحسن جزاء العاملين ، ويجوز أن تكون بمعنى الذي ، ويكون قد حذف العائد إلى الموصول ، وتقديره : أحسن الذي يجزي به العاملين اهـ . قلت : وتقديره غير صحيح ، فإن العائد المجرور بالحرف لا يحذف إلا أن يكون الموصول قد جربه والصواب في تقديره : جزاكم الله أحسن ما يجزيه .

(٣) هو شريح بن الحارث المنتجع بن معاوية بن جهم بن ثور ، الكندي ، وقيل : إنه حليف لكندة من بني الرائش ، وقال ابن الكلبي : ليس اسم أبيه الحارث ، وإنما هو شريح بن معاوية بن ثور ، وقال قوم : هو شريح بن هانيء وقال قوم هو شريح

اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً فبلغه ذلك ، فاستدعاه وقال له : بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيه شهوداً ، فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له :

يَا شُرَيْحُ ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيْتِكَ ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً^(١) وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً ، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونَ أَبْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا أَشْتَرَيْتَ لَكْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسخَةِ ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدَرَاهِمٍ فَمَا فَوْقَ ؛ وَالنُّسخَةُ :

هَذَا مَا أَشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ ، مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعَجَ لِلرَّحِيلِ ، أَشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ ، وَخِطَّةِ أَهْلِ الْكَيْنِ^(٢) ، وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارُ حُدُودَ أَرْبَعَةٍ : الْحَدُّ الْأَوَّلُ :

= ابن شراحيل ، والصحيح ما قدمناه أولاً : استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضياً ستين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع فيها من القضاء ، ثم استعفى الحجاج من العمل فأعفاه ولزم داره إلى أن مات .

(١) ذاهباً مبعداً . وتقول « شخص » « من بلد إلى بلد » إذا ذهب ، وبابه خضع وأشخصه غيره .

(٢) خطة - بكسر الخاء - هي في الأصل الأرض التي يخطتها الانسان لنفسه ، أي : يعلم عليها علامة بالخط ليعمرها .

يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي
الْمُصِيبَاتِ ، وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي ، وَالْحَدُّ
الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمَغْوِي ، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ
الذَّارِ (١) .

أَشْتَرَى هَذَا الْمَغْتَرُ بِالْأَمَلِ ، مِنْ هَذَا الْمُرْعَجِ بِالْأَجَلِ ،
هَذِهِ الذَّارُ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ ، وَالذُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ
وَالضَّرَاعَةِ ، فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا أَشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكِ
فَعَلَى مُبْلِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ
مُلْكِ الْفَرَاغَةِ ، مِثْلَ كِسْرَى وَفَيْصَرَ ، وَتُبَّعٍ وَحَمِيرَ ، وَمَنْ جَمَعَ
الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ ،
وَأَدْخَرَ وَاعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ ، إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ
الْعَرَضِ وَالْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ
بِفَضْلِ الْقَضَاءِ ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ
إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى ، وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا .

ومن كتاب له عليه السلام

إِلَى بَعْضِ أُمَرَاءِ جَيْشِهِ

فَإِنْ عَادُوا إِلَيَّ ظِلَّ الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ ، وَإِنْ تَوَافَتْ

(١) « يشرع » أي : يفتح في الحد الرابع .

الْأُمُورَ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ
عَصَاكَ ، وَاسْتَغْنِ بِمَنْ أَنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ؛ فَإِنَّ
الْمُتَكَارِهَ مَغِيْبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ .

ومن كتاب له عليه السلام

٥

إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ ، وَهُوَ عَامِلٌ أُدْرِيْجَانِ

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ وَأَنْتَ
مُسْتَرْعَى لِمَنْ فَوْقَكَ .

لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي
يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ
إِلَيَّ ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرًّا وَلَا تَكَ لَكَ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٦

إِلَى مُعَاوِيَةَ

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ، عَلَى مَا
بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ،
وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ
وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا ؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ

بِطَعْنٍ أَوْ بِدَعَةٍ رَدُّهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ : فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ
غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى .

وَلَعَمْرِي ، يَا مُعَاوِيَةَ ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِي
أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا
أَنْ تَتَجَنَّى^(١) فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ ؛ وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

إِلَيْهِ أَيْضاً

أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ أَتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ^(٢) ، وَرِسَالَةٌ
مُحِبَّةٌ ، نَمَّقَتْهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ ! وَكِتَابُ أَمْرِيءٍ
لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ؛ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ ،
وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ لَا غِطَاءَ وَضَلَّ خَابِطاً .

منه : لِأَنَّهَا بَيَّعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُشْنَى فِيهَا النَّظَرُ وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا
الْخِيَارُ ؛ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ .

(١) تجنى - كتولى - : أدعى الجناية على من لم يفعلها ، و « تجن ما بدالك » أي :
تستره وتخفيه .

(٢) موصلة - بصيغة المفعول - : ملفقة من كلام مختلف ، وصل بعضه ببعض على
التباين ، كالشوب المرقع ، و « محبرة » أي : مزينة ، ونمقتها : حسنت كتابتها ،
وأمضيتها : أنفذتها وبعثتها ، و « كتاب » عطف على « موعظة » .

ومن كتاب له عليه السلام

٨

إلى جرير بن عبدالله البجلي ، لما أرسله إلى معاوية

أما بعد ؛ فإذا أتاك كتابي فأحمل معاوية على الفصل وخذه
بالأمر الجزم ؛ ثم خيره بين حرب مجلية ، أو سلم مخزية ؛ فإن
أختار الحرب فأنبذ إليه ، وإن أختار السلم فخذ بيعة ،
وآلئكم .

ومن كتاب له عليه السلام

٩

إلى معاوية

فأراد قومنا قتل نبينا ، واجتياح أصلنا^(١) وهموا بنا الهموم ،
وفعلوا بنا الأفاعيل ، ومنعونا العذب ، وأحلسونا الخوف ،
وأضطرونا إلى جبل وعر ، وأوقدوا لنا نار الحرب ، فعزم الله لنا

(١) يحكي معاملة قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول البعثة ، والاجتياح :
الاستئصال والإهلاك و « هموا الهموم » : قصدوا نزولها ، والأفاعيل : جمع
أفعولة ، وهي الفعلة الرديئة ، والعذب : هني العيش ، وأحلسونا : ألزمونا ،
واضطرونا : ألجأونا ، والجبل الوعر : الصعب الذي لا يرقى إليه ، كناية عن
مضايقة قريش لشعب أبي طالب حيث جاهدوهم بالعداوة وحلفوا لا يزوجهم ولا
يكلّمونهم ولا يبايعونهم وكتبوا على ذلك عهدهم عداوة للنبي صلى الله عليه وآله
وسلم .

عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ^(١) ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ : مُؤْمِنًا يَبْغِي
بِذَلِكَ الْأَجَرَ ، وَكَافِرًا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ
خِلَومًا نَحْنُ فِيهِ بِحَلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنْ
الْقَتْلِ بِمَكَانٍ آمِنٍ^(٢) .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا أَحْمَرَ
الْبَاسُ^(٣) ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ قَدَمَ أَهْلِ بَيْتِهِ فَوْقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ
الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ
يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوْتَةَ ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ أَسْمَهُ
مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَلَكِنْ آجَالُهُمْ عَجَّلَتْ ، وَمَنِئْتُهُ
أَجَلْتُ ، فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقَرَّنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي ، الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ
مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ .

(١) عزم الله : أراد لنا أن نذب عن حوزته ، والمراد من الحوزة هنا : الشريعة الحقة ،
ورمى من وراء الحرمه : جعل نفسه وقاية لها يدافع السوء عنها فهو من ورائها أو
هي من ورائه .

(٢) كان المسلمون من غير آل البيت آمنين على أنفسهم : إما بتحالفهم مع بعض
القبائل ، أو بالاستناد إلى عشائريهم .

(٣) احمرار البأس : اشتداد القتال ، والوصف لما يسيل فيه من الدماء . وحر الأسنة -
بفتح الحاء - : شدة وقعها .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَأَنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا
الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ
لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا
يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ
طَلَبٌ يَسُوؤُكَ وَجَدَانُهُ ، وَزُورٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

ومن كتاب له عليه السلام

٩٥

إليه أيضاً

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ
دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا ؛ دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتْكَ
فَاتَّبَعْتَهَا ، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا . وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا
لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجْنٌ فَأَقْعَسَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَخَذَ أَهْبَةَ الْحِسَابِ ،
وَشَمَّرَ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ؛ وَإِلَّا تَفْعَلْ
أَعْلِمَكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ
مَأْخَذَهُ ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ .

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةَ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، بِغَيْرِ
قَدَمٍ سَابِقٍ ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ ؛ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ
الشَّقَاءِ ! وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ
وَالسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَآخِرُجْ إِلَيَّ ،
وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَنَّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمُغْطَى
عَلَى بَصَرِهِ ، فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخَا يَوْمَ
بَذْرِ ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي ، وَبِذَلِكَ الْقَلْبُ أَلْقَى عَدُوِّي ! مَا
أَسْتَبَدَلْتُ دِيناً وَلَا أَسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً ؛ وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي
تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ
عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتَكَ تَضِحُ
مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ ، وَكَأَنِّي
بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ ،
وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ - إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَا حِدَةً ، أَوْ
مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ .

ومن وصية له عليه السلام

وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُوْ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسَّكِرُكُمْ فِي قُبُلِ
الْأَشْرَافِ^(١) وَسِفَاحِ الْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ ؛ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ
رِدْعاً وَدُونَكُمْ مَرَدّاً ، وَلِتَكُنْ مُقَاتِلَتُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ ،

(١) « قبل الأشراف » قدام الجبال ، والأشراف : جمع شرف - محركة - وهو : العدو =

وَأَجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ^(١) وَمَنَاكِبِ الْهَضَابِ ؛ لِئَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ ، وَعُيُونُ الْمُقَدِّمَةِ طَلَاتِعُهُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا أَرْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً^(٢) وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غَرَاراً أَوْ مَضْمُضَةً .

ومن وصية له عليه السلام

٧٦

لِمَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ الرِّيَّاحِيِّ حِينَ أَنْفَذَهُ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثَةِ
آلَافٍ مُقَدِّمَةً لَهُ :

إِتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ ،
وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ ، وَسِرِ الْبُرْدَيْنِ^(٣) وَغَوْرَ النَّاسِ ، وَرَفَّهُ
فِي السَّيْرِ ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ^(٤) فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا ، وَقَدَرَهُ

= والعالي ، وسفاح الجبال : أسفلها ، والأثناء : منعطفات الأنهار ، والردء - بكسر فسكون - العون ، والمرد - بتشديد الدال - مكان الرد والدفع .

(١) صياصي : أعالي ، والمناكب : المرتفعات ، والهضاب : جمع هضبة - بفتح فسكون - : الجبل لا يرتفع عن الأرض كثيراً مع انبساط في أعلاه .

(٢) مثل كفة الميزان ، فانصبوها مستديرة حولكم محيطة بكم كأنها كفة الميزان ، والغرار - بكسر الغين - : النوم الخفيف ، والمضمضة : أن ينام ثم يستيقظ ثم ينام ، تشبهاً بمضمضة الماء في الفم يأخذه ثم يمجّه .

(٣) الغداة والعشي .

(٤) و « غور » أي : انزل بهم في الغائرة ، وهي القائلة . ونصف النهار ، أي : وقت شدة الحر ، « ورهه » أي : هون ولا تتعب نفسك ولا دابتك ، والظعن : السفر .

مُقَامًا لَا ظُعْنًا ، فَأَرِخْ فِيهِ بَدَنَكَ ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ
يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ ؛ فَسِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ ، فَإِذَا
لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا ، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُو مَنْ
يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ ، وَلَا تَبَاعِدْ عَنْهُمْ تَبَاعِدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ ،
حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَاْنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ
وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ .

ومن كتاب له عليه السلام

١٧٣

إلى اميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا مَالِكَ بْنِ الْحَارِثِ
الْأَشْتَرَ فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا ، وَاجْعَلَا دِرْعًا وَمِجَنًّا ؛ فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا
يُخَافُ وَهْنَهُ ، وَلَا سَقَطَتُهُ ، وَلَا بُطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ، وَلَا
إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ .

ومن وصية له عليه السلام

١٧٤

لِعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لَا تُقَاتِلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأُوكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - عَلَى
حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ .
فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُصَيِّبُوا

مُعَوَّرًا^(١) ، وَلَا تُجْهَزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَهَيَّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى ،
وَأِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ ، وَسَبَّيْنَ أُمَرَائَكُمْ ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى
وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ ، إِنْ كُنَّا لَنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ
لَمُشْرِكَاتُ^(٢) وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ
الْهَرَاوَةِ^(٣) فَيَعْيِّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

وكان عليه السلام يقول

٧٥

إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ مُحَارِبًا :

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ^(٤) ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ ،
وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ ، وَأُنْضِيتِ الْأَبْدَانُ .

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكْتُومُ الشَّنَانِ ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا ، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَتَشَتَّتَ

(١) المعور - كمجرم - الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها ، و « أعور » أي : أبدي عورته ، وأجهز على الجريح : تتم أسباب موته .

(٢) هذا حكم الشريعة الإسلامية ، لا ما يتوهمه جاهلونها من إباحتها التعرض لأعراض الأعداء ، نعوذ بالله .

(٣) الفهر - بالكسر - : الحجر على مقدار ما يدق به الجوز أو يملأ الكف والهرابة - بالكسر - : العصا أو شبه الدبوس من الخشب ، و « عقبه » عطف على الضمير المستتر في « يعير » ، وفد وقع الفصل بالجار والمجرور وذلك كاف .

(٤) أفضت : انتهت ، ووصلت . وأنضيت : أبلت بالهزال والضعف في طاعتك .

أَهْوَانَنَا ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
الْفَاتِحِينَ ﴾ .

وكان يقول عليه السلام

٥٦

لأصحابه عند الحرب

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ^(١) ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا
حَمَلَةٌ ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا ، وَوَطَّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا
وَأَذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ^(٢) ، وَالضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ .
وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدَ لِلْفَشْلِ ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ
النَّسَمَةَ ، مَا أَسْلَمُوا ، وَلَكِنْ أَسْتَسْلَمُوا ، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ ، فَلَمَّا
وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ .

(١) لا يشق عليكم الأمر إذا انهزمت متى عدتم للكرة ، ولا تثقل عليكم الدورة من وجه العدو إذا كانت بعدها حملة وهجوم عليه .

(٢) الدعسي : اسم من الدعس ، أي : الطعن الشديد ، وتقول : دعست الوعاء - من باب منع - إذا حشوته ، أي : الطعن الذي يحشى به أجواف الأعداء وذكر أن اللام زائدة ، والضبطان صحيحان ، وقال في القاموس : كبرطيل وسمند وجردحل وسبحل وجبركي وقرطاس ، أي : ضرباً شديداً . . . واللام أصلية لذكرهم الطلحفي في باب فعلي مع جبركي ، ووهم الجوهري اهـ / : أشد الضرب . وإماتة الأصوات : انقطاعها بالسكوت ، وإنما أمرهم باماتة الأصوات لأن شدة الضوضاء في الحرب إمارة الخوف والوجل والاضطراب .

ومن كتاب له عليه السلام

٧٧

إلى معاوية ، جواباً عن كتاب منه إليه

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ (١) ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِإِعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا
مَنْعَتْكَ أَمْسٍ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ : « إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ إِلَّا
حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ » أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ
أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ . وَأَمَّا أَسْتَوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرَّجَالِ فَلَسْتُ
بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ
عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : « إِنَّا بَنُو
عَبْدٍ مَنَافٍ » فَكَذَلِكَ نَحْنُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبُ
كَعْبِدِ الْمُطَّلِبِ ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ، وَلَا الْمُهَاجِرُ
كَالطَّلِيْقِ (٢) ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيْقِ ، وَلَا الْمُحَقُّ كَالْمُبْطِلِ ، وَلَا

(١) كتب معاوية إلى علي يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحرب ولم يبق منهم إلا حشاشات أنفس ، جمع حشاشة - بالضم - : وهي بقية الروح ويخوفه باستواء العدد في رجال الفريقين ، ويفتخر بأنه من أمية وهو وهاشم من شجرة واحدة ، فأجابه أمير المؤمنين بما ترى . ويقال طلبت إلى فلان كذا ، والتقدير كذا راغباً إلى فلان ، كما قال تعالى : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ أي : مرسلأ إليه ، وقوله « أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ » هكذا هو الذي عرضه لأكل الباطل إياه ، فنسب الأكل إليه تجوزاً ، وجعله ابن أبي الحديد يقدّر « من أكله أعداء الحق » وفي بعض النسخ « من أكله الحق فإلى النار » ولا تجوز .

(٢) الطليق : الذي أسر فأطلق باليمن عليه أو الفدية ، وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح ، والمهاجر : من آمن في المخافة ومهاجر تخلصاً منها ، والصريح : صحيح النسب في ذوي الحسب ، واللصيق : من ينتمي إليهم وهو =

الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ، وَلِبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَىٰ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ .

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ ، وَنَعَشْنَا
بِهَا الدَّلِيلَ^(٢) . وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا ، وَأَسْلَمَتْ
لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا
رَهْبَةً ، عَلَىٰ حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ
الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا ، وَلَا عَلَىٰ نَفْسِكَ
سَبِيلًا ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٩٨

إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ^(١)

أَعْلَمَ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبُطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرَسُ الْفِتَنِ^(٢) فَحَادِثُ أَهْلِهَا

= أجنبي عنهم ، والصراحة والاتصاف ههنا بالنسبة إلى الدين ؛ فالصریح فيه : من
أسلم اعتقاداً وإخلاصاً لم يلجئه إلى ذلك ملجئ من خوف أو نحوه ، واللصيق
فيه : من أسلم تحت السيف أو رغبة في الدنيا ، وقد صرح بذلك في قوله « كنتم
ممن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة » والمدغل : المفسد ؛ وقوله « وليس
الخلف خلماً » فإن « خلفاً » ساقط من أكثر النسخ ، وذكره من باب الجمع بين فاعل
« نعم وليس » والتميز ، والجمهور على منعه : وأجازه المبرد وجماعة « ومثله : نعم ،
الفتاة هند لو بذلت » وكثير من أمثاله .

(١) كان عبد الله بن عباس قد اشتد على بني تميم ؛ لأنهم كانوا مع طلحة والزبير يوم
الجمل : فأقصى كثيراً منهم ، فعظم على بعضهم من شيعة الامام ، فشكا له .

(٢) « مهبط » موضع هبوطه . و « معرس » يروى بالغين المعجمة من الغرس ، أي : =

بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ ^(١) .

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ بِنَبِيِّ تَمِيمٍ ^(٢) وَغِلْظُتُكَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّ
بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخِرُ ^(٣) ، وَإِنَّهُمْ لَمْ
يُسَبِّقُوا لَوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَجِماً مَاسَةً ،
وَقَرَابَةً خَاصَّةً ، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صَلَاتِهَا ، وَمَأْزُورُونَ عَلَى
قَطِيعَتِهَا ، فَارْبَعٌ ^(٤) أَبَا الْعَبَّاسِ ، رَحِمَكَ اللَّهُ ، فِيمَا جَرَّحَنِي عَلَى
لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ ، وَكُنْ عِنْدَ
صَالِحِ ظَنِّي بِكَ ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ ، وَالسَّلَامُ .

= موضع غرس الفتن ، ويروى « بميم مضمومة فعين مهملة مفتوحة فراء مشددة ، من التعريس ، وهو نزول القوم ليلاً للاستراحة ، والمعرس : مكان ذلك .

(١) « حادث أهلها » أي : تعهدهم بالاحسان من قولك « حادثت السيف بالصقال » .

(٢) « تنمرک » أي : تنكر أخلاقك .

(٣) غيبوبة النجم : كناية عن الضعف ، وطلوعه : كناية عن القوة ، والوغم - بفتح فسكون - : الحرب والحقد ، والثار ، أي : لم يسبقهم احد في البأس ، وكان بين بني تميم وهاشم مصاهرة ، وهي تستلزم القرابة بالنسل .

(٤) أربع : ارفق وقف عند حد ما تعرف ، وتقول : اربع عليك ، وأربع على نفسك ، وأربع على ظلمك - كل ذلك من باب منع - أي : قف وانتظر ولا تزد على ذلك . يريد عليه السلام أمره بالتثبت في جميع ما يعتمد به فعلاً وقولاً من خير وشر والا يعجل به لأنه شريكه فيه ؛ فانه عامله ونائب عنه . وقوله « كن عند صالح ظني فيك » معناه كن واقفاً عنده كأنك تشاهده فتمنعك مشاهدته من فعل ما لا يجوز ، وقال رأيه : ضعف .

ومن كتاب له عليه السلام

١٩

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكَّوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً
وَأَحْتِقَارًا وَجَفْوَةً ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدَنَّوْا لِشُرَكِهِمْ وَلَا أَنْ
يُقْصَوْا وَيَجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ ، فَالْبَسَ لَهُمْ جِلْبَابًا مِنَ آلِئِنْ تَشَوُّهُ بِطَرْفِ
مِنَ الشُّدَّةِ وَدَاوِلَ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ وَأَمْزَجَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ
وَالْإِدْنَاءِ ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٢٠

إلى زياد بن أبيه ، وهو خليفة عامله عبدالله بن عباس على
البصرة ، وعبدالله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى
كور الأهواز وفارس وكرمان .

وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا لِّئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ
الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا لِأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ
الْوَفْرِ ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ ، ضَعِيلَ الْأَمْرِ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

إِلَيْهِ أَيْضاً

فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً ، وَادَّكَرَ فِي الْيَوْمِ غَداً ، وَأَمْسَكَ
مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ .

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ
الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَطْمَعُ ، وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النِّعَمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ
وَالْأَرْمَلَةَ ، أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا
أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ

وَكَانَ ابْنُ الْعَبَّاسِ يَقُولُ : مَا آتَنَفَعْتُ بِكَلَامٍ بَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ
اللَّهِ كَأَنْتَفَاعِي بِهَذَا الْكَلَامِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ،
وَيَسُوؤُهُ قُوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُذْرِكَهُ^(١) ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ

(١) قد يسر الإنسان بشيء وقد حتم في قضاء الله أنه له ، ويحزن بفوات شيء محتوم
عليه أن يفوته ، والمقطوع بحصوله لا يصح الفرح به ، كالمقطوع بفواته لا يصح
الحزن له ، لعدم الفائدة في الثاني ، ونفي الغائلة في الأول . و« لا تأس » أي لا
تحزن .

آخِرَتِكَ ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا ، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ
فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا ، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا ؛ وَلْيَكُنْ
هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

ومن كلام له عليه السلام

٧٣

قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْوَصِيَّةِ
لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (١) فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ : أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ ،
وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَخَلَاكُمُ ذَمٌّ (٢) .

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ؛ وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ .
إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي ، وَإِنْ أَفْنَى فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي ؛ وَإِنْ أَعْفَى فَالْعَفْوُ
لِي قُرْبَةٌ ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ ؛ فَاعْفُوا ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
لَكُمْ ﴾ ؟

وَاللَّهِ مَا فَجَعَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدُ كَرِهَتُهُ ؛ وَلَا طَالِعُ أَنْكَرَتُهُ ؛
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ ، وَطَالِبٍ وَجَدَ ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْأَبْرَارِ ﴾ .

(١) « ومحمد » عطف على « أن لا تشركوا » مرفوع .

(٢) « خلاكم ذم » أي : عداكم الذم ، والمراد جاوزكم اللوم بعد قيامكم بالوصية .

قال الرضي : أقول : وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم
من الخطب ، إلا أن فيه ههنا زيادة أوجبت تكريره .

ومن وصية له عليه السلام

٧٤

بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد منصرفه من صفين

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، لِيُولِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ .

منها : وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : يَأْكُلُ مِنْهُ
بِالْمَعْرُوفِ ، وَيُنْفِقُ فِي الْمَعْرُوفِ ؛ فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنِ حَدَثٌ
وَحَسِينٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ .

وَإِنْ لَبِنِي فَاطِمَةُ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لَبِنِي عَلِيٌّ ؛ وَإِنِّي
إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَقُرْبَةً إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ ، وَتَشْرِيفاً لِرُصْلَتِهِ^(١) .

وَيَشْتَرِطُ^(٢) عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَى
أَصُولِهِ ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أَمَرَ بِهِ وَهَدَى لَهُ ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ

(١) الوصلة - بالضم - : الصلة ، وهي هنا القرابة .

(٢) ضمير الفعل إلى علي أو الحسن ، و «الذي يجعله إليه» : هو من يتولى المال
بعد علي أو الحسن بوصيته ، و «ترك المال على أصوله» : ألا يبيع منه شيء ،
ولا يقطع منه غرس .

أَوْلَادِ نَخِيلٍ هَذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةٌ^(١) حَتَّى تُشَكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً .

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسِكُ عَلَيَّ وَلَدَهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ ؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ : قَدْ أُفْرِجَ عَنْهَا الرُّقُ ، وَحَرَّرَهَا أَلْعَتَقُ .

قال الرضي : قوله عليه السلام في هذه الوصية « أَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ نَخْلِهَا وَدِيَّةٌ : الْوَدِيَّةُ : الْفَسِيلَةُ ، وَجَمْعُهَا وَدِيٌّ ، وقوله عليه السلام : « حَتَّى تُشَكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً » هو مَنْ أَفْصَحَ الْكَلَامِ ، والمرادُ به أَنْ الْأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ النَّخْلِ حَتَّى يَرَاهَا النَّازِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي عَرَفَهَا بِهَا فَيُشَكِّلُ أَمْرَهَا عَلَيْهِ وَيَحْسُبُهَا غَيْرَهَا .

وَمَنْ وَصِيَّةٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٧٥

كَانَ يَكْتُبُهَا لِمَنْ يَسْتَعْمَلُهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هُنَا جُمْلَةً مِنْهَا لِيُعْلَمَ بِهَا أَنَّهُ كَانَ يَقِيمُ عِمَادَ الْحَقِّ ، وَيَشْرَعُ أَمْثَلَةَ الْعَدْلِ : فِي صَغِيرِ الْأُمُورِ وَكَبِيرِهَا ، وَدَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا .

أَنْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارَهَا ؛ وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ

(١) الودية - كهدية - : واحدة الودى ، أي : صغار النخل ، وهو هنا الفسيل والسر في النهي أن النخلة في صغرها لم يستحكم جذعها في الأرض فقلع فسيلها يضر بها .

فِي مَالِهِ ؛ فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْخَيِّ فَاَنْزِلْ بِمَائِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ؛ ثُمَّ أَمْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ ؛ وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ : عِبَادَ اللَّهِ ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ لِأُخَذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ ؛ فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتَوَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لَا ! فَلَا تُرَاجِعْهُ وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ ^(١) فَاَنْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ وَتُوعِدَهُ ، أَوْ تَعْسِفَهُ ، أَوْ تُرْهَقَهُ ! فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ؛ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَّةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ ؛ فَإِنْ أَكْثَرَهَا لَهُ ؛ فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ ، وَلَا تُنْفِرَنَّ بِهِمَةَ وَلَا تُفْرِعَنَّهَا ، وَلَا تُسَوِّنَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَأَصْدَعْ أَلْمَالَ صَدْعَيْنِ ^(٢) ثُمَّ خَيْرُهُ : فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ ، ثُمَّ أَصْدَعْ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ، ثُمَّ خَيْرُهُ : فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ ، فَلَا تَزَالْ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ فَإِنْ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلَّهُ ^(٣) ، ثُمَّ أَخْلِطْهُمَا ، ثُمَّ أَصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ . وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا ^(٤) وَلَا هَرِمَةً ، وَلَا مَكْسُورَةً ، وَلَا

(١) « انعم لك منعم » أي : قال لك « نعم » أو تعسفه : تأخذه بشدة ، وترهقه : تكلفه ما يصعب عليه .

(٢) أي : اقسمه قسمين ، ثم خير صاحب المال في أيهما .

(٣) أي : فان ظن في نفسه سوء الاختيار ، وأن ما اخذت منه الزكاة أكرم مما في يده ، وطلب الاعفاء من هذه القسمة فأعفه منها ، واخلط ، وأعد القسمة .

(٤) العود - بفتح بسكون - : المسنة من الإبل ، والهرمة : أسن من العود ، =

مَهْلُوسَةً ، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقًا
بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا تُوَكَّلْ
بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا ، غَيْرَ مُعَنِّفٍ وَلَا مُجْجِفٍ وَلَا
مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ ، ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ ، نُصَيِّرُهُ حَيْثُ
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ
فَصِيلِهَا وَلَا يُمَصِّرَ لَبَنَهَا فَيُضِرَّ ذَلِكَ بَوْلِيدَهَا وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا .
وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا ، وَلْيَرْفُضْهُ عَلَى اللَّأْغِبِ ،
وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّلَالِ ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدْرِ ، وَلَا يَعْدِلْ
بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ ،
وَلْيُمَهِّلْهَا عِنْدَ النَّطَافِ وَالْأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيَنَا ، بِإِذْنِ اللَّهِ ، بُدْنًا
مُنْقِيَاتٍ ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ ، وَأَقْرَبُ
لِرُشْدِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومن عهد له عليه السلام

٢٦١

إلى بعض عماله ، وقد بعثه على الصدقة

أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيات عمله ، حيث لا

= والمهلوسه : الضعيفة ، تقول : هلسه الممرض ، أي اضعفه . والعوار - بفتح
العين ، وتضم - : العيب .

شَاهِدَ غَيْرُهُ ، وَلَا وَكَيْلَ دُونَهُ .

وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ
إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَ وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ ؛
فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ .

وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَجِبَهُمْ وَلَا يَعْضَهُمْ ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً
بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى
اسْتِخْرَاجِ الْحَقُوقِ .

وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصيباً مَفْرُوضاً ، وَحَقّاً مَعْلوماً ،
وَشُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكَنَةٍ ، وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ ؛ وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوْفَهُمْ
حُقُوقَهُمْ ! وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبُوساً
لِمَنْ خَصُمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ ، وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ ،
وَالْمَذْفُوعُونَ ، وَالْغَارِمُونَ ، وَابْنُ السَّبِيلِ !! وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ ،
وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ ، وَلَمْ يُنْزِزْهُ نَفْسُهُ وَدِينُهُ عَنْهَا ؛ فَقَدْ أَحْلَى بِنَفْسِهِ الذُّلَّ
وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى . وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ
خِيَانَةُ الْأُمَّةِ ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّةِ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) جمع خزية - بفتح الخاء - أي : بلية ، والجمع بضم ففتح ككنوبة ونوب .

إلى مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ قَلَدَهُ مِصْرَ

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَأَبْسِطْ لَهُمْ
وَجْهَكَ ، وَأَسِ (١) بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ
الْعُظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ، وَلَا يَتَأَسَّ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ ؛
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ
وَالْكَبِيرَةِ ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتُورَةِ : فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ ، وَإِنْ
يَغْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ .

وَأَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ أَنْ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ
الْآخِرَةِ ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي
آخِرَتِهِمْ ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ ، وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ ،
فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظَّيَ بِهِ الْمُتَرَفُّونَ (٢) وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ
الْمُتَكَبِّرُونَ . ثُمَّ أَنْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ ،
وَالْمُتَجَرِّ الرَّابِحِ . أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنََّّهُمْ

(١) آس : أمر من « آسى » بمد الهمزة - أي : سَوَّى ، يريد اجعل بعضهم أسوة
بعض ، أي : مستوين ، و « حيفك لهم » أي ظلمك لأجلهم . يطمعون في ذلك
إذا خصصتهم بشيء من الرعاية .

(٢) المترفون المنعمون ، فإن المتقي يؤدي حق الله وحقوق العباد ويتلذذ مما آتاه الله
من النعمة ، وينفق ماله فيما يرفع شأنه ويعلي كلمته فيعيش سعيداً مترفاً ، كما
عاش الجبابرة ، ثم ينقلب بالزاد - وهو الأجر - الذي يبلغه سعادة الآخرة جزاء على
رعاية حق نفسه ومنفعتاتها الصحيحة فيما أوتي من الدنيا ، وهو بهذا يكون زاهداً في
الدنيا وهي مغدقة عليه .

جِرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُذَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ : بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا ، أَوْ شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا ! فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا ، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا ^(١) ؟ وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ . الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ ^(٢) ، وَالْدُّنْيَا تُطَوِّى مِنْ خَلْفِكُمْ ، فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ : دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ، وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ . وَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ : فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حَسَنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ ^(٣) ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ .

وَأَعْلَمَ ، يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي . أَهْلَ مِصْرَ ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ

(١) استفهام بمعنى النفي ، أي : لا أقرب إلى الجنة ممن يعمل لها الخ .

(٢) النواصي : جمع ناصية وهي مقدم شعر الرأس .

(٣) فان من خاف ربه عمل لطاعته ، وانتهى عن معصيته ، فرجا ثوابه ، بخلاف من لم يخفه ، فان رجاءه يكون طمعاً في غير مطمع ، نعوذ بالله منه .

الدَّهْرُ ، وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا
مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ .

صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا ، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتُهَا لِفَرَاغٍ ،
وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِإِشْتِغَالٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ
تَبَعَ لِصَلَاتِكَ .

ومنه : فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى ، وَوَلِيُّ
النَّبِيِّ ، وَعَدُوُّ النَّبِيِّ . وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ : « إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا . أَمَّا الْمُؤْمِنُ
فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشُرْكِهِ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ، وَيَفْعَلُ
مَا تُنْكِرُونَ » .

ومن كتاب له عليه السلام

٦٨

إِلَى مُعَاوِيَةَ جَوَابًا . وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْكُتُبِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرُ فِيهِ أَصْطِفَاءُ اللَّهِ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِدِينِهِ ، وَتَأْيِيدُهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ،
فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا^(١) إِذْ طَفِئَتْ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ

(١) أخفى أمراً عجباً ثم اظهره ، وطفقت - بفتح فكسر - أخذت . وعطف النعمة على
البلاء عطف تفسير وليلي المؤمنين منه بلاء حسناً .

تَعَالَى عِنْدَنَا ، وَنَعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ
 التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ^(١) أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النُّضَالِ . وَزَعَمْتَ أَنَّ
 أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ
 اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ^(٢) وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ
 وَالْمَفْضُولَ ، وَالسَّائِسَ وَالْمُسُوسَ ، وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ ،
 وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفِ
 طَبَقَاتِهِمْ^(٣) ؟ هِيَاهُ ! لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا^(٤) وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا
 مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ، أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظُلْمِكَ
 وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذُرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدَرُ ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ
 الْمَغْلُوبِ وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ ! وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التِّيهِ ، رَوَّاعٌ عَنِ
 الْقَصْدِ ، أَلَا تَرَى - غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحْدَثُ - أَنَّ
 قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلِّ

(١) هجر : مدينة بالبحرين كثيرة النخيل ، والمسدد : معلم رمي السهام ، والنضال :
 المراماة ، أي : كمن يدعو أستاذه في فن الرمي إلى المناضلة ، وهما مثلان لناقل
 الشيء إلى معدنه والمتعلم على معلميه .

(٢) إن صح ما ادعيت من فضلهم لم يكن لك حظ منه ، فانت عنه بمعزل ، وثلمه :
 عيبه .

(٣) يريد : أي حقيقة تكون لك مع هؤلاء ؟ أي : ليست لك ماهية تذكر بينهم ،
 والطلاق : الذين أسروا بالحرب ثم اطلقوا ، وكان منهم أبوسفيان ومعاوية .
 والمهاجرون : من نصروا الدين في ضعفه ولم يحاربوه .

(٤) حن : صوت . والقدح - بالكسر - السهم ، وإذا كان سهم يخالف السهام كان له عند
 الرمي صوت يخالف أصواتها ، وهو مثل يضرب لمن يفتخر بقوم ليس منهم .
 وأصل المثل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : قال له عقبة بن أبي معيط « أقتل
 من بين قريش ؟ » فأجابه « حن قدح ليس منها » .

فَضْلٌ ! حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ « سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ » وَخَصَّهُ
رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ
صَلَاتِهِ عَلَيْهِ ! أَوْ لَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلِكُلِّ فَضْلٌ ! حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ :
« الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ » وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ
تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرُ فَضَائِلِ جَمَّةٍ^(١) تَعْرِفُهَا قُلُوبُ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ ، فَدَعُ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ
الرَّمِيَّةُ^(٢) فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا^(٣) وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا ، لَمْ يَمْنَعْنَا
قَدِيمَ عِزِّنَا^(٤) وَلَا عَادِيَّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا
فَنَكَحْنَا وَأَنكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ ! وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ ،
وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ^(٥) ؟ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ ، وَمِنْكُمْ أَسَدُ

(١) ذاكِر : هو الامام نفسه .

(٢) الرمية : الصيد يرميه الصائد ، ومالت به : خالفت قصده فأتبعها ، مثل يضرب لمن
اعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه .

(٣) آل النبي : أسراء إحسان الله عليهم ، والناس أسراء فضلهم بعد ذلك وأصل
الصنيع : من تصنعه لنفسك بالاحسان حتى خصصته بك كأنه عمل يدك .

(٤) « قديم » : مفعول « يمنع » ، والعادي : الاعتيادي المعروف ، والطول - بفتح
فسكون - : الفضل : و « أن خلصناكم » : فاعل « يمنع » ، والأكفاء : جمع كفاء -
بالضم - وهو النظير في الشرف .

(٥) المكذب : أبو جهل . وأسد الله : حمزة ، وأسد الأحلاف : أبو سفيان ، لأنه حزب
الأحزاب ، وحالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق ، وسيدا شباب أهل
الجنة : الحسن والحسين بنص قول الرسول . وصبيئة النار : قيل : هم أولاد
مروان بن الحكم ، أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم من أهل النار ، ومرقوا عن

الْأَخْلَافِ ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ ،
وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ؟ فِي كَثِيرٍ مِّمَّا لَنَا
وَعَلَيْكُمْ ^(١) .

فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتِنَا لَا تُدْفَعُ ^(٢) ، وَكِتَابُ اللَّهِ
يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَا وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى
بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ
لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ . وَلَمَّا أَحْتَجَّ
الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَجُوا عَلَيْهِمْ ^(٣) فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا
دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بغيرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ !

وَزَعَمْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ ؛ وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ !

= الدين في كبرهم . وخير النساء : فاطمة . وحمالة الحطب : أم جميل بنت حرب
عمة معاوية وزوجة أبي لهب .

(١) أي : هذه الفضائل المعدودة لنا ، وأضدادها المسرودة لكم ، قليل في كثير مما لنا
وعليكم .

(٢) شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد .

(٣) يوم السقيفة : عندما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة بعد موت النبي صلى الله عليه
وسلم ليختاروا خليفة له ، وطلب الأنصار أن يكون لهم نصيب في الخلافة فاحتج
المهاجرون عليهم بأنهم شجرة الرسول ففلجوا - أي ظفروا بهم . فظفر المهاجرين
بهذه الحجة ظفر لأمير المؤمنين على معاوية ، لأن الإمام من ثمرة شجرة الرسول ،
فان لم تكن حجة المهاجرين بالنبي صحيحة فالأنصار قائلون على دعواهم من حق
الخلافة ، فليس لمثل معاوية حق فيها ، لأنه اجنبي منهم .

فَإِنْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجَنَائَةُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ

« وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا »^(١)

وَقُلْتُ : إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى
أَبَايَعُ^(٢) ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَأَنْ تَفْضَحَ
فَأَفْتَضَحْتَ ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا^(٣)
مَا لَمْ يَكُنْ شَاكَاً فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَاباً بِبِقِيْنِهِ ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى
غَيْرِكَ قَصْدُهَا^(٤) ، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ
ذِكْرِهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ
عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ^(٥) ، فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ^(٦) ، وَأَهْدَى إِلَى
مَقَاتِلِهِ ! أَمِنْ بَذَلٍ لَهُ نُصْرَتُهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ^(٧) ؟ أَمِنْ أَسْتَنْصَرَهُ

(١) شكاة - بالفتح - أي : نقيصة ، وأصلها المرض ، وظاهر : من « ظهر » إذا صار
ظهراً - أي : خلفاً ، أي بعيداً - والشطر لأبي ذؤيب ، وأول البيت : وعيرها الواشون
اني أحبها .

(٢) الخشاش - ككتاب - : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد ، وتقول :
خششت البعير ، إذا جعلت في أنفه الخشاش ، طعن معاوية على الامام بأنه كان
يجبر على مبايعة السابقين من الخلفاء .

(٣) الغضاضة : النقص .

(٤) يحتج الامام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق ، أما معاوية فهو منقطع عن
جرثومة الأمر فلا حاجة للاحتجاج عليه . و « سنح » أي : ظهر وعرض .

(٥) لقرابتك منه يصح الجدل معك فيه .

(٦) أعدى : أشد عدواناً ، والمقاتل : وجوه القتل .

(٧) من بذل النصرة هو الامام ، و « استقعد عثمان » أي : طلب قعوده ولم يقبل
نصره .

فَتَرَاحِي عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونُ إِلَيْهِ^(١) حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ !؟ كَلَّا
وَاللَّهِ : لَ ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ
إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحَدًا فَإِنْ كَانَ
الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

[وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظُّنَّةَ الْمَتَنَصِّحُ (*)] وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا
أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِإِصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ ! فَلَقَدْ
أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ
نَاكِيلِينَ وَبِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ . لَبَثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ (*)
فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ
فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ،
شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ، مُتَسَرِّبِلِينَ سِرْبَالِ الْمَوْتِ أَحَبُّ
الْلِقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ، قَدْ صَحِبْتُهُمْ ذُرِّيَّةً بَذْرِيَّةً ، وَسُيُوفُ
هَاشِمِيَّةً ، قَدْ عَرَفْتُ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ
﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

(١) استنصر عثمان بعشيرته من بني أمية كعماوية فخلدوه وخلوا بينه وبين الموت فكانما
بثوا المنون ، أي : افضوا بها إليه .

* عجز بيت وصدرة : وكم سقت في آثاركم من نصيحة .

* وعجزه : لا بأس بالموت إذا الموت نزل .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ ،
فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُذْبِرِكُمْ ، وَقَبِلْتُ مِنْ
مُقْبِلِكُمْ ، فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُرْدِيَّةُ ، وَسَفَهُ الْأَرَاءِ الْجَائِرَةُ
إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي ، وَرَحَلْتُ
رِكَابِي ، وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لِأَوْعَنَ بِكُمْ وَقَعَةً لَا
يَكُونُ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلْعَقَةً لِأَعْيٍ ، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي
الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلُهُ ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقُّهُ ، غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى
بَرِيءٍ ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ ، وَأَنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ ، وَارْجِعْ إِلَى
مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً ، وَسُبُلًا
نِيرَةً ، وَمَحَجَّةً نَهَجَةً ، وَغَايَةً مَطْلُوبَةً ، يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ ، وَيُخَالِفُهَا
الْأُنْكَاسُ ، مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي التِّيهِ (١) ، وَغَيْرَ

(١) نكب : عدل ، وجار : مال ، وخبط : مشى على غير هداية ، والديه الضلال .

اللَّهُ نِعْمَتُهُ ، وَأَحَلُّ بِهِ نِقْمَتَهُ . فَفَنَفْسَكَ نَفْسَكَ ، فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ ، وَمَحَلَّةٍ كُفْرٍ^(١) ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا ، وَأَقْحَمَتْكَ^(٢) غِيًّا ، وَأَوْرَدَتْكَ أَلْمَهَالِكَ ، وَأَوَعَرَتْ عَلَيْكَ أَلْمَسَالِكَ^(٣)

ومن وصية له عليه السلام

٥٧٩

لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ،

كُتِبَها إِلَيْهِ بِحَاضِرَيْنِ
عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صَفِينٍ^(٤)

مِنْ أَلْوَالِدِ الْفَائِي ، أَلْمُقَرَّرُ لِلزَّمَانِ^(٥) أَلْمُدْبِرُ الْعُمُرِ ، أَلْمُسْتَسْلِمُ لِلدَّهْرِ ، الدِّائِمُ لِلدُّنْيَا ، السَّاكِنُ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى ، وَالظَّاعِنُ عَنْهَا غَدًا . إِلَى أَلْمَوْلُودِ أَلْمُوْمَلِ مَا لَا يُدْرِكُ^(٦) ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ . غَرَضِ الْأَسْقَامِ ، وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ ، وَرَمِيَّةِ

(١) أجريت مطيتك مسرعاً إلى غاية خسران .

(٢) أولجتك : أدخلتك ، وأقحمتك : رمت بك في الغي ، ضد الرشاد .

(٣) أوعرت : أخشنت وصعبت .

(٤) حاضرين : اسم بلدة في نواحي صفين .

(٥) المعترف له بالشدة .

(٦) يؤمل البقاء ، وهو مما لا يدركه أحد .

الْمَصَائِبِ^(١) ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا ، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا ،
وَأَسِيرِ الْمَوْتِ ، وَخَلِيفِ الْهُمُومِ ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ ، وَنُصْبِ
الْآفَاتِ ، وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ فِيمَا تَبَيَّنَتْ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي ، وَجُمُوحِ
الدَّهْرِ عَلَيَّ ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ ، مَا يُرَغِّبُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ
سِوَايَ ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي ، دُونَ هُمُومِ
النَّاسِ ، هُمْ نَفْسِي ، فَصَدَّقَنِي رَأْيِي ، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ ،
وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَفْضَى بِي إِلَى جَدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ،
وَصِدْقٌ لَا يَشُوْبُهُ كَذِبٌ . وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي ، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي ،
حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي
فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي ، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي
مُسْتَظْهِرًا بِهِ إِنَّ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ .

فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، أَيُّ بُنْيٍّ وَلَزُومِ أَمْرِهِ ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ
بِذِكْرِهِ ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ
إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ ؟

أَخِي قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ ، وَأَمْتُهُ بِالزَّهَادَةِ ، وَقَوُّهُ بِالْيَقِينِ ،
وَنَوْرُهُ بِالْحِكْمَةِ ، وَذَلَّلُهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ ، وَبَصَّرَهُ

(١) هدفها ترمي اليه سهامها ، والرهيئة : المرهونة ، أي : إنه في قبضتها وحكمها
والرمية : ما اصابه السهم .

فَجَائِعَ الدُّنْيَا ، وَحَذَرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامِ ، وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ ، وَذَكَرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ ، فَأَنْظُرْ فِيمَا
فَعَلُوا ، وَعَمَّا أَنْتَقَلُوا ، وَأَيَّنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ أَنْتَقَلُوا
عَنِ الْأَجْبَةِ وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ
كَأَحَدِهِمْ . فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ ، وَدَعِ الْقَوْلَ
فِيمَا لَا تَعْرِفُ ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا
خِفْتَ ضَلَالَتَهُ ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ
الْأَهْوَالِ . وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ
وَلِسَانِكَ ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهِدِكَ . وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ،
وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ
كَانَ (١) ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ،
وَنِعْمَ الْخُلُقِ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ . وَالْجِيءُ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ
كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ (٢) ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ ،
وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ يَدَيْهِ الْعَطَاءُ وَالْحِرْمَانُ . وَأَكْثِرِ
الِاسْتِخَارَةَ (٣) ، وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً (٤) ، فَإِنَّ
خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَلَا

(١) الغمرات : الشدائد .

(٢) الكهف : الملجأ ، والحريز : الحافظ .

(٣) الاستخارة : إجمالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه .

(٤) « صفحاً » أي : جانباً ، أي لا تعرض عنها .

يَنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ^(١) .

أَيُّ بُنَيَّ ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا^(٢) ، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ
وَهَنًا ، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ
بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي^(٣) ، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي
رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي^(٤) ، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ
الْهَوَى ، أَوْ فِتَنِ الدُّنْيَا^(٥) ، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ . وَإِنَّمَا قَلْبُ
الْحَدِثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتُهُ . فَبَادَرْتُكَ
بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ ، لِتَسْتَقْبَلَ بِجَدِّ رَأْيِكَ مِنَ
الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتُهُ وَتَجَرِبَتُهُ فَتَكُونَ قَدْ كُفِّيتَ
مَوْنَةَ الطَّلَبِ ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجَرِبَةِ ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ
كُنَّا نَأْتِيهِ ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رَبُّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

أَيُّ بُنَيَّ ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي ،
فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ، وَسِرْتُ فِي
آثَارِهِمْ ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا أَنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ
أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ

(١) لا يحق - بكسر الحاء وضمها - أي : لا يكون من الحق كالسحر ونحوه .

(٢) أي : وصلت النهاية من جهة السن ، والوهن : الضعف .

(٣) أفضي : ألقى إليك .

(٤) « وأن أنقص » : عطف على « أن يعجل » .

(٥) أي : يسبقني بالاستيلاء على قلقك غلبات الأهواء ، فلا تتمكن نصيحتي من النفوذ
إلى فؤادك ، فتكون كالفرس الصعب غير المذل ، والنفور : ضد الأنس .

كَدَرِهِ ، وَنَفَعُهُ مِنْ ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ
وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ
عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ ،
أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ ، وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ
وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ ، وَأَنْ أَبْتَدِثَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرَائِعِ
الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَلَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ ^(١) ، ثُمَّ
أَشْفَقْتُ ^(٢) أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَأَرَائِهِمْ
مِثْلَ الَّذِي أَلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ ^(٣) ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتَ مِنْ
تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ ^(٤) ،
وَرَجَوْتُ أَنْ يُوفِّقَكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ
وَصِيَّتِي هَذِهِ .

وَأَعْلَمُ ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ
وَصِيَّتِي ، تَقْوَى اللَّهِ وَالْإِقْتِصَارُ عَلَيَّ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالْأَخْذُ
بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ؛

(١) لا اتعدى بك كتاب الله الى غيره ، بل اقف بك عنده .

(٢) « أشفقت » أي : خشيت وخفت .

(٣) « مثل » : صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي : التباسا مثل الذي كان لهم .

(٤) أي : إنك وإن كنت تكره إن ينهك أحد لما ذكرت لك فاني أعد إتيان التنبية على كراهتك له أحب إلي من إسلامك - أي : إلقائك - إلى أمر تخشى عليك به الهلكة .

فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ^(١) ، وَفَكَرُّوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يَكْلُفُوا . فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَتَعَلُّمٍ ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ ، وَعُلُوِّ الْخُصُوصِيَّاتِ^(٢) وَأَبْدَأْ ، قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ ، بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْإِلَهِ ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبُهَةٍ^(٣) ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ . فَإِذَا أَتَيْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتَ لَكَ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ ، فَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخِيطُ الْعَشْوَاءَ^(٤) ، وَتَتَوَرَّطُ الظُّلُمَاءَ ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ ! وَالْإِمْسَاكِ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ^(٥) .

فَتَفْهَمُ ، يَا بُنَيَّ ، وَصِيَّتِي ، وَأَعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمَيِّتُ ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ ،

(١) لم يتركوا النظر لأنفسهم في أول أمرهم بعين لا ترى نقصاً ولا تحذر خطراً ثم ردتهم آلام التجربة إلى الأخذ بما عرفوا حسن عاقبته وإمساك أنفسهم عن عمل لم يكلفهم الله إتيانه .

(٢) يروى « وعلو الخصومات » .

(٣) الشائبة : ما يشوب الفكر من شك وحيرة ، وأولجتك : أدخلتك .

(٤) العشواء : الضعيفة البصر : أي خبط الناقة العشواء : لا تأمن أن تسقط فيما لا خلاص منه ، وتورط في الأمر : دخل فيه على صعوبة في التخلص منه .

(٥) حبس النفس عن الخلط والخبط في الدين أحسن .

وَأَنَّ الْمُتَّبِلِي هُوَ الْمُعَافِي ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِيَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا
 جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ ، أَوْ مَا
 شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ . فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى
 جَهَالَتِكَ بِهِ ، فَإِنَّكَ أَوَّلَ مَا خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلَّمْتَ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا
 تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ، ثُمَّ
 تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَأَعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ ، وَلْيَكُنْ
 لَهُ تَعَبُّدُكَ ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ .

وَأَعْلَمُ ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ
 الرُّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَرْضَ بِهِ رَائِدًا وَإِلَى النِّجَاةِ
 قَائِدًا ، فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ، وَإِنْ
 اجْتَهَدْتَ ، مَبْلُغَ نَظَرِي لَكَ .

وَأَعْلَمُ ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ ،
 وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُ إِلَهُ
 وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا .
 وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ وَآخِرَ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَآيَةٍ .
 عَظُمَ عَنْ أَنْ تَتَّبِتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ . فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ
 فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ ،
 وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ ،
 وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَالشُّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ
 إِلَّا بِحَسَنِ ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ .

يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا ، وَزَوَالِهَا
وَأَنْتَقَالِهَا ، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، وَضَرَبْتُ
لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَعْتَبَرَ بِهَا ، وَتَحْذُو عَلَيْهَا . إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ
الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيدٌ فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيْبًا ، وَجَنَابًا
مَرِيْعًا ، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ ، وَخُشُونَةَ
السَّفَرِ ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ ، لِيَأْتُوا سَعَةً دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ ،
فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَمًا ، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَمًا ،
وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ .
وَمَثَلُ مَنْ آغْتَرَبَ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيْبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى
مَنْزِلٍ جَدِيدٍ ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهُ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ
مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ^(١) وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

يَا بُنَيَّ ، أَجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأَحْبِبِ
لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَأَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا ، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا
تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ ، وَاسْتَقْبِحْ
مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَأَرْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ
مِنْ نَفْسِكَ^(٢) ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ ، وَإِنْ قُلَّ مَا تَعْلَمُ ، وَلَا تَقُلْ
مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

(١) هجم عليه - من باب دخل - إنتهى إليه بغتة .

(٢) إذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فأرض بذلك ، ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ^(١) ؛ فَاسْعَ فِي كَذْحِكَ^(٢) وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ^(٣) ، وَإِذَا أَنْتَ هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ^(٤) وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ .
وَأَنَّهُ لَا غِنَى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ^(٥) . وَقَدَّرَ بِلَاغَكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَةِ الظَّهْرِ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَيَبَالًا عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُؤَا فَيْكَ بِهِ غَدًا ، حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَأَغْتَنِمْهُ وَحَمْلُهُ إِيَّاهُ^(٦) وَأَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ . وَآغْتَنِمْ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

(١) الاعجاب : استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً ، وهو خلق من أعظم الأخلاق مصيبة على صاحبه : ومن أشد الآفات ضرراً لقلبه .

(٢) الكدح : أشد السعي .

(٣) لا تحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون بعدك ، بل أنفق فيما يجلب رضا الله لك .

(٤) هو طريق السعادة الأبدية .

(٥) الارتياح : الطلب ، وحسنه : إتيانه من وجهه ، والبلاغ - بالفتح - الكفاية .

(٦) الفاقة : الفقر ، وإذا أسعفت الفقراء بالمال كان أجر الاسعاف وثوابه ذخيرة تنالها في القيامة ، فكأنهم حملوا عنك زاداً يبلغك موطن سعادتك يؤدونه إليك وقت الحاجة ، وهذا الكلام من أفصح ما قيل في الحث على الصدقة .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَوُوداً^(١) أَلْمُخِفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنْ
الْمُثْقِلِ ، وَالْبَطِيءُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنْ الْمُسْرِعِ ، وَأَنَّ مَهَبْطَكَ بِهَا
لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ . فَارْتَدُّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ^(٢) ،
وَوُطِئَ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ^(٣) ، وَلَا
إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ
فِي الدُّعَاءِ ، وَتَكْفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ ،
وَتَسْتَرحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ ،
وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ
التَّوْبَةِ ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ^(٤) ، وَلَمْ
يَقْضَحْكَ حَيْثُ أَلْفُضِيحَةٌ بِكَ أَوَّلَى ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ
الْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ . بَلْ
جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً^(٥) ، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً ، وَحَسَبَ

(١) كَوُوداً : صعبة المرتقى شاقة المصعد ، والمخف - بضم فكسر - : الذي خفف
حملة ، والمثقل : بعكسه ، وهو من أثقل ظهره بالأوزار .

(٢) ابعث رائداً من طيبات الأعمال توقفك الثقة به على جودة المنزل .

(٣) المستعتب والمنصرف : مصدران ، والاستعتاب : الاسترضاء ، ولا انصراف إلى
الدنيا بعد الموت حتى يمكن استرضاء الله بعد إغضابه باستئناف العمل .

(٤) الإنابة - بالنون الموحدة : الرجوع إلى الله ، والله لا يعير الراجع إليه برجوعه ،
ويروى « الإنابة » بالشاء المثناة - وتحتمل أن تكون بمعنى الشواب وأن تكون بمعنى

الرجوع أيضاً ، من نحو قولهم « تاب إلى رشده » أي : رجع .

(٥) نزوعك : رجوعك .

حَسَنَتَكَ عَشْرًا ، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَبَابَ الْإِسْتِعَابِ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ ^(١) فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ ^(٢) ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ ^(٣) ، وَاسْتَعْتَمْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ : مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ . ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدْنَى لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَةٍ ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعَمَتِهِ ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَأْيِبَ رَحْمَتِهِ ^(٤) ، فَلَا يُقْنِطُكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ ^(٥) ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ . وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ ، وَأُوتِيتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا ، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ . فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَكَ دِينُكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ . فَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ ، فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ ، وَلَا تَبْقَى لَهُ .

وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا ، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ ،

(١) المناجاة : المكالمة سرًّا ؛ والله يعلم السر كما يعلم العلن .

(٢) أفضيت : ألقى ، وأبثته : كاشفته ، وذات النفس : حالتها .

(٣) طلبت كشفها .

(٤) الشؤبوب - بالضم - الدفعة من المطر ، وجمعه شأبيب . وما أشبه رحمة الله بالمطر

ينزل على الأرض الموات فيحييها ، وما أشبه نوباتها بدفعات المطر .

(٥) القنوط : اليأس .

وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ ، وَأَنْتَ فِي مَنْزِلٍ قُلْعَةٍ^(١) ، وَدَارٍ بُلْغَةٍ ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنْتَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ ، وَلَا بُدَّ أَنْهُ مُدْرِكُهُ ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ .

يَا بُنَيَّ ؛ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ ، وَتُقْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ^(٢) وَشَدَدْتَ لَهُ أَرْكَ ، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَنْهَرُكَ^(٣) . وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا^(٤) وَتَكَالِبَهُمْ عَلَيْهَا ؛ فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا^(٥) وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا ، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا^(٦) وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا ، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا . نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ^(٧) وَأُخْرَى

(١) قلعة - بضم القاف وسكون اللام ، وبضمتين ، وبضم ففتح - يقال : منزل قلعة ؛ أي : لا يملك لنازله ، ولا يدري متى ينتقل عنه . ويجوز فيه وجهان : الوصفية مع تنوين الأول ، والاضافة . والبلغة : الكفاية ، أي : دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة .

(٢) الحذر - بالكسر - الاحتراز والاحتراس ، والأزر - بالفتح : القوة .

(٣) بهر - كمنع - غلب ، أي : يغلبك على أمرك .

(٤) إخلاد أهل الدنيا : سكونهم إليها ، والتكالب : التواثب .

(٥) نعاه أخبر بموته ، والدنيا تخبر بحالها عن فنائها .

(٦) ضارية : مولعة بالافتراس ، يهر - بكسر الهاء ، وضمها - أي : يمقت ويكره بعضها بعضاً .

(٧) عقل البعير - بالتشديد - شد وظيفه إلى ذراعه ، والنعم - بالتحريك - الابل ، أي : =

مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا^(١) وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا ، سُرُوحٌ عَاهَةٌ^(٢) بِوَادٍ وَعَثٍ . لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا ، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُهَا^(٣) . سَلَكَتْ بِهِمْ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى ، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا ، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا ، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا .

رُويْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامُ^(٤) ، كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتْ الْأَظْعَانُ^(٥) ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ .

وَأَعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا ، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا^(٦) .

وَأَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَأَنَّكَ

= إبل منعها عن الشر عقالها : وهم الضعفاء ، وأخرى مهملة تأتي من السوء ما تشاء ؛ وهم الأقوياء .

(١) أضلت : أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها .

(٢) السروح - بالضم - جمع سرح - بفتح فسكون - وهو المال السائم من إبل ونحوها ، والعاهة : الآفة ، أي : إنهم يسرحون لرعي الآفات في وادي المتاعب ، والوعث : الرخو ، ويصعب السير فيه .

(٣) أسام الدابة : سرحها إلى المرعى .

(٤) « يسفر » أي : يكشف ظلام الجهل عما خفي من الحقيقة عند انجلاء الغفلة بحلول المنية .

(٥) الأظعان جمع ظعينة ، وهو الهودج تركب فيه المرأة ، عبر به عن المسافرين في طريق الدنيا إلى الآخرة كأن حالهم أن وردوا على غاية سيرهم .

(٦) الوادع : الساكن المستريح .

فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ . فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ ^(١) وَأَجْمِلْ فِي
الْمُكْتَسَبِ ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ ^(٢) . فَلَيْسَ كُلُّ
طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ ، وَأَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ
دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَأَقْتِكَ إِلَى الرِّغَائِبِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ
نَفْسِكَ عِوَضاً ^(٣) وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً . وَمَا خَيْرُ
خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ ^(٤) ، وَيُسِرُّ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرِ؟! ^(٥) .

وَأَيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ ^(٦) فَتَوْرِدَكَ مَنَاهِلُ
الْهَلَكَةِ ، وَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ
فَأَفْعَلْ ، فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قِسْمِكَ ، وَآخِذُ سَهْمِكَ ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ .
وَتَلَاْفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ

(١) خفض : أمر من « خفض » بالتشديد - أي : أرفق ، و « أجمل في كسبه » أي :
سعى سعياً جميلاً : لا يحرص فيمنع الحق ، ولا يطمع فيتناول ما ليس يحق .

(٢) الحرب - بالتحريك - : سلب المال .

(٣) ان رغائب المال إنما تطلب لصون النفس عن الابتذال فلو بذل باذل نفسه لتحصيل
المال فقد ضيع ما هو المقصود من المال ؛ فكان جمع المال عبثاً ولا عوض لما
ضيع .

(٤) يريد أي خير في شيء سماه الناس خيراً وهو مما لا يناله الإنسان إلا بالشر ، فإن
كان طريقه شراً فكيف يكون هو خيراً .

(٥) إن العسر الذي يخشاه الإنسان هو ما يضطره لرذيل الفعال ، فهو يسعى كل جهده
ليتحامي الوقوع فيه ، فإن جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر - أي : السعة - فقد وقع
أول الأمر فيما يهرب منه ، فما الفائدة في يسره وهو لا يحميه من النقيصة ؟ .

(٦) توجف : تسرع ، والمناهل : ما ترده الابل ونحوها للشرب .

مَنْطِقَكَ^(١) وَحِفْظُ مَا فِي الْوَعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ^(٢) . وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ السُّطْلِبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ^(٣) . وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ^(٤) ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ^(٥) ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ . بِشَسِ الطَّعَامِ الْحَرَامِ ، وَظَلَمِ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ . إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خُرْقًا كَانَ الْخُرْقُ رِفْقًا^(٦) . رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالِدَاءُ دَوَاءً ، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ^(٧) . وَإِيَّاكَ وَآتَكَالِكَ عَلَى الْإِثْمِ فَإِنَّهَا بَضَائِعُ الْمَوْتِ^(٨)

(١) التلافي : التدارك لاصلاح ما فسد أو كاد ، و « ما فرط » أي : قصر عن إعادة الغرض أو إنالة الوطر ، وإدراك ما فات : هو اللحاق به لأجل استرجاعه ، و« فات » أي : سبق إلى غير صواب ، وسابق الكلام لا يدرك فتسترجع ، بخلاف تقصير السكوت فسهل تداركه ، وإنما يحفظ الماء في القربة مثلاً بشد وكائها - أي : رباطها - وإن لم يشد الوعاء صب في الوعاء ولم يمكن إرجاعه ، فكذلك اللسان .

(٢) إرشاد للاقتصاد في المال .

(٣) فالأولى عدم إباحته لشخص آخر وإفشائه .

(٤) قد يسعى الإنسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده .

(٥) أهجر إهجاراً وهجراً - بالضم - هذى في كلامه ، وكثير الكلام لا يخلو من الإهجار .

(٦) إذا كان المقام يلزمه العنف فيكون إبداله بالرفق عنفاً ، ويكون العنف من الرفق ، وذلك كمقام التأديب وإجراء الحدود مثلاً ، والخرق - بالضم - العنف .

(٧) المستنصح - على زنة اسم المفعول - المطلوب منه النصيحة ، فيلزم التفكير والتروي في جميع الأحوال ؛ لثلا يروج غش أو تنبذ نصيحة .

(٨) الإثم : جمع منية - بضم فسكون - وهي ما يتمناه الشخص لنفسه ويعمل نفسه

وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ ، وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ ^(١) . بَادِرِ
الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ، وَلَا كُلُّ
غَائِبٍ يُوْوِبُ . وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ ^(٢) وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ ، وَلِكُلِّ
أَمْرٍ عَاقِبَةٌ ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ . التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ . وَرُبَّ يَسِيرٍ
أَتَمَّى مِنْ كَثِيرٍ ، وَلَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مُهِينٍ ^(٣) ، وَلَا فِي صَدِيقٍ
ظَنِينٍ . سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ ^(٤) . وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ
أَكْثَرٍ مِنْهُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيئَةَ اللَّجَاجِ ^(٥) . آحْمِلْ نَفْسَكَ
مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَةِ ^(٦) ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى

= باحتمال الوصول إليه ، وهي بضائع الموتى لأن المتجر بها يموت ولا يصل إلى شيء ! فإن تمنيت فاعمل لأمنيتك ، ويروى « فانها بضائع النوكى » لجمع أنوك ، وهو الأحمق الضعيف العقل .

(١) أفضل التجربة ما زجرت عن سيئة وحملت على حسنة ، وتلك الموعظة .

(٢) زاد الصالحات والتقوى ، أو المراد إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالاسراف في الشهوات ، وهو أظهر .

(٣) مهين : إما بفتح الميم بمعنى حقير ، فان الحقير لا يصلح لأن يكون معيناً ، أو بضمها بمعنى فاعل الاهانة فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح ، والظنين - بالظاء - المتهم ، وبالضاد : البخيل ، وبهما يروى .

(٤) القعود - بالفتح - من الابل : ما يقتعد الراعي في كل حاجته ، ويقال للبكر إلى أن يشنى ، وللفضيل ، أي : ساهل الدهر ما دام منقاداً ، وخذ حظك من قياده .

(٥) اللجاجة - بالفتح - مصدر « لج في الأمر يلج » بفتح لام المضارع مثل ظل يظل ، وبكسرهما مثل خف يخف - لجاجاً ولجاجة - بفتح اللام في المصدرين فهو لججول ولجوجة ، والهاء للمبالغة ، وذلك أن يتمادى فيه ، أي : أحذرك من أن تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها .

(٦) صرمه : قطيعته ، أي : ألزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك الخ .

اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ ^(١) . وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ
عَلَى الدُّنُو ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُدْرِ ؛ حَتَّى
كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهِ ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ ، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً
فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ . وَأَمَحْضُ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً ،
وَتَجَرَّعَ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغْبَةً ^(٢) ،
وَلَنْ لِمَنْ غَالِظَكَ ^(٣) فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ . وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ
بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ ^(٤) وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ
مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا ^(٥) . وَمَنْ ظَنَّ
بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ ^(٦) ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ . وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ
أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيَمَنْ زَهَدَ عَنْكَ ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ
عَلَى مُقَاطَعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صَلَاتِهِ ^(٧) وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ

(١) جموده : بخله .

(٢) المغبة - بفتحين ثم باء مشددة - : بمعنى العاقبة ، وكظم الغيظ وإن صعب على
النفس في وقته إلا أنها تجد لذته عند الافاقة من الغيظ ، فللعقول لذة إن كان في
محلها ، وللخلاص من الضرر المعقب لفعل الغضب لذة أخرى .

(٣) لن : أمر من اللين ضد الغلظة والخشونة .

(٤) ظفر الانتقام وظفر التملك بالاحسان ، والثاني أحلى وأربح فائدة ، ويروى « فانه
أحد الظفرين » .

(٥) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليك إذا ظهر له حسن العودة .

(٦) صدقه بلزوم ما ظن بك من الخير .

(٧) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ، ولا يصح =

أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مَنْ ظَلَمَكَ ؛
فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ .

وَأَعْلَمُ ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ
يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ . مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ
وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى . إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ ^(١) ؛
وَأِنْ كُنْتَ جَارِعًا عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ ^(٢) فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ
يَصِلْ إِلَيْكَ . . أَسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ
أَشْبَاهُ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيْلَامِهِ ؛
فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَعَطَّى بِالْآدَابِ ، وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَعَطَّى إِلَّا بِالضَّرْبِ . أَطْرَحُ
عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعِزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ . مَنْ تَرَكَ
الْقَصْدَ جَارَ ^(٣) ؛ وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبَ ^(٤) وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ ^(٥) .
وَالْهَوَى شَرِيكَ الْعَنَاءِ ^(٦) . وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ ، وَقَرِيبٍ

= أن يكون أقدر على ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة ، وهذا أبلغ قول
في لزوم حفظ الصداقة .

(١) منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة .

(٢) تفلت - بتشديد اللام - أي : تملص من اليد فلم تحفظه . فالذي يجزع على ما
فاته كالذي يجزع على ما لم يصله . والثاني لا يحصر فينال ، فالجزع عليه غير
لائق ، فكذا الأول .

(٣) القصد : الاعتدال ، وجار : مال عن الصواب .

(٤) يراعي فيه ما يراعي في قرابة النسب .

(٥) الغيب : ضد الحضور ، أي : من حفظ لك حقك وهو غائب عنك .

(٦) الهوى : شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والأدب .

أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . مَنْ تَعَدَّى
 الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ أَقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ . وَأَوْثَقُ
 سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ . وَمَنْ لَمْ يُيَالِكَ فَهُوَ
 عَدُوُّكَ^(١) قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا ، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا . لَيْسَ كُلُّ
 عَوْرَةٍ تَظْهَرُ ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ،
 وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ . أَخْرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ^(٢)
 وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صَلَةَ الْعَاقِلِ . مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ
 أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ^(٣) . لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ . إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ
 الزَّمَانُ . سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ .
 إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ مُضْحِكًا ، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ
 غَيْرِكَ . وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ ، وَعَزَمُهُنَّ إِلَى
 وَهْنٍ^(٤) . وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ
 الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا
 يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ^(٥) وَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ . وَلَا
 تَمْلِكِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ

(١) « لم ييالك » أي : لم يهتم بأمرك باليته ، و « باليت به » أي : راعيته واعتنت به .

(٢) لأن فرص الشر لا تنقضي لكثرة طرقه وطريق الخير واحد ، وهو أحق .

(٣) من هاب شيئاً سلطه على نفسه .

(٤) الأفن - بالفتح وبالتحريك - : ضعف الرأي ، والوهن : الضعف .

(٥) أي : إذا أدخلت على النساء من لا يوثق بأمانته فكأنك أخرجتهن إلى مختلط
 العامة ، فأبي فرق بينهما ؟

بِقَهْرْمَانَةٍ^(١) وَلَا تَعُدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا تُطْمِعُهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ
بِغَيْرِهَا . وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايِرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ^(٢) ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو
الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ . وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ
مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ ، فَإِنَّهُ أَحَرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي
خِدْمَتِكَ^(٣) وَأَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ ، وَأَصْلُكَ
الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ .

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي
الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ ، وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٣٧

إِلَى مُعَاوِيَةَ

وَأَرَدَيْتَ جِيلاً^(٤) مِنْ النَّاسِ كَثِيراً : خَدَعْتَهُمْ بِغِيِّكَ^(٥)
وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمْ

(١) القهرمان : الذي يحكم في الأمور ويتصرف فيها بأمره ، ولا تعد - بفتح فسكون -

أي : لا تجاوز باكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها ، أين هذه الوصية من حال
الذين يصرفون النساء في مصالح الأمة ؟ بل ومن يختص بخدמתهن كرامة لهن ؟ .

(٢) التغاير : إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب .

(٣) يتواكلوا : يتكل بعضهم على بعض .

(٤) أرديت : أهلك جيلاً أي : قبيلاً وصنفاً .

(٥) الغي : الضلال ، ضد الرشاد .

الشُّبُهَاتُ ، فَجَازُوا عَنْ وَجْهِهِمْ^(١) وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَتَوَلَّوْا
عَلَى أَدْبَارِهِمْ وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ^(٢) ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ
الْبَصَائِرِ ، فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ
مُوَازَرَتِكَ^(٣) ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصُّعْبِ ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ
الْقَصْدِ . فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ ، وَجَازِبِ الشَّيْطَانَ
قِيَادَكَ^(٤) ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ ،
وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٣٣

إلى قُتَيْبِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى مَكَّةَ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ^(٥) كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ
وُجَّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أَنْاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ^(٦) ، أَلْعُمِّي أَلْقُلُوبِ ،

(١) بعدوا عن وجهتهم - بكسر الواو - أي : جهة قصدهم ، كانوا يقصدون حقاً فمالوا

إلى باطل ، ويروى « جازوا » بالراء المهملة - والمراد واحد . ونكصوا : رجعوا .

(٢) « عولوا » أي : اعتمدوا على شرف قبائلهم فتعصبوا تعصب الجاهلية ونبذوا نصرة

الحق ، إلا من فاء ، أي : رجع إلى الحق .

(٣) الموازنة : المعاوضة .

(٤) القياد : ما تقاد به الدابة ، أي : إذا جذبك الشيطان بهواك فجاذبه ، أي : امنع

نفسك من متابعتها .

(٥) « عيني » أي : رقبتي في البلاد الغربية .

(٦) وجه - مبني للمجهول - أي وجههم معاوية ، والموسم : الحج .

الْصُّمُّ الْأَسْمَاعِ ، أَلْكُمِهِ الْأَبْصَارِ^(١) ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ
بِالْبَاطِلِ ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا
دَرَهَا بِالْدِّينِ^(٢) وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ وَالْمُتَّقِينَ . وَلَنْ
يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءُ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ ، فَأَقِمْ
عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ^(٣) ، وَالنَّاصِحِ اللَّيِّبِ ،
وَالتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ^(٤) ،
وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النِّعْمَاءِ بَطْرًا^(٥) وَلَا عِنْدَ الْبِئْسَاءِ فَشَلًّا ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٣٦٤

إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، لَمَّا بَلَغَهُ تَوَجُّدُهُ مِنْ عَزْلِهِ^(٦) بِالْأَشْتَرِ عَنْ مِصْرَ
ثُمَّ تَوَفَّى الْأَشْتَرُ فِي تَوَجُّهِهِ إِلَى مِصْرَ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى

-
- (١) الكمه : جمع أكمه ، وهو من ولد أعمى .
(٢) يحتلبون الدنيا : يستخلصون خيرها ، والدر - بالفتح - اللبن ، أي : ويجعلون
الدين وسيلة لما ينالون من حظاها .
(٣) الصليب : الشديد ، ويروى « قيام الحازم الطيب » وكل حاذق عند العرب فهو
طبيب .
(٤) احذر أن تفعل شيئاً يحتاج إلى الاعتذار .
(٥) البطر : شدة الفرح مع ثقة بدوام النعمة ، والبأساء : الشدة ، كما أن النعماء الرخاء
والسعة .
(٦) توجده : تكدره .

عَمَلِكَ^(١) ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ أَسْتَبْطَاءَ لَكَ فِي الْجُهْدِ ، وَلَا
أَزْدِيَاداً فِي الْجِدِّ^(٢) وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ
مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَوُونَةً ، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وَلَايَةً .

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيِّتُهُ أَمَرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا
وَعَلَى عَدُونَا شَدِيدًا نَاقِمًا^(٣) ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقَدْ أَسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ ،
وَلَاقَى حِمَامَهُ^(٤) وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ ، أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ ،
وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ . فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ ، وَآمُضْ عَلَى بَصِيرَتِكَ^(٥) ،
وَشَمِّرْ لِحَرْبٍ مِنْ حَارَبِكَ ، وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ، وَأَكْثِرْ
الِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ ، وَيُعِينِكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ ، إِنَّ
شَاءَ اللَّهُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٧٥

إلى عبد الله بن العباس ، بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدْ أَفْتَتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ
اللَّهُ قَدْ اسْتُشْهِدَ ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا^(٦) وَعَامِلًا

(١) « موجدتك » أي : غيظك ، والتسريح : الإرسال ، والعمل : الولاية .

(٢) أي : ما رأيت منك تقصيراً فأردت أن أعاقبك بعزلك لتزداد جداً .

(٣) « ناقماً » أي : كارهاً .

(٤) الحمام - بالكسر - : الموت .

(٥) « أصحِرْ له » أي : أبرز له ، من « أصحِرْ » إذا برز للصحراء .

(٦) أحسبه عند الله : سأل الأجر على الرزية فيه ، وسماه ولداً لأنه كان ربيباً له وأمه

كَادِحًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَرُكْنًا دَافِعًا . وَقَدْ كُنْتُ حَثَّتُ النَّاسَ عَلَى
لِحَاقِهِ ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَعَوْدًا
وَبَدْءًا . فَمِنْهُمْ آلَاتِي كَارِهًا ، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا ، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ
خَاذِلًا . وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَا
طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ ، وَتَوَطُّي نَفْسِي عَلَى
الْمَنِيَّةِ ، لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا ، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ
أَبَدًا .

ومن كتاب له عليه السلام

٣٦

إِلَى أَخِيهِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فِي ذِكْرِ جَيْشِ أَنْفَذَهُ إِلَى بَعْضِ الْأَعْدَاءِ وَهُوَ
جَوَابُ كِتَابِ كُتْبِهِ إِلَيْهِ عَقِيلُ

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ
شَمَّرَ هَارِبًا وَنَكَصَ نَادِمًا فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ طَفَلَتْ
الْشَّمْسُ لِلْإِيَابِ (١) فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا كَلًا وَلَا (٢) فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفٍ

= أسماء بنت عميس : كانت مع جعفر بن أبي طالب وولدت له محمداً وعوناً وعبدالله
بالحبشة أيام هجرتها معه إليها ، وبعد قتله تزوجها أبو بكر فولدت له محمداً هذا .
وبعد وفاته تزوجها علي فولدت له يحيى . والكادح : المبالغ في سعيه .

(١) « طفلت تطفيلاً » أي : دنت وقربت ، والإياب : الرجوع إلى مغربها .

(٢) كلا ولا : كناية عن السرعة التامة ، فإن حرفين ثانيهما حرف لين سريع الانقضاء عند
السمع ، قال أبو برهان المغربي :

وأسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا ولا

سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً^(١) بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَقِ^(٢) ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ . فَلَأْيَا بِلَايٍ مَا نَجَا^(٣) فَدَعَّ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجَوَّالَهُمْ فِي الشَّقَاقِ^(٤) وَجَمَّاحَهُمْ فِي التِّيهِ . فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كِاجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي ، فَجَزَتِ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي^(٥) فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَسَلَّبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي^(٦) .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ^(٧) ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً . وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرَّعاً مُتَخَشِّعاً وَلَا مُقِرّاً لِلضُّيْمِ وَاهِناً وَلَا سَلِسَ الزَّمَامِ لِلْقَائِدِ^(٥) ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو

(١) الجريض - بالجيم - المغموم ، وبالحاء : الساقط لا يستطيع النهوض .

(٢) المخنق - بضم ففتح فنون مشددة - الحلق محل ما يوضع الخناق ، والرمق - بالتحريك - بقية النفس .

(٣) لأياً : مصدر محذوف العامل ، ومعناه الشدة والعسر ، و « ما » بعده : مصدرية . و « نجا » في معنى المصدر ؛ أي ؛ عسرت نجاته عسراً بعسر .

(٤) التركاض : مبالغة في الركض ، واستعارة لسرعة خواتمهم في الضلال ، وكذلك التجوال من الجول والجولان ، والشقاق : الخلاف ، وجماحهم : استعصاؤهم على سابق الحق ، والتية : الضلال والغواية .

(٥) الجوازي : جمع جازية بمعنى المكافأة ، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم .

(٦) يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ربت رسول الله في حجرها فقال النبي في شأنها : « فاطمة أُمِّي بعد أُمِّي » .

(٧) المحلون : الذين يحلون القتال ويجوزونه . السلس . - بفتح فكسر : السهل . والوطيء : اللين ، والمتقعد : الذي يتخذ الظهر قعوداً يستعمله للركوب في كل

بَنِي سُلَيْمٍ : -

فَإِنْ تَسْأَلِينِي : كَيْفَ أَنْتَ؟ فَإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ صَلِيبُ^(١)
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَأَبَةٍ^(٢) فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَيْبُ

ومن كتاب له عليه السلام

٢٧٧

إلى معاوية

فُسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُتَبَدِّعَةِ، وَالْحَيَرَةِ^(٣)
الْمُتَعَبَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ، وَأَطْرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ
طَلَبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ^(٤). فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَااجَ فِي عُثْمَانَ
وَقَتْلَتِهِ^(٥) فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ^(٦)،
وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، وَالسَّلَامُ.

= حاجاته ، ويروي « للراكب المقتعد » اسم فاعل من الاقتعاد .

(١) شديد .

(٢) يعز علي : يشق علي ، والكأبة : ما يظهر على الوجه من أثر الحزن ، « وعاد »
أي : عدوه .

(٣) ويروي « والحيرة المتبعة ، اسم مفعول من « أتبعه » .

(٤) طلبه - بالكسر ، ويفتح فكسر - : مطلوبة .

(٥) الحجاج - بالكسر - الجدال .

(٦) حيث كان الانتصار له فائدة لك تتخذ ذريعة لجمع الناس إلى غرضك ، أما وهو
حي وكان النصر يفيدته فقد خذلته وأبطأت عنه .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل مصر ، لما ولى عليهم الأشر

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا
لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ
عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ^(١) ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاخُ
إِلَيْهِ^(٢) ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ
الْخَوْفِ ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ^(٣) ، أَشَدَّ عَلَى
الْكَفَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ^(٤) ،
فَاسْمَعُوا لَهُ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ
سُيُوفِ اللَّهِ لَا كَلِيلَ الظُّبَةِ^(٥) ، وَلَا نَابِي الضَّرِيَّةِ^(٦) . فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ

(١) السرادق - بضم السين - : الغطاء الذي يمد فوق صحن البيت اتقاء الغبار والدخان ،
والبر - بفتح الباء - النقي ، والظاعن : المسافر .

(٢) يعمل به : وأصله « استراح إليه » بمعنى سكن واطمأن ، والسكون إلى المعروف
يستلزم العمل به .

(٣) نكل عنه - كضرب ونصر وعلم - نكص وجبن ، والروع : الخوف .

(٤) مذحج - كمجلس - قبيلة مالك ، وأصله اسم أكمة ولد عندها أبو القبيلتين طيء
ومالك ، فسميت قبيلتهما به ويروى « أشد على الفجار » جمع فاجر .

(٥) الظبة - بضم ففتح مخفف - : حد السيف والسنان ونحوهما ، والكليل : الذي لا
يقطع .

(٦) الضريبة : المضروب بالسيف ، ونبا عنها السيف : لم يؤثر فيها ، وإنما دخلت التاء
في ضريبة - وهي بمعنى المفعول - لذهابها مذهب الأسماء كالنطيحة والذبيحة .

تَنْفِرُوا فَأَنْفِرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا فَأَقِيمُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُخَجِّمُ ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ ، إِلَّا عَنْ أَمْرِي . وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ (١) .

ومن كتاب له عليه السلام

٢٩

إلى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا أَمْرِي ظَاهِرٌ غَيْبُهُ ، مَهْتُوكِ سِتْرُهُ ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ ، وَيُسْفُهُ الْحَلِيمَ بِخُلُطَتِهِ ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ أَتَّبَاعِ الْكَلْبِ لِلضَّرْغَامِ (٢) : يَلُودُ إِلَى مَخَالِبِهِ ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيَسَتِهِ ، فَأَذْهَبَتْ دُنْيَاكَ وَآخَرَتُكَ ! وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتْ مَا طَلَبْتَ ، فَإِنْ يُمْكِنُنِي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا ، وَإِنْ تُعْجِزَانِي (نِي) وَتَبَقِيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرُّ لَكُمَا ؛ وَالسَّلَامُ (٣) .

(١) « آثرتكم » . خصصتكم به وأنا في حاجة إليه ، تقديماً لنفعكم على نفعي والشكيمة في اللجام : الحديدية المعرضة في فم الفرس ، ويعبر بشدتها عن قوة النفس وشدة البأس .

(٢) الضرغام : الأسد .

(٣) وإن تعجزاني عن الايقاع بكما ، وتبقيا في الدنيا بعدي ، فأمامكما حساب الله على أعمالكما .

ومن كتاب له عليه السلام

﴿٥٠﴾

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسَخَطْتَ رَبَّكَ ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ^(١) .

بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الْأَرْضَ ، فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ . فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ ؛ وَالسَّلَامَ .

ومن كتاب له عليه السلام

﴿٥١﴾

إلى بعض عماله^(٢)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي ، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي ؛ وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي^(٣) وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ

(١) الصقت بأمانتك خزية - بالفتح - أي : رزية أفسدتها ، وكان هذا العامل أخذ ما عنده من مخزون بيت المال .

(٢) هو العامل السابق بعينه .

(٣) المواساة : من « آسأه » إذا أناله من ماله عن كفاف لا عن فضل ، أو مطلقاً وقالوا : ليست مصدراً لوأسأه فإنه غير فصيح ، وتقدم للامام استعماله ، وهو حجة والموازرة : المناصرة .

قَدْ كَلِبَ ، وَالْعَدُوُّ قَدْ حَرِبَ ، وَأَمَانَةُ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ^(١) ، وَهَذِهِ
الْأُمَّةُ قَدْ فَتَكَتْ وَشَغَرَتْ^(٢) ، قَلْبَتْ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمِجَنِّ^(٣)
فَفَارَقَتْهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ ، وَخَذَلَتْهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ ، وَخُتَّتْهُ مَعَ الْخَائِنِينَ
فَلَا آبَنَ عَمِّكَ آسَيْتَ^(٤) ، وَلَا الْأَمَانَةَ أَذِيَتْ . وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهُ
تُرِيدُ بِجَهَادِكَ ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ . وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ
تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ^(٥) وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيِّتِهِمْ . فَلَمَّا
أَمَكَّتَكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ ، وَعَاجَلْتَ الْوُتْبَةَ ،
وَأَخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ
أَخْطَافَ الذُّبِّ الْأَزْلَ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةِ^(٦) فَحَمَلْتَهُ إِلَى
الْحِجَازِ رَجِيبَ الصُّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ^(٧) كَأَنَّكَ - لَا

(١) كلب - كفرح - : اشتد وخشن ، والكلبة - بالضم - : الشدة والضيق وحرب -

كفرح - اشتد غضبه ، أو كطلب : بمعنى سلب مالنا ، وخزيت - كرضيت - وقعت
في بلية الفساد الفاضح .

(٢) من « فتكت الجارية » إذا صارت ماجنة ، ومجون الأمة أخذها بغير الحزم في أمرها
كأنها هازلة ، وشغرت : لم يبق فيها من يحميها .

(٣) آسيت : ساعدت وشاركت في الملمات .

(٤) المجن : الترس ، وهذا مثل يضرب لمن يخالف ما عهد فيه .

(٥) كاده عن الأمر : خدعه حتى ناله منه ، والغرة : الغفلة ، والغىء : مال الغنيمة
والخراج .

(٦) الأزل : السريع الجري ، أو الخفيف لحم الوركين ، والدامية : المجروحة
والكسيرة : المكسورة ، والمعزى ، أخت الضأن ، اسم الجنس كالمعز والمعيز .

(٧) التأثم : التحرز من الإثم ، بمعنى الذنب . و « لا أبا لغيرك » : يقال للتوبيخ مع
التحامي من الدعاء عليه ، وحدرت : أسرعت إليهم ، بترات أو ميراث ، أو هو من
« حدره » بمعنى حطه من أعلى لأسفل .

أَبَا لِيَغْيِرَكَ - حَدَّثْتُكَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَاثًا مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَسُبْحَانَ اللَّهِ !
أَمَّا تُوْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوْ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ^(١)؟ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ -
كَانَ ، عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ^(٢) كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ
تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً؟ وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَتَنَكِّحُ النِّسَاءَ
مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ ! فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْجِعْ إِلَى
هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ
لَأُعَذِّرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ^(٣) ، وَلَأُضْرِبَنَّ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ
أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ ! وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي
فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ^(٤) ، وَلَا ظَفِيرًا مِثْلِي بِإِرَادَةٍ ، حَتَّى
أَخْذَ الْحَقُّ مِنْهُمَا ، وَأُزِيلَ الْبَاطِلُ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا . وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ : مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي^(٥)
أَتُرْكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي ، فَضَحَّ رُوَيْدًا ، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى^(٦) ،

(١) النقاش - بالكسر - : المناقشة ، بمعنى الاستقصاء في الحساب .

(٢) « كان » هنا زائدة لإفادة معنى المضى فقط ، لا تامة ، ولا ناقصة ، و « سغت »

الشراب ، أسىغه « كبعته أبيعه - : ببعته بسهولة .

(٣) لأعاقبك عقاباً يكون لي عذراً عند الله من فعلتك هذه .

(٤) الهوادة - بالفتح : - الصلح والاختصاص بالميل .

(٥) أي : لا تعتمد على قرابتك مني ؛ فأني لا أسر بأن تكون لي ؛ فضلاً عن ذوي قرابتي .

(٦) فضح : من « ضحيت الغنم » إذا رعيته في الضحى ، أي : فارغ نفسك على مهل
فإنما أنت على شرف الموت . وكأنك قد بلغت المدى - بالفتح - : مفرد بمعنى
الغاية ، أو بالضم : جمع مدية - بالضم أيضاً - بمعنى الغاية والثرى : التراب

وَدُفِنَتْ تَحْتَ الثَّرَى ، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي
الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ ، وَيَتَمَنَّى الْمُضِيعُ فِيهِ الرِّجْعَةَ ، وَلَا تَحِينَ
مَنَاصِبُ (١) .

ومن كتاب له عليه السلام

٤٧

إِلَى عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيِّ ، وَكَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ
فَعَزَلَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرْقِيَّ مَكَانَهُ

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرْقِيَّ عَلَى
الْبَحْرَيْنِ ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا دَمَ لَكَ وَلَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ (٢) ، فَلَقَدْ
أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ (٣) وَلَا مَلُومٍ ، وَلَا
مُتَّهَمٍ ، وَلَا مَأْثُومٍ . فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ (٤) ،
وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ
الْعَدُوِّ (٥) ، وَإِقَامَةِ عُمُودِ الدِّينِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) ليس الوقت وقت فرار .

(٢) التثريب : اللوم .

(٣) الظنين : المتهم . وفي التنزيل : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ .

(٤) الظلمة - بالتحريك - : جمع ظالم .

(٥) استظهر به : أستعين .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى مَصْقَلَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ ، وهو عامله على أَرْدَشِيرِ خُرَّةَ (١)
 بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسَخَطْتَ إِلَهَكَ ،
 وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ : أَنْكَ تَقْسِمُ (٢) فِيَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ
 رِمَاحُهُمْ وَخِيُولُهُمْ ، وَأَرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ ، فِيمَنْ أَعْتَامَكَ مِنْ
 أَعْرَابِ قَوْمِكَ (٣) . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَئِنْ كَانَ
 ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَانًا ، وَلَتَخِفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا ، فَلَا تَسْتَهِنُ
 بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَلَا تُصْلِحَ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ
 أَعْمَالًا .

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبْلَنَا (٤) مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هَذَا
 أَلْفَيْ سَوَاءٍ : يَرُدُّونَ عِنْدِي عَلَيْهِ ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ .

(١) أَرْدَشِيرِ خُرَّة - بضم الخاء وتشديد الراء - : بلدة من بلاد العجم .

(٢) « أَنْكَ » بدل من « أَمْر » .

(٣) اعتامك : اختارك ، وأصله أخذ العيمة - بالكسر - وهي : خيار المال .

(٤) قبل - بكسر ففتح - : ظرف بمعنى عند .

ومن كتاب له عليه السلام

﴿﴾

إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أن معاوية
كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ، وَيَسْتَفِلُّ
غَرْبَكَ (١) ؛ فَأَحْذَرُهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ : يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ؛ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ (٢)
وَيَسْتَلْبَ غَرَّتَهُ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ
مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ (٣) وَنَزْعَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ : لَا يَثْبُتُ بِهَا
نَسَبٌ ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ ،
وَالنَّوْطِ الْمَذْبَذِبِ .

(١) « يستزل » أي : يطلب به الزلل ، وهو الخطأ ، واللب : القلب ، ويستفل - بالفاء -
أي : يتطلب فل غربك ؛ أي : ثلم حدثك ، والغرب - بفتح فسكون - الحدة
والنشاط .

(٢) يدخل غفلته بغته فيأخذه فيها . وتشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل من أحسن
أنواع التشبيه . والغرة - بالكسر - : خلو العقل من ضروب الحيل . والمراد منها
العقل الغر ، أي : يسلب العقل الساذج .

(٣) فلتة أبي سفيان : قوله في شأن زياد : « إني أعلم من وضعه في رحم أمه » يريد
نفسه .

فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادُ الْكِتَابِ قَالَ : شَهِدَ بِهَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ
فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ .

قال الرضي : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « الوَاغِلُ » هُوَ الَّذِي يَهْجُمُ
عَلَى الشُّرْبِ لِيَشْرَبَ مَعَهُمْ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ ، فَلَا يَزَالُ مُدْفَعًا
مُحَاجَزًا . و « النَّوْطُ الْمُنْدَبَذُ » : هُوَ مَا يُنَاطُ بِرَحْلِ الرَّكَّابِ مِنْ
قَعْبٍ أَوْ قَدَحٍ أَوْ أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَهُوَ أَبَدًا يَتَقَلَّقُلُ إِذَا حَتَّ ظَهْرَهُ
وَاسْتَعْجَلَ سِيرَهُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٥٥

إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ
وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةٍ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا فَمَضَى إِلَيْهَا

أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ : فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأُسْبِرْ عَتَّ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ :
وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ^(١) ! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ
عَائِلُهُمْ مَجْفُو^(٢) ، وَغَنِيَّتُهُمْ مَدْعُو . فَأَنْظُرْ إِلَى مَا تَقْضُمُهُ مِنْ هَذَا

(١) المأدبة - بفتح الدال وضمها - : الطعام يصنع لدعوة أو عرس ، تستطاب : يطلب
لك طيبها ، والألوان : أصناف الطعام : والجفان - بكسر الجيم - : جمع جفنة ،
وهي القصعة .

(٢) عائِلُهُمْ : محتاجهم : « مجفو » أي : مطرود ، من الجفاء .

الْمَقْضَمُ (١) فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظَةُ (٢) ؛ وَمَا أَيَقُنْتَ بِطِيبِ
وُجُوهِهِ (٣) فَتَلَّ مِنْهُ .

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ ،
أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطُمْرَيْهِ (٤) ، وَمِنْ طُعْمِهِ
بِقُرْصِيهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ
وَأَجْتِهَادٍ ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ (٥) . فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبَرًّا ، وَلَا
أَدْخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًّا (٦) وَلَا أَعْدَدْتُ لِلْبَالِي ثَوْبِي طُمْرًا (٧) . وَلَا
حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْبَرًا ؛ وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبْرَةٍ ،
وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةِ مَقَرَّةٍ . بَلَى ! كَانَتْ فِي
أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَتُهُ السَّمَاءُ ، فَسَحَّتْ عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ ،
وَسَحَّتْ عَنْهَا نَفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ . وَنِعَمَ الْحَكَمُ اللَّهُ ! وَمَا أَصْنَعُ

(١) قضم - كسمع - : أكل بطرف أسنانه ، والمراد الأكل مطلقاً . والقضم - بالقناف -
دون ذلك ، وقولهم : يبلغ الخضم بالقضم ، أي الشيعة قد تدرك بالأكل بأطراف
اللسم ، وهم يريدون بذلك أن الغاية البعيدة قد تدرك بالرفق .

(٢) اطرحه حيث اشتبه عليك حله من حرمة .

(٣) بطيب وجوهه : بالحل في طرق كسبه .

(٤) الطمر - بالكسر - : الثوب الخلق .

(٥) إن ورع الولاية وعفتهم يعين الخليفة على إصلاح شؤون الرعية .

(٦) التبر - بكسر فسكون - : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ ، والوفر : المال .

(٧) أي : ما كان يبيع لنفسه طمراً آخر بدلاً عن الثوب الذي يبلى ، بل كان ينتظر
حتى يبلى ثم يعمل الطمر . والثوب هنا عبارة عن الطمرين ، فإن مجموع الرداء
والأزار يعد ثوباً واحداً فيهما يكسو البدن لا بأحدهما .

بِفَدِّكَ وَغَيْرِ فَدِّكَ. وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ^(١) ؟ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا ، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ، وَحُفْرَةُ لَوْزِيدٍ فِي فُسْحَتِهَا ، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لِأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدْرُ^(٢) ، وَسَدَّ فُرْجَهَا التُّرَابُ الْمُتْرَاكِمُ . وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى^(٣) لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ^(٤) . وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ^(٥) إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلَبَابِ هَذَا الْقَمَحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَرْزِ ، وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي^(٦) إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ . وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ أَلْيَمَامَةِ^(٧) مَنْ لَا

(١) فدك - بالتحريك - : قرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد خبير ؛ وإجماع الشيعة على أنه كان أعطاهما فاطمة رضي الله عنها قبل وفاته ، إلا أن أبا بكر - رضي الله عنه - ردها لبیت المال قائلاً : « إنها كانت مالاً في يد النبي يحمل به الرجال ، وينفقه في سبيل الله ، وإنا إليه كما كان عليه » . والقوم الآخرون الذين سخط نفوسهم عنها هم بنو هاشم . والمظان : جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء ، وموضع النفس الذي يظن وجودها فيه . في غد جدث - بالتحريك - أي : قبر .

(٢) أضغطها : جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها .

(٣) أروضها : أذلها .

(٤) المزلق - ومثله المزلقة ، وهو الصراط ، وتقول : زلقت رجله - من بساب طرب - وأزلقتها غيره .

(٥) كان - كرم الله وجهه - إماماً عالي السلطان واسع الامكان ، فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء لم يمنعه مانع ، وهو قوله « لو شئت لاهتديت الخ » والقز : الحرير .

(٦) الجشع : شدة الحرص .

(٧) جملة « ولعل - الخ » : حالية عمل فيها تخيير الأطعمة ، أي : هيهات أن يتخير الأطعمة لنفسه والحال أنه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص ؛ أي : الرغيف ، ولا طمع له في وجوده لشدة الفقر ، ولا يعرف الشبع . وهيهات أن يبيت =

طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّيْبِ ، أَوْ أَيْتَ مِبْطَانًا
وَحَوْلِي بَطُونُ غَرْنِي ، وَأَكْبَادُ حَرِّي ، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَحَسْبُكَ ذَاءً أَنْ تَيْتَ بِيْطَنَةً^(١) وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحِنْ إِلَى الْقَدِّ !

أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي
مَكَارِهِ الدَّهْرِ؟ أَوْ أَكُونُ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ^(٢) ، فَمَا
خُلِقْتُ لِيُشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عِلْفُهَا ، أَوْ الْمُرْسَلَةِ
شُغْلُهَا تَقْمُمُهَا^(٣) تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا ، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا . أَوْ
أُتْرِكَ سُدًى وَأُهْمَلَ عَابِثًا ، أَوْ أَجْرُ حَبَلِ الضَّلَالَةِ ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ
الْمَتَاهَةِ^(٤) . وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ : « إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي
طَالِبٍ ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ » .
أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبَ عُودًا ، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرْقُ
جُلُودًا^(٥) ، وَالنَّبَاتَاتُ الْبَدْوِيَّةَ أَقْوَى وَقُودًا^(٦) وَأَبْطَأَ خُمُودًا ! وَأَنَا مِنْ

= مِبْطَانًا - أي : ممتلئ البطن - والحال أن حوله بطوناً غرنى - أي : جائعة - وأكبَادُ
حرى ، مؤنث حران ، أي : عطشان .

(١) البِطْنَةُ - بكسر الباء - : البطر والأشر والكظة ؛ والقَد - بالكسر - سير من جلد غير
مدبوغ ، أي : إنها تطلب أكلاً ولا تجده .

(٢) الجُشُوبَةُ : الخشونة ، وتقول : جُشِبَ الطعام - كنصر وسمع - فهو جُشِبَ وجُشِبَ -
كشهم ويطر - وجُشِبَ ومجشَابَ ومجشُوب ، أي : غلظ فهو غليظ ، بلا أدم ؛
وجُشِبَ : طحنه جريشاً .

(٣) التقاطها للقمامة ؛ أي : الكناسة ، و« تكثرش » أي : تملأ كرشها .

(٤) اعتسف : ركب الطريق على غير قصد ، والمتاهة : موضع الحيرة .

(٥) الروائع الخضرة : الأشجار ، والأعشاب الغضة : الناعمة الحسنة .

(٦) الوقود : اشتعال النار ، أي : إذا وقدت بها النار تكون أقوى اشتعالاً من النباتات =

رَسُولِ اللَّهِ كَالصَّنَوِ مِنَ الصَّنَوِ ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعَصْدِ^(١) . وَاللَّهُ لَوْ
تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا ، وَلَوْ أَمَكَنْتِ الْفُرَصُ
مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا . وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أَطْهَرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا
الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ^(٢) حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ
مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ^(٣) .

ومن هذا الكتاب ، وهو آخره :

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَجَبَلْكَ عَلَى غَارِبِكَ^(٤) ، قَدْ أَنْسَلْتُ مِنْ
مَخَالِبِكَ ، وَأَفَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي
مَدَاحِضِكَ . أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ غَرَّرْتَهُمْ بِمَدَاعِيبِكَ^(٥) أَيْنَ الْأُمَمُ

= غير البدوية وأبطأ منها خموداً ، ويروى « والنباتات العذبة أقوى وقوداً » وهي النباتات
التي لا يسقيها إلا ماء المطر .

(١) الصنوان : النخلتان يجمعهما أصل واحد ، فهو من جرثومة الرسول يكون في
حاله ، كما كان شديد البأس وإن كان خشن المعيشة ويروى « كالضوء من الضوء » .

(٢) جهد - كمنع - : جد : والمركوس : من الركب ، وهو رد الشيء مقلوباً وقلب آخره
على أوله ، والمراد مقلوب الفكر .

(٣) المدرة - بالتحريك - : قطعة الطين اليابس ، وحب الحصيد : حب النبات
المحصود كالقمح ونحوه ، أي : حتى يظهر المؤمنين من المخالفين .

(٤) إليك عني : اذهبي عني ، والغارب : الكاهل وما بين السنام والعنق . والجملة
تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت . وانسل من مخالبها : لم يعلق به شيء من
شهواتها ، والحبال : جمع حبال ، وهي شبكة الصياد ، وأفلت منها : خلص ،
والمداحض : المساقط .

(٥) والمداعب : جمع مدعبة ، من الدعابة ، وهي المزاح ، والتساءات والكافات كلها
بالكسر خطاباً للدنيا .

الَّذِينَ فَتَنَّاهُمْ بِزَخْرَفِكَ؟ هَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ ، وَمَضَامِينُ اللَّحُودِ !
وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَخْصًا مَرِيئًا ، وَقَالِبًا حَسِيًّا ، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ
اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَرَتِهِمْ بِالْأَمَانِي وَأَمَمِ الْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي ، وَمُلُوكِ
أَسْلَمَتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ وَأُورَدَتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ ، إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا
صَدَرَ^(١) . هِيَهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكَ زَلَقَ^(٢) ، وَمَنْ رَكِبَ لَجُجَكَ
غَرِقَ ، وَمَنْ أَزُورَ عَنْ جِبَالِكَ وَفَقَ^(٣) . وَالسَّالِمُ مِنْكَ لَا يُيَالِي إِنْ
ضَاقَ بِهِ مُنَاحُهُ ، وَالْدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ أَنْسِلَاخُهُ^(٤) .

أُعْزِبِي عَنِّي^(٥) فَوَاللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَذِلِّي ، وَلَا أَسْلَسُ
لَكَ فَتَقُودِي ، وَأَيْمُ اللَّهِ - يَمِينًا أَسْتَشْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ -
لَأُرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ^(٦) إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ
مَطْعُومًا ، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَادُومًا ، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ
مَعِينُهَا^(٧) مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا . أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رَعِيهَا فَتَبْرُكُ؟

(١) الورد - بكسر الواو - : ورود الماء ، والصدر - بالتحريك - : الصدور عنه بعد الشرب .

(٢) مكان دحض - بفتح فسكون - أي : زلق لا تثبت فيه الأرجل .

(٣) « أزور » أي : مال وتنكب .

(٤) حان : حضر ، وانسلاخه : زواله .

(٥) « عزب يعزب » أي : بعد ، « ولا أسلس » أي : لا أنقاد .

(٦) « تهش » أي : تنبسط إلى الرغبة وتفرح به من شدة ما حرمها ، و « مطعوما » : حال من « القرص » كما أن « مادوما » حال من الملح ؛ أي : مادوماً به الطعام .

(٧) أي : لأتركن مقلتي - أي : عيني - وهي كعين ماء نضب - أي : غار - معينها - بفتح فكسر ، أي : ماؤها الجاري - : أي : أبكي حتى لا يبقى دمع .

وَتَشْبَعُ الرِّبِضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ^(١)؟ وَيَأْكُلُ عَلِيُّ مِنْ زَادِهِ
فِيهِجَعَ^(٢)؟ قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ^(٣) إِذَا أَقْتَدَى بَعْدَ السَّيْنِ الْمُتَطَاوِلَةِ
بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ^(٤) وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَةِ !

طَوْبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا ، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا
بُؤْسَهَا^(٥) ، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا^(٦) ، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى
عَلَيْهَا أَفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا ، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا ، فِي مَعْشَرٍ أَشْهَرَ عُيُونَهُمْ
خَوْفُ مَعَادِهِمْ ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَهَمَّهَمَتْ بِذِكْرِ
رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ^(٧) ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ﴿ أَوْلَيْكَ
حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا أَبْنَ حَنِيفٍ ، وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ
خَلَاصُكَ .

(١) الربيضه : الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرايضها ، والربوض للغنم : كالبروك للابل .

(٢) « يهجع » أي : يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها .

(٣) دعاء على نفسه ببرود العين - أي : جمودها - من فقد الحياة . تعبير باللازم .

(٤) الهاملة : المسترسلة ، والهمل من الغنم ترعى نهائراً بلا راع .

(٥) البؤس : الضر . وعركه بالجنب : الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجانبه . ويقال : فلان يعرك بجانبه الأذى ، إذا كان صابراً عليه .

(٦) الغمض - بالضم - : النوم ، والكرى - بالفتح - : كذلك .

(٧) الهمهمة : الصوت يردد في الصدر ، وأراد منه الأعم ، وتقشع الغمام : اتجلى .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهَرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ (١) ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ (٢) . فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ ، وَأَخْلِطِ الشَّدَّةَ بِضِغْتٍ مِنَ اللَّيْنِ (٣) ، وَأَرْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ ، وَاعْتَزِمِ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَالْإِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَآسِرْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ (٤) ، وَالْإِشَارَةَ وَالتَّحِيَّةَ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَتَّأَسَّ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ ، وَالسَّلَامُ .

ومن وصية له عليه السلام

لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ
أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ لَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُمَا (٥) . وَلَا

(١) أستظهر : أستعين به ، « وأقمع » أي : أكسر ، والنخوة - بالفتح - : الكبر ، والأثيم : فاعل الخطايا .

(٢) الثغر : مظنة طروق الأعداء في حدود الممالك ، واللهة : قطعة لحم مدلاة في سقف الفم على باب الحلق ، قرننها بالثغر تشبيهاً له بفم الإنسان .

(٣) بضعت : بخلط ، أي : شيء تخلط به الشدة من اللين .

(٤) « آسِر » أي : شارك وسو بينهم .

(٥) لا تطلبها وإن طلبتكما .

تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوي عَنْكُمَا^(١) . وَقُولَا لِلْحَقِّ ، وَأَعْمَلَا
لِلْأَجْرِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً .

أَوْصِيكُمَا ، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي ، بِتَقْوَى
اللَّهِ ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدُّكُمَا ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ
عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ » . اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ ؛ فَلَا تُغْبُوا أَفْوَاهَهُمْ^(٢)
وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ
نَبِيِّكُمْ ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُورَثُهُمْ^(٣) وَاللَّهُ اللَّهُ فِي
الْقُرْآنِ ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ . وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ ،
فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ . وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ، لَا تُخْلَوْهُ مَا
بَقِيْتُمْ ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكَ لَمْ تُنَاطَرُوا^(٤) وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنِّتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصُلِ
وَالْتَّبَادُلِ^(٥) ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ . لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) « زوي » أي : قبض ونحي عنكما .

(٢) أغب القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً ، أي : صلوا أفواههم بالاطعام ولا تقطعوه
عنها .

(٣) يجعل لهم حقاً في الميراث .

(٤) لم تناظروا - مبني للمجهول - أي : لا ينظر إليكم بالكرامة لا من الله ولا من الناس
لإهمالكم فرض دينكم .

(٥) مداولة البذل ، أي : العطاء .

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ . ثُمَّ قَالَ :

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُفَيِّنْكُمْ^(١) تَخَوْضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ : « قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ » أَلَا ، لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي .
أَنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ، وَلَا يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ^(٢) ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعُقُورِ » .

ومن كتاب له عليه السلام

﴿٨٨﴾

إِلَى مُعَاوِيَةَ

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُذِيعَانِ بِالْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ^(٣) وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيِيهِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ^(٤) ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللَّهِ

(١) لا أجدنكم ، نفي في معنى النهي ، أي : لا تخوضوا دماء المسلمين بالسفك انتقاماً منهم بقتلي .

(٢) أي لا تمثلوا به ، والتمثيل : التنكيل والتعذيب ، أو هو التشويه بعد القتل أو قبله : بقطع الأطراف مثلاً .

(٣) « يذيعان بالمرء » : يشهرانه ويفضحانه ، ويروى « يوتغان بالمرء » أي : يهلكانه ، والوتغ - بالتحريك - الهلاك ، وقد وتغ كوجل يوتغ كيوجل .

(٤) ما قضى فواته : هودم عثمان والانتصار له ، ومعاوية يعلم أنه لا يدركه لانقضاء الأمر بموت عثمان رضي الله عنه .

فَأَكْذَبَهُمْ^(١) . فَاحْذَرِ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ^(٢) ، وَيَنْدِمُ مَنْ
أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَادِبْهُ .
وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ . وَلَسْنَا إِيَّاكَ
أَجَبْنَا ، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٤٩

إِلَى غَيْرِهِ^(٣)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا
مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا ، وَلَهْجًا بِهَا^(٤) ، وَلَنْ يَسْتَعْنِيَ
صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَتْلُغْهُ مِنْهَا . وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا
جَمَعَ ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ ! وَلَوْ أَعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ .
وَالسَّلَامُ .

(١) أولئك الذين فتحوا الفتنة بطلب دم عثمان ؛ يريد بهم أصحاب الجمل ، وتأولوا
على الله ، أي : تناولوا على أحكامه بالتأويل ، فأكذبهم : حكم بكذبهم .

(٢) يغتبط : يفرح من جعل عاقبة عمله محمودة باحسان العمل ، أو من وجد العاقبة
حميدة . و « أمكن الشيطان » أي : مكنه من زمامه ولم ينازعه .

(٣) في رواية ابن أبي الحديد « إلى معاوية أيضاً » .

(٤) « لهجاً » أي : ولوعاً وشدة حرص ، وتقول : قد لهج بالشيء - من باب طرب - إذا
أغرى به فتاير عليه .

ومن كتاب له عليه السلام

٥٥

إلى أمرائه على الجيوش

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ
الْمَسَالِحِ (١) :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَنْ لَا يُغَيِّرَهُ عَلَى رِعْيَتِهِ فَضْلٌ
نَالَهُ ، وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ (٢) وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوءًا
مِنْ عِبَادِهِ ، وَعَظْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ .

أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أُحْتَجَزَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي
حَرْبٍ (٣) وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ (٤) . وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ
حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ (٥) . وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي
فِي الْحَقِّ سَوَاءً ؛ فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةُ وَلِي

(١) جمع مسلحة ؛ أي : الثغور ، لأنها مواضع السلاح ، وأصل المسلحة : قوم ذوو سلاح .

(٢) الطول - بفتح الطاء - : عظيم الفضل ، أي : من الواجب على الوالي إذا خصه الله بفضل أن يزيده فضله قرباً من العباد وعظفاً على الإخوان ، وليس من حقه أن يتغير .

(٣) لا أكنتم عنكم سراً إلا في الحرب فإنها خدعة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد حرباً ورى بغيرها .

(٤) طواه عنه : لم يجعل له نصيباً فيه ، أي : لا أدع مشاورتكم في أمر إلا في حكم صرح به الشرع في حد من الحدود مثلاً ، فحكم الله النافذ دون مشورتكم .

(٥) دون الحد الذي قطع به أن يكون لكم .

عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ ؛ وَأَنْ لَا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ ^(١) وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ ، وَأَنْ تَخَوْضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ ^(٢) . فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَعْوَجَ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً . فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ ^(٣) .

ومن كتاب له عليه السلام

٥٩

إلى عماله على الخراج

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنْ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ ^(٤) لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحَرِّزُهَا . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُفِّلْتُمْ يَسِيرٌ ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ . فَأَنْصِفُوا النَّاسَ

(١) أي : لا تتأخروا إذا دعوتكم .

(٢) الغمرات : الشدائد .

(٣) أي : خذوا حَقَّكم من أمرائكم ، وأعطوهم من أنفسكم الحق الواجب عليكم وهو ما يصلح الله به أمركم .

(٤) من لم يحذر العقوبة التي يصير إليها لم يعمل عملاً لنفسه يحفظها من سوء المصير .

مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَأَصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرِّعِيَّةِ ^(١) وَوَكَلَاءُ
الْأُمَّةِ ، وَسُفَرَاءُ الْأُيُمَّةِ ، وَلَا تَحْسِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ ^(٢) وَلَا تَحْبِسُوهُ
عَنْ طَلَبَتِهِ ، وَلَا تَبِيعَنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ
وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا ^(٣) وَلَا عَبْدًا ، وَلَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانٍ
دِرْهَمٍ ، وَلَا تَمَسَنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهِدٍ ، إِلَّا أَنْ
تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعَدِّي بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ لَا
يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ، فَيَكُونَ شَوْكَةً
عَلَيْهِ . وَلَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً ^(٤) ، وَلَا أَلْجُنْدَ حُسْنِ سِيرَةٍ ، وَلَا
الرِّعِيَّةَ مَعُونَةً ، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً ، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا
اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ ^(٥) فَإِنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، قَدْ أَصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ

(١) الخزان - بضم فزاي مشددة - جمع خازن ، والولاية يخزنون أموال الرعية في بيت المال لتنفق في مصالحها .

(٢) لا تحسموا : لا تقطعوا ، ويروي « ولا تحشموا » بالشين المعجمة ، ويجوز ضم حرف المضارعة وفتحها قال ابن الأعرابي : حشمه أخجله ، وأحشمه أغضبه والطلبة - بالكسر ويفتح الطاء وكسر اللام - : المطلوب .

(٣) أي : لا تضطروا الناس لأن يبيعوا لأجل أداء الخراج شيئاً من كسوتهم ، ولا من الدواب اللازمة لأعمالهم في الزرع والحمل ، مثلاً ، ولا تضربوهم لأجل الدراهم ، ولا تمسوا مال أحد من المصلين - أي : المسلمين - أو المعاهدين بالمصادرة إلا ما كان عدة للخارجين على الإسلام يصلون بها على أهلهم .

(٤) ادخر الشيء : استبقاه ، لا يبذل منه لوقت الحاجة ، وضمن « ادخر » هاهنا معنى « منع » فعدها بنفسه لمفعولين ، أي لا تمنعوا أنفسكم شيئاً من النصيحة بدعوى تأخيرها لوقت الحاجة . بل حاسبوا أنفسكم على أعمالكم كل وقت . ومثل هذا يقال في المعطوفات .

(٥) « وأبلوا » أي : أدوا ، يقال : أبليتة عذراً ؛ أي : أديته إليه .

أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهِدِنَا^(١) ، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

ومن كتاب له عليه السلام

٥٦

إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهَرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ
مَرْبِضِ الْعَنْزِ^(٢) ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيَضَاءُ حَيَّةٌ فِي
عِضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانِ^(٣) وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ
حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجَّ إِلَى مِنْى^(٤) ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ
حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ
يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَضْعَافِهِمْ وَلَا تَكُونُوا
فَتَانِينَ^(٥) .

(١) يقال : اصطنعت عنده ، أي طلبت منه أن يصنع لي شيئاً . فالله سبحانه طلب منا أن
نصنع له الشكر بطاعتنا له ورعاية حقوق عباده ، وفاء بحق ماله علينا من النعمة .

(٢) « تفيء » أي : تصل في ميلها جهة الغرب إلى أن يكون لها فيء ، أي : ظل : من
حائط المربض على قدر طوله ، وذلك حيث يكون ظل كل شيء مثله .

(٣) أي : لا تزالون تصلون بهم العصر من نهاية وقت الظهر ما دامت الشمس بيضاء حية
لم تصفر ، وذلك في جزء من النهار يسع السير فرسخين والضمير في « فيها »
للعصوب باعتبار كونه مدة .

(٤) « يدفع الحاج » أي : يفيض من عرفات .

(٥) أي : لا يكون الامام موجباً لفتنة المأمومين ، ونفرتهم من الصلاة بالتطويل .

ومن كتاب له عليه السلام

كُتِبَ لِلْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ ، لَمَّا وَلَّاهُ عَلَى مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا حِينَ اضْطَرَبَ أَمْرُ
مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَهُوَ أَطْوَلُ عَهْدٍ وَأَجْمَعُ كُتُبِهِ لِلْمَحَاسِنِ

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ
الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ : جَبَايَةَ خَرَاجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ،
وَأَسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا .

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي
كِتَابِهِ : مِنْ فَرَائِضِهِ ، وَسُنَنِهِ ، الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا ، وَلَا
يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ
وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ ، جَلَّ أَسْمُهُ ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ ،
وَأِعْزَّازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزْعَهَا عِنْدَ
الْجَمْعَاتِ (١) ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةً بِالسُّوءِ ، إِلَّا مَا رَجِمَ اللَّهُ .

ثُمَّ أَعْلَمَ ، يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا

(١) و « يزعها » أي : يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل
الصحيح والشرع الصريح .

دَوْلَ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرِ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي
مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا
كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ
لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ . فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ
الصَّالِحِ ، فَأَمْلِكْ هَوَاكَ وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ^(١) فَإِنَّ
الشَّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ . وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ
الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ
سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، أَوْ
نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ^(٢) ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ،
وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا^(٣) فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ
وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ،
فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ . وَقَدْ
اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ^(٤) وَابْتَلَاكَ بِهِمْ ، وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ^(٥)
فَإِنَّهُ لَا يَدَ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا

(١) شح : ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل ، فليس الحرص على النفس إيفاءها
كل ما تحب ، بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحق
فرب محبوب يعقب هلاكاً ، ومكروه تحمد عاقبته .

(٢) يفرط : يسبق ، والزلل : الخطأ .

(٣) يؤتى - مبني للمجهول - نائب فاعله « على أيديهم » وأصله « تأتي السيئات على
أيديهم - الخ » .

(٤) استكفاك : طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم .

(٥) أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور ، و« لا يد لك بنقمته » أي : ليس
لك يد أن تدفع نقمته ، أي : لا طاقة لك بها .

تُندَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ ^(١) ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ
وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً ، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ ^(٢) فَإِنَّ ذَلِكَ
إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ . وَإِذَا أَحْدَثَ
لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً ^(٣) فَانْظُرْ إِلَى عِظَامِ
مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ؛
فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ^(٤) ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ ،
وَيَقِي إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ^(٥) وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ ، فَإِنَّ
اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ
وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رُغِيَّتِكَ ^(٦) ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ ! وَمَنْ

(١) بجح به - كفرح لفظاً ومعنى - والبادرة : ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل ، والمندوحة : المتسع ، أي : المخلص .

(٢) مؤمر - كمعظم - أي : مسلط ، والادغال : إدخال الفساد ، ومنهكة : مضعفة ، وتقول « نهكه » أي : أضعفه . وتقول « نهكه السلطان » - من باب فهم - أي : بالغ في عقوبته ، والغير - بكسر ففتح - : حادثات الدهر بتبدل الدول ، والاغترار بالسلطة تقرب منها ، أي : تعرض للوقوع فيها .

(٣) الأبهة - بضم الهمزة وتشديد الباء مفتوحة - : العظمة والكبرياء والمخيلة - بفتح فكسر : الخيلاء والعجب .

(٤) الطماح - ككتاب - : النشوز والجماح ، و « يطامن » أي : يخفض منه ، والغرب - بفتح فسكون - : الحدة ، وفيه : يرجع إليك . بما عزب - أي : غاب - من عقلك .

(٥) المساماة : المباراة في سمو ، أي : العلو .

(٦) من لك فيه هوى ؛ أي : لك إليه ميل خاص .

ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ
أَدْحَضَ حُجَّتَهُ^(١) وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ
أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ ،
فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمُّهَا فِي
الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى
الْخَاصَّةِ^(٢) وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ وَلَيْسَ أَحَدٌ
مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى أَوْلِيَاءِ مَوْنَةٍ فِي الرِّخَاءِ وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي
الْبَلَاءِ ، وَأكْرَهُ لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ^(٣) وَأَقْلَ شُكْراً عِنْدَ
الْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأُ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَاتِ
الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ^(٤) . وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ^(٥)
وَالْعِدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلْيَكُنْ صَغُوكَ لَهُمْ ، وَمِثْلُكَ
مَعَهُمْ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ

(١) أدحض : أبطل ، و « حرباً » أي : محارباً ، و « ينزع » - كيضرب - أي : يقلع عن ظلمه .

(٢) « يجحف » أي : يذهب برضا الخاصة فلا ينفع الثاني معه . أما لو سخط الخاصة ورضي العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مغتفر .

(٣) الإلحاف : الإلحاح والشدة في السؤال .

(٤) « من اهل الخاصة » متعلق بأنقل ، وما بعده من أفعال التفضيل .

(٥) جماع الشيء - بالكسر - جمعه ، أي : جماعة الاسلام . والعامة خير عماد وما بعده .

النَّاسِ^(١) فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، أَلْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا^(٢)، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةً^(٣) كُلِّ حَقْدٍ، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتِرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ. وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ^(٤) وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى^(٥) يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ !

إِنَّ شَرَّ وَزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً^(٦) فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثْمَةِ، وَإِخْوَانُ

(١) أثنائهم : أبغضهم ، والأطلب للمعائب : الأشد طلباً لها .

(٢) « ستر » فعل ماض صلة « من » أي : أحق الساترين لها بالستر .

(٣) احلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم ، واقطع عنك أسباب الأوتار - أي : العداوات - بترك الاساءة إلى الرعية ، والوتر - بالكسر - العداوة ، و « تغاب » أي : تغافل ، والساعي هو النمام بمعائب الناس .

(٤) الفضل هنا : الاحسان بالبذل . ويعدك : يخوفك من الفقر لو بذلت . والشرة - بالتحريك - : أشد الحرص .

(٥) غرائز : طبائع متفرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله .

(٦) بطانة الرجل - بالكسر - : خاصته ، وهو من بطانة الثوب خلاف ظهارته . والأثمة : جمع آثم ، وهو فاعل الإثم ، أي : الذنب . والظلمة : جمع ظالم .

الظَّلْمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ ^(١) مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ
وَنَفَازِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ ^(٢) مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ
ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ : أُولَئِكَ أَخَفْتُ عَلَيْكَ مَعُونَةً ،
وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَخْنَى عَلَيْكَ عِطْفًا ، وَأَقْلُ لَغَيْرِكَ إِنْفَاءً ^(٣) .
فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِمَخْلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ
أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ ^(٤) ، وَأَقْلَهُهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ
اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ ^(٥) . وَالصَّقُّ بِأَهْلِ
الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ ^(٦) وَلَا يَبْجَحُوكَ
بِاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَطْرَاءِ تُحْدِثُ الزُّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ
الْعِزَّةِ .

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ، فَإِنْ فِي
ذَلِكَ تَرْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ

(١) « منهم » متعلق « بالخلف » أو متعلق « بواجد » ، ومن مستعملة في المعنى الإسمي
بمعنى يدل .

(٢) الأصار : جمع إصر - بالكسر - وهو الذنب والإثم ، وكذلك الأوزار .

(٣) الإلف - بالكسر - : الألفة والمحبة .

(٤) ليكون أفضلهم لديك أكثرهم قولاً بالحق المر ، ومرارة الحق : صعوبته على نفس
الوالي .

(٥) « واقعاً » : حال مما « كره الله » ، أي : لا يساعدك على ما كره الله حال كونه نازلاً
من ميلك إليه أي منزلة ؛ أي : وإن كان أشد مرغوباتك .

(٦) « رضهم » . أي : عودهم على أن لا يطروك - أي : يزيّدوا في مدحك - ولا
يبجحوك - أي : يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته ، والزهو -
بالفتح - : العجب . و « تدني » أي : تقرب من العزة ، أي : الكبر .

عَلَى الْإِسَاءَةِ ! وَالْزِمَ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ^(١) . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرِعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ^(٢) وَتَخْفِيفِهِ أَلْمُؤَنَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ^(٣) فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا^(٤) ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ^(٥) .

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلُفَّةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ . وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةَ تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السَّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَهَا ، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا .

وَأَكْثَرُ مَدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَمُنَافَقَةِ الْحُكَمَاءِ^(٦) فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ .

(١) فان المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب ، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة .

(٢) إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له ؛ فان الاحسان قياد الإنسان فيحسن ظنه بهم ، بخلاف ما لو أساء إليهم ، فان الاساءة تحدث العداوة في نفوسهم فينتهزون الفرصة لعصيانه فيسوء ظنه بهم .

(٣) قبلهم - بكسر ففتح - أي : عندهم .

(٤) النصب - بالتحريك - : التعب .

(٥) البلاء هنا : الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً ، وتفسير العبارة واضح مما قدمنا .

(٦) المنافقة : المحادثة .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الرِّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ . فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ (١) ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرَّفْقِ ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ : وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ (٢) . وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا .

فَالْجُنُودُ ، بِإِذْنِ اللَّهِ ، حُصُونُ الرِّعِيَّةِ ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ ، وَعِزُّ الدِّينِ ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرِّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِيَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقَوُّونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ (٣) . ثُمَّ لَا قِيَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ ، لِمَا يُحْكَمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ (٤) وَيَجْمَعُونَ

(١) كتاب - كرمان - : جمع كاتب ، والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحاسبين والمحربين في المعتاد من شؤون العامة كالخراج والمظالم ، ومنهم مختصون بالحاكم : يفضي إليهم بأسراره ، ويوليهم النظر فيما يكتب لأوليائه وأعدائه ، وما يقرر في شؤون حربه وسلمه مثلاً .

(٢) سهمه : نصيبه من الحق .

(٣) أي : يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها .

(٤) هو وما بعده نشر على ترتيب اللف ، والمعاهد : العقود في البيع والشراء وما شابههما مما هو شأن القضاة ، وجمع المنافع : من حفظ الأمن ، وجباية الخراج ،

مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتِّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ^(١) وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرِهِمْ . ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ^(٢) وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ . وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ ، وَتَوَطُّيْنِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ . فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا مَامِكَ ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً^(٣) وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً : مِمَّنْ يُطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ^(٤) وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضُّعْفُ .

= وتصريف الناس في منافعهم العامة ؛ ذلك شأن العمال . والمؤتمنون : هم الكتاب .

(١) الضمير للتجار وذوي الصناعات ، أي : إنهم قوام لمن قبلهم بسبب المرافق أي : المنافع التي يجتمعون لأجلها ، ولها يقيمون الأسواق ، ويكفون سائر الطبقات ، من الترفق - أي : التكسب - بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات .

(٢) رفدهم : مساعدتهم وصلتهم .

(٣) جيب القميص : طوقه ، ويقال « نقي الجيب » أي : طاهر الصدر والقلب ، والحلم : العقل .

(٤) ينبو : يشد ويعلو عليهم ليكف أيديهم عن ظلم الضعفاء .

ثُمَّ الصَّقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ^(١) وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ
الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ
وَالسَّمَاخَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ . ثُمَّ
تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي
نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوِيَّتُهُمْ بِهِ^(٢) وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ^(٣) وَإِنْ
قُلْ ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ .
وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ أَتْكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا ؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ
لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعًا لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ^(٤) مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ؛
وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ ، بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ

(١) « ثم الصق الخ » : تبين للقبيل الذي يؤخذ منه الجند ويكون منه رؤساؤه ، وشرح
لأوصافهم . وجماع من الكرم : مجموع منه ، وشعب - بضم ففتح - : جمع
شعبة ، والعرف : المعروف .

(٢) تفاقم الأمر : عظم ، أي : لا تعد شيئا قويتهم به غاية في العظم زائدا عما
يستحقون ، فكل شيء قويتهم به واجب عليك إتيانه ، وهم مستحقون لنيله .

(٣) أي : لا تعد شيئا من تلطفك معهم حقيرا فتتركه لحقارته ، بل كل تلطف - وإن
قل - فله موقع من قلوبهم .

(٤) « آثر » أي : أفضل وأعلى منزلة ، فليكن أفضل رؤساء الجند من واسى الجند -
أي : ساعدهم - بمعونته لهم ، وأفضل عليهم - أي : أفاض - وجاد من جدته :
والجدة - بكسر ففتح - : الغنى ؛ والمراد ما بيده من أرزاق الجند ، وما سلم إليه
من وظائف المجاهدين ، لا يفتر عليهم في الفرض ، ولا ينقصهم شيئا فرض لهم ،
بل يجعل العطاء شاملا لمن تركوهم في الديار من خلوف الأهلين : جمع خلف -
بفتح فسكون - وهو من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال .

خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، فَإِنَّ عَظْفَكَ عَلَيْهِمْ^(١) يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ . وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطِيَّتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ الْأُمُورِ^(٢) وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِيطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ ؛ فَافْسَحْ فِي أَمَالِهِمْ وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعَدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ^(٣) فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ آغْرِفْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ، وَلَا تُضَيِّفَنَّ بَلَاءَ أَمْرٍ إِلَى غَيْرِهِ^(٤) ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ أَمْرٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ، وَلَا ضَعْفُ أَمْرٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا .

وَأَرْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ^(٥) وَيَشْتَبِيهِ

(١) « عليهم » أي : على الرؤساء .

(٢) حَيْطَةُ - بكسر الحاء - : من مصادر « حاطه » بمعنى حفظه وصانه ، أي : بمحافظتهم على ولاة أمورهم وحرصهم على بقائهم ، وأن لا يستقلوا دولتهم ولا يستبطنوا انقطاع مدتهم ، بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طوله .

(٣) ما صنع أهل الأعمال العظيمة منهم ، فتعديد ذلك يهز الشجاع - أي : يحركه للاقدام - ويحرض الناكل ، أي : المتأخر القاعد .

(٤) لا تنسب عمل امرئ إلى غيره ، ولا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ منتهى عمله الجميل .

(٥) ضلع فلاناً - كمنع - : ضرب في ضلعه ، والمراد ما يشكل عليك .

عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ فَالرَّدُّ
إِلَى اللَّهِ : الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ^(١) ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ : الْأَخْذُ
بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرَّقَةِ ^(٢) .

ثُمَّ اخْتَرُ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ ^(٣) فِي نَفْسِكَ
مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَجِّكُهُ الْخُصُومُ ^(٤) ، وَلَا يَتَمَادَى فِي
الزَّلَّةِ ، وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ ^(٥) ، وَلَا تُشْرِفُ
نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ^(٦) وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ ^(٧) ،

(١) محكم الكتاب : نصه الصريح .

(٢) سنة الرسول كلها جامعة ، ولكن رويت عنه سنن اختلفت بها الآراء ، فاذا أخذت
فخذ بما أجمع عليه مما لا يختلف في نسبه إليه .

(٣) « ثم اختر - الخ » انتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة .

(٤) أمحكه : جعله محكان ، أي : عسر الخلق ، أو أغضبه ، وتقول : محك - كمنع -
أي : لج في الخصومة ، فهو محك - ككتف - ومماحك ومحكان - بفتح فسكون -
ومتمحك ، و « تماحكاً » أي : تلاجأ ، و « رجل محكان » أي : عسر الخلق
لجوج . أي : لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه .
والزلة - بالفتح - : السقطة في الخطأ .

(٥) حصر - كفرج - : ضاق صدره ، أي : لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق .

(٦) الاشراف على الشيء : الاطلاع عليه من فوق ، فالطمع من سفالات الأمور ، من
نظر إليه وهو في أعلى منزلة النزاهة لحقته وصمة النقيصة ، فما ظنك بمن هبط إليه
وتناوله ؟ .

(٧) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه ، دون أن يأتي على أقصى الفهم
بعد التأمل .

وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ^(١) وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقْلَلَهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ
الْخُصْمِ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ
الْحُكْمِ ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءُ^(٢) ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءُ ، وَأُولَئِكَ
قَلِيلٌ . ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ^(٣) وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ
عِلَّتَهُ^(٤) ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ
مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ^(٥) ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ أَعْيَالُ الرِّجَالِ
لَهُ عِنْدَكَ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْراً بَلِيغاً ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ
أَسِيراً فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ : يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى ، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا .

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَاراً^(٦) ، وَلَا تُؤَلِّهِمْ
مَحَابَةَ وَآثَرَةً ، فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ

(١) هذا وما بعده إلتباع لأفضل رعيته ، والشبهات : ما لا يتضح الحكم فيها بالنص ؛
فينبغي الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح . والتبرم : الملل
والضجر ، وأصرمهم : أقطعهم للخصومة .

(٢) لا يزدديه : لا يستخفه زيادة الثناء عليه .

(٣) تعاهده : تتبعه بالاستكشاف والتعرف ، وضمير « قضاؤه » لأفضل الرعية الموصوف
بالأوصاف السابقة .

(٤) البذل : العطاء ، أي : أوسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشة مثله وحفظ
منزله .

(٥) إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة ، فلا يجروا أحد على الوشاية
به عندك خوفاً منك وإجلالاً لمن أجلته .

(٦) ولهم الأعمال بالامتحان ، لا محاباة ، أي : اختصاصاً وميلاً منك لمعاونتهم ،
وأثرة - بالتحريك - أي : استبداداً بلا مشورة ، فانهما - أي : المحاباة والأثرة -
يجمعان الجور والخيانة .

أَهْلَ التَّجَرُّبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَيِّنَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي
 الْإِسْلَامِ^(١) الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا، وَأَقْلُّ
 فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا. ثُمَّ أَسْبَغَ
 عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ^(٢)، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ،
 وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ
 أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ^(٣). ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ
 الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ^(٤)، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ
 لَهُمْ^(٥) عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ. وَتَحَفُّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ
 فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ^(٦) عِنْدَكَ
 أَخْبَارُ عُيُونِكَ أَكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ،
 وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ
 بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ.

وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ
 وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ،

(١) «توخ» أي اطلب وتحري اهل التجربة الخ . والقدم - بالتحريك - : واحده الأقدام ،
 أي : الخطوة السابقة . وأهلها هم الأولون .

(٢) أسبغ عليه الرزق : أكمله واوسع له فيه .

(٣) نقصوا في أداؤها أو خانوا .

(٤) العيون : الرقباء .

(٥) «حدوة» أي سوق لهم وحث .

(٦) «اجتمعت - الخ» : أي اتفقت عليها أخبار الرقباء .

لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِيهِ . وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي
 عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا
 يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ
 وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً . فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا^(١) أَوْ عِلَّةً
 أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالَةً ، أَوْ إِحَالََةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ
 بِهَا عَطَشٌ خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ . وَلَا يَثْقُلَنَّ
 عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهِ الْمَوُونَةُ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي
 عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَتَزْيِينِ وَلَايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ ثَنَائِهِمْ ،
 وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ^(٢) مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ^(٣) بِمَا
 ذَخَرْتَ عَنْدهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَّةِ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ
 عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ

(١) إذا شكوا ثقل المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت
 بشمراته ، أو انقطاع شرب بالكسر ، أي : ماء في بلاد تسقي بالانهار - أو انقطاع
 بالة - أي : ما يبل الأرض من ندى ومطر فيما تسقي بالمطر - أو إحالة أرض - بكسر
 همزة إحالة ؛ أي : تحويلها البذر إلى فساد بالتعفن لما اغتمرها ، أي : عمها من
 الغرق فصارت غمقة - كفرحة - أي : غلب عليها الندى والرطوبة حتى صار البذر
 فيها غمقاً - ككتف - أي : له رائحة خمة وفساد ، ونقصت لذلك غلاتهم أو أجحف
 العطش - أي : ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم ينبت ؛ فعليك عند الشكوى أن
 تخفف عنهم .

(٢) التبجح : السرور بما يرى من حسن عمله في العدل .

(٣) أي : متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند إليه عند الحاجة ، وأنهم يكونون سنداً
 بما ذخرت عندهم من إجمامك ؛ أي : إراحتك لهم ، « والثقة » منصوب بالعطف
 على « فضل » .

عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ أَحْتَمِلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسِهِمْ بِهِ^(١) فَإِنَّ الْعُمَرََانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلَتْهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعَوِّزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ^(٢) وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ .

ثُمَّ أَنْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ^(٣) فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ ، وَأَخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَايِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ^(٤) ، مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِيءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأٍ ، وَلَا تُقْصِرُ بِهِ الْغَفْلَةُ^(٥) عَنْ

(١) طيبة - بكسر الطاء - : مصطبّر طاب ، وهو علة لاحتملوه ، أي : لطيب أنفسهم باحتماله فإن العمران ما دام قائماً ونامياً فكل ما حملت أهله سهل عليهم أن يحتملوا ، كذا قال الاستاذ الامام رحمه الله ، وعندني أن « طيبة » بتشديد الياء - منصوب على الحالية ، و « أنفسهم » مرفوع على أنه فاعل بطيبة ، ويجوز أن يكون « طيبة » مرفوعاً على أنه خبر مقدم ، و « أنفسهم » مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال ، وأي هذين الوجهين أقرب ممّا ذكره ، والاعواز : الفقر والحاجة .

(٢) لتطلع أنفسهم إلى جمع المال ادخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا .

(٣) « ثم انظر - الخ » انتقال من الكلام في أهل الخراج إلى الكلام في الكتاب : جمع كاتب .

(٤) بأجمعهم : متعلق بأخصص ، أي : ما يكون من رسائلك حاوياً لشيء من المكائيد للاعداء وما يشبه ذلك من أسرارك فاخصصه بمن فاق غيره في جميع الأخلاق الصالحة ، ولا تبطره - أي : لا تطغيه - الكرامة فيجراً على مخالفتك في حضور ملأ وجماعة من الناس فيضر ذلك بمنزلتك منهم .

(٥) لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من اعمالك ، ولا في إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب ، بل يكون من النباهة والحدق بحيث لا يفوته شيء من ذلك .

إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ
فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ . وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا أَعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلَا
يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ ^(١) ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي
الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلُ ، ثُمَّ لَا
يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ ^(٢) وَحُسْنِ الظَّنِّ
مِنْكَ ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصْنُوعِهِمْ وَحُسْنِ
خِدْمَتِهِمْ ^(٣) ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ
اخْتِبَرَهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ : فَأَعِمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي
الْعَامَّةِ أَثَرًا ، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى
نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ . وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ
رَأْسًا مِنْهُمْ ^(٤) لَا يَقْهَرُهُ كِبَرُهَا ، وَلَا يَتَشَتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا ، وَمَهْمَا
كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزِمْتَهُ ^(٥) .

ثُمَّ اسْتَوْصِرْ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ^(٦) وَأَوْصِرْ بِهِمْ خَيْرًا :

(١) أي : يكون خبيراً بطرق المعاملات بحيث إذا عقد لك عقداً في أي نوع منها لا يكون ضعيفاً ؛ بل يكون محكماً جزيلاً الفائدة لك ، وإذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد .

(٢) الفراسة - بالكسر - : قوة الظن وحسن النظر في الأمور، والاستنامة : السكون والثقة ، أي لا يكون انتخاب الكتاب تابعا لميلك الخاص .

(٣) « يتعرفون للفراسات » أي : يتوصلون إليها لتعرفهم .

(٤) أي اجعل لرئاسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدرأ على ضبطها لا يقهره عظيم تلك الأعمال ، ولا يخرج عن ضبطه كثيرها .

(٥) إذا تغابيت - أي : تغافلت - عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لاصقاً بك .

(٦) « ثم استوص » انتقال من الكلام في الكتاب إلى الكلام في التجار والصناع .

الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ^(١) ، وَالْمُتَرْفِّقِ بِبَدَنِهِ ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ
الْمَنَافِعِ ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ ، فِي
بَرَكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَنِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا^(٢) وَلَا
يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ^(٣) وَصُلَحٌ لَا تُخْشَى
غَائِلَتُهُ . وَتَفَقَّدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ . وَاعْلَمْ - مَعَ
ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا ، وَشُحًّا قَبِيحًا^(٤) وَاحْتِكَارًا
لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ
عَلَى الْوَلَاةِ . فَأَمْنَعُ مِنَ الْإِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ ، مَنَعَ مِنْهُ ، وَلِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا : بِمَوَازِينٍ عَدْلٍ ،
وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحَفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ^(٥) ، فَمَنْ قَارَفَ
حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ^(٦) فَتَكَلَّ بِهِ ، وَعَاقِبُهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ .

(١) المضطرب : المتردد بأمواله بين البلدان ، والمترفق : المكتسب ، والمرافق : تقدم
تفسيرها بالمنافع ، وحقيقتها - وهي والمراد هنا - ما به يتم الانتفاع كالأنية والأدوات
وما يشبه ذلك .

(٢) أي : ويجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن الثام الناس واجتماعهم في مواضع تلك
المرافق من تلك الأمكنة .

(٣) فانهم : علة لاستوص وأوص ؛ والبائقة : الداهية ، والتجار والصناع مسالمون لا
تخشى منهم داهية العصيان .

(٤) الضيق : عسر المعاملة والشح : البخل ، والاحتكار : حبس المطعوم ونحوه عن
الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة .

(٥) المبتاع : المشتري .

(٦) « قارف » أي : خالط ، والحكرة - بالضم : الاحتكار ، فمن أتى عمل الاحتكار
بعد النهي عنه فتكل به - أي : أوقع به النكال والعذاب - عقوبة له ، لكن من غير
إسراف في العقوبة ، ولا تجاوز عن حد العدل فيها .

ثُمَّ أَلَّهَ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ
الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى^(١) فَإِنَّ فِي هَذِهِ
الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرِئاً^(٢) . وَآحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ،
وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وَقِسْماً مِنْ غُلَّتِ صَوَافِي
الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ^(٣) ؛ فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى .
وَكُلُّ قَدٍ اسْتُرِعِيتَ حَقُّهُ . فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ^(٤) فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ
بِتَضْيِيعِكَ النَّافَةِ^(٥) لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ
عَنْهُمْ^(٦) وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفْقُدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ
مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ^(٧) وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ ، فَفَرِّغْ لِأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ^(٨) مِنْ
أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالْتَوَاضِعِ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ اْعْمَلْ فِيهِمْ

(١) البؤسى - بضم أوله - : شدة الفقر ، والزمنى - بفتح أوله - : جمع زمين ، وهو
المصاب بالزمانه - بفتح الزاي - أي : العاهة ، يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن
الاكتساب .

(٢) القانع : السائل ، من « قنع » كمنع ، أي : سأل وخضع وذلل ، وقد تبدل القاف
كافاً فيقال كنع . والمعترئ - بتشديد الراء - : المتعرض للعطاء بلا سؤال :
واستحفظك : طلب منك حفظه .

(٣) صوافي الاسلام : جمع صافية ، وهي أرض الغنيمة ، وغلاتها : ثمراتها .

(٤) طغيان بالنعمة .

(٥) النافه : القليل لا تعذر بتضييعه إذا أحكمت وأنفقت الكثير المهم .

(٦) « لا تشخص » أي لا تصرف همك - أي : اهتمامك - عن ملاحظة شؤونهم ،
و« صعر خده » أماله إعجاباً وكبراً .

(٧) تقتحمه العين : تكره أن تنظر إليه احتقاراً .

(٨) « فرغ » أي اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تنق
بهم ، يخافون الله ويتواضعون لعظمته لا يأنفون من تعرف حال الفقراء ليرفعوها
إليك .

بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ^(١) ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرُّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلُّ فَاغْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْذِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ . وَتَعَهَّدَ أَهْلَ الْيَتَمِ وَذَوِي الرُّقَّةِ فِي^(٢) أَلْسِنٍ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ . وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَوَثَّقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ .

وَأَجْعَلَ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا^(٣) تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعِدَ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ^(٤) مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ^(٥) فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ^(٦) : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ^(٧) لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ »

(١) « بالاعذار إلى الله » أي : بما يقدم لك عذراً عنده .

(٢) « ذوو اليتيم » : الأيتام . وذوو الرقة في السن : المتقدمون فيه .

(٣) « لذوي الحاجات » أي : المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم .

(٤) تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك الخ ، والأحراس : جمع حرس - بالتحريك - وهو من يحرس الحاكم من وصول المكروه ، والشرط - بضم ففتح - طائفة - : من أنواع الحاكم ، وهم المعروفون الآن بالضابطة ، واحده شرطة - بضم فسكون .

(٥) التمتع في الكلام : التردد فيه من عجز وعي ، والمراد غير خائف ، تعبيراً باللازم .

(٦) أي في مواطن كثيرة .

(٧) التقديس ، التطهير ، أي : لا يطهر الله أمة الخ .

ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ ^(١) وَنَسَحْ عَنْهُمْ الضُّيْقَ وَالْأَنْفَ ^(٢)
يَسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ .
وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَيْنَا ^(٣) ، وَآمَنْعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ !

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا : مِنْهَا إِجَابَةُ
عَمَّا لَكَ بِمَا يَعْنِي عَنْهُ كُتَابُكَ ^(٤) ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ
وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ ^(٥) ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ
فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ عَمَلُهُ ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ
أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيِتِ ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ ^(٦) وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ
إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرِّعْيَةُ .

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ : إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ
الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ

(١) الخرق - بالضم - العنف ضد الرفق ، والعِي - بالكسر - المعجز عن النطق ، أي : لا
تضجر من هذا ولا تغضب لذلك .

(٢) الضيق : ضيق الصدر بسوء الخلق ، والأنف - محركة - : الاستنكاف والاستكبار
وأكناف الرحمة : أطرافها .

(٣) سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به ، وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر .

(٤) يعنيا : يعجز .

(٥) خرج يخرج - من باب تعب - : ضاق ، والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل
الحاجات ، ويحبسون المماطلة في قضائها : استجلاباً للمنفعة ، أو إظهاراً
للجبروت .

(٦) أجزلها : أعظمها .

مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ^(١)
 بِالْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ . وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ
 مُنْفَرًّا وَلَا مُضَيِّعًا^(٢) فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ . وَقَدْ
 سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى
 الْيَمَنِ كَيْفَ أَصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْصِيَانِهِمْ ، وَكُنْ
 بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » .

وَأَمَّا بَعْدُ ، فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ احْتِجَابَ
 الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضُّيْقِ ، وَقَلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ ،
 وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ
 الْكِبِيرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُ
 الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ . وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ
 مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ^(٣) تُعَرَفُ بِهَا ضُرُوبُ
 الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا أَمْرٌ وَسَخَتْ
 نَفْسُكَ بِالْبَدْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ^(٤) مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ

(١) « غير مثلوم » : أي : غير غُدوش بشيء من التقصير ولا غُروق بالرياء ؛

و « بالغاً » جال بعد الأحوال السابقة ، أي : وإن بلغ من إعتاب بدنك أي مبلغ .

(٢) التنفير : بالتطويل ، والتضييع : بالنقص في الأركان ، والمطلوب التوسط .

(٣) سمات : جمع سمة - بكسر ففتح - وهي العلامة ، أي : ليس للحق علامات ظاهرة
 يتميز بها الصدق من الكذب ، وإنما يعرف ذلك بالامتحان ، ولا يكون إلا
 بالمحافظة .

(٤) فلا أي سبب تحتجب عن الناس في أداء حقهم ، أو في عمل تمنحه إياهم ؟ .

أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسَدِّدُهُ ؟ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ
عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا مِنْ بِذَلِكَ^(١) مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ
إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَوْؤَنَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةٍ مَظْلَمَةٍ^(٢) أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ
فِي مُعَامَلَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً ، فِيهِمْ أَسْتِثْنَاءٌ ، وَتَطَاوُلٌ ، وَقَلَّةٌ
إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَاحْسِمِ مَادَّةَ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ
الْأَحْوَالِ^(٣) وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً^(٤) وَلَا
يُطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ ، تَضُرُّ بَمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبٍ
أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرِكٍ يَحْمِلُونَ مَوْؤَنَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ
دُونَكَ^(٥) وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَالْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ
صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ ،

(١) البذل : العطاء ، فان قنط الناس من قضاء مطالبهم منك أسرعوا إلى البعد عنك ،
فلا حاجة للاحتجاب .

(٢) شكاة - بالفتح - شكاية .

(٣) « فاحسم » أي : اقطع مادة ضرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم ، وإنما يكون
بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شؤون العامة .

(٤) الاقطاع : المنحة من الأرض . والقطيعة : الممنوح منها ، والحامة - كالطامة -
الخاصة والقراية . والاعتقاد : الامتلاك ، والعقدة - بالضم - : الضيعة ، واعتقاد
الضيعة : اقتناؤها ، وإذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها ؛ أي : يقرب منها ،
من الناس في شرب - بالكسر - وهو النصيب في الماء .

(٥) مهناه : منفعتة الهنيئة .

وَأَتَّبِعْ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ^(١) .

وَإِنْ ظَنَنْتَ الرِّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَأَعْدِلْ
عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ^(٢)
وَرِفْقًا بِرِعِيَّتِكَ ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى
الْحَقِّ .

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلَّهِ فِيهِ رِضًى ، فَإِنْ
فِي الصُّلْحِ دَعَا لِحُجُودِكَ^(٣) وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ ،
وَلَكِنْ أَلْحَذِرْ كُلَّ أَلْحَذِرٍ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ، فَإِنَّ أَلْعَدُوَّ رَبِّمَا
قَارِبَ لِيَتَغَفَّلَ^(٤) ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ ، وَآتِهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ . وَإِنْ
عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً ، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً^(٥) ، فَحُطْ
عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا

(١) المغبة - كمحبة - : العاقبة ، وإلزام الحق لمن لزمهم وإن ثقل على الوالي وعليهم
فهو محمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ونيل السعادة في الآخرة .

(٢) وإن فعلت فعلاً ظنت الرعية أن فيه حيفاً - أي : ظلماً - فاصحر - أي : ابرز لهم -
وبين عدرك فيه . وعدل عنه كذا : نحاه عنه ، والأصحار : الظهور ، من « اصحر »
إذا برز في الصحراء ، و « رياضة » أي : تعويداً لنفسك على العدل . والاعذار
تقديم العذر أو إبدائه .

(٣) الدعة - محرقة - : الراحة .

(٤) « قارب » أي : بقرب منك بالصلح ليلقي عليك عنه غفلة فيغدرك فيها .

(٥) أصل معنى الذمة وجدان مودع في جيلة الانسان ينبهه لرعاية حق ذوي الحقوق عليه
ويدفعه لأداء ما يجب عليه منها ، ثم أطلقت على معنى العهد وجعل العهد لباساً
لمشابهته له في الرقابة من الضرر ، حاطه : حفظه .

أَعْطَيْتَ^(١) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ
اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشْتَّتِ آرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ
بِالْعُهُودِ^(٢) وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ^(٣)
لَمَّا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ^(٤) ، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلَا تَخِيسَنَّ
بِعَهْدِكَ^(٥) ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ
شَقِيٌّ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ
بِرَحْمَتِهِ^(٦) ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى
جَوَارِهِ^(٧) . فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ^(٨) وَلَا خِدَاعَ فِيهِ ، وَلَا تَعَقُّدَ عَقْداً

(١) الجنة - بالضم - : الوقاية ، أي : حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك .

(٢) « الناس » مبتدأ ، و « أشد » خبر ، والجملة خبر ليس ، يعني أن الناس لم يجتمعوا
على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرق
أهوائهم وتشتت آرائهم ، حتى إن المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم ، فأولى أن
يلتزمه المسلمون ، كذا قال الامام ، ولنا في إعرابه توقف عظيم ، فجملة المبتدأ
والخبر صفة لشيء وهو اسم ليس ، أو مبتدأ خبره الظرف قبله واسم ليس ضمير
الشأن .

(٣) أي حال كونهم دون المسلمين في الأخلاق والعقائد .

(٤) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة - أي - مهلكة - وما والفعل بعدها في تأويل
مصدر ، أي : استيبالهم .

(٥) خاس بعهده : خان ونقضه . والختل : الخداع .

(٦) الأمن : الأمان ، و « أفضاه » هنا بمعنى أفشاه وأصله المزيد من « فضا فضوا » - من
باب قعد - أي : اتسع ، فالرباعي بمعنى وسعه ، والسعة مجازية يراد بها الافشاء
والانتشار . والحريم : ما حرم عليك أن تمسه ، والمنعة - بالتحريك - ما تمتنع به
من القوة .

(٧) « يستفيضون » أي : يفزعون إليه بسرعة .

(٨) الادغال : الافساد . والمدالسة : الخيانة .

تَجَوُّزُ فِيهِ الْعِلَلُ ^(١) ، وَلَا تُعَوَّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ
وَالْتَّوَثُّقَةِ ، وَلَا يَدْعُونَكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ
أَنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو أَنْفِرَاجَهُ
وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ تَبِعْتَهُ ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ
فِيهِ طِلْبَةٌ ^(٢) ، فَلَا تَسْتَقْبِلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ .

إِيَّاكَ وَالْدَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَذْنَى
لِنِقْمَةٍ ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ، وَلَا أُخْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَأَنْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ
سَفْكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيٌّ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ
فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدَّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَا تُقَوِّنَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ
دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوْهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ . وَلَا
عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمَدِ : لِأَنَّ فِيهِ قَوْدَ
الْبَدَنِ ^(٣) . وَإِنْ أَبْتُلَيْتَ بِخَطَاٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ ^(٤) أَوْ سَيْفُكَ أَوْ

(١) العلل : جمع علة ، وهي في النقد والكلام ، بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله
إلى غير المراد ، وذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته . ولحن
القول : ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض ، فاذا تعلل بهذا المقاعد لك وطلب
شيئاً لا يوافق ما أكدته وأخذت عليه الميثاق فلا تعول عليه . وكذلك لو رأيت ثقلأ
من التزام العهد فلا تركز إلى لحن القول لتخلص منه ، فخذ بأصرح الوجوه لك
وعليك .

(٢) و « أن تحيط » : عطف على « تبعة » أي : وتخاف أن تتوجه عليك من الله مطالبة
بحقه في الوفاء الذي غدرته ويأخذ الطلب بجميع أطرافك فلا يمكنك التخلص منه
ويصعب عليك أن تسأل الله أن يقلبك من هذه المطالبة بعفو عنك في دنيا أو آخرة
بعد ما تجرات على عهده بالنقض .

(٣) القود - بالتحريك - : القصاص ، وإضافته للبدن لأنه يقع عليه .

(٤) أفرط عليك : عجل بما لم تكن تريده : أردت تأديباً فأعقب قتلاً . وقوله « فان في »

يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ
نَخْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُودِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، وَحُبَّ
الْإِطْرَاءِ^(١) فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمَحَقَ مَا
يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ .

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْنَ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوْ التَّزْيِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ
فِعْلِكَ^(٢) أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ أَمْنَ يُبْطِلُ
الْإِحْسَانَ ، وَالتَّزْيِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَلَ
عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٣) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ
تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوْ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ

= الوكزة « تعليل لأفرط ، والوكزة - بفتح فسكون - الضربة بجمع الكف - بضم
الجيم ، أي : قبضته - وهي المعروفة باللكمة . وقوله « فلا تطمحن » أي ترتفعن
بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية إليهم في القتل الخطأ ، جواب الشرط .

(١) الاطرء : المبالغة في الشئ والفرصة - بالضم - : حادث يمكنك لو سعت من
الوصول لمقصودك ، والعجب في الإنسان من أشد الفرص لتمكين الشيطان من
قصده - وهو محق الاحسان - بما يتبعه من الغرور والتعلي بالفعل على من وصل
إليه أثره .

(٢) التزيد - كالتيقيد - إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار .

(٣) المقت : البغض والسخط .

إِمْكَانِهَا^(١) أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ^(٢) أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا
 اسْتَوْضَحَتْ . فَضَعُ كُلِّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ .

وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ^(٣) ، وَالتَّغَابِي عَمَّا تُعْنَى
 بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ، فَإِنَّهُ مَا أَخُوذُ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ
 تَنَكَّشْتُ عَنْكَ أَغْطِيَهُ الْأُمُورِ ، وَيُتَصَفُّ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ . اْمْلِكْ
 حَمِيَّةَ أَنْفِكَ^(٤) ، وَسُورَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ ؛
 وَأَحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ^(٥) ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتَّى
 يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى
 تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ .

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ

(١) التسقط : من قولهم « تسقط في الخبر يتسقط » إذا أخذه قليلاً ، يريد به هنا :
 التهاون . وفي نسخة « التساقط » بمد السين - من « ساقط الفرس عدوه » إذا جاء
 مسترخياً .

(٢) تنكرت : لم يعرف وجه الصواب فيها ، واللجاجة : الاصرار على منازعة الأمر لئتم
 على عسرفيه ؛ والوهن : الضعف .

(٣) احذر أن تخص نفسك بشيء تزيد به عن الناس ، وهو مما تجب فيه المساواة من
 الحقوق العامة . والتغابي : التغافل . « وما يعنى به » مبني للمجهول - أي : يهتم
 به .

(٤) يقال « فلان حمي الأنف » إذا كان ألباً يأنف الضميم ، أي املك نفسك عند الغضب
 والسورة بفتح السين وسكون الواو . والحد - بالفتح - : البأس . والغرب - بفتح
 فسكون - : الحد تشبيهاً بحد السيف ونحوه .

(٥) البادرة : ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه ، وإطلاق اللسان يزيد
 الغضب اتقاداً ، والسكوت يطفىء من لهبه .

عَادِلَةٍ ؛ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَتَقْتَدِي بِمَا شَاهَدْتَ بِمَا عَمِلْنَا
بِهِ فِيهَا^(١) وَتَجْتَهِدُ لِنَفْسِكَ فِي أَتْبَاعِ مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي
هَذَا ، وَأَسْتَوْثِقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ
عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ
كُلِّ رَغْبَةٍ^(٢) أَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى
الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ^(٣) ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ
وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ ، وَتَمَامِ النُّعْمَةِ ، وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ^(٤) ،
وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ ، «إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» .

وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ - الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) ضمير « فيها » يعود إلى جميع ما تقدم ، أي : تذكر كل ذلك واعمل فيه مثل ما
رأيتنا نعمل ، واحذر التأويل حسب الهوى .

(٢) « على » متعلقة بقدرته .

(٣) يريد من العذر الواضح العدل ؛ فانه عذر لك عند من قضيت عليه ، وعذر عند
الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمة من منفعة .

(٤) أي : زيادة الكرامة أضعافاً .

إلى طلحة والزبير ، مع عمران بن الحصين الخزاعي
ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب
«المقامات» في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمَا - وَإِنْ كُتِمْتُمَا - أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى
أَرَادُونِي ، وَلَمْ أَبَايَعُهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي ، وَإِنِّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي
وَبَايَعَنِي ، وَإِنَّ أَلْعَامَةَ لَمْ تُبَايَعَنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ وَلَا لِعَرَضٍ
حَاضِرٍ ^(١) ، فَإِنْ كُتِمْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ
قَرِيبٍ ، وَإِنْ كُتِمْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا
السَّبِيلَ ^(٢) بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ ، وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ .

وَلَعَمْرِي مَا كُتِمْتُمَا بِأَحَقُّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ ، وَإِنْ
دَفَعْتُكُمَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ ^(٣) كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ
خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ .

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ ، فَبَيَّنِّي وَبَيَّنَّكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ
عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ أَمْرٍ بِقَدْرِ مَا

(١) العرض - بفتح فسكون ، أو بالتحريك - هو المتاع وما سوى النقيدين من المال ،
أي : ولا لطمع في مال حاضر . وفي نسخة « ولا لحرص حاضر » .

(٢) السبيل الحجة .

(٣) الأمر : هو خلافته .

أَحْتَمَلَ^(١) . فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا ، فَإِنَّ آلَانَ أَعْظَمُ
أَمْرِكُمَا أَلْعَارُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَعَ أَلْعَارُ وَالنَّارُ ؛ وَالسَّلَامُ^(٢) .

٥٦

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا^(٣) ،
وَأَبْتَلَنِي فِيهَا أَهْلَهَا ؛ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا ،
وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرُنَا ، وَإِنَّمَا وَضَعْنَا فِيهَا لِنَبْتَلِيَ بِهَا ، وَقَدْ أَبْتَلَانِي
اللَّهُ بِكَ وَأَبْتَلَاكَ بِي : فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ ، فَعَدَوْتُ
عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ^(٤) ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدَيَّ وَلَا
لِسَانِي ، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي^(٥) ، وَالْبَّ عَالِمُكُمْ جَاهِلُكُمْ

(١) أي : نرجع في الحكم لمن تقاعد عن نصري ونصركما من أهل المدينة : فان
حكموا قبلنا حكمهم ، ثم ألزمت الشريعة كل واحد منا بقدر مداخلته في قتل
عثمان .

(٢) قوله « من قبل أن يتجمع » متعلق بفعل محذوف ، أي : راجعنا من قبل الخ .

(٣) وهو الآخرة .

(٤) فعدوت : أي وثبت ، ويروى « فعدوت » وتأويل القرآن : صرف قوله تعالى ﴿ يا
أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ﴾ و ﴿ لكم في القصاص حياة ﴾ وتحويله
إلى غير معناه ، حيث أقنع أهل الشام أن هذا النص يخول معاوية الحق في الطلب
بدم عثمان أمير المؤمنين .

(٥) أي : إنك وأهل الشام عصبتكم - أي : ربطتم - دم عثمان ببي ، وألزمتوني ثأره ،
وألب - بفتح الهمزة وتشديد اللام - أي : حرّض . قالوا : يريد بالعالم أبا هريرة
رضي الله عنه ، وبالقائم عمرو بن العاص .

وَقَائِمُكُمْ قَاعِدُكُمْ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ^(١) ، وَأَصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ فِيهِ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ .
وَأَحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلٍ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ^(٢) ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةٌ غَيْرَ فَاجِرَةٍ^(٣) : لَيْتُنْ جَمَعْتَنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحْتِكَ ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

ومن وصية له عليه السلام

٥٧

وَصَّى بِهَا شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ لَمَّا جَعَلَهُ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ إِلَى الشَّامِ

أَتَقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا
الْغُرُورَ ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِن لَمْ تَرُدَّ نَفْسَكَ
عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِ سَمَتٍ بِكَ الْأَهْوَاءِ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ
الضَّرَرِ^(٤) . فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً ، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِیْظَةِ وَاقِماً
قَامِعاً^(٥) .

(١) القياد - بالكسر - : الزمام ، و « نازعه القياد » إذا لم يسترسل معه .

(٢) القارعة : البلية والمصيبة تمس الأصل - أي : تصيبه - فتقلعه ، والدابر : هو الآخر ، ويقال للأصل أيضاً ، أي : لا تبقى لك أصلاً ولا فرعاً .

(٣) « أولى » أي : أحلف بالله حلفة غير حائثة ، والباحة كالساحة وزناً ومعنى .

(٤) « سمت » أي : ارتفعت ، والأهواء : جمع هوى ، وهو الميل مع الشهوة حيث مالت .

(٥) النزوة : من « نزا ينزوا » أي : وثب ، والحفيظة : الغضب ، و « وقمه فهو واقم » أي : قهره ، وقمه : رده وكسره .

إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا^(١) ، إِمَّا ظَالِمًا ، وَإِمَّا مَظْلُومًا ، وَإِمَّا بَاغِيًا وَإِمَّا مَبْغِيًا عَلَيْهِ ، وَإِنِّي أَذْكُرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا^(٢) لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانِي ، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي .

كُتِبَهُ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ ، يَقْصُ فِيهِ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ صَفِّينَ

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَا أَلْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ^(٣) ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ ، وَدَعَوَتُنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ ، وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصَدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا :

(١) الحي : موطن القبيلة أو منزلها .

(٢) « من بلغه » مفعول « اذكر » . وقوله « لما نفر إلى » إن كانت مشددة فلما بمعنى إلا ، وإن كانت مخففة فهي زائدة واللام للتأكيد ، واستعتبني : طلب مني العتبي أي الرضا ، أي طلب مني أن أرضيه بالخروج عن إساءتي .

(٣) « والظاهر - الخ » : الواو للحال ، أي : كان التقاؤنا في حال يظهر فيها أننا متحدون في العقيدة لا اختلاف بيننا إلا في دم عثمان ، و « لا نستزيدهم » أي : لا نطلب منهم زيادة في الإيمان ؛ لأنهم كانوا مؤمنين . وقوله « الأمر واحد » جملة مستأنفة لبيان الاتحاد في كل شيء إلا دم عثمان .

الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ !
فَقُلْنَا : تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ الشَّائِرَةِ ^(١) وَتَسْكِينِ
الْعَامَّةِ ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمَعَ فَنَقْوِي عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ
مَوَاضِعَهُ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ ! فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ
وَرَكَدَتْ ، وَوَقَدَتْ نِيرَانَهَا وَحَمِسَتْ . فَلَمَّا ضَرَسْتَنَا وَإِيَاهُمْ ^(٢) ،
وَوَضَعْتَ مَخَالِبَهَا فِيْنَا وَفِيهِمْ ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي
دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا ، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ،
حَتَّى اسْتَبَانَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْذِرَةُ . فَمَنْ تَمَّ
عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَمَنْ لَجَّ
وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ ^(٣) الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ
السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ .

(١) الشائرة : اسم فاعل من « شارت الفتنة تشور » إذا انتشرت ، والشائرة أيضاً العداوة
والشحناء . والمكابرة : المعاندة ، أي : دعاهم للصلح حتى يسكن الاضطراب ثم
يوفيهم طلبهم فأبوا إلا الاصرار على دعواهم . وجنحت الحرب : مالت ، أي :
مال رجالها لإيقادها ، وركدت : استقرت وقامت ، ووقدت - كوعدت - أي :
اتقدت والتهبت ، وحمس - كفرح - : اشتد وصلب ، ويروى « حمشت » .

(٢) - ضرسنا : عضتنا بأضراسها .

(٣) الراكس : الناكث الذي قلب عهده ونكثه . والراكس أيضاً الثور الذي يكون في
وسط البيدر حين يداس والثيران حواليه وهو يرتكس ، أي : يدور مكانه ، وران
على قلبه : غطى .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان^(١)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَلْوَالِي إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ^(٢) مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِّنَ الْعَدْلِ . فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عَوَظٌ مِّنَ الْعَدْلِ . فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ^(٣) ، وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ رَاجِيًا ثَوَابَهُ ، وَمُتَخَوِّفًا عِقَابَهُ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤) . وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا . وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ ، وَالِاحْتِسَابُ عَلَى الرِّعْيَةِ بِجُهِدِكَ^(٥) ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ ، وَالسَّلَامُ .

(١) إيالة من إيالات فارس .

(٢) اختلاف الهوى : جريانه مع الأغراض النفسية حيث تذهب . ووحدة الهوى : توجهه إلى أمر واحد ، وهو تنفيذ الشريعة العادلة على من يصيب حكمها .

(٣) أي : ما لا تستحسن مثله لو صدر من غيرك .

(٤) الفراغ الذي يعقب حسرة يوم القيامة : هو خلو الوقت من عمل يرجع بالنفع على الأمة ، فعلى الإنسان أن يكون عاملاً دائماً فيما ينفع أمته ويصلح رعيته إن كان راعياً .

(٥) الاحتساب على الرعية : مراقبة أعمالها وتقويم ما اعوج وإصلاح ما فسد . والأجر الذي يصل إليه العامل من الله والكرامة التي ينالها من الخليفة هما أفضل وأعظم من الصلاح الذي يصل إلى الرعية بسببه .

إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم^(١)

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ
جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَالِ الْبِلَادِ.

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ
الشَّدَى^(٢) . وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ^(٣) ، إِلَّا
مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ . فَكَلُّوا مَنْ تَنَاولَ
مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلماً عَنْ ظُلْمِهِمْ^(٤) ، وَكُفُّوا أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ
وَالْتَعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَشْنَاهُ مِنْهُمْ^(٥) . وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِ الْجَيْشِ^(٦)
فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَا عَرَاكُمْ بِمَا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَا
لَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِي ، فَأَنَا أُغِيرُهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) أي يمر بأراضيهم .

(٢) الشدى : الشر .

(٣) معرة الجيش : أذاه ، والامام يتبرأ منها لأنها من غير رضاه . وجوعه - بفتح
الجيم - : الواحدة من مصدر جاع ، يستشني حالة الجوع المهلك ، فان للجيش فيها
حقاً أن يتناول سد رمقه .

(٤) « نكلوا » أي : أوقعوا النكال والعقاب بمن تناول شيئاً من أموال الناس غير مضطر ،
وافعلوا ذلك جزاء بظلم عن ظلمهم ، وتسمية الجزاء ظلماً نوع من المشاكلة .
(٥) الذي استثناه هو حالة الاضطراب .

(٦) أي : إنني موجود فيه ، فما عجزتم عن دفعه فردوه إليّ اكفكم ضرره وشره .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى كميل بن زياد النخعي ، وهو عامله على هيت ، ينكر عليه
تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا الغارة

أما بعد ، فإن تضييع المرء ما ولي ، وتكلفه ما كفي^(١) ،
لعجز حاضر ، ورأي متبر . وإن تعاطيك الغارة على أهل
قرقيسيا^(٢) ، وتعطيلك مسالحك التي وليناك ، ليس بها من يمنعها
ولا يرد الجيش عنها ، لرأي شعاع . فقد صرت جسرا لمن أراد
الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب^(٣) ولا مهيب
الجانب ، ولا ساد ثغرة ، ولا كاسر لعدو شوكة ، ولا مغن عن أهل
مصره^(٤) ، ولا مجز عن أميره .

(١) تضييع الانسان الشأن الذي تولى حفظه وتجشمه الامر الذي لم يطلب منه وكفاه
الغير ثقله عجز عن القيام بما تولاه ، ورأي متبر - كمعظم - من « تبره تبيرا » إذا
اهلكه ، أي : هالك صاحبه .

(٢) قرقيسيا - بكسر القافين بينهما ساكن - : بلد على الفرات ، والمسالخ : جمع
مسلحة وهي موضع الحامية على الحدود . ورأي شعاع - كسحاب - ، أي : متفرق ،
أما الرأي المجتمع على صلاح فهو تقوية المسالخ ومنع العدو من دخول البلاد .

(٣) المنكب - كمسجد - مجتمع الكتف والعضد ، وشدته كناية عن القوة والمتعة ،
والثغرة : الفرجة يدخل منها العدو .

(٤) أغنى عنه : ناب منابه ، وقائد المسالخ ينبغي أن ينوب عن أهل المصر في كفايتهم
غارة عدوهم ، وأجزى عنه : قام مقامه وكفى عنه .

إلى أهل مصر ، مع مالك الأشر لما ولّاه إمارتها

أما بعد ، فإن الله سبحانه بعث محمداً ، صلى الله عليه وآله وسلم ، نذيراً للعالمين ، ومهيئاً على المرسلين^(١) فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فوالله ما كان يلقى في روعي^(٢) ولا يخطر ببالي أن العرب تزجج هذا الأمر من بعده - صلى الله عليه وآله وسلم - عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عني من بعده! فما راعني إلا أنيئال الناس على فلان^(٣) يبايعونه ، فأمسكت يدي^(٤) حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً^(٥) أو

(١) المهيمن : الشاهد ، والنبي شاهد برسالة المرسلين الأولين .

(٢) الروح - بضم الراء - القلب : أو موضع الروح منه بفتح الراء - أي : الفرع - أي : ما كان يقذف في قلبي هذا خاطر ، وهو أن العرب تزجج - أي : تنقل - هذا الأمر - أي : الخلافة - عن آل بيت النبي عموماً ، ولا أنهم ينحونه - أي : يبعدونه - عني خصوصاً .

(٣) راعني : أفزعني ، وانثيال الناس : انصبابهم .

(٤) كفتها عن العمل وتركها الناس وشأنهم ، حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما أمر الله ، وإهمالهم حدوده ، وعدولهم عن شريعته ، يريد بهم عمال عثمان وولاته على البلاد ، ومحق الدين : محوه وإزالته .

(٥) « ثلماً » أي : خرقاً ، ولو لم ينصر الإسلام بإزالة أولئك الولاة وكشف بدعهم لكانت المصيبة على أمير المؤمنين بالعقاب على التفريط أعظم من حرمانه الولاية

هَذَا ، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ قَوْتٍ وَلَا يَتَكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ
مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ
السَّحَابُ ، فَتَهْضُتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ ،
وَأَظْمَأَنَّ الدِّينَ وَتَنَهَّنَه .

ومنه : إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ
كُلُّهَا (١) مَا بَالَيْتُ وَلَا أَسْتَوْحِشْتُ ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ
وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلِّي بِصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي .
وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ . وَلَكِنِّي
أَسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفَجَارُهَا (٢) فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ
دُولًا ، وَعِبَادَهُ خَوْلًا ، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا ، وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا فَإِنَّ مِنْهُمْ
الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ (٣) وَجُلِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ

= في الأمصار : فالولاية يتمتع بها أياماً قلائل ثم تزول كما يزول السراب . فنهض
الامام بين تلك البدع فبددها حتى زاح - أي : ذهب - الباطل ، و « زهق » أي :
خرجت روحه ومات ، مجاز عن الزوال التام . ونههه عن الشيء : كفه فتنهه ،
أي كف ، وكان الدين منزعجاً من تصرف هؤلاء نازعاً إلى الزوال ، فكفه أمير
المؤمنين ومنعه ، فاطمأن وثبت .

(١) « وهم طلاع الخ - » حال من مفعول « لقيتهم » ، والطلاع - ككتاب - : ملء
الشيء ، أي : لو كنت واحداً وهم يملأون الأرض للقيتهم غير مبال بهم .
(٢) آسى : مضارع « أسيت عليه » كرضيت - أي : حزنت ، أي : إنه يحزن لأن يتولى
أمر الأمة سفهاؤها الخ . والدول - بضم ففتح - جمع دولة - بالضم - أي : شيئاً
يتداولونه بينهم ، يتصرفون فيه بغير حق الله . والحلول - محركة - : العبيد ،
و « حرباً » أي محاربين .

(٣) يريد الخمر ، و « الشارب » قالوا : عتبة بن أبي سفيان ، حده خالد بن عبدالله في
الطائف ، وذكروا رجلاً آخر لا أذكره .

مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَايُخُ^(١) ،
فَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرَتْ تَأْلِيْبِكُمْ^(٢) وَتَأْنِيْبِكُمْ ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيبَكُمْ ،
وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَقَصَتْ^(٣) ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدْ
اَفْتِخَتْ ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزَوَّى ، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى ، أَنْفِرُوا -
رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلَا تَتَّاقِلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقَرُّوا
بِالْخَسْفِ ، وَتَبُوءُوا بِالذَّلِّ^(٤) ، وَيَكُونَ نَصِيْبُكُمْ الْأَخْسَ ، وَإِنَّ أَخَا
الْحَرْبِ الْأَرِقُّ^(٥) ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٦٨

إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْهُ تَثْيِيْطُ النَّاسِ عَنِ
الْخُرُوجِ إِلَيْهِ^(٦) لَمَّا نَدَبَهُمْ لِحَرْبِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ .

(١) تأليْبكم : تحريضكم وتحويل قلوبكم عنهم ، والتأنيْب : اللوم ، و« ونيتم » أي :
أبطأتم عن إجابتي .

(٢) أطراف البلاد : جوانبها قد حصل فيها النقص باستيلاء العدو عليها . وتزوى - مبهني
للمجهول - من « زواه » إذا قبضه عنه .

(٣) قر - من باب منع ، أو ضرب - : سكن ، أي : فتقيموا بالخسف ، أي : الضيم ؛
وتبوءوا - أي تعودوا - بالذل .

(٤) الأرق - بفتح فكسر - أي : الساهر ، وصاحب الحرب لا ينام ، والذي ينام لا ينام
الناس عنه .

(٥) التثيْط : الترغيب في القعود والتخلف .

(٦) « لتكفين » بلام التأكيد ونونه ؛ أي : إنا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم حامل

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِمَ
رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَلِكَ^(١) وَأَشْدُدْ مِئْزَرَكَ ، وَآخِرُجْ مِنْ جُحْرِكَ ،
وَأَنْدُبْ مَنْ مَعَكَ . فَإِنْ حَقَّقْتَ فَاَنْفُذْ ، وَإِنْ تَفَشَّلتَ فَاْبْعُدْ ! وَأَيُّمُ اللَّهِ
لَتَوْتِيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ، وَلَا تُتْرَكْ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ^(٢)
وَذَائِبِكَ بِجَامِدِكَ ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ^(٣) وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ
كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ . وَمَا هِيَ بِأَلْهُوَيْنِي الَّتِي تَرْجُو^(٤) ، وَلَكِنَّهَا
الْدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرَكَّبُ جَمَلُهَا ، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا ، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا .
فَاعْقِلْ عَقْلَكَ^(٥) وَأَمْلِكْ أَمْرَكَ ، وَخُذْ نَصِيْبَكَ وَحَظَّكَ . فَإِنْ كَرِهْتَ
فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا فِي نَجَاةٍ ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيْنَ وَأَنْتَ نَائِمٌ^(٦)
حَتَّى لَا يُقَالَ : أَيْنَ فُلَانٌ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ ، وَمَا أَبَالِي مَا
صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ . وَالسَّلَامُ .

- = لا اسم لك ولا يسأل عنك ؛ نفعل ذلك بالوجه الحري - أي : الجدير - بنا أن نفعله
- (١) رفع الذيل وشد المئزر : كناية عن التشمير للجهاد ، وكني بجحره عن مقره ، و« أندب » أي ادع من معك . فان حقت - أي : أخذت بالحق والعزيمة - فانفذ ، أي : امض ، إلينا ، وإن تفشلت - أي جبت - فابعد عنا .
- (٢) الخاثر : الغليظ ، والكلام تمثيل لاختلاط الأمر عليه من الحيرة . وأصل المثل « لا يدري أيخثر أم يذيب » قالوا : إن المرأة تسأ السمن فيختلط خاثره برقيقه فتقع في حيرة : إن أوقدت النار حتى يصفوا احترق ، وإن تركته بقي كدراً .
- (٣) القعدة - بالكسر - : هيئة القعود ، وأعجله عن الأمر : حال دون إدراكه أي : يحال بينك وبين جلستك في الولاية ، ويحيط الخوف بك حتى تخشاه من أمام كما تخشاه من خلف .
- (٤) الهوينى : تصغير الهوني - بالضم - مؤنث أهون .
- (٥) قيده بالعزيمة ، ولا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف .
- (٦) « لتكفين » بلام التأكيد ونونه ؛ أي : إنا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم خامل لا اسم لك ولا يسأل عنك ؛ نفعل ذلك بالوجه الحري - أي : الجدير - بنا أن نفعله .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية ، جواباً

أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأَلْفَةِ
وَالْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِرَ أَنَا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ ، وَالْيَوْمَ أَنَا
أَسْتَقِمُّنَا وَفُتِنْتُمْ . وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كُرْهًا^(١) ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ
أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِزْبًا .

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَّدْتُ بَعَائِشَةَ^(٢) ،
وَنَزَلْتُ الْمِصْرَيْنِ ! وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتُ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ ، وَلَا أَلْعُدُّ فِيهِ
إِلَيْكَ .

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَنْقَطَعَتْ
الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ^(٣) ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهِ^(٤) فَإِنِّي إِنْ
أُزِرْتُ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنَّقْمَةِ مِنْكَ ! وَإِنْ

(١) فإن أبا سفيان إنما أسلم قبل فتح مكة بليدة ؛ خوف القتل ، وخشية من جيش النبي
صلى الله عليه وآله وسلم البالغ عشرة آلاف ونيف ، وأنف الإسلام : أشراف العرب
الذين دخلوا فيه قبل الفتح .

(٢) شرد به : سمع الناس بعيوبه ، أو اطرده وفرق أمره ، والمصران : الكوفة والبصرة .

(٣) أخوه : عمرو بن أبي سفيان ، أسرى يوم بدر .

(٤) فاسترفه : فعل أمر ، أي : استرح ولا تستعجل ، ويروى « فاسترقه » بالقاف المثناة -
فإن لم يكن تصحيحاً عن الرواية بالفاء التي أثبتناها كان المعنى فإن كان فيك عجل
فأخفه ولا تظهره .

تَزُرُّنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودٍ^(١)

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ^(٢) وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي
مَقَامٍ وَاحِدٍ. وَإِنَّكَ - وَاللَّهِ - مَا عَلِمْتُ^(٣) أَلَا غَلْفُ الْقَلْبِ ، أَلْمُقَارِبُ
أَلْعَقْلِ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّمًا أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ
سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ^(٤) وَرَعَيْتَ غَيْرَ
سَائِمَتِكَ ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ ، فَمَا أَبْعَدَ
قَوْلِكَ مِنْ فِعْلِكَ !! وَقَرِيبُ مَا أَشْبَهْتَ^(٥) مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ
حَمَلَتْهُمْ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنَّى الْبَاطِلُ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا

(١) الجلمود - بالضم - : الصخر ، والأغوار : جمع غور - بالفتح - وهو الغبار ،
والحاصب : ريح تحمل التراب والحصى .

(٢) جده : عتبة بن ربيعة ؛ وخاله : الوليد بن عتبة ، وأخوه : حنظلة ، قتلهم أمير
المؤمنين يوم بدر . و « اعضضته به » جعلته يعضه ، والباء زائدة .

(٣) « ما » خبر « إن » أي : أنت الذي أعرفه ، و « الأغلف » خبر بعد خبر ، وأغلف
القلب : الذي لا يدرك كان قلبه في غلاف لا تنفذ إليه المعاني ، ومقارب العقل :
ناقصه ضعيفه ، كأنه يكاد يكون عاقلاً وليس به .

(٤) الضالة : ما فقدته من مال ونحوه ، ونشد الضالة : طلبها ليردها ، مثل يضرب
لطالب غير حقه ، والسائمة : الماشية من الحيوان .

(٥) « ما » وما بعدها في معنى المصدر ، أي : شبهك قريب من أعمامك وأخوالك
وصرعوا مصارعهم : سقطوا قتلى في مطارحهم حيث تعلم ، أي : في بدر وحنين
وغيرهما من المواطن .

عَظِيمًا ، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا بِوَقْعِ سَيْوِفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَى^(١) ،
وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى .

وَقَدْ أَكْثَرَتْ فِي قَتْلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ^(٢) ،
ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلُكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا
تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ^(٣) فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ ؛
وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

ومن كتاب له عليه السلام

٦٦٩

إِلَيْهِ أَيْضًا

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمَحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ
الْأُمُورِ^(٤) فَقَدْ سَلَكَتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِأَدْعَائِكَ الْإِبَاطِيلِ ،
وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ^(٥) ، وَيَأْنِثُحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا

(١) الوغى : الحرب ، أي : لم تزل تلك السيوف تلمع في الحروب ما خلت منها ولم
تصحبها الهوبنا ، أي : لم ترفقها المساهلة .

(٢) وهو البيعة .

(٣) من إبقائك والياً في الشام ، وتسليمك قتلة عثمان ، والخدعة - مثلثة الخاء - ما
تصرف به الصبي عن اللبن وطلبه أول فطامه ، وما تصرف به عدوك عن قصدك به
في الحروب ونحوها .

(٤) يقال « لأرينك لمحاً باصراً » أي : أمراً واضحاً ، أي : ظهر الحق فلك أن تنتفع
بوضوحه من مشاهدة الأمور .

(٥) إقحامك : إدخالك في أذهان العامة غرور المين ، أين : الكذب ، وعطف
الأكاذيب للتأكيد .

عَنْكَ^(١) ، وَابْتِزَاكَ لِمَا اخْتَزَنَ دُونَكَ ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ^(٢) ؛ مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ ، وَمُلِيَءٌ بِهِ صَدْرُكَ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ^(٣) . فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسِهَا ، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا^(٤) ، وَأَغْشَتْ الْأَبْصَارَ ظُلُمَتُهَا .

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ^(٥) ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكُمَهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ ، أَصْبَحَتْ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ^(٦) وَالْخَابِطِ فِي الدِّيْمَاسِ ، وَتَرْقُيْتَ

(١) انتحالك : ادعاؤك لنفسك ما هو أرفع من مقامك و« ابتزازك » أي : سلبك أمراً اختزن - أي : منع - دون الوصول إليك ، وذلك أمر الطلب بدم عثمان والاستبداد بولاية الشام ؛ فإنهما من حقوق الإمام لا من حقوق معاوية .

(٢) الذي هو أَلْزَمُ له من لحمه ودمه البيعة بالخلافة لأمر المؤمنين .

(٣) اللبس - بالفتح - : مصدر « لبس عليه الأمر يلبس » كضرب يضرب - أي : خلطه ، وفي التنزيل : ﴿ وَلَلْبِسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ ، واللبسة - بالضم - : الأشكال كاللبس ، بالضم .

(٤) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها فسترته ، وأغدفت الليل : أرخى سدوله - أي : أغطيته - من الظلام . والجلايب : جمع جلباب ، وهو الثوب الأعلى يغطي ما تحته ، أي : طالما أسدلت الفتنة أغطية الباطل فأخفت الحقيقة ، وأغشت الأبصار : أضعفتها ومنعتها النفوذ إلى المراتب الحقيقية .

(٥) أفانين القول : ضروبه وطرائقه ، والسلم : ضد الحرب ، والأساطير : جمع أسطورة ، بمعنى الخرافة لا يعرف لها منشأ ، وحاكه يحوكه : نسجه ، نسج الكلام تأليفه ، والحلم - بالكسر - : العقل .

(٦) الدهاس - كسحاب - : أرض رخوة لا هي تراب ولا رمل ، ولكن منهما ، يعسر فيها السير ، والديماس - بفتح فسكون - : المكان المظلم ، خبط في سيره : لم يهتد .

إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةٍ الْمَرَامِ^(١) نَازِحَةِ الْأَعْلَامِ ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوُقُ^(٢)
وَيُحَادِثُ بِهَا الْعَيُوقُ .

وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْرًا أَوْ وَرْدًا^(٣) أَوْ
أُجْرِي لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا !! فَمِنْ آلَانِ فَتَدَارِكُ
نَفْسَكَ وَتَنْظُرُ لَهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ^(٤)
أُرْتَجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ ، وَمُنِعَتْ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ .
وَالسَّلَامُ^(٥) .

(١) المرقبة - بفتح فسكون - : مكان الارتقاب ، وهو العلو والإشراف ، أي : رفعت
نفسك إلى منزلة بعيد عنك مطلبها ، و«نازحة» أي : بعيدة ، والأعلام : جمع
علم ، وهو ما ينصب ليهتدي به ، أي : خفية المسالك .

(٢) الأنوق - كصبور - : طير أصلع الرأس أصفر المنقار، يقال : أعز من بيض الأنوق ؛
لأنها تحرزه فلا تكاد تظفر به ؛ لأن أوكارها في القلل الصعبة . ولهذا الطائر خصال
عدها صاحب القاموس ، والعيوق - بفتح فضم مشدد - : نجم أحمر مضيء في
طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(٣) الورد - بالكسر - الإشراف على الماء ، والصدر - بالتحريك - : الرجوع بعد
الشراب ، أي : لا يتولاهم في جلب منفعة ولا ركون إلى راحة .

(٤) ينهد : ينهض عباد الله لحربك ، وأرتجت : أغلقت ، وتقول : أرتج الباب
كرتجه ، أي : أغلقه .

(٥) ذلك الأمر هو حقن دمه باظهار الطاعة .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس ، وقد تقدّم ذكره بخلاف هذه الرواية
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَيَقُوتَهُ (١)
وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلُ مَا نِلْتَ
فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ ، وَلَكِنْ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ
إِحْيَاءَ حَقٍّ وَلِيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ ، وَأَسْفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ ،
وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ (١) .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى قثم بن العباس ، وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَقِمِ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ (٢) ،
وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَقِ الْمُسْتَفْتَى ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ ، وَذَاكِرِ
الْعَالِمَ . وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ ، وَلَا حَاجِبٌ
إِلَّا وَجْهُكَ ، وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا ، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ

(١) قد يفرح الإنسان بنيل مقدور له يفوته ، ويحزن لحرمانه ما قدر له الحرمان منه فلا يصيبه ،
فإذا وصل إليك شيء مما كتب لك في علم الله فلا تفرح به إن كان لذة أو شفاء
غيظ ، بل عد ذلك في عداد الحرمان ، وإنما تفرح بما كان إحياء حق وإبطال
باطل ، وعليك الأسف والحزن بما خلفت - أي : تركت - من أعمال الخير ،
والفرح بما قدمت منها لآخرتك .

(٢) أيام الله التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم ، والعصران : الغداة
والعشي ، تغليب .

عَنْ أَبَوَائِكَ فِي أَوَّلِ وَرْدِهَا^(١) لَمْ تُحْمَدَ فِيمَا بَعْدَ عَلَى قَضَائِهَا .

وَأَنْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قَبْلَكَ^(٢) مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلَاتِ ، وَمَا فَضَّلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا .

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ فَالْعَاكِفُ : الْمُقِيمُ بِهِ ، وَالْبَادِي : الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابَّتِهِ^(٣) وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٦٩

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسْهًا قَاتِلٌ سَمُهَا ، فَاعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أُيْقِنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا وَكُنْ آتِسَ مَا تَكُونُ

(١) فلانها - أي : الحاجة - إن ذيدت - أي : دفعت ومنعت ، مبني للمجهول من «ذاده يذوده» إذا طرده ودفعه ، ووردها - بالكسر - : ورودها وعدم الحمد على قضائها بعد الذود لأن حسنة القضاء لا تذكر في جانب سيئة المنع .

(٢) قبلك - بكسر ففتح - أي : عندك ، و«مصيباً» حال . والفاقة : الفقر الشديد . والخلة - بالفتح - : الحاجة .

(٣) محابه - بفتح الميم - : مواضع محبته من الأعمال الصالحة .

بِهَا^(١) أَحَذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُورٍ
أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ^(٢) ! أَوْ إِلَى إِيْنَسٍ أَرَأَيْتَهُ عَنْهُ إِلَى
إِيْحَاشٍ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٧٥

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصَحَهُ ، وَأَجَلَ حَلَالَهُ ، وَحَرَّمَ
حَرَامَهُ ، وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ ، وَاعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا
بَقِيَ مِنْهَا^(٣) فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا ، وَآخِرُهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا ! وَكُلُّهَا
حَائِلٌ مُفَارِقٌ^(٤) وَعَظُمَ اسْمُ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ^(٥) ، وَأَكْثَرُ
ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ^(٦)
وَأَحَذَرَ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ .
وَأَحَذَرَ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ

(١) « أنس » حال من اسم « كن » ، أو من الضمير في « أحذر » . و « أحذر » خبر ،
أي : فليكن أشد حذرًا منها في حال شدة أنسك بها .

(٢) « أشخصته » أي : أذهبته .

(٣) « ما بقي » مفعول « اعتبر » بمعنى قس ، أي : قس الباقي بالماضي .

(٤) « حائل » : أي : زائل .

(٥) لا تحلف به إلا على الحق تعظيمًا له وإجلالًا لعظمته .

(٦) أي : لا تقدم الموت رغبة فيه إلا إذا علمت أن الغاية أشرف من بذل الروح
والمعنى لا تخاطر بنفسك فيما لا يفيد من سفاسف الأمور .

وَأَحْذَرُ كُلِّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنَبَالِ الْقَوْلِ ، وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ ، فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا ، وَأَكْظِمِ الْغَيْظَ وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ . وَأَحْلَمْ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَأَصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ ^(١) تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَلْيَرَّ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمَةً مِنْ نَفْسِهِ ^(٢) وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنَّكَ مَا تَقْدِّمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ ، وَمَا تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لغيرِكَ خَيْرُهُ ، وَأَحْذَرُ صَحَابَةِ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ ^(٣) وَيُنْكِرُ عَمَلُهُ ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ . وَأَسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَحْذَرُ مَنَازِلِ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْينِكَ ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ ^(٤) ، وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ ^(٥) ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ ، وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمٍ

(١) أي : عندما تكون لك السلطة .

(٢) تقدمه - كتجربة - : مصدر قدم - بالتشديد - أي : بدلاً وإنفاقاً .

(٣) « فال الرأي يفيل » أي : ضعف .

(٤) المعارض : جمع معارض - كمحارب - وهو سهم بلا ريش رقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حده ، والأسواق كذلك ؛ لكثرة ما يمر على النظر فيها من مثيرات اللذات والشهوات .

(٥) أي : إلى من دونك ممن فضلك الله عليه .

جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(١) أَوْ فِي أَمْرٍ تُعَذِّرُ بِهِ ، وَأَطِعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا ، وَخَادِعُ نَفْسِكَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا ، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا ^(٢) إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهِدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ^(٣) ، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ ، وَوَقِّرِ اللَّهَ وَأَحْبِبْ أَجْبَاءَهُ ، وَاحْذِرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ ؛ وَالسَّلَامُ ^(٤) .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى سهل بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على المدينة
في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَبْلَكَ ^(٥) يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ

(١) « فاصلاً » أي : خارجاً ذاهباً .

(٢) « خذ عفوها » أي : وقت فراغها وارتياحها إلى الطاعة . وأصله العفو بمعنى ما لا أثر فيه لأحد يملك ، عبر به عن الوقت الذي لا شاغل للنفس فيه .

(٣) « آبق » أي : هارب منه متحول عنه إلى طلب الدنيا .

(٤) إن الغضب يوجب الاضطراب في ميزان العقل ، ويدفع النفس للانتقام أيأ كان طريقه ، وهذا أكبر عون للمضلل على إضلاله .

(٥) قبلك - بكسر ففتح - أي : عندك ، ويتسللون : يذهبون واحد بعد واحد .

مَدَدِهِمْ ، فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًا^(١) فِرَارُهُمْ مِنْ آلِهَدَى
وَالْحَقِّ ، وَإِضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ^(٢) ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا
مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا^(٣) ، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ
وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ ، فَهَرَبُوا
إِلَى الْأَثَرَةِ^(٤) ، فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُحْقًا !

إِنَّهُمْ - وَاللَّهِ - لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلِ ،
وَإِنَّا لَنَنْطَمِعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذِلَّ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ ، وَيُسَهِّلَ لَنَا
حَزَنَهُ^(٥) إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

٧٢

إلى المنذر بن الجارود العبدي ،
وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَيْكَ مَا غَرَّنِي مِنْكَ ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ

(١) غيًّا : ضلالاً ، وفرارهم كاف في الدلالة على ضلالهم ، والضالون مرض شديد في
بنية الجماعة ربما يسري ضرره فيفسدها : ففرارهم كاف في شفاها من مرضها
ورئيس الجماعة كأنه كلها. لهذا نسب الشفاء إليه .

(٢) الإيضاع : الإسراع .

(٣) مهطعون : مسرعون .

(٤) الأثرة - بالتحريك - : اختصاص النفس بالمنفعة وتفضيلها على غيرها بالفائدة ،
والسحق - بضم السين - : البعد أيضاً .

(٥) حزنه - بفتح فسكون - أي : خشنه .

تَتَّبِعْ هَدْيَهُ ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ^(١) ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ^(٢) لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ أَنْقِيَاداً ، وَلَا تُبْقِي لِأَخْرَجِكَ عَتَاداً^(٣) ، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ أَخْرَجِكَ ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ ، وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ^(٤) ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يَنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ^(٥) فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الرضوي : وَالْمُنْذِرُ هَذَا هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّهُ لَنَنْظَرُ فِي عِطْفِيهِ ، مُخْتَالٌ فِي بُرْدِيهِ^(٦) » تَفَالٌ فِي شِرَاكِيهِ .

(١) الهدى - بفتح فسكون - : الطريقة والسيرة .

(٢) رقي إلى : رفع وأنهى إلى .

(٣) العتاد - بالفتح - : الذخيرة المعدودة لوقت الحاجة .

(٤) الجميل يضرب به المثل في الذلة والجهل ، والشسع - بالكسر - : سير بين الأصابع الوسطى والتي تليها في النعل العربي ، كأنه زمام ويسمى قبلاً - ككتاب .

(٥) أي على دفع خيانة ، ويروى « على جباية » وهي تحصيل أموال الخراج ونحوه ، عمل من أعمال الدولة ، ولعل هذه الرواية أظهر معنى .

(٦) العطف - بالكسر - : الجانب ، أي : كثير النظر في جانبيه عجباً وخيلاء والبردان : تشبة برد - بضم الباء - وهو ثوب مخطط والمختال : المعجب ، والشراكان : تشبة شراك - ككتاب - وهو سير النعل كله ، وتفال : كثير التفل ، أي : النفخ فيهما لينفضهما من التراب .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبدالله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ ، وَلَا مَرَزُوقٍ مَا لَيْسَ
لَكَ ، وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الدُّهْرَ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ
عَلَيْكَ . وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ (١) ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى
ضَعْفِكَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ .

ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ (٢) ، وَالْإِسْتِمَاعِ إِلَيَّ
كِتَابِكَ لَمَْوْهَنْ رَأْيِي ، وَمُخْطِئٍ فِرَاسَتِي ، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي
الْأُمُورَ (٣) وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَقِيلِ النَّائِمِ تَكْذِيبُهُ أَحْلَامُهُ ،

(١) جمع دولة - بالضم - : ما يتداول من السعادة في الدنيا ينتقل من يد إلى يد .

(٢) من قولك « ترددت إلى فلان » أي : رجعت إليه مرة بعد أخرى ، أي : إني في ارتكابي للرجوع إلى مجاوبتك واستماع ما تكتبه موهن - أي : مضعف - رأبي ، ومخطيء فراستي - أي صدق : ظني ، وكان الأجدر بي السكوت عن إجابتك .

(٣) حاول الأمر : طلبه ورامه ، أي : تطلبني ببعض غاياتك كولاية الشام ونحوها ، وتراجعني - أي تطلب مني أن أرجع - إلى جوابك بالسطور . يقول : أنت في محاولتك كالنائم الثقيل نومه : يحلم أنه نال شيئاً ، فإذا انتبه وجد الرؤيا كذبت ، =

وَالْمُتَحِيرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ ؛ لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ ،
وَلَسْتُ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهُ ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ
الْإِسْتِيقَاءِ^(١) لَوْصَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ قَوَارِعُ : تَقَرُّعُ الْعَظْمِ ، وَتَهْلُسُ
اللَّحْمُ ! وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ
أُمُورِكَ^(٢) ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ ، [وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ] .

ومن حلف له عليه السلام

٧٥

كتبه بين ربيعة واليمن ، ونقل من خط هشام بن الكلبي

هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ، وَرَبِيعَةُ
حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا^(٣) أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ : يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ
بِهِ ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ ، لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ

= أي : عليه ، فأمانيك فيما تطلب شبيهة بالأحلام ، إن هي إلا خيالات باطلة ، وأنت
أيضاً كالمتحير في أمره القائم في شكه لا يخطو إلى قصده . « يبهظه » أي : يثقله
ويشق عليه مقامه من الحيرة ، وإنك لست بالمتحير لمعرفة الحق معنا ولكن
المتحير شبيه بك ، فأنت أشد منه عناء وتعباً .

(١) الاستيقاء : الابقاء ، أي : لولا إبقائي لك وعدم إرادتي لإهلاكك لأوصلت إليك
قوارع - أي : دواهي - تقرع العظم ، أي : تصدمه فتكسره ، و« تهلس اللحم »
أي : تذيبه وتنهكه .

(٢) « ثبطك » أي : أقعدك عن مراجعة أحسن الأمور لك ، وهو الطاعة لنا ، وعن أن
تأذن - أي : تسمع - لمقالنا في نصيحتك .

(٣) الحاضر : ساكن المدينة ، والبادي : المتردد في البادية .

بَدَلًا ، وَأَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ ، أَنَصَارُ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : دَعَوْتُهُمْ وَاحِدَةً ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمُعْتَبَةٍ
عَاتِبٍ ، وَلَا لِعُضْبٍ غَاضِبٍ^(١) ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْمًا ، وَلَا
لِمَسَبَةِ قَوْمٍ قَوْمًا ! عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ ، وَسَفِيهِهِمْ
وَعَالِمُهُمْ ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ
وَمِيثَاقَهُ ؛ ﴿ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ وكتب : علي بن أبي طالب .

ومن كتاب له عليه السلام

٧٦

إلى معاوية في أول ما بويع له
ذكره الواقدي في كتاب الجمل

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ ، حَتَّى
كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ ،
وَقَدْ أَذْبَرَ مَا أَذْبَرَ ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ ، فَبَايَعُ مَنْ قَبْلَكَ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فِي
وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ .

(١) المعتبة - كالمصطبة - : الغيظ، والمعاتب : المغتاط ، أي : لا يعودون للقتال عند
غضب بعضهم من بعض ، أو استذلال بعضهم لبعض ، أو سب بعضهم لبعض ،
وعلى المعتدي أن يؤدي الحق للمظلوم بلا قتال .

ومن وصية له عليه السلام

٧٧

لعبدالله بن العباس ، عند استخلافه إياه على البصرة
سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ
فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ
النَّارِ ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ .

ومن وصية له عليه السلام

٧٨

لعبدالله بن العباس ، لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج
لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حِمَالٌ ^(١) ذُو وُجُوهِ تَقُولُ
وَيَقُولُونَ ؛ وَلَكِنْ حَاجَجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً ^(٢) .

ومن كتاب له عليه السلام

٧٩

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين
ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ ^(٣) ، فَمَالُوا

(١) « حمال » أي : يحمل معاني كثيرة إن أخذت بأحدها احتج الخصم بالآخر.

(٢) « محيصاً » أي : مهرباً.

(٣) أي : إن كثيراً من الناس قد انقلبوا عن حظوظهم الحقيقية ، وهي حظوظ السعادة
الأبدية بنصرة الحق .

مَعَ الدُّنْيَا ، وَنَطَقُوا بِالْهَوَى ، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْزِلًا مُعْجِبًا^(١) أَجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحًا أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقًا^(٢) وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَاعْلَمْ - أَحْرَصَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْفَتْهَا مِنِّي^(٣) أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَكَرَمَ الْمَاَبِ . وَسَافِي بِالذِّي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنْ تَغَيَّرَتْ عَنْ صَالِحٍ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجَرِبَةِ ، وَإِنِّي لِأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ . وَأَنْ أَفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ ؛ فَدَعُ مَا لَا تَعْرِفُ ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ ، وَالسَّلَامُ .

ومن كتاب له عليه السلام

لما استخلف ، إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ ، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ .

(١) أي : موجباً للتعجب ، والأمر هو الخلافة ، ومنزله من الخلافة بيعة الناس له ثم خروج طائفة منهم عليه .

(٢) القرع : مجاز عن فساد بواطنهم ، والعلق - بالتحريك - : الدم الغليظ الجامد ، ومتى صار في الجرح الدم الغليظ الجامد صعبت مداواته وضرب فساده في البدن كله .

(٣) « أحرص » خبر « ليس » وجملة « فاعلم » معترضة .

الباب الثالث

المختار من حكم وغريب كلام أمير المؤمنين
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام

ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله
والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه

١ - قال عليه السلام : كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَأَبْنِ اللَّبُونِ^(١) لَا ظَهْرٌ
فِيْرَكَبَ ، وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ .

٢ - وقال عليه السلام : أُرْزَى بِنَفْسِهِ مَنْ أَسْتَشَعَرَ
الطَّمَعَ^(٢) ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ
مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ .

٣ - وقال عليه السلام : أَلْبُخْلُ عَارٌ ، وَالْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ ،
وَالْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ ، وَالْمَقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلَدَتِهِ^(٣) ،
وَالْعَجْزُ آفَةٌ ، وَالصَّبْرُ شَجَاعَةٌ ، وَالزُّهْدُ ثَرَوَةٌ ، وَالْوَرَعُ جُنَّةٌ .

٤ - وقال عليه السلام : نِعَمَ الْقَرِينُ الرِّضَا ، وَالْعِلْمُ وَرَاثَةُ
كَرِيمَةٍ ، وَالْآدَابُ حُلٌّ مُجَدَّدَةٌ ، وَالْفِكْرُ مِرَاةٌ صَافِيَةٌ .

(١) ابن اللبون - بفتح اللام وضم الباء: ابن الناقة إذا استكمل سنتين ، لا له ظهر قوي .

فيركبونه ، ولا له ضرع فيحلبونه ، يريد تجنب الظالمين في الفتنة لا ينتفعوا بك .

(٢) أرزى بها: حقرها ، واستشعره : تبطنه وتخلق به ، ومن كشف ضره للناس ودعاهم
للتهاون به فقد رضي بالذل . وأمر لسانه : جعله أميراً .

(٣) المقل - بضم فكسر وتشديد اللام - : الفقير ، والجنة - بالضم - الوقاية .

٥ - وقال عليه السلام : صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ^(١) ،
وَالْبَشَاشَةُ حُبَالَةُ الْمَوَدَّةِ ، وَالْإِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ أَوْ : وَالْمُسَالَمَةُ
خِبَاءُ الْعُيُوبِ . وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخِيطُ عَلَيْهِ .

٦ - وقال عليه السلام : الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ
فِي عَاجِلِهِمْ نَصَبٌ أَعْيُنُهُمْ فِي آجِلِهِمْ .

٧ - وقال عليه السلام : أَعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ ،
وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ^(٢) ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خُرْمٍ !

٨ - وقال عليه السلام : إِذَا أَقْبَلْتَ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ
مَحَاسِنَ غَيْرِهِ وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ .

٩ - وقال عليه السلام : خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتَّمَّ مَعَهَا
بَكُوا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُوا إِلَيْكُمْ .

١٠ - وقال عليه السلام : إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ
الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

١١ - وقال عليه السلام : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ

(١) لا يفتح الصندوق فيطلع الغير على ما فيه ، والحباله - بكسر الحاء كتابة - : شبكة
الصيد ، ومثله الأحبول والأحبولة - بضم الهمزة فيهما - وتقول : حبلى الصيد واحتبله
إذا أخذه بها ، والبشوش يصيد مودات القلوب ، والاحتمال : تحمل الأذى خفيت
عيوبه كأنها دفنت في قبر.

(٢) الشحم : شحم الحذقة . واللحم : اللسان . والعظم : عظام في الأذن يضربها
الهواء فتقرع عصب الصماخ فيكون السماع .

اَكْتَسَابِ الْاِخْوَانِ وَاَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ .

١٢ - وقال عليه السلام : إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النَّعْمِ
فَلَا تُنْفَرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ .

١٣ - وقال عليه السلام : مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ
الْأَبْعَدُ .

١٤ - وقال عليه السلام : مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ .

١٥ - وقال عليه السلام : تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ
الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ .

١٦ - وسئل عليه السلام عن قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ « غَيْرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ » فقال عليه السلام :
إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ وَالَّذِينَ قُلُّ ؛ فَأَمَّا الْآنَ
وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ ، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَأَمُرُّ وَمَا آخَتَارُ .

١٧ - وقال عليه السلام فِي الَّذِينَ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ مَعَهُ :
خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ .

١٨ - وقال عليه السلام : مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَشَرَ
بِأَجَلِهِ (١) .

(١) أي : من كان جريه إلى سعادته بعنان الأمل يمضي نفسه بلوغ مطلبه بلا عمل سقط
في أجله بالموت قبل أن يبلغ شيئاً مما يريد . والعنان - ككتاب : - سير اللجام
تمسك به الدابة .

١٩ - وقال عليه السلام : أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ^(١) ، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُ اللَّهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ .

٢٠ - وقال عليه السلام : قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ^(٢) ، وَالْحَيَاءُ بِالْجِرْمَانِ ، وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرْصَ الْخَيْرِ .

٢١ - وقال عليه السلام : لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السَّرَى .

قَالَ الرُّضِيُّ : وَهَذَا مِنْ لَطِيفِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ ، وَمَعْنَاهُ أَنَا إِنْ لَمْ نَعْطَ حَقَّنَا كُنَّا أَذِلَّةً^(٣) وَذَلِكَ أَنَّ الرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجْزَ الْبَعِيرِ كَالْعَبْدِ وَالْأَسِيرِ وَمَنْ يَجْرِي جَرَاهُمَا .

٢٢ - وقال عليه السلام : مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .

٢٣ - وقال عليه السلام : مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ .

٢٤ - وقال عليه السلام : يَا أَبْنَ آدَمَ ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ

(١) العثرة السقطة ، وأقاله عثرته : رفعه من سقطته . والمروءة - بضم الميم - : صفة للنفس تحملها على فعل الخير لأنه خير . وقوله « يرفعه » جملة حالية من لفظ الجلالة ، وإن كان مضافاً إليه لوجود شرطه .

(٢) أي : من تهيب أمراً خاب من إدراكه ، ومن أفرط به الخجل من طلب شيء حرم منه ، والإفراط في الحياء مذموم كطرح الحياء ، والمحمود الوسط .

(٣) وقد يكون المعنى إن لم نعط حقنا تحملنا المشقة في طلبه وإن طالت الشقة . وركوب مؤخرات الإبل مما يشق احتماله والصبر عليه .

سُبْحَانَهُ يَتَابَعُ عَلَيْكَ نِعَمُهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاخْذِرْهُ .

٢٥ - وقال عليه السلام : مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ .

٢٦ - وقال عليه السلام : إِمْسِرْ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ^(١) .

٢٧ - وقال عليه السلام : أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ .

٢٨ - وقال عليه السلام : إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ^(٢) فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى .

٢٩ - وقال عليه السلام : الْحَذَرُ الْحَذَرُ ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ^(٣) .

٣٠ - وَسُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ : الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ : عَلَى الصَّبْرِ ، وَالْيَقِينِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالْجِهَادِ . وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى الشَّوْقِ ، وَالشَّفَقِ^(٤) ، وَالزُّهْدِ وَالتَّرْقُبِ : فَمَنْ أَشْتَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ ، وَمَنْ ارْتَقَبَ

(١) أي : ما دام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل في شؤونك فاعمل ؛ فإن أعياك فاسترح له .

(٢) يطلبك الموت من خلفك ليلحقك وأنت مدبر إليه تقرب عليه المسافة .

(٣) الضمير لله ستر مخازي عباده حتى ظن أنه غفرها لهم ويوشك أن يأخذهم بمكره .

(٤) الشفق - بالتحريك - : الخوف .

الْمَوْتُ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ . وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ :
 عَلَى تَبَصُّرِ الْفِطْنَةِ ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ ^(١) ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبَرَةِ ، وَسُنَّةِ
 الْأَوَّلِينَ : فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ
 الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبَرَةَ ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبَرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِينَ .
 وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى غَايَصِ الْفَهْمِ ، وَغُورِ
 الْعِلْمِ وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ ^(٢) وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ : فَمَنْ فَهَمَ عِلْمَ غُورِ
 الْعِلْمِ ، وَمَنْ عِلْمَ غُورِ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ ^(٣) ، وَمَنْ
 حَلَمَ لَمْ يَفْرِطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً . وَالْجِهَادُ مِنْهَا
 عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
 وَالصُّدُقِ فِي الْمَوَاطِنِ ^(٤) ، وَشَتَّانِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ
 ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْفُوفَ الْمُنَافِقِينَ ،
 وَمَنْ صَدَّقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ شَتَّى الْفَاسِقِينَ
 وَغَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٣١ - وقال عليه السلام : الْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ : عَلَى

(١) تأول الحكمة : الوصول إلى دقائقها ، والعبرة : الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأولين ،
وما رزقوا به عند الغفلة ، وما حظوا به عند الانتباه .

(٢) غور العلم : سره وباطنه ، وزهرة الحكم - بضم الزاي - أي : حسنه .

(٣) الشرائع : جمع شريعة ، وهي الظاهر المستقيم من المذاهب ، ومورد الشارعية ،
« صدر عنها » أي : رجع عنها بعدما اغترف ليفيض على الناس مما اغترف
فيحسن حكمه .

(٤) مواطن القتال في سبيل الحق . والشَتَّان - بالتحريك - : البغض .

التَّعَمَّقِ ، وَالتَّنَازُعِ ، وَالزَّرِيعِ ^(١) : فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَى
 الْحَقِّ ^(٢) ، وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَمَنْ زَاغَ
 سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ ، وَسَكِرَ سُكْرَ
 الضَّلَالَةِ ؛ وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ ، وَأَعْضَلَ أَمْرُهُ ^(٣) ،
 وَضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ . وَالشُّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى التَّمَارِي
 وَالْهَوْلِ ، وَالتَّرَدُّدِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ : فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَنًا لَمْ
 يُصْبِحْ لَيْلُهُ ، وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ ، وَمَنْ تَرَدَّدَ
 فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ ، وَمَنْ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا .

قَالَ الرُّضِي : وَيَعْدَ هَذَا كَلَامٌ تَرَكْنَا ذِكْرَهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ
 وَالْخُرُوجِ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ فِي هَذَا الْكِتَابِ .

٣٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ؛ وَفَاعِلُ
 الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ .

٣٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كُنْ سَمَحًا وَلَا تَكُنْ مُبَذِّرًا ، وَكُنْ
 مُقَدِّرًا وَلَا تَكُنْ مُقْتَرًا .

(١) التعمق : الذهاب خلف الأوهام على زعم طلب الأسرار ، والزريع : الحيدان عن
 مذاهب الحق والميل مع الهوى الحيواني ، والشقاق : العناد .

(٢) « لم ينب » أي : لم يرجع ، أناب ينب : رجع .

(٣) وعر الطريق - ككرم ، ووعد وولع - : خشن ولم يسهل السير فيه ، وأعضل : اشتد
 وأعجزت صعوبته .

٣٤ - وقال عليه السلام : أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى .

٣٥ - وقال عليه السلام : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ
قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ .

٣٦ - وقال عليه السلام : مَنْ أَطَالَ آلاَمُلُ أَسَاءَ الْعَمَلِ (١) .

٣٧ - قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينُ (٢)
الْأَنْبَارِ ، فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَاشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي
صَنَعْتُمُوهُ ؟ فَقَالُوا : خُلِقْنَا نُعْظُمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يَنْتَفِعُ
بِهَذَا أُمَرَاؤُكُمْ ، وَإِنَّكُمْ لَتَشْقُونَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ (٣) ،
وَتَشْقُونَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ ، وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ ، وَأَرْبَحَ
الدَّعَاةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ .

٣٨ - وقال عليه السلام لابنه الحسن :

يَا بُنَيَّ ؛ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا ؛ وَأَرْبَعًا ، لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ
مَعَهُنَّ : إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ ، وَأَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمُقُ ، وَأَوْحَشُ

(١) طول الأمل : الثقة بحصول الأمانى بدون عمل لها ، أو استطالة العمر والتسويق
بأعمال الخير .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم الفلاحين في العجم والأنبار من بلاد العراق ،
و« ترجلوا » أي : نزلوا عن خيولهم مشاة ، واشتدوا : أسرعوا .

(٣) تشقون - بضم الشين ، وتشديد القاف - : من المشقة ، وتشقون الثانية بسكون
الشين من الشقاوة والدعة - بفتحات - : الراحة .

الْوَحْشَةَ الْعُجْبُ^(١) ، وَأَكْرَمُ الْحَسْبِ حُسْنُ الْخُلُقِ .

يَا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ
فَيُضُرُّكَ ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَبْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ
إِلَيْهِ^(٢) ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ^(٣) ، وَإِيَّاكَ
وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ : يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ ، وَيُبْعِدُ
عَلَيْكَ الْقَرِيبَ .

٣٩ - وقال عليه السلام : لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضُرَّتْ
بِالْفَرَائِضِ^(٤) .

٤٠ - وقال عليه السلام : لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ
الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ .

قَالَ الرُّضِي : وَهَذَا مِنَ الْمَعَانِي الْعَجِيبَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ
أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يُطْلَقُ لِسَانُهُ إِلَّا بَعْدَ مُشَاوَرَةِ الرَّوِيَّةِ وَمُؤَامَرَةِ الْفِكْرَةِ ،
وَالْأَحْمَقُ تَسْبِقُ حَذَفَاتُ لِسَانِهِ وَفَلَتَاتُ كَلَامِهِ مُرَاجَعَةً فِكْرِهِ^(٥)

(١) العجب - بضم فسكون - ومن أعجب بنفسه مقتله الناس فلا يوجد له أنيس فهو في
وحشة دائماً .

(٢) أحوج : حال من الكاف في عنك ، ويروى « يقعد عنك أحوج - الخ » .

(٣) التافه القليل .

(٤) كمن ينقطع للصلاة والذكر ويفر من الجهاد .

(٥) « مراجعة » وما بعده مفعول « تسبق » ، و « حذفات » فاعله . ومما خضة الرأي
تحريكه حتى يظهر زبده ، وهو الصواب .

وَمَمَّا خَصَّةَ رَأْيِهِ ، فَكَأَنَّ لِسَانَ الْعَاقِلِ تَابِعٌ لِقَلْبِهِ ، وَكَأَنَّ قَلْبَ الْأَحْمَقِ تَابِعٌ لِللِّسَانِ .

٤١ - وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْمَعْنَى بِلَفْظٍ آخَرَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : - قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فِيهِ ، وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ .

٤٢ - وَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي عِلَّةٍ أَعْتَلَّهَا : جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شُكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ ، وَلَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ وَيُحْتِثُّهَا حَتَّى الْأُورَاقِ (١) . وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ ، وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ .

قَالَ الرُّضِي : وَأَقُولُ صَدَقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ مَا يُسْتَحَقُّ عَلَيْهِ الْعَوَضُ (٢) لِأَنَّ الْعَوَضَ يُسْتَحَقُّ عَلَى مَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَبْدِ مِنَ الْآلَامِ وَالْأَمْرَاضِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ ، وَالْأَجْرُ وَالْثَوَابُ يُسْتَحَقَّانِ عَلَى

(١) حَتَّى السُّورِقِ عَنْ الشَّجَرَةِ : قَشَرَ . وَالصَّبْرُ عَلَى الْعِلَّةِ رَجُوعٌ إِلَى اللَّهِ وَاسْتِسْلَامٌ لِقُدْرِهِ ، وَفِي ذَلِكَ خُرُوجٌ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ السَّيِّئَاتِ وَتَوْبَةٌ مِنْهَا ، لِهَذَا كَانَ يَحْتَثُّ الذُّنُوبَ أَمَّا الْأَجْرُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى عَمَلٍ بَعْدَ التَّوْبَةِ .

(٢) الضَّمِيرُ فِي «لِأَنَّهُ» لِلْمَرَضِ ، أَيْ : إِنْ الْمَرَضُ لَيْسَ مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ لِلَّهِ حَتَّى يُؤْجَرَ عَلَيْهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ بِالْعَبْدِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ اللَّهَ يَعْوِضَهُ عَنْ آلَمِهَا . وَالَّذِي قُلْنَا فِي الْمَعْنَى أَظْهَرَ مِنْ كَلَامِ الرُّضِيِّ .

مَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ فِعْلِ الْعَبْدِ ، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ قَدْ بَيَّنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ الثَّاقِبُ وَرَأْيُهُ الصَّائِبُ .

٤٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ : يَرْحَمُ اللَّهُ خَبَابَ بْنَ الْأَرْتِ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا .

٤٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ .

٤٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي ، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَاَنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « يَا عَلِيُّ ؛ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ » .

٤٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ .

٤٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ ؛ وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنْفَتِهِ ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ .

٤٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ ؛ وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ .

٤٩ - وقال عليه السلام : احذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ،
وَاللَّيْمِ إِذَا شَبَعَ .

٥٠ - وقال عليه السلام : قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحِشِيَّةٌ ، فَمَنْ
تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ .

٥١ - وقال عليه السلام : عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ .

٥٢ - وقال عليه السلام : أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى
الْعُقُوبَةِ .

٥٣ - وقال عليه السلام : السَّخَاءُ مَا كَانَ آيْتِدَاءً ؛ فَأَمَّا مَا
كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ^(١) .

٥٤ - وقال عليه السلام : لَا غِنَى كَالْعَقْلِ ، وَلَا فَقْرَ
كَالْجَهْلِ ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ ، وَلَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ .

٥٥ - وقال عليه السلام : الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عَلَى مَا
تَكْرَهُ ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ .

٥٦ - وقال عليه السلام : الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطْنٌ ، وَالْفَقْرُ
فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ .

٥٧ - وقال عليه السلام : أَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .

(١) التذمم : الفرار من الذم ، كالتأثم والتحرج .

قال الرضي : وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْكَلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ .

٥٨ - وقال عليه السلام : أَلَمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ .

٥٩ - وقال عليه السلام : مَنْ حَذَرَكَ كَمَنْ بَشَرَكَ .

٦٠ - وقال عليه السلام : أَلَلْسَانُ سَبْعُ إِنْ خُلِيَ عَنْهُ عَقَرٌ .

٦١ - وقال عليه السلام : أَلْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلُوةُ اللَّبْسَةِ (١) .

٦٢ - وقال عليه السلام : إِذَا حُيِّتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيٍّ بِأَحْسَنِ
مِنْهَا ، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرِي عَلَيْهَا ، وَالْفَضْلُ مَعَ
ذَلِكَ لِلْبَادِي .

٦٣ - وقال عليه السلام : أَلشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ .

٦٤ - وقال عليه السلام : أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكَبٍ يُسَارُّ بِهِمْ وَهُمْ
نِيَامٌ .

٦٥ - وقال عليه السلام : فَقَدْ أَلْأَجَبَةُ غُرْبَةٌ .

٦٦ - وقال عليه السلام : فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى
غَيْرِ أَهْلِهَا .

(١) اللبسة - بالكسر - : حالة من حالات اللبس - بالضم - يقال : لبست فلانة ، أي :
عاشت زماً طويلاً ، والعقرب لا تحل لبستها ، أما المرأة فهي الإيذاء ،
لكنها حلوة اللبسة .

٦٧ - وقال عليه السلام : لَا تَسْتَحِ مِنْ إعْطَاءِ الْقَلِيلِ ؛ فَإِنَّ
الْحَرَمَانَ أَقْلُ مِنْهُ .

٦٨ - وقال عليه السلام : أَلْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ
الْغِنَى .

٦٩ - وقال عليه السلام : إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلِّ مَا
كُنْتَ (١) .

٧٠ - وقال عليه السلام : لَا تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ
مُفْرِطاً .

٧١ - وقال عليه السلام : إِذَا تَمَّ أَلْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ .

٧٢ - وقال عليه السلام : أَلَدَّهْرٌ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ ، وَيُجَدِّدُ
الْأَمَالَ ، وَيُقَرِّبُ أَلْمَنِيَّةَ ، وَيُبَاعِدُ أَلْأَمْنِيَّةَ : مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصَبٌ ، وَمَنْ
فَاتَهُ تَعَبٌ .

٧٣ - وقال عليه السلام : مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً
فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ ، وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ
تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ

(١) إذا كان لك مرام لم تنله فاذهب في طلبه كل مذهب ، ولا تبال إن حقروك أو
عظموك ، فإن محط السير الغاية وما دونها فداء لها ، وقد يكون المعنى إذا عجزت
عن مرادك فارض بأي حال ، على رأي القائل :-

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ .

٧٤ - وقال عليه السلام : نَفْسُ الْمَرْءِ خُطَاؤهُ إِلَى أَجَلِهِ .

٧٥ - وقال عليه السلام : كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ

آتٍ .

٧٦ - وقال عليه السلام : إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَشْتَبَهَتْ آخِثَرُ

آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا .

٧٧ - وَمِنْ خَبَرِ ضِرَارِ بْنِ ضَمْرَةَ الضُّبَابِيِّ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى

مُعَاوِيَةَ وَمَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَ : فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي

بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضٌ

عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، وَيَقُولُ :

يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا ، إِلَيْكَ عَنِّي ، أَبِي تَعَرَّضْتَ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتَ؟

لَا حَانَ حِينُكَ هَيْهَاتَ ! غُرِّي غَيْرِي ، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ ، قَدْ

طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا ! فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكَ يَسِيرٌ ،

وَأَمْلُكَ حَقِيرٌ . آه مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَطُولِ الطَّرِيقِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ،

وَعَظِيمِ الْمَوَرِدِ^(١) .

٧٨ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْسَّائِلِ الشَّامِيِّ لَمَّا سَأَلَهُ :

أَكَانَ مَسِيرُنَا إِلَى الشَّامِ بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدِيرٍ؟ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ هَذَا

مُخْتَارُهُ :

(١) المورد : موقف الورد على الله في الحساب .

وَيَحْك ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لَازِمًا ، وَقَدَرًا حَاتِمًا ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ^(١) إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا ، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا ، وَكَلَّفَ يَسِيرًا ، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا ، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا ، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا ، وَلَمْ يُطْعَ مُكْرَهًا ، وَلَمْ يُرْسَلِ إِلَّا نَبِيَاءَ لَعِبَاءَ ، وَلَمْ يُنْزَلِ إِلَّا كُتُبٌ لِلْعِبَادِ عِبَشًا ، وَلَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا وَ ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَويلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ .

٧٩ - وقال عليه السلام : خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلْجُلُجُ فِي صَدْرِهِ^(٢) حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ .

٨٠ - وقال عليه السلام : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ .

٨١ - وقال عليه السلام : قِيمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُهُ .

قال الرضي : وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي لَا تُصَابُ لَهَا قِيمَةٌ ، وَلَا

(١) القضاء : علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها . والقدر : إيجادها لها عند وجود أسبابها ، ولا شيء منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله ؛ فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر ولا يجد شخص إلا أن اختياره دافعه إلى ما يعمل ، والله يعلمه فاعلاً باختياره : إما شقيماً به ، وإميراً سعيداً . والدليل ما ذكره الإمام .

(٢) « تلجلج » أي : تتحرك .

تُوزَنُ بِهَا حِكْمَةٌ ، وَلَا تُقَرَّنُ بِهَا كَلِمَةٌ .

٨٢ - وقال عليه السلام : أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا
أَبَاطَ الْإِبِلِ ^(١) لَكَانَتْ لِدَلِكْ أَهْلًا : لَا يَرْجُونَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ ،
وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحِينَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا
يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ ، وَلَا يَسْتَحِينَ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ
يَتَعَلَّمَهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ
الْجَسَدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ ، وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ
مَعَهُ .

٨٣ - وقال عليه السلام لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي الشَّأْنِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
لَهُ مُتَهِمًا : أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ .

٨٤ - وقال عليه السَّلام : بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَدًا وَأَكْثَرُ
وَلَدًا .

٨٥ - وقال عليه السلام : مَنْ تَرَكَ قَوْلَ « لَا أَذْرِي » أَصِيبَتْ
مَقَاتِلُهُ .

٨٦ - وقال عليه السلام : رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلْدِ
الْغُلَامِ .

وَرُوي « مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ » .

(١) الأباط : جمع إبط ، وضرب الأباط : كناية عن شد الرحال وحث السير .

٨٧ - وقال عليه السلام : عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ
الِاسْتِغْفَارُ .

٨٨ - وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما
السلام أنه قال :

كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا
فَدُونَكُمْ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ : أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَلِاسْتِغْفَارٍ ؛ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ
وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

قال الرضي : وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْتِخْرَاجِ وَلَطَائِفِ
الِاسْتِنبَاطِ .

٨٩ - وقال عليه السلام : مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ
أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ؛ وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ
لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ
حَافِظٌ .

٩٠ - وقال عليه السلام : أَلْفَقِيهِ كُلُّ أَلْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يَقْنَطِ
النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ
مِنْ مَكْرِ اللَّهِ .

٩١ - وقال عليه السلام : إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ

الْأَبْدَانُ ؛ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ .

٩٢ - أَوْضَعُ الْعِلْمَ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ ؛ وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ .

٩٣ - وقال عليه السلام : لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ « اَللّٰهُمَّ إِنِّيْ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ اَلْفِتْنَةِ » لِاَنَّهُ لَيْسَ اَحَدٌ اِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ ، وَلَكِنْ مَنْ اَسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ؛ فَاِنَّ اَللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ وَاعْلَمُوْا اِنَّمَا اَمْوَالُكُمْ وَاَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ وَمَعْنَى ذَلِكَ اَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ ، وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ ، وَاِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ اَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ اَنْفُسِهِمْ ، وَلَكِنْ لِيَتَّظَهَرَ الْاَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ؛ لِاَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْاِنَاثَ ، وَبَعْضُهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ اَلْمَالِ وَيَكْرَهُ اَنْثِلَامَ الْحَالِ .

قال الرضي : وَهَذَا مِنْ غَرِيبٍ مَا سَمِعَ مِنْهُ فِي التَّفْسِيرِ .

٩٤ - وَسُئِلَ عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : لَيْسَ الْخَيْرُ اَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ وَلَكِنَّ الْخَيْرَ اَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَاَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَاَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ ؛ فَاِنْ اَحْسَنْتَ حَمِدَتَ اَللّٰهَ ، وَاِنْ اَسَاأتَ اَسْتَغْفَرْتَ اَللّٰهَ ، وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا اِلَّا لِرَجُلَيْنِ : رَجُلٌ اَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَذَكَّرُهَا بِالتَّوْبَةِ ، وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ .

٩٥ - وقال عليه السلام : لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى ، وَكَيْفَ

يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ ؟

٩٦ - وقال عليه السلام : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ
بِمَا جَاءُوا بِهِ ، ثُمَّ تَلَى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ
وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ
وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ ، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرُبَتْ
قَرَابَتُهُ .

٩٧ - وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ الْحُرُورِيَّةِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ ، فَقَالَ : نَوْمٌ
عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ .

٩٨ - وقال عليه السلام : اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ
رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ، وَرُعَاتُهُ قَلِيلٌ .

٩٩ - وَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنْ قَوْلُنَا ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ ، وَقَوْلُنَا
﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَلَكِ .

١٠٠ - وَمَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي
مِنْ نَفْسِي وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ .

١٠١ - وقال عليه السلام : لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا
بِثَلَاثٍ : بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ ، وَبِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ ، وَبِتَعْجِيلِهَا
لِتَهْنَأَ .

١٠٢ - وقال عليه السلام : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ^(١) ، وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ : يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مِنَّا ، وَالْعِبَادَةَ أَسْطَاطَةً عَلَى النَّاسِ ! فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ وَإِمَارَةِ الصَّبِيَّانِ وَتَدْبِيرِ الْخَصِيَّانِ .

١٠٣ - وَرَأَيْتُ عَلَيْهِ إِزَارٌ خَلَقَ مَرْقُوعٌ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ ، وَيَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ : فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا : كُلَّمَا قَرَّبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ .

١٠٤ - وَعَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لِي : يَا نَوْفُ ، أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ ؟ فَقُلْتُ : بَلْ رَامِقٌ^(٢) قَالَ : يَا نَوْفُ : طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ ، أُولَئِكَ قَوْمٌ

(١) الماحل : الساعي في الناس بالوشاية عند السلطان ، و« لا يظرف » أي : لا يعد ظريفاً . و« لا يضعف » أي : لا يعد ضعيفاً ، والغرم - بالضم - أي : الغرامة والمن : ذكرك النعمة على غيرك مظهراً بها الكرامة عليه ، والاستطالة على الناس : التفوق عليهم والتزيد عليهم في الفضل .

(٢) أراد بالرامق منتبه العين ، في مقابلة الراقد بمعنى النائم ، يقال : رمقه ، إذا لحظه لحظاً خفيفاً .

اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطًا ، وَتَرَابَهَا فِرَاشًا ، وَمَاءَهَا طِيبًا ، وَالْقُرْآنَ
شِعَارًا وَالْدُّعَاءَ دِثَارًا ، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ .

يَا نَوْفُ ، إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنْ
الَلَّيْلِ فَقَالَ : إِنَّهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ عَشَّارًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ شُرْطِيًّا ، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ (وهي
الطنبور) أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةٍ (وهي الطبل . وقد قيل أيضاً : إن
العرطبة : الطبل ، والكوبة : الطنبور) .

١٠٥ - وقال عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ الْفَرَائِضَ
فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا ؛ وَنَهَاكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ فَلَا
تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَّتْ لَكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ وَلَمْ يَدْعَهَا نِسْيَانًا فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا .

١٠٦ - وقال عليه السلام : لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ
دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ .

١٠٧ - وقال عليه السلام : رَبُّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ (١)
وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ .

١٠٨ - وقال عليه السلام : لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاظٍ هَذَا الْإِنْسَانُ

(١) وهذا هو العالم الذي يحفظ ولا يدري ، أو يعلم ولا يعمل ، أو ينقل ولا بصيرة
له .

بِضَعَةٍ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ^(١) وَذَلِكَ الْقَلْبُ ، وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ
وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا : فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ^(٢) أَذَلَّهُ الطَّمَعُ ، وَإِنْ
هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ ، وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ ،
وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ أَشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ ، وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ
التَّحْفُظَ^(٣) ، وَإِنْ نَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ ، وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ
اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ^(٤) ، وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ
فَضَحَهُ الْجَزَعُ ، وَإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ ، وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ
قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ ، وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشَّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ ، فَكُلُّ
تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

١٠٩ - وقال عليه السلام : نَحْنُ النَّمْرُقَةُ الْوُسْطَى^(٦) بِهَا
يَلْحَقُ التَّالِي وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي .

(١) النياط - ككتاب - : عرق معلق به القلب .

(٢) سَنَحَ لَهُ : بدا وظهر .

(٣) التحفظ : هو التوقي والتحرز من المضرات .

(٤) الغرة - بالكسر - الغفلة ، و « استلبته » أي : سلبته وذهبت به عن رشده وأفاده
المال : استفاده ، والفاقة الفقر .

(٥) « كظته » أي كربه وآلمته . والبطنة - بالكسر - : امتلاء البطن حتى يضيق النفس ،
ويروى « وإن جهده الجوع قعدت به الضعة » .

(٦) النمرقة - بضم فسكون ففتح - الوسادة : وآل البيت أشبه بها للاستناد إليهم
في أمور الدين ، كما يستند إلى الوسادة : لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء ،
ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها ، فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو
بواسطة ما يجانبه ، وآل البيت على الصراط الوسطى العدل : يلحق بهم من قصر ،
ويرجع إليهم من غلا وتجاوز .

١١٠ - وقال عليه السلام : لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ^(١) وَلَا يُضَارِعُ ، وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ .

١١١ - وقال عليه السلام : « وَقَدْ تُؤْفِي سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيَّ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مَعَهُ مِنْ صِفِّينَ ، وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ :

لَوْ أَحْبَبْنِي جَبَلٌ لَتَهَافَّتَ^(٢) .

مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمِحْنَةَ تَغْلُظُ عَلَيْهِ فَتُسْرِعُ الْمَصَائِبُ إِلَيْهِ ، وَلَا يُفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ وَالْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

١١٢ - مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَيْسَتْ بَعْدَ لِلْفَقْرِ جَلْبَابًا .

« وَقَدْ يُؤَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى آخَرَ^(٣) لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ » .

١١٣ - وقال عليه السلام : لَا مَالَ أَعُودُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ ، وَلَا عَقْلَ كَالْتَدْيِيرِ ، وَلَا كَرَمَ كَالْتَقْوَى ، وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ ، وَلَا قَائِدَ

(١) « لا يصانع » أي : لا يداري في الحق والمضارعة : المشابهة ، والمعنى أنه لا يشبهه في عمله بالمبطلين ، واتباع المطامع : الميل معها وإن ضاع الحق .

(٢) تهافت : تساقط بعد ما تصدع .

(٣) هو أن من أحبهم فليخلص لله جهم ، فليست الدنيا تطلب عندهم .

كَالتَّوْفِيقِ ، وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَلَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ ، وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ ، وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ ، وَلَا عِلْمَ كَالْتَفَكُّرِ ، وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ ، وَلَا إِيْمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ ، وَلَا حَسَبَ كَالْتَوَاضُعِ ، وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلَا عِزًّا كَالْجَلَمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمَشَاوِرَةِ .

١١٤ - وقال عليه السلام : إِذَا اسْتَوَلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزِيَّةٌ فَقَدْ ظَلَمَ ! وَإِذَا اسْتَوَلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ .

١١٥ - وقيل له عليه السلام : كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فقال عليه السلام : كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ ، وَيُوتَى مِنْ مَأْمِنِهِ !

١١٦ - وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ^(١) وَمَغْرُورٍ بِالسُّتْرِ عَلَيْهِ ؛ وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ ! وَمَا أَتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ .

١١٧ - وقال عليه السلام : هَلْكَ فِيَّ رَجُلَانِ : مُجِبٌّ

(١) استدرجه الله : تابع نعمته عليه وهو مقيم على عصيانه ؛ إبلاغاً للحجة وإقامة للمعذرة في أخذه . والاملاء له : الامهال .

غَالٍ^(١) وَمُبْغِضٌ قَالَ .

١١٨ - وقال عليه السلام : إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ .

١١٩ - وقال عليه السلام : مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا : يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَرُّ الْجَاهِلُ ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ !

١٢٠ - وسئل عليه السلام عن قريش فقال : أَمَا بَنُو مَخْزُومٍ فَرِيحَانَةُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ ، وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ ، وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ^(٢) فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا ، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا ، وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا ، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا ، وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمَكْرُ وَأَنْكَرُ ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ .

١٢١ - وقال عليه السلام : شَتَانُ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ . عَمَلٌ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٌ تَذْهَبُ مَوْوَنَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ .

١٢٢ - وقال عليه السلام : وَتَبِعَ جَنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلًا يَضْحَكُ ، فَقَالَ : كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا

(١) الغالي : المتجاوز الحد في حبه بسبب غيره ، أو دعوى حلول اللاهوت فيه أو نحو ذلك ؛ والقالى : المبغض الشديد البغض .

(٢) ومنهم بنو أمية ، أي : وهم - أي : بنو عبد شمس - أكثر الخ ، « ونحن » أي : بنو هاشم .

قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانَهُمْ ، وَنَأْكُلُ ثُرَائَهُمْ ، كَأَنَّا
مُخْلَدُونَ بَعْدَهُمْ ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ ، وَرُمِينَا بِكُلِّ
جَائِحَةٍ!!

١٢٣ - وقال عليه السلام : طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ ،
وَطَابَ كَسْبُهُ ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ
مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ،
وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ .

قال الرضي : أَقُولُ : وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُنْسَبُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكَذَلِكَ الَّذِي قَبْلَهُ .

١٢٤ - وقال عليه السلام : غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ
إِيمَانٌ .

١٢٥ - وقال عليه السلام : لَأَنْسَبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يُنْسَبَهَا
أَحَدٌ قَبْلِي : الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ ، وَالْيَقِينُ
هُوَ التَّصَدِيقُ ، وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْآدَاءُ ، وَالْآدَاءُ
هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ .

١٢٦ - وقال عليه السلام : عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ
الْفَقْرَ^(١) الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ ، فَيَعِيشُ

(١) الفقر : ما قصر بك عن درك حاجتك ، والبخيل تكون له الحاجة فلا يقضيها ،
ويكون عليه الحق فلا يؤديه فحال الفقراء يحتمل ما يحتملون ؛ فقد استعجل
الفقر وهو يهرب منه بجمع المال .

فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ ، وَيُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ ،
وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً وَيَكُونُ غَدًا جِيفَةً ،
وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ اللَّهِ
وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى الْمَوْتَ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ
النِّشْأَةَ الْآخِرَى وَهُوَ يَرَى النِّشْأَةَ الْأُولَى ، وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارِ الْفَنَاءِ
وَتَارِكِ دَارِ الْبَقَاءِ .

١٢٧ - وقال عليه السلام : مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ
بِالْهَمِّ ^(١) وَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ فَيَمُنْ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ .

١٢٨ - وقال عليه السلام : تَوَقُّوا الْبُرْدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَتَلَقُّوهُ فِي
آخِرِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الْأَبْدَانِ كَفَعْلِهِ فِي الْأَشْجَارِ : أَوَّلُهُ يُحْرِقُ ،
وَأَخِرُهُ يُورِقُ .

١٢٩ - وقال عليه السلام : عِظْهُمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ
الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ .

١٣٠ - وقال عليه السلام : وَقَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى
الْقُبُورِ بِظَاهِرِ الْكَوْفَةِ :

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوَحِّشَةِ وَالْمَحَالِ الْمُقْفِرَةِ ، وَالْقُبُورِ
الْمُظْلِمَةِ ، يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ يَا أَهْلَ

(١) الهم : هم الحسرة على فوات ثمراته ، ومن لم يجعل لله نصيبه في ماله بالبدل في
سبيله ، ولا في روحه باحتمال التعب في إعزاز دينه ؛ فلا يكون له رجاء في فضل
الله ، فإنه لا يكون في الحقيقة عبد الله بل عبد نفسه والشیطان .

الْوَحْشَةِ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ ، أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سَكِنَتْ وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نِكَحَتْ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ . هَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ ؟ .

ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لِأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

١٣١ - وقال عليه السلام ، وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَذُمُّ الدُّنْيَا : أَيُّهَا الدِّمَاءُ لِلدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا الْمُخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا ! اتَّغَرَّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذَمُّهَا ؛ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا (١) أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ (٢) أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ ؟ أَيْمَصَّارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبَلَى (٣) ؟ أَمْ أَيْمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى ؟ كَمْ عَلَلَّتْ بِكَفِّكَ (٤) ! وَكَمْ مَرَّضَتْ بِيَدَيْكَ ؟ تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ (٥) ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ ، غَدَاةَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ ، وَلَا يُجِدِّي عَلَيْهِمْ بُكَائُكَ لَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِشْفَاؤُكَ (٦) وَلَمْ تُسَعِّفْ فِيهِ بِطَلَبَتِكَ ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ بِقُوَّتِكَ !!

(١) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم - بالضم - أي : الذنب .

(٢) استهواه : ذهب بعقله وأذله فحيره .

(٣) البلى - بكسر الباء - : الفناء بالتحلل ، والمصرع : مكان الانصراع ، أي : السقوط ، أي : مكان سقوط آبائك من الفناء ، والثرى : التراب .

(٤) علل المريض : خدمه في علته ، كمرضه : خدمه في مرضه .

(٥) الضمير في « لهم » يعود على الكثير المفهوم من كم . واستوصف الطبيب . طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء .

(٦) إشفاؤك : خوفك : والطلبة - بالكسر ، وافتح فكسر - المطلوب ، وأسعفة بمطلوبه : أعطاه إياه على ضرورة إليه .

وَقَدْ مَثَلْتَ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ ^(١) ! وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ . إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَّقَهَا ، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ^(٢) ، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا ، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ ، وَمُصَلًى مَلَائِكَةِ اللَّهِ ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، أَكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنْتَ بَيْنَهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا ، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا فَمَثَلْتَ لَهُمْ بِلَايَتِهَا أَلْبَاءَ ، وَشَوْقَتَهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ ؟ رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ ، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ ؛ تَرْغِيئاً وَتَرْهِيئاً ، وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً ، فَذَمُّهَا رَجَالُ غَدَاةِ النَّدَامَةِ ، وَحَمْدُهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ ذَكَّرْتَهُمُ الدُّنْيَا فَذَكَّرُوا ؛ وَحَدَّثْتَهُمْ فَصَدَّقُوا ، وَوَعَّظْتَهُمْ فَاتَّعَظُوا .

١٣٢ - وقال عليه السلام : إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ : لِدُوا لِلْمَوْتِ ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ ، وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ .

١٣٣ - وقال عليه السلام : الدُّنْيَا دَارُ مَرٍّ لَا دَارَ مَقَرٍّ ، وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا ، وَرَجُلٌ آتَبَعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا .

١٣٤ - وقال عليه السلام : لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ : فِي نَكْبَتِهِ ، وَغَيْبَتِهِ ، وَوَفَاتِهِ ^(٣) .

(١) أي : إن الدنيا جعلت الهالك قبلك مثلاً لنفسك تقيسها عليه .

(٢) أي : أخذ منها زاده لآخرته .

(٣) أي : لا يضيع شيئاً من حقوقه في الأحوال الثلاثة .

١٣٥ - وقال عليه السلام : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا :
مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةُ^(١) ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ
يُحْرَمِ الْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ ، وَمَنْ
أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ .

قال الرضي : وَتَصَدِّقُ ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ فِي
الدُّعَاءِ : ﴿ اَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وَقَالَ فِي الْإِسْتِغْفَارِ : ﴿ وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴾ وَقَالَ فِي الشُّكْرِ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وَقَالَ فِي
التَّوْبَةِ : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ، فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴾ .

١٣٦ - وقال عليه السلام : الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَالْحَجُّ
جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ ، وَجِهَادُ
الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ^(٢) .

١٣٧ - وقال عليه السلام : اسْتَزِلُّوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ .

١٣٨ - وقال عليه السلام : مَنْ أَيقَنَ بِالْخَلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ .

(١) المراد بالدعاء المجاب: ما كان مقرونًا باستعداد بأن يصحبه العمل لنيل المطلوب.
وبالتوبة والاستغفار: ما كانا ندمًا على الذنب يمنع من العود إليه ، وبالشكر:
تصريف النعم في وجوها المشروعة .

(٢) حسن التبعل : إطاعة الزوج .

١٣٩ - وقال عليه السلام : تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ .
١٤٠ - وقال عليه السلام : مَا أَعَالَ مَنْ أَقْتَصَدَ .
١٤١ - وقال عليه السلام : قِلَّةُ أَلْيَالٍ أَحَدُ أَلْيَسَارِينَ .
١٤٢ - وقال عليه السلام : التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ .
١٤٣ - وقال عليه السلام : الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ .
١٤٤ - وقال عليه السلام : يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ ،
وَمَنْ ضَرَبَ عَلَى فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ عَمَلُهُ .

١٤٥ - وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ
صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْظَّمَا ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ
وَالْعَنَاءُ حَبْذَا نَوْمُ الْكَيَّاسِ وَإِفْطَارُهُمْ .

١٤٦ - وقال عليه السلام : سُوسُوا إِيْمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ^(١)
وَحَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَأَدْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالِدُّعَاءِ .

١٤٧ - ومن كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعي :
قَالَ كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ : أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَّانِ^(٢) فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ
الصُّعْدَاءُ ؛ ثُمَّ قَالَ :

(١) السياسة : حفظ الشيء بما يحوطه من غيره ، فسياسة الرعية حفظ نظامها بقوة
الرأي والأخذ بالحدود . والصدقة تستحفظ الشفقة ، والشفقة تستزيد الإيمان وتذكر
الله . والزكاة : أداء حق الله من المال ، وأداء الحق حصن النعمة .

(٢) الجبان كالجبانة : المقبرة ، و«أصحر» أي : صار في الصحراء .

يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ^(١) ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ،
فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ :

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ^(٢) ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ،
وَهَمَجٌ رَعَاةٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا
بُنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .

يَا كُمَيْلُ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، وَالْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ
تَحْرُسُ الْمَالَ وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ الْفَقَّةُ ، وَالْعِلْمُ يَزُكُّو عَلَى الْإِنْفَاقِ ،
وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ .

يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ ، بِهِ يَكْسِبُ
الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَالْعِلْمُ حَاكِمُ
وَالْمَالِ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ .

يَا كُمَيْلُ ؛ هَلَكَ خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا
بَقِيَ الدَّهْرُ ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ . هَا
إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً!
بَلَى أَصَبْتُ لِقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ. عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا ،

(١). أوعية : جمع وعاء ، وأوعاها : أحفظها .

(٢) العالم الرباني : هو المتأله العارف بالله والمتعلم على طريق النجاة إذا أتم علمه
نجا ، والهمج - محرقة - : الحمقى من الناس ، والرعاة - كسحاب - : الأحداث
الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس ، والناعق : مجاز عن الداعي إلى باطل أو
حق .

وَمُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، أَوْ مُنْقَاداً لِحِمْلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي إِحْنَائِهِ ، يَنْقَدِحُ الشُّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ . أَلَا لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ! أَوْ مِنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلَسَ الْقِيَادِ لِلشُّهُوةِ ، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَالْإِدْخَارِ ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهَا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ ! كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ .

اللَّهُمَّ بَلَى ! لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ : إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خَائِفاً مَغْموراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ . وَكَمْ ذَا وَآيِنٍ أَوْلَيْكَ ؟؟ أَوْلَيْكَ - وَاللَّهِ - الْأَقْلُونَ عَدْداً ، وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدراً يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوَهَا نُظَرَاءَهُمْ ، وَيَزَرَعُوَهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتَرَفُّونَ ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى . أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالِدَعَاةُ إِلَى دِينِهِ . آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَيْهِمْ ! انْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ .

١٤٨ - وقال عليه السلام : الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ (١) .

١٤٩ - وقال عليه السلام : هَلَكَ أَمْرٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ .

(١) إنما يظهر عقل المرء وفضله بما يصدر عن لسانه ، فكأنه قد خبيء تحت لسانه ، فإذا تحرك اللسان انكشف .

١٥٠ - وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه :

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ ، وَيَرْجِي التَّوْبَةَ^(١) ،
بِطُولِ الْأَمَلِ ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولِ الزَّاهِدِينَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا
بِعَمَلِ الرَّاعِبِينَ ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ
يَقْنَعْ ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ ، يَنْهَى
وَلَا يَنْتَهِي ، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي ، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ
عَمَلَهُمْ ، وَيُبْغِضُ الْمُنْذِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ
ذُنُوبِهِ ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ^(٢) ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا^(٣) ،
وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَا هِيَ ، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ ، وَيَقْنَطُ إِذَا آتَبُلِيَ ،
إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا ، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا ، تَغْلِبُهُ
نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ^(٤) ، يَخَافُ عَلَى
غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرِ مِنْ عَمَلِهِ ، إِنْ آسَتْغَنَى
بَطَرٌ وَفَتِنَ^(٥) ، وَإِنْ أَفْتَقَرَ قِنَطٌ وَوَهَنَ ، يُقْصِرُ إِذَا عَمِلَ ، وَيُبَالِغُ إِذَا

(١) يرجي - بالتشديد - أي يؤخر التوبة .

(٢) الذي يكره الموت لأجله هو الذنوب ، وأقام عليها : داوم على إتيانها .

(٣) إن أصابه السقم لازم الندم على التفريط أيام الصحة ، فإذا عادت له الصحة غره الأمن وغرق في اللهو .

(٤) هو على يقين من أن السعادة في الزهادة ، والشرف في الفضيلة ؛ ثم لا يقهر نفسه على اكتسابهما ، وإذا ظن بل توهم لذة حاضرة أو منفعة عاجلة دفعته نفسه إليها وإن هلك .

(٥) بطر - كفرح - : اغتر بالنعمة ، والغرور فتنه ، والقنوط : اليأس ، والوهن : الضعف .

سَأَلَ ، إِنَّ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ ^(١) ، وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ ،
وَأَنَّ عَرَّتْهُ مِحْنَةٌ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ ^(٢) ، يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلَا
يَعْتَبِرُ ^(٣) ، وَيَبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ ^(٤) ،
وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى ، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى ، يَرَى
الْغَنَمَ مَغْرَمًا ^(٥) ، وَالْغُرْمَ مَغْنَمًا ، يَخْشَى الْمَوْتَ ، وَلَا يُبَادِرُ
الْفُوتَ ^(٦) ، يَسْتَعِظُ مِنَ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِيلُ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ
نَفْسِهِ ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ ، فَهُوَ عَلَى
النَّاسِ طَاعِنٌ ، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ ، أَلَلَّهُوْ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ
الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا
لِغَيْرِهِ ، وَيُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصَى ، وَيَسْتَوْفِي
وَلَا يُوفِي ، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ .

قال الرضي : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا هَذَا الْكَلَامُ
لَكَفَى بِهِ مَوْعِظَةٌ نَاجِعَةٌ ، وَحِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ، وَبَصِيرَةٌ لِمُبْصِرٍ ، وَعِبْرَةٌ
لِنَازِرٍ مُفَكِّرٍ .

(١) أسلف : قدم ، وسوف : آخر .

(٢) شرائط الملة : الشبكات والصبر ، واستعانة الله على الخلاص عند عروض المحن ،

أي : طروق البلياء . و « انفرج عنها » أي : انخلع وبعد .

(٣) العبرة - بالكسر - تنبه النفس لما يصيب غيرها فتحترس من إتيان أسبابه .

(٤) أدل على أقرانه : استعلى عليهم .

(٥) الغنم . بالضم : الغنيمة ، والمغرم : الغرامة ، والأعمال العظيمة غنيمة العقلاء ،
والشهوات خسارة الأعمار .

(٦) الفوت : فوات الفرصة وانقضائها ، وبادره : عاجله قبل أن يذهب .

١٥١ - وقال عليه السلام : لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ حُلُوءٌ أَوْ مُرَّةٌ .
١٥٢ - وقال عليه السلام : لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ ، وَمَا أَدْبَرَ كَأَنَّ
لَمْ يَكُنْ .

١٥٣ - وقال عليه السلام : لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرُ وَإِنْ طَالَ
بِهِ الزَّمَانُ .

١٥٤ - وقال عليه السلام : الرَّاظِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاحِلِ
فِيهِ مَعَهُمْ ، وَعَلَى كُلِّ دَاحِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٌ : إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ ،
وَإِثْمُ الرِّضَا بِهِ .

١٥٥ - وقال عليه السلام : اعْتَصِمُوا بِالذَّمِّ فِي أَوْتَادِهَا .
١٥٦ - وقال عليه السلام : عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذِرُونَ
بِجَهَالَتِهِ .

١٥٧ - وقال عليه السلام : قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ^(١) وَقَدْ
هُدِيتُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ أَسْتَمَعْتُمْ .

١٥٨ - وقال عليه السلام : عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ،
وَأَرُدِّدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ .

١٥٩ - وقال عليه السلام : مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ

(١) كشف الله لكم عن الخير والشر، فإن كانت لكم أبصاراً فابصروا ؛ وكذا يقال فيما
بعده .

فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ .

١٦٠ - وقال عليه السلام : مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ^(١) .

١٦١ - وقال عليه السلام : مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ الرُّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا .

١٦٢ - وقال عليه السلام : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ بِيَدِهِ^(٢) .

١٦٣ - وقال عليه السلام : أَلْفَقَرُّ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ .

١٦٤ - وقال عليه السلام : مَنْ قَضَى حَقٌّ مِنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبْدَهُ^(٣) .

١٦٥ - وقال عليه السلام : لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .

١٦٦ - وقال عليه السلام : لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ .

١٦٧ - وقال عليه السلام : الْأَعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الْإِزْدِيَادِ .

(١) « استأثر » أي : استبد .

(٢) مثلاً لو أسر عزيمة فله الخيار في إنفاذها أو فسخها ، بخلاف ما لو أفساها فربما ألزمته البواعث على فعلها ، أو أجبرته العوائق التي تعرض له في إفشائها على فسخها ، وعلى هذا القياس .

(٣) لأن العبادة خضوع لمن لا تطالبه بجزائه اعترافاً بعظمته .

١٦٨ - وقال عليه السلام : الْأَمْرُ قَرِيبٌ وَالْإِصْطِحَابُ قَلِيلٌ .

١٦٩ - وقال عليه السلام : قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِدِي عَيْنَيْنِ .

١٧٠ - وقال عليه السلام : تَرَكُ الذَّنْبَ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ

التَّوْبَةِ .

١٧١ - وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ أَكَلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ !

١٧٢ - وقال عليه السلام : النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

١٧٣ - وقال عليه السلام : مَنْ آسْتَقْبَلَ وُجُوهَ آلِ آرَاءِ عَرَفَ

مَوَاقِعَ الْخَطِيئِ .

١٧٤ - وقال عليه السلام : مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ لِلَّهِ قَوِيَ

عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ .

١٧٥ - وقال عليه السلام : إِذَا هَبْتَ أَمْرًا فَقَعْ فِيهِ ، فَإِنَّ

شِدَّةَ تَوَقُّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ .

١٧٦ - وقال عليه السلام : آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصِّدْرِ .

١٧٧ - وقال عليه السلام : أَزْجَرُ الْمُسِيِّءِ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ .

١٧٨ - وقال عليه السلام : أَحْصِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ

بِقَلْبِهِ مِنْ صَدْرِكَ .

١٧٩ - وقال عليه السلام : أَلَلْجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ .

١٨٠ - وقال عليه السلام : أَلْطَمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ .

١٨١ - وقال عليه السلام : ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ ، وَثَمَرَةُ
الْحَزْمِ السَّلَامَةُ .

١٨٢ - وقال عليه السلام : لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ
الْحُكْمِ ؛ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ .

١٨٣ - وقال عليه السلام : مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ
إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً^(١) .

١٨٤ - وقال عليه السلام : مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أَرَيْتُهُ .

١٨٥ - وقال عليه السلام : مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ ؛ وَلَا
ضَلَلْتُ وَلَا ضُلُّ بِي .

١٨٦ - وقال عليه السلام : لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَدَاً فِي كَفِّهِ
عِصَّةٌ^(٢) .

١٨٧ - وقال عليه السلام : الرَّحِيلُ وَشَيْكُ^(٣) .

١٨٨ - وقال عليه السلام : مَنْ أَبْدَى لِلْحَقِّ صَفْحَتَهُ
هَلَكَ^(٤) .

(١) لأن الحق واحد .

(٢) يعرض الظالم على يده ندماً يوم القيامة .

(٣) الرحيل من الدنيا إلى الآخرة قريب .

(٤) من ظهر بمقاومة الحق هلك . وإبداء الصفحة : إظهار الوجه ، وقد يكون
المعنى : من أعرض عن الحق ، والصفحة تظهر عند الاعراض بالجانب .

١٨٩ - وقال عليه السلام : مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ
الْجَزَعُ .

١٩٠ - وقال عليه السلام : وَعَجَبَاهُ أَتَكُونُ الْخِلَافَةَ
بِالصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ ؟ .

قال الرضي : وروي له شعر في هذا المعنى :

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّوْرَى مَلَكَتْ أُمُورَهُمْ فَكَيْفَ بِهِذَاوَالْمُشِيرُونَ غَيْبٌ؟^(١)
وَإِنْ كُنْتَ بِالقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ^(٢) فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

١٩١ - وقال عليه السلام : إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ
تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا^(٣) وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ
شَرْقٌ^(٤) ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ
أُخْرَى ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ .
فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمُنُونِ^(٥) وَأَنْفُسُنَا نَصَبُ الْحُثُوفِ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو

(١) جمع غائب : يريد بالمشيرين أصحاب الرأي في الأمر ، وهم علي وأصحابه من
بني هاشم .

(٢) يريد احتجاج أبي بكر رضي الله عنه على الأنصار بأن المهاجرين شجرة النبي صلى
الله عليه وآله وسلم .

(٣) الغرض - بالتحريك - : ما ينصب ليصيبه الرامي ، و« تنتضل فيه » أي : تصيبه
وتثبت فيه : والمنايا ، جمع منية ؛ وهي الموت ، والنهب - بفتح فسكون - : ما
ينهب .

(٤) الشرق - بالتحريك - : وقوف الماء في الحلق ، أي : مع كل لذة ألم .

(٥) المنون - بفتح الميم - الموت : وكلما تقدمنا في العمر تقربنا منه فنحن بمعيشتنا =

الْبَقَاءَ وَهَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفًا^(١) إِلَّا أَسْرَعَا
الْكُرَّةَ فِي هَذِهِ مَا بَيْنَا وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا؟!

١٩٢ - وقال عليه السلام : يَا أَبْنِ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ
فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِعَيْرِكَ .

١٩٣ - وقال عليه السلام : إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالًا وَإِدْبَارًا
فَأَتَوْهَا مِنْ قَبْلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ .

١٩٤ - وكان عليه السلام يقول : مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا
غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنْ الْإِنْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي لَوْ صَبَرْتُ؟ أَمْ حِينَ
أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي لَوْ عَفَوْتُ .

١٩٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ مَرَّ بِقَدْرِ عَلَى مَرْبَلَةٍ : هَذَا مَا
بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ .

وَرَوَى فِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ : هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ
بِالْأَمْسِ .

١٩٦ - وقال عليه السلام : لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .

١٩٧ - وقال عليه السلام : إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ
الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ .

= أعوانه على أنفسنا ، وأنفسنا نصب الحتوف - أي : تجاهها - والحتوف : جمع
حتف ؛ أي : هلاك .

(١) الشرف : المكان العالي ؛ والمراد به هنا كل ما علا من مكان وغيره .

١٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ « لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ » : كَلِمَةً حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ .

١٩٩ - وقال عليه السلام في صِفَةِ الْغَوَّاءِ : هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، وَقِيلَ : بَلْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضُرُّوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا ، قَدْ عَرَفْنَا مَضْرَةَ اجْتِمَاعِهِمْ ، فَمَا مَنَفْعَةُ افْتِرَاقِهِمْ ؟ فَقَالَ : يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمَهَنِ إِلَى مِهْنَتِهِمْ ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبَنَاءِ إِلَى بِنَائِهِ ، وَالنَّسَاجِ إِلَى مَنَسَجِهِ ، وَالْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ .

٢٠٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأُتِيَ بِجَانٍ وَمَعَهُ غَوَّاءٌ ، فَقَالَ : لَا مَرْحَبًا بِوَجْهِهِ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوَاةٍ .

٢٠١ - وقال عليه السلام : إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَئِنَّ يَحْفَظَانِهِ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَإِنْ أَلْجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةً .

٢٠٢ - وقال عليه السلام ، وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ : نُبَايَعُكَ عَلَى أَنَا شُرَكَائُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ : لَا ، وَلَكِنَّكُمَا شَرِيكَايَ فِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأَوْدِ .

٢٠٣ - وقال عليه السلام : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ ، وَيَاذِرُوا أَلْمُوتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ .

٢٠٤ - وقال عليه السّلام : لَا يُزْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُ لَكَ ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمِيعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

٢٠٥ - وقال عليه السّلام : كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ^(١) .

٢٠٦ - وقال عليه السّلام : أَوَّلُ عِوَضٍ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ .

٢٠٧ - وقال عليه السّلام : إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ .

٢٠٨ - وقال عليه السّلام : مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رِبْحَ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ ، وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ .

٢٠٩ - وقال عليه السّلام : لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا^(٢) . وتلا عقيب ذلك : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ

(١) وعاء العلم : هو العقل ، وهو يتسع بكثرة العلم .

(٢) الشماس - بالكسر - : امتناع ظهر الفرس من الركوب ، والضروس - بفتح فضم - : الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، أي : إن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها ، كما تنعطف الناقة على ولدها ، وإن أبت على الحالب .

نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجَعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ ﴿٢١٠﴾ .

٢١٠ - وقال عليه السلام : اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ شَمَرَ تَجْرِيداً
وَجَدَّ تَشْمِيراً ؛ وَكَمَشَ فِي مَهَلٍ ^(١) وَيَادَرَ عَنْ وَجَلٍ ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةٍ
الْمَوْتِ ، وَعَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ ، وَمَغْبَةِ الْمَرْجِعِ .

٢١١ - وقال عليه السلام : الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ ،
وَالْعِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ ^(٢) ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظُّفْرِ ، وَالسُّلُوعُ وَضُكُ مِمَّنْ
غَدَرَ ^(٣) ، وَالْإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ . وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ ،
وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِذْثَانَ ، وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ ، وَأَشْرَفُ
الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى ، وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرَ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ ، وَمِنْ
التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجَرِبَةِ ، وَالْمَوَدَّةُ قَرَابَةُ مُسْتَفَادَةٍ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً .

(١) كمش - بتشديد الميم - : جد في السوق ، أي : وبالغ في حث نفسه على المسير
إلى الله ، لكن مع تمهل البصيرة . والوجل : الخوف . والموئل : مستقر المسير ،
يريد به هنا ما ينتهي إليه الإنسان : من سعادة وشقاء ، وكردة ، : حملته وإقباله .
والمغبة - بفتح الميم والغين وتشديد الباء - : العاقبة أيضاً ، إلا أنه يلاحظ فيها
مجرد كونها بعد الأمر . أما العاقبة ففيها أنها مسببة عنه ، والمصدر : عملك الذي
يكون عنه ثوابك وعقابك ، والمرجع : ما ترجع إليه بعد الموت ويتبعه إما السعادة
أو الشقاوة .

(٢) الفدام - ككتاب ، وسحاب ، وتشدد الدال أيضاً مع الفتح - : شيء تشده العجم
على أفواهها عند السقي ، أي : وإذا حلمت فكأنك ربطت فم السفية بالفدام
فمنعته عن الكلام .

(٣) أي : من غدرك فلك خلف عنه ، وهو أن تسلوه وتهجره كأنه لم يكن .

٢١٢ - وقال عليه السلام : عَجِبُ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ

عَقْلِهِ .

٢١٣ - وقال عليه السلام : أَغْضِرْ عَلَى الْقَذَى وَالْأَلَمِ تَرْضَ

أَبْدًا .

٢١٤ - وقال عليه السلام : مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ .

٢١٥ - وقال عليه السلام : الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ .

٢١٦ - وقال عليه السلام : مَنْ نَالَ اسْتِطَالَ .

٢١٧ - وقال عليه السلام : فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ

الرِّجَالِ .

٢١٨ - وقال عليه السلام : حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ

الْمَوَدَّةِ .

٢١٩ - وقال عليه السلام : أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ

بُرُوقِ الْمَطَامِعِ .

٢٢٠ - وقال عليه السلام : لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى

النِّقَةِ بِالظَّنِّ .

٢٢١ - وقال عليه السلام : يَنْسُ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ ، الْعُدْوَانُ

عَلَى الْعِبَادِ .

٢٢٢ - وقال عليه السلام : مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ

عَمَّا يَعْلَمُ .

٢٢٣ - وقال عليه السلام : مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرِ
النَّاسُ عَيْبَهُ .

٢٢٤ - وقال عليه السلام : بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ ،
وَبِالنِّصْفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ ،
وَبِالتَّوَاضُّعِ تَتِمُّ النُّعْمَةُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّودْدُ^(١) ،
وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمَنَاوِيءُ^(٢) ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ
الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ .

٢٢٥ - وقال عليه السلام : أَلْعَجَبُ لَغَفْلَةِ الْحُسَادِ عَنْ سَلَامَةِ
الْأَجْسَادِ^(٣) .

٢٢٦ - وقال عليه السلام : الطَّامِعُ فِي وَثَاقِ الدُّلِّ .

٢٢٧ - وسئل عن الإيمان فقال : الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ،
وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ .

٢٢٨ - وقال عليه السلام : مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ
أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاحِطًا ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ
أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ ، وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِيَغْنَاهُ ذَهَبَ ثُلَاثًا

(١) المؤن - بضم ففتح - : جمع مؤنة ، وهي القوت ، أي ان السؤدد والشرف باحتمال
المؤنات عن الناس .

(٢) المناوىء : المخالف المعاند .

(٣) أي : من العجيب أن يحسد الحاسدون على المال والجاه مثلاً ، ولا يحسدون
الناس على سلامة أجسادهم ، مع أنها من أجل النعم .

دِينِهِ^(٣) ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ
آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًّا ؛ وَمَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا التَّاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا
بِثَلَاثٍ^(٢) : هُمْ لَا يُغِبُّهُ ، وَجَرُصٌ لَا يَتْرُكُهُ وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ .

٢٢٩ - وقال عليه السلام : كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا ، وَبِحُسْنِ
الْخُلُقِ نَعِيمًا .

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾
فَقَالَ : هِيَ الْقَنَاعَةُ .

٢٣٠ - وقال عليه السلام : شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ
الرِّزْقُ ، فَإِنَّهُ أَخْلَقَ لِلْغِنَى وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ عَلَيْهِ^(٣) .

٢٣١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ الْعَدْلُ : الْإِنْصَافُ ، وَالْإِحْسَانُ :
التَّفَضُّلُ .

٢٣٢ - وقال عليه السلام : مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ
الطَّوِيلَةِ .

قال الرضي : أَقُولُ : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَا يُنْفَقُهُ الْمَرْءُ مِنْ مَالِهِ

(١) لأن استعظام المال ضعف في اليقين بالله ، والخضوع : أداة عمل لغير الله ، فلم
يبق إلا الإقرار باللسان .

(٢) التَّاطُ : التَّصَقُّ .

(٣) أي إذا رأيتم شخصا أقبل عليه الرزق فاشتركوا معه في عمله من تجارة أو زراعة أو
غيرهما فإنه مظنة الربح .

فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ عَظِيمًا كَثِيرًا ، وَالْيَدَانِ هُنَا : عِبَارَتَانِ عَنِ النُّعْمَتَيْنِ ، فَفَرَقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ نِعْمَةِ الْعَبْدِ وَنِعْمَةِ الرَّبِّ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَجَعَلَ تِلْكَ قَصِيرَةً وَهَذِهِ هَوِيلَةً ، لِأَنَّ نِعْمَ اللَّهِ أَبَدًا تُضَعَّفُ عَلَى نِعْمِ الْمَخْلُوقِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً (١) إِذْ كَانَتْ نِعْمُ اللَّهِ أَصْلَ النُّعْمِ كُلِّهَا ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ إِلَيْهَا تَرْجِعُ وَمِنْهَا تُنْزَعُ .

٢٣٣ - وقال عليه السلام لابنه الحسن عليهما السلام : لَا تَدْعُونَ إِلَى مُبَارَزَةٍ (٢) وَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ وَالْبَاغِي مَضْرُوعٌ .

٢٣٤ - وقال عليه السلام : خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ : الزَّهْوُ ، وَالْجُبْنُ ، وَالْبُخْلُ . فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ بِخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ بَعْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرَقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا .

٢٣٥ - وقيل له : صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ، فَقِيلَ : فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ ، فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .

قال الرضي : يَعْنِي أَنَّ الْجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ

(١) تضعف - مجهول - : من « أضعفه » إذا جعله ضعفين .

(٢) المبارزة : بروز كل للآخر ليقتتلا ، ومضروع : مغلوب مطروح .

مَوَاضِعُهُ فَكَانَ تَرَكَ صِفَتِهِ صِفَةً لَهُ ؛ إِذْ كَانَ بِخِلَافِ وَصْفِ
الْعَاقِلِ .

٢٣٦ - وقال عليه السلام : وَاللَّهِ لَدُنِّيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي
عَيْنِي مِنْ عِرَاقٍ خِنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ .

٢٣٧ - وقال عليه السلام : إِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ
عِبَادَةُ التُّجَّارِ ، وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ (١) ،
وَإِنْ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ (٢) .

٢٣٨ - وقال عليه السلام : الْمَرْأَةُ شَرُّ كُلِّهَا ، وَشَرُّ مَا فِيهَا
أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا !

٢٣٩ - وقال عليه السلام : مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي ضَيَّعَ
الْحُقُوقَ ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِي ضَيَّعَ الصَّدِيقَ .

٢٤٠ - وقال عليه السلام : الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ
عَلَى خَرَابِهَا (٣) .

قال الرضي : وَيُرْوَى هَذَا الْكَلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآله وسلم ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَشْتَبَهَ الْكَلَامَانِ ، لِأَنَّ مُسْتَقَاهُمَا مِنْ

(١) لأنهم ذلوا للخوف .

(٢) لأنهم عرفوا حقاً عليهم فأدوه ، وتلك شيمة الأحرار .

(٣) « الغصيب » أي : المغصوب ، أي إن الاغتصاب قاض بالخراب كما يقضي الرهن
بأداء الدين المرهون عليه .

قَلِيلٍ ، وَمَفَرَّغُهُمَا مِنْ ذُنُوبٍ^(١) .

٢٤١ - وقال عليه السلام : يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ .

٢٤٢ - وقال عليه السلام : أَتَقِي اللَّهَ بَعْضَ التَّقَى وَإِنْ قَلَّ ؛ وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ .

٢٤٣ - وقال عليه السلام : إِذَا أَرَدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِي الصَّوَابُ .

٢٤٤ - وقال عليه السلام : إِنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا ؛ فَمَنْ آدَاهُ زَادَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ قَصَرَ عَنْهُ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ .

٢٤٥ - وقال عليه السلام : إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ .

٢٤٦ - وقال عليه السلام : احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ .

٢٤٧ - وقال عليه السلام : الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ .

٢٤٨ - وقال عليه السلام : مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ .

(١) القليل - بفتح فكسر - : البثر ، والذنوب - بفتح فضم - : الدلو الكبير ، فإن الإمام يستقي من بثر النبوة ويفرغ من دلوها .

٢٤٩ - وقال عليه السلام : أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ
نَفْسَكَ عَلَيْهِ .

٢٥٠ - وقال عليه السلام : عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ
الْعَزَائِمِ ، وَحَلِّ الْعُقُودِ ، وَنَقْضِ الْهِمَمِ .

٢٥١ - وقال عليه السلام : مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ ،
وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ^(١) .

٢٥٢ - وقال عليه السلام : فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ
الشُّرْكِ ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبَرِ ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ ،
وَالصِّيَامَ آيْتِلاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ ، وَالْحَجَّ تَقَرُّبَةً لِلدِّينِ^(٢) ،
وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ ، وَالنَّهْيَ
عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلشُّفَهَاءِ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنَمَةً لِلْعَدَدِ^(٣) ،
وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدِّمَاءِ ، وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ ، وَتَرْكَ
شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِينًا لِلْعَقْلِ ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجَابًا لِلْعِفَّةِ ، وَتَرْكَ
الزُّنَا تَحْصِينًا لِلنَّسَبِ ، وَتَرْكَ اللَّوَاطِ تَكْثِيرًا لِلنُّسْلِ ، وَالشَّهَادَةَ

(١) حلاوة الدنيا باستيفاء اللذات، ومرارتها بالعفاف عنها . وفي الأول مرارة العذاب في
الآخرة ، وفي الثاني حلاوة الثواب فيها .

(٢) أي : سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض ؛ إذ يجتمعون من جميع الأقطار في
مقام واحد لغرض واحد . وفي نسخة « تقوية » فإن تجديد الألفة بين المسلمين في
كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوي الإسلام .

(٣) فإنه إذا تواصل الأقرباء على كثرتهم كثر بهم عدد الأنصار .

أَسْتَظْهَرًا عَلَى الْمُجَاحِدَاتِ^(١) ، وَتَرَكَ الْكَذِبَ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ ،
وَالسَّلَامَ أَمَانًا مِنَ الْمَخَافِ ، وَالْأَمَانَاتِ نِظَامًا لِلْأُمَّةِ^(٢) ، وَالطَّاعَةَ
تَعْظِيمًا لِلْإِمَامَةِ .

٢٥٣ - وكان عليه السلام يقول : أَحْلِفُوا الظَّالِمَ - إِذَا أَرَدْتُمْ
يَمِينَهُ - بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا
عُوجِلَ الْعُقُوبَةُ ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ ؛
لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى .

٢٥٤ - وقال عليه السلام : يَا ابْنَ آدَمَ ؛ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ
فِي مَالِكَ ، وَاعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤَثِّرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ^(٣) .

٢٥٥ - وقال عليه السلام : الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ
صَاحِبَهَا يَنْدُمُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ .

٢٥٦ - وقال عليه السلام : صِحَّةُ الْجَسَدِ ؛ مِنْ قِلَّةِ
الْحَسَدِ .

٢٥٧ - وقال عليه السلام لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ : يَا

(١) إنما فرضت الشهادة - وهي الموت في نصر الحق - ليستعان بذلك على قهر
الجاحدين له فيبطل جحوده .

(٢) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال أدى كل عامل ما يجب عليه فتنتظم شؤون
الامة . أما لو كثرت الخيانات فقد فسدت وكثر الإهمال فاختل النظام .

(٣) أي : اعمل في مالك وأنت حي ما تؤثر - أي : تحب - أن يعمل فيه خلفاؤك . ولا
حاجة أن تدخر ثم توصي ورثتك أن يعملوا خيراً بعدك .

كُمَيْلٌ ، مُرَّ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ ، وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةٍ مَنْ هُوَ نَائِمٌ^(١) فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا ؛ فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا^(٢) كَالْمَاءِ فِي أَنْحَادِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيبَةَ الْإِبْلِ .

٢٥٨ - وقال عليه السلام : إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ^(٣) .

٢٥٩ - وقال عليه السلام : الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ ؛ وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ .

٢٦٠ - وقال عليه السلام : كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَغْرُورٍ بِالسُّتْرِ عَلَيْهِ ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ . وَمَا أَتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ .

قال الرضي : وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم ، إِلَّا أَنْ فِيهِ هُنَا زِيَادَةٌ جَيِّدَةٌ مُفِيدَةٌ .

(١) الرواح : السير من بعد الظهر ، والادلاج : السير من أول الليل ، والمراد من المكارم : المحامد ، وكسبها بعمل المعروف ، وكأنه يقول : أوص أهلك أن يواصلوا أعمال الخير فرواحهم في الإحسان وإدلاجهم في قضاء الحوائج وإن نام عنها أربابها .

(٢) الضمير في « جرى » للطف ، وفي « إليها » للنائبة ، وغريبة الإبل لا تكون من مال صاحب المرعى فيطردها من بين ماله .

(٣) أي : إذا افتقرتم فتصدقوا فإن الله يعطف الرزق عليكم بالصدقة فكانكم عاملتم الله بالتجارة . وههنا سر لا يعلم .

فصل نذكر فيه شيئاً من اختيار
غريب كلامه المحتاج إلى التفسير

١ - في حديثه عليه السلام :

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرْبَ يَعْسُوبٍ الدِّينَ بِذَنْبِهِ ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ
كَمَا يَجْتَمِعُ قَرْعُ الْخَرِيفِ .

قال الرضي - يعسوب : السَّيِّدُ الْعَظِيمُ الْمَالِكُ لَأُمُورِ النَّاسِ
يَوْمَئِذٍ ، وَالْقَرْعُ : قِطْعُ الْغَيْمِ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا .

٢ - وفي حديثه عليه السلام :

هَذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشُحُ .

يُرِيدُ الْمَاهِرَ بِالْخُطْبَةِ الْمَاضِي فِيهَا ، وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلَامٍ أَوْ
سَيْرٍ فَهُوَ شَحْشُحٌ ، وَالشَّحْشُحُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : الْبَخِيلُ
الْمُمْسِكُ .

٣ - وفي حديثه عليه السلام :

إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا .

يُرِيدُ بِالْقُحْمِ الْمَهَالِكَ ، لِأَنَّهَا تُقْحِمُ أَصْحَابَهَا فِي الْمَهَالِكِ
وَالْمَتَالِفِ فِي الْأَكْثَرِ ، وَمِنْ ذَلِكَ « قُحْمَةُ الْأَعْرَابِ » وَهُوَ أَنْ
تُصِيبَهُمُ السَّنَةُ فَتَتَعَرَّقَ أَمْوَالُهُمْ^(١) فَذَلِكَ تَقْحُمُهَا فِيهِمْ . وَقِيلَ فِيهِ

(١) تتعرق أموالهم : من قولهم « تعرق فلان العظم » أي : أكل جميع ما عليه من
اللحم .

وَجْهَ آخِرٍ ، وَهُوَ أَنَّهَا تُقْجِمُهُمْ بِلَادِ الرَّيْفِ ، أَيْ تُخَوِّجُهُمْ إِلَى
دُخُولِ الْحَضَرِ عِنْدَ مُحُولِ الْبَدْوِ .

٤ - وفي حديثه عليه السلام :

إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصْبَةُ أُولَى .

والنص : مُنْتَهَى الْأَشْيَاءِ وَمَبْلَغُ أَقْصَاهَا كَالنَّصِّ فِي السَّيْرِ لِأَنَّهُ
أَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ الدَّابَّةُ . وَتَقُولُ : نَصَّصْتَ الرَّجُلَ عَنِ الْأَمْرِ ؛
إِذَا اسْتَقْصَيْتَ مَسْأَلَتَهُ عَنْهُ لِتُسْتَخْرِجَ مَا عِنْدَهُ فِيهِ . فَنَصَّ الْحِقَاقِ
يُرِيدُ بِهِ الْإِدْرَاكَ لِأَنَّهُ مُنْتَهَى الصَّغَرِ وَالْوَقْتُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ الصَّغِيرُ
إِلَى حَدِّ الْكَبِيرِ ، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكِنَايَاتِ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَأَغْرَبُهَا .
يقول : فَإِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ ذَلِكَ فَالْعَصْبَةُ أُولَى بِالْمَرْأَةِ مِنْ أُمِّهَا إِذَا كَانُوا
مَحْرَمًا مِثْلَ الْإِخْوَةِ وَالْأَعْمَامِ ، وَبَتَزْوِيجِهَا إِنْ أَرَادُوا ذَلِكَ وَالْحِقَاقِ
مُحَاقَّةُ الْأُمِّ لِلْعَصْبَةِ فِي الْمَرْأَةِ وَهُوَ الْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ وَقَوْلُ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ : « أَنَا أَحَقُّ مِنْكَ بِهَذَا » يُقَالُ مِنْهُ : حَاقَقْتُهُ
حِقَاقًا ، مِثْلَ جَادَلْتُهُ جِدَالًا . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ « نَصَّ الْحِقَاقِ » بُلُوغُ
الْعَقْلِ ، وَهُوَ الْإِدْرَاكُ ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا أَرَادَ مُنْتَهَى الْأَمْرِ
الَّذِي تَجِبُ فِيهِ الْحُقُوقُ وَالْأَحْكَامُ ، وَمَنْ رَوَاهُ « نَصَّ الْحَقَائِقِ »
فَإِنَّمَا أَرَادَ جَمْعَ حَقِيقَةٍ :

هَذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ
الْمُرَادَ بِنَصِّ الْحِقَاقِ هُنَا بُلُوغُ الْمَرْأَةِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يَجُوزُ فِيهِ
تَزْوِيجُهَا وَتَصَرُّفُهَا فِي حُقُوقِهَا ، تَشْبِيهَا بِالْحِقَاقِ مِنَ الْإِبِلِ ، وَهِيَ

جَمْعُ حَقَّةٍ وَحَقٍّ (١) وَهُوَ الَّذِي اسْتَكْمَلَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَدَخَلَ فِي الرَّابِعَةِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَبْلُغُ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يُتِمَّكُنُ فِيهِ مِنْ رُكُوبِ ظَهْرِهِ ، وَنَصِّهِ فِي السَّيْرِ ، وَالْحَقَائِقُ أَيْضاً : جَمْعُ حَقَّةٍ . فَالرَّوَايَتَانِ جَمِيعاً تَرْجِعَانِ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهَذَا أَشْبَهُ بِطَرِيقَةِ الْعَرَبِ مِنَ الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ .

٥ - وفي حديثه عليه السلام :

إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُمَظَةً فِي الْقَلْبِ كُلَّمَا آزَدَادَ الْإِيمَانُ آزَدَادَتِ اللَّمَظَةُ (٢) .

وَاللُّمَظَةُ مِثْلُ النُّكْتَةِ أَوْ نَحْوِهَا مِنَ الْبَيَاضِ . وَمِنْهُ قِيلَ : فَرَسٌ أَلْمَظٌ ، إِذَا كَانَ بِجَحْفَلَتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ (٣) .

٦ - وفي حديثه عليه السلام :

إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدِّينُ الظُّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ .

فَالظُّنُونُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ صَاحِبَهُ أَيْقُضِيهِ مِنَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا ، فَكَأَنَّهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ فَمَرَّةً يَرْجُوهُ وَمَرَّةً لَا يَرْجُوهُ . وَهَذَا مِنْ

(١) بكسر الحاء فيهما .

(٢) اللمظة : بضم اللام وسكون الميم .

(٣) الجحفلة - بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء الساكنة - للخيول والبغال والحمير بمنزلة الشفة للإنسان .

أَفْصَحَ الْكَلَامِ ؛ وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ وَلَا تَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظَنُّونٌ^(١) وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْأَعَشَى :

مَا يُجْعَلُ الْجُدُّ الظَّنُّونُ الَّذِي جُنِبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الْمَاطِرِ
مِثْلَ الْفَرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَأَ يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ وَالْمَاهِرِ
وَالْجُدُّ : الْبِشْرُ^(٢) الْعَادِيَّةُ فِي الصَّحَرَاءِ وَالظَّنُّونُ : الَّتِي لَا
يُعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ أَمْ لَا .

٧ - وفي حديثه عليه السلام :

أَنَّهُ شَيَعَ جَيْشًا يُغْزِيهِ فَقَالَ : أَعَذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ .

وَمَعْنَاهُ اصْدِفُوا عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ^(٣) وَشُغِلِ الْقَلْبُ بِهِنَّ ،
وَامْتَنِعُوا مِنَ الْمُقَارَبَةِ لَهُنَّ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَفُتُّ فِي عَضْدِ الْحِمِيَّةِ^(٤)
وَيَقْدَحُ فِي مَعَاقِدِ الْعَزِيمَةِ ، وَيَكْسِرُ عَنِ الْعَدُوِّ ، وَيَلْفُتُّ عَنِ الْإِبْعَادِ
فِي الْغَزْوِ ، وَكُلُّ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ أَعَذَبَ عَنْهُ . وَالْعَاذِبُ
وَالْعَذُوبُ الْمُمْتَنِعُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ .

٨ - وفي حديثه عليه السلام :

كَأَلْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ .

(١) هو بفتح الظاء .

(٢) الجد - بضم الجيم - وتقدم تفسير الأبيات في الخطبة الشقشقية فراجع .

(٣) اعذبوا واصدفوا بكسر عين الفعل : أي أعرضوا واتركوا .

(٤) الفت : الدق والكسر ، وفَت في ساعده - من باب نصر - أي : أضعفه كأنه كسره ،
ومعاقد العزيمة : مواضع انعقادها وهي القلوب ، وقَدَح فيها بمعنى خرقها كناية
عن أوهنها . والعدو - بفتح فسكون - : الجري ، و« يكسر عنه » أي : يقعد عنه .

الْيَاسِرُونَ : هُمُ الَّذِينَ يَتَضَارَبُونَ بِالْقِدَاحِ عَلَى الْجُزُورِ^(١) ،
وَالْفَالِجُ : الْقَاهِرُ وَالْغَالِبُ ، يُقَالُ : فَلَجَ عَلَيْهِمْ وَفَلَجَهُمْ ، وَقَالَ
الزَّاجِرُ :

(لما رأيت فالجاً قد فلجا)

٩ - وفي حديثه عليه السلام :

كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَاسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبُ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ .

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَظُمَ الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ وَاشْتَدَّ عِضَاضُ
الْحَرْبِ^(٢) فَزِعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، فَيُنْزِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ بِهِ ، وَيَأْمَنُونَ مِمَّا كَانُوا
يَخَافُونَهُ بِمَكَانِهِ .

وَقَوْلُهُ : « إِذَا أَحْمَرَ الْبَاسُ » كِنَايَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ ، وَقَدْ
قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ أَحْسَنُهَا : أَنَّهُ شَبَّهَ حُمَى الْحَرْبِ بِالنَّارِ الَّتِي
تَجْمَعُ الْحَرَارَةُ وَالْحُمَرَةُ بِفِعْلِهَا وَلَوْنُهَا ، وَمِمَّا يُقَوِّي ذَلِكَ قَوْلُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَأَى مُجْتَلِدَ النَّاسِ يَوْمَ
حُنَيْنٍ وَهِيَ حَرْبُ هَوَازِنَ : « الْآنَ حِمَى الْوَطِيسِ » فَالْوَطِيسُ :

(١) الجزور - بفتح الجيم - : الناقة المجزورة ، أي المنحورة . والمضاربة بالسهم :
المقامرة على النصيب من الناقة ، وفلج : من باب ضرب ونصر .

(٢) العِضَاضُ - بكسر العين - : أصله عض الفرس ، مجاز عن إهلاكها للمتحاربين .

مُسْتَوْقَدُ النَّارِ ، فَشَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا اسْتَحَرَّ
مِنْ جِلَادِ الْقَوْمِ بِاحْتِدَامِ النَّارِ وَشِدَّةِ التَّهَابِهَا .

انقضى هذا الفصل ، ورجعنا إلى سنن الغرض الأول من هذا الباب

٢٦١ - وقال عليه السلام : لَمَّا بَلَغَهُ إِغَارَةُ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ
عَلَى الْأَنْبَارِ ، فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ مَا شِئاً حَتَّى أَتَى النُّخَيْلَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ ،
وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ ، فَقَالَ : مَا تَكْفُونَنِي
أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ ؟ إِنْ كَانَتْ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو
حَيْفَ رُعَاتِهَا ، وَإِنِّي الْيَوْمَ لِأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي ، كَأَنِّي الْمَقُودُ
وَهُمْ أَلْقَادُهُ ، أَوْ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ أَلْوَزَعَةُ !

فَلَمَّا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْقَوْلَ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ قَدْ ذَكَرْنَا
مُخْتَارَهُ فِي جُمْلَةِ الْخُطَبِ ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ نُنْفِذَ لَهُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ^(١) ؟ .

٢٦٢ - وقيل إنَّ الْحَارِثَ بْنَ حُوتٍ أَتَاهُ فَقَالَ : أَتُرَانِي أَظُنُّ
أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ^(٢) ؟ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا حَارِثُ ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ

(١) أي : أين أنتما وما هي منزلتكما من الأمر الذي أريده وهو يحتاج إلى قوة عظيمة
فلا موقع لكما منه .

(٢) أتراني - بضم التاء، مبني للمجهول - أي أنظنني .

فَوَقَكَ فَحَرَّتْ^(١) ! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعِيدِ ابْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ .

٢٦٣ - وقال عليه السلام : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَائِبِ الْأَسَدِ : يُغْبِطُ بِمَوْقِعِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ^(٢) .

٢٦٤ - وقال عليه السلام : أَحْسِنُوا فِي عَقَبِ غَيْرِكُمْ تُحَفَظُوا فِي عَقَبِكُمْ .

٢٦٥ - وقال عليه السلام : إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً ، وَإِذَا كَانَ خَطأً كَانَ دَاءً .

٢٦٦ - وسأله رجل أن يعرفه الإيمان فقال عليه السلام : إِذَا كَانَ الْغَدُ فَأَتِنِي حَتَّى أَخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظْهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ يَنْقُفُهَا^(٣) هَذَا وَيُخْطِئُهَا هَذَا .

وَقَدْ ذَكَّرْنَا مَا أَجَابَهُ بِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ : « الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعٍ شُعَبٍ » .

(١) نظرت الخ : أي : أصاب ففكرك أدنى الرأي ولم يصب أعلاه ؛ و« حار » أي : تحير ، وأتى الحق : أخذ به .

(٢) يغبط - مبني للمجهول - أي : يغبطه الناس ويتمنون منزلته لعزته ، ولكنه أعلم بموضعه من الخوف والحذر ، فهو وإن أخاف بمركوبه إلا أنه يخشى أن يغتاله .

(٣) نطقه : ضربه ، أي يصببها واحد فيصيدها ، ويخطئها الآخر فتتفلت منه .

٢٦٧ - وقال عليه السلام : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ
الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمْرِكَ
يَأْتِ اللَّهَ فِيهِ بِرِزْقِكَ .

٢٦٨ - وقال عليه السلام : أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا ، عَسَى
أَنْ يَكُونَ بَغِضَكَ يَوْمًا مَا ، وَأَبْغَضُ بَغِضَكَ هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ
يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا .

٢٦٩ - وقال عليه السلام : النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ : عَامِلٌ
عَمِلَ فِي الدُّنْيَا ، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَخْشَى
عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنَفَعَةٍ
غَيْرِهِ ، وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا
بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعًا ، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَصْبَحَ
وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ^(١) ، لَا يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ .

٢٧٠ - وَرَوَى أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلِيُّ
الْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ ، فَقَالَ قَوْمٌ : لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ
كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ وَمَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةُ بِالْحَلِيِّ ؟ فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكَ ،
وَسَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ الْقُرْآنَ
أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ : أَمْوَالُ
الْمُسْلِمِينَ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ ، وَالْفَيْءِ فَقَسَمَهُ عَلَى

(١) « وجيهاً » أي : ذا منزلة عليّة من القرب إليه سبحانه .

مُسْتَحِقِّهِ ، وَالْخُمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ ، وَالصَّدَقَاتُ
فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا ، وَكَانَ حَلِي الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ ، فَتَرَكَهُ
اللَّهُ عَلَى حَالِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَانًا ، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَانًا^(١) ،
فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَوْلَاكَ لَا فَتَضَحْنَا ، وَتَرَكَ
الْحَلِي بِحَالِهِ .

٢٧١ - وَرَوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ
اللَّهِ : أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، وَالْآخَرُ مِنْ عُرُوضِ النَّاسِ^(٢) .
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَلَا حَدَّ عَلَيْهِ ، مَالُ
اللَّهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ فَقَطَعَ يَدَهُ .

٢٧٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ
الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ^(٣) .

٢٧٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ لَمْ
يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ - وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ ، وَقَوِيَتْ

(١) أي لم يكن مكان حلي الكعبة خافياً على الله فمكناً تميز نسبة الخفاء إلى الحلي .
(٢) أي إن السارقين كانا عبيدين أحدهما عبد لبيت المال والآخر عبد لأحد الناس ، من
عروضهم : جمع عرض - بفتح فسكون - وهو المتاع غير الذهب والفضة وكلاهما
سرق من بيت المال .

(٣) المداحض : المزلق ، يريد بها الفتن التي ثارت عليه ، ويقول : إنه لو ثبتت قدماه
في الأمر وتفرغ لغير أشياء من عادات الناس وأفكارهم التي تبعد عن الشرع
الصحيح :

مَكِيدَتُهُ - أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ^(١) ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ
الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ حِيلَتِهِ ، وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ
الْحَكِيمِ . وَالْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي
مَنْفَعَةٍ ، وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضَرَّةٍ ؛ وَرُبَّ
مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرِجٍ بِالنُّعْمَى ^(٢) ، وَرُبَّ مُبْتَلَى مَصْنُوعٍ لَهُ بِالْبَلَوَى ،
فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ^(٣) ، وَقِفْ عِنْدَ
مُنْتَهَى رِزْقِكَ .

٢٧٤ - وقال عليه السلام : لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا ،
وَيَقِينَكُمْ شَكًّا ^(٤) إِذَا عِلِمْتُمْ فَاغْمَلُوا ، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا .

٢٧٥ - وقال عليه السلام : إِنَّ الطَّمَعَ هُوْرِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ ^(٥) ،

(١) الذكر الحكيم : القرآن ، وليس لإنسان أن ينال من الكرامة عند الله فوق ما نص
عليه القرآن ، ولن يحول الله بين أحد وبين ما عين في القرآن وإن اشتد طلب الأول
وقويت مكيدته الخ ، وضعف حال الثاني ؛ فكل مكلف مستطيع أن يؤدي ما فرض
الله في كتابه وينال الكرامة المحمودة له ، وقد يراد من الذكر الحكيم علم الله ،
أي : ما قدر لك فلن تعدوه ولن تقصر عنه .

(٢) أي : لا يغتر المنعم عليه بالنعمة فربما تكون استدراجاً من الله له يمتحن بها قلبه
ثم يأخذه من حيث لا يشعر ، ولا يقنط مبتلى فقد تكون البلوى صنعة من الله له
يرفع بها منزلته عنده .

(٣) أي : قصر من العجلة في طلب الدنيا .

(٤) من لم يظهر أثر علمه في عمله فكأنه جاهل وعلمه لم يزد على الجهل ؛ ومن لم
يظهر أثر يقينه في عزيمته وفعله فكأنه شاك متردد ؛ إذ لو صبح اليقين ما مرض
العزم .

(٥) أي : من ورده هلك فيه ، ولم يصدر عنه .

وَصَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ ، وَرُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ ^(١) ، وَكُلَّمَا
عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرِّزْيَةُ لِفَقْدِهِ ، وَالْأَمَانِيُّ
تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ .

٢٧٦ - وقال عليه السلام : اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ اَنْ
تُحَسِّنَ فِيْ لَامِعَةِ الْعُيُوْنِ عَلَانِيَتِيْ ، وَتُقَبِّحَ فِيْمَا اُبْطِنُ لَكَ سِرِّيْرَتِيْ ،
مُحَافِظًا عَلٰى رِثَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِيْ بِجَمِيْعِ مَا اَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ
مِنِّيْ ، فَاقْبِدِيْ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِيْ ، وَاُقْضِيْ اِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِيْ ،
تَقَرُّبًا اِلَى عِبَادِكَ ، وَتَبَاعُداً مِنْ مَرَضَاتِكَ .

٢٧٧ - وقال عليه السلام : لَا وَالَّذِيْ اُمْسَيْنَا مِنْهُ فِيْ غُبَرِ لَيْلَةٍ
دَهْمَاءٌ ، تَكْثِرُ عَنْ يَوْمٍ اَغْرَمَ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا .

٢٧٨ - وقال عليه السلام : قَلِيْلٌ تَدُوْمُ عَلَيْهِ اَرْجٰى مِنْ كَثِيْرٍ
تَمْلُوْلٍ مِنْهُ .

٢٧٩ - وقال عليه السلام : اِذَا اَضْرَبْتَ النَّوَافِلَ بِالْفَرَائِضِ
فَارْفُضُوْهَا .

٢٨٠ - وقال عليه السلام : مَنْ تَذَكَّرَ بَعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ .

٢٨١ - وقال عليه السلام : لَيْسَتْ الرُّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ

(١) شرق - كتعب - أي : غص ، تمثيل لحالة الطامع بحال الظمآن : فربما يشرق
بالماء عند الشرب قبل أن يرتوي به ، وربما هلك الطامع في الطلب قبل الانتفاع
بالمطلوب .

الْإِبْصَارِ ، فَقَدْ تَكْذِبُ أَلْعُيُونُ أَهْلَهَا ، وَلَا يَغْشُ الْعَقْلُ مَنْ
أَسْتَنْصَحَهُ .

٢٨٢ - وقال عليه السلام : بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنْ
الْغِرَّةِ^(١) .

٢٨٣ - وقال عليه السلام : جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ ، وَعَالِمُكُمْ
مُسَوِّفٌ^(٢) .

٢٨٤ - وقال عليه السلام : قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ .

٢٨٥ - وقال عليه السلام : كُلُّ مُعَاجِلٍ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ ، وَكُلُّ
مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ^(٣) .

٢٨٦ - وقال عليه السلام : مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ « طَوْبَى لَهُ »
إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سُوءٍ .

٢٨٧ - وسئل عن القدر فقال : طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ ،
وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلْجُوهُ ، وَسِرٌّ أَلَّهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ^(٤) .

(١) الغرة - بالكسر - الغفلة .

(٢) أي : جاهلكم يغالي ويزداد في العمل على غير بصيرة ، وعالمكم يسوف بعمله -
أي : يؤخره عن أوقاته - ويشتت الحال هذه .

(٣) « كل » بالتنوين في الموضعين - مبتدأ خبره « معاجل » بفتح الجيم - في الأولى ،
و « مؤجل » بفتح كذا في الثاني ؛ أي : كل واحد من الناس يستعجله أجله ولكنه
يطلب الأنظار - أي : التأخير - وكل منهم قد أجل الله عمره وهو لا يعمل تعللاً
بتأخير الأجل والفسحة في مدته وتمكنه من تدارك الفائت في المستقبل .

(٤) فليعمل كل عمله المفروض عليه ، ولا يتكل في الأعمال على القدر .

٢٨٨ - وقال عليه السلام : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ

الْعِلْمَ .

٢٨٩ - وقال عليه السلام : كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي

اللَّهِ ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَانَ خَارِجًا
مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ؛ وَكَانَ
أَكْثَرَ ذَهْرِهِ صَامِتًا ، فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ ؛ وَكَانَ
ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا ؟ فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غَابٍ وَصِلٌ وَادٍ ، لَا
يُذِلِّي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا ؛ وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَجِدُ
الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ ؛ وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ
بُرْئِهِ ؛ وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ ، وَكَانَ إِذَا غَلَبَ
عَلَى الْكَلَامِ لَا يُغْلَبُ عَلَى السُّكُوتِ ، وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ
أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا بَدَّهَ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ
إِلَى الْهَوَى فَيَخَالِفُهُ ، فَعَلَيْكُمْ بِهِذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزُمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا ،
فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخَذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ .

٢٩٠ - وقال عليه السلام : لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ^(١)

لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعْصَى شُكْرًا لِنِعْمِهِ .

٢٩١ - وقال عليه السلام : وقد عَزَى الأشعث بن قيس عن

ابن له :

(١) التوعد : الوعيد . أي : لو لم يوعد على معصيته بالعقاب .

يَا أَشْعَثُ ، إِنَّ تَحْزَنَ عَلَى ابْنِكَ فَقَدْ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ
الرَّحِمُ ، وَإِنْ تَصْبِرْ فِيَّ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفْتُ . يَا أَشْعَثُ ،
إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَى
عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ^(١) ، يَا أَشْعَثُ ابْنُكَ سَرَكٌ وَهُوَ بَلَاءٌ
وَفِتْنَةٌ^(٢) وَحَزَنَكَ وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ .

٢٩٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً دُفِنَ :
إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ ،
وَإِنَّ الْمَصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ^(٣) .

٢٩٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ^(٤) فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ
لَكَ فِعْلَهُ ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ .

٢٩٤ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَسِيرَةٌ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ .

٢٩٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ، وَأَعْدَاؤُكَ

(١) أي : مقترف للوزر ، وهو الذنب .

(٢) « سرك » أي أكسبك سروراً ، وذلك عند ولادته ، وهو إذ ذاك بلاء بتكاليف تربيته ،
وفتنة بشاغل محبته ، وحزنك : أكسبك الحزن . وذلك عند الموت .

(٣) أي : إن المصائب قبل مصيبتك وبعدها هينة حقيرة ، والجلل - بالتحريك - الهين
الصغير . وقد يطلق على العظيم ، وليس مراداً هنا .

(٤) المائق : الأحمق .

ثَلَاثَةٌ ، فَأَصْدِقَاؤُكَ صَدِيقُكَ ، وَصَدِيقُكَ صَدِيقُكَ ، وَعَدُوُّكَ عَدُوُّكَ .
وَأَعْدَاؤُكَ : عَدُوُّكَ ، وَعَدُوُّكَ صَدِيقُكَ ، وَصَدِيقُكَ عَدُوُّكَ .

٢٩٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلٍ رَأَاهُ يَسْعَى عَلَى عَدُوِّ لَهُ بِمَا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رَدْفَهُ^(١) .

٢٩٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقْلَّ الْإِعْتِبَارَ !

٢٩٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ ، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظَلِمَ^(٢) ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ .

٢٩٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أَهْمَنِي ذَنْبُ أُمِّهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ^(٣) وَأَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

٣٠٠ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثَرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثَرَتِهِمْ ، فَقِيلَ : كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرُونَهُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرُونَهُ .

٣٠١ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ !

(١) الردف - بالكسر - : الراكب خلف الراكب .

(٢) قد يصيب الظلم من يقف عند حقه في المخاصمة فيحتاج للمبالغة حتى يرد إلى الحق ، وفي ذلك إثم الباطل ، وإن كان لنيل الحق .

(٣) كان إذا كسب ذنباً فأحزنه وأعطى مهلة من الأجل بعده صلى ركعتين تحقيقاً للتوبة .

٣٠٢ - وقال عليه السلام : مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدْ أَشْتَدَّ بِهِ
الْبَلَاءُ بِأَحْوَجَ إِلَيَّ الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءُ!

٣٠٣ - وقال عليه السلام : النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا ، وَلَا يُلَامُ
الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ .

٣٠٤ - وقال عليه السلام : إِنَّ الْمُسْكِينَ رَسُولُ اللَّهِ (١) فَمَنْ
مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللَّهَ .

٣٠٥ - وقال عليه السلام : مَا زَنَى غَيْرُ قَطُّ .

٣٠٦ - وقال عليه السلام : كَفَى بِالْأَجْلِ حَارِسًا .

٣٠٧ - وقال عليه السلام : يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكُلِ وَلَا يَنَامُ
عَلَى الْحَرْبِ .

قال الرضي : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى قَتْلِ الْأَوْلَادِ وَلَا
يَصْبِرُ عَلَى سَلْبِ الْأَمْوَالِ .

٣٠٨ - وقال عليه السلام : مَوَدَّةُ آبَاءٍ قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ ،
وَالْقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ .

٣٠٩ - وقال عليه السلام : اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ .

٣١٠ - وقال عليه السلام : لَا يَصْدُقُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى

(١) لأن الله هو الذي حرمه الرزق فكأنه أرسله إلى الغني ليمتحنه به .

يَكُونُ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ .

٣١١ - وقال عليه السلام : لَأَنْسَ بِنِ مَالِكٍ ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَهُ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ لَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَصْرَةِ يُذَكِّرُهُمَا شَيْئاً مِمَّا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَعْنَاهُمَا ، فَلَوَى عَنْ ذَلِكَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ إِنِّي أَنْسَيْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرْبَكَ اللَّهُ بِهَا بَيِّضَاءَ لَامِعَةٍ لَا تُوَارِيهَا أَلْعِمَامَةُ .

قال الرضي : يَعْنِي الْبَرَصَ ، فَأَصَابَ أَنْسَاءَ هَذَا الدَّاءِ فِيمَا بَعْدُ فِي وَجْهِهِ فَكَانَ لَا يُرَى إِلَّا مُبَرَّقَعاً .

٣١٢ - وقال عليه السلام : إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً^(١) : فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ .

٣١٣ - وقال عليه السلام : وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ^(٢) .

٣١٤ - وقال عليه السلام : رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَإِنَّ

(١) إقبال القلوب: رغبتها في العمل، وإدبارها: مللها منه.

(٢) «نبأ ما قبلنا» أي: خبرهم في قصص القرآن، و«نبأ ما بعدنا» الخبر عن مصير أمورهم، وهو يعلم من سنة الله فيمن قبلنا، و«حكم ما بيننا» في الأحكام التي نص عليها.

الشَّرُّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ^(١) .

٣١٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكَاتِبِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ :
أَلَّتِي دَوَاتَكَ ، وَأَطْلَ جِلْفَةَ قَلَمِكَ^(٢) ، وَفَرَجَ بَيْنَ السُّطُورِ ، وَقَرِمَطُ
بَيْنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ .

٣١٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَالُ
يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ .

قال الرضي : ومعنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني والفجار
يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها ، وهورئيسها .

٣١٧ - وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ : مَا دَفَنْتُمْ نَبِيِّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ
فِيهِ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ ، وَلَكِنَّكُمْ مَا
جَفْتُمْ أَرْجُلَكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ : ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ فَقَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ .

٣١٨ - وَقِيلَ لَهُ : بَأَيِّ شَيْءٍ غَلَبْتَ الْأَقْرَانَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : مَا لَقِيتُ رَجُلًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ .

قال الرضي : يومىء بذلك إلى تمكن هيئته في القلوب .

(١) رد الحجر: كناية عن مقابلة الشر بالدفع على فاعله ليرتدع عنه ، وهذا إذا لم
يمكن دفعه بالأحسن .

(٢) جلفة القلم - بكسر الجيم - : ما بين مبراه وسنته ، والاقية الدواة : وضع اللقطة
فيها ، والقرمطة بين الحروف : المقاربة بينها وتضييق فواصلها .

٣١٩ - وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية : يَا بُنَيَّ ،
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ
مَذْهَبَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ .

٣٢٠ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ مَعْضِلَةٍ : سَلْ
تَفْقُهَا ، وَلَا تَسَلْ تَعْتُتًا ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهُ بِالْعَالِمِ ، وَإِنَّ
الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهُ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَتِّتِ .

٣٢١ - وقال عليه السلام لعبدالله بن العباس ، وَقَدْ أَشَارَ
عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ : لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَارَى ، فَإِنْ
عَصَيْتَكَ فَأَطْعِنِي (١) .

٣٢٢ - وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِمًا مِنْ
صِفِّينَ مَرَّ بِالشَّبَامِيِّينَ (٢) فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ صِفِّينَ وَخَرَجَ
إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شُرَحْبِيلَ الشَّبَامِيُّ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ فَقَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ لَهُ : أَتَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ (٣) ؟ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ
هَذَا الرَّنِينِ . وَأَقْبَلَ حَرْبٌ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ فَقَالَ

(١) وذلك عندما أشار عليه أن يكتب لابن طلحة بولاية البصرة، ولابن الزبير بولاية الكوفة ، ولمعاوية بإقراره في ولاية الشام حتى تسكن القلوب وتتم بيعة الناس وتلقى الخلافة بوانبائها ، فقال أمير المؤمنين : لا أفسد ديني بِدُنْيَا غَيْرِي ، ولك أن تشير الخ .

(٢) شبام - ككتاب - اسم حي .

(٣) على ما أسمع ، أي : البكاء ، وتغلبكم عليه أي : يأتيه قهراً عنكم ، والرنين : صوت البكاء .

عليه السلام : أَرْجِعْ فَإِنَّ مَشْيِي مِثْلَكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ
لِلْمُؤْمِنِ^(١) .

٣٢٣ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ
النَّهْرَوَانِ : بُؤْسًا لَكُمْ ، لَقَدْ ضَرَكُكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ ، فَقِيلَ لَهُ : مَنْ
غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ
بِالسُّوءِ ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمْ
الْإِظْهَارَ فَأَقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ .

٣٢٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي
الْخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ .

٣٢٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ :
إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَضُوا بَغِيضًا
وَنَقَضْنَا حَبِيبًا .

٣٢٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْعُمْرُ الَّذِي أَعْدَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَيَّ
أَبْنِ آدَمَ سِتُونَ سَنَةً .

٣٢٧ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمِ بِهِ ،
وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ .

٣٢٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ

(١) أي : مشيك وأنت من وجوه القوم معي وأنا راكب فتنة للحاكم تنفخ فيه روح
الكبر ، ومذلة ، أي موجبة لذل المؤمن ، ينزلونه منزلة العبد والخادم .

الْأَغْنِيَاءَ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ : فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ .

٣٢٩ - وقال عليه السلام : الْإِسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصَّدَقِ بِهِ .

٣٣٠ - وقال عليه السلام : أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ أَنْ لَا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ .

٣٣١ - وقال عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجْزَةِ^(١) .

٣٣٢ - وقال عليه السلام : السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ^(٢) .

٣٣٣ - وقال عليه السلام في صفة المؤمن : الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ^(٣) وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْرًا ، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْسًا^(٤) ، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ ، طَوِيلُ عُمُهُ ، بَعِيدُ هَمُّهُ ،

(١) العجزة : جمع عاجز ، وهم المقصرون في أعمالهم لغلبة شهواتهم على عقولهم ، والأكياس : جمع كيس ، وهم العقلاء ، فإذا منع الضعيف إحسانه على فقير مثلاً كان ذلك غنيمة للعاقل في الإحسان إليه ، وعلى ذلك بقية الأعمال الخيرية .

(٢) الوزعة - بالتحريك - : جمع وازع ، وهو الحاكم يمنع من مخالفة الشريعة ، والأخبار بالجمع لأن آل في السلطان للجنس .

(٣) البشر - بالكسر - : البشاشة والطلاقة ، أي : لا يظهر عليه إلا السرور وإن كان في قلبه حزناً ، كناية عن الصبر والتحمل .

(٤) ذل نفسه لعظمة ربه وللمتضعين من خلقه ، وللحق إذا جرى عليه ، وكراهته =

كَثِيرٌ صَمْتُهُ ، مَشْغُولٌ وَقْتُهِ ، شَكُورٌ صَبُورٌ ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ (١) ،
ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ (٢) ، سَهْلٌ الْخَلِيقَةِ لَيْنٌ الْعَرِيكَةِ ، نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ
الصِّلْدِ وَهُوَ أَذْلُ مِنَ الْعَبْدِ .

٣٣٤ - وقال عليه السلام : لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ
لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ .

٣٣٥ - وقال عليه السلام : لِكُلِّ أَمْرٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ :
الْوَارِثُ ، وَالْحَوَادِثُ .

٣٣٦ - وقال عليه السلام : الْمَسْئُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ .

٣٣٧ - وقال عليه السلام : الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا
وَتَرٍ .

٣٣٨ - وقال عليه السلام : الْعِلْمُ عِلْمَانِ : مَطْبُوعٌ
وَمَسْمُوعٌ ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ .

٣٣٩ - وقال عليه السلام : صَوَابُ الرَّأْيِ بِالذُّوْلِ : يُقْبَلُ
بِاقْبَالِهَا ، وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا .

= للرفعة : بغضه للتكبر على الضعفاء ، ولا يحب أن يسمع أحد بما يعمل لله فهو
يشنأ - أي : يبغض - السمعة ، وطول غمه خوفاً مما بعد الموت ، وبعد همه لأنه
لا يطلب إلا معالي الأمور .

(١) «مغمور» أي : غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه وملته .

(٢) الخلة - بالفتح - الحاجة . أي : بخيل باظهار فقره للناس ، والخليقة : الطبيعة ،
والعريكة : النفس .

٣٤٠ - وقال عليه السلام : أَلْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ

زِينَةُ الْغِنَى .

٣٤١ - وقال عليه السلام : يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ

مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ !

٣٤٢ - وقال عليه السلام : الْغِنَى الْأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا فِي

أَيْدِي النَّاسِ .

٣٤٣ - وقال عليه السلام : الْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ ، وَالسَّرَائِرُ

مَبْلُوءَةٌ^(١) ، وَ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ وَالنَّاسُ مَنْقُوصُونَ

مَذْخُولُونَ^(٢) إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ : سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ ، وَمُجِيبُهُمْ

مُتَكَلِّفٌ ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْيًا يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرُّضَا

وَالسُّخْطُ^(٣) ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُدُوًّا تَنْكُوهُ اللَّحْظَةُ ، وَتَسْتَحِيلُهُ

الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ^(٤) ! .

(١) بلاها الله واختبرها وعلمها ؛ يريد أن ظاهر الأعمال وخفيها معلوم لله ، والأنفس مرهونة بأعمالها : فإن كانت خيراً خلصتها ، وإن كانت شراً حبستها .

(٢) المدخول : المغشوش ، مصاب بالدخل - بالتحريك وهو مرض العقل والقلب ، والمنقوص : المأخوذ عن رشده وكماله ، كأنه نقص منه بعض جواهره .

(٣) لو كان فيهم ذو رأي غلب على رأيه رضاه وسخطه : فإذا رضي حكم لمن استرضاه بغير حق ، وإذا سخط حكم على من أسخطه بباطل .

(٤) أصْلَبُهُمْ عُدُوًّا : أشدهم بدينهم تمسكاً ، واللحظة : النظرة إلى مشتهى ، وتَنْكُوهُ - كَتَمْنَعُهُ - أي : تسيل جرحه وتأخذ بقلبه ، وتستحيله : تحوله عما هو عليه ، أي : نظرة إلى مرغوب تجذبه إلى مواقععة الشهوة ، وكلمة من عظيم تميله إلى موافقة الباطل .

٣٤٤ - وقال عليه السلام : مَعَاشِرَ النَّاسِ ، اتَّقُوا اللَّهَ فَكُمْ
مِنْ مُؤْمِلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ ، وَبَانٍ مَا لَا يَسْكُنُهُ ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ
يُتْرَكُهُ ، وَلَعْلَهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ : أَصَابَهُ حَرَامًا ،
وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا ، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ آسِفًا لَاهِفًا ، قَدْ
خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

٣٤٥ - وقال عليه السلام : مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي (١) .

٣٤٦ - وقال عليه السلام : مَاءٌ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ
السُّؤَالُ ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ .

٣٤٧ - وقال عليه السلام : الثَّنَاءُ بِأَكْثَرٍ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ
مَلَقَ (٢) ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ .

٣٤٨ - وقال عليه السلام : أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ
صَاحِبُهُ .

٣٤٩ - وقال عليه السلام : مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ
عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ؛ وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ ،
وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ (٣) ، وَمَنْ
اِفْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاحِلَ الشُّوْءِ أَثَمَ ، وَمَنْ كَثُرَ

(١) هو من قبيل قولهم « إن من العصمة ألا تجد » وروى حديثاً .

(٢) ملق - بالتحريك - : تملق ، والعي - بالكسر - : العجز .

(٣) كابدها : قاساها بلا إعداد أسبابها ، فكأنه يحاذيها وتطارده .

كَلَامُهُ كَثَرَ خَطْوُهُ ، وَمَنْ كَثَرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ . وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ (١) . وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْينُهُ .

٣٥٠ - وقال عليه السلام : لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ : يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ (٢) ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلْبَةِ ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ .

٣٥١ - وقال عليه السلام : عِنْدَ تَنَاهِي الشَّدَّةِ تَكُونُ الْفُرْجَةُ ، وَعِنْدَ تَضَائِقِ حَلْقِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرِّخَاءُ .

٣٥٢ - وقال عليه السلام لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ : فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فَمَا هُمْكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ ؟ !

٣٥٣ - وقال عليه السلام : أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلَهُ .

(١) لأنه أقام الحجة لغيره على نفسه ، ورضي برجوع عيبه على ذاته .

(٢) معصية أوامره ونواهيه ، أو خروجه عليه ورفضه لسلطته ، وذلك ظلم ؛ لأنه عدوان على الحق ، والغلبة : القهر ، و « يظاهر » أي : يعاون ، والظلمة : جمع ظالم .

٣٥٤ - وَهَذَا بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا بَغْلَامٍ وَلِدَ لَهُ فَقَالَ لَهُ :
لِيُهْنِكَ الْفَارِسُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ قُلْ
شَكَرْتُ الْوَاهِبَ ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَرَزَقَتْ
بِرَّهُ .

٣٥٥ - وَبَنَى رَجُلٌ مِنْ عَمَالِهِ بِنَاءً فَخْمًا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
أُطْلِعَتِ الْوَرِقُ رُؤُوسَهَا إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى .

٣٥٦ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتِهِ
وَتُرِكَ فِيهِ مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مِنْ حَيْثُ
يَأْتِيهِ أَجَلُهُ .

٣٥٧ - وَعَزَّى قَوْمًا عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ ، وَلَا إِلَيْكُمْ أَنْتَهَى ؛ وَقَدْ كَانَ
صَاحِبُكُمْ يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا
قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ .

٣٥٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لِيَرْكُمُ اللَّهُ مِنْ
النُّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النُّقْمَةِ فَرِيقِينَ ! إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي
ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا فَقَدْ آمَنَ مَخُوفًا ، وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ
فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَارًا فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولًا .

٣٥٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَسْرَى الرِّغْبَةِ اقْصِرُوا (١) فَإِنَّ

(١) أسرى : جمع أسير ، والرغبة : الطمع ، وأقصروا : كفوا .

الْمُعَرَّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ ^(١) .
أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا ، وَأَعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ
عَادَاتِهَا ^(٢) .

٣٦٠ - وقال عليه السلام : لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ
سُوءاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً .

٣٦١ - وقال عليه السلام : إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ ،
سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ ، فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يُسْأَلَ
حَاجَتَيْنِ ^(٣) فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى .

٣٦٢ - وقال عليه السلام : مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَلْيَدَعْ
الْمِرَاءَ ^(٤) .

٣٦٣ - وقال عليه السلام : مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجِلَةِ قَبْلَ
الْإِمْكَانِ وَالْأَنَاءِ بَعْدَ الْفُرْصَةِ .

(١) المعرج : المائل إليها أو المعول عليها أو المقيم بها ، ويروعه : يفزعه والصريف :
صوت الأسنان ونحوها عند الاصطكاك . والحدثان - بالكسر - النوايب .

(٢) الضراوة : اللهج بالشياء والولوع به ، كفوا أنفسكم عن اتباع ما تدفع إليه عاداتها .

(٣) الحاجتان : الصلاة على النبي وحاجتك ، والأولى مقبولة مجابة قطعاً .

(٤) ضن : بخل ، والمراء : الجدال في غير حق ، وفي تركه صون للعرض عن
الطعن .

٣٦٤ - وقال عليه السلام : لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَا يَكُونُ فِيهِ الَّذِي
قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ .

٣٦٥ - وقال عليه السلام : الْفِكْرُ مِرَآةٌ صَافِيَةٌ ، وَالْإِعْتِبَارُ
مُنْدِرٌ نَاصِحٌ وَكَفَى أَدَبًا لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهَتْهُ لِغَيْرِكَ .

٣٦٦ - وقال عليه السلام : الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ : فَمَنْ
عَلِمَ عَمِلَ ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ : فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا آرْتَحَلَ عَنْهُ .

٣٦٧ - وقال عليه السلام : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ
مُوبِىءٌ فَتَجَنَّبُوا مَرَعَاهُ ! قُلْعَتُهَا أَحْطَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا ؛ وَبُلْغَتُهَا أَرْكَى
مِنْ ثُرَوَتِهَا . حُكِمَ عَلَى مُكْثِرِ بِهَا بِالْفَاقَةِ ، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا
بِالرَّاحَةِ . وَمَنْ رَاقَهُ زَبْرُجُهَا أَعْقَبَتْ نَاطِرِيهِ كَمَهَا ، وَمَنْ آسَتْشَعَرَ
الشَّغَفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَانًا ، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَى سُودَاءِ قَلْبِهِ
هَمٌّ يَشْغَلُهُ ، وَهَمٌّ يَحْزُنُهُ ، كَذَلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِعَظْمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ
مُنْقَطِعًا أَبْهَرَاهُ ، هَيِّنًا عَلَى اللَّهِ فَنَآؤُهُ ، وَعَلَى الْإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ ؛
وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ
الِإِضْطِرَارِ ، وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالْإِبْغَاضِ ، إِنْ قِيلَ أَتَرَى
قِيلَ أَكْذَى ! وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ ! هَذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ
يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ .

٣٦٨ - وقال عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ
عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، زِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ

وَحَيَاةَ لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ .

٣٦٩ - وقال عليه السلام : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَسْمُهُ ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ غَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى ، سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا شُرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ : مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ ، يَرُدُّونَ مَنْ شَدَّ عَنْهَا فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : فِيِّي حَلَفْتُ لِأُبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلِيكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ وَقَدْ فَعَلَ ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ .

٣٧٠ - وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا اعْتَدَلَ بِهِ الْمَنْبَرُ إِلَّا قَالَ أَمَامَ الْخُطْبَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ أَمْرٌ عَبَثًا فَيُلْهَوُ ؛ وَلَا تُرِكَ سُدًى فَيُلْغَوُ ! وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلْفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ ؛ وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَأَلَاخِرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهُمَتِهِ^(١) .

٣٧١ - وقال عليه السلام : لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ؛ وَلَا عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ اتَّقَايَ ؛ وَلَا مَعْقِلٌ أَحْسَنُ مِنَ الْوَرَعِ ؛ وَلَا شَفِيعٌ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ ؛ وَلَا كَنْزٌ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ ، وَلَا مَالٌ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوتِ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ أَنْتَظَمَ

(١) السهمة - بالضم - : النصيب ، وأدنى حظ من الآخرة أفضل من أعلاه في الدنيا ، والفرق بين الباقي والفاني - وإن كان الأول قليلاً والثاني كثيراً - لا يخفى .

الرَّاحَةُ^(١) وَتَبَوُّاً خَفَضَ الدَّعَةَ . وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ^(٢) وَمَطِيَّةُ
التَّعَبِ ، وَالْحِرْصُ وَالْكِبَرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي
الذُّنُوبِ ، وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِي الْعُيُوبِ .

٣٧٢ - وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري : يَا
جَابِرُ ، قِوَامُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ : عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ ،
وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ ، وَفَقِيرٍ لَا
يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ ، فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ
يَتَعَلَّمَ^(٣) ، وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ^(٤) .

يَا جَابِرُ ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ
إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرْضَهَا لِلدَّوَامِ
وَالْبَقَاءِ^(٥) ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرْضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ .

٣٧٣ - وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهِ - وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ لِقِتَالِ الْحَجَّاجِ
مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ - أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَخُصُّ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ :
إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ :

(١) من قولك « انتظمه بالرمح » أي : أنفذه فيه كأنه ظفر بالراحة وتبوا نزل الخفض -

أي : السعة - والدعة - بالتحريك - كالخفض ، والإضافة على حد « كرى النوم » .

(٢) الرغبة : الطمع ، والنصب - بالتحريك - : أشد التعب .

(٣) لاستواء العلم والجهل في نظره .

(٤) لأنه يضطر للخيانة أو الكذب حتى ينال بهما من الغنى شيئاً .

(٥) « عرضها » أي : جعلها عرضة ، أي : نصبها له .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَّنَا يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَرًا يُدْعَى
إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِيَ^(١) ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ
وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى ،
وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ .

٣٧٤ - وفي كلامٍ آخَرَ لَهُ يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى : فَمِنْهُمْ
الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ ،
وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ
مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً ؛ وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ
بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ
وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ^(٢) ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِانْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ
فَذَلِكَ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءِ . وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنْفَثَةٌ فِي بَحْرِ
لُجِّي^(٣) ، وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ
أَجَلٍ ، وَلَا يُنْقِصَانِ مِنْ رِزْقٍ ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلِ
عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ .

(١) برىء من الإثم وسلم من العقاب ، إن كان عاجزاً .

(٢) « أشرف الخصلتين » : من إضافة الصفة للموصوف ، أي الخصلتين الفائقتين في
الشرف عن الثالثة ، وليس من قبيل إضافة اسم التفضيل إلى متعدد .

(٣) النفثة كالنفحة : يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ .

٣٧٥ - وعن أبي جحيفة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : **أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ^(١) عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا قَلْبَ فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ .**

٣٧٦ - وقال عليه السلام : **إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِئْسَ^(٢) .**

٣٧٧ - وقال عليه السلام : **لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ وَلَا تَيَاسَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ^(٣) لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .**

٣٧٨ - وقال عليه السلام : **الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِيءِ الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ .**

٣٧٩ - وقال عليه السلام : **الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُوتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ**

(١) تغلبون عليه : بمعنى يحدث اثرأ شديداً عليكم إذا قمتم به .

(٢) مريء : من « مرأ الطعام » - مثلثة الراء - مراة ، فهو مريء ، أي : هنيئ حميد العاقبة ، والحق وإن ثقل إلا أنه حميد العاقبة ، والباطل وإن خف فهو وبئس وخيم العاقبة ؛ وتقول : أرض وبئس ، أي : كثيرة الوباء وهو المرض العام .

(٣) روح الله - بالفتح - : رحمته .

السَّنَةُ مِنْ عُمْرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِهِمْ لِمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى
رِزْقِكَ طَالِبٌ ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ ، وَلَنْ يُطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ
قُدِّرَ لَكَ .

قال الرضي : وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا
الْبَابِ ، إِلَّا أَنَّهُ هَهُنَا أَوْضَحُ وَأَشْرَحُ ، فَلِذَلِكَ كَرَّرْنَاهُ عَلَى الْقَاعِدَةِ
الْمُقَرَّرَةِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ .

٣٨٠ - وقال عليه السلام : رَبُّ مُسْتَقْبِلِ يَوْمٍ لَيْسَ
بِمُسْتَدْبِرِهِ ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ^(١) .

٣٨١ - وقال عليه السلام : الْكَلَامُ فِي وِثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ
بِهِ^(٢) ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ ، فَاخْزَنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزَنْ
ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً .

٣٨٢ - وقال عليه السلام . لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ
مَا تَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(١) ربما يستقبل شخص يوماً فيموت ، ولا يستدبره ، أي : لا يعيش بعده فيخلفه وراءه .
والمغبوط : المنظور إلى نعمته ، وقد يكون المرء كذلك في أول الليل فيموت في
آخره فتقوم بواكيه : جمع باكية .

(٢) الوثائق - كسحاب - : ما يشد به ويربط ، أي : أنت مالك لكلامك قبل أن يصدر
عنه ، فإذا تكلمت به صرت مملوكاً له ؛ فأما نفعك أو ضررك ، وخرن - كنصر - :
حفظ ومنع الغير من الوصول إلى مخزونه ، والورق - بفتح فكسر - الفضة .

٣٨٣ - وقال عليه السلام : إِحْذَرُ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ (١) فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَإِذَا قَوَيْتَ فَاقْوِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَإِذَا ضَعُفَتْ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

٣٨٤ - وقال عليه السلام : الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ (٢) وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالشَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ عَجْزٌ .

٣٨٥ - وقال عليه السلام : مَنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصِي إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

٣٨٦ - وقال عليه السلام : مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضُهُ (٣) .

٣٨٧ - وقال عليه السلام : مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ (٤) ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مُحَقُّورٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ

(١) فقدته يفقده ؛ أي : عدمه فلم يجده ، والكلام من الكناية : أي : إن الله يراك في الحالين فاحذر أن تعصيه ولا تطيعه .

(٢) تعاین من الدنيا تقلباً وتحولاً لا ينقطع ولا يختص بخير ولا شر ، فالثقة بها عمى عما تشاهد منها ، والغبن - بالفتح - الخسارة الفاحشة ، وعند اليقين بشواب الله لا خسارة أفحش من الحرمان بالتقصير في العمل مع القدرة عليه .

(٣) أي : إن الذي يطلب ويعمل لما يطلبه ويدوم على ذلك لا بد أن يناله أو ينال بعضاً منه .

(٤) « ما » استفهامية إنكارية ؛ أي : لا خير فيما يسميه أهل الشهوة خيراً : من الكسب بغير الحق ، والتغلب بغير شرع ، حيث إن وراء ذلك النار . ولا شر فيما يدعوه الجهلة شراً : من الفقر ، أو الحرمان مع الوقوف عند الاستقامة ، فوراء ذلك جنة ، والمحقر : الحقير المحقر .

دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ .

٣٨٨ - وقال عليه السلام : أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ ؛ وَأَشَدُّ
مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ ؛ وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ ؛
أَلَا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ
الْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ .

٣٨٩ - وقال عليه السلام : مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ
نَسَبُهُ . وفي رواية أُخْرَى : مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعَهُ حَسَبُ
آبَائِهِ .

٣٩٠ - وقال عليه السلام : لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ : فَسَاعَةٌ
يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يَرْمُ مَعَاشَهُ^(١) ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ
وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ ، وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصًا إِلَّا
فِي ثَلَاثٍ : مَرْمَةٍ لِمَعَاشٍ ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ
مُحَرَّمٍ .

٣٩١ - وقال عليه السلام : أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا يُبْصِرَكَ اللَّهُ
عَوْرَاتِهَا ، وَلَا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ !

٣٩٢ - وقال عليه السلام : تَكَلَّمُوا تُعْرِفُوا ، فَإِنَّ الْمَرْءَ
مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

(١) يرم - بكسر الراء وضمها - أي : يصلح ، والمرمة - بالفتح - الاصطلاح المعاد : ما
تعود إليه في القيامة .

٣٩٣ - وقال عليه السلام : خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ ، وَتَوَلَّ
عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ فَإِنَّ أُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الْطَّلَبِ^(١) .

٣٩٤ - وقال عليه السلام : رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلِ^(٢) .

٣٩٥ - وقال عليه السلام : كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ^(٣) .

٣٩٦ - وقال عليه السلام : الْمَنِيَّةُ وَلَا الدُّنْيَةُ ! وَالتَّقَلُّلُ وَلَا
التَّوَسُّلُ^(٤) ، وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا لَمْ يُعْطَ قَائِمًا^(٥) ، وَالذُّهْرُ يَوْمَانِ
يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ
فَاصْبِرْ !

٣٩٧ - وقال عليه السلام : نِعَمَ الطَّيِّبُ الْمِسْكُ خَفِيفٌ
مَحْمِلُهُ ، عَطِرٌ رِيحُهُ .

٣٩٨ - وقال عليه السلام : ضَعُ فُخْرَكَ ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ ،
وَأَذْكُرْ قَبْرَكَ .

٣٩٩ - وقال عليه السلام : إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقًّا ،

(١) أي : فإن رغبت في طلب ما تولى وذهب عنك منها فليكن طلبك جميلاً وافقاً بك
عند الحق .

(٢) الصول - بالفتح - السطوة .

(٣) مقتصر - بفتح الصاد - اسم مفعول ، وإذا اقتصرت على شيء ففقت به فقد كفاك .

(٤) « المنية » أي : الموت ؛ يكون ولا يكون ارتكاب الدنية كالتذلل والنفاق .
و « التقلل » أي : الاكتفاء بالقليل يرضى به الشريف ولا يرضى بالتوسل إلى
الناس .

(٥) كني بالقعود عن سهولة الطلب ، وبالقيام عن التعسف فيه .

وَإِنْ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقًّا ، فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ ، وَيُحَسِّنَ آدَبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ .

٤٠٠ - وقال عليه السلام : أَلْعَيْنُ حَقٌّ ، وَالرُّقْيُ حَقٌّ ، وَالسَّحَرُ حَقٌّ ، وَالْفَأَلُ حَقٌّ ، وَالطَّيْرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ ، وَالْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ ، وَالطَّيْبُ نُشْرَةٌ ، وَالْعَسَلُ نُشْرَةٌ ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ .

٤٠١ - وقال عليه السلام : مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ^(١) .

٤٠٢ - وقال عليه السلام : لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ - وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلٍ مِثْلَهَا^(٢) : لَقَدْ طَرْتُ شَكِيرًا ، وَهَدَرْتُ سَقْبًا .

قال الرضي : وَالشَّكِيرُ هُنَا : أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيَشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيُسْتَحْصَفَ^(٣) وَالسَّقْبُ : الصَّغِيرُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَا يَهْدِرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ .

(١) المنافرة في الأخلاق والمباعدة فيها مجلبة للعداوات ، ومن عاداه الناس وقع في غوائلهم ، فالمقاربة لهم في أخلاقهم حافظة لمودتهم ، لكن لا تجوز الموافقة في غير حق .

(٢) كلمة عظيمة : مثله في صغره قاصر عن قول مثله .

(٣) كأنه قال : لقد طرت وأنت فرخ لم تنهض .

٤٠٣ - وقال عليه السلام : مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ
الْحِيلُ^(١) .

٤٠٤ - وقال عليه السلام : وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ
« لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » : إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً ، وَلَا
نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكْنَا فَمَتَى مَلَكْنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفْنَا^(٢) وَمَتَى
أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَلَيْنَا .

٤٠٥ - وقال عليه السلام لِعِمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ
الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلَاماً : دَعُهُ يَا عَمَّارُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ
إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ^(٣) لِيَجْعَلَ
الشُّبُهَاتِ عَازِراً لِسَقَطَاتِهِ .

٤٠٦ - وقال عليه السلام : مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ
طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللَّهِ ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيَهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً
عَلَى اللَّهِ^(٤) .

(١) أومأ : أشار ، والمراد طلب وأراد ، والمتفاوت : المتباعد ، أي من طلب تحصيل
المتباعدات وضم بعضها إلى بعض خذلته الحيل فيما يريد فلم ينجح فيه .

(٢) أي : متى ملكنا القوة على العمل - وهي في قبضته أكثر مما هي في قبضتنا - فرض
علينا العمل .

(٣) « على عمد » متعلق بلبس ، أي : أوقع نفسه في الشبهة عامداً لتكون الشبهة عذراً
له في زلاته .

(٤) لأن تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله ، فإنه بذلك قد أمات
طمعاً ومحاخوفاً ؛ وصابر في يأس شديد ، ولا شيء من هذا في تواضع الغني .

٤٠٧ - وقال عليه السلام : مَا آسْتَوْدَعَ اللَّهُ أَمْرًا عَقْلًا إِلَّا
آسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَا (١) !

٤٠٨ - وقال عليه السلام : مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ .

٤٠٩ - وقال عليه السلام : الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ (٢) .

٤١٠ - وقال عليه السلام : التَّقَى رَيْسُ الْأَخْلَاقِ .

٤١١ - وقال عليه السلام : لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ
أَنْطَقَكَ ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ (٣) .

٤١٢ - وقال عليه السلام : كَفَاكَ أَدْبًا لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا
تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

٤١٣ - وقال عليه السلام : مَنْ صَبَرَ صَبَرَ الْأَحْرَارِ ، وَإِلَّا
سَلَا سُلُوءَ الْأَغْمَارِ (٤) .

٤١٤ - وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ
مُعْزِيًّا : إِنْ صَبَرْتَ صَبَرَ الْأَكَارِمِ ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوءَ الْبَهَائِمِ .

(١) أي : إن الله لا يهب العقل إلا حيث يريد النجاة ، فمتى أعطى شخصاً عقلاً
خلصه به من شقاء الدارين .

(٢) أي : ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنه يكتب فيه .

(٣) الذرب : الحدة ، والتسديد : التقويم والتثقيف ، أي : لا تطل لسانك على من
علمك النطق ، ولا تظهر بلاغتك على من ثقفت وقوم عقلك .

(٤) الأغمار : جمع غمر - مثلث الأول - وهو الجاهل لم يجرب الأمور ، ومن فاته شرف
الجلد والصبر فلا بد يوماً أن يسلب بطول المدة ، فالصبر أولى .

٤١٥ - وقال عليه السلام في صفة الدنيا : تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ ،
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ ، وَإِنَّ
أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ بَيْنَهُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ
فَارْتَحَلُوا^(١) .

٤١٦ - وقال لابنِه الحَسَن عليه السلام : لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ
شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّكَ تُخَلِّفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ
بِطَاعَةَ اللَّهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، وَإِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ
فَشَقِيَّ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ
حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .

قال الرضي : ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ،
وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ
عَمِلَ فِيهَا جَمْعَتَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ
فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ أَهْلاً أَنْ
تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ مَضَى
رَحْمَةَ اللَّهِ ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ .

٤١٧ - وقال عليه السلام لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ »
تَكَلُّتُكَ أُمُّكَ أَتَدْرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ؟ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ ، وَهُوَ

(١) أي : بينما هم قد حلوا يفاجنهم صائح الأجل وهو سائقهم بالرحيل فارتحلوا .

أَسْمُ وَاقِعٍ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانٍ : أَوَّلُهَا أَلْنَدَمُ عَلَى مَا مَضَى ، وَالثَّانِي : أَلْعَزَمُ عَلَى تَرْكِ أَلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَالثَّالِثُ : أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمَلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ ، وَالرَّابِعُ : أَنْ تَعِمِدَ إِلَى أَللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى أَلْسُحَتِ (١) فَتُذِيهِ بِأَلْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ أَلْجِلْدَ بِأَلْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ ، وَالسَّادِسُ : أَنْ تُذِيقَ أَلْجِسْمَ أَلْمِ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ أَلْمَعْصِيَةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ » .

٤١٨ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلْجِلْمُ عَشِيرَةٌ (٢) .

٤١٩ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مِسْكِينُ ابْنِ آدَمَ : مَكْثُومُ الْأَجَلِ ، مَكْنُونُ أَلْعِلْلِ ، مَحْفُوظُ أَلْعَمَلِ ، تُؤْلَمُهُ أَلْبَقَّةُ ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ ، وَتُنَبِّئُهُ أَلْعَرَقَةُ (٣) .

٤٢٠ - وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ ، فَمَرَّتْ بِهِمْ أَمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَمَرَقَهَا أَلْقَوْمٌ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ أَلْفُحُولٍ طَوَامِحُ (٤) ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا ، فَإِذَا

(١) السحت - بالضم - : المال من كسب حرام .

(٢) خلق الحلم يجمع إليك من معاونة الناس لك ما يجتمع لك بالعشيرة ، لأنه يوليكم محبة الناس فكأنه عشيرة .

(٣) « مكنون » أي : مستور العلل والأمراض لا يعلم من أين تأتيه : إذا عضته بقعة تألم ، وقد يموت بجرعة ماء إذا شرب بها ، وتنن ريحه إذا عرق عرقه .

(٤) جمع طامح أو طامحة وتقول : طمح البصر ، إذا ارتفع ، وطمح : أبعد في الطلب . « وإن ذلك » أي : طموح الأبصار سبب هبابها - بالفتح - : أي : هيجان هذه الفحول لملامسة الأنثى .

نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلَامِسْ أَهْلَهُ ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ
كَامْرَأَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ « قَاتِلْهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهُهُ » فَوُتِبَ
الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ أَوْ
عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ (١) !

٤٢١ - وقال عليه السلام : كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ
سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ .

٤٢٢ - وقال عليه السلام : افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى
بِفَعْلٍ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ . إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا فَمَهُمَا
تَرَكَتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ (٢) .

٤٢٣ - وقال عليه السلام : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ
عَلَانِيَتَهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

٤٢٤ - وقال عليه السلام : الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ ، وَالْعَقْلُ
حُسَامٌ قَاطِعٌ ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .
٤٢٥ - وقال عليه السلام : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ اللَّهُ بِالنَّعَمِ

(١) إن الخارجي سب أمير المؤمنين بالكفر في الكلمة السابقة ، فأمر المؤمنين لم يسمح
بقتله ويقول : إما أن أسبه أو أعفو عن ذنبه .

(٢) ما تركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم ، وما تركتموه من الشر يؤديه عنكم
أهله . فلا تختاروا أن تكونوا للشر أهلاً ، ولا أن يكون عنكم في الخير بدلاً .

لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيَقْرُهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا ^(١) ، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ .

٤٢٦ - وقال عليه السلام : لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَشُقَّ بِخَصْلَتَيْنِ : الْغَافِيَةِ ، وَالْغِنَى ، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافِيٍّ إِذْ سَقِمَ ، وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذْ أَفْتَقَرَ .

٤٢٧ - وقال عليه السلام : مَنْ شَكَأَ الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَأَ اللَّهَ .

٤٢٨ - وقال عليه السلام في بَعْضِ الْأَعْيَادِ : إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبَلَ اللَّهَ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللَّهَ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ .

٤٢٩ - وقال عليه السلام إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ .

٤٣٠ - وقال عليه السلام : إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً ^(٢) وَأَخْيَبَهُمْ سَعِيًّا رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ أَلْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ .

(١) « يقرها » أي : يبقئها ويحفظها مدة بذلهم لها .

(٢) « الصفقة » أي : البيعة ، أي : أخسرهم بيعاً وأشدّهم خيبة في سعيه ذلك الرجل الذي أخلق بدنه : أي أبلاه ونهكه في طلب المال ولم يحصله ، والتبعة - بفتح فكسر - حق الله وحق الناس عنده يطالب به .

٤٣١ - وقال عليه السلام : أَلرِّزْقُ رِزْقَانِ : طَالِبٌ ، وَمَطْلُوبٌ ؛ فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا .

٤٣٢ - وقال عليه السلام : إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَاشْتَغَلُوا بِأَجْلِهَا^(١) إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ^(٢) ؛ وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ وَرَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا ؛ وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتًا ، أَعْدَاءُ مَا سَأَلَ النَّاسُ وَسَلَّمْ مَا عَادَى النَّاسُ^(٣) ! بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ وَبِهِ عِلْمُوا ؛ وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا ؛ لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ^(٤) .

٤٣٣ - وقال عليه السلام : اذْكُرُوا أَنْقِطَاعَ اللَّذَاتِ ، وَبَقَاءَ التَّيَبَاتِ .

(١) إضافة « الآجل » إلى « الدنيا » لأنه يأتي بعدها ، أو لأنه عاقبة الأعمال فيها والمراد منه ما بعد الموت .

(٢) أماتوا قوة الشهوة والغضب التي يخشون أن تميت فضائلهم ، وتركوا اللذات العاجلة التي ستركهم ، ورأوا أن الكثير من هذه اللذات قليل في جانب الأجر على تركه ، وإدراكه فوات ؛ لأنه يعقب حسرات العقاب .

(٣) الناس يسالمون الشهوات ، وأولياء الله يحاربونها ، والناس يحاربون العفة والعدالة ، وأولياء الله يسالمونها وينصرونها .

(٤) أي مرجو فوق ثواب الله ، وأي مخوف أعظم من غضب الله ؟ .

٤٣٤ - وقال عليه السلام : أَخْبِرْ تَقْلَهُ (١) .

قال الرضي : وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرَوِي هَذَا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمِمَّا يُقَوِّي أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَكَاهُ ثَعْلَبُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، قَالَ الْمَأْمُونُ : لَوْلَا أَنَّ عَلِيًّا قَالَ « أَخْبِرْ تَقْلَهُ » لَقُلْتُ : أَقْلَهُ تَخْبِرُ .

٤٣٥ - وقال عليه السلام : مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ ، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ (٢) وَلَا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ .

٤٣٦ - وقال عليه السلام : أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عُرِفَتْ بِهِ الْكِرَامُ .

٤٣٧ - وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّمَا أَفْضَلَ : الْعَدْلُ ، أَوِ الْجُودُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَالْجُودُ

(١) أخبر - بضم الباء - أمر من « خبرته » من باب قتل - أي : علمته ، و « تقله » مضارع مجزوم بعد الأمر ، وهاؤه للوقف من « قلله يقليه » كرماء يرميه - بمعنى أبغضه ، : إذا أعجبك ظاهر الشخص فاخبره فربما وجدت فيه ما لا يسرك فتبغضه ، ووجه ما اختاره المأمون أن المحبة ستر للعيوب ، فإذا أبغضت شخصاً أمكنك أن تعلم حاله كما هو .

(٢) تكرر الكلام في أن الدعاء والإجابة والاستغفار والمغفرة إذا صدقت النيات وطابق الرجاء العمل ، وإلا فليست من جانب الله في شيء ، إلا أن تخرق سعة فضله سوابق سنته .

يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا . وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ ،
فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا .

٤٣٨ - وقال عليه السلام : النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

٤٣٩ - وقال عليه السلام : الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ
الْقُرْآنِ : قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ، وَلَا
تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي ^(١) وَلَمْ يَفْرَحْ
بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .

٤٤٠ - وقال عليه السلام : مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ
الْيَوْمِ ^(٢) .

٤٤١ - وقال عليه السلام : الْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ ^(٣) .

٤٤٢ - وقال عليه السلام : لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ ^(٤) ،
خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ .

٤٤٣ - وقال عليه السلام ، وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْتَرِ رَجِمَهُ

(١) أي : لم يحزن على ما نفذ به القضاء .

(٢) تقدمت هذه الجملة بنصها ، ومعناها قد يجمع العازم على أمر فإذا نام وقام وجد
الانحلال في عزيمته ، أو ثم يغلبه النوم عن إمضاء عزيمته .

(٣) المضامير : جمع مضمار ، وهو المكان الذي تضرع فيه الخيل للسباق ، والولايات
أشبه بالمضامير ؛ إذ يتبين فيها الجواد من البرذون .

(٤) يقول : كل البلاد تصلح سكناً ، وإنما أفضلها ما حملك ، أي : كنت فيه على
راحة فكأنك محمول عليه .

الله : مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ^(١) وَاللهُ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا ، وَلَوْ كَانَ حَجَرًا لَكَانَ صَلْدًا لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ ، وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ .
قال الرضي : والفند : الْمُنْفَرِدُ مِنَ الْجِبَالِ .

٤٤٤ - وقال عليه السلام : قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ .

٤٤٥ - وقال عليه السلام : إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا^(٢) .

٤٤٦ - وقال عليه السَّلامُ لِغَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ ، فِي كَلَامٍ دَارَ بَيْنَهُمَا : مَا فَعَلْتَ إِبْلِكَ الْكَثِيرَةَ ؟ قَالَ : دَعْدَعْتُهَا الْحُقُوقُ^(٣) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ : ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا .

٤٤٧ - وقال عليه السلام : مَنْ أَتَجَرَ بِغَيْرِ فِقْهِ فَقَدْ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا^(٤) .

(١) مالك : هو الأشتر النخعي ، والفند - بكسر الفاء - : الجبل العظيم ، والجملتان بعده كناية عن رفعة وامتناع همته ، و « أوفى عليه » وصل إليه .

(٢) الخلّة - بالفتح - : الخصلة ، أي : إذا أعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون إليه وانتظر سائر الخلال .

(٣) دعدع المال : فرقه وبدده ؛ أي : فرق إبلي حقوق الزكاة والصدقات ، وذلك أحمد سبلها - جمع سبيل - أي : أفضل طرق إفنائها .

(٤) ارتطم : وقع في الورطة فلم يمكنه الخلاص ، والتاجر إذا لم يكن على علم بالفقه لا يأمن الوقوع في الربا جهلاً .

٤٤٨ - وقال عليه السلام : مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ آتَلَاهُ
اللَّهُ بِكِبَارِهَا^(١) .

٤٤٩ - وقال عليه السلام : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ
شَهَوَاتُهُ .

٤٥٠ - وقال عليه السلام : مَا مَزَحَ أَمْرٌ وَمَزَحَةٌ إِلَّا مَجَّ مِنْ
عَقْلِهِ مَجَّةً^(٢) .

٤٥١ - وقال عليه السلام : زُهِدْكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانٌ
حَظٌّ^(٣) ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلٌّ نَفْسٍ .

٤٥٢ - وقال عليه السلام : الْغِنَى وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى
اللَّهِ^(٤) .

٤٥٣ - وقال عليه السلام : مَا زَالَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنَّا أَهْلَ
الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشُورُ عَبْدُ اللَّهِ .

(١) من تفاقم به الجزع ولم يجمل منه الصبر عند المصائب الخفيفة حملة الهم إلى ما هو أعظم منها .

(٢) المزح والمزاحة والمزاح : بمعنى واحد ، وهو المضاحكة بقول أو فعل ، وأغلبه لا يخلو عن سخرية ، ومج الماء من فيه : رماه ، وكأن المازح يرمي بعقله ويقذف به في مطارح الضياع .

(٣) بعدك عمن يتقرب منك ويلتمس مودتك تضييع لحظ من الخير يصادفك وأنت تلوى عنه ، وتقربك لمن يتعد عنك ذل ظاهر .

(٤) العرض على الله يوم القيامة ، - وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقية والفقر بالشقاء الحقيقي .

٤٥٤ - وقال عليه السلام : مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ : أَوَّلُهُ
نُطْفَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ ، وَلَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ .

٤٥٥ - وَسُئِلَ مَنْ أَشْعَرَ الشُّعْرَاءِ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ
الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعَرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا^(١) فَإِنْ كَانَ وَلَا
بُدَّ فَالْمَلِكُ الضَّلِيلُ يُرِيدُ أَمْرًا الْقَيْسِ .

٤٥٦ - وقال عليه السلام : أَلَا حُرٌّ يَدْعُ هَذِهِ اللَّمَاطَةَ
لِأَهْلِهَا^(٢) ؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا .
٤٥٧ - وقال عليه السلام : مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ^(٣) : طَالِبُ
عِلْمٍ ، وَطَالِبُ دُنْيَا .

٤٥٨ - وقال عليه السلام : الْإِيْمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصَّدَقَ حَيْثُ
يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ ، وَأَنْ لَا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ
عَنْ عَمَلِكَ^(٤) وَأَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ .

(١) الحلبة - بالفتح - : القطعة من الخيل تجتمع للسباق ، عبر بها عن الطريقة
الواحدة ، والقصة : ما ينصبه طلبة السباق حتى إذا سبق سابق أخذه ليعلم بلا
نزاع ، وكانوا يجعلون هذا من قصب ؛ أي : لم يكن كلامهم في مقصد واحد ،
بل ذهب بعضهم مذهب الترغيب ، وآخر مذهب الترهيب ، وثالث مذهب الغزل
والتشبيب ، والضليل : من الضلال ؛ لأنه كان فاسقاً .

(٢) اللماظة - بالضم - بقية الطعام في الفم ، يريد بها الدنيا ، أي : لا يوجد حر يترك
هذا الشيء الدنيء لأهله .

(٣) المنهوم : المفرط في الشهوة ، وأصله في شهوة الطعام .

(٤) أي : لا تقول أزيد مما تفعل ، وحديث الغير : الرواية عنه ، والتقوى فيه : عدم
الافتراء ، أو حديث الغير : التكلم في صفاته ، نهى عن الغيبة .

٤٥٩ - وقال عليه السلام : يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ^(١)
حَتَّى تَكُونَ آلاَفَةٌ فِي التَّدْبِيرِ .

قال الرضي : وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ بِرِوَايَةٍ
تُخَالِفُ هَذِهِ الْأَلْفَافَ .

٤٦٠ - وقال عليه السلام : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ تَوْأَمَانِ يُنْتِجُهُمَا
عُلُوُّ الْهَمَّةِ^(٢) .

٤٦١ - وقال عليه السلام : الْغِيَّةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ^(٣) .

٤٦٢ - وقال عليه السلام : رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ .

٤٦٣ - وقال عليه السلام : الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ
لِنَفْسِهَا^(٤) .

٤٦٤ - وقال عليه السلام : إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مُرُوداً يَجْرُونَ فِيهِ ،
وَلَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمْ الضَّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ^(٥) .

(١) المقدار : القدر الإلهي ، والتقدير : القياس .

(٢) الحلم - بالكسر - حبس النفس عند الغضب ، والأناة : يريد بها الثاني ،
والتوأمان : المولودان في بطن واحد ، والتشبيه في الاقتران والتولد من أصل واحد

(٣) الغيبة - بالكسر - : ذكرك الآخر بما يكره وهو غائب ، وهي سلاح العاجز ينتقم به
من عدوه ، وهي جهده ؛ أي : غاية ما يمكنه .

(٤) خلقت الدنيا سبيلاً إلى الآخرة ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلد .

(٥) مرود - بضم فسكون ففتح - : فسره صاحب الكتاب بالمهلة ، وهي مدة اتحادهم ،
فلو اختلفوا ثم كادتهم - أي : مكرت بهم ، أو حاربتهم - الضباع دون الأسود
لقهرتهم .

قال الرضي : وَالْمُرُودُ هُنَا مُفْعَلٌ مِنَ الْإِرْوَادِ ، وَهُوَ الْإِمْهَالُ
وَالْإِنْظَارُ ، وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ وَأَغْرَبِهِ ، فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
شَبَّهَ الْمُهَلَّةَ الَّتِي هُمْ فِيهَا بِالْمِضْمَارِ الَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ ،
فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطِعَهَا أَنْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا .

٤٦٥ - وقال عليه السلام في مَدْحِ الْأَنْصَارِ : هُمْ وَاللَّهُ رَبُّو
الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي أَلْفُلُومَ مَعَ غَنَائِهِمْ ، بِأَيْدِيهِمُ السَّبَاطِ وَالسِّنْتِيهِمُ
السَّلَاطِ (١) .

٤٦٦ - وقال عليه السلام : الْعَيْنُ وَكَأَنَّ السَّهَ (٢) .
قال الرضي : وَهَذِهِ مِنَ الْأَسْتِعَارَاتِ الْعَجِيبَةِ ، كَأَنَّهُ يُشَبِّهُ

(١) « ربوا » من التربة والانماء ، والفلو - بالكسر ، أو بفتح فضم فتشديد ، أو بضميتين
فتشديد - المهر إذا فطم أو بلغ السنة ، والغناء - بالفتح ممدوداً - : الغنى ، أي :
مع استغنائهم ، و « بأيديهم » متعلق بربوا ، ويقال : رجل سبط اليدين - بالفتح -
أي : سخي والسباط - ككتاب - جمعه ، والسلاط : جمع سليط وهو الشديد
واللسان الطويل .

(٢) السه - بفتح السين وتخفيف الهاء - : العجز ، ومؤخر الإنسان ، والعين الباصرة .
وإنما جعل العجز وعاء لأن الشخص إذا حفظ من خلفه لم يصب من أمامه في
الأغلب ، فكأنه وعاء الحياة والسلامة إذا حفظ حفظنا ، والباصرة وكاء ذلك الوعاء ؛
أي : رباطه ؛ لأنها تلحظ ما عساه يصل إليه فتنبه العزيمة لدفعه والتوقي عنه . فإذا
أهمل الإنسان النظر إلى مؤخرات أحواله أدركه العطب . والكلام تمثيل لفائدة العين
في حفظ الشخص مما قد يعرض عليه من خلفه ، وأنها لا تختلف عن فائدتها في حفظه
مما يستقبله من أمامه وإرشاده إلى وجوب التبصر في مظنات الغفلة ، وهذا هو
المحمل اللائق بمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو مقام أمير المؤمنين عليه
السلام .

السَّهْ بِالْوَعَاءِ ؛ وَالْعَيْنَ بِالْوَكَاءِ ، فَإِذَا أُطْلِقَ الْوَكَاءُ لَمْ يُنْضَبْطِ الْوَعَاءُ ، وَهَذَا الْقَوْلُ فِي الْأَشْهَرِ الْأَظْهَرِ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَوَاهُ قَوْمٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِ « الْمُقْتَضَبِ » فِي بَابِ « اللَّفْظِ بِالْحُرُوفِ » وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذِهِ الْأَسْتِعَارَةِ فِي كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ بِـ « بِمَجَازَاتِ الْأَثَارِ النَّبَوِيَّةِ » .

٤٦٧ - وقال عليه السلام في كلامٍ لَهُ : وَوَلِيَّهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ (١) .

٤٦٨ - وقال عليه السلام : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ (٢) يَعْضُ الْمَوْسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ . قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ تَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ (٣) وَتُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُونَ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ (٤) .

(١) الجران - ككتاب - مقدم عنق البعير، يضرب على الأرض عند الاستراحة كناية عن التمكن . والولي يريد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وليهم » أي : تولى أمورهم وسياسة الشريعة فيهم ، وقال قائل : يريد به عمر بن الخطاب .

(٢) العضوض - بالفتح - الشديد ، والموسر: الغني ، ويعض على ما في يده : يمسكه بخلاً على خلاف ما أمره الله في قوله : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ أي : الإحسان .

(٣) « تنهد » أي : ترتفع .

(٤) بيع - بكسر ففتح - : جمع بيعة - بالكسر - هيئة البيع كالجلسة لهيئة الجلوس .

٤٦٩ - وقال عليه السلام : يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ ، وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ (١) .

قال الرضي : وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلَكَ فِي رَجُلَانِ : مُحِبٌّ غَالٍ ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

٤٧٠ - وَسُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : التَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ ، وَالْعَدْلُ أَنْ لَا تَتَّهَمَهُ (٢) .

٤٧١ - وقال عليه السلام : لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ .

٤٧٢ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دُعَاءٍ آسْتَسْقَى بِهِ : اللَّهُمَّ أَسْقِنَا ذُلَّ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا .

قال الرضي : وَهَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْعَجِيبِ الْفَصَاحَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَبَّهَ السَّحَابَ ذَوَاتِ الرُّعُودِ وَالْبَوَارِقِ وَالرِّيَّاحِ وَالصَّوَاعِقِ بِالْإِبْلِ الصَّعَابِ الَّتِي تَقْمِصُ بِرِحَالِهَا (٣) وَتَقِصُّ

(١) بهته - كمنعه - : قال عليه ما لم يفعل ، ومفتر : اسم فاعل من الافتراء .

(٢) الضمير المنصوب لله ؛ فمن توحيده ألا تتوهمه ، أي : لا تصوِّره بوهمك ، فكل موهم محدود ، والله لا يحد بوهم . واعتقادك بعدله : ألا تتهمه في أفعال يظن عدم الحكمة فيها .

(٣) قمص الفرس وغيره - كضرب ونصر - : رفع يديه وطرحهما معاً وعجن برجليه ، والرحال : جمع رحل ؛ أي : إنها تمتنع حتى على رحالها فتقمص لتلقيها . ووقصت به راحلته تقص - كوعد يعد - تقمحت به فكسرت عنقه .

بُرْكَبَانِهَا ، وَشَبَّهَ السَّحَابَ خَالِيَةً مِنْ تِلْكَ الرِّوَائِعِ ^(١) بِالْإِبِلِ الدُّلَلِ
الَّتِي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً وَتُقْتَعَدُ مُسَمِّحَةً ^(٢) .

٤٧٣ - وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي
مُصِيبَةٍ ! يُرِيدُ وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٤٧٤ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا الْمُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ بِأَعْظَمَ أَجْرًا مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ ، لَكَادَ الْغَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ
الْمَلَائِكَةِ .

٤٧٥ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .

قال الرضي : وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْكَلَامَ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٤٧٦ - وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ - وَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَى فَارِسَ وَأَعْمَالِهَا ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ كَانَ
بَيْنَهُمَا نَهَاةٌ فِيهِ عَنْ تَقَدُّمِ الْخَرَاجِ ^(٣) : اسْتَغْمِلِ الْعَدْلَ ، وَاحْذَرِ

(١) جمع رائعة ، أي : مفزعة.

(٢) طيعة - بتشديد الياء - : شديدة الطاعة ، والاحتلاب : استخراج اللبن من الضرع ،
وتقتعد - مبني للمجهول - من اقتنعه : اتخذته قعدة - بالضم - يركبه في جميع
حاجاته ، ومسمحة : اسم فاعل « أسمح » أي : سمح - ككرم - بمعنى جاد ،
وسماحها مجاز عن إتيان ما يريده الراكب من حسن السير .

(٣) تقدم الخراج : الزيادة فيه .

الْعُسْفَ وَالْحَيْفَ ، فَإِنَّ الْعُسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ^(١) وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ .

٤٧٧ - وقال عليه السلام : أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ .

٤٧٨ - وقال عليه السلام : مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا^(٢) .

٤٧٩ - وقال عليه السلام : شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تُكَلِّفَ لَهُ .
قال الرضي : لَأَنَّ التَّكْلِيفَ مُسْتَلَزِمٌ لِلْمَشَقَّةِ ، وَهُوَ شَرُّ لَازِمٍ عَنْ الْإِخْتِلَافِ لَهُ ؛ فَهُوَ شَرُّ الْإِخْوَانِ .

٤٨٠ - وقال عليه السلام : إِذَا أَحْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ .

قال الرضي : يُقَالُ : حَشَمَهُ وَأَحْشَمَهُ إِذَا أَغْضَبَهُ ، وَقِيلَ : أَحْجَلَهُ ، « وَأَحْتَشَمَهُ » طَلَبَ ذَلِكَ لَهُ ، وَهُوَ مَظْنَةٌ مُفَارَقَتِهِ .

وَهَذَا حِينَ أَنْتَهَاءِ الْغَايَةِ بِنَا إِلَى قَطْعِ الْمُخْتَارِ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَامِدِينَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ

(١) العسف - بالفتح - : الشدة في غير حق ، والجلأ - بالفتح - : التفرق والتشتت ، والحيف : الميل عن العدل إلى الظلم ، وهو ينزع بالمظلومين إلى القتال لانتقاذ أنفسهم .

(٢) كما أوجب الله على الجاهل أن يتعلم أوجب على العالم أن يعلم .

تَوْفِيقُنَا لِضَمِّ مَا اَنْتَثَرَ مِنْ اطْرَافِهِ ، وَتَقْرِيبِ مَا بَعْدَ مِنْ اقْطَارِهِ ،
وَتَقَرُّرِ الْعَزْمِ كَمَا شَرَطْنَا أَوَّلًا عَلَى تَفْضِيلِ أَوْرَاقٍ مِنَ الْبَيَاضِ فِي
آخِرِ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ لِيَكُونَ لِاقْتِنَاصِ الشُّارِدِ ، وَاسْتِلْحَاقِ
الْوَارِدِ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَظْهَرَ لَنَا بَعْضَ الْغُمُوضِ ، وَيَقَعَ إِلَيْنَا بَعْدَ
الشُّدُودِ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللَّهِ : عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ
الْوَكِيلُ .

وَذَلِكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعَمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ (١) ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الرُّسُلِ ، وَالْهَادِي إِلَى خَيْرِ السُّبُلِ ، وَآلِهِ
الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْيَقِينِ .

(١) انتهى من جمعه في سنة أربعمائة ، وأبقى أوراقاً بيضاً في آخر كل باب رجاء أن
يقف على شيء يناسب ذلك الباب فيدرجه فيه . وجامع الكتاب هو الشريف
الحسيني الملقب بالرضي ، وذكر في تاريخ أبي الفدا أنه : محمد بن الحسين بن
موسى بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم وقد يلقب « بالمرتضى »
تعريفاً له بلقب جده إبراهيم ، ويعرف أيضاً بالموسوي . وهو صاحب ديوان الشعر
المشهور ، ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي سنة ست وأربعمائة ، رحمه
الله رحمة واسعة ، والحمد لله في البداية والانتها ، والشكر له في السراء والضراء .
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، وعلى آله وصحبه أصول الكرم وفروع العلاء ،
آمين .

قد تَمَّ بحمد الله وحسن تيسيره طبع كتاب «نهج البلاغة» وهو يشتمل على ثلاثة أبواب: باب المختار من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وباب المختار من كتبه ، وباب المختار من حكمه وأجوبة مسأله وكلامه القصير في سائر أغراضه ، ويتمام هذا الباب تم مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي من كلام أمير المؤمنين ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . نسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعل عملنا فيه سبباً لبلوغ مرضاته ، آمين .

فهارس الكتاب

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

(أ)

- ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران ١٠٢
٣٠٣
- ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ الأعراف ١٥٥ ٣٤٨
- ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ الأعراف ١٣٨
٧٥٢
- ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر ٦٠ ٧١١
- ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾
نوح ١٠-١٢ ٣٤٨
- ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ البقرة ٣٤ ٩٢
- ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ النور ٢٢ ٥٥٧

- ٤٤٧ ٢٢- ٢١ المرسلات ﴿ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ -
- ﴿ أَلَمْ . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ -
- العنكبوت ١- ٢ ٣٧٦
- ﴿ أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ التكاثر ١- ٢ ٥٠٩
- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ الطور ٣٠ ٢٨٩
- ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
- وَالْيَهُ أَنِيبُ ﴾ هود ٨٧ ٥٧٠
- ﴿ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ محمد ٧ ٤٣٤
- ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ أَتَّبِعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ
- وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران ٦٨ ٥٦٨
- ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ النساء ١٠٢ ٤٨٥
- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ المؤمنون ٣٠ ٢٧٦
- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ النازعات ٢٦ ٤٩٩
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
- تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فصلت ٣٠ ٤١٥
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا
- تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ لقمان
- ٣٢٨
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ النساء ٤٧ ٤١٨
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ النحل ١٢٨ ٤٧٢

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ النحل ٩٠ ٧٢٨
- ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة ١٥٦ ٧٠٠
- ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آل عمران ٢٦ ٢٥٩
- ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ الحجر ٣٧ - ٣٨ ، ٩٣
- ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ يس ٨٢ ٤٤٢
- ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء
- ١٦ ، ٧١١
- ﴿ إِنَّهُ لَا يَتَّسُخِرُ مِنْ رَوْحٍ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾ يوسف ٨٧ ، ٧٦٦
- ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
- المجادلة ٩٩ ٤٧٧
- ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة ٢٢
- ٦١٢
- ﴿ لِيَحْسَبُونَ أَنَّ مَا مُدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ
- بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ المؤمنون ٥٥ - ٥٦ ٤٦٠

(ب)

- ﴿ بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ ﴾ هود ٩٦ ٤٢٤
- ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لَا يَسْخَرُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنبياء ٢٦ -
- ٢٧ ٢٤٥

(ت)

- ﴿ تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء
٩٧ - ٩٨ ٢٤١
- ﴿ .. تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ النحل ٨٩ ١٢٧
- ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا
فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ القصص ٨٣ ١٠٧
- ﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ الأعراف ٨٧ ٦٥٢

(ح)

- ﴿ الْحَيِّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ البقرة ٢٥٥ ٣٨١

(خ)

- ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ الحج ١١ ، ٧٥٨

(ذ)

- ﴿ ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ ص ٢٧ ... ٦٩٦
- ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾
- الحديد ٢١ ٤٣٤
- ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ الانعام ٩٥ ٢٢٩

(ر)

- ﴿ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أُنْزِلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ - القصص ٢٤ ٣٨٣
- ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ - الأعراف
- ٨٩ ٥٥١
- ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
- الزَّكَاةِ ﴾ - النور ٣٧ ٤٨٦

(س)

- ﴿ سَوَاءٌ أَلْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ - الحج ٢٥ ٦٦٨

(ظ)

- ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ... ﴾ - الروم
- ٤١ ٣٣٠

(ف)

- ﴿ فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ - النساء ٥٩ ... ٣٢١
- ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ - البقرة ١٩٧ ٧٠٩
- ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ - التكوين ٢٦ ٢٢٩
- ﴿ فَعَقِّرُوها فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴾ - الشعراء ٥٧ ٤٨٨
- ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
- يَصْنَعُونَ ﴾ - فاطر ٨ ٣٨٩

- ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ - الأعراف ٩٩ . ٧٦٦
- ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ - النحل ٩٧ ٧٢٨
- ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ - الدخان ٢٩
- ٤٥٣
- ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ - الرحمن ٤١ ٣٨١

(ق)

- ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ -
- الحجر ٣٩ ٤٥٦
- ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ - الانعام ٥٦ ١٨٠
- ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ
- البأس إلا قليلاً ﴾ - الأحزاب ١٨ ٥٧٠
- ﴿ قُلْ تَتَّبِعُوا فَإِنْ مُصِّرْكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ - إبراهيم ٣٠ ١٤٥

(ك)

- ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ - سورة الأنفال ٦ ١٦٣
- ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ - الصف ٣ ٦٤٧
- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ - المدثر ٣٨ ٧٥٧
- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ - ق ٢١ ٢٢٤

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِندَ عَلَيْنَا ، إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ -

الأنبياء ، ١٠٤ ٢٩٨

﴿ كَمْأَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ هَشِيئاً

تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ - الكهف ٤٥ .. ٢٩٤

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ - الأنبياء ٢٧ ٢٤٥

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ - الحديد ٢٣ .

..... ٧٨٠

(ل)

﴿ لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ - الكهف ٧ ٣٥٠

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ - ابراهيم ٧ ٧١١

﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ - ابراهيم ٤٢ ٤٧٨

(م)

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ - المائدة ٤٢ ، ٤٣

..... ٤٨٥

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ - سورة الأنعام ٣٨ ١٢٧

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ، وَلَهُ أَجْرٌ

كَرِيمٌ ﴾ - سورة الحديد ١١ ٤٣٤

﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، فِي قَرَارٍ مُكِينٍ ﴾ - المؤمنون ١٢ ، ١٣ ٣٩١

﴿ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ - السجدة ٨ ٢٨٩

﴿ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ - الطلاق ٢ ٤٣٣

(هـ)

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ،
وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ - يونس ٣٠ ٥٢١

(و)

- ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ - الأنفال ٢٨ ٦٩٩
- ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ - الأنفال ٧٥ ٥٦٨
- ﴿ وَأُمِرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ - طه ١٣٢ ٤٨٦
- ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ - محمد ٣٥ ١٨٩
- ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ - الشعراء ٩١ ٣٧٥
- ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ - الأحزاب ٧٢ ٤٨٧
- ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ - المؤمن (غافر) ٧٨ ٥٤١
- ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ - الزمر ٧٣ ٤٤٩
- ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ - سبأ ٣٥ ٤٦٣
- ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ - سبأ ١٣ ٤٥٢
- ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ - الأحزاب ١٥ ٦٧٦

- ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ - الفتح ٢٦ ٤٥٠
- ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ - البقرة ٢٣٧ ٧٨٦
- ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ - فاطر ١٤ ٣٧٠
- ﴿ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصِرٍ ﴾ - ص ٣ ٤٥٣
- ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ - ص ٨٨ ١٩٤
- ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ - الفتح ٤ ٤٣٤
- ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ - المنافقون ٧ ٤٣٤
- ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ - آل عمران ٩٧ ٩٨
- ﴿ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ - فاطر ١٥ ٤٣٤
- ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ - آل عمران ١٣٤ ٧٢٤
- ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ - الرعد ١٥ ٤٣٨
- ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ - النساء ، ٨٢ ١٢٧
- ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ فصلت ٤٦ ٤٢١
- ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ - آل عمران ١٩٨ ٥٥٧
- ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ - الأنفال ٣٣ ٦٩٨

- ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ - هود ٨٣ ٥٧٠
- ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ - العنكبوت ٤٣ ١٢١
- ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ - النساء ١١٠ ٧١١
- ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ - القصص ٥ ٧٢٤
- ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ - ابراهيم ، ٤ ، الحشر ٢٤ ٤٣٤
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ - الشورى ٢٨ ٣٠٦

(ي)

- ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ - الرعد ١٢ ٤٣٨
- ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ - الانفطار ٦ ٥١٦
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ - النساء ٥٩ ٦٣٢
- ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ - النور ، ٣٦ ، ٣٧ ٥١٤
- ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ - الطارق ٩ ٣١٢

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



(أ)

- أوصى الإمام أصحابه بالصلاة ، وذكر أن رسول الله (ﷺ) شبهها بالحمة^(١) بقوله في الحديث (أرأيتم إلى الحمة تكون على باب الرجل فهو يقتل منها في اليوم والليله خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدرن) ٤٨٦
- كان (ﷺ) يقول : (إن الجنة حفت بالمكاره ، وإن النار حفت بالشهوات) ٤١٣
- (إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم) ٤١٥
- إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها ، وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها) ٧٠٢
- إن الله فضل حرمة المسلم على الحرم كلها . (فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) ٤٠٢

- (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ)

٣٧٢

- (إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ)

٢٣٠

- (إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا . أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ
بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشُرْكِهِ . وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
كُلَّ مُنَافِقٍ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ، وَيَفْعَلُ مَا
تُنْكِرُونَ)

٥٦٥

- (إِيَّاكُمْ وَالْمَثَلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ)

٦١٥

- (إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَمْ يَعْظَ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ (اللَّهُ أَلَمْتَيْنِ) ..

٤١٧

(ح)

(الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ)

٦٩٦

(ص)

- (صَلَاحُ ذَاتِ الْيَمِينِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ)

٦١٤

- (صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْعَافِهِمْ ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)

٦٤٢

(ط)

- (طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ ، وَطَالَ كَسْبُهُ ، وَصَلَحَتْ سِرِيرَتُهُ

وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ...)

٧٠٧

- يَا أَيُّهَا النَّاسُ : (طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ) ٤١٩

- (طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ) ٤١٩

(غ)

- (غَيِّرُوا الشَّيْبَ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ) ٦٨٣

(ف)

- وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ (فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ) ٤١٧

(ق)

- (الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ) ٦٩٢

(ك)

- (كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى

غَيْرِنَا وَجَبَ ...) ٧٠٦

- إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ (كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ) ٢٢٦

(ل)

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ .

وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ) ٤١٦

- (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَنِّعٍ)

- (لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مَنْصَرَفٌ) ٥٨١

(م)

- (مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ) ٧١٢

- (مَنْ أَطْأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرَعْ بِهِ نَسْبُهُ) ٦٨٤
وعليكم بكتاب الله فإنه . . (مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ » .

..... ٣٧٦

كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ، فَقَامَ خَطِيئاً فَقَالَ : (مَنْ كَذَبَ

عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) ٤٩٦

(و)

- (وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ) ٢٢٦

وعليكم بكتاب الله فإنه . . . لا يعوج . . . (وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ)

..... ٣٧٦

كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ . . (وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .. ٤٨٨

(ي)

- (يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي) ٣٧٦

- (يَا عَلِيُّ ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمْتَنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ،
وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطَوَتَهُ وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ
الكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ الْبَاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيدِ ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدْيَةِ ،

وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ) ٣٧٧

- (يا عليُّ ، لا يَبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ ، ولا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ) ٦٩١

- لقد كان - النبيُّ (ﷺ) - يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ... وَيَكُونُ السُّتْرُ عَلَى بَابِ

بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فيقول : (يا فُلَانَةُ لإِخْدَى أَزْوَاجِهِ - غِيَّيْهِ عَنِّي ،

إِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا) ٣٨٤

- قال الإمام عليُّ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : (يُؤْتَى يَوْمَ

الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ ، وَلَا عَاذِرٌ ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ،

فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ، ثُمَّ يَرْتَبُطُ بِقَعْرِهَا)

| ٣ |

فهرس الدلالت العامة ، والمسائل الدينية في الفقه وعلم الكلام ، وأركان الاسلام

*

(أ)

أولاء : ٩٥ ، ١٧٧ ، ٢١٥ ، ٢٣٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٣١٦ ، ٤٧٠ ، ٥٧٦ .

الأخر : ٨٩ ، ١٠٨ ، ١٨٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩١ ، ٣١٥ ، ٣٦٤ ، ٦٩٥ ، ٧٠١ ، ٧٩٠ .

الأجرة : ١٣٣ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ٢١٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٤٤٦ ، ٤٩٠ ، ٥٧٤ ، ٥٩٩ ، ٦٤٦ ، ٦٥٢ ، ٦٧٣ ، ٧٠١ ، ٧٠٨ ، ٧٣٢ ، ٧٦٣ .

الآيات : ٩٥ ، ٩٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٨١ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٨٥ ، ٥١١ .

الابتداء : ٨٥ ، ٨٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤٤ ، ٦٩٢ .

الأبد : ٢٨٨ ، ٢٩٧ .

الأبدان : ٩٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٣٣١ ، ٣٧٢ ، ٤٩٠ ، ٥٨٢ ، ٧٠٨ .

الأبرار : ٢٦٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٧٠٤ .

الأبصار : ٩٠ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣١٨ ،

٣٥١ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٥٩٣ .

الأبناء : ٩٥ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٣١٦ ، ٣٤٨ ، ٤٤٢ ،

٧٥٠ .

الأنثى : ١٧٧ ، ٥٣٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٧٥٤ .

الأجر : ٦١٣ ، ٦٢٧ .

الأجل : ٨٥ ، ٩٥ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢١١ ، ٢١٤ ،

٢٢٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ .

٣٣٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٥٤٥ ،

٦٧٤ ، ٦٨٣ ، ٦٩٥ ، ٧٢٣ ، ٧٥٦ ، ٧٧٥ .

الأجناس : ٩٢ .

الأجنحة : ٩٠ ، ٣٢٦ ، ٣٧٤ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٥١٣ .

الأجواء : ٨٨ .

الإحسان : ٩٩ ، ١٢١ ، ٢٧٠ ، ٤٢٥ ، ٤٧٨ ، ٥٠٥ ، ٥٥٣ ، ٥٧٠ ،

٧١٧ ، ٧٣٤ .

الأحكام : ١٧٢ ، ١٩٦ ، ٣٣٢ ، ٣٨٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٥٧٦ .

الإخاء ، الإخوان : ٢٣٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،

٣٢٣ ، ٤٣١ ، ٤٦٦ ، ٤٩٢ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٨٣ ، ٧٦٢ ، ٧٨٩ .

الإخلاص : ٨٦ ، ٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٤٧٧ ، ٧٣٢ .

الأخلاط : ٩٢ .

الأخلاق : ٢٣٠ ، ٢٩١ ، ٤١٦ ، ٤٦٤ ، ٥٠١ ، ٥١٧ ، ٦٣٤ ، ٧٧٣ .

الأدب ، التأديب : ٤٢٩ ، ٥٧٥ ، ٦٨١ ، ٦٩٤ ، ٧٠٤ ، ٧٦٢ ، ٧٧١ ،

٧٧٣ .

الإرادة : ٢٤١ ، ٦٠٢ ، ٧٧٧ .

الأرحام : ١٣٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٣٢٨ ، ٣٤٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٩٢ ،

٤٠٧ ، ٤٦٦ ، ٤٩٤ ، ٧٠١ ، ٧٣١ ، ٧٤٨ .

الأَرْضُ : ٨٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ٢٣٤ ،
٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،
٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،
٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ، ٤٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٤٠٦ ، ٤٤٥ ،
٥٢٨ ، ٦٦٠ ، ٦٩٦ ، ٧٠٢ ، ٧٦٣ .

الأَرْكَانُ : ٢٨١ ، ٣٣٦ ، ٣٦٦ ، ٤٥٨ ، ٤٨٣ ، ٧١٣ .

الْأَزَلُ ، الْأَزَلِيَّةُ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٨٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ .

الْأَزْمَةُ : ٤٦٩ .

الْأَسْتِثْنَاءُ : ٦٤٨ .

الْأَسْتِسْقَاءُ : ٣٠٤ ، ٣٤٧ .

الْإِسْلَامُ : ٤٢٣ ، ٤٣٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٩٦ ،

٥٣١ ، ٥٥٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٦ ، ٦١٩ ، ٦٣٩ ، ٦٥٣ ، ٦٥٨ ،

٦٥٩ ، ٦٦٢ ، ٧٠٧ ، ٧٣٢ ، ٧٦٣ .

الْأَشْبَاحُ : ٨٧ ، ٢٨٥ ، ٣٨٩ .

الْأَشْبَاهُ : ٩٢ ، ٢٦٧ ، ٦٠٨ .

الْإِصْلَاحُ : ١٩٢ ، ٣٣٢ ، ٦٩٨ ، ٧٠٢ .

الْأَصْنَامُ : ١٣٩ ، ٢٤٠ ، ٤٦٦ ، ٤٩٨ .

الْأَضْدَادُ : ٩٢ ، ٤٤٠ ، ٧٠٣ .

الْأَطْفَالُ : ٢٧٨ ، ٣٧٩ .

الْأَعْدَاءُ : ١١٦ ، ١٤٦ ، ١٦٢ .

الْأَعْضَاءُ : ٩١ .

الْأَلَمُ : ١٧٨ ، ٢١٩ ، ٦٩٠ ، ٧٢٦ .

الْأَلْوَانُ : ٩٢ ، ١٨٦ ، ٣١٤ ، ٣٩٤ - ٣٩٨ ، ٤٧٦ ، ٥١٢ ، ٦٠٦ .

الْأَعْضَاءُ : ٩١ .

الْأَلْوَانُ : ٩٢

الْأَمَانُ ، الْأَمْنُ : ٢١٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٥ ، ٣٨١ ، ٤٣٠ ، ٥٠٩ ، ٥٤٨ ،

٦٠٨ ، ٦٨٨ ، ٦٩٨ ، ٧٠٣ ، ٧٧١ .

الإمام : ١١٨ ، ٢٨٣ .

الإمام ، والإمامة : ١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٦٣ ، ٢٢٩ ، ٢٨٠ ، ٣٣٢ ، ٣٤٥ ،
٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧ ، ٣٩٣ ، ٤٠٨ ، ٤٣٠ ، ٤٦٥ ، ٤٩٦ ، ٥٤٢ ،

٥٦٢ ، ٦٠٠ ، ٦٠٧ ، ٦٢٩ ، ٦٩٤ ، ٧٣٣ .

الأمانة : ١٣٧ ، ١٥١ ، ٤٨٧ ، ٥٤٢ ، ٦٠٠ ، ٦٢٩ ، ٦٣٤ ، ٦٤٤ ،

٧٣٣ .

الأمم : ٩٢ ، ١٧٥ ، ٢٤٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٨٩ .

الأمر ، الأمور ، الأوامر : ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ،

٢٢٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ،

٢٩١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ،

٣٥٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ، ٤٤٤ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٤٩٧ ، ٥٤٣ ،

٦١٤ ، ٦٧٤ ، ٦٩٥ ، ٧١٨ ، ٧٧٩ .

الإمرأة : ١٦٤ ، ٢٨٣ .

الأمم : ١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٦ ، ٢٩٤ ،

٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٦ ، ٤٧٥ ، ٥٤١ ،

٦٣١ ، ٧١٥ ، ٧٥٦ .

الأنبياء : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٥ ،

٣٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٥٩ ، ٦٩٦ ، ٧٠٠ .

الأنبياء : ٨٧ ، ٢٤١ .

الأنسان : ٤٨٧ ، ٥١٦ ، ٥٢٧ ، ٦٨٢ ، ٧٠٢ ، ٧١٣ .

الأنشاء : ٨٧ .

الأنصاف : ٦٤٠ ، ٦٤٣ ، ٧٢٨ .

الأهل : ١٦٥ ، ١٦٩ ، ٤٧٦ ، ٤٨٧ ، ٥٠٧ ، ٥٢٠ ، ٥٧٠ ، ٦١٤ ،

٦٣٤ ، ٦٥٨ ، ٦٧٣ ، ٦٩٣ ، ٧٠٤ ، ٧٧٤ .

أهل الذمة : ٦٢٨ .

الأمهواء : ١٤٦ ، ١٩٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٧٧ ، ٤١٤ ، ٤٦٥ ، ٥٧٦ ، ٥٩٧ ، ٦٤٥ .
 - الأوطان : ١٤٠ .
 - الأول : ٨٩ ، ١٠٨ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩١ ، ٣١٥ ، ٣٦٤ ، ٤٧٤ ، ٦٩٥ .
 - الأولاد : ١٧٥ ، ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٧٤ ، ٣٨٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٦٩٩ ، ٧٥٠ ، ٧٧٠ .
 - الأولياء : ١٧٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٣٠ ، ٤٥٩ ، ٥٢١ ، ٦٤٧ ، ٦٥٧ ، ٧١٠ ، ٧٧٤ ، ٧٧٨ .
 - الأوهام : ٢٢٣ ، ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٩٥ .
 - الإيمان : ١٠ ، ١١٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٦٦ ، ٣٧٥ ، ٤١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٤٧ ، ٤٧٤ ، ٦٥٣ ، ٦٨٥ ، ٦٩٧ ، ٧٠٥ ، ٧٣٧ .

(ب)

- الباطل : ٩٢ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٢٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥ ، ٣٧٩ ، ٤١٨ ، ٤٣٣ ، ٥٣٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٢ ، ٦٤٢ ، ٦٥٩ ، ٦٦٧ ، ٦٧٨ ، ٧١٧ ، ٧٥٨ .
 - الباطن : ١٨٦ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٤٤٣ ، ٥٠٠ ، ٧٧٨ .
 - الباكي ، البكاء : ٢٦٨ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٥٨ ، ٤٣١ ، ٤٤٩ ، ٥١٠ ، ٥١٧ ، ٧٠٩ .
 - البحار : ٨٩ ، ١٧١ ، ٢٧٣ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٩١ ، ٦٣٨ ، ٧٤٦ .
 - البخل ، البخيل : ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٤٧ ، ٦٨١ ، ٦٨٩ ، ٧٠٧ ، ٧٢٩ ، ٧٦٦ .

- البِدْعَة : ١٢٣ ، ١٣٢ ، ٣٥٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣ ، ٤١٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٥٤٣ ، ٧٠٧ .
- البَدَن ، الأَبْدَان : ٩٠ ، ٣٨١ ، ٦٣٤ ، ٦٤٢ ، ٦٤٦ ، ٦٩٩ ، ٧٢٢ ، ٧٦٩ .
- البَدِيع ، الإِبْدَاع ، البَدَائِع : ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٨ ، ٣٧٣ ، ٣٩٩ ، ٤٤٢ .
- البرّ : ١٦٤ .
- البرّاءة : ١٧٩ ، ٤٤٧ .
- البرّهان : ٢٨١ ، ٣٧٣ ، ٣٨٦ ، ٤٢٥ ، ٤٨٥ .
- البَصَر ، البَصِير ، البصيرة : ٨٧ ، ١١٥ ، ١٧١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٤٠٩ ، ٤٢٢ ، ٥٠٦ ، ٥٧٨ ، ٦٦٥ ، ٧١٤ ، ٧٧٣ .
- البُطُون : ٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣٥٠ ، ٣٧٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٤٠١ ، ٤٣٤ ، ٦٠٩ ، ٧٤٧ .
- البعث : ٢٦٤ .
- البَغْض : ٣٢٥ ، ٣٦٤ ، ٤٤٢ .
- البَغْي ، البَغْضَاء : ٢٦٦ ، ٣٠٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٦١٣ ، ٦١٥ ، ٦٥٣ .
- البَقَاء : ١٦٢ ، ٢١٤ ، ٢٦٩ ، ٣٧٨ ، ٤٢٨ ، ٤٤٤ ، ٥٢٩ ، ٥٨٢ ، ٧٠٨ ، ٧٦٤ .
- البَلِيَّة ، البَلَاء : ٩٣ ، ٩٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٦١ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٨٩ ، ٤١٧ ، ٤٤٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٦ ، ٦٣١ ، ٦٥٥ ، ٧٠٣ ، ٧١٢ ، ٧٤٤ ، ٧٤٨ ، ٧٥١ ، ٧٦٩ .
- البُؤْس : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٣٠٢ .
- البيت الحرام : ٩٧ .
- البيعة : ١١٤ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٩٨ ، ٢٥٩ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٥٠٧ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٦٥٠ ، ٦٥٨ .

- الْيَبْنَ : ٦١٤ ، ٧١٠ .
- الْبَيْتَةُ : ٢٦٧ ، ٣٤٤ ، ٣٩٤ ، ٥٤٠ .
- الْبُيُوتَات : ٦٣٠ .

(ت)

- التَّابِع ، التَّابِعُونَ : ٢٤٠ ، ٤١٤ .
- التَّبْلِيغُ وَالتَّبْلَاغُ : ٩٤ ، ٢٨٠ .
- التَّجَرِبَةُ : ٨٧ ، ٢٤١ .
- التَّجَزِئَةُ : ٨٦ ، ٢٢٣ ، ٢٤٠ ، ٤٤١ .
- التَّحْكِيمُ : ١٥٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ .
- التَّدْبِيرُ : ٢٤١ ، ٤٢٦ ، ٦٨٣ .
- التُّرَاثُ : ٦٠٢ ، ٧٠٧ .
- التَّرَفٌ : ٧١٤ .
- التَّصْدِيقُ : ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٨١ ، ٧٠٧ .
- التَّقْوَى ، الْأَتْقِيَاءُ : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٠ ، ٢١٧ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٦ ، ٤٤٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦١ ، ٦٠٨ ، ٦١٣ ، ٦٩٩ ، ٧٠٤ ، ٧٠٩ ، ٧٣١ ، ٧٧٣ .
- التَّقِيَّةُ : ١٥١ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٥٠٥ ، ٧٢٥ .
- التَّهَجُّدُ : ٢١٦ .
- التَّوَاضُّعُ : ٩٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٧٣ ، ٥٥٦ ، ٦٣٩ ، ٧٢٧ .
- التَّوْبَةُ : ١٢٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٣٤٨ ، ٤٣٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٨١ ، ٦٩٩ ، ٧١١ ، ٧١٥ ، ٧٦٣ ، ٧٧٩ .
- التَّوْحِيدُ : ٨٦ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٤٣٨ ، ٧٨٧ .
- التَّوَكُّلُ : ٥٢٢ ، ٥٧٠ ، ٥٩١ ، ٧٧٢ .
- التَّيَّارُ : ٨٨ .
- التَّيَّهُ : ٤٨٩ ، ٥٦٦ ، ٥٧١ ، ٧٧٢ .

(ث)

- الثَّناء : ٢٥٨ ، ٥٠٥ ، ٦٩٧ .
- الثَّوَاب : ١٧٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٦٨ ، ٣٠٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٤٢٥ ، ٤٥٠ ، ٤٧٣ ، ٥٤١ ، ٥٩٤ ، ٦١٨ ، ٦٥٥ ، ٦٥٩ ، ٦٧٨ ، ٦٩٦ ، ٧٠٥ ، ٧٤٨ ، ٧٦٢ .

(ج)

- الجاهلية : ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٤٠٠ ، ٤٥٨ ، ٤٦٧ ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٦٨ .
- الجَبَّار : ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، ٥٦٣ ، ٦٢٣ .
- الجبال : ١١٥ ، ٤٦١ ، ٤٨٧ ، ٥٤٧ ، ٦٣٨ ، ٧٨١ .
- الجبرية : ٤٥٤ .
- الجحود : ١٧٢ ، ١٧٦ ، ٣٤٥ ، ٤٥٨ .
- الجحيم : ٢٢٠ .
- الجريح ، المجروح : ٣٢٧ .
- الجزاء : ١٦٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٥٨ ، ٣١٢ ، ٣٥٠ ، ٣٦٩ ، ٤٥٠ ، ٤٧٧ ، ٥٠٣ ، ٥٧٨ ، ٧٢٩ .
- الجزع : ١٤٨ ، ٧٢١ ، ٧٢٥ .
- الجزية : ٦٢٨ .
- الجسد : ٢٩١ ، ٤٧٢ ، ٤٨٢ ، ٥١٦ ، ٦٩٧ ، ٧٢٧ .
- الجسر : ٦٥٧ .
- الجلال ، الجلالة ، الإجلال : ٢٤٦ ، ٢٩١ ، ٤٤٣ ، ٤٥٤ ، ٥٠٠ ، ٦٩٤ ، ٥٠٥ .
- الجماعة : ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٦٦ ، ٤٦٧ ، ٥٤٧ ، ٦٦٢ .
- الجمود ، الجامد : ٩٢ ، ٤٤٠ ، ٦٦١ .

- الجَنَاح ، الجَوَانِح : ١٥٦ ، ٣٢٨ ، ٤٥٩ ، ٦١٣ ..
- الجَنَّة ، الجنَان : ٩٣ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦ ، ٤١٥ ، ٥٤٢ ، ٥٦٤ ، ٦٨٥ ، ٧١٠ ، ٧٦٣ ، ٧٦٨ .
- الجُنْد : ١٦٣ ، ٢٩٦ ، ٣١٠ ، ٣٥٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٤٤٨ ، ٦٢٨ ، ٦٥٦ ، ٦٧١ .
- الجنين : ٢٩٩ ، ٣٦٤ ، ٣٨٩ .
- الجِهَاد ، الجَاهِدُونَ : ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٦٦ ، ٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٣١ ، ٥٣٨ ، ٥٧٤ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦١٤ ، ٦٢١ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٧١١ ، ٧٣٢ ، ٧٦٦ .
- الجَهْل والجَهَالَة : ٨٦ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١٦٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣٣٣ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٤٢٤ ، ٥١٠ ، ٦٤٥ ، ٦٥١ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢ ، ٧٠٦ ، ٧١١ ، ٧١٧ ، ٧٦٨ ، ٧٨٩ .
- جَهَنَّمَ : ٣٩٣ ، ٤٧٤ .
- الجَوَارِح : ٩٢ ، ٢٩٩ ، ٤٢٧ ، ٤٤٢ ، ٤٦٣ ، ٦٩٩ ، ٧٦٧ .
- الجُود : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥٩ ، ٤٣٢ ، ٧٧٩ .
- الجَوْر : ١١٩ ، ١٧٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٤١٩ ، ٤٩٢ ، ٥٩٨ ، ٦٢٢ .
- الجُوع : ٢٧٥ ، ٣٨٣ ، ٤٨٨ ، ٦٥٦ ، ٦٦٨ ، ٧٠٣ ، ٧١٢ .
- الجَوْهَر : ٥٠٠ ، ٧٢٦ .

(ح)

- الحَاجَة : ٢٨٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٥٥٦ ، ٦١٩ ، ٦٢٨ ، ٦٤١ ، ٦٩٣ ، ٧٦٤ ، ٧٧٧ ..

- الحُب ، المحبة : ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٥ ، ٣٨٤ ، ٤١٤ ، ٤٨٣ ، ٥٠١ ، ٥٧٩ ، ٧٤٢ .
- الحجج : ٨٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٢٩٣ ، ٦٢٠ ، ٦٦٧ ، ٧١١ ، ٧٣٢ .
- الحجاب ، الحاجب : ٥٩٠ ، ٦٦٧ ، ٧٤٦ .
- الحجة : ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ، ٢٨٤ ، ٢٩٤ ، ٣٤٩ ، ٣٦٨ ، ٣٨٦ ، ٤٠٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٥٠٢ ، ٥١٦ ، ٥٤٩ ، ٦٢٤ ، ٦٨١ ، ٧١٤ ، ٧٤٧ .
- الحد : ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٣٦٧ ، ٣٨٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٧٣٧ ، ٦٤٨ .
- الحدّث ، الحدوث : ٨٦ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٥٥٨ .
- الحدّثان : ٢١٤ ، ٧٢٥ ، ٧٦١ .
- الحدود : ٨٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٨٠ ، ٣٣٢ ، ٣٤٨ ، ٣٩١ ، ٤٦٩ ، ٦١١ ، ٧٠٢ ، ٧٣٢ .
- الحديث : ٢٩٤ .
- الحرّ : ٩٢ ، ٤٣٧ ، ٥١٣ ، ٧٣٩ .
- الحرام : ٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٥١ ، ٣٧٧ ، ٤٠٢ ، ٤٣٢ ، ٤٦١ ، ٥١٥ ، ٥٨٦ ، ٦٥٩ ، ٧٠٥ .
- الحرب : ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ٢٣٢ ، ٢٧٣ ، ٣٢٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٦٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٥٣ ، ٤٩٣ ، ٥٠٧ ، ٥٢٦ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ ، ٦٦٠ ، ٧٥٣ .
- الحركة : ٨٧ ، ٣٦٧ ، ٣٩٤ ، ٤٤١ ، ٤٩٩ ، ٥١١ ، ٥١٣ .
- الحرّمان : ٦٨٤ ، ٦٩٤ .
- الحزب : ١١٥ ، ١٣١ ، ٤٧٧ ، ٦١٢ ، ٦٥٩ .
- الحزن : ٢٢٧ ، ٢٩٩ .
- الحساب : ١٦٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٥١٥ ، ٥٤١ ، ٥٤٦ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٧٢٤ .

- الحسد : ٢٢٦ ، ٤٥٧ ، ٧٢٦ ، ٧٣٣ ، ٧٦٤ .

- الحشر : ١٥١ .

- الحَفْظَة : ٩٠ .

- الحَقِّق : ٨٥ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ،

٢٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،

٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ،

٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ،

٣٨٩ ، ٤٠٧ ، ٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٥٠٣ ، ٥٥١ ، ٦١٤ ، ٦٢٦ ، ٦٤٦ ،

٦٨٧ ، ٧٠٦ ، ٧٣٠ ، ٧٤٠ ، ٧٦٦ ، ٧٨١ .

- الحُكْم : ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٤٣٦ ، ٤٥١ ،

٤٩٢ ، ٥٦٦ ، ٦١٦ ، ٦٤٦ ، ٦٧٧ ، ٦٨٦ ، ٧٢٠ ، ٧٨٧ .

- الحِكْمَة : ١٠١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٦ ،

٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٤٢٩ ، ٥٧٣ ، ٦٢٧ ، ٦٨٦ ،

٦٩٦ ، ٦٩٧ .

- الحُكُومَة : ٣١٢ ، ٣٢٥ ، ٦٤٨ .

- الحَلال : ٩٦ ، ٢٣٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٤١٧ ، ٤٣٢ ، ٥٤٠ ،

٦٦٩ .

- الحَقِّق : ٦٨٨ .

- الحَيَاة : ١٠٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٣٦ ، ٣٧٠ ، ٥١٥ ، ٥٢٥ ، ٥٧٧ ،

٦٣٩ ، ٧٢٨ .

- الحِيلَة : ١٦٥ ، ٤٥٧ ، ٤٦٥ ، ٦٤٠ ، ٧٤٤ ، ٧٧٢ .

(خ)

- الخِدَاع ، الخِدْعَة : ١٦٦ ، ١٨٥ ، ٦٦٤ .

- الخَرَج : ٦١٩ ، ٦٢١ ، ٦٢٨ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٧٨٨ .
- الخطايا : ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٤٣ ، ٢٩٣ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٤١٩ ، ٧٦٣ .
- الخلاص : ٢٢١ .
- الخلاف ، الخَلْف : ٤٩١ ، ٤٩٨ ، ٦٤٧ ، ٧٠٣ ، ٧٢٦ .
- الخلافة : ٧٢١ .
- الخَلَف : ٢٠٨ ، ٢٧٠ ، ٤٥٢ ، ٦٢٦ ، ٧١١ .
- الخَلْق ، الخَالِق : ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٣٠٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٤٠٦ ، ٤٢٥ ، ٤٤٤ ، ٤٦٢ ، ٥٦٥ ، ٧١٦ .
- الخَمَر (بأسماؤها) : ٣٦١ ، ٣٧٧ ، ٣٩٩ .
- الخَوارج : ١٨٠ ، ١٨١ ، ٦٧٧ ، ٧٢٣ ، ٧٥٤ ، ٧٧٦ .
- الخَوْف : ١٧٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٤٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣٥٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ، ٥١١ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤ ، ٦٠٨ ، ٦٨٧ ، ٧٣٩ ، ٧٠٣ .
- الخِيَانَة : ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ٥٦٢ ، ٦٠١ ، ٦٣٣ .
- الخِيَّة : ٢٥٨ .
- الخَيْر : ١٣٤ ، ١٩٦ ، ٢٢٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣٢٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨٣ ، ٤٠٢ ، ٤١٦ ، ٥٢٢ ، ٦٨٦ ، ٧٦١ ، ٧٧٦ .

(د)

- الدَّاء : ٣١٣ ، ٣٨٠ ، ٤١٤ ، ٤٥٥ ، ٥١٣ ، ٦٠٩ ، ٦٨٥ .
- الدَّار : ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٧ .

- الدُّعَاءُ : ١٢٣ ، ٣٨٩ ، ٥١٥ ، ٥٢٣ ، ٥٤٩ ، ٥٨١ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧٧٩ .

- الدَّعْوَةُ : ٩٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٤١ ، ٢٩٩ ، ٣٤٤ ، ٣٨٦ ، ٥٦٤ ، ٦١٨ ، ٦٧٦ .

- الدَّم ، الدِّمَاءُ : ١٣٩ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٧٩ ، ٣٣٢ ، ٣٤٠ ، ٣٦٥ ، ٤١٠ ، ٤١٦ ، ٤٣٠ ، ٤٥٣ ، ٦٤٦ ، ٦٥٤ .

- الدُّنْيَا : ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤١٠ ، ٤٤٩ ، ٥٢٥ ، ٥٤٦ ، ٥٧٤ ، ٥٩٩ ، ٦١٠ ، ٦٦٧ ، ٦٧٨ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٩ ، ٧٦٣ ، ٧٧٠ ، ٧٨٣ ، ٧٧٤ .

- الدُّمَرُ : ١٥٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤١١ ، ٥١٢ ، ٥٦٥ ، ٥٧٣ ، ٦٠٩ ، ٦٧٤ ، ٧٤٧ ، ٧٧٠ .

- الدَّوَاءُ : ٢٨٥ ، ٣١٣ ، ٣٨٠ ، ٤٠٣ ، ٥٨٦ ، ٧٠٩ .

- الدِّين ، الدِّيَان : ٨٥ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٣٨ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٩٢ ، ٤٠٠ ، ٤١٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٨٣ ، ٥٠٢ ، ٥٣٢ ، ٦١٣ ، ٦٥٨ ، ٧٠٢ ، ٧٣٥ ، ٧٦٤ ، ٧٨٦ .

(ذ)

- الذَّات : ٢٣٨ ، ٥١٣ .

- الذِّكْر : ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٣٣٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٤٣٣ .

٤٩٠ ، ٥١٤ ، ٥٢٢ ، ٥٢٩ ، ٦٣١ ، ٧٤٤ .

- الذُّلُّ : ١٥٢ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ٢١٠ ، ٣١٩ ، ٣٨١ ، ٤٢٣ ، ٤٤٥ ، ٦٦٠ ، ٦٨١ .

- الذِّمَّةُ وَالذِّمَمُ : ٢٨٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٥٦ .

- السَّدْبُ : ١١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ٣٢٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٨٦ ، ٤٩٩ ، ٥١٦ ، ٦٨٤ ، ٦٩٧ ، ٦٩٩ ، ٧١٥ ، ٧٣١ ، ٧٣٥ ، ٧٦٤ ، ٧٨٩ .

(ر)

- الرَّأْيُ : ١٦٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥ ، ٤٠٤ ، ٤١٤ ، ٤٥٣ ، ٤٩٢ ، ٥٥٤ ، ٥٧٥ ، ٦٢٦ ، ٦٥٧ ، ٦٧٠ ، ٦٩١ ، ٧٠٦ ، ٧١٨ ، ٧٢٦ ، ٧٥٣ .

- الرَّأْيَةُ ، الرِّايَاتُ : ٣٤٣ .

- الرَّبُّ ، الرَّبُّوبِيَّةُ : ١٨٥ ، ٢٥٤ ، ٢٩٩ ، ٣٦٧ ، ٤٢٦ ، ٤٣٢ ، ٤٦٥ ، ٥٨٤ ، ٥٧٨ .

- الرَّبَا : ٣٧٧ ، ٧٨١ .

- الرَّجَاءُ : ٢٤٧ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣٨٢ ، ٤٤٥ ، ٥١١ ، ٧٠٣ .

- الرَّجَالُ : ١٧٢ ، ١٧٨ ، ٢٧٥ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤ ، ٥٥٢ ، ٦٧١ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٢٦ ، ٧٧٤ ، ٧٨٠ .

- الرَّحْمَةُ : ٨٥ ، ١١٧ ، ١٦٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ، ٤٤٦ ، ٤٧٨ ، ٦٢٢ ، ٦٤٠ ، ٦٤٥ ، ٦٩٨ ، ٧١٠ ، ٧٤٨ .

- الرَّزْقُ : ١٣٣ ، ٣٠٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٤٣٧ ، ٥٢٠ ، ٥٨٩ ، ٦٩٩ ، ٧١١ ، ٧٣٢ ، ٧٦٦ ، ٧٧٨ .

- الرُّسُلُ ، الرِّسَالَاتُ : ٩٠ ، ٩٥ ، ١٧٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٨٢ ، ٢٩٣ ،

٣١١ ، ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٣٧٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٢ ، ٤٧٠ ،

٥٣٢ ، ٥٢٦ .

- الرَّعْد : ٤٢٧ ، ٧٨٧ .

- الرَّعِيَّة : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

- الرَّغْبَةُ ، التَّرْغِيب : ٢٤٧ ، ٧١٠ ، ٧٦٤ .

- الرَّفْض : ٢٦٩ ، ٣٠٠ .

- الرَّكُوع : ٩٠ .

- الرَّمَّاح : ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٥٤٨ ، ٦٠٤ .

- الرَّهْبَةُ ، والتَّرْهيب : ١٧٥ ، ٤٦١ ، ٧١٠ ، ٧٣٠ .

- الرَّوْح : ٩٢ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٩٨ ، ٤٥٤ ،

٥٤٦ ، ٦٩٨ ، ٧٦٦ .

- الرِّياء : ٢٢٦ .

- الرِّيح : ٨٥ ، ٨٨ ، ١٢٦ ، ١٦٣ ، ٣٠٧ ، ٣٥٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٨ ،

٤٥٧ ، ٤٨١ ، ٦٦٣ ، ٧١٣ ، ٧٨٧ .

- الرِّياضة : ٦٤٤ .

(ز)

- الزَّاد : ١٦٨ ، ٣٠١ ، ٣٧٨ ، ٤٣٣ ، ٤٩١ ، ٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٥٨٠ ،

٦١٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠٩ ، ٧٣١ .

- الزَّانِي : ٣٢٤ ، ٧٣٢ ، ٧٥٠ .

- الزَّكَاة : ١٧٩ ، ٢٩٣ ، ٤٦٣ ، ٤٨٦ ، ٥٢٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧٢٥ ،

٧٣٢ .

- الزَّمَان : ١١٦ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٨٦ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٧ ،

٣٤٦ ، ٣٨٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٦ ، ٤٤٤ ، ٥٠٤ ، ٥٧٢ ، ٥٩٠ ، ٥٩٧ ،

٧٠١ ، ٧٠٥ ، ٧٨٦ .

- الزُّهْد : ١٩٨ ، ٢١٦ ، ٤٧٥ ، ٥٢٥ ، ٥٦٣ ، ٦٨١ ، ٦٨٥ ، ٧٠١ ،

- ٧٨٢ ، ٧٨٠ ، ٧١٥ ، ٧٠٥ .
- الزَّوَال : ١٧٤ ، ٢٧٠ ، ٧٣١ ، ٧٦٤ .
- الزُّور : ٢٢٩ ، ٤٩٦ ، ٦١٥ .

(س)

- السَّاجِر : ٢٠٣ .
- السَّارِق : ٣٢٤ .
- سَاعَة ، السَّاعَة : ١٣٠ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٦٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨٥ ، ٣٢٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٤٩ ، ٥١٢ ، ٦٥٥ ، ٧٠٢ ، ٧٦٩ .
- السَّبَاب : ٤٩٢ .
- السَّبِيل : ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٧٦ ، ٢٩٣ ، ٣١٢ ، ٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٤٦ ، ٤٥٧ ، ٤٨٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥٨٥ ، ٦١٩ ، ٦٧١ ، ٧٢٩ .
- السُّجُود : ٩٢ ، ٢٦٨ ، ٤٥٣ .
- السَّحَاب : ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٤٠١ ، ٦٥٩ ، ٦٨٤ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ .
- السُّحُت : ٣٧٧ ، ٧٧٥ .
- السِّرَاج : ٨٩ .
- السَّعِيد ، السَّعْدَاء : ٢٢٦ ، ٣٢٨ ، ٤٢١ ، ٦٤٩ .
- السَّفَر : ١٦٩ ، ٢٩٢ ، ٣٩٩ ، ٤٦٢ ، ٥٧٩ ، ٦٩٥ ، ٧٤٥ .
- السُّفْهَاء : ١٦٠ ، ٤٦٣ ، ٧٢٥ ، ٧٢٧ ، ٧٣٢ .
- السَّفِير : ٤٨١ .
- السَّفِينَة : ١١٧ .
- السَّكَّة : ٤٨٨ .
- السُّكُون : ٤٤١ ، ٥١١ .
- السَّلَف : ٢٠٩ ، ٤٥٢ ، ٥١٠ .

- السِّلْم ، السَّلَام : ٢٨١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٤ ، ٣٨٨ ، ٤٥٤ ، ٤٩٠ ، ٥٠٩ ، ٥٤٣ ، ٧٣٣ .
- السَّيَاء ، السَّمَوَات : ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ٢٣٤ ، ٣٧٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣٢٣ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٨٢ ، ٤٠٦ ، ٤٤٥ ، ٥١٥ ، ٦٩٦ .
- السَّنَّة ، السَّنَن : ٩٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٩٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٧١ ، ٤٨٧ ، ٥٢٢ ، ٦٢١ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٣٢ ، ٦٤٩ ، ٧٩٧ .
- السَّهْل : ٩١ ، ٢٥١ ، ٥٢٨ ، ٥٤٦ ، ٦٣٨ .
- السَّهْم : ١٨٢ .
- السَّيْف : ١٨٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٦٢ ، ٢٧٩ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٣٨٠ ، ٤٢٤ ، ٤٦٨ ، ٥٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٩٧ ، ٧٦٥ .

(ش)

- الشَّاب : ٢١٤ ، ٥٦٨ .
- الشَّيْع : ٤١١ ، ٤٨٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٢ .
- الشُّبْهَة ، الاِشْتِيَاه : ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٨٣ ، ٣١٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ ، ٤٣٦ ، ٥١٤ ، ٥٧٧ ، ٦٠٧ ، ٦٣٣ ، ٧٠٥ ، ٧١٤ ، ٧٧٢ .
- الشَّر ، الشَّرَار : ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٦ ، ٥٩٩ ، ٦٢٥ ، ٦٧١ ، ٧١٨ ، ٧٦٤ ، ٧٨٩ .
- الشَّرْع ، الشَّرِيعَة ، الشَّرَائِع : ٢٨٠ ، ٣١٢ ، ٣٨٦ ، ٤٨٣ ، ٥٧٦ ، ٦٨٦ .

- الشَّرْكُ والشَّرِيك : ٢٤١ ، ٣٠١ ، ٣٤٠ ، ٤١٨ ، ٥٥٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٨ ، ٧٣٢ ، ٧٥٦ .
- الشَّقَاعَةُ ، الشَّافِع : ٤١٤ .
- الشَّفِيّ : ١٦٤ ، ٢٢٦ ، ٣٢٨ ، ٦٧٨ .
- الشَّك ، الشُّكُوك : ٩٣ ، ١٧٧ ، ٢٤٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٥٦٩ ، ٦٨٧ ، ٦٩٠ ، ٧٠٨ ، ٧١٤ .
- الشُّكْر : ٢٠٤ ، ٢٥٥ ، ٣٠٠ ، ٣٢٣ ، ٣٤٥ ، ٣٧٧ ، ٤٣٣ ، ٥٣٣ ، ٧١٥ ، ٧٢٣ ، ٧٥٧ ، ٧٧٩ .
- الشَّهَادَةُ : ٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤٥ ، ٣٧٦ ، ٤٣٠ ، ٤٩٩ ، ٥١٠ ، ٥٩٥ ، ٦٤٩ ، ٦٧٠ ، ٦٨٣ ، ٦٩٤ ، ٧٣٢ .
- الشَّهْوَةُ والشَّهَوَات : ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٨٧ ، ٣٩٩ ، ٤١٢ ، ٤٣٨ ، ٥٢٤ ، ٥٧٣ ، ٦٢١ ، ٦٨٥ ، ٦٩٣ ، ٧٢٢ .
- الشَّهِيد : ١٣٣ ، ٢٢٤ ، ٥٦٧ ، ٧٨٨ .
- الشُّورَى ، المَشُورَةُ : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٤٢ ، ٦٢٥ ، ٧٠١ ، ٧٠٥ .
- الشَّيْب : ٦٨٣ ، ٧٨٨ .
- الشَّيْعة : ٥٠٧ .

(ص)

- الصَّبْر : ١٠٣ ، ١٣٩ ، ١٧٨ ، ٢٠٠ ، ٢٥٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣١٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٧ ، ٤٠٩ ، ٤٤٦ ، ٤٨٩ ، ٥٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٥ ، ٦٩٢ ، ٦٩٧ ، ٧٧٣ .
- الصَّحَابَةُ : ٤٠٣ ، ٤٩٨ ، ٧٢١ ..
- الصَّدْق ، الصَّادِق : ١٣٤ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٦٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٩ .

٤١٢ ، ٥٣٠ ، ٦٣٤ ، ٦٨٦ ، ٧١٠ ، ٧٢٦ ، ٧٣٠ ، ٧٣٣ ، ٧٤٩ ،
٧٨٣ .

- الصَّدَقَة : ٢٩٣ ، ٥٢٠ ، ٥٦٢ ، ٦٨٢ ، ٧٠١ ، ٧١١ ، ٧٣٤ ، ٧٤٣ .

- الصَّرَاط : ٤١٥ .

- الصَّرَاع : ١٨٠ .

- الصَّغَر ، الصَّغِير ، الصَّغَائِر : ٣٤٥ ، ٣٨٢ ، ٤٣٧ ، ٥٥٥ ، ٦٣١ .

- الصِّفَات ، الصِّفَة : ٨٦ ، ٩١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٨ ، ٤٤٢ ، ٤٧٧ ، ٥١١ ،

٦٧٣ . ٧٣٠ .

- الصُّفُوءَة : ٣٦٣ .

- الصَّلَاة : ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٩٣ ، ٣٣٢ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٦٥ ، ٦١٤ ،

٦٢٠ ، ٦٤٢ ، ٦٧١ ، ٧١١ ، ٧٣٢ .

- الصَّلْب : ١٨١ .

- الصُّور ، التصوير : ٩١ ، ٤٧٨ .

- الصَّوْم ، الصَّيَام : ٢٠٣ ، ٢٩٣ ، ٣١٤ ، ٦١٤ ، ٦٢٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ،

٧٣٢ .

(ض)

- الضَّر ، الضَّرَاء : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٩٥ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ ، ٤٧٦ ،

٦٥٣ ، ٦٨١ ، ٧٢٣ .

- الضَّعْف ، الضَّعِيف : ١٦٤ ، ١٨٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ٤٣٨ ،

٤٤٤ .

- الضَّلَال : ٩٦ ، ١٢٣ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ،

٣٢٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٤١٤ ، ٤٢٤ ، ٤٥٨ ، ٥٠٦ ،

٥٢٣ ، ٥٤٣ ، ٥٧٧ ، ٥٩٦ ، ٦٠٩ ، ٦٦٥ ، ٦٨٧ ، ٧٢٠ .

- الضَّمِير ، الضَّمَائِر : ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٨٤ ،

٣٠٠ ، ٣٥٠ ، ٧٦٢ . - الضِّيَاء : ٨٩ ، ١٦٢ ، ٣١٢ ، ٣٧٣ ، ٤٤٢ ،

(ط)

. ٤٥٥

- الطَّاعَة : ١١٣ ، ١٦٢ ، ١٨٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٩١ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٤٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٤١٢ ، ٤٧٢ ، ٥٣٠ ، ٥٦٨ ، ٦١٨ ، ٦٣٢ ، ٦٤١ ، ٦٧٠ ، ٧١٣ ، ٧١٧ ، ٧٥٥ ، ٧٦٨ ، ٧٧٥ .
- الطَّائِفَة : ١٠٨ ، ١٧٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢٣ ، ٥٠٧ .
- الطَّبِيب : ٢٨٥ ، ٣١٣ ، ٥١٣ ، ٧٠٩ .
- الطَّن : ٣١٩ .
- الطَّلَب ، الطَّالِب : ٣٠٣ ، ٤٤٣ ، ٥٤١ ، ٥٧٥ ، ٥٨٥ ، ٦٩٣ ، ٧٧٨ ، ٧٨٣ .
- الطَّمَع : ١٤٨ ، ٢٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٨٣ ، ٤٠٩ ، ٤٤٦ ، ٤٧٣ ، ٥٥٦ ، ٥٨٥ ، ٥٩٠ ، ٦٠٩ ، ٦٣٢ ، ٦٨١ ، ٧٠٣ ، ٧٢٦ .
- الطَّهَارَة ، الطَّاهِر ، الطَّهْوَر : ٤٨٢ ، ٦٢٥ ، ٦٤٩ .
- الطَّوَائِف : ٩٥ .
- الطَّيْرَة : ٦٧٧ ، ٧٧١ .

(ظ)

- الظَّالِمُون ، وَالظَّالِمَة : ١٨٠ ، ٢٦٥ ، ٣٣٩ ، ٣٦٥ ، ٣٨٠ ، ٤١٠ ، ٦٢٦ ، ٧٢٠ ، ٧٣١ .
- الظَّاهِر : ١٨٦ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤ ، ٣١٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٤٤٣ ، ٥٠٠ ، ٦٥٣ ، ٧٤٥ ، ٧٧٨ .
- الظُّلَام ، الظُّلْمَة ، الظُّلْمَاء : ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤٢٠ ، ٥٨٤ ، ٤٥٥ .
- الظُّلْم : ١٠٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٤١٨ ، ٤٣٦ ، ٥٣٣ .

(ع)

- العاجِل ، العاجِلَة : ٢٩٤ ، ٣٠٠ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٦٨٢ .
- العارف : ٨٧ .
- العاصي : ١١٣ ، ١٦٦ .
- العَالَم : ٨٧ ، ١٢١ ، ٢٩٤ .
- العَالِم : ١٨٦ ، ٢٧٥ ، ٣٢١ ، ٣٣٣ ، ٣٦٧ ، ٧٦٧ .
- العامِل : ٢٠٢ ، ٢٩٤ ، ٣٤٣ ، ٣٧٢ .
- العُباب : ٨٩ .
- العِبَاد : ٩٠ ، ١٧٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣٢٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٦٧ ،
٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٣٤ ، ٥٠١ ،
٥١٩ ، ٦١١ ، ٦١٥ ، ٦٣٥ ، ٦٤٥ ، ٦٩٦ ، ٧١٤ .
- العِبَادَة : ٩٨ ، ١٦٨ ، ٢٤٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٣٥٤ ، ٣٧٠ ، ٤٠٦ ،
٤٨٢ ، ٦٧١ ، ٦٩٩ ، ٧٠١ ، ٧٠٥ ، ٧٣٠ .
- العِبرَة : ٢٠٧ ، ٣٠٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٤٢٨ ، ٤٩٩ ، ٦٨٦ ،
٧١٦ ، ٧٤٩ .
- العَبِيد : ١٦٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٣٣١ ، ٣٨٤ ، ٤٢١ ،
٥٨٨ ، ٦٩١ ، ٧٤٤ .
- العِتَق : ١٦٧ ..
- العَمَل ، العَادِل : ١١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٢٦٣ ، ٢٨٢ ، ٣٢٦ ،
٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٤٠٥ ، ٤١٩ ، ٥٦٣ ، ٦٢٢ ، ٦٣٥ ، ٧٢٦ ،
٧٥٧ ، ٧٨٧ .
- العَدَم : ٢٨٦ ، ٤٤٠ ، ٥٢١ .
- العَدَو ، العَدَوَان : ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ٢١٧ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ،
٣١٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٩٣ ، ٥٢٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩٩ ،
٦٥٧ ، ٧٠١ ، ٧١٨ ، ٧٤٨ ، ٧٨٠ .

- العَذَاب : ١١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٩٢ ، ٣٤٨ ، ٣٨٦ ، ٤٣٧ ، ٥٦٤ ، ٦٩٨ ، ٧٦٦ .
- العَرْش : ٩٠ ، ٩٨ ، ٢٤٨ ، ٣٨٢ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ .
- العُرْف : ٦٣٠ .
- العُرْوَة : ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٥٣٤ .
- العِزُّ ، العِزَّة : ٩٠ ، ٩٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٣٢٢ ، ٣٨٧ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥٣ ، ٥٠٤ ، ٧٠٥ .
- العَزِيز : ٢٢١ ، ٢٩٦ .
- العَصِيَّة : ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٦٣ .
- العِصْمَة : ٣٤٥ ، ٤٠٤ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠ ، ٧٥٨ .
- العِصْيَان : ١٤٢ ، ٢٧٢ .
- العِظَام ، العَظْمَة : ٩٨ ، ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٣٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٤٤٣ ، ٥٠٥ .
- العَقَائِد ، العَقِيْدَة : ٢٨٤ .
- العِقَاب : ١٥٥ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٥٠ ، ٣٨٥ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٦١٨ ، ٦٤٧ ، ٦٥٥ ، ٦٨٨ ، ٦٩٦ ، ٧٦٢ .
- العَقْل : ٩٠ ، ٩٤ ، ١١٨ ، ١٤٢ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٩٠ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٨٢ ، ٣٩٨ ، ٤٢٨ ، ٥٠٢ ، ٥٤٣ ، ٦٢٣ ، ٦٧٨ ، ٧٠٠ ، ٧١٢ ، ٧٧٣ ، ٧٨٢ .
- العِلْم ، العُلَمَاء : ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٩١ ، ٤٠٩ ، ٤٣٨ ، ٤٨٥ ، ٦٠٥ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧١٣ ، ٧٤٧ ، ٧٦٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٩ .
- العَمَد ، العَمُود ، العِمَاد : ٨٩ ، ٣٥٩ ، ٤٢١ ، ٤٧٦ ، ٤٩٩ ، ٥٢٢ ، ٦٠٣ ، ٦٢٤ .

- العُمَرَان : ٦٣٥ .

- العَمَل : ١٠٧ ، ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ،

٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،

٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،

٣٥١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٤١٥ ، ٤٣٤ ، ٥٦١ ، ٥٩٤ ، ٦٢٢ ،

٦٥١ ، ٦٨٤ ، ٧٣٢ ، ٧٦٢ ، ٧٦٨ ، ٧٧٤ .

- العَهْد : ١١٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٨٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٦٤ ،

٤٩٠ ، ٥١١ ، ٥٣٠ ، ٦٠٩ ، ٦٤٥ .

- العَيْب : ٣٤٥ ، ٣٨٢ ، ٤١٩ ، ٥٢٢ ، ٦١٥ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٣٥ ،

٦٣٨ ، ٦٨٢ ، ٦٩٢ ، ٧٢٧ ، ٧٥٩ ، ٧٦٤ .

- العَيَان : ٤٢١ .

- العَيْن : ٩٠ ، ١١٤ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٨ ،

٢٩٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ،

٤٢٧ ، ٤٣٤ ، ٥١٢ ، ٦١٢ ، ٦٣٤ ، ٧٤٥ ، ٧٧١ ، ٧٨٥

(غ)

- الغَافِل : ٢٧٠ ، ٣٧٠ .

- الغَدْر : ١١٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٤٨٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥ ، ٧٣٤ .

- الغَرَائِز : ٨٧ ، ٢٤٢ .

- الغُرْبَة ، الغَرِيب : ٢١٩ ، ٢٩٨ ، ٣٧٩ ، ٣٩٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ،

٥٧٤ ، ٦٨١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٩ ، ٧٠٨ .

- الغُرُور : ١٠١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٣٧ ، ٤٠٩ ،

٥٤٠ ، ٥٧٣ ، ٦٥٢ ، ٦٦٤ .

- الغَصَّة : ٧٠٦ .

- الغُفْرَان ، الغَقَّار ، المَغْفِرَة : ٩٨ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ٢٠١ ، ٢٥٨ ، ٣٤٨ ،

٥٥٧ ، ٦١٢ ، ٧١١ ، ٧٧٤ ، ٧٧٩ .

- الْغَفْلَةُ : ٢٢٥ ، ٢٤٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٣٦٩ ، ٤٤٦ ، ٤٧٥ ، ٦٧٠ ، ٧٢٤ ، ٧٦٣ .

- الْغَيْبُ : ٢٣٨ ، ٢٥٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٨ ، ٣٨١ ، ٤٥٦ ، ٥١٥ .

(ف)

- الْفَاسِقُ : ٣٥٠ ، ٦٥٩ ، ٦٧١ ، ٦٨٦ .

- الْفَاعِلُ : ٨٧ .

- الْفِتْنُ : ١٠٠ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٧٢ ، ١٩٦ ، ٢١٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٥٢٢ ، ٥٥٣ ، ٦٧٠ ، ٦٨١ ، ٦٩٩ ، ٧٤٨ .

- الْفُجُورُ ، الْفَاجِرُ : ١٠١ ، ١٦٤ ، ٢٨٧ ، ٤٣٠ ، ٤٨٨ ، ٦٨٩ ، ٧٥٢ ، ٧٠١ .

- الْفِرَارُ : ٣٥٨ .

- الْفَرَائِضُ : ٩٦ ، ٢٣٧ ، ٢٩٣ ، ٣١٥ ، ٤٠٢ ، ٤٣١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٦٢١ ، ٦٢٨ ، ٦٤١ ، ٦٤٥ ، ٧٠٢ ، ٧٠٥ ، ٧٤٢ ، ٧٤٥ ، ٧٥١ ، ٧٦٧ .

- الْفِرَاسَةُ : ٦٣٥ ، ٦٧٤ .

- الْفَرَحُ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٥٥٧ .

- الْفَضْلُ ، الْفَضَائِلُ ، الْفَضِيلَةُ : ٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٤ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٥٠٤ ، ٥٦٧ ، ٦٩٣ ، ٧٠٧ ، ٧٨٣ .

- الْفَسَادُ : ٢٧٦ ، ٣٣٠ ، ٣٧٠ ، ٤٢١ ، ٤٦٤ ، ٤٩٩ ، ٥٨٧ .

- الْفَشَلُ : ١١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٦٦١ .

- الْفِطْنُ ، الْفِطَنُ ، الْفِطْنَةُ : ٨٥ ، ٤٤٢ ، ٦٨١ ، ٦٨٦ .

- الْفَضَاءُ : ٨٩ .

- الفقيه ، الفقهاء : ٤٨٥ ، ٦٩٨ .
- الفناء : ١٦٨ ، ١٧٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٧٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٧٨ ، ٣٩٨ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ، ٤٤٣ ، ٥٥٧ ، ٧٠٨ ، ٧٦٢ .
- الفهم : ٦٨٦ ، ٧٢٤ .
- الفيء : ٣٢٤ ، ٥٥٥ ، ٦٠١ ، ٦٠٤ ، ٦٣٢ ، ٧٤٢ .

(ق)

- القابل ، القتلة : ٣٢٤ ، ٤١٠ ، ٦٦٤ .
- القتال : ١٣٥ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ٣١٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٤ ، ٣٩٣ ، ٥٤٧ ، ٦٦٠ .
- القتل : ١٧٠ ، ١٧٩ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٩٣ ، ٤٠٨ ، ٤٥٦ ، ٥٤٦ .
- القدر : ٢٤٢ ، ٤١٥ ، ٥٦٦ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٧٢٣ ، ٧٤٦ .
- القدر ، القدير : ٨٥ ، ٩١ ، ٢٣٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٦٧ ، ٣٨١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٣ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٥٠٣ ، ٦٢٣ ، ٦٨٢ ، ٧٣١ .
- القدم : ٤٣٥ ، ٤٤٠ .
- القرآن الكريم : ١٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٧١ ، ٦١٦ ، ٦٥١ ، ٦٦٩ ، ٦٧٧ ، ٧٠٢ ، ٧٢٨ ، ٧٤٢ ، ٧٦٣ ، ٧٧١ .
- القرون : ٢٣٣ ، ٣٨٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٨ ، ٥٢٥ .
- القصاص : ٤١٨ ، ٧٣٢ .
- القضاء : ٩٠ ، ١٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣١٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٤١٥ ، ٤٢٥ ، ٥١٣ ، ٥٢٢ ، ٥٩١ ، ٦٣٣ ، ٦٦٨ ، ٦٩٥ ، ٧٢٦ .
- القطب : ٣٥٣ ، ٣٦٤ .
- القلب : ١١٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ٢١٢ .

٢١٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٦ ، ٣٥١ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠ ، ٣٨٢ ، ٤٠٣ ، ٤١٦ ، ٤٨٥ ، ٥٤٧ ،
 ٥٩٢ ، ٦٦٣ ، ٦٩٢ ، ٧٠١ ، ٧٠٣ ، ٧١٣ ، ٧٦٥ .
 - القُوَّة ، القَوِيّ : ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٨٦ ، ٢٣٩ ، ٤٠٣ ، ٤٣٨ ، ٤٧٤ ،
 ٤٨٧ ، ٦٢٠ ، ٦٢٩ ، ٦٤٠ ، ٦٧٤ ، ٧٢٣ .
 - القِيَامَةُ : ١٦٦ ، ٢٨٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ،
 ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٨٨ ، ٥١٨ ، ٥٦٢ ، ٥٨٠ ، ٦٤٦ ، ٦٨٦ ، ٧٦٧ .

(ك)

- الكَافِر : ١٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢٤٠ ، ٥٩٨ ، ٦٩٦ ، ٧٢٤ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ .
 - الكَائِن : ٨٦ ، ٢٧٥ ، ٣٦٠ .
 - الكَاهِن : ٢٠٣ .
 - الكَبِير ، الكَبِير : ٣٤٥ ، ٣٧٠ ، ٣٨٢ ، ٤٢٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٥٠٥ ،
 ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٨٣ ، ٦٣٥ ، ٧٠٨ ، ٧٣٢ ، ٧٦٤ ، ٧٩٠ .
 - الكِتَاب : ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ٢١٧ ،
 ٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ،
 ٤٠٢ ، ٤٢٣ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٧١٦ ، ٧٧٨ ،
 - الكَثْرَةُ ، الكَثِير : ٤٤٥ ، ٤٦٦ ، ٦٣٢ ، ٦٤٩ ، ٦٩٧ ، ٧٤٧ .
 - الكَذِب : ٢٢٢ ، ٢٨٧ ، ٣٣٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٤٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٨٩ ،
 ٧٨٣ ، ٧٣٣ .
 - الكَرَامَةُ : ١٩٧ ، ٢٨٣ ، ٣٠٨ ، ٣٦٨ ، ٣٩٩ ، ٤٢٠ ، ٤٦٥ ، ٥١٥ .
 - الكَلِمَةُ ، الكلام : ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٤٥ ، ٤٤٢ ، ٤٩١ ، ٦٨١ ، ٦٩٦ ،
 ٦٩٧ .
 - الكَرَم ، الكَرِيم : ٢٠٦ ، ٦٩٢ ، ٧٧٩ .

- الكفارة : ٤٨٦ .

- الكُفْر : ١٦٧ ، ١٨٠ ، ٣٦٣ ، ٤١٤ ، ٤٦٨ ، ٥٥١ ، ٥٧٢ ، ٦٦٢ ، ٧٠٧ .

- الكلام : ٢٧١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٤٥ ، ٤٤٢ ، ٤٩١ ، ٦٧٦ ، ٦٨١ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٨٩ ، ٧٠٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣٨ ، ٧٦٥ ، ٧٨٥ .
- الكمال ، الكامل : ٨٥ ، ٨٦ ، ٦٤٢ .
- الكهانة : ٢٠٢ .

(ل)

- اللذات : ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٣٩٩ ، ٥٢٠ ، ٦٦٧ ، ٧٠٦ ، ٧٧٨ .
- اللسان : ٩٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٠٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٠ ، ٣٦٩ ، ٤١٦ ، ٤٧٩ ، ٥٢٧ ، ٦٦٧ ، ٦٧٧ ، ٦٨٥ ، ٧٦٥ ، ٧٦٩ .
- اللص : ١٨١ .
- الليل : ١٧٠ ، ١٨٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٤٣٨ ، ٥٤٨ ، ٦٤١ ، ٦٩٥ ، ٧٠٢ ، ٧٦٧ .

(م)

- الماء : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣١٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٩ ، ٤٣٨ ، ٤٩٨ ، ٧٠٢ .
- المادة : ٤٠٣ ، ٦٣٨ .
- المال : ١٠٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٣ ، ٤٦٠ ، ٤٨٦ ، ٥٢٦ ، ٥٥٦ ، ٦٣٨ ، ٦٩٣ ، ٧٠٩ ، ٧٢٢ ، ٧٢٩ ، ٧٥٠ .
- المتشابه : ٤٩٧ ، ٤٩٥ .

- الْمُجْتَهِدُونَ : ٥٠٤ ، ٥٢٥ ،
- الْمَجْرَى : ٨٩ .
- الْمُحْشَر : ٢٢٤ .
- الْمُحْكَم : ٤٩٧ .
- الْمُحَنَّة ، الامتحان : ١٠٥ ، ٢٢٠ ، ٤٦٢ .
- الْمَدَى : ٣٠٢ .
- الْمُدَّة : ١٦٤ .
- الْمَذْهَب ، الْمَذَاهِب : ٢٢٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٤ ، ٣٣٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٤٥٣ .
- الْمَرْأَةُ : ٥٥٠ ، ٥٩٠ ، ٦٩٣ ، ٧٠٧ ، ٧١١ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٧٦ .
- الْمَسْجِد : ١١٧ .
- الْمَشِيئَةُ : ٢٤١ .
- الْمَصَاحِف : ٣١٥ .
- الْمُصْطَفَى : ٤٢٠ ، ٧٠٤ .
- الْمِظَنَّة (الظَّن) : ٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٤٩٠ ، ٦٢٧ ، ٧١٨ ، ٧٣٧ .
- الْمَعَاد : ٢٠٩ ، ٢٦٨ ، ٣٠١ ، ٤٣٣ ، ٤٨١ ، ٥٢٣ ، ٥٧٨ ، ٥٨٧ .
- ٦٠٢ ، ٦١٢ ، ٧٢٦ .
- الْمِعْرَاج : ٢٤٢ .
- الْمَعْرِفَةُ : ٨٥ ، ٩٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٣٧٣ ، ٤٩٨ ، ٥٧١ ، ٧٢٧ .
- الْمَعْرُوف : ١٢٧ ، ٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٩٣ ، ٣٣٠ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥ ، ٣٧٥ ، ٤٣١ ، ٤٦٨ ، ٥٥٨ ، ٦١٤ ، ٦٨٦ ، ٧٣٢ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ .
- الْمُعْسَكَر : ٣١٥ ، ٤٣١ ، ٥٤٧ .
- الْمَنْصِيَّة : ٩٨ ، ١٨٥ ، ٢٥٤ ، ٢٩٢ ، ٣٤٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٥١٧ ، ٦٥٠ ، ٧١٦ ، ٧٦٨ ، ٧٧٤ .

- المَعْلُوم : ٩٢ ، ٣٦٧ .
- المقام ، المقامات : ٦٥٠ .
- المَقِيم : ١١٧ .
- المَكَارِه : ٢٢٥ ، ٤١٢ ، ٤٩٤ .
- المَكَان : ٤١٩ ، ٤٤٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٨ ، ٥٠٧ ، ٧٤٣ .
- المَلَايِكَة : ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ٢٤٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٤٠٥ ، ٤١٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٥٤ ، ٤٦٩ ، ٤٨٠ ، ٥١٥ ، ٥٣٠ ، ٧٨٨ ، ٧١٠ .
- المَلَايِم : ٢٨٤ ، ٣٧٤ .
- المُلْك : ١١٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٤٥٠ ، ٥٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٧ ، ٥٠٦ ، ٥٧٨ ، ٧٠٠ ، ٧٢٨ ، ٧٧٢ .
- المَلَكُوت : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٨٨ ، ٣٧٣ .
- المُلْجِدُونَ : ٦٦١ .
- المَمْلُوك : ١٨٦ ، ٥٠٦ .
- المُنَافِق : ٤١٦ ، ٤٩٦ ، ٦٩١ .
- المَنْظُور : ٨٧ .
- المُنْكَر : ١٢٧ ، ٢٠٣ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٧٥ ، ٤٦٨ ، ٦١٤ ، ٦٨٦ ، ٧٣٢ ، ٧٦٥ .
- المَنْهَج (النِّهَج) ، المَنْهَاج : ٢١٦ ، ٣٦٨ ، ٤٠٢ ، ٤١٦ ، ٤٣٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٥٠٢ .
- المَنْيَة : ١٦٤ ، ١٧٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ، ٣٣٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٤٩١ ، ٥٠٧ ، ٥٤٥ ، ٥٧٠ .
- المَوْت : ١١٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ٢٣٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣١٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ، ٤٢٣ ، ٥٥٧ ، ٦٦٧ ، ٦٨٩ ، ٧٠٢ ، ٧٠٨ .

- المَوْج : ٨٩ ، ٢٧٣ ، ٧١٢ .
- المَوْجُود : ٨٥ ، ٨٦ .
- المَوْقِف ، المَوَاقِف : ٣١٩ ، ٥٤١ ، ٥٩٥ ، ٦٩٥ .
- المَوْعِد : ٩٧ ، ٦٤٧ .
- المَوْمِن : ١٠٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٤٦ ، ٥٤٣ ، ٥٥٣ ، ٦٠٩ ، ٦٤٢ ، ٦٨٦ ، ٦٩١ ، ٦٩٦ ، ٧٥٢ ، ٧٦٥ ، ٧٧٧ ، ٧٨٩ .
- المِثَاق : ٩٤ ، ٣٥٧ ، ٦٧٦ .
- المِراث : ٦٠٢ .
- المِيزَان : ٣٠١ ، ٦٠٣ ، ٦٣٨ .
- المِيلَاد : ٩٥ .

(ن)

- النَّار : ٩٢ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٢١٧ ، ٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٩٣ ، ٤٤٥ ، ٤٨٥ ، ٥١٩ ، ٦٥٤ ، ٦٧٧ ، ٦٨٨ ، ٦٩٦ ، ٧٢٨ ، ٧٣٩ ، ٧٦٨ .
- النَّاسِخ : ٩٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧ .
- النَّبِيُّ : ٩٥ ، ١٢٧ .
- النَّبُوءَةُ : ٩٥ ، ١٢٢ ، ١٥٣ ، ٢٧٧ ، ٢٩٣ ، ٤٢٨ ، ٤٦٩ ، ٥٢٨ .
- النَّجَاة : ٢٠٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣١٧ ، ٣٧٦ ، ٤١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٩ ، ٧١٣ ، ٦٦١ .
- النَّسَاء : ٢٠٣ ، ٣٧٥ ، ٤٠٧ ، ٤٤٢ ، ٤٨٩ ، ٥٩٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٦ ، ٧٣٨ .

- النَّسَب : ٦٠٥ ، ٦٨٤ ، ٧٣٢ ، ٧٦٩ .
- النَّشُور : ٢٠٩ .
- النَّصْر ، النَّصْرَة ، النَّاصِر : ١١٦ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٦٨ ، ٣٢٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٤١٠ ، ٤٢٣ ، ٤٨٣ ، ٥٦٩ .
- النَّصِيحَة : ١٥٧ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣٣٨ ، ٥٠٤ ، ٥٩٩ ، ٦٣١ ، ٦٧٥ .
- النَّيْظَام : ٥٠٤ ، ٧٨٥ .
- النَّعْمَة : ٩٨ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٨٢ ، ٧٢٠ ، ٧٢٧ ، ٧٦٧ ، ٧٧٧ .
- النَّعِيم : ٢٢٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٣٠٢ ، ٣٨٧ ، ٤٤٥ ، ٤٥٠ .
- النَّفَاق : ، الْمَنَافِق : ١١٧ ، ٤٧٦ ، ٥٢٧ ، ٦٩٦ .
- النَّفْس : ١٣٢ ، ١٨٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٤٣٨ ، ٤٨٧ ، ٦٠٧ ، ٦٥٥ ، ٦٨٢ ، ٦٨٨ ، ٦٩٤ ، ٧٠٦ ، ٧٣٢ ، ٧٤٩ ، ٧٨٢ .
- النَّهَار : ١٨٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ ، ٣٧٤ ، ٤٣٨ ، ٦٤١ .
- النَّهَآيَة : ٤١٥ ، ٤٣٦ ، ٥٧٨ .
- النَّهْي ، النَّهْي ، النَّوَهي : ٢٢٥ ، ٢٤٥ ، ٢٨٠ ، ٣٠٣ ، ٣٣٠ ، ٣٧٥ ، ٤٤٢ ، ٤٦٨ ، ٤٩٤ ، ٤٩٧ ، ٦٨٦ ، ٧٣٢ .
- النَّوَافِل : ٦٨٩ ، ٧٤٥ ، ٧٥١ .
- النَّوْر : ٢٣٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ، ٤٢٦ ، ٥٠٠ ، ٥١٤ ، ٦٠٥ ، ٦٤٧ ، ٧١٣ ، ٧٦٥ .

(هـ)

- الهادي : ٩٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٩٤ ، ٣١٣ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣٢ ، ٤٨٨ ، ٥٠١ ، ٥١٥ ، ٦٧٢ ، ٧٦٣ .
- الهجرة : ١٧٩ ، ٣٨٦ ، ٤٤٨ ، ٤٦٨ ، ٥٣٨ ، ٦٩١ .
- الهدنة : ١٢٤ ، ٣٢١ .
- الهزيمة : ٥٤٩ .
- الهشيم : ٢٩٥ ، ٣٥١ .
- الهثم : ٥٨٢ ، ٥٨٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٩ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٧٠٨ ، ٧١٢ ، ٧٥٥ .
- الهوى ، الأهواء : ١٤٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٤١٣ ، ٤٩٢ ، ٥٧٣ ، ٦٠٨ ، ٦٢٣ ، ٦٣٣ ، ٦٥٥ ، ٦٧٣ ، ٦٧٨ ، ٧٢٥ ، ٧٤٧ ، ٧٧٦ .
- الهواء : ٨٨ ، ٨٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٣٨٢ ، ٤٣٨ ، ٥١٨ .

(و)

- الواجب : ٩٧ ، ٦٤٨ .
- الوجود : ٣٦٦ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ .
- الوحي : ٩٠ ، ٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٤٥ ، ٢٧٧ ، ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، ٤٠٨ ، ٤٧٠ ، ٤٨١ ، ٧١٠ .
- الوراثة : ١٠٢ ، ٦٨١ ، ٧٢٥ ، ٧٤٢ ، ٧٧٧ .
- الورع : ٢٠٤ ، ٤١٥ ، ٦٠٧ ، ٧٠٥ ، ٧٥٩ .
- الوزير : ٢٥٩ ، ٤٧٠ ، ٦٢٥ .
- الوصية : ١٠٢ ، ٣٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥٧٤ ، ٦١٤ .

- الْوَطَن : ١٧٨ ، ٣٣٤ ، ٤٧٨ ، ٥٢١ ، ٦٩٢ .
- الْوَعْد : ٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٥٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٤٤٨ ، ٦٩٦ .
- الْوَعِيد : ٢٢٥ ، ٤٥٦ ، ٦٩٦ .
- الْوَفَاء : ١٦٤ ، ٣٦٤ ، ٦٣٤ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٧٣٤ .
- الْوَقْتُ : ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٦٦ ، ٦٤١ .

(ي)

- الْيَقِين : ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٣٢ ، ١٦٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ،
- ٢٥٥ ، ٣٠٣ ، ٣٦٥ ، ٣٧٨ ، ٤٢٠ ، ٤٧٤ ، ٥٧٣ ، ٥٨٩ ، ٦٨٥ ،
- ٧٠٧ ، ٧٦٥ ، ٧٩٠ .

الفهرس الجامع



ويشتمل على أسماء الأعلام من الرجال والنساء وأسماء الأقوام والقبائل ،
والشعوب والأمم ، وأسماء المذاهب والنحل والجماعات والطوائف ، والحيوان
والنبات ، والكواكب والأجرام السماوية وسائر الأفلاك ، وأسماء الأماكن
والبلدان ، والحجارة الكريمة والوقائع والأيام .

الرموز المستعملة . . .

- الأعلام من الرجال والنساء ، والملائكة والجنّ (أ) .
- أسماء الجماعات من الأقوام والقبائل (ق) .
- أسماء الأمم والشعوب (ش) .
- أسماء النحل والطوائف من دينية وسياسية (ط) .
- أسماء الحيوان (ح) .
- أسماء النبات (ن) .
- أسماء الكواكب والأجرام والأفلاك (ف) .
- أسماء الأماكن والبلدان والأعلام الجغرافية (ب) .

- أسماء الوقائع والأيام (و) .
- أسماء المعادن والحجارة الكريمة (م) .

(أ)

- آدَم ، عليه السلام . (أ) : ٨٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٢٥٤ ، ٤١٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٦٨٤ ، ٧٢٢ ، ٧٤٢ .
- آل البيت النبوي . (ق) : ١٠١ ، ١٣٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٣٧ ، ٢٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٥٦٧ ، ٧٠٣ ، ٧٨٢ .
- الأئمة (الشاة) . (ح) : ٣٠٤
- إبراهيم الخليل ، عليه السلام . (أ) : ٢٦٣ ، ٧٠٠
- الإيل . (ح) : ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٥٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩١ ، ٢٤٤ ، ٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٤١١ ، ٥٦٠ ، ٥٨٤ ، ٧٣٦ ، ٧٧١ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ .
- إبليس . (أ) : أنظر « الشيطان » .
- أبو هَب . (أ) : ٥٦٨
- أتان . (ح) : ٦٠٧
- أهد - وقعة . (و) : ٤٦٨
- الأحزاب (و) : ٤٦٨
- أحمد بن قُتَيْبَة . (أ) : ٥٢٧
- أذربيجان . (ب) : ٤٢٨ - ٥٤٢
- أردشير خرّة . (ب) : ٦٠٤
- الأزاهير (ن) : أنظر (الزهر)
- إسحق - عليه السلام . (أ) : ٤٦٤

- الأسد . (ح) : ٣٤٣ ، ٣٣٢
- أسد - بنو . (ق) : ٣٨٨ ، ٣٨٧
- أسد الأحلاف . (أ) : ٥٦٧
- أسد الله . (أ) : ٥٦٧
- إسرائيل - بنو . (ش) : ٤٦٤
- أسماء بنت عميس . (أ) : ٥٩٥ ، ١٩١
- اسماعيل - عليه السلام . (أ) : ٤٦٦ ، ٤٦٤
- الإسكافي ، أبو جعفر . (أ) : ٦٥٠
- الأسود بن قطيبة . (أ) : ٦٥٥
- الأشتر النخعي . (أ) : « أنظر مالك بن الحارث »
- الأشعث بن قيس . (أ) : ٧٧٣ ، ٧٤٧ ، ٥٤٢ ، ١٢٨
- ابن الأشعث . (أ) : ٧٦٤
- الأشعري ، أبو موسى . (أ) : ٦٧٧ ، ٦٦٠ ، ٥٣٠
- أصحاب الجمل . (ق) : ١١٦ ، ٣٥٨ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٦١٦ ، ٧٤٠ ، ٦٦٠
- أصحاب علي . (ق) : ٣٨٧ ، ٤٢٢ ، ٤٧٢ ، ٤٩٠ ، ٥٠٥ ، ٥٣٣ ، ٧٠٩ ، ٥٥١
- أصحاب مدائن الرس . (ق) : ٤٢٨
- أطباق السماء . (ف) : ٢٤٩
- الأعاجم . (ش) : ٣٥٤
- الأعرابي - ابن . (أ) : ٧٧٩
- الأعشى - ميمون بن قيس ، الشاعر (أ) : ٧٣٨ ، ١٠٣
- الأقاليم السبعة . (ب) : ٥٢٠

- الأَفْحوان . (ن) : ٣٩٧
- الأَكاسِرة ، كِسْرى (أ) : ٥٤١ ، ٤٦٦
- أُمُّ جَمِيل بنت حَرْب . (أ) : ٥٦٨
- امرؤ القَيْس ، بن حجر ، شاعر كندة . (أ) : ٧٨٣ ، ٣٨٨
- أُمُّ كُلْثُوم ، بنت الرسول (ﷺ) . (أ) : ٣٩٢
- أم كلثوم بنت عَثْبَةَ بن أبي مَعِيْط . (أ) : ١٠٥
- أُمَيَّة - بنو . (ق) : ٢٣١ ، ٢٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٩٢ ، ٤٠٠ ، ٥٥٢ ، ٥٧٠ ، ٧٠٦

- الأَنْبار . (ب) : ٦٨٨ ، ١٤١
- أَنَسُ بن مالِك . (أ) : ٧٥١
- الأَنْصار . (ق) : ٦٦٢ ، ٥٧٠ ، ٥٦٨ ، ٥٤٢ ، ٥٣٧
- الأَنْصاري ، أبو أيُّوب . (أ) : ٤٣١
- الأَنْصاري ، جابر بن عبد الله . (أ) : ٧٦٤
- الأَنْصاري ، خُزَيْمَةُ بن ثابت . (أ) : ٤٣٠
- الأَنْصاري سَهْل بن حَنِيف . (أ) : ٧٠٤
- الأَنْصاري عُثْمَان بن حَنِيف . (أ) : ٦١٢ ، ٦٠٦

(ب)

- الباقر ، أبو جعفر ، محمد بن علي . (أ) : ٦٩٨
- البَجَلِي ، جرير بن عبد الله . (أ) : ٥٤٤
- البَجَلِي ، ابن جرير (أ) : ١٦٦
- البَحْرَيْن (ب) : ٦٠٣
- بَذْر ، وقعة . (و) : ٦٦٣ ، ٥٤٧ ، ٥٤٥

- البَدْرِيّ ، البدريّون . (ق) : ٥٧٠
- البَذْر . (ن) : ٥٠١
- البرّ . (ن) : ٦٤٢٠
- البرّج بن مسهر الطائي ، الخارجي . (أ) : ٤٣٥
- البَصْرَة . (ب) : ١١٦ ، ١٥٣ ، ٢٧٤ ، ٣٢٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٤ ، ٤٠٣ ،
٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤٩٤ ، ٥٠٧ ، ٥٢٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٥٢ ، ٥٧١ ،
٦٠٦ ، ٦٥٣ ، ٦٦٢ ، ٦٧٧ .
- البَعُوضَة ، البعوض . (ح) : ٤٤٣ ، ٤٢٧ ، ٢٥٦
- البَعِير . (ح) : ١٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٨٦ ، ٣٦٤ ، ٤٢٥ ،
٤٢٩ ، ٥٦٩ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٦٨٤ .
- البَغْل ، البغال . (ح) : ٧٣٧
- البِكْار . (ح) : أنظر « الإبل »
- بَكَال ، بنو . (ق) : ٤٢٤
- أَبُو بَكْر الصّدِّيق . (أ) : أنظر « الصّدِّيق » .
- البَكْرِيّ ، حَسَّان بن حَسَّان . (أ) : ١٤١
- البَقْل . (ن) : ٣٨٣
- البَهِيمَة ، البهائم . (ح) : ٧٧٣ ، ٥٨٩ ، ٣٨٣

(ت)

- التّابِعون . (أ) : ٥٧٠
- التَّبَرّ . (م) : ٦٠٧
- تَبَعَ - بنو (ق) : ٥٤١
- التَّار . (ق) : ٣٢٧

- التمر . (ن) : ٥٦٦
- تميم - بنو . (ق) : ٥٥٤ ، ٥٥٣ ، ٥٠٨
- تميم بنو . (ق) : ٤١٠ ، ٣٩٢
- التيهان . ابن (أ) : أنظر « مالك بن التيهان » .

(ث)

- الثريّا . (ف) : ٦٦٦
- ثعبان . (ن) : ٤٠٠
- ثعلب ، أبو العبّاس . (أ) : ٧٧٩
- ثمود - بنو . (ق) : ٤٨٨
- ثور . (ح) : ٤٨٨ ، ١٤٩

(ج)

- الجاحظ ، عمرو بن بخر بن محبوب . (أ) : ١٥٢
- جبرائيل (من الملائكة) . (أ) : ٤٢٨
- جحيفنة أبو . (أ) : ٧٦٦
- جديلة بنو . (ق) : ٣٨٨
- الجراح ، أبو عبيدة بن . (أ) : ٤٠٦
- الجرّادة . (ح) : ٤٣٨
- جريج ابن . (أ) : ٤٨٥
- ابن جريّر الطبري . (أ) : أنظر الطبري .
- الجزور (الناقة) . (ح) : ٢٦٢
- جمعة بن هبيرة المخزومي . (أ) : ٤٢٥

- جَعْفَر بن أبي طالب . (أ) : ٥٩٥
- جَعْفَر أبو ، محمد بن علي الباقر . (أ) : أنظر الباقر .
- جُمَح ، بنو . (ق) : ٥٠٨
- جَمَل ، بنو . (و) : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٩ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٦٧٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٤١٠ .
- جَمَل . (ح) : ٥٦٩ ، ٤٦٦ ، ٣٨٤
- الْجَوّ . (ف) : ٤٠٥
- الْجَوَهري ، أبو بكر . أحمد بن عبد العزيز . (أ) : ٣٣٠ ،
- جَهْل أبو . (أ) : ٥٦٧

(ح)

- الْحَارِث بن حوط . (أ) : ٧٤٠
- الْحَارِث الهمداني . (أ) ، أنظر : « الهمداني »
- الْحَارِثي ، العلاء بن زيد . (أ) : ٤٩٤
- حاضرين . (ب) : ٥٧٢
- الْحَانَّة (صفة الناقة) ، (و) : ٣٠٤
- الْحَبَشَة . (ب) : ٥٩٥
- الْحَبَّاج بن يوسف الثَّقَفي . (أ) : ٧٦٤ ، ٣٠٩
- الْحَبَّاز . (ب) : ٦٠٨ ، ١٤٩
- الْحَدِيد ، ابن أبي . (أ) : ٣٤٣ ، ٣٦٤ ، ٤١٠ ، ٥١٨ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٦١٦ .
- حَرَاء . (ب) : ٤٧٠
- حَرْب بن أمية . (أ) : ٥٥٢

- حَرْبُ بنِ شَرْحَبِيلِ الشَّبَامِي . (أ) : أنظر : (الشَّبَامِي) .
- الحُرُورِيَّة - من الخَوَارِج . (ط) : ٧٠٠
- حَسَّانُ بنِ حَسَّانِ البَكْرِيِّ . (أ) : أنظر : (البَكْرِي) .
- الحَسَكُ وَحَسَكُ السَّعْدَانِ . (ن) : ٥١٩ ، ٥١٣
- الْحَسَنَانِ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . (أ) : ١٩٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٩٣ ، ٥٤٧ ، ٥٥٨ ، ٥٧٢ ، ٦٠٣ ، ٦٨٨ ، ٧٧٤ .
- الْحَشَرَات . (حـ) : ٤٠٥
- حِقَاق - من الأَبَل : (حـ) : ٧٣٦
- الْحَكَمَان . (أ) : ٦٧٧ ، ٥٢٣ ، ٤١٩ ، ٣٢٥
- حُلُوان . (ب) : ٦٥٥
- الْحِمَارُ وَالْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ . (حـ) : ٥٠٨ ، ٣٨٤
- حَمَّالَةُ الْحَطَب . (أ) : أنظر : « أم جميل بنت حرب » .
- الْحَمَام . (حـ) : ٤٣٩ ، ١٧٥ ، ٩٨
- الْحَمَّة (بمعنى الْحَيَّة) . (حـ) : ٣٤٠
- حَمِير . (ق) : ٥٤١
- حَشَشَ وَاجْمَعَ أَحْنَاش . (حـ) : ٤٠٥
- حَنْظَلَةُ بنِ عَتْبَةَ . (أ) : ٦٦٣
- حُنَيْن - وَقْعَة . (و) : ٦٦٣
- الْحَوْتِ وَالْحَيْتَانِ . (حـ) : ٣٩٨
- الْحَيَّة . (حـ) : ٧٠٦ ، ٢٦٦

(خ)

- خَالِدُ بنِ سَدُوس . (أ) : ٣٨٨

- خالد بن عبد الله . (أ) : ٦٥٩
- خالد بن الوليد . (أ) : ٤٣٠
- خباب بن الارت . (أ) : ٦٩١
- خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين . (أ) : ٤٧٠
- خزيمة بن ثابت . (أ) : ٤٣٠
- خطمة بنو . (ق) : ٤٣٠
- الخفافش - وجمعه الخفافيش . (ح) : ٣٧٤ ، ٣٧٣
- الخنْدَق (وقعة) : ٥٦٧
- الخَوارج . (ط) : ١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٥ ، ٦٧٧ ، ٧٥٤ ، ٧٧٦ .
- الخَيْل . (ح) : ١٢ ، ١٤١ ، ٢٠٩ ، ٢٨١ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٧٣٧

(د)

- دارين . (ب) : ٣٩٩
- داود ، النبي عليه السلام . (أ) : ٧٠٢ ، ٣٨٣
- دجلة . (ب) : ١٧١
- الدابة ، الدواب . (ح) : ٣٩٣ ، ٤٥٢ ، ٤٦٦ ، ٧٣٦
- الدرّ . (م) : ٢٣٧
- الدراري . (ف) : ٢٤٣
- دُعيل الخزاعي ، الشاعر . (أ) : ٤٢٥
- دهاقين الأنبار . (أ) : ٦٨٨
- الذّيك الخِلاسي ، الذّيكَة . (ح) : ٣٩٥ ، ٣٩٦

(ذ)

- الذَّبَّاب - الذَّنَاب . (ح) : ٦٠١ ، ٣٢٥
- الذَّرَّ - الصغير من النمل . (ح) : ٤٢٧ ، ٣٩٨ ، ٢٥٦
- الذَّهَب . (م) : ٣٤٣
- أبو ذرَّ الغفاري . (أ) : أنظر « الغفاري » .
- الذَّعْلَب (الناقة السريعة) . (ح) : ٤٢١
- ذعلب ألياني . (أ) : ٥٢٧ ، ٤٢١
- ذو الشَّهَادَتَيْن ، خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِت « الأنصاري » . (أ) : أنظر « الأنصاري »
- ذوقار . (ب) : ٥٢٦ ، ١٥٣
- ذهل بنو . (ق) : ٤٣٥

(ر)

- الرَّبْدَةُ . (ب) : ٣٣٠
- الرَّبْدَةُ .. (ب) : ٩٣٠
- الرَّبِيضَةُ - الاغنام الرابضة . (ح) : ٦١٢
- رَبِيعَةُ - بنو . (ق) : ٦٧٥ ، ٤٦٩
- الرَّسَّ - نهر . (ب) : ٤٢٨
- رُقِيَّة ، بنت الرسول (ﷺ) . (أ) : ٣٩٢
- الرَّوْم . (ش) : ٣٣٧
- الرَّيْحَانَةُ وَالرَّيْحَان . (ن) : ٥٩٠ ، ٣٨٣

(ز)

- الزَّبْرَجَد . (م) : ٤٠٠ ، ٣٩٨ ، ٣٩٥

- الزُّبَيْرُ بن العَوَّام . (أ) : أنظر العَوَّام
- الزُّرْقِي النُّعْمَان بن عَجْلَان . (أ) : ٦٠٣
- الزُّمُرْد . (م) : ٤٦٢
- الزَّنج . (ق) : ٣٢٦
- الزَّهْر والزَّهْرَة والزَّهْوَر . (ن) : ٣٩٧ ، ٣٩٥
- زَهْرَة بنو . (ق) : ١٠٥
- زِيَاد بن أَبِيهِ . (أ) : ٧٨٨ ، ٦٠٦ ، ٦٠٥ ، ٥٥٥
- زَيْدُ بن عَلِيٍّ . (أ) : ٢٧٤
- زَيْنَب بنت جحش ، زوجة الرسول (ﷺ) . (أ) : ٣٨٧

(س)

- السَّائِمَة - الأنعام السارحة . (ح) : ٦٦٣ ، ٦١٢ ، ٣٠٤ ، ٢٨٥
- سَبَأ . (أ) : ٢٦٦
- السَّبْع - وجمعه السَّبَاع . (ح) : ٣٨٠ ، ٢٠٩
- السِّدْر (من الشجر) . (ن) : ٢٧٨
- سَعْد بن أَبِي وَقَّاص . (أ) : ١٠٥
- سَعِيد بن مَالِك . (أ) : ٧٤١
- سَعِيد بن ثَمْرَان . (أ) : ١٣٦
- سَعِيد بن يَحْيَى الأموي . (أ) : ٦٧٧
- أَبُو سَفْيَان بن حَرْب . (أ) : ٦٠٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٦ ، ٥٥٢ ، ١١١
- السَّقْب - صغير الإبل . (ح) : ٧٧١
- سَقِيفَة بني سَاعِدَة . (ب) : ١٨٩
- السَّقِيفَة - وقعة أو يوم . (و) : ٥٦٨

- السَّكَّيت ، ابن : ١٠٩
- سَلَمَانُ الْفَارِسِيِّ . (أ) : أنظر « الفارسي » .
- سَلِيم - بنو . (ق) : ٥٩٧
- سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ - عليهما السلام . (أ) : ٤٢٨
- سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ الْأَنْصَارِيِّ . (أ) : (أنظر الأنصاري) .
- السَّوَادُ (أي سواد العراق) . (ب) : ١٠٨

(ش)

- الشَّامُ (ب) : ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٣ ، ٣٤٣ ، ٤٢١ ، ٤٩٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٢ .
- الشَّاةُ . (حـ) : ٢٦٢
- شَاطِئُ الْفُرَاتِ . (ب) : ١٧٣ ، ١٧١ ، ١٧٠
- الشَّبَامُ (اسم حي) . (ب) : ٧٥٣
- الشَّبَامِيُّونَ ، الشَّبَامِيُّ . (ق) : ٧٥٣
- شُرَيْحُ بْنُ الْحَارِثِ . (أ) : ٥٤٠ ، ٥٣٩
- شُرَيْحُ بْنُ هَانِءٍ . (أ) : ٦٥٢ ، ٥٣٧
- الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ (أ) : ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣٢٠ ، ٣٤٦ ، ٣٩٩ ، ٤٢٨ ، ٥٠٧ ، ٥٢٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٦٠٦ ، ٦٧٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٦ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣ ، ٦٩٦ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٧ ، ٧١١ ، ٧١٦ ، ٧٢٨ ، ٧٣٤ ، ٧٥٢ ، ٧٧١ ، ٧٧٤ ، ٧٨١ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٩٠ .
- الشَّعِيرُ . (ن) : ٥٢٠ ، ٣٨٣

- الشَّمْسُ ، الشَّمْسُوس (ف) : ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٣٥٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٩٠ ، ٤٠٥ ، ٤٣٧ ، ٦٢٠ ، ٧٤٨ .

- الشَّنْفَرَى . (أ) : ٣٢٣

- الشُّهُبُ الثَّوَابِ . (ف) : ٢٤٣ ، ٢٤٤

- الشَّيْح . (ن) : ٤٦٦

- الشَّيْطَان (أ) : ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٣٧ ، ٣٢٥ ،

٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٦٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،

٤٥٧ ، ٤٦٢ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥٥٢ ، ٥٩٢ ، ٦٠٥ ، ٦١٦ ،

٦٤٧ ، ٦٧١ .

- شَيْطَانُ الرَّذَّةِ ، من الخوارج ، ويقال له ذو الثديّة . (أ) : .. ٤٦٩

(ص)

- الصَّبْر . (ن) : ٣٨٠

- الصَّدِيق ، أَبُو بَكْرٍ . (أ) : ١٠٢ ، ١٠٤ ، ٣٩٢ ، ٥٤٢ ، ٥٩٥

- صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ . (أ) : ٥٠٨

- صِفِّين ، (وقعة) (و) : ٩٨ ، ١٥٨ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٣٣٥ ،

٤٠٥ ، ٤٣٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥٠٣ ، ٥٥٨ ، ٥٧٢ ، ٦٥٣ ، ٧٠٤ ،

٧٥٣ ، ٧٠٨ .

(ض)

- الضَّبْع . (ح) : ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٩١ ، ٣٥٨

- الضَّبَّة ، الضَّبَاب . (ح) : ١٩١

- الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ . (أ) : ١٤٧

- ضِرَارُ بنِ حَمْرَةَ الضَّبَّائِي . (أ) : ٥٩٩
- الضَّرُّوس (النَّاقَة) . (ح) : ٣٤٣ ، ٢٦١

(ط)

- الطَّائِف . (ب) : ٦٥٩ ، ١٦٩
- طَالِب - أَبُو ، عَمَّ النَّبِيِّ ﷺ . (أ) : ١١٢
- الطَّاوُوس . (ح) : ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤
- الطَّبْرِي ، ابن جرير ، المؤرخ . (أ) : ٧٦٤
- طَلْحَة بن عُبيد الله (أ) : ٣٥٧ ، ٣٤٠ ، ١٤٩ ، ١١٣ ، ١٠٦ ، ١٠٥
- ٧٥١ ، ٧٢٣ ، ٦٦٢ ، ٦٥٠ ، ٥٨٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٤٩١ ، ٤١٠
- الطَّلَقَاء - أبناء . (أ) : ٥٦٦
- الطَّهَوِي . (أ) : ٣٥٣
- طَبِيبَة (المدينة المنورة) . (ب) : ٣٨٦
- الطَّيْر . (ح) : ٣٩٤ ، ٣٧٣ ، ٢٥٢ ، ٢٠٩ ، ١١٨ ، ١٠٦ ، ١٠٢
- ٧٨١ ، ٧٧١ ، ٤٧١ ، ٤٠٠

(ظ)

- الظُّبَاء . (ح) : ٣٤١

(ع) :

- عائِشَة - أم المؤمنين . (أ) : ٦٦٢ ، ٤٠٧
- عاصِم بن زياد . (أ) : ٤٩٤
- الْعَبَّاس ابن . (أ) : ١٤٩ ، ١١٠ ، ١٠٨
- الْعَبَّاس بن عَبْد المطلب - عم النبي ﷺ . (أ) : ١١١
- عَبْد الرحمن بن الْأَشْعَث . (أ) : ٣٤٣

- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ صَفْوَانَ . (أ) : ٥٠٨
- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ . (أ) : ٥٠٧
- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ . (أ) : ١٠٦ ، ١٠٥
- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيه . (أ) : ٧٦٤
- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمٍ ، الْمَلْعُون . (أ) : ٦١٣ ، ٥٥٧ ، ٤٣١
- عَبْدُ شَمْسٍ ، بَنُو (ق) : ٣٩٢ ، ٧٠٦
- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَهَبِ الرَّاسِي . (أ) : ٤٢٥
- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ . (أ) : ٥٢٦
- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ (أ) : ١٥٣ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٥٢ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٩٤ ، ٦٦٧ ، ٦٧٤ ، ٦٧٧
- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . (أ) : ٧٤١
- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ . (أ) : ٦٦٠
- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدٍ . (أ) : ٥٢٧
- عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ، جَدُّ النَّبِيِّ . (أ) : ٦١٥ ، ٥٧٠ ، ٥٥٢
- عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ . (أ) : ٣٤٣
- عَبْدُ مَنَافٍ ، بَنُو . (ق) : ٥٥٢ ، ٥٠٨ ، ٣٩٢
- عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ . (أ) : ٧٥٢
- عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ . (أ) : ١٣٦
- عُبَيْدَةُ أَبُو . (أ) : ١٠٢
- عُيَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ . (أ) : ٥٤٥
- عَتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ . (أ) : ٦٦٣
- عَتْبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ . (أ) : ٦٥٩
- عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ الْأَنْصَارِيُّ (أ) : أَنْظِرِ الْأَنْصَارِي .

- عُثْمَانُ بْنُ عُفَّانٍ - أمير المؤمنين - (أ) : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٤٨ ،
١٦٩ ، ٢٥٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ، ٥٠٨ ، ٥٣١ ،
٥٣٢ ، ٥٣٨ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٩٧ ، ٦١٥ ،
٦١٦ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ .

- الْعِجَالُ (النوق) . (ح) : ١٧٥
- الْعِراق . (ب) : ١٤٩ ، ١٩٢ ، ٣٤٣ ، ٥٥٢ ، ٦٨٨
- الْعَرَبُ (ش) : ١٣٨ ، ٢٨٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٤٦٤ ، ٤٦٩ ، ٥٣٧ ،
٥٥٢ ، ٦١٠ ، ٦٥٨ .

- الْعَرَجُ ، بين مكة والمدينة . (ب) : ٥٢٩
- الْعَسْجَدُ . (م) : ٣٩٨
- الْعُشْبُ . (ن) : ٦١٢
- الْعُقْصَةُ . (ن) : ٦٠٧
- الْعُقَابُ - من الطير . (ح) : ٤٣٩
- الْعُقْرُبُ . (ح) : ٦٩٣
- عُقْيَانُ . (م) : ٢٣٧ ، ٣٩٥
- عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ . (أ) : ٥٦٦
- عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . (أ) : ٥٩٤
- عِكْرِمَةُ . (أ) : ٣٣٠
- الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ . (أ) : ٤٩٤
- الْعَلَقَمُ . (ن) : ٥٠٧
- عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، أمير المؤمنين عليه السلام : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ،
١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢٦٧ ، ٣٣١ ، ٣٥٨ ، ٣٧٧ ،
٣٨٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٩٨ .

- ٦٠٩ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦٥٠ ، ٦٥٦ ، ٦٦٠ ، ٦٧٦ ، ٧١٢ ، ٧٦٤ .
- عَلِيّ بن الْحُسَيْن عليهما السلام . (أ) : ٤٢٥
- عَلِي بن محمد (صاحب الزنج) . (أ) : ٢٧٤
- الْعَمَالِقة . (ش) : ٤٢٨
- عُمَر بن الْخَطَّاب أمير المؤمنين (أ) : ١٠٥ ، ٣٣٧ ، ٣٥٣ ، ٤٠٦ ، ٥٢٢ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٦٠٥ ، ٧٤٢ ، ٧٨٦ .
- عُمَر بن أَبِي سلمة المخزومي . (أ) : ٦٠٣
- عمران بن الْحُصَيْن الْخَزَاعِي . (أ) : ٦٥٠
- عمرو بن الْحَارِث ، أَنْظَر : (مالك بن التيهان) .
- عمرو بن العاص . (أ) : ١٥٨ ، ٢٢٢ ، ٤٢٤ ، ٥٣١ ، ٥٩٩ ، ٦٥١
- الْعَنْز . (ح) : ١٠٨
- العنكبوت . (ح) : ٣٧٦ ، ١٢٥
- الْعَوَّام ، الزبير بن (أ) : ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٤٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٧ ، ٤٩٣ ، ٥٠٨ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٢ ، ٧٠١ ، ٧٢٣ ، ٧٥١ ، ٧٨٢
- الْعَوْد (من الإبل) . (ح) : ٥٦٠
- الْعَوْد (من الإبل) . (ح) : ٣٤١
- عيسى ابن مَرْيَمَ (عليهما السلام) . (أ) : ٣٨٣
- الْعَيُوق (من الكواكب المضيئة) . (ف) : ٦٦٦
- عَيْنُ التَّمَر . (ب) : ١٦٣

(غ)

- غَالِب بن صَعَصَعَة - والد الفرزدق . (أ) : ٧٨١
- غَامِد - أخو . (أ) : ١٤١

- غامد - بنو . (ق) : ١٤١
- الغُرَاب . (ح) : ٤٣٩ ، ٣٩٥ ، ٣٤٣ ، ٣١١
- الغِفاري أبو ذَرٍّ . (ح) : ٣٣١ ، ٣٣٠
- الغنم - الأغنام . (ح) : ١٠٧ ، ٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٣٤٣ ، ٤٣١ ، ٦٠٢

(ف)

- فارس . (ب) : ٦٥٥ ، ٥٥٥
- الفَارِسي سلمان . (أ) : ٦٦٨
- فاطمة بنت أسَد ، (أ) : ٥٩٦
- فاطمة الزهراء ، بنت الرسول عليهما السلام (أ) : ٥٥٨ ، ٤٨٩
- الفُحول (الإبل) . (ح) : ٧٧٥ ، ٣٩٥ ، ٢٨٧
- فَذَك . (ب) : ٦٠٨
- الفُرات (شاطئ) (ب) : ١٧٣ ، ١٧١ ، ١٧٠
- فِرَاس بن غنم . (أ) : ١٣٧
- الفَرْخ . (ح) : ٧٧١
- الفَرَزْدَق ، الشاعر . (أ) : ٣٤٠
- الْفَرَس . (ش) : ٧٣٦ ، ٥٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٥٣
- الْفَرَس . (ح) : ٧٣٩ ، ٧٣٦
- فِرْعَوْن - الفراعنة . (أ) : ٥٥٢ ، ٤٢٨ ، ٣٦٣
- الْفَصِيل (ولد الناقة) . (ح) : ٥٦١ ، ٤٦٩
- الْفَضَاء . (ف) : ٣٩٤
- الْفِضَّة . (م) : ٣٩٥ ، ٣٤٣

- أَلْفَلَك . (ف) : ٢٤٣
- أَلْفُلُو . (ح) : ٧٨٥
- أَلْفَنِيْق (الفحل من الإبل) . (ح) : ٢٨٧
- أَلْفِيل - والجمع فيلة . (ح) : ٣٩٨ ، ٣٢٦

(ق)

- أَلْقَاسِم بن سَلام ، أبو عبيد . (أ) : ٧٣٦
- قُثَم بن أَلْعَبَّاس . (أ) : ٦٦٧ ، ٥٩٢
- قَرْقِيسِيَا . (ب) : ٦٥٧
- قُرَيْش (ق) : ١٥٤ ، ١٩٠ ، ٢٦٢ ، ٣٤٠ ، ٤٠٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ،
٥٤٤ ، ٥٦٦ ، ٥٩٦ ، ٧٠٦ .
- أَلْقَمَر . (ف) : ٤٣٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤٠٥ ، ٣٩٠ ، ٣٨٣ ، ٢٣٤
- قَيْس بنو . (ق) : ٤٣:
- قَيْس بن سعد . (أ) : ٤٣١
- قَيْصَر - والجمع قياصرة . (أ) : ٥٤١ ، ٤٦٦

(ك)

- كَبَائِس اللَّوْلُو . (م) : أنظر : (اللَّوْلُو) .
- أَلْكَحْل . (م) : ٣٤٤
- كَرْمَان . (ب) : ٦٢٨ ، ٥٥٥
- كَسْرَة وَأَلْكَاسِرَة . (أ) : ٥٤١ ، ٤٦٦
- كَعْب ، بنو . (ق) : ٤١٠

- الكعبة . (ب) : ٧٤٣ ، ٧٤٢ ، ٦٠٦
- الكلا . (ن) : ٤٠٥
- الكلابيون - بنو كلب . (ق) : ٣٥٩ ، ٣٢٨
- كلب والجمع كلاب . (ح) : ٥٩٩ ، ٢٦٠
- كلب بنو . (ق) : ٣٢٨
- كليب الجرمي (أ) : ٤٠٥
- كميل بن زياد النخعي . (أ) : ٧٣٤ ، ٧٣٣ ، ٧١٣ ، ٧١٢ ، ٦٥٧
- كنانة ، بنو . (ق) : ٤٣٠
- الكلبي ابن . (أ) : ٥٣٩
- كندة ، بنو . (ق) : ٥٣٩
- كوفان ، الكوفة . (ب) : ٢٧٢ ، ٢٦٦ ، ١٦٩ ، ١٣٦ ، ١٢٨ ، ٢٧٣ ، ٣٤٣ ، ٤٢٤ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٦٥٣ ، ٦٦٠ ، ٦٦٢ ، ٧٠٤
- الكوكب والجمع كواكب . (ف) : ٤٢٧ ، ٢٨٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ .. ٢٠٨

(ل)

- اللبون - الناقة . (ح) : ٦٧٨
- اللجين (م) : ٣٩٥ ، ٢٣٧
- اللقاح - الإبل . (ح) : ٣١٤
- اللؤلؤ . (م) : ٣٩٩
- الليف . (ن) : ٤٢٥

(م)

- مالك بن التيهان . (أ) : ٤٣٠

- مالسك بن الحسارث ، الأستر النخعي . (أ) : ٥٤٩ ، ٥٩٣ ، ٥٩٨ ،

٦٢١ ، ٦٥٨ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ .

- مالك بن دحية . (أ) : ٥٢٧

- المأمون ، الخليفة العباسي . (أ) : ٧٧٩

- المجرة . (ف) : ٦٦٦

- محمد بن أبي بكر . (أ) : ١٩٠ ، ١٩١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ،

٧٥٤ .

- محمد بن الحنفية . (أ) : ٧٥٣ ، ١١٥

- محمد بن عبد الله (ﷺ) (أ) : ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٩ ،

١٣١ ، ١٣٨ ، ١٥٣ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،

٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،

٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،

٣٦٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ،

٣٩٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ،

٤٤٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ،

٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ،

٥٠٠ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٦ ، ٥٦١ ،

٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٩٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣٨ ، ٦٤٠ ، ٦٤٢ ، ٦٤٩ ،

٦٥٨ ، ٦٧٨ ، ٦٨٣ ، ٦٩٣ ، ٧٤٠ ، ٧٤٢ ، ٧٦١ ، ٧٧٩ ، ٧٨٥ ،

٧٨٨ ، ٧٩٠ .

- نخزوم ، بنو . (ق) : ٧٠٦ ، ٤٣٠

- نخنف أبو . (أ) : ٣٥٨

- مدائن الرّس . (ب) : ٤٢٨

- المدينة المنورة . (ب) : ١١٩ ، ١٩٣ ، ٣٣٠ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ .

- مذحج ، بنو . (ق) : ٥٩٨

- المرجان . (م) : ٥٣٧

- مرة ، بنو . (ق) : ٤١٠

- مروان بن الحكم . (أ) : ١٩٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٩٣ ، ٥٠٨

- المسيح - عليه السلام ، (أ) : أنظر عيسى ابن مريم . .

- مصر . (ب) : ١٩٠ ، ٥٣٩ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩٧

- مصعب بن الزبير . (أ) : ٣٤٣

- مضقلة بن هبيرة الشيباني . (أ) : ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٦٠٤

- مضر ، بنو . (ق) : ٤٦٩

- المطافيل - الإبل . (ح) : ٣٤١

- معاوية بن أبي سفيان - الخليفة الأموي . (أ) : ١٣٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ٢٦٦ ،

٣٨٨ ، ٤٢٤ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٥٢ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ،

٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٧ ، ٦٠٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ،

٦٥١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٥ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦ ، ٦٨٥ ، ٧٥٣ .

- المعزى ، الماعز . (ح) : ٢٦٨ ، ٣٣٢ ، ٤٣٥

- معقل بن قيس الرياحي . (أ) : ٥٤٨

- المغربى أبو برهان . (أ) : ٥٩٩

- المغيرة بن شعبة . (أ) : ٧٧٢

- المقداد بن الأسود . (أ) : ١٠٦

- مَكَّة . (ب) : ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٤٤٧ ، ٤٦٢ ، ٤٧٠ ، ٥٩٢ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ .

- مُلْجَم ابْن - مِنْ الْخَوَارِج . (أ) : أَنْظَر : (عَبْد الرَّحْمَنِ) .

- الْمَلِكُ الضَّلِيل ، (أ) : أَنْظَر : (امْرؤ الْقَيْس) .

- الْمُنْذِرُ بْنُ الْجَارُودِ الْعَبْدِيُّ . (أ) : : ٦٢٧ ، ٦٢٨

- الْمَهَاجِرُونَ . (ط) : ٤٦٨ ، ٥٤٢ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٦٥٠ ، ٦٦٢ .

- الْمَوَاشِي . (ح) : : ٣٠٥ ، ٥٦٠

- مُوسَى أَبُو ، (أ) : أَنْظَر : (الْأَشْعَرِيُّ) .

- مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ - عَلَيْهِ السَّلَام . (أ) : ١١١ ، ٣٨٣ ، ٤٢٧ ، ٤٦٠ .

- الْمُهْتَدِيُّ (الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِي) .. (أ) : : ٢٧٤

- مِيكَائِيلُ (مِنَ الْمَلَائِكَةِ) . (أ) : : ٤٢٨

(ن)

- نَاجِيَةُ بَنُو . (ق) : : ١٦٧

- نَعْمَانُ بْنُ عَجْلَانَ الزَّرْقِيُّ ، (أ) : أَنْظَرُ الزَّرْقِيُّ .

- النَّابِغَةُ ، ابْن ، (أ) : أَنْظَر : (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) .

- النَّاقَةُ (النَّوْق) . (ح) : ١٠٩ ، ١٧٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦١ ،

٢٦٢ ، ٣٠٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٩٩ ، ٤٨٨ ، ٥٦١ ، ٥٧٧ ،

٧٢٤ .

- نَجْد . (ب) : : ٥٠٨

- النَّجْم . (ف) : : ٣٢٣

- النَّجْمُ السَّيَّار ، النُّجُوم . (ف) : : ٢٧٢ ، ٤٠٥ ، ٤٢٠

- النَّحْل . (ح) : : ٧٥٢

- النَّخْلَةُ النخل . (ن) : ١٦٩ ، ١٨٠ ، ٤٣٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٦
- النَّسُور . (حـ) : ٣٢٦
- النَّعَامَةُ ، النعام . (حـ) : ١١٧ ، ٣٢٦ ، ٤٠٠ ، ٤٣٩
- النَّعَم ، الأنعام . (حـ) : أنظر الانعام .
- النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ . (أ) : ١٦٣
- النَّعْمَةُ ، وَالنَّمْل . (حـ) : ٤٣٧ ، ٤٢٠
- النَّهْرَوَان . (ب) : ١٥٩ ، ١٨٠
- النَّهْرَوَان ، وَقْعَةٌ . (و) : ٧٥٤
- نَوْفُ الْبِكَالِيِّ . (أ) : ٤٢٤ ، ٧٠١
- النَّيْلِج (نبات النيل ، النيلة) . (ن) : ٣٩٦
- النَّيْنَان ، الْحَيْتَان . (حـ) : ٤٨١

(هـ)

- هرون بن عمران - أخو النبي موسى ، عليهما السلام . (أ) : ٤٦٠
- هرون (أخو موسى عليه السلام) . (أ) : ٤٦٠
- هاشم - جد النبي . (أ) : ٥٥٢ ، ٧٠٦
- هاشم بن عتبة . (أ) : ١٩٠
- الهاشميون - بنو هاشم . (ق) : ١٠٥ ، ٣٤٠ ، ٥٥٢
- الهاملة ، الماشية السارحة . (حـ) : ٦١٢
- هَجَرَ . (ب) : ٥٦٦
- هجرة الرسول . (و) : ٣٨٦ ، ٤٦٨ ، ٥٣٨ ، ٧٩٠
- أهرمة ، من الإبل . (حـ) : ٥٦٠
- هشام - ابن . (أ) : ١٠٢

- هشام بن الكلبي . (أ) : ٦٧٥
- ألهمجية - من الذباب . (ح) : ٣٩٨
- ألهمداني الحارث . (أ) : ٦٦٩
- همّام من أصحاب الامام علي عليه السلام . (أ) : ٤٧٦ ، ٤٧٢
- هوازن - وقعة . (و) : ٧٣٩
- أهوام . (ح) : ٤٠٦ ، ٢٥٦
- هيت . (ب) : ٦٥٧
- الهيم - الإبل . (ح) : ٥٢٣ ، ٢٨٤ ، ٢٣٠

(و)

- ألواقدي . (أ) : ٦٧٦ ، ٥٢٦
- ألوَخْش - والجمع وحوش . (ح) : ٤٨١ ، ٢٥٦
- ألودية - الفرسة من النخل . (ن) : ٥٥٩
- ألودحة (الخنفساء) . (ح) : ٣٠٩
- ألورد . (ن) : ٣٩٨
- ألورق (الفضة) . (م) : ٧٦٠
- ألوسمة (نبات يستعمل للخضاب) . (ن) : ٣٩٦
- ألوشاح (تنضيد من اللؤلؤ والجوهر) . (م) : ٣٩٦
- ألوليد بن عتبة . (أ) : ٦٦٣

(ي)

- يافث بن نوح عليه السلام . (أ) : ٤٢٨
- ألياقوت ، (م) : ٤٦٢

- يعسوب - من النحل . (ح) : ٧٥٢ ، ٧٣٥ ، ٤٦٤
- آليامة . (ب) : ٦٠٨
- آليمن . (ب) : ٦٧٥ ، ٤٢١ ، ١٣٧ ، ١٣٦
- ينبع . (ب) : ٥٣٢

هـ

فهرس أبواب الكتاب

أولاً - الباب الأول : باب الخطب	٨٣
ثانياً - الباب الثاني : باب الرسائل والوصايا	٥٣٥
ثالثاً - الباب الثالث : باب الحكم والأمثال	٦٧٩

فهرس موضوعات الأبواب

أولا - موضوعات الخطب (١)

- ١ - في ابتداء خلق السماء والأرض ، وخلق آدم ، وذكر الحج ٨٥
- ٢ - من خطبة للإمام بعد معركة صفين ٩٨
- ٣ - الخطبة المعروفة بـ « الشقشقية » ١٠٢
- ٤ - من خطبة له عليه السلام في مآثر آل البيت وإشفاقه من وقوع القوم في الضلال ١٠٩
- ٥ - من خطبة له عليه السلام بعدما قبض رسول الله (ﷺ) ١١١
- ٦ - من كلام له عليه السلام بشأن عدم اتباع طلحة والزبير ١١٣
- ٧ - من خطبة له عليه السلام في ذم أحابيل الشيطان وأتباعه ١١٣
- ٨ - من كلام له عليه السلام في صورة مبيعة الزبير ١١٤
- ٩ - من كلام له عليه السلام في الموازنة بين فعالة وفعال خصومه ١١٤
- ١٠ - من خطبة له عليه السلام مندداً بحزب الشيطان ١١٥
- ١١ - من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل ١١٥
- ١٢ - من كلام له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل ١١٦
- ١٣ - من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة ١١٦

(١) إن الأرقام في هذا التسلسل مطابقة لأرقام الخطب كما هي واردة في هذه الطبعة.

- ١١٨ - ١٤ - من كلام له عليه السلام في أهل البصرة كذلك
- ١١٨ - ١٥ - من كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان .
- ١١٨ - رضي الله عنه
- ١١٩ - ١٦ - من كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينة
- ١١٩ - ١٧ - من كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة
- ١٢٣ - وليس لذلك بأهل
- ١٢٧ - ١٨ - من كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا
- ١٢٧ - ١٩ - من كلام له عليه السلام في الرد على معارضة الأشعث بن قيس
- ١٢٨ - وهو على منبر الكوفة
- ١٢٨ - ٢٠ - من كلام له عليه السلام في التنفير من الضلال والترغيب في التقوى
- ١٢٩ -
- ١٣٠ - ٢١ - من خطبة له عليه السلام مذكراً بحتمية الساعة وزوال الدنيا .
- ١٣١ - ٢٢ - من خطبة له عليه السلام حين بلغه خبر الناكثين ببيعته
- ١٣١ - ٢٣ - من خطبة له عليه السلام في الدعوة إلى الخير وترك المطامع
- ١٣٢ - وعدم الاستغناء عن العشيرة
- ١٣٢ - ٢٤ - من خطبة له عليه السلام في الحث على تقوى الله ، وقتال من
- ١٣٥ - خرج عن الحق
- ١٣٥ - ٢٥ - من خطبة له عليه السلام بعد أن استولى أصحاب معاوية على
- ١٣٥ - بعض البلاد
- ١٣٥ - ٢٦ - من خطبة له عليه السلام يصف فيها حال العرب قبل الدعوة ،
- ١٣٨ - بخطبة بأهل بيت النبي ، وتحمله للشدائد
- ١٣٨ - ٢٧ - من خطبة له عليه السلام بعد حادثة الأنبار وهي الخطبة المعروفة
- ١٤٠ - ولواذه الجهاد
- ١٤٠ - ٢٨ - من خطبة له عليه السلام في التحذير من الشطط في التعلق
- ١٤٣ - بالدينيات والدعوة إلى الزهد والاتعاظ ، والترهيب من نار جهنم
- ١٤٣ - ٢٩ - من خطبة له عليه السلام يحث أصحابه على التصدي للأعداء ، بعد

- ١٤٦ . . . هجمة الضحّاك بن قيس من أصحاب معاوية على الحاج . . .
- ٣٠ - من كلام له عليه السلام في معنى « قتل عثمان » رضي الله عنه . . . ١٤٨
- ٣١ - من كلام له عليه السلام لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يسترجعه إلى طاعته قبل حرب الجمل . . . ١٤٩
- ٣٢ - من خطبة له عليه السلام ، يصف فيها سوء الزمان مصتفاً طباع الناس مرغباً في الزهد . . . ١٥٠
- ٣٣ - من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة في وقعة الجمل . . . ١٥٣
- ٣٤ - من خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد تصديّه للخوارج . . . ١٥٥
- ٣٥ - من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم . . . ١٥٧
- ٣٦ - من خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان ، في أعقاب التحكيم . . . ١٥٩
- ٣٧ - من كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة ، وفيه يذود عن مناقبه ، بعد معركة النهروان . . . ١٦٠
- ٣٨ - من خطبة له عليه السلام في تفسير معنى الشبهة . . . ١٦٢
- ٣٩ - من خطبة له عليه السلام يستحث فيها الناس بعد غارة النعمان بن بشير على عين التمر . . . ١٦٢
- ٤٠ - من كلام له عليه السلام في تفنيد قول الخوارج : « لا حكم إلا لله » . . . ١٦٣
- ٤١ - من خطبة له عليه السلام في تعظيم أمر الوفاء والحملة على الغدر والغادرين . . . ١٦٤
- ٤٢ - من كلام له عليه السلام يحذر فيه الناس من اتباع الأهواء والركون إلى الآمال دون الأعمال الصالحة . . . ١٦٥
- ٤٣ - من كلام له عليه السلام يشير فيه على أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام . . . ١٦٦

- ٤٤ - من كلام له عليه السلام بعد هروب مصقلة بن هبيرة
 ١٦٧ الشيباني إلى معاوية
- ٤٥ - من خطبة له عليه السلام يذم الدنيا في يوم الفطر .
 ١٦٨
- ٤٦ - من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام بعد
 ١٦٩ حرب الجمل
- ٤٧ - من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة والثناء على صمودها في
 ١٦٩ النوازل
- ٤٨ - من خطبة له عليه السلام عند مسيره إلى الشام وهو بأرض النخيلة
 ١٧٠ قرب الكوفة
- ٤٩ - من كلام له عليه السلام يعظم فيه الذات الإلهية وصفاتها .
 ١٧١
- ٥٠ - ومن كلام له عليه السلام في آثار الفتن وعواقبها الوخيمة .
 ١٧٢ ..
- ٥١ - من خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على
 ١٧٣ شريعة الفرات ومنعواهم من الماء
- ٥٢ - من خطبة له عليه السلام يصف فيها تصرّم الدنيا .
 ١٧٤
- ٥٣ - من كلام له عليه السلام في ذكر يوم التتر وصفة الأضحية .
 ١٧٥ .
- ٥٤ - من خطبة له عليه السلام يحدّد موقفه من أصحابه في صفين
 ١٧٦ ومنعهم إياه من قتال أهل الشام
- ٥٥ - من كلام له عليه السلام وقد استبطن أصحابه إذنه لهم في القتال
 ١٧٧ بصفين
- ٥٦ - من كلام له عليه السلام في وصف بلاء أصحاب رسول الله في
 ١٧٨ ترسيخ الاسلام
- ٥٧ - من كلام له عليه السلام يخاطب أصحابه محذراً إياهم من شرور رجل
 ١٧٩ قيل إنه المغيرة بن شعبة
- ٥٨ - من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج حين خطأوه في مسألة
 ١٧٩ التحكيم
- ٥٩ - ثمّ قاله عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج .
 ١٨٠

- ٦٠ - من كلام له عليه السلام لما خَوَّف من الغيلة ١٨٢
- ٦١ - من خطبة له عليه السلام يصف مفاتن الدنيا ١٨٢
- ٦٢ - من خطبة له عليه السلام في وعظ الناس وحثهم على جلائل الأعمال
..... ١٨٣
- ٦٣ - من خطبة له عليه السلام في عدد من الصفات الإلهية كالأزلية والعلم
..... ١٨٥
- ٦٤ - من كلام له عليه السلام لأصحابه في بعض أيام صفين ١٨٧
- ٦٥ - من كلام له عليه السلام في معنى الأنصار بعد أن انتهت إليه
أنباء السقيفة ١٨٩
- ٦٦ - من كلام له عليه السلام لما قلَّد محمد بن أبي بكر مصر فملكت
عليه وقتل ١٩٠
- ٦٧ - من كلام له عليه السلام في لوم نفر من أصحابه وتبكيتهم ١٩١
- ٦٨ - مما قاله عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ١٩٢
- ٦٩ - من خطبة له في ذم أهل العراق لنكوصهم عن القتال ١٩٢
- ٧٠ - من خطبة له عليه السلام علَّم فيها الناس الصلاة على
النبي وآله (ﷺ) ١٩٤
- ٧١ - من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة ١٩٧
- ٧٢ - من كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعته عثمان ١٩٨
- ٧٣ - من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان
..... ١٩٩
- ٧٤ - من خطبة له عليه السلام في مكارم الأخلاق ٢٠٠
- ٧٥ - من كلام له عليه السلام يحمل فيه على بني أمية ٢٠٠
- ٧٦ - من كلمات كان عليه السلام يدعو بها ، سائلاً الله المغفرة ٢٠١
- ٧٧ - من كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على
المسير إلى الخوارج ٢٠٢
- ٧٨ - من خطبة له عليه السلام بعد حرب الجمل في ذم النساء ٢٠٣

- ٢٠٤ ٧٩ - من كلام له عليه السلام في حقيقة الزهد .
- ٢٠٥ ٨٠ - من كلام له عليه السلام في صفة الدنيا .
- ٨١ - من خطبة له عليه السلام ، وهي الخطبة العجيبة وتسمى الغراء
وفيها يحمد الله جلّ شأنه ويوصي بالتقوى ويدعو إلى الاعراض عن
الدنيا الفانية ٢٠٦
- ٢٢٢ ٨٢ - من كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص .
- ٢٢٣ ٨٣ - من خطبة له عليه السلام في صفات الله .
- ٨٤ - من خطبة له عليه السلام في العلم الإلهي الذي أحاط بكل شيء .
..... ٢٢٤
- ٢٢٧ ٨٥ - من خطبة له عليه السلام في الصالحين والطالحين من الناس .
- ٨٦ - من خطبة له عليه السلام في ذم اغراق بعض الفرق في
الشبهات والشهوات ٢٣١
- ٨٧ - من خطبة له عليه السلام في تعظيم رسالة النبي ﷺ والاقتداء بسيرته
..... ٢٣٢
- ٢٣٤ ٨٨ - من خطبة له عليه السلام في تعظيم الخالق وبيان بديع خلقه .
- ٨٩ - من خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة « الأشباح » ، وفيها يندد بمن
غفل عن جوهر الذات الإلهية وجنح في صفتها إلى أقوال « المشبهة » ،
وفيها صفة السماء والملائكة ، وصفة الأرض ودحوها على الماء . .. ٢٣٦
- ٩٠ - من خطبة له عليه السلام لما أراده الناس على البيعة بعد مقتل عثمان
رضي الله عنه ٢٥٩
- ٩١ - من خطبة له عليه السلام يحذر فيها من الفتنة ويرد مقالة بني أمية
ويذود عن منزلته وفضل آل البيت وترفعهم عن دعوى الجاهلية . ٢٦٠
- ٩٢ - من خطبة له عليه السلام في تعظيم الله عز وجل ووصف الأنبياء وما
خصّ الله الرسول (ﷺ) وآل بيته من عظيم فضله وعطائه . .. ٢٦٢
- ٩٣ - من خطبة له عليه السلام في بيان ما دعا إليه الرسول (ﷺ) من
الحكمة والموعظة الحسنة ٢٦٤

- ٩٤ - من خطبة أخرى له عليه السلام في صفة الله وأثر الرسول (ﷺ) .
٢٦٠
٩٥ - من خطبة له عليه السلام في إن الله تعالى يمهّل الظالم ولا يمهله ،
٢٦٥ وهو يرمز فيها إلى بني أمية
٩٦ - من كلام له عليه السلام منذراً بفعال خصومه من الأمويين . . .
٢٦٨
٩٧ - من خطبة له عليه السلام في النهي عن التنافس في عزّ الدنيا وفخرها
٢٦٩
٩٨ - من خطبة له عليه السلام في حمده الله والثناء على الرسول (ﷺ) وآل
٢٧٠ بيته الأكرمين
٩٩ - من خطبة له عليه السلام يستهلها بذكر الله والرسول (ﷺ) ثم
٢٧٢ يحذر من الفتن الداهية
١٠٠ - من خطبة له عليه السلام في البعث والحساب والتنبيه من
٢٧٤ الفتن وأهلها
١٠١ - من خطبة له عليه السلام يدعو فيها إلى التفكير بحقيقة الدنيا
٢٧٥ الفانية والاعتبار بزوالها
١٠٢ - من خطبة له عليه السلام في النبي الكريم (ﷺ) ورسالته السمحة
٢٧٧
١٠٣ - من خطبة له عليه السلام في وصف الرسول الكريم (ﷺ) ،
٢٧٨ وردع الأمويين وتنبيه الناس من غفلتهم
١٠٤ - من خطبة له عليه السلام في الشريعة الإسلامية وذكر النبي (ﷺ)
٢٨٠
١٠٥ - من كلام له عليه السلام يصف جولة أصحابه في صفين وحملتهم
٢٨٣ على العدو بعد إحجام
١٠٦ - من خطبة له عليه السلام ، وهي من خطب الملاحم
٢٨٤
١٠٧ - من خطبة له عليه السلام في تعظيم سلطان الله وقدرته
٢٨٨
١٠٨ - من خطبة له عليه السلام ، تناول فيها أركان الاسلام وشروط

- الإيمان ٢٩٣
- ١٠٩ - من خطبة له عليه السلام يحذر فيها الناس من الدنيا ومشاغليها .
- ٢٩٤
- ١١٠ - من خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت .
- ٢٩٨
- ١١١ - من خطبة له عليه السلام في الزهد والزاهدين .
- ٢٩٩
- ١١٢ - من خطبة له عليه السلام يوصي فيها الناس بالتقوى والعمل الصالح .
- ٣٠٠
- ١١٣ - من خطبة له عليه السلام في الاستسقاء .
- ٣٠٤
- ١١٤ - من خطبة له عليه السلام في لوم أصحابه بتركهم جادة الصواب .
- ٣٠٧
- ١١٥ - من كلام له عليه السلام في تقرير الأشحاء الذين قصرُوا عن البذل بالمال والنفس .
- ٣٥٩
- ١١٦ - من كلام له عليه السلام في دعوة الصالحين من أصحابه إلى نصرته في تعزيز جانب الحق .
- ٣٠٩
- ١١٧ - من كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً .
- ٣١٠
- ١١٨ - من كلام له عليه السلام يعظ الناس ويذكر فضله وفضل آل البيت .
- ٣١١
- ١١٩ - من كلام له عليه السلام في الرد على رجل من أصحابه قال له : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها ، فلم ندر أي الأمرين أرشد ؟ .
- ٣١٢
- ١٢٠ - من كلام له عليه السلام قاله للخوارج في معسكر لهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة .
- ٣١٥
- ١٢١ - من كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساحة الحرب .
- ٣١٦
- ١٢٢ - من كلام له عليه السلام في حث أصحابه على القتال .
- ٣١٧
- ١٢٣ - من كلام له عليه السلام في التحكيم .
- ٣٢٠
- ١٢٤ - من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء .
- ٣٢٣

- ١٢٥ - من كلام له عليه السلام في الردّ على الخوارج وبيان رأي الدين في التحكيم ٣٢٤
- ١٢٦ - من خطبة له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة . . . ٣٢٦
- ١٢٧ - من خطبة له عليه السلام في ذكر المكايل ٣٢٨
- ١٢٨ - من كلام له عليه السلام لأبي ذرّ رحمه الله لما خرج إلى الرّيلة . ٣٣٠
- ١٢٩ - من كلام له عليه السلام يقرّع فيه تشتت القوم وواجب الإمام في إقامة الحق ٣٣١
- ١٣٠ - من خطبة له عليه السلام في الوعظ والإرشاد ٣٣٣
- ١٣١ - من كلام له عليه السلام يعظم فيه الله سبحانه ، ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس ٣٣٥
- ١٣٢ - من كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم بنفسه ٣٣٧
- ١٣٣ - من كلام له عليه السلام يندّد بالمغيرة بن الأحنس لموقفه من النزاع الذي كان بينه وبين عثمان ٣٣٨
- ١٣٤ - من كلام له عليه السلام في مسألة البيعة ٣٣٩
- ١٣٥ - من كلام له عليه السلام في شأن طلحة والزبير وأمر البيعة . ٣٤٠
- ١٣٦ - من خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم ٣٤٢
- ١٣٧ - من كلام له عليه السلام في وقت الشورى ٣٤٤
- ١٣٨ - من كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة النّاس ٣٤٥
- ١٣٩ - من كلام له عليه السلام في الحقّ والباطل ٣٤٦
- ١٤٠ - من كلام له عليه السلام في مغبة جعل المعروف في غير أهله . ٣٤٧
- ١٤١ - من خطبة له عليه السلام في الاستسقاء ٣٤٧
- ١٤٢ - من كلام له عليه السلام في الحكمة من بعث الرسل ٣٤٩
- ١٤٣ - من خطبة له عليه السلام في النهي عن الغرور بمباهج الدنيا . ٣٥١
- ١٤٤ - من كلام له عليه السلام لعمر بن الخطّاب وقد استشاره في غزو الفرس بنفسه ٣٥٣

- ١٤٥ - من خطبة له عليه السلام في الرسالة النبوية ومعجزة القرآن
الكريم وبيانه ، ووصف أهل الزمان الآتي في ضلالهم وباطلهم ٣٥٤
- ١٤٦ - من كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة ٣٥٧
- ١٤٧ - من كلام له عليه السلام قبل موته ٣٥٨
- ١٤٨ - من خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم ، وفساد الضمائر والنفوس
..... ٣٦٠
- ١٤٩ - من خطبة له عليه السلام في الحث على التقوى والحذر من
الفتن المستمرة ٣٦٣
- ١٥٠ - من خطبة له عليه السلام في الذات الإلهية ومنزلة الأئمة في قيام
الدين والشرعة ٣٦٧
- ١٥١ - من خطبة له عليه السلام في صفة الضال والغافل ٣٦٨
- ١٥٢ - من خطبة له عليه السلام في صفة أهل بيت النبي (ﷺ) ٣٧١
- ١٥٣ - من خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش ٣٧٣
- ١٥٤ - من كلام له عليه السلام خاطب فيه أهل البصرة على جهة
اقتصاص الملاحم ٣٧٤
- ١٥٥ - من خطبة له عليه السلام في هداية عباد الله إلى مكارم الأخلاق
..... ٣٧٧
- ١٥٦ - من خطبة له عليه السلام في تمجيد رسالة النبي ووصف حال
دولة بني أمية ٣٧٩
- ١٥٧ - من خطبة له عليه السلام في رعايته الصالحة لشؤون الناس ٣٨٠
- ١٥٨ - من خطبة له عليه السلام في صفات الله والأنبياء ٣٨١
- ١٥٩ - من خطبة له عليه السلام في مآثر النبي (ﷺ) وفضل آل بيته
الكرام على تقوى الله وطاعته ٣٨٦
- ١٦٠ - من كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم
قومك عن هذا المقام وأنتم أحقّ به ؟ ٣٨٧

- ١٦١ - من خطبة له عليه السلام في صفة الخالق وعظيم قدرته في خلقه .
٣٨٩
- ١٦٢ - من كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموا
على عثمان وسألوه مخاطبته واستعتابه لهم ٣٩٢
- ١٦٣ - من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقه الطاووس .
٣٩٤
- ١٦٤ - من خطب له عليه السلام جمعت بين الموعظة ولوم صحبه لتخاذلهم
عن الحق ، محذراً من ثار الأيام وغدر الزمان ٤٠٠
- ١٦٥ - من خطبة له عليه السلام في أوائل خلافته .
٤٠٢
- ١٦٦ - من كلام له عليه السلام بعدما بويع بالخلافة ، وقد قال له
قوم من الصحابة : لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان ٤٠٣
- ١٦٧ - من خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة .
٤٠٣
- ١٦٨ - من كلام له عليه السلام كلم به بعض العرب واصفاً حقيقة
حاله مع أصحاب الجمل ٤٠٤
- ١٦٩ - من خطبة له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم في صفين .
٤٠٥
- ١٧٠ - من خطبة له عليه السلام يشكو من قريش وأعوانهم ويذكر
أصحاب الجمل ٤٠٦
- ١٧١ - من خطبة له عليه السلام في ذكر النبي (ﷺ) وشرط
الخلافة وذم الدنيا ٤٠٨
- ١٧٢ - من كلام له عليه في طلحة بن عبيد الله بعد خروجه إلى البصرة
والزبير لقتال أمير المؤمنين ٤١٠
- ١٧٣ - من خطبة له عليه السلام يذكر فيها قرياه من النبي (ﷺ)
ويعظ الناس ٤١١
- ١٧٤ - من خطبة له عليه السلام جمع فيها بين العظة وجوهر القرآن
الكريم والزجر عن الشرك ٤١٢
- ١٧٥ - من كلام له عليه السلام في معنى الحكمين .
٤١٩

- ١٧٦ - من خطبة له عليه السلام في علم الله والشهادتين وعدم الاغترار
٤١٩ بالدنيا
- ١٧٧ - من كلام له عليه السلام ، وقد سأله ذعلب اليماني : هل رأيت
٤٢١ ربك يا أمير المؤمنين
- ١٧٨ - من خطبة له عليه السلام في ذم العاصين من أصحابه
٤٢٢
- ١٧٩ - من كلام له عليه السلام ، وقد أرسل رجلاً يستطلع له أحوال
٤٢٤ قوم من جند الكوفة ، وقد هموا باللحاق بالخوارج
- ١٨٠ - من خطبة له عليه السلام خطبها بالكوفة وهو قائم على حجارة
٤٢٤ نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي
- ١٨١ - من خطبة له عليه السلام حمد فيها الله وعظم قدرته ومجد القرآن
٤٣١ وأثره وأوصى بالتقوى والصلاح
- ١٨٢ - من كلام له عليه السلام قاله لِلْبُرْج بن مِسْهَر الطائي
٤٣٥ وكان من الخوارج
- ١٨٣ - من خطبة له عليه السلام في حمد الله والثناء على النبي (ﷺ)
٤٣٧ ووصف أصناف من عجيب خلق الحيوان
- ١٨٤ - من خطبة له عليه السلام في التوحيد ، وقد جمعت هذه
٤٣٩ الخطبة ما لم يجمعه سواها من أصول العلم
- ١٨٥ - من خطبة له عليه السلام تختص بذكر الملاحم
٤٤٥
- ١٨٦ - من خطبة له عليه السلام يوصي فيها بتقوى الله ومجانبة المعصية .
٤٤٦ والدعوة
- ١٨٧ - من كلام له عليه السلام في ضروب الإيمان ومعنى الهجرة . .
٤٤٧
- ١٨٨ - من خطبة له عليه السلام في تعظيم الخالق وذكر النبي (ﷺ)
٤٤٨ إلى البرّ والزهد
- ١٨٩ - من خطبة له عليه السلام في حمد الله والثناء على النبي (ﷺ)
٤٥٠ والوصية بالتقوى والتنزه عن زخارف الدنيا
- ١٩٠ - من خطبة له عليه السلام تسمى « القاصعة » وهي تتضمن ذم

- ٤٥٣ إبليس ولعنته على استكباره
- ١٩١ - من خطبة له عليه السلام يصف فيها لصاحبه همّام سيرة المتّقين
- ٤٧٢ من العباد الصالحين
- ١٩٢ - من خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين وهم حزب الشيطان
- ٤٧٦
- ١٩٣ - من خطبة له عليه السلام في حمد الله وذكر النبي (ﷺ)
- ٤٧٧ والاعتصام بالتقوى
- ١٩٤ - من خطبة له عليه السلام في بعثة الرسول (ﷺ)
- ٤٧٩
- ١٩٥ - من كلام له عليه السلام يصف فيها خضوعه لأحكام الله وطاعته
- ٤٨٠ للنبي ونهوضه بالواجب يوم وفاته (ﷺ)
- ١٩٦ - من خطبة له عليه السلام في العلم الإلهي وفضيلة الاسلام والقرآن
- ٤٨١
- ١٩٧ - من كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه
- ٤٨٥
- ١٩٨ - من كلام له عليه السلام في صفة معاوية
- ٤٨٧
- ١٩٩ - من كلام له عليه السلام يدعو فيه إلى العمل الصالح وسلوك
- ٤٨٨ طريق الحق
- ٢٠٠ - من كلام له عليه السلام قاله كما يروى عنه ، عند دفن سيّدة
- ٤٨٩ النساء فاطمة عليها السلام
- ٢٠١ - من كلام له عليه السلام في أن الدّنيا دار مجاز والآخرة دار قرار
- ٤٩٠
- ٢٠٢ - من كلام له عليه السلام كان كثيراً ما ينادي به أصحابه
- ٤٩٠
- ٢٠٣ - من كلام له عليه السلام كلّمْ به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة
- ٤٩١ وقد عتبا عليه من ترك مشورتها
- ٢٠٤ - من كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل
- ٤٩٢ الشام أيام حربهم بصفين
- ٢٠٥ - من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفّين وقد رأى عليه

- ٤٩٣ السلام ابنه الحسن يتسرع إلى الحرب
- ٢٠٦ - من كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه
- ٤٩٣ في أمر الحكومة
- ٢٠٧ - من كلام له عليه السلام بالبصرة لما دخل على صاحبه العلاء
- ٤٩٤ بن زياد الحارثي يعود
- ٢٠٨ - من كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ...
- ٤٩٥
- ٢٠٩ - من خطبة له عليه السلام في عجائب الكون وبديع خلق الله .
- ٤٩٨
- ٢١٠ - من خطبة له عليه السلام تناول فيها الكلام على اعزاز الدين
- ٤٩٩ بالجهد والقتال في سبيل الله
- ٢١١ - من خطبة له عليه السلام في تنزيه الله المتعالي عن صفة الآدميين
- ٤٩٩ وذكر نبيه (ﷺ)
- ٢١٢ - من خطبة له عليه السلام يصف فيها جوهر الرسول
- ٥٠٠ وسمه العلماء ، ويعظ بالتقوى
- ٢١٣ - من دعاء كان عليه السلام يدعو به كثيراً .
- ٥٠٢
- ٢١٤ - من خطبة له عليه السلام خطبها بصقّين .
- ٥٠٣
- ٢١٥ - من كلام له عليه السلام تنظلم فيه من قریش ويستعدي الله عليها
- ٥٠٦ وعلى أعوانها
- ٢١٦ - من كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه
- ٥٠٧ عليه السلام
- ٢١٧ - من كلام له عليه السلام لما مرّ بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن
- ٥٠٧ أسيد وهما قتيلان يوم الجمل
- ٢١٨ - من كلام له عليه السلام في السالك الطريق إلى الله بالمجاهدة
- ٥٠٨ ومراقبة النفس
- ٢١٩ - من كلام له عليه السلام بعد تلاوته الآية الكريمة « ألهاكم التكاثر
- ٥٠٩ حتى زرتم المقابر »

- ٢٢٠ - من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته قوله تعالى « يُسَبِّحُ
له فيها بالغدو والآصال ... » ٥١٤
- ٢٢١ - من كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته « يا أيها الإنسان ما غرّك
بربّك الكريم » ٥١٦
- ٢٢٢ - من كلام له عليه السلام في إيشار صنوف العذاب على أن يكون
إماماً ظالماً للعباد ٥١٩
- ٢٢٣ - من دعاء له عليه السلام سائلاً الله الغني عن استعطاف شرار خلقه
٥٢٠
- ٢٢٤ - من خطبة له عليه السلام في وصف غدر الدنيا وهوانها . ٥٢١
- ٢٢٥ - من دعاء له عليه السلام في الاستعانة بالله والاسترشاد بهديه . ٥٢١
- ٢٢٦ - من كلام له عليه السلام عفى به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .
٥٢٢
- ٢٢٧ - من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة . ٥٢٣
- ٢٢٨ - من خطبة له عليه السلام في عظيم أثر التقوى وصفة الزهاد . ٥٢٥
- ٢٢٩ - من خطبة له عليه السلام خطبها بذى قار ، وهو متوجه إلى
البصرة ، ذكرها الواقدي في كتاب الجمل ٥٢٦
- ٢٣٠ - من كلام له عليه السلام كلّم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعة ،
وقد جاءه في خلافته يطلب مالاً ٥٢٦
- ٢٣١ - من كلام له عليه السلام في بيان أثر اللسان إذا صدق ونطق
بالحق ، وفيه شكوى من مفاصد الزمان ٥٢٧
- ٢٣٢ - من كلام له عليه السلام في أسباب اختلاف الناس كما رواه دَعْلَبُ
اليماي عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية . ٥٢٧
- ٢٣٣ - من كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله (ﷺ)
وتجهيزه ٥٢٨
- ٢٣٤ - من كلام له عليه السلام اقتصر فيه ذكر ما كان منه بعد
هجرة النبي (ﷺ) وآله ثم لحاقه به ٥٢٩

- ٢٣٥ - من خطبة له عليه السلام في الدعوة إلى العمل الصالح قبل
انقضاء الأجل ٥٢٩
- ٢٣٦ - من خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين ، وذم أهل الشام . ٥٣٠
- ٢٣٧ - من خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد (ﷺ) ٥٣١
- ٢٣٨ - من كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن عباس وقد جاءه برسالة
من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينع ٥٣٢
- ٢٣٩ - من كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد ٥٣٣



ثانياً - موضوعات الكتب والوصايا

- ١ - من كتاب له عليه السلام لأهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة ٥٣٧
- ٢ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة ، بعد فتح البصرة . . . ٥٣٩
- ٣ - من كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه . . . ٥٣٩
- ٤ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه . . . ٥٤١
- ٥ - من كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس وهو عامل أذربيجان ٥٤٢
- ٦ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية . . . ٥٤٢
- ٧ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً . . . ٥٤٣
- ٨ - من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي ، لما أرسله إلى معاوية ٥٤٤
- ٩ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية . . . ٥٤٤
- ١٠ - من كتاب له عليه السلام إليه أيضاً . . . ٥٤٦
- ١١ - من وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو . . . ٥٤٧
- ١٢ - من وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام ٥٤٨

- ١٣ - من كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه ٥٤٩
- ١٤ - من وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين . . . ٥٤٩
- ١٥ - من دعاء كان عليه السلام يقوله إذا لقي العدو محارباً ٥٥٠
- ١٦ - وكان عليه السلام يقول لأصحابه عند الحرب ٥٥١
- ١٧ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ، جواباً عن كتاب منه إليه ٥٥٢
- ١٨ - من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس ، وهو عامله على البصرة ٥٥٣
- ١٩ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله ٥٥٥
- ٢٠ - من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه ، وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة ٥٥٥
- ٢١ - من كتاب له عليه السلام إليه أيضاً ٥٥٦
- ٢٢ - من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس ٥٥٦
- ٢٣ - من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله ٥٥٧
- ٢٤ - من وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد منصرفه من صفين ٥٥٨
- ٢٥ - من وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقة ٥٥٩
- ٢٦ - من عهد له عليه السلام إلى بعض عمّاله ، وقد بعثه عليه الصدقة ٥٦١
- ٢٧ - من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما حين قلّده مصر ٥٦٣
- ٢٨ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً ٥٦٥
- ٢٩ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة ٥٧١
- ٣٠ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٥٧١

- ٣١ - من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام . . . ٥٧٢
- ٣٢ - ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية . . . ٥٩١
- ٣٣ - ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس ، وهو عامله في مكة
٥٩٢
- ٣٤ - ومن كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجُّده من
عزله بالأشتر عن مصر ثم توفي الأشتر في توجُّهه إلى مصر قبل وصوله
إليها ٥٩٣
- ٣٥ - ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس ، بعد مقتل
محمد بن أبي بكر ٥٩٤
- ٣٦ - ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب ، في ذكر
جيش أنفذه إلى بعض الأعداء وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل . ٥٩٥
- ٣٧ - ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٥٩٧
- ٣٨ - ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر ، لما ولى عليهم الأشتر .
٥٩٨
- ٣٩ - من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص ٥٩٩
- ٤٠ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله ٦٠٠
- ٤١ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله ٦٠٠
- ٤٢ - من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي ، وكان
على البحرين ، فعزله واستعمل نعمان بن عجلان الزرقى مكانه .
٦٠٣ عامله
- ٤٣ - من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وهو عامله
على أردشير خُرّة ٦٠٤
- ٤٤ - من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أنَّ معاوية
كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه ٦٠٥
- ٤٥ - من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حُنين الأنصاري ، وهو عامله
على البصرة وقد بلغه أنَّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها . ٦٠٦

- ٤٦ - ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ٦١٣
- ٤٧ - من وصية له عليه السلام للحسن عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم
لعنه الله ٦١٣
- ٤٨ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٦١٥
- ٤٩ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية (حسب رواية ابن أبي الحديد)
. ٦١٦
- ٥٠ - من كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على الجيوش ٦١٧
- ٥١ - من كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج ٦١٨
- ٥٢ - من كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة ٦٢٠
- ٥٣ - من كتاب له عليه السلام للأشتر النخعي ، لما ولّاه الصلاة ٦٢٠
- ٥٤ - من كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير ، مع عمران بن
الحصين الخزاعي ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب « المقامات »
في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ٦٥٠
- ٥٥ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٦٥١
- ٥٦ - من وصية له عليه السلام وصّى بها شريح بن هانئ لما جعله على
مقدمته إلى الشام ٦٥٢
- ٥٧ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة ، عند مسيره من
المدينة إلى البصرة ٦٥٣
- ٥٨ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار ، يقصّ فيه ما جرى
بينه وبين أهل صفين ٦٥٣
- ٥٩ - من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان
. ٦٥٥
- ٦٠ - من كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم ٦٥٦
- ٦١ - من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي ، وهو عامله
على هَيْتَ ، ينكر عليه دفع من يجتاز به من حيث العدد طالباً الغارة
. ٦٥٧

- ٦٢ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر ، مع مالك الأشتر
لما ولّاه إمارتها ٦٥٨
- ٦٣ - من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري ، وهو عامله
على الكوفة ، وقد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما
ندبهم لحرب أصحاب الجمل ٦٦٠
- ٦٤ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ، جواباً ٦٦٢
- ٦٥ - من كتاب له عليه السلام أيضاً ٦٦٤
- ٦٦ - من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس ٦٦٧
- ٦٧ - من كتاب له عليه السلام إلى قُثم بن العباس ، وهو عامله على مكة
..... ٦٦٧
- ٦٨ - من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته
..... ٦٦٨
- ٦٩ - من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني ٦٦٩
- ٧٠ - من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيفه الأنصاري ، وهو عامله
على المدينة ، في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية ٦٧١
- ٧١ - من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي ، وقد
خان في بعض ما ولّاه من أعماله ٦٧٢
- ٧٢ - من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس ٦٧٤
- ٧٣ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٦٧٤
- ٧٤ - من حلف له عليه السلام ، كتبه بين ربيعة واليمن ، ونقل
من خط هشام بن الكلبي ٦٧٥
- ٧٥ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أول ما بويع له ، ذكره
الواقدي في كتاب الجمل ٦٧٦
- ٧٦ - من وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس ، عند استخلافه إياه
على البصرة ٦٧٧
- ٧٧ - من وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس لما بعشه

- ٦٧٧ للاحتجاج إلى الخوارج
- ٧٨ - من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر
- ٦٧٧ الحَكَمِينَ ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي
- ٦٧٨ - من كتاب له عليه السلام ، لما استخلف ، إلى أمراء الأجناد .



ثالثاً - موضوعات الحكم والأمثال



| ٦٨٨ |

(١) - تجنب الظالمين في الفتنة . (٢) - الطمع ، والكشف عن الضرّ وتبسيط اللسان سبيل إلى الهوان . (٣) - في صفة البخل والجبن والفقر والعجز والصبر والزهد والورع . (٤) - في قيمة الرضى والعلم والآداب والفكر .

| ٦٨٩ |

(٥) - في صدر العاقل ، وأثر البشاشة والاحتمال والمسألة والرضى عن النفس .
(٦) - في أهمية الصدقة ، وأثر الأعمال . (٧) - عجائب تكوين الإنسان .
(٨) - في إقبال الدنيا وإدبارها . (٩) - في أصول مخالطة الناس . (١٠) - في القدرة على العدو . (١١) - في أعجز الناس .

(أ) حدّدنا موضوعات الحكم الواردة بالتركيز على العناصر الأساسية في كلّ حكمة لا على مدلولها .
ويلاحظ أن الرقم الوارد في الوسط هو رقم الصفحة المشترك بين أرقام الحكم الواردة في الصفحة المذكورة .

| ٦٨٣ |

(١٢) - بالشكر تنال النعم . (١٣) - بالأبعد تعويض عن الأقرب . (١٤) -
الأمور بين المقادير والتدبير . (٥) - في تفسير قول رسول الله (ﷺ) في
الشيب . (١٧) - خذل الحق قد لا ينصر الباطل . (١٨) - الأمل آفة
بغير العمل .

| ٦٨٤ |

(١٩) - إقالة عثرة ذوي المروءات . (٢٠) - في الخيبة والحرمان وانتهاز
الفرص . (٢١) - منع الحق يوجب الجدة في طلبه . (٢٢) - العمل قبل
النسب . (٢٣) - إغاثة الملهوف تكفير للذنوب . (٢٤) - الحذر من
ذهاب النعمة بالمعصية .

| ٦٨٥ |

(٢٥) - اللسان مرآة الضمير . (٢٦) - إمكان العمل منوط بالاحتمال . (٢٧) -
الزهد الأمثل . (٢٨) - الموت أقرب مع الإدبار . (٢٩) - وجوب الحذر
من المخازي . (٣٠) - دعائم الإيمان بالصبر واليقين والعدل والجهاد .

| ٦٨٦ |

(٣١) - دعائم الكفر بالتعمق فيه والتنازع والزيف والشقاق .

| ٦٨٧ |

(٣٢) - فاعل الخير وفاعل الشر . (٣٣) - في السباحة دون تبذير ، والتقدير
دون تقتير .

| ٦٨٨ |

(٣٤) - شرف الغنى . (٣٥) - الإكراه يوجب الكره . (٣٦) - التهادي في الأمل

يمنع العمل . (٣٧) - المشقة شقاء والدعة أمان . (٣٨) - الغنى في العقل ، والفقر في الحمق ، والوحشة في العجب ، والحسب حسن الخلق .

| ٦٨٩ |

(٣٩) - الفرائض قبل النوافل . (٤٠) - لسان العاقل وقلب الأحق .

| ٦٩٠ |

(٤١) - في لسان العاقل وقلب الأحق أيضاً . (٤٢) - ضرورة الصبر على العلة ، وارتباط الأجر بالتوبة .

| ٦٩١ |

(٤٣) - نخباب بن الأرت في إسلامه ومهاجرته وقناعته ورضاه وجهاده .
(٤٤) - من سبل السعادة ذكر المعاد والحذر من الحساب . (٤٥) -
المؤمن لا يكره على البغض ، والمنافق لا يغرى بالحب . (٤٦) - معيار
الخير عند الله . (٤٧) - أقدار الرجال موازية بقدراتهم في أمور فصدقهم
على قدر مروءتهم ، وشجاعتهم على قدر أنفتهم . . (٤٨) - أمور لا
تحصل إلا بشروط ، فشرط الظفر الحزم .

| ٦٩٢ |

(٤٩) - في صولة الكريم واللئيم . (٥٠) - قلوب الرجال تكتسب بالمؤالفة .
(٥١) - العيب يستره الجَد . (٥٢) - صلة ما بين العفو والعقوبة .
(٥٣) - السخاء الأمثل بالعطاء لا بالحياء . (٥٤) - غنى العاقل وفقير
الجاهل . (٥٥) - الصبر ضربان . (٥٦) - الغنى في الغربة والفقر في
الوطن . (٥٧) - القناعة غنى .

| ٦٩٣ |

(٥٨) - المال مآدة الشهوة . (٥٩) - التحذير كالتبشير . (٦٠) - وجوب صون
اللسان درءاً لخطره . (٦١) - المرأة كالعقرب . (٦٢) - ردّ التحية .
(٦٣) - الشفاعة والطلب . (٦٤) - أهل الدنيا كالنيام . (٦٥) - فقد
الأحبة . (٦٦) - فوت الحاجة .

| ٦٩٤ |

(٦٧) - الحرمان أقل من القليل . (٦٨) - العفاف والشكر زيتان . (٦٩) -
الرضى علاج المعجز . (٧٠) - الجاهل بين التفريط والافراط . (٧١) -
صلة العقل بالكلام . (٧٢) - الزمن كفيل بكل شيء . (٧٣) - الإمام
والقدوة الحسنة .

| ٦٩٥ |

(٧٤) - النفس والحتف . (٧٥) - الأمور بين فوات ووفود . (٧٦) - في
الشبهة . (٧٧) - خبر ضرار بن ضمرة . (٧٨) - كلام الأمام للسائل
الشامي .

| ٦٩٦ |

(٧٩) - خذ الحكمة أنى كانت . (٨٠) - الحكمة ضالة المؤمن . (٨١) - القيمة
في العمل .

| ٦٩٧ |

(٨٢) - الوصايا الخمس التي يشدّ إليها الرحال . (٨٣) - نفاذ بصيرة أمير
المؤمنين . (٨٤) - بقية السيف . (٨٥) - قول « لا أدري » . (٨٦) -
رأي الشيخ وجلد الغلام .

| ٦٩٨ |

- (٨٧) - لا قنوط مع الاستغفار . (٨٨) - أمانان من عذاب الله . (٨٩) -
إصلاح ما بين المرء والله . (٩٠) - لا قنوط من رحمة الله . (٩١) -
القلوب تملّ كالأبدان .

| ٦٩٩ |

- (٩٢) - أوضع العلم وأرفعه . (٩٣) - الاستعاذة بالله . (٩٤) - الخير بالعلم لا
بالمال . (٩٥) - العمل مع التقوى .

| ٧٠٠ |

- (٩٦) - أولى الناس بالأنبياء . (٩٧) - النوم على اليقين . (٩٨) - عقل الرعاية
لا عقل الرواية . (٩٩) - الاقرار بالملك والهلك . (١٠٠) - موقف أمير
المؤمنين ممن مدحه . (١٠١) - كيف يستقيم قضاء الحوائج .

| ٧٠١ |

- (١٠٢) - في الزمان الرديء الآتي . (١٠٣) - أمير المؤمنين والإزار البالي .
(١٠٤) - طوبى للزاهدين .

| ٧٠٢ |

- (١٠٥) - النهي عن تضييع الفرائض . (١٠٦) - عواقب إصلاح الدنيا بترك
الدين . (١٠٧) - العالم الذي يقتله جهله . (١٠٨) - القلب أعجب ما
علق بالإنسان .

| ٧٠٣ |

- (١٠٩) - آل البيت هم الصراد الوسطى .

| ٧٠٤ |

(١١٠) - من لا يداري هو المقيم لأمر الله تعالى . (١١١) - قول أمير المؤمنين في حبّ أهل البيت . (١١٢) - حبّ آل البيت بالاخلاص لله . (١١٣) - العقل هو الأعلى .

| ٧٠٥ |

(١١٤) - الناس بين صلاح الزمان وفساده . (١١٥) - أمير المؤمنين عليه السلام يصف حاله . (١١٦) - المستدرج بالاحسان إليه . . (١١٧) - اثنان هلكا في أمير المؤمنين .

| ٧٠٦ |

(١١٨) - إضاعة الفرصة . (١١٩) - مثل الدنيا كمثل الحية . (١٢٠) - عليه السلام يصف قريش . (١٢١) - شتان بين عمليْن . . (١٢٢) - أمير المؤمنين عليه السلام والضاحك في جنازة .

| ٧٠٧ |

(١٢٣) - في فضائل النفس . (١٢٤) - غيرة المرأة والرجل . (١٢٥) - الاسلام هو التسليم . (١٢٦) - البخيل يستعجل الفقر .

| ٧٠٨ |

(١٢٧) - التقصير في العمل مجلبة للحسرة . (١٢٨) - توقّي البرد وتلقّيه . (١٢٩) - عظمة الخالق وصغر المخلوق . (١٣٠) - أهل الديار الموحشة .

| ٧٠٩ |

(١٣١) - في خطاب المغتر بالدنيا الدّام لها .

| ٧٧٥ |

(١٣٢) - الملك الذي ينادي : لدوا للموت . (١٣٣) - الدنيا دار عمر .
(١٣٤) - الصدق في الصداقة .

| ٧٧٦ |

(١٣٥) - الأربع التي لا تحرم أربعاً . (١٣٦) - الصداقة قربان التقي .
(١٣٧) - الرزق والصدقة . (١٣٨) - اليقين والجود .

| ٧٧٧ |

(١٣٩) - المعونة والمؤونة . (١٤٠) - حسنة الاقتصاد . (١٤١) - قلة العيال .
(١٤٢) - التودّد تعقل . (١٤٣) - الهم والهزم . (٢٤٤) - الصبر
والمصيبة . (١٤٦) - الإيمان والصدقة . (١٤٧) - كلامه عليه السلام
للنّخعي .

| ٧٧٨ |

تابع (١٤٧) - الناس ثلاثة والعلم خير من المال .

| ٧٧٩ |

(١٤٨) - اللسان والإنسان . (١٤٩) - معرفة النفس .

| ٧٨٠ |

(١٥٠) - قوله عليه السلام واعظاً .

| ٧٨١ |

(١٥١) - العاقبة حلوة أو مرّة . (١٥٢) - المقبل المدبر . (١٥٣) - الصبر
والظفر . (١٥٤) - الراضي بالفعل كالفاعل . (١٥٥) - الاعتصام

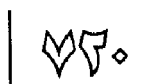
بالذمم . (١٥٦) - الطاعة غير المتجاهلة . (١٥٧) - الإبصار
بالأبصار . (١٥٨) - العتاب بالإحسان . (١٥٩) - موضع الإتهام
وسوء الظن .



(١٦٠) - الملك والاستئثار . (١٦١) - الاستبداد بالرأي . (١٦٢) - كتمان
السر ، . (١٦٣) - الفقر والموت . (١٦٤) - قضاء الحق . (١٦٥) -
الطاعة ومعصية الخالق . (١٦٦) - من يعاب ومن لا يعاب . (١٦٧) -
الاعجاب العائق .



(١٦٨) - القريب والقليل . (١٦٩) - الصبح المضيء . (١٧٠) - ترك الذنب
أهون . (١٧١) - الأكلة المانعة . (١٧٢) - عداوة المجهول . (١٧٣) -
تمحيص الآراء . (١٧٤) - الغضب لله . (١٧٥) - تهيب الأمور .
(١٧٦) - آلة الرياسة . (١٧٧) - زجر المسيء . (١٧٨) - حصد الشر
بقلمه . (١٧٩) - في اللجاجة . (١٨٠) - في الطمع .



(١٨١) ثمرة التفريط (١٨٢) الصمت عن الحكم (١٨٣) اختلاف الدعوتين
(١٨٤) لا شك في الحق (١٨٥) ما كذب عليه السلام (١٨٦) الظالم
البادي (١٨٧) الرحيل (١٨٨) مقاومة الحق هلاك .



(١٨٩) النجاة بالصبر (١٩٠) رأيه عليه السلام في الخلافة (١٩١) المرء
غرض في الدنيا .

٧٦٢

(١٩٢) الكسب والاختزان (١٩٣) شهوة القلوب (١٩٤) الغضب والانتقام
(١٩٥) المزبلة والبخل (١٩٦) المال والوعظ (١٩٧) ملل القلوب .

٧٦٣

(١٩٨) حق يراد به باطل (١٩٩) صفة الغوغماء (٢٠٠) وجوه السوء (٢٠١)
ملكان مع كل إنسان (٢٠٢) قوله عليه السلام لطلحة والزبير (٢٠٣)
تقوى الله ومبادرة الموت .

٧٦٤

(٢٠٤) لا تزهد في المعروف (٢٠٥) سعة وعاء العلم (٢٠٦) الناس أنصار
الحليم (٢٠٧) الحلم والتحلّم (٢٠٨) الربح في محاسبة النفس (٢٠٩)
عطف الدنيا بعد جموحها .

٧٦٥

(٢١٠) الدعوة إلى تقوى الله (٢١١) الجود حارس العرض . . .

٧٦٦

(٢١٢) آفة العجب بالنفس (٢١٣) تحمل الألم (٢١٤) اللين فضيلة (٢١٥)
الخلاف هدام (٢١٦) النيل والتطاول (٢١٧) تقلب الأحوال (٢١٨)
حسد الصديق . . (٢١٩) مصارع العقول (٢٢٠) الظن وهتك الثقة
(٢٢١) العدوان بثس الزاد (٢٢٢) من أعمال الكريم .

٧٦٧

(٢٢٣) الحياء أفضل كساء (٢٢٤) فضيلة الصمت (٢٢٥) الحسد الغافل
(٢٢٦) الطامع الدليل (٢٢٧) حقيقة الإيمان (٢٢٨) الحزن على الدنيا

تحدد للقضاء .

| ٧٢٨ |

(٢٢٩) القناعة ملك (٢٣٠) مشاركة ذوي الرزق (٢٣١) العدل والاحسان
(٢٣٢) العطاء القليل والكسب الكثير .

| ٧٢٩ |

(٢٣٣) الداعي الباغي (٢٣٤) خيار خصال النساء شرار خصال الرجال
(٢٣٥) في وصف العاقل .

| ٧٣٠ |

(٢٣٦) الدنيا الهينة (٢٣٧) مراتب العبادة (٢٣٨) المرأة شرّ لا بدّ منه
(٢٣٩) إطاعة التواني (٢٤٠) الاغتصاب والخراب .

| ٧٣١ |

(٢٤١) يوم المظلوم ويوم الظالم (٢٤٢) تقوى الله (٢٤٣) ازدحام الجواب
(٢٤٤) حق الله (٢٤٥) المقدرة والشهوة (٢٤٦) الحذر من شرود النعم
(٢٤٧) عطف الكرم (٢٤٨) الظن بالخير .

| ٧٣٢ |

(٢٤٩) أفضل الأعمال (٢٥٠) معرفة الله (٢٥١) مرارة الدنيا وحلاوتها (٢٥٢)
في الفرائض وأسبابها .

| ٧٣٣ |

(٢٥٣) الحلف الكاذب بالله (٢٥٤) وصاية النفس في المال (٢٥٥) الحدة من

الجنون (٢٥٦) الصحة والحسد .

| ٧٣٤ |

(٢٥٨) الصدقة تجلب الرزق في حال الفقر (٢٥٩) الوفاء لأهل الغدر غدر
(٢٦٠) في الاستدراج بالاحسان .

| ٧٣٩ | — | ٧٣٥ |

فصل في غريب كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

| ٧٤٠ |

(٢٦١) قوله عليه السلام بعد إغارة أصحاب معاوية على الأنبار (٢٦٢) قوله
عليه السلام للحارث بن حوت .

| ٧٤١ |

(٢٦٢) صاحب السلطان كراكب الأسد (٢٦٤) الإحسان يولد الحفظ (٢٦٥)
كلام الحكماء دواء وداء (٢٦٦) قوله عليه السلام في الإيمان .

| ٧٤٢ |

(٢٦٧) الله يأتي برزق الغد (٢٦٨) الاعتدال في الحب والبغض (٢٦٩)
العاملان : للدنيا ولما بعدها (٢٧٠) حلي الكعبة على حاله .

| ٧٤٣ |

(٢٧١) قوله عليه السلام في أمر عبيد بن سرقا (٢٧٢) قوله عليه السلام في أثر الفتن (٢٧٣) الله لم يجعل للعبد . . أكثر مما سمي له .

| ٧٤٤ |

(٢٧٤) النهي عن جعل العلم جهلاً . . (٢٧٥) الطمع قد يشرق بصاحبه قبل الري .

| ٧٤٥ |

(٢٧٦) من أدعية أمير المؤمنين عليه السلام (٢٧٧) الليلة الدهماء تكشر عن يوم أغرّ (٢٧٨) القليل الدائم خير من الكثير (٢٧٩) رفض النوافل (٢٨٠) الاستعداد للسفر (٢٨١) روية العقل لا تغش كالبصر .

| ٧٤٦ |

(٢٨٢) الغفلة هيجاب دون الموعظة (٢٨٣) الجاهل يغالي والعالم يسوف (٢٨٤) بالعلم تقطع العلل (٢٨٥) المعجل والمؤجل (٢٨٦) الدهر يجتّب يوم السوء (٢٨٧) القدر طريق مظلم .

| ٧٤٧ | (أ)

(٢٨٩) الله تعالى يحظر العلم على من أرذله من عباده .

| ٧٤٨ |

(٢٩٢) ان الصبر لجميل .

(أ) إقتصرنا في الصفحات الباقية على مأثور واحد .

٧٤٩

(٢٩٧) ما أكثر العبر وأقل الاعتبار .

٧٥٠

(٣٠٢) المبتلى ليس أحوج للدعاء من المعافى .

٧٥١

(٣١٢) ان القلوب إقبالاً وإدباراً .

٧٥٢

(٣١٥) أمير المؤمنين عليه السلام يوصي كاتبه عبد الله بن أبي رافع .

٧٥٣

(٣١٩) قوله عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه .

٧٥٤

(٣٦٣) قوله عليه السلام حين مرّ بقتلى الخوارج .

٧٥٥

(٣٢٩) في الاستغناء عن العذر .

٧٥٦

(٣٣٤) رؤيا الأجل تبغض الأمل والغرور .

٧٥٧

(٣٤٠) العفاف زينة الفقر .

| ٧٥٨ |

(٣٤٤) قوله عليه السلام في تقوى الله .

| ٧٥٩ |

(٣٥٠) علامات الظالم من الرجال .

| ٧٦٠ |

(٣٥٤) قوله في التهنئة بغلام .

| ٧٦١ |

(٣٦٠) عدم الظن بالسوء ما دام للخير محتمل .

| ٧٦٢ |

(٣٦٤) لا تسأل عما لا يكون .

| ٧٦٣ |

(٣٦٩) تصوره عليه السلام للزمان المظلم الآتي على الناس .

| ٧٦٤ |

(٣٧٢) قوام الدين والدنيا .

| ٧٦٥ |

(٣٧٤) كلام له عليه السلام يجري هذا المجرى .

| ٧٦٦ |

(٣٧٥) أبو جحيفة يروي ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام عن ضروب
الجهاد .

٧٦٧

(٣٨٠) المرء لا يملك نهاية يومه ولا غبطة ليله .

٧٦٨

(٣٨٣) الله يرى الانسان في حالي الطاعة والمعصية

٧٦٩

(٣٨٨) الفاقة في البلاء .

٧٧٠

(٣٩٣) خذ من الدنيا ما أتاك .

٧٧١

(٤٠٠) العين حق . . . والطيرة ليست بحق .

٧٧٢

(٤٠٣) من طلب المتباعد خذته الحيل .

٧٧٣

(٤٠٨) الحق يصرع من صارعه .

٧٧٤

(٤١٥) قوله عليه السلام في صفة الدنيا .

٧٧٥

(٤١٨) الحلم عشيرة .

| ٧٧٦ |

(٤٢٢) افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً .

| ٧٧٧ |

(٤٢٦) عدم الوثوق بالعافية والغنى .

| ٧٧٨ |

(٤٣١) الرزق رزقان : طالب ومطلوب .

| ٧٧٩ |

(٤٣٤) اختبر ظاهر الشخص فربما وجدت ما لا يسرك .

| ٧٨٠ |

(٤٣٨) الناس أعداء ما جهلوا .

| ٧٨١ |

(٤٤٤) قليل مدوم عليه خير من كثير محلول منه .

| ٧٨٢ |

(٤٤٨) من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها .

| ٧٨٣ |

(٤٥٤) نهى ابن آدم عن الفخر .

| ٧٨٤ |

(٤٥٩) يغلب المقدار على التقدير .

| ٧٨٥ |

(٤٦٥) ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في مدح الأنصار .

| ٧٨٦ |

(٤٦٨) الزمان العضوض الذي يأتي على الناس .

| ٧٨٧ |

(٤٧٠) قوله عليه السلام في التوحيد والعدل .

| ٧٨٨ |

(٤٧٣) قوله عليه السلام في الخضاب .

| ٧٨٩ |

(٤٧٧) أشد الذنوب ما استفذ به صاحبه .

(٧)

الفهرس العام

- (١) - كلمة الناشر ٥
- (٢) - تصدير الطبعة الأولى ٩
- (٣) - مقدمة ٣٥
- ١ - في سيرة الإمام علي بن أبي طالب ٣٥
- ٢ - أضواء على سيرة الإمام محمد عبده ٥٧
- (٤) - مقدمة الأستاذ الإمام محمد عبده ٦٧
- (٥) - تنبيه لمديري المدارس ٧٥
- (٦) - مقدمة العلامة الشريف الرضي ٧٧
- (٧) - الباب الأول : المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ٨٣
- (٨) - الباب الثاني : المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام ووصاياه وعهده ٥٣٥
- (٩) - الباب الثالث : المختار من حكم وغريب كلام أمير المؤمنين عليه السلام ٦٧٩
- (١٠) - فهارس الكتاب ٧٩٣
- (أ) - فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٧٩٥
- (ب) - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٨٠٥
- (ج) - فهرس الدلالات العامة والمسائل الدينية ٨١١
- (د) - الفهرس الجامع ٨٤٥
- (هـ) - فهرس أبواب الكتاب ٨٧١
- (و) - فهرس موضوعات الأبواب ٨٧٣
- ثانياً - موضوعات الكتب والوصايا ٨٨٩
- ثالثاً - موضوعات الحكم والأمثال ٨٩٥
- (ز) - الفهرس العام ٩١٢



